

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامى

سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ فِي سِيرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ

لِلإمام محمد بن يوسف الصَّاحِبِ الشَّامِيِّ الْمُنَوِّفِي ٩٤٤هـ

الجزء الخامس

تحقيق

فهم محمد شلتوت الدكتور جودة عبد الرحمن هلال

القاهرة

١٤١٣ هـ — ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم تقديم لجنة إحياء التراث الإسلامي

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ﷺ ، أما بعد : فهذا جزء آخر من أجزاء السيرة النبوية الشريفة ، المسماة : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد والمعروفة باسم : « السيرة الشامية » للإمام محمد ابن يوسف الصالحى الشامى ، المتوفى سنة ٩٤٢ هجرية .

وهذا الكتاب المهم فى سيرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - تكفل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بتحقيقه ، ونشره ، فعهدت لجنة إحياء التراث الإسلامى به ، إلى كبار العلماء المحققين ، ليقوموا بتحقيقه ، ومقابلة نسخه المخطوطة ، والرجوع به إلى مصادره ، وتخرىج نصوصه ، وضبط كلماته ، بناء على ما ارتضته تلك اللجنة من قواعد التحقيق والنشر .

وقد صدر الجزء الأول من هذه الموسوعة المباركة فى عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد ، ثم صدر الجزء الثانى فى عام ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد كذلك ، وبعد ذلك بعام صدر الجزء الثالث بتحقيق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمى .

ولظروف طارئة توقفت لجان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عن العمل ، وبعد فترة أعيد تشكيل تلك اللجان من جديد ، فتابعت لجنة إحياء التراث الإسلامى العمل على نشر هذه السيرة التى جمعها مؤلفها من ثلاثمائة كتاب فجاءت موسوعة عظمتى تجمع أطراف السيرة من جميع جوانبها ، وقامت بتوزيع الأجزاء المتبقية منها على كبار المحققين فى مصر ، وأخرجت فى عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م الجزء الرابع بتحقيق الأستاذين : إبراهيم الترسى وعبد الكريم العزباوى .

واليوم يسعد اللجنة أن تقدم للعالم الإسلامى الجزء الخامس من هذه الموسوعة وهو استكمال للحديث عن مغازى وسرايا رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - بتحقيق الأستاذ فهيم محمد شلتوت ، والدكتور جودة هلال ، وكذلك يسعد اللجنة أن تقدم أيضاً الجزء السادس ، وهو خاص بالحديث عن بعوث ووفود رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتحقيق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمى .

ونرجو أن توفق اللجنة إلى نشر الأجزاء المتبقية من هذه الموسوعة في
السيرة النبوية الشريفة ، في أقرب وقت ممكن ، بمشيئة الله - تعالى - آمين
أن يكون في ذلك ، تيسير لمعرفة سنة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -
وحفزاً للهمم ، للاقتداء بها .

والله ولي التوفيق ..

رئيس اللجنة
عبد المنعم محمد عمر

مقرر اللجنة
د . رمضان عبد التواب

قام بتصحيح ومراجعة هذه الطبعة الأستاذ / فهم محمد شلتوت أحد محققى
هذا الجزء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تقى

من مقدمة المؤلف

هذا كتاب اقتضفته من أكثر من ثلاثمائة كتاب ، وتحررت فيه الصواب ، ذكرت فيه قطرات من فضائل سيدنا رسول الله ﷺ من مبدأ خلقه قبل خلق سيدنا آدم صلى الله عليهما وسلم وأعلام نبوته وشماله وسيرته وأحواله وأفعاله وتقليباته إلى أن نقله الله تعالى إلى أعلى جناته وما أعد له فيها من الإنعام والتعظيم ، عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم . ولم أذكر فيه شيئاً من الأحاديث الموضوعات وختمت كل باب بإيضاح ما أشكل فيه وبعض ما اشتمل عليه من النفائس المستجادات مع بيان غريب الألفاظ وضبط المشكلات والجمع بين الأحاديث التي يظن بها أنها من المتناقضات . وإذا ذكرت حديثاً من عند أحد من الأئمة فإني أجمع بين ألفاظ رواته إذا اتفقوا وإذا عزوته لمخرجين فأكثر فإني أجمع بين ألفاظهم إذا اتفقوا فلا يعترض على إذا عزوت الحديث للبخارى ومسلم وذكرت معهما غيرهما فإن ذلك لأجل الزيادة التي عند غيرهما غالباً ، وإذا كان الراوى عن النبي صلى الله عليه وسلم صحابياً قلت رضى الله تعالى عنه فإذا كان تابعياً أو من أتباع التابعين قلت رحمه الله تعالى ، وإذا أطلقت الشيوخين فالبخارى ومسلم أو قلت متفق عليه فما روياه ، أو الأربعة فأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ، أو الستة فالشيخان والأربعة ، أو الخمسة فالسنة إلا ابن ماجه أو الثلاثة والأربعة إلا هو ، أو الأئمة فالأمام مالك والإمام الشافعى والإمام أحمد والسنة والدارقطنى . ولم أقف على شيء من الأسانيد المخرجة للإمام الأعظم أبى حنيفة رضوان الله تعالى عليه فلذلك لم أذكره ، أو الجماعة فالإمام أحمد والسنة ، أو أبى عمر فالخافظ يوسف بن عبد البر ، أو القاضى فأبو الفضل عياض ، أو الأمير فالإمام الخافظ أبونصر على بن هبة الله الوزيرى البغدادى المعروف بابن مأكولا . أو السهيل فالإمام أبوقاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمى ، أو الروض فالروض الأنف له ، أو أبى الفرج فالخافظ عبد الرحمن بن الجوزى ، أو أبى الخطاب فالخافظ عمر بن الحسن بن دحية ، أو أبى ذر فالخافظ أبودر بن محمد بن مسعود الخثفى ، أو الإملاء فما أملاه على سيرة ابن هشام ، أو زاد المعاد فزاد المعاد فى هدى خير العباد للإمام العلامة أبى عبد الله محمد ابن أبى بكر بن القيم ، أو أبى الربيع فالثقة الثبت سليمان بن سالم الكلاعى أو الاكتفاء فكتاب الاكتفاء له ، أو أبى الفتح فالخافظ محمد بن محمد بن سيد الناس ، أو العيون فعيون الأثر له ، أو القطب فالخافظ قطب الدين الحلبي ، أو المورد فال مورد العذب له ، أو الزهر فالزهر الباسم ، أو الإشارة فالإشارة إلى سيرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، كلاهما للخافظ علاء الدين مغلطاى ، أو الإمتاع فكتاب إمتاع الأسماع للإمام العلامة مؤرخ الديار المصرية تقي الدين المقرئى ، أو المصباح فالمصباح المنير للإمام العلامة أبى العباس أحمد بن محمد بن على الفيومى ، أو التقريب

فالتقريب في علم الغريب لولده محمود الشهير بابن خطيب الدهشة ، أو الحافظ فشيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ، أو الفتح ففتح الباري له ، أو شرح الدرر فشرحه على ألفية السيرة لشيخه العراقي ، أو النور فنور النبراس للحافظ برهان الدين الحلبي ، أو الغرر فالغرر المضيئة للعلامة محيي الدين بن الإمام العلامة شهاب الدين بن الهائم ، أو السيد فالإمام العلامة شيخ الشافعية بطيبة نور الدين السمهودي ، أو الشيخ أو شيخنا فحافظ الإسلام بقية المجتهدين من الأعلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - رحمهم الله تعالى ، وحيث أطلقت الموحدة فهي ثانی الحروف ، أو المثلثة فهي الرابعة ، أو التحتبة فهي آخر الحروف .

وسميت هذا الكتاب « سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد » وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، وإذا تأملت هذا الكتاب علمت أنه نتيجة عمري وذخيرة دهرى والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يمن علي بالنظر إليه في دار النعيم ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، ماشاء الله كان ، ولم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الباب العشرون

في غزوة بني قريظة^(١)

تقدم في غزوة الخندق أنهم ظاهروا قرينشاً وأعانوهم على حرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونقضوا العهد والمواثيق التي كانت بينهم وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما أجدى ذلك عنهم شيئاً وبأءوا بغضب من الله ورسوله ، والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ - أي أعانوهم - مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ - أي حصونهم - وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا^(٢) .

قال محمد بن عمر عن شيوخه : لما تفرق المشركون عن الخندق خافت بنو قريظة خوفاً شديداً ، وقالوا : محمد يزحف إلينا ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يأمُر^(٣) بقتالهم حتى جاءه جبريل يأمُر به .

روى الإمام أحمد والشيخان - مختصراً - والبيهقي والحاكم في صحيحه^(٤) مطولاً عن عائشة ، وأبو نعيم ، والبيهقي من وجه آخر عنها ، وابن عائد عن جابر بن عبد الله ، وابن سعد عن حميد بن هلال ، وابن جرير عن عبد الله بن أبي أوفى ، والبيهقي

(١) انظر في أخبار هذه الغزوة : مغازي الواقدي ٢ : ٤٩٦ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ١٩٤ ط الجمالية سنة ١٩١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٢٣ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٥٤ ونهاية الأرب للنويري ١٧ : ١٨٦ وشرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٢٦

(٢) سورة الأحزاب الآيات من ٢٥ - ٢٧ .

(٣) كذا في ط ، م - وفي « لم يؤمر » . وكذلك في (الواقدي - كتاب المغازي ٢ : ٤٩٧) ط أكسفورد .

(٤) في « والحاكم ومصححه »

وابن سَعْدٍ عن المَاجِشُونِ ، والْبَيْهَقِيُّ عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، وسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وابْنِ سَعْدٍ عن يَزِيدِ بْنِ الْأَصَمِّ ، ومُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ عن شَيْخِهِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا رَجَعَ عَنْ^(١) الْخَنْدَقِ ، وَالْمُسْلِمُونَ وَقَدْ عَصَهُمُ الْحَصَارُ ، فَرَجَعُوا مَجْهُودِينَ ، فَوَضَعُوا السِّلَاحَ ، وَوَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ وَدَعَا بِمَاءٍ فَأَخَذَ يَغْسِلُ رَأْسَهُ - قَالَ ابْنُ عُقْبَةَ^(٢) : قَدْ رَجُلٌ أَحَدَ شِقَيقِهِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ : غَسَلَ رَأْسَهُ وَاغْتَسَلَ ، وَدَعَا بِالْمَجْمَرَةِ لِيَتَبَخَّرَ^(٣) ، وَقَدْ صَلَّى الظُّهْرَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَلَّمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ وَنَحْنُ فِي الْبَيْتِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ : وَقَفَ مَوْضِعَ الْجَنَائِزِ ، فَنَادَى عَذِيرَكَ^(٤) مِنْ مُحَارِبٍ ! فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَعَا فَوَثَبَ وَثْبَةً شَدِيدَةً^(٥) ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، وَقُمْتُ فِي أَثَرِهِ أَنْظُرَ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ ، فَإِذَا هُوَ دَخِيئَةُ الْكَلْبِيِّ^(٦) فِيمَا كُنْتُ أَرَى - وَهُوَ يَنْفُضُ الْغُبَارَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَهُوَ مُعْتَمٌ ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَةٍ ، قَالَ الْمَاجِشُونُ - كَمَا رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ عَنْهَا ، سَوْدَاءُ مِنْ اسْتَبْرَقٍ ، مُرَخٍّ مِنْ عِمَامَتِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ - وَفِي لَفْظٍ : فَرَسٌ - عَلَيْهَا رَحَالَةٌ وَعَلَيْهَا قَطِيفَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ - قَالَ الْمَاجِشُونُ : أَحْمَرٌ - عَلَى ثَنَائِيهِ أَثَرُ الْغُبَارِ ، وَفِي رَوَايَةٍ : قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الْغُبَارَ ، عَلَيْهِ لَأُتَمَّةٌ ، فَاتَكَأَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى عَرَفِ الدَّابَّةِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَسْرَعْتُمْ مَا حَلَلْتُمْ ، عَذِيرَكَ مِنْ مُحَارِبٍ ! عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، وَفِي لَفْظٍ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، أَوْ قَدْ وَضَعْتُمُ السِّلَاحَ قَبْلَ أَنْ نَضَعَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « نَعَمْ قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ ، وَفِي لَفْظٍ : « مَا وَضَعَتْ

(١) وَفِي الْبُخَارِيِّ (٣ - ٣٤ ط عيسى الحلبي) مِنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - « لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ أَتَاهُ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ وَاللَّهُ مَا وَضَعْنَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ . قَالَ : فَإِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ هُنَا وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْهِمْ . (٢) كَذَا فِي م ، ت ، وَفِي ط « قَالَ عَتَبَةُ » .

(٣) جَامِعٌ فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ لِلزَّرْقَانِيِّ (٢ : ١٢٧) صَرَحَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ وَغَيْرِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ « أَنَّهُ اغْتَسَلَ وَاسْتَجَمَر » .

(٤) عَذِيرَكَ : أَيْ مِنْ يَمْنُوكَ . فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ . وَانْظُرْ مَا يَأْتِي فِي شَرْحِ الْمَفْرَدَاتِ .

(٥) عِبَارَةُ السِّيَرَةِ الْحَلِيبِيَّةِ (٢ : ٣٥٥) وَثَبَ وَثْبَةً مُنْكَرَةً .

(٦) هُوَ دَحِيَّةُ بْنُ خُلَيْفَةَ بْنِ فُرُوقٍ مِنْ فَضَالَةَ بْنِ زَيْدٍ مِنْ أَمْرِئِ الْقَيْسِ مِنَ الْخَزْرَجِ . صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَى صُورَتِهِ (ابْنُ حَزْمٍ . جِبَهْرَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ ٤٥٨) .

الملائكة السلاح منذُ نَزَلَ بِكَ العدوُّ ، وَمَا رَجَعْنَا الْآنَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ حَتَّى بَلَّغْنَا حمراء^(١) الأسد - يعنى الأحزاب - وَقَدْ هَزَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَأْمُرُكَ بِقِتَالِ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَأَنَا عَامِدٌ إِلَيْهِمْ بِمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِأَزْكِلَ بِهِمُ الْحَصُونَ ، فَاخْرُجْ بِالنَّاسِ . قال حميد بن هلال : فقال رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « فَإِنَّ فِي أَصْحَابِي جَهْدًا فَلَوْ أَنْظَرْتَهُمْ أَيَّامًا قَالَ^(٢) جبريل : انْهَضْ إِلَيْهِمْ ، فَوَاللَّهِ لَا أَدْفَنُهُمْ كَذَقُّ الْبَيْضِ عَلَى الصَّفَا^(٣) لِأَضْغَضْنَهُمْ^(٤) ، فَأَذْبَرَ جبريلُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى سَطَعَ الْغَبَارُ فِي زُقَاقِ بَنِي غَنَمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالَ أَنَسٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٥) : كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى الْغَبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنَمٍ - مَوْكِبَ جبريلَ حِينَ سَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ .. انتهى .

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَرَجَعْتُ ، فَلَمَّا دَخَلَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ - مَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي كُنْتَ تَكَلِّمُهُ ؟ قَالَ : « وَرَأَيْتِهِ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قَالَ : « لِمَنْ تَشَبَّهْتُ^(٦) » ؟ قُلْتُ : بِدِخْيَةِ ابْنِ خَلِيفَةِ الْكَلْبِيِّ ، قَالَ : « ذَلِكَ جبريلُ أَمَرَنِي أَنْ أَمْضِيَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ » .

قال قتادة فيما رواه ابنُ عائذ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعَثَ يَوْمَئِذٍ مُنَادِيًا ينادى « يَاخِيْلُ اللَّهِ أَرْكَبِي » وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِإِلَاقَةِ فَادْنَ فِي النَّاسِ : « مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا^(٧) فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا بِبَنِي قُرَيْظَةَ » .

وروى الشيخان عن ابنِ عُمر ، والبيهقي عن عَائِشَةَ ، والبيهقي عن الزُّهْرِيِّ وعن ابنِ عُقْبَةَ ، والطَّبْرَانِيُّ عن كعب بن مالك : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ

(١) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة (ياقوت . معجم البلدان) .

(٢) كذا في ط . م . وفي « فقال » .

(٣) الصفا : المريض من الحجارة ، والصفاء حمرة ملساء (اللسان : صفاً)

(٤) في شرح المواهب للزرقاني (٢ : ١٢٧) « وعند ابن سعد من مرسل حميد بن هلال فقال : يا رسول الله

انهض إليهم فلاضغضهم » . وفي السيرة الحلبية (٢ : ٣٥٤) « ولادخلن فرسى هذا عليهم في حصونهم لأضغضهم » . وسيرد المعنى في غريب المفردات .

(٥) انظر الحديث في البخاري ٣ : ٣٤ ، وفي ابن كثير : البداية والنهاية ٤ : ١١٧ .

(٦) في السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٥ « لمن تشبهته »

(٧) كذا في ت ، م . وفي ط « من كان مطيعاً »

لأَصْحَابِهِ : « عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُصَلُّوا^(١) صَلَاةَ الْعَصْرِ » . وَوَقَعَ فِي مُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ أَبِي
عُمَرَ صَلَاةَ الظُّهْرِ^(٢) فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمْ صَلَاةَ الْعَصْرِ ، وَفِي لَفْظِ الظُّهْرِ فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ : لَا نُصَلِّيْهَا حَتَّى نَأْتِيَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، إِنَّا لَفِي عَزِيمَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَا عَلَيْنَا مِنْ إِثْمٍ ، فَصَلُّوا الْعَصْرَ بَنِي قُرَيْظَةَ حِينَ وَصَلُوهَا بَعْدَ غُرُوبِ
١٤٩ ط الشَّمْسِ / . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ نُصَلِّيْ ؛ لَمْ يُرْزَ مِنَّا أَنْ نَدَعَ الصَّلَاةَ ، فَصَلُّوا ، فَذَكَرَ
ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمْ يُعْتَفَ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَدَعَا رَسُولُ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَدَفَعَ إِلَيْهِ لَوَاءَهُ ، وَكَانَ اللَّوَاءُ عَلَى
حَالِهِ لَمْ يُحَلَّ مِنْ مَرْجِعِهِ مِنَ الْخَنْدَقِ ، فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ .

* * *

نكر مسيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى بنى قريظة

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ ، وَابْنُ سَعْدٍ ، وَابْنُ هِشَامٍ ، وَالْبَلَاذُورِيُّ : فَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْهِمْ لِسَبْعِ
بَقِيَيْنِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَلَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - السَّلَاحَ وَالْدَّرْعَ^(٣)
وَالْمِغْفَرَ وَالْبَيْضَةَ وَأَخَذَ قَنَازَةً بِيَدِهِ ، وَتَقَلَّدَ الثُّرْسَ ، وَرَكِبَ فَرَسَهُ اللَّحِيفَ^(٤) ، وَخَفَّ
بِهِ أَصْحَابُهُ ، قَدْ لَبِسُوا السَّلَاحَ وَرَكَبُوا الْخَيْلَ ، وَكَانَتْ الْخَيْلُ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ فَرَسًا

(١) فِي ط « أَنْ تُصَلُّوا » وَمِنْ هُنَا مِنْ ت ، م وَيَتَّفِقُ وَرَوَايَةُ الْبُخَارِيِّ ٣ : ٣٤ « لَا يُصَلِّينَ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي
بَنِي قُرَيْظَةَ » .

(٢) أَسْهَبَتْ كُتُبُ السِّيَرَةِ فِي ذِكْرِ الْخِلَافِ حَوْلَ أَى الصَّلَاتَيْنِ نَهَى عَنْهَا ، الظُّهْرُ أَمْ الْعَصْرُ وَأَى الطَّائِفَتَيْنِ - الَّذِينَ
صَلُّوا وَالَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا - قَدْ أَصَابَ . وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ (٤ : ١١٨) رَأْيًا عَنْ ابْنِ حَزْمٍ الْأَنْدَلُسِيِّ
مُلَخَّصَهُ : « وَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّا لَوْ كُنَّا هُنَاكَ لَمْ نُصَلِّ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ وَلَوْ بَعْدَ أَيَّامٍ » وَانْظُرْ وَجْهَهُ التَّوْفِيقِ فِي التَّنْبِيْهَاتِ .
(٣) الدَّرْعُ : لِبَاسُ الْحَدِيدِ ، تَذَكَّرْ وَتَوَثَّنْ ، وَالْجَمْعُ فِي الْقَلِيلِ أَدْرَعُ وَأَدْرَاعُ ، وَفِي الْكَثِيرِ دَرُوعٌ (الْلسَانُ :
دَرَعٌ) وَيَعْرِفُ الدَّرْعَ بِأَنَّهُ قِصَصٌ مِنَ الزَّرْدِ يَكُونُ مَعْظَمُ الْجِسْمِ . وَجَرَتْ الْعَادَةُ بِأَنَّهُ تَحْتَفِظُ الْأُسْرَةُ بِقِصَصِ الزَّرْدِ
لِتَتَوَارَثَ الذَّرِيَّةُ الْمُتَعَاqِبَةُ . وَانْظُرْ (الْمَلَابِسُ الْمَمْلُوكِيَّةُ لِمَا يَرُ - تَرْجُمَةُ صَالِحِ الشَّيْخِ ص ٦٦ وَمَا يَمْدَحُهَا) .

(٤) الْحَفِيفُ . بِالتَّصْنِيفِ كَمَا هُنَا فِي شَرْحِ الْمَفْرَدَاتِ . وَفِي الْلسَانِ : لَحْفٌ « الْحَفِيفُ اسْمُ فَرَسٍ » - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فَمِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٌ ؛ فَإِنَّهُ يَلْحَفُ الْأَرْضَ بِذَنْبِهِ ، وَفِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ لِلزُّرْقَانِيِّ ٢ : ١٢٨ « بَعْضُ اللَّامِ وَفَتْحُهَا كَأَمِيرٍ وَزَيْرٍ ،
وَحَاءٌ مَهْمَلَةٌ ، وَيُرْوَى بِالْجِيمِ وَالْخَاءِ الْمَجْمُوعَتَيْنِ » .

وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي أَصْحَابِهِ ، وَالْخَيْلُ وَالرَّجَالُ حَوْلَهُ قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : وَكَانَ مَعَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةُ آلَافٍ^(١) ، قُلْتُ : كَذَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ ابْنُ عَمْرِو : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رَكِبَ فَرَسًا . وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِسَنَدٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ عَنْ أَبِي رَافِعٍ ، وَأَبْنِ سَعْدٍ عَنِ الْبَيْهَقِيِّ وَغَيْرِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لَمَّا أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عُرِيٍّ^(٢) يُقَالُ لَهُ يَغْفُور ، وَالنَّاسُ حَوْلَهُ .

وَرَوَى الْحَاكِمُ ، وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَبُونُعَيْمٍ عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ^(٣) وَمُحَمَّدُ ابْنُ عَمْرِو عَنْ شَيْوْخِهِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّ بِنَفَرٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ بِالصُّوْرَيْنِ فِيهِمْ حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ قَدْ صَفُّوا عَلَيْهِمُ السَّلَاحَ فَقَالَ : « هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ ، دَحِيَّةُ الْكَلْبِيِّ مَرَّ عَلَى بَغْلَةٍ عَلَيْهَا رِحَالَةٌ عَلَيْهَا قُطَيْفَةٌ مِنْ اسْتَبْرَقٍ وَأَمَرْنَا بِحَمْلِ السَّلَاحِ فَأَخَذْنَا سِلَاحَنَا وَصَفَّقْنَا ، وَقَالَ لَنَا : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ ، قَالَ حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ : وَكُنَّا صَفِّينَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَلِكَ جَبْرِيلُ بَعَثَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِيُزْلِزَلَ بِهِمْ حُصُونُهُمْ وَيُقَذَفَ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ » .

وَسَبَقَ عَلِيٌّ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ - إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ .

رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ : انْتَهَيْنَا إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَلَمَّا رَأَوْنَا أَيْقَنُوا بِالشَّرِّ ، وَغَرَزَ عَلِيٌّ الرَّايَةَ عِنْدَ أَصْلِ الْحِصْنِ ، فَاسْتَقْبَلُونَا فِي صِيَاصِيهِمْ يَشْتُمُونَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَزْوَاجَهُ . قَالَ أَبُو قَتَادَةَ : وَسَكَنَّا ، وَقُلْنَا : السَّيْفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، وَأَنْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَنَزَلَ

(١) أى جملة الخارجين ، أعم من كونهم معه أو قبله أو بعده (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٢٨) .

(٢) وفى شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٢٨ « فإن محمداً راوية أنه ركب فرساً ورواية أنه ركب حماراً - فيمكن أنه ركب الفرس بعض الطريق والحمار بعضها » .

(٣) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين .

قَرِيبًا مِنْ حَضَنِهِمْ عَلَىٰ بَشَرَانَا^(١) يَسْتَقِلُّ حَرَّةَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ عَلَىٰ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَمَرَنِي^(٢) أَنْ أَلْزِمَ اللُّؤَاءَ ، فَلَزِمْتُهُ ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - / أَذَاهُمْ وَشَتْمَهُمْ . فَقَالَ لِرَسُولِ^(٣) اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا عَلَيْكَ أَلَّا تَدْنُو مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَخَابِيثِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - كَافِيكَ الْيَهُودَ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِمَ تَأْمُرْتَنِي بِالرُّجُوعِ ؟ فَكُتِبَ مَا سَمِعَ ، فَقَالَ : « أَظُنُّكَ سَمِعْتَ مِنْهُمْ لِي أَذَى » . فَقَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « لَوْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا » . فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْهِمْ ، وَتَقَدَّمَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ - فَقَالَ^(٤) : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ : لَا نَبْرَحُ عَنْ حَضَنِكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا جُوعًا ، إِنَّمَا أَنْتُمْ بِمَنْزِلَةِ قُلُوبٍ فِي جُحَرٍ ، فَقَالُوا : يَا بَنِي الْحَضِيرِ : نَحْنُ مُوَالِيكَ دُونَ الْخَزَرَجِ ، وَنَعَارُوا ، فَقَالَ : لَا عَهْدَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَلَا إِلَّا وَدَمَةً^(٥) ، وَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَتَرَسَّنَا عَنْهُ ، وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ نَفَرًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، حَتَّى أَسْمَعَهُمْ فَقَالَ : « أَجِيبُوا يَا إِنْخُوعَ الْقُرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ وَعِبَدَةَ الطَّاغُوتِ هَلْ أَخْرَأَكُمُ اللَّهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ ؟ أَتَشْتُمُونَنِي^(٦) » ؟ ! فَجَعَلُوا يَحْلِفُونَ مَا فَعَلْنَا ، وَيَقُولُونَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا كُنْتَ جَهْلًا ، وَفِي لَفْظٍ مَا كُنْتَ فَاحِشًا . وَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِشَاءً ، وَبَعَثَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِأَحْمَالِ تَمْرِ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْمُسْلِمِينَ . فَكَانَ طَعَامُهُمْ ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ « نِعَمَ الطَّعَامُ التَّمَرُ » .

(١) بَرَأْنَا : وَرَدَ اللَّفْظَانِ دُونَ هَمْزٍ فِي الْأَسْوَالِ . وَانْظُرِ التَّحْرِيفَ بِهَا فِي شَرْحِ غَرِيبِ ذِكْرِ مَسِيرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

(٢) الْأَمْرُ هُوَ عَلَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ الَّذِي كَرِهَ أَنْ يَسْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَذَى الْيَهُودِ

وَشَتْمَهُمْ .

(٣) كَذَا فِي ط . وَفِي م . ت « فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا عَلَيْكَ » .

(٤) أَيْ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ .

(٥) فِي ت . م . « وَلَا إِلَ ، وَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ » وَمَا هُنَا مِنْ ط .

(٦) كَذَا فِي ت ، وَفِي ط ، م « أَتَشْتُمُونَنِي » .

نكر محاصرة المسلمين لبني قريظة

عَدَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَحَرًا ، وَقَدَّمَ الرَّمَاةَ وَعَبَا أَصْحَابِهِ فَأَحَاطُوا بِحُصُونِ يَهُودَ ، وَرَمَوْهُمْ^(١) بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ ، وَهُمْ يَرْمُونَ مِنْ حُصُونِهِمْ حَتَّى أَمْسَوْا ، فَبَاتُوا حَوْلَ الْحُصُونِ ، وَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَعْثُقُونَ ، يَعْقُبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَمَا بَرَحَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُرَامِيهِمْ حَتَّى أَيْقَنُوا بِالْهَلَكَةِ ، وَتَرَكَوْا رَمَى الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالُوا : دَعُونَا نَكَلِمَكُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَعَمْ » فَأَنْزَلُوا نَبَّاشَ بْنِ قَيْسٍ^(٢) ، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى مَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحُلُقَةِ^(٣) وَتَحْقِنَ دِمَاعَنَا ، وَنُخْرِجَ مِنْ بِلَادِكَ بِالنِّسَاءِ وَالذَّرَارَى ، وَلَنَا مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ إِلَّا الْحُلُقَةَ ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : تَحْقِنُ دِمَاعَنَا وَتُسَلِّمُ لَنَا النِّسَاءَ وَالذَّرِيَّةَ وَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيمَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حَكْمِهِ ، وَعَادَ نَبَّاشُ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ .

نكر اعتراف كعب بن أسد كبير بني قريظة وغيره بصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فَلَمَّا عَادَ نَبَّاشٌ إِلَى قَوْمِهِ ، وَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، قَالَ كَعْبُ بْنُ أَسَدَ : يَا مَعْشَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَاللَّهِ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ وَإِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكُمْ خِلَالًا ثَلَاثًا ، فَخُذُوا مَا شِئْتُمْ مِنْهَا ، قَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : نَتَابِعُ هَذَا الرَّجُلَ وَنُصَدِّقُهُ . فَوَاللَّهِ لَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، وَأَنَّهُ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ فَتَأْمَنُونَ بِهِ عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ ، وَاللَّهِ إِنَّا لَنَتَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ^(٤) ، وَمَا مَنَعَنَا مِنَ الدُّخُولِ مَعَهُ إِلَّا الْحَسَدُ

(١) كذا في ط ، وفي ت ، م « وراموهم » .

(٢) نباش بن قيس . كذا في ط ، وفي ت ، م « بناش من قيس » وما أثبت هو الصواب ويوافقه ما جاء في

(مغازي الواقدي ٢ : ٥٠١) .

(٣) الحلقة : السلاح عامة ، وقيل هي الدروع خاصة (اللسان : حلق)

(٤) جاء في السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٧ « عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : كانت يهود بني قريظة وبني

النضير وفلك وخيبر يجلون صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يبعث ، وأن دار هجرته المدينة » .

١٥٠ ظ للعرب / حَيْثُ^(١) لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَهُوَ حَيْثُ جَعَلَهُ اللَّهُ ، وَلَقَدْ كُنْتُ
كَارِهًا لِنَقْضِ الْعَهْدِ وَالْعَقْدِ وَلَكِنَّ الْبَلَاءَ وَالشُّومَ مِنْ هَذَا الْجَالِسِ - يَعْنِي حُيَّ بْنَ
أَخْطَبٍ . - وَلَقَدْ^(٢) كَانَ حُيُّ بْنُ أَخْطَبٍ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي حَضَنِهِمْ حِينَ رَجَعَتْ عَنْهُمْ
قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ ، وَفَاءً لَكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ ، بِمَا كَانَ عَاهِدَهُ عَلَيْهِ - أَتَذْكُرُونَ مَا قَالَ
لَكُمْ ابْنُ جَوَّاسٍ^(٣) حِينَ قَدِمَ عَلَيْكُمْ : تَرَكْتُ الْخَمْرَ وَالْخَمِيرَ وَالتَّمِيرَ ، وَأُجِئْتُ
إِلَى السَّقَاءِ وَالتَّمْرِ وَالشَّعِيرِ ، قَالُوا : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ يَخْرُجُ بِهَذِهِ الْقَرْيَةِ نَبِيٌّ ،
فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا حَيٌّ أَتَّبِعْهُ وَأَنْصُرْهُ ، وَإِنْ خَرَجَ بَعْدِي ، فَايَاكُمْ أَنْ تُتَخَذَعُوا عَنْهُ ،
وَأَتَّبِعُوهُ ، فَكُونُوا أَنْصَارَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ ، وَقَدْ آمَنْتُمْ بِالْكِتَابَيْنِ ، كِلَيْهِمَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ^(٤) ،
وَأَقْرَبُوهُ مِنِّي السَّلَامَ ، وَأَخْبِرُوهُ أَنِّي مُصَدِّقٌ بِهِ . قَالَ كَعْبٌ : فَتَعَالَوْا فَلْنَتَّبِعْهُ وَنُصَدِّقْهُ ،
فَقَالُوا : لَا نُنْفَارُ حُكْمَ التَّوْرَةِ أَبَدًا ، وَلَا نَسْتَبْدِلُ بِهِ غَيْرَهُ ، قَالَ : فَإِذَا^(٥) أَبَيْتُمْ
عَلَى هَذِهِ فَهَلُمُّ فَلْنَقْتُلْ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، ثُمَّ نَخْرُجْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ رَجَالًا^(٦)
مُضِلِّتِينَ السُّيُوفَ^(٧) وَلَمْ نَتْرُكْ وَرَاءَنَا ثَقْلًا^(٨) حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ،
فَإِنْ نَهَلَكَ نَهْلُكَ ، وَلَمْ نَتْرُكْ وَرَاءَنَا نَسْلًا نَخْشَى عَلَيْهِ ، وَإِنْ نَظَهَرَ فَلَعَمْرِي لَنَجِدَنَّ
النِّسَاءَ وَالْأَبْنَاءَ . قَالُوا : أَنْقَتُلْ^(٩) هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ ؟ ! فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ^(١٠) بَعْدَهُمْ ؟ قَالَ :
فَإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَيَّ هَذِهِ فَإِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ السَّبْتِ ، وَإِنَّهُ عَسَى وَأَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ
قَدْ آمَنُوا فِيهَا فَانْزِلُوا ، لَعَلَّنَا نَصِيبُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غَرَّةً ، قَالُوا : نَفْسُ سَبْتَنَا

(١) كذا في ط ، وفي ت . م « حين » .

(٢) كذا في ط ، وفي ت ، م « وقد كان » .

(٣) جواس : كذا هنا وفي شرح غريب ذكر اعتراف كعب بن أسد وفي مغازي الواقدي ٢ : ٥٠٢ « ابن خراش »
وتوافقه السيرة الحلبية ٢ : ١١٦ .

(٤) أي التوراة والقرآن (السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٧) .

(٥) كذا في ط ، وفي ت ، م « فلاذ » .

(٦) أي مشاة (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣١) .

(٧) كذا في ط ، وفي ت ، م « مصلتين بالسيوف » .

(٨) في نهاية الأرب للنويري ١٧ : ١٨٨ « ثقلا » بفتح التاء والقاف . وفي شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣١
بفتح التاء ويجوز كسرهما .

(٩) في ت ، م « نقتل » على نية الاستفهام المحذوف همزته ، والمثبت عن ط .

(١٠) على سبيل الاستفهام الإنكارى . كما جاء في شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣١ .

وَنُحْدِثُ^(١) فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَّا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ مِنَ الْمَسْخِ ! فَقَالَ : مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مُنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّهْرِ حَازِمًا ، فَقَالَ ثَعْلَبَةُ وَأُسَيْدُ ابْنَا سَعِيَّةَ ، وَأَسَدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ عَمِّهِمْ ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنْ هَذِيلِ^(٢) لَيْسُوا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَلَا النَّضِيرِ ، نَسَبُهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ وَهُمْ بَنُو عَمِّ الْقَوْمِ : يَا مَعْشَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّ صِفَتَهُ عِنْدَنَا ، وَحَدَّثَنَا بِهَا عُلَمَاؤُنَا وَعُلَمَاءُ بَنِي النَّضِيرِ ، هَذَا أَوَّلُهُمْ : يَعْنِي حُيَّ بْنَ أَخْطَبٍ مَعَ جُبَيْرِ بْنِ الْهَبْيَانَ - أَنَّهُ أَصْدَقُ النَّاسِ عِنْدَنَا ، هُوَ خَبَرَنَا بِصِفَتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ . قَالُوا : لَا نَفَارِقُ التَّوْرَةَ . فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّفَرَ إِبَاءَهُمْ نَزَلُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ الَّتِي فِي صَبْحِهَا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ فَأَسْلَمُوا وَأَمِنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ^(٣) سَعْدَى : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ، إِنَّكُمْ قَدْ حَالَفْتُمْ^(٤) مُحَمَّدًا عَلَى مَا حَالَفْتُمُوهُ عَلَيْهِ ، فَتَقَضَّيْتُمْ عَهْدَهُ الَّذِي كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ، فَلَمْ أَذْخُلْ فِيهِ ، وَلَمْ أَشْرِكْكُمْ فِي غَدْرِكُمْ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا مَعَهُ فَائْتَبُوا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ وَأَعْطُوا الْجِزْيَةَ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى يَقْبَلُهَا أَمْ لَا ، قَالُوا : فَتَحْنُ لَا نُقَرُّ لِلْعَرَبِ بِخُرَاجٍ^(٥) فِي رِقَابِنَا يَأْخُذُونَهُ ، الْقَتْلُ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ^(٦) ، قَالَ : فَإِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ . وَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَعَ أَبِي

(١) كَذَا فِي ط ، وَفِي ت ، م « وَتُحْدِثُ فِيهَا »

(٢) مِنْ هَذِيلِ : كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ ٤ : ١٢١ « مِنْ بَنِي هَذِيلِ ، وَهُمْ بَنُو عَمِّ الْقَوْمِ » وَسَيَأْتِي فِي شَرْحِ الْغَرِيبِ ص « هَذِيلٌ » مُخَالَفًا مَا هُنَا .

(٣) هُوَ عَمْرُو بْنُ سَعْدَى الْقُرْظِيُّ . ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَالْبُيُوتِيُّ وَابْنُ شَاهِينَ وَغَيْرُهُمْ فِي الصُّحَابَةِ . وَهُوَ الَّذِي نَزَلَ مِنْ حِصْنِ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَ حِصْنَهُمْ فِيهَا فَلَمْ يَدْرِ أَيْنَ ذَهَبَ . (ابْنُ حَجَرٍ : الْإِصَابَةُ ٢ : ٥٣١) .

(٤) حَالَفْتُمْ : كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥٠٣ - أَمَّا فِي السِّيَرَةِ الْخَلْبِيَّةِ ٢ : ٣٥٨ فَهِيَ « خَالَفْتُمْ » بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ .

(٥) فِي السِّيَرَةِ الْخَلْبِيَّةِ ٢ : ٣٥٨ « لَا نُقَرُّ لِلْعَرَبِ بِخُرَاجٍ » .

(٦) وَهَنَّاكَ رَوَايَةٌ أُخْرَى جَاءَتْ فِي السِّيَرَةِ الْخَلْبِيَّةِ ٢ : ٣٥٨ . وَفِي لَفْظِهِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَصَارِهِمْ : يَا بَنِي قُرَيْظَةَ لَقَدْ رَأَيْتُمْ عِبْرًا ، رَأَيْتُمْ دَارَ إِخْوَانِنَا - يَعْنِي بَنِي النَّضِيرِ - خَالِيَةً بَعْدَ ذَلِكَ الْعِزِّ وَالْخُلْدِ وَالشَّرَفِ وَالرَّأْيِ الْفَاضِلِ وَالْعَقْلِ ، تَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ قَدْ تَمَلَّكَهَا غَيْرُهُمْ ، وَخَرَجُوا خُرُوجَ ذَلٍّ ، لَا وَالتَّوْرَةَ مَاسِلُطَ هَذَا عَلَى قَوْمٍ قَطُّ وَلَهُمْ بِهِمْ حَاجَةٌ وَقَدْ أَوْقَعَ بَنِي قَيْنِقَاعَ وَكَانُوا أَهْلُ عُدَّةٍ وَسِلَاحٍ وَنُحُوَّةٍ فَلَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْهُمْ رَأْسَهُ حَتَّى سَبَّاهُمْ ، فَكَلَّمَ فِيهِمْ فَتَرَكَهُمْ عَلَى إِجْلَائِهِمْ مِنْ يَثْرِبَ ، يَقُومُ قَدْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ فَاطِيعُونَ وَتَعَالَوْا تَتَّبِعْ مُحَمَّدًا ، فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَقَدْ بَشَّرْنَا بِهِ عُلَمَاؤُنَا ، ثُمَّ لَا زَالَ يَخُوفُهُمْ بِالْحَرْبِ وَالسَّبْيِ وَالْجَلَاءِ حَتَّى حَلَّتْ بِهِمْ مُقَدِّمَةُ جَيْشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

سَعِيَّة ، فَمَرَّ بِحَرَّسِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : عَمْرُو بْنُ سَعْدَى ، قَالَ مُحَمَّدٌ : مُرَّ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْ مِنِّي إِقَالََةَ عَشْرَاتِ الْكَرَامِ ، وَخَلِّ سَبِيلَهُ ، وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَبَاتَ بِهِ حَتَّى أَصْبَحَ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا فَلَمْ يَذَرْ أَنِّي هُوَ حَتَّى السَّاعَةِ / فَذَكَرَ شَأْنَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : « ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللَّهُ بِوَفَائِهِ » .

* * *

ذكر طلب يهود أبي لبابة (١) وما وقع له ونزول توبته

قَالَ أَهْلُ الْمَغَازِي وَجَدَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حِصَارِهِمْ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحِصَارُ أَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْلَةَ السَّبْتِ أَنْ أَبْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنِ (٢) عَبْدِ الْمُنْذِرِ فَنَسْتَشِيرَهُ فِي أَمْرِنَا فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ الرُّجَالُ وَبَهَّشَ (٣) إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ ، فَرَفَّقَ لَهُمْ ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ : يَا أَبَا لُبَابَةَ ، إِنَّا قَدْ اخْتَرْنَاكَ عَلَى غَيْرِكَ ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَبَى إِلَّا أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حَكْمِهِ أَفْتَرَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حَكْمِهِ ؟ قَالَ نَعَمْ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ أَيْ أَنَّهُ الذَّبْحُ . قَالَ أَبُو لُبَابَةَ : فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ قَدَمَايَ عَنْ مَكَانِهِمَا حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ خُتُّتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . فَتَلَمَعْتُ وَأَسْتَرْجَعْتُ فَتَنَزَلْتُ وَإِنَّ لِحْيَتِي لَمُبْتَلَّةٌ مِنَ الدَّمُوعِ ، وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ رُجُوعِي إِلَيْهِمْ حَتَّى أَخَذْتُ مِنْ وَرَاءِ الْحِصْنِ طَرِيقًا أُخْرَى ، حَتَّى جِئْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَلَمْ آتِ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَرْتَبَطْتُ وَكَانَ أَرْتَبَاطِي عَلَى الْأَسْطُوَانَةِ (٤) الْمَخْلُوقَةِ النَّبِيِّ يُقَالُ لَهَا أَسْطُوَانَةُ التَّوْبَةِ ، وَقُلْتُ لَا أَبْرَحُ مِنْ مَكَانِي

(١) هو أبو لبابة الانصاري الموقى . عاش إلى خلافة علي رضي الله عنه ، واسمه - فيما صدر به السهيل - رفاعة ، وقيل : مبشر ، وقيل بشير بن عبد المنذر (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣١ - وجاء في السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٨ لأنه كان من حلفاء الأوس وبنو قريظة منهم ، وفي لفظ وكان أبو لبابة مناصحاً لهم ؛ لأن ماله وولده وعياله كانت في بني قريظة - وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٠ .

(٢) لفظ « ابن » ساقط من الأصول . والإثبات عن شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣١ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٥٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٠ .

(٣) بهش : كذا هنا ، وفي مغازي الواقدي ٢ : ٥٠٦ ، ومعناها : أسرع . أما في شرح الغريب ص فالكلمة « جهش » بالجيم وكذلك في نهاية الأرب للنويري ١٧ : ١٨٩ ، وشرح المواهب للزرقاني ٢ : ١١١ .

(٤) أي التي طليت بالخلوق - بوزن رسول - وهو ما يخلق به من الطيب (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣٢) .

حَتَّى أَمُوتَ أَوْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْتُ ، وَعَاهَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى بِأَلَّا أَطَأَ أَرْضَ بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَدًا وَلَا أَرَى^(١) فِي بَلَدِ خُنْتُ اللَّهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهِ أَبَدًا ، وَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَهَابِي وَمَا صَنَعْتُ ، فَقَالَ : « دَعُوهُ حَتَّى يُحْدِثَ اللَّهُ تَعَالَى - فِيهِ مَا شَاءَ ، لَوْ كَانَ جَاءَنِي اسْتَغْفَرْتُ لَهُ ، فَإِذَا لَمْ يَأْتِنِي وَذَهَبَ ، فَدَعُوهُ » . وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(٢) ﴾ قَالَ أَبُو لُبَابَةَ : فَكُنْتُ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ ، فِي حَرٍّ شَدِيدٍ عِدَّةَ لَيَالٍ لَا أَكُلُ فِيهِنَّ وَلَا أَشْرَبُ ، وَقُلْتُ : لَا أَزَالُ هَكَذَا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا ، أَوْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ . وَأَذْكُرُ رُؤْيَا رَأَيْتُهَا فِي النَّوْمِ وَنَحْنُ مُحَاصِرُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ . كَأَنِّي فِي حِمَاةِ أَسَنَةٍ ، فَلَمْ أَخْرُجْ مِنْهَا حَتَّى كَذْتُ أَمُوتُ مِنْ رِيحِهَا ، ثُمَّ أَرَى نَهْرًا جَارِيًا فَأَرَانِي اغْتَسَلْتُ فِيهِ حَتَّى اسْتَنْقَيْتُ وَأَرَانِي أَجِدُ رِيحًا طَيِّبَةً فَاسْتَعْبَرْتُهَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ : لَتَدْخُلَنَّ فِي أَمْرٍ تَغْتَمُّ لَهُ ، ثُمَّ يُفْرَجُ^(٣) عِنْدَكَ ، فَكُنْتُ أَذْكُرُ قَوْلَ أَبِي بَكْرٍ وَأَنَا مُرْتَبِطٌ ، فَأَرْجُو أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى - تَوْبَتِي . قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى مَا أَسْمَعَ الصَّوْتَ مِنَ الْجَهْدِ - وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَنْظُرُ إِلَيَّ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَقَامَ مُرْتَبِطًا سِتَّ لَيَالٍ تَأْتِيهِ أَمْرَانُهُ كُلُّ صَلَاةٍ فَتَحُلُّهُ حَتَّى يَتَوَضَّأَ وَيُصَلِّيَ ثُمَّ يَرْتَبِطُ .

وَقَالَ ابْنُ عُقْبَةَ : زَعَمُوا أَنَّهُ ارْتَبَطَ قَرِيبًا مِنْ عَشْرِينَ^(٤) لَيْلَةً . قَالَ فِي الْبِدَايَةِ : وَهَذَا أَشْبَهُ الْأَقَاوِيلَ ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَقَامَ مُرْتَبِطًا خَمْسًا وَعَشْرِينَ لَيْلَةً . قَالَ أَبُو عَمْرٍ^(٥) : رَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ ارْتَبَطَ

(١) أرى : بفتح الهمزة كما سيجيء في شرح المفردات ص . وفي شرح المواهب للزرقاني في ٢ : ١٣٢ « بضم الهمزة وفتح الراء » .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الأنفال .

(٣) كذا في ط ، م - وفي ت « يفرج عنك »

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٠ .

(٥) أبو عمر : هو الحافظ أبو عمر بن عبد البر (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣٢) .

بِسَلْسِلَةِ رِبُوضٍ - وَالرِّبُوضُ الثَّقِيلَةُ - بِضَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ حَتَّى ذَهَبَ سَمْعُهُ فَمَا يَكَادُ يَسْمَعُ ، وَيَكَادُ^(١) يَذْهَبُ بَصَرُهُ . وَكَانَتْ ابْنَتُهُ تَحُلُّهُ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ أَوْ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ لِحَاجَتِهِ فَإِذَا فَرَغَ أَعَادَتْ الرِّبَاطَ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ زَوْجَتَهُ كَانَتْ تُبَاشِرُ حُلَّهُ مَرَّةً وَابْنَتَهُ مَرَّةً .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى - فِي تَوْبَةِ أَبِي لُبَابَةَ ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(٢) ﴾

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ^(٣) : إِنَّ تَوْبَةَ أَبِي لُبَابَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ [السَّحَرِ]^(٤) وَهُوَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السَّحَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّ تَضْحَكُ ؟ أَضْحَكَكَ اللَّهُ سَنَكَ ؟ قَالَ : « تَيْبَ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ » قَالَتْ : قُلْتُ أَفَلَا أَبَشَّرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى إِنْ شِئْتَ ، قَالَ : فَقَامَتْ عَلَى بَابِ حُجْرَتِهَا - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنَ الْحِجَابُ - فَقَالَتْ : يَا أَبَا لُبَابَةَ ، أَبَشِّرْ فَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ قَالَتْ : فَسَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيُطْلِقُوهُ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنِي بِيَدِهِ . فَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ خَارِجًا إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ أَطْلَقَهُ . قَالَ السُّهَيْلِيُّ وَرَوَى حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - قَالَ : إِنَّ فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - جَاءَتْ تَحُلُّهُ فَقَالَ لِي أَنِّي خَلَفْتُ أَلَا يَحُلُّنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ فَاطِمَةَ بِضْعَةٌ مِنِّي » قُلْتُ : عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ هُوَ ابْنُ جَدْعَانَ ضَعِيفٌ ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَوَيْتَهُ مَرَّةً - قَالَ أَبُو لُبَابَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَهْجُرَ

(١) كَذَا فِي ط ، م . وَفِي « وَكَادَ » .

(٢) الْآيَةُ ١٠٢ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ .

(٣) يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ : يَقَافٌ وَمُهْمَلَتَيْنِ مُصَغَّرَاتٍ - ابْنُ أَسَامَةَ اللَّيْثِيُّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَدَنِيُّ الْأَعْرَجُ الثَّقَفِيُّ تَوُوَّ سَنَةَ

١٢٢ هـ رَوَى عَنْهُ السُّنَنُ (شَرْحُ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٢٢) .

(٤) الْإِضَافَةُ مِنَ السِّيَرَةِ لِابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٢٣٧ .

دَارَ قَوْمِي الَّتِي أَصَبْتُ فِيهَا الذَّنْبَ ، وَأَنْ أَنْخَلَعَ مِنْ مَالِي كُلِّهِ صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ .
قَالَ : « يَجْزِيكَ الثَّلَاثُ يَا أَبَا لُبَابَةَ ^(١) » .

نَكَرَ نَزُولَ بَنِي قَرِيظَةَ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
وَرَدَهُ الْأَمْرَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فَلَمَّا جَهِلَهُمُ الْحِصَارُ ، نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَأَمَرَ
رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِأَسْرَاهُمْ ^(٢) فَكُتِفُوا رِبَاطًا ، وَجَعَلَ عَلَى كِثَافِهِمْ
مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، وَنُحُوا نَاحِيَةً ، وَأَخْرَجُوا النِّسَاءَ وَالذَّرِيَّةَ مِنَ الْحُصُونِ فَكَانُوا
نَاحِيَةً وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، وَجُمِعَتْ أَمَتُهُمْ وَمَا وَجَدَ فِي حُصُونِهِمْ
مِنَ الْحَلِيقَةِ وَالْأَثَاثِ وَالنِّيبِ ، وَوَجَدُوا فِيهَا أَلْفًا وَخَمْسِمِائَةَ سَيْفٍ وَثَلَاثُمِائَةَ دِرْعٍ ،
وَأَلْفِي رُمْحٍ ، وَأَلْفًا وَخَمْسِمِائَةَ تُرْسٍ وَحِجْفَةٍ ^(٣) وَأَثَاثًا كَثِيرًا ، وَأَنِيَّةً كَثِيرَةً ، وَخَمْرًا ،
وَجِرَارًا ، وَسُكْرًا ^(٤) فَهَرِيقَ ذَلِكَ كُلِّهِ . وَلَمْ يُخْصِمْهُ وَوَجَدَ مِنَ الْجَمَالِ النَّوَاضِحِ عِدَّةً ،
وَمِنَ الْمَاشِيَةِ شَيْئًا كَثِيرًا ، فَجَمَعَ هَذَا كُلَّهُ .

وَتَذَهَّبَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَجَلَسَ وَتَوَأَّيْتُ ^(٥) الْأَوْسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
— صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ حُلِفَاؤُنَا دُونَ الْخَزَرِجِ ، وَقَدْ رَأَيْتَ
مَا صَنَعْتَ بِبَنِي قَيْنُقَاعَ بِالْأَمْسِ حُلَفَاءَ ابْنِ أَبِي وَهَبٍ لَهُ ثَلَاثُمِائَةَ حَاسِرٍ ، وَأَرْبَعُمِائَةَ
دَارِعٍ . وَقَدْ نَدِمَ حُلِفَاؤُنَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَقْضِهِمُ الْعَهْدَ فَهَبْنَاهُمْ لَنَا ، وَرَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى أَكْثَرُوا عَلَيْهِ وَالْحَوَا وَنَطَقَتِ الْأَوْسُ كُلُّهَا ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : « أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ / الْحَكْمُ فِيهِمْ إِلَى رَجُلٍ ۖ
مِنْكُمْ » ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : « فَذَلِكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » .

(١) كَذَا فِي ط . وَفِي ت ، م « يَجْزِيكَ يَا أَبَا لُبَابَةَ الثَّلَاثُ » .

(٢) كَذَا فِي ط . وَفِي ت ، م « بِأَسْرَاهِمُ » .

(٣) الْحِجْفَةُ : بَفَتْحِ الْحَاءِ وَالْجِيمِ وَالْفَاءِ ، وَهِيَ التَّرْسُ إِذَا كَانَ مِنْ جُلُودٍ لَيْسَ فِيهِ خَشَبٌ وَلَا عَقَبٌ (الصَّحَاحُ ص

١٣٤١) .

(٤) فِي مِغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥١٠ « وَجِرَارٌ سَكْرٌ » .

(٥) كَذَا فِي ط ، وَفِي ت ، م « وَدَنْتُ » وَتَوَافَقَهُمَا (مِغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥١٠) .

وَقَالَ ابْنُ عُقْبَةَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اخْتَارُوا مَنْ شِئْتُمْ مِنْ أَصْحَابِي » فَاخْتَارُوا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ، فَرَضِيَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَعْدٌ يَوْمئِذٍ فِي الْمَسْجِدِ بِالْمَدِينَةِ ، فِي خِيْمَةٍ كُعْبِيَّةَ بِنْتِ سَعِيدٍ - بِالتَّصْغِيرِ فِيهِمَا - الْأَسْلَمِيَّةُ ^(١) ، وَكَانَتْ تُدَاوِي الْجَرْحَى وَتُلْمُ الشَّعْثَ ، وَتَقُومُ عَلَى الضَّائِعِ الَّذِي لَا أَحَدَ لَهُ ، وَكَانَ لَهَا خِيْمَةٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَعَلَ سَعْدَ ابْنِ مُعَاذٍ فِيهَا لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ فَلَمَّا جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ خَرَجَتْ الْأَوْسُ حَتَّى جَاءُوهُ فَحَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ بِأَعْرَابِي بِشَنْدَةَ ^(٢) مِنْ لَيْفٍ وَعَلَى الْحِمَارِ قُطَيْفَةً فَوْقَ الشَّنْدَةِ ، وَخَطَامَهُ مِنْ لَيْفٍ ، وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا ، فَخَرَجُوا حَوْلَهُ يَقُولُونَ : يَا أَبَا عَمْرٍو ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ مَوَالِكَ لَتُحْسَنَ فِيهِمْ ، فَأَحْسِنْ فَقَدْ رَأَيْتَ ابْنَ أَبِييَّ وَمَا صَنَعَ فِي حُلَفَائِهِ ، وَأَكْثَرُوا مِنْ هَذَا وَشَبَّهِهُ ، وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ ، حَتَّى إِذَا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ سَعْدٌ : قَدْ آتَى لَسَعْدٍ إِلَّا تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَنَّهُمْ ، فَقَالَ الضُّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ الْأَنْصَارِيِّ : وَأَقْوَمَاهُ ! وَقَالَ غَيْرُهُ مِنْهُمْ نَحْوَ ذَلِكَ ثُمَّ رَجَعَ الضُّحَّاكُ إِلَى الْأَوْسِ فَتَنَى لَهُمْ رِجَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَبْلَ أَنْ يَصَلَ إِلَيْهِمْ سَعْدٌ ، عَنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ ، وَأَقْبَلَ سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالنَّاسُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلُوسٌ ، فَلَمَّا طَلَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ - وَفِي الصَّحِيحَيْنِ - فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ : أَى الَّذِي كَانَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَعَدَّهُ بِنَبِيٍّ قُرَيْظَةَ - أَيَّامَ حِصَارِهِمْ - لِلصَّلَاةِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » وَفِي لَفْظٍ « خَيْرِكُمْ » فَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا يَقُولُونَ ^(٣) : إِنَّمَا أَرَادَ الْأَنْصَارُ ، وَأَمَّا الْأَنْصَارُ فَيَقُولُونَ : قَدْ عَمِمَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُسْلِمِينَ ، وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » فَأَنْزَلُوهُ ، وَكَانَ رِجَالُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَقُولُونَ : قُمْنَا لَهُ عَلَى أَرْجُلِنَا صَفَيْنِ ، يُحْيِيهِ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) عبارة السيرة لابن هشام ٢ : ٢٣٩ « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها ربيعة في مسجده » .

(٢) الشنذة : شبه إكاف يجعل لمقدمته حنو (النهاية ٢ : ٢٣٨) وهي في ت ، م « شندة » بدال مهملة .

(٣) كذا في ط ، وفي ت ، م « فيقولون إنما أراد الأنصار » .

وفي حديث جَابِرٍ - رضى الله عنه : عِنْدَ ابْنِ عَائِدٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أَحْكُمُ فِيهِمْ يَا سَعْدُ ، فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ بِالْحُكْمِ . قَالَ : « قَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَحْكُمَ فِيهِمْ » . وَقَالَتِ الْأَوُّسُ الَّذِينَ بَقُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا أَبَا عَمْرٍو : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ وَلَاكَ الْحُكْمُ فِي أَمْرِ مَوَالِيكَ فَأَخْسِنَ فِيهِمْ ، وَأَذْكُرْ بِلَاءَهُمْ عِنْدَكَ^(١) ، فَقَالَ سَعْدٌ : أَرْضَوْنَ حُكْمِي لِبَنِي قُرَيْظَةَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَدْ رَضِينَا بِحُكْمِكَ ، وَأَنْتَ غَائِبٌ عَنَّا ، اخْتِيَاراً مِنَّا لَكَ ، وَرَجَاءً أَنْ تَمُنَّ عَلَيْنَا كَمَا فَعَلَ غَيْرُكَ بِخُلَفَائِهِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَأَثَرْنَا عِنْدَكَ أَثَرُنَا ، وَأُحْجِجْ مَا كُنَّا الْيَوْمَ إِلَى مُجَازَاتِكَ . فَقَالَ سَعْدٌ : مَا أَلُوكُمُ جَهْدًا ، فَقَالُوا : مَا يَعْنِي بِقَوْلِهِ هَذَا ؟ ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ : عَلَيْكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ ؛ أَنَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ مَا حَكَمْتُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ لِلنَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُعْرَضٌ عَنْهَا^(٢) إِبْجَالًا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا مِثْلُ ذَلِكَ ؟ / ١٥٢ ط

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : وَمَنْ مَعَهُ : « نَعَمْ » قَالَ سَعْدٌ : فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ يَقْتَلَ كُلُّ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمُوسَى ، وَتُسَبَّى النِّسَاءُ وَالذَّرِيَّةُ ، وَتُقَسَّمُ^(٣) الْأَمْوَالُ وَتَكُونَ الدِّيَارُ لِلْمُهَاجِرِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ . فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : إِخْوَانُنَا كُنَّا مَعَهُمْ ، فَقَالَ : أَحَبِّبْتُ أَنْ يَسْتَغْنُوا عَنْكُمْ » فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لَقَدْ حَكَمْتُ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ^(٤) .

(١) أى مناصرتهم ومعاونتهم لك قبل هذا اليوم (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣٤) .
 (٢) كذا في الأصول ، وفي السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٢ « وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالاً له » .
 وفي شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣٢ « وهو معرض عنه » .
 (٣) تقتل وتسبى وتقسم : بالبناء للمفعول : لأنه جواب لقومه الأنصار ، وقيل بالبناء للفاعل ؛ لأنه جواب لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم أحكم فيهم يأسد (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣٥) .
 (٤) في ت « من فوق سبعة أرقعة » وفي السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٢ « من فوق سبعة أرقعة » . والمراد أن شأن هذا الحكم العلو والرفعة وجاء في شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣٥ « سبعة أرقعة - بالقاف جمع رقيق بتذكير العدد على معنى السقف كما قال ابن دريد - إذ السماء مؤنث سماعي فقياسه سبع أرقعة بتأنيث العدد » وفي القاموس الرقيق كأمير : السماء أو السماء الدنيا .
 والحديث أخرجه الفسائي وهو من رواية محمد بن صالح بن دينار النمار المديني مولى الأنصار ، صدوق يخطئ . مات سنة ثمان وستين ومائة .

وذكر ابن إسحاق في غير رواية البَكَّائِي : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ فِي حُكْمِ سَعْدٍ : « بِذَلِكَ طَرَفَتِي الْمَلِكُ »^(١) سَحَرًا ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي فِي صَبِيحَتِهَا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ دَعَا فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَاْبْقِنِي لَهَا فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَقَاتِلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ كَذَبُوا رَسُولَكَ آذَوْهُ وَأَخْرَجُوهُ ، وَإِنْ كَانَتْ الْحَرْبُ قَدْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا عَلَيْنَا وَعَنْهُمْ فَاجْعَلْهَا لِي شَهَادَةً ، وَلَا تُمَتِّنِي حَتَّى تُقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَأَقَرَّ اللَّهُ تَعَالَى عَيْنَهُ مِنْهُمْ

نكر قتلهم واخذ اموالهم وسبى نراريهم

فلما حَكَّم سَعْدُ ، بِمَا حَكَّم ، وَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ الْخَمِيسِ لِتِسْعِ^(٢) لِيَالٍ كَمَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو وَابْنُ سَعْدٍ ، وَجُزِمَ بِهِ الدَّمِياطِيُّ ، وَقِيلَ لْخَمْسٍ - كَمَا جُزِمَ بِهِ فِي الْإِشَارَةِ - خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَأَمَرَ بِهِمْ فَأُذْخِلُوا الْمَدِينَةَ ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالسَّبْيِ فَسَيِّقُوا إِلَى دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَالنِّسَاءِ وَالذَّرِيَّةِ إِلَى دَارِ رَمْلَةَ^(٣) بِنْتِ الْحَارِثِ ، وَيُقَالُ حُبَسُوا جَمِيعًا فِي دَارِ رَمْلَةَ ، وَأَمَرَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَحْمَالِ تَمَرٍ فَنَشَرَتْ لَهُمْ ، فَبَاتُوا يَكْدِمُونَهَا كَذِمِ الْحُمْرِ ، وَأَمَرَ بِالسَّلَاحِ وَالْأَثَاثِ وَالْمَتَاعِ وَالثِيَابِ فَحُمِلَ إِلَى دَارِ [ابْنَةِ الْحَارِثِ^(٤)] وَبِالْإِبِلِ وَالْغَنَمِ تَرعى هُنَاكَ فِي الشَّجَرِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غَدَا إِلَى السُّوقِ ، فَأَمَرَ بِأُخْدُودٍ فَخُدَّتْ^(٥) فِي السُّوقِ مَا بَيْنَ مَوْضِعِ دَارِ أَبِي الْجَهْمِ الْعَدَوِيِّ

(١) الملك : في الأصل الملك بكسر اللام كما جاء الضبط أيضا في شرح الغريب .

(٢) في شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣٦ ذكر الروايات المختلفة في العدد . فروى عن ابن سعد « تسع » وعن مغلطاي

« خمس » ولكن مؤلفنا يذكر ابن سعد في القائلين « تسع » .

(٣) هي رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد زوجة معاذ بن الحارث بن رفاعة (شرح المواهب

للزرقاني ٢ : ١٣٦) ، ويقال إن اسمها نسيبة أو كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس (الروض

الأنف ٢ : ١٩٨) .

(٤) بياض بالأصول ، والإضافة عن (مغازي الواقدي ٢ : ٥١٣) .

(٥) كذا في ت وفي مغازي الواقدي (٢ : ٥١٣) . وفي ط ، م « فخنلق »

إِلَى أَحْجَارِ الزَّيْتِ^(١) ، فَكَانَ أَصْحَابُهُ هُنَاكَ يَخْفَرُونَ ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَعَهُ عَلَيْهِ^(٢) أَصْحَابُهُ وَدَعَا بِرِجَالِ بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَكَانُوا يَخْرَجُونَ أَرْسَالًا ، تُضْرَبُ أَعْنَاقُهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ ، فَقَالُوا لَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ - وَهُمْ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَرْسَالًا : يَا كَعْبُ ، مَا تَرَى مُحَمَّدًا يَصْنَعُ بِنَا ؟ قَالَ : مَا يَسُوؤُكُمْ ، وَيَلِكُمْ ! عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا تَعْقِلُونَ !! أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ ، وَأَنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ ؟ هُوَ وَاللَّهُ السَّيْفُ ، قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى غَيْرِ هَذَا فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ قَالُوا : لَيْسَ هَذَا بِحِينَ عِتَابٍ ، لَوْلَا أَنَا كَرِهْنَا أَنْ نُزْرَى^(٣) بِرَأْيِكَ مَا دَخَلْنَا فِي نَقْضِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، قَالَ حُجَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ : أَتْرَكُوا مَا تَرَوْنَ مِنَ التَّلَاوُمِ ، فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ عَنْكُمْ شَيْئًا ، وَأَصْبِرُوا لِلْسَيْفِ ، وَكَانَ الَّذِينَ يَلُون قَتَلَهُمْ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ وَجَاءَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَالْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، فَقَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ الْأَوْسُ قَدْ كَرِهَتْ قَتْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ لِمَكَانِ حَلْفِهِمْ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : مَا كَرِهَهُ مِنَ الْأَوْسِ أَحَدٌ فِيهِ خَيْرٌ ، فَمَنْ كَرِهَهُ فَلَا أَرْضَاهُ اللَّهُ . فَقَامَ أُسَيْدُ ابْنِ الْحُضَيْرِ - / رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ : يَارَسُولَ اللَّهِ : لَا تُبْقِينَ^(٤) دَارًا مِنْ دُورِ الْأَوْسِ ۝ ١٥٣ ۝ إِلَّا فَرَقْتَهُمْ فِيهَا ، فَمَنْ سَخِطَ فَلَا يُرْغَمُ اللَّهُ إِلَّا أَنْفَهُ ، فَأَبْعَثْ إِلَى دَارِي أَوَّلَ دَوْرِهِمْ ، فَفَرَقْتَهُمْ فِي دُورِ الْأَوْسِ فَقَتَلُوهُمْ ثُمَّ أَتَى بِحُجَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ^(٥) مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ شُقْجِيَّةٌ^(٦) . وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فُقَاجِيَّةٌ قَدْ لَبِسَهَا لِلْقَتْلِ ، ثُمَّ عَمِدَ إِلَيْهَا فَشَقَّهَا أَنْمَلَةً أَنْمَلَةً إِنْشَاءً يَسْلُبُهُ إِيَّاهَا أَحَدٌ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ طَلَعَ : « أَلَمْ يُمَكِّنْ اللَّهُ مِنْكَ يَا عَلُوُّ اللَّهِ : قَالَ بَلَى وَاللَّهُ ، أَمَا وَاللَّهُ مَا لُئِمْتُ نَفْسِي فِي عَدَاوَتِكَ ، وَلَقَدْ أَلْتَمَسْتُ الْعِزَّ فِي مَكَانِهِ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُمَكِّنَكَ . وَلَقَدْ فَلَقَلْتُ

(١) كَذَا فِي ط ، م وَفِي « أَحْجَارِ الزَّيْتِ بِالسُّوقِ » .

(٢) كَذَا فِي ط . وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي شَرْحِ الْمَفْرَدَاتِ ص ١٨٢ فِي ت ، م وَمَعَهُ عَامَةٌ .

(٣) كَذَا فِي ط ، وَفِي ت ، م (أَنْ نَزْرَى) وَفِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ١٣٥ (أَنْ نَزْرَى) بِضَمِّ النَّونِ كَمَا أَثْبَتْنَا .

(٤) كَذَا فِي ت ، م وَفِي ط « لَا تَبْقِي دَارًا » .

(٥) هُوَ حُجَيُّ بْنُ أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ ، جَاهِلٌ مِنَ الْأَشْدَاءِ الْمَتَاءِ ، وَكَانَ يَنْمَتُ بِسَيْدِ الْحَاضِرِ وَالْبَادِي ، آذَى الْمُسْلِمِينَ

كَثِيرًا (سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ١٤٨ ، ١٤٩) وَ (الْإِعْلَامُ لِلزُّرْكَالِ ٢ : ٣٣١) .

(٦) شُقْجِيَّةٌ : بِضَمِّ الشَّيْنِ كَمَا سِيرِدَ فِي شَرْحِ الْمَفْرَدَاتِ ، وَفِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ١٣٥ بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَسُكُونِ

الْقَافِ . وَفُسِّرَتْ فِي الْهَامِشِ بِالْحُلَّةِ الْحَمْرَاءِ .

كُلُّ مُقْلِقِلٍ ، ولكنه من يَخْذُلُ الله يُخْذَلُ . ثم أَقْبَلَ على النَّاسِ فقال : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللهِ ، قَدَرٌ وَكِتَابٌ وَمَلْحَمَةٌ كَتَبَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ! ثُمَّ جَلَسَ فَضْرِبَتْ عُنُقُهُ ، وَأَتَى بَنَبَاشُ بْنُ قَيْسٍ وَقَدْ جَابَدَ الَّذِي جَاءَ بِهِ حَتَّى قَاتَلَهُ فَذَقَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ أَنْفَهُ فَأَرَعَفَهُ . فقال رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للَّذِي جَاءَ بِهِ « لِمَ صَنَعْتَ هَذَا بِهِ . أَمَا كَانَ فِي السَّيْفِ كَفَايَةٌ ؟ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، جَابَدَنِي لِأَنْ يَهْرَبَ ، فَقَالَ نَبَاشُ : كَذَبَ وَالتَّوْرَةَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، لَوْ خَلَّانِي مَا تَأَخَّرْتَ عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فِيهِ قَوْمِي حَتَّى أَكُونَ كَأَحَدِهِمْ ^(١) ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَحْسِنُوا إِسَارَهُمْ وَقِيلُوا لَهُمْ وَأَسْقُواهُمْ ، حَتَّى يُبْرَدُوا ، فَتَقْتُلُوا مَنْ بَقِيَ ، لَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ وَحَرَّ السَّلَاحِ » وَكَانَ يَوْمًا صَائِفًا ، فَقِيلُوا لَهُمْ وَسَقَوْهُمْ ، فَلَمَّا أَبْرَدُوا رَاحَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَتَلَ مَنْ بَقِيَ ، وَأَتَى رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِكَعْبِ ابْنِ أَسَدٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَعْبُ ؟ » قَالَ : نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ : مَا أَنْتَفَعْتُمْ بِنُضْحِ ابْنِ جَوَّاسٍ ^(٢) لَكُمْ ، وَكَانَ مُصَدِّقًا بِي ، أَمَا أَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِي ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونِي أَنْ تُقْرُونِي مِنْهُ السَّلَامَ ؟ قَالَ : بَلَى وَالتَّوْرَةَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، وَلَوْ لَا أَنْ تُعِيرَنِي يَهُودُ بِالْجَزْعِ مِنْ ^(٣) السَّيْفِ لَاتَّبَعْتُكَ وَلَكِنِّي ^(٤) عَلَى دِينِ يَهُودَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « قَدَّمَهُ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ » فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ أَتَيْتَ مِنْهُمْ .

وروى ابن إسحاق ^(٥) ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي في صحيحه ، والنسائي عن عطية القرظي قال : كُنْتُ غُلَامًا فَوَجَدُونِي لَمْ أَتُبْتَ ، فَخَلُّوا سَبِيلِي .

وروى الطبراني عَنْ أَسْلَمِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : جَعَلَنِي رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) في ط « أحدهم » وما هنا من ت ، م ومغازي الواقدي ٢ : ٥١٤ .

(٢) جواس . كذا في الأصول . وفي مغازي الواقدي ٢ : ٥١٦ « خراش » .

(٣) كذا في ط ، م ومغازي الواقدي ٢ : ١٦٥ . وفي ت « تعيرني يهود الجزع » .

(٤) في الأصول « ولكنه على » وما أثبتته من مغازي الواقدي ٢ : ٥١٦ .

(٥) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٤٤ .

على أسارى قُرَيْظَةَ ، فكننت أنظر إلى فرج الغلام فَإِنْ رَأَيْتَهُ أَنْبَتَ ضربت عنقه ، وإن لم أره جعلته في مغنم المسلمين .

وَكَانَ رِفَاعَةُ بْنُ شَمُوَال^(١) الْقُرْظِيُّ رَجُلًا قَدْ بَلَغَ ، فَلَاذَ بِسَلْمَى بِنْتِ قَيْسِ أُمِّ الْمُنْذَرِ ، أخت سَلَيْطِ بْنِ قَيْسٍ ، وَكَانَتْ إِحْدَى خَالَاتِ^(٢) النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ صَلَّتِ الْقِبْلَتَيْنِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبَايَعَتْهُ مَعَ بَيْعَةِ النِّسَاءِ ، فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، هَبْ لِي رِفَاعَةَ ، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ سَيُصَلِّي ، وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْجَمَلِ ، فَوَهَبَهُ لَهَا فَاسْتَحْيَتْهُ فَأَسْلَمَ بَعْدَ .

وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَتَلُوا إِلَى أَنْ غَابَ الشَّفَقُ ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمُ التُّرَابَ فِي الْخَنْدَقِ ، كُلُّ ذَلِكَ بِعَيْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ وَأَقْرَعَ عَيْنَهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ /

١٥٣ ظ

وَلَمْ يُقْتَلْ مِنْ ذَسَانِهِمْ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ يُقَالُ لَهَا نُبَاتَةٌ^(٣) تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ يُقَالُ لَهُ الْحَكَمُ ، وَكَانَ يُحِبُّهَا وَتُحِبُّهُ ، فَلَمَّا أَشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحِصَارُ بَكَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ إِنَّكَ لَمُفَارِقِي ، فَقَالَ : هُوَ وَالتُّورَةُ ، مَا تَرَيْنِ فَأَنْتِ امْرَأَةٌ ، فَذَلِي عَلَيْهِمْ هَذِهِ الرَّحَى ، فَإِنَّا لَمْ نَقْتُلْ مِنْهُمْ أَحَدًا بَعْدَ ، وَأَنْتِ امْرَأَةٌ ، وَإِنْ يَظْهَرُ مُحَمَّدٌ عَلَيْنَا فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ النِّسَاءَ ، وَإِنَّمَا كَرِهَ أَنْ تُسَبَّى ، فَأَحَبُّ أَنْ تُقْتَلَ ، وَكَانَتْ فِي حِصْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَاطَا فَذَلَكْتُ رَحَى مِنْ فَوْقِ الْحِصْنِ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ رُبَّمَا جَلَسُوا تَحْتَ الْحِصْنِ يَسْتَظِلُّونَ فِي فَيْئِهِ ، فَأَطْلَعَتِ الرَّحَى فَلَمَّا رَأَاهَا الْقَوْمُ أَنْفَضُوا ، وَتَدْرَكَ خِلَادُ^(٤) بَنِي سُوَيْدٍ فَتَشَدَّخُ رَأْسَهُ ، فَحَذِرَ الْمُسْلِمُونَ أَهْلَ الْحِصْنِ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ

(١) شموال : كذا في الأصول ، وفي مغازي الواقدي ٢ : ٥١٤ « شموال » .

(٢) أي إحدى خالات جده عبد المطلب . كما سيأتى في شرح الغريب ، وانظر السيرة الحلبية ٢ : ٣٧١ .

(٣) نباته : كذا في مغازي الواقدي ٢ : ١٥٦ ، وفي السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٧ ، وفي البداية والنهاية لابن كثير

٤ : ١٢٦ . وسيرد في شرح الغريب أن اسمها « بنانه » بموحدة ونون وألف ثم نون - و « نباته » بالثاء المثلثة فوحدة فألف فتنة من فوق .

(٤) هو غلام بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٥٤ ، والبداية

والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٦ .

الَّذِي أَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يُقْتَلُوا فِيهِ دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَجَعَلَتْ تَضْحَكُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، وَهِيَ تَقُولُ : سَرَاةُ بَنِي قُرَيْظَةَ يُقْتَلُونَ إِذْ سَمِعَتْ صَوْتَ قَاتِلٍ يَا « نَبَاتَةَ » ، قَالَتْ أَنَا وَاللَّهِ الَّتِي أَدْعَى ، قَالَتْ عَائِشَةُ وَلَمْ ؟ قَالَتْ : قَتَلَنِي زَوْجِي ، وَكَانَتْ جَارِيَةَ حُلْوَةَ [الكلام] ^(١) فَقَالَتْ عَائِشَةُ : وَكَيْفَ قَتَلَكَ زَوْجُكَ ؟ قَالَتْ : فِي حَضْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَاطَا فَأَمَرَنِي فَدَلَّيْتُ رَحَى عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ فَشَدَخْتُ رَأْسَ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَمَاتَ ، وَأَنَا أَقْتُلُ بِهِ ، فَاَنْطَلَقَ بِهَا ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَتَلْتُ ، بِخِلَادِ بْنِ سُوَيْدٍ . فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : لَا أَنْسَى طِيبَ نَفْسِ نُبَاتَةَ ، وَكَثْرَةَ ضَحْكُهَا ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهَا تُقْتَلُ .

وروى أَبُو دَاوُدَ قَصَّتْهَا مُخْتَصَرَةً .

ذَكَرَ خَيْرُ ثَابِتٍ ^(٢) بَنَ قَيْسٍ وَمَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ بَاطَا

كَانَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَاطَا مِنْ عَلَى ثَابِتٍ بَنَ قَيْسٍ بَنَ شَمَّاسٍ يَوْمَ بُعَاثٍ ^(٣) ، فَأَتَى ثَابِتُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : وَهَلْ يَجْهَلُ مِثْلَكَ مِثْلِي ؟ قَالَ ثَابِتٌ : إِنَّ لَكَ عِنْدِي يَدًا ، وَقَدَرْتُ ^(٤) أَنْ أَجْزِيكَ بِهَا ، قَالَ الزُّبَيْرُ : إِنَّ الْكَرِيمَ يَجْزِي الْكَرِيمَ وَأَخْوَجُ مَا كُنْتُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ ، فَأَتَى ثَابِتٌ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّهُ كَانَ لِلزُّبَيْرِ عِنْدِي يَدٌ خَيْرٌ [جَزْء] ^(٥) نَاصِيقِي يَوْمَ بُعَاثٍ ، فَقَالَ : أَذْكَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ عِنْدَكَ ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَجْزِيَهُ بِهَا ، فَهَبْنِي لِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « هُوَ لَكَ » فَأَتَاهُ ثَابِتٌ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ وَهَبَكَ لِي ، قَالَ الزُّبَيْرُ : شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا أَهْلَ لِي وَلَا مَالٌ بِيَتْرِبُ مَا أَصْنَعُ

(١) الإضافة من مغازي الواقدي ٢ : ٥١٧ .

(٢) هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير ، خطيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استشهد يوم البعاث ، وهو من شهد له بالجنة (جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٧٤) .

(٣) هي الحرب التي كانت بين الأوس والخزرج قبل قدومه - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، وكان الظفر فيها للأوس على الخزرج فأخذ الزبير فجز ناصيته ثم خلى سبيله . وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٥ .

(٤) كذا في الأصول . وفي مغازي الواقدي ٢ : ٥١٨ « وقد أردت » .

(٥) سقط في الأصول والإثبات عن مغازي الواقدي ٢ : ٥١٩ .

بالحياة ؟ فَأَتَى ثَابِتٌ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : اعْطِنِي مَالَهُ وَأَهْلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هُوَ لَكَ » فَرَجَعَ إِلَى الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ أَعْطَانِي وَلَدَكَ وَأَهْلَكَ وَمَالَكَ ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ : يَا ثَابِتُ أَمَا أَنْتَ فَقَدْ كَأَفَأْتَنِي وَقَدْ قَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ يَا ثَابِتُ : مَا فَعِلَ بِالَّذِي كَانَ وَجْهَهُ مِرَاةً صِينِيَّةً تَتَرَاوَى عِذَا رَأَى الْحَيَّ فِي وَجْهِهِ ؛ كَعَبُ بْنُ أَسَدٍ ؟ قَالَ : قُتِلَ ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ الْمَجْلِسَانِ ؟ يَعْنِي بَنِي كَعْبِ بْنِ قُرَيْظَةَ وَبَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ . قَالَ : قُتِلُوا ، قَالَ : يَا ثَابِتُ : مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ بَعْدَ هَؤُلَاءِ ، أَرْجِعْ إِلَى دَارٍ قَدْ / كَانُوا ١٥٤ حُلُولًا فِيهَا فَأَخْلَدَ فِيهَا بَعْدَهُمْ ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ ، وَلَكِنْ يَأْتَابُ أَنْظُرَ إِلَى أَمْرَاتِي وَوَلَدِي [فَإِنَّهُمْ جَزَعُوا مِنَ الْمَوْتِ ^(١)] فَاطْلُبْ إِلَى صَاحِبِكَ فِيهِمْ أَنْ يُطْلِقَهُمْ ، وَأَنْ يَرُدَّ أَمْوَالَهُمْ ، فَطَلَبَ ثَابِتٌ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَهْلَ الزُّبَيْرِ وَمَالَهُ وَوَلَدَهُ ، فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَهْلَهُ وَمَالَهُ إِلَّا السَّلَاحَ . قَالَ الزُّبَيْرُ : يَأْتَابُ أَنْسَأَلَكَ بِيَدِي عِنْدَكَ إِلَّا أَلْحَقْتَنِي بِالْقَوْمِ فَمَا أَنَا بِصَائِرِ اللَّهِ فَتَلَهُ دَلُو نَاصِحٍ حَتَّى أَلْقَى الْأَجِبَةَ ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَقَدَّمَهُ ثَابِتٌ فَضْرِبَتْ عُنُقُهُ ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو : قَالَ ثَابِتٌ : مَا كُنْتُ لِأَقْتُلَكَ ، قَالَ الزُّبَيْرُ : لَا أَبَالِي مَنْ قَتَلَنِي ، فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ . وَلَمَّا بَلَغَ أَبَا بَكْرُ الصُّدِيقَ قَوْلُهُ : « أَلْقَى الْأَجِبَةَ » قَالَ : يَلْقَاهُم وَاللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخْلَدًا !

نكر اصطفاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ريحانة بنت زيد النضرية لنفسه

كَانَتْ رَيْحَانَةُ ^(٢) بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خُنَافَةَ مِنْ بَنِي النُّضَيْرِ مُتَزَوِّجَةً فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، إِصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِنَفْسِهِ ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً ، فَعَرَّضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْإِسْلَامَ فَأَبَتْ إِلَّا الْيَهُودِيَّةَ ، فَعَزَلَهَا رَسُولُ

(١) الإضافة من مغازي الواقدي ٢ : ٥٢٠ .

(٢) وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٦ ، وشرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣٧ والسيرة النبوية

لابن هشام ٢ : ٢٤٥ ، ومغازي الواقدي ٢ : ٥٢٠ « وقد اختلف في نسبها وفي اسمها » .

الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ سَعِيَّةَ^(١) ، فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ ابْنُ سَعِيَّةَ : فَذَلِكَ أَبِي وَأُمِّي هِيَ تُسَلِّمُ ؟ فَخَرَجَ حَتَّى جَاءَهَا ، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا : لَا تَتَّبِعِي قَوْمَكَ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَا أَذْخَلَ عَلَيْهِمْ حَيِّيُّ بْنُ أَخْطَبٍ ، فَأَسْلِمِي يَصْطَفِيكَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِنَفْسِهِ ، فَأَجَابَتْ إِلَى ذَلِكَ ، فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي أَصْحَابِهِ ، إِذْ سَمِعَ وَقَعَ نَعْلَيْنِ فَقَالَ : « إِنَّ هَاتَيْنِ لِنَعْلِي ابْنِ سَعِيَّةَ لِيُبَشِّرَنِي بِإِسْلَامِ رَيْحَانَةَ ، فَجَاءَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، قَدْ أَسْلَمْتُ رَيْحَانَةَ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَيَّأَتْنِي فِي تَرْجُمَتِهَا نَبْذَةً مِنْ أَخْبَارِهَا وَتَخْرِيرِ نَسَبِهَا .

فَكَرَّ قِسْمَ الْمَغْنَمِ وَبَيَّعَهُ

لَمَّا اجْتَمَعَتِ الْمَغَانِمُ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْمَتَاعِ فَبَيَّعَ فِيمَنْ يُرِيدُ ، وَبَيَّعَ السَّبْيُ وَقُسِّمَتِ النَّخْلُ أَسْهُمًا ، وَكَانَتِ الْخَيْلُ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ فَرَسًا ، فَأَسْهُمَهُمُ لِلْفَرَسِ بِسَهْمَيْنِ ، وَلِصَاحِبِهِ مِنْهُمْ ، وَلِلرَّاجِلِ سَهْمٌ . وَقَادَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثَةَ أَفْرَاسٍ فَلَمْ يَضْرِبْ إِلَّا سَهْمًا وَاحِدًا . وَأَسْهُمَهُمُ لَخَلَادِ بْنِ سُوَيْدٍ وَقَدْ قُتِلَ تَحْتَ الْحُصْنِ ، وَأَسْهُمَهُمُ لِأَبِي سِنَانِ بْنِ مِخْصَنٍ ، مَاتَ وَرَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُحَاصِرُهُمْ . وَكَانَ يُقَاتِلُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَكَانَتْ سُهُمَانُ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ سَهْمًا ، لِلْفَرَسِ سَهْمَانِ ، وَلِصَاحِبِهِ سَهْمٌ وَكَانَ السَّبْيُ أَلْفًا مِنَ النِّسَاءِ وَالصُّبْيَانِ ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خُمُسَهُ قَبْلَ بَيْعِ الْمَغْنَمِ ، فَجَزَأَ السَّبْيَ خَمْسَةَ أَجْزَاءَ ، فَأَخَذَ خُمُسًا ، وَكَانَ يَعْتَقُ مِنْهُ وَيَهَبُ مِنْهُ ، وَيُعْطِيهِمْ مِنْهُ مَنْ أَرَادَ وَكَذَلِكَ النَّخْلُ عَزَلَ خُمُسُهُ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُسْهِمُ عَلَيْهِ خُمُسَةَ أَجْزَاءَ ، وَيَكْتَبُ فِي سَهْمٍ مِنْهَا لِلَّهِ ثُمَّ يَخْرُجُ السَّهْمُ ، فَحَيْثُ صَارَ سَهْمُهُ أَخَذَهُ وَلَمْ يَتَخَبَّرْ ، وَصَارَ الْخُمُسُ إِلَى مَحْمِيَةَ بْنِ جَزْءِ الرَّبِيعِيِّ ، ثُمَّ فَضَّ أَرْبَعَةَ أَسْهُمٍ عَلَى النَّاسِ وَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - النِّسَاءَ اللَّائِي حَضَرْنَ الْقِتَالَ

(١) الضبط عن مغازي الواقدي ٢ : ٥٢٠ - وفي سيرة ابن هشام بفتح العين وسكون العين وفتح الياء المحذوفة .

وَلَمْ يُسْنَمِ لَهُنَّ ، وَهُنَّ صَفِيَّةٌ^(١) بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَأُمُّ عِمَارَةَ نَسَبِيَّةٌ ، وَأُمُّ سَلَيْطٍ ،
وَأُمُّ الْعَلَاءِ الْأَنْصَارِيَّةُ ، وَالسُّمَيْرَاءُ بِنْتُ قَيْسٍ ، وَأُمُّ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، وَكَبْشَةُ^(٢) بِنْتُ
رَافِعٍ

وَلَمَّا بَاعَتِ السَّبَايَا وَالذَّرِيَّةُ ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِطَائِفَةٍ - قَالَ
مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو - إِلَى الشَّامِ مَعَ سَعْدٍ^(٣) بَنِ عِبَادَةَ يَبِيعُهُمْ وَيَشْتَرِي بِهِمْ سِلَاحًا وَخَيْلًا .

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ : بَعَثَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ الْأَشْهَلِيَّ بِسَبَايَا مِنْ بَنِي
قُرَيْظَةَ إِلَى نَجْدٍ ، فَابْتِئَاعَ لَهُمْ بِهَا خَيْلًا وَسِلَاحًا ، وَاشْتَرَى عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ عَوْفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - طَائِفَةً فَاقْتَسَمَا ، فَسَهَّمَهُ عُمَانُ بِمَالٍ كَثِيرٍ ، وَجَعَلَ عُثْمَانُ
عَلَى كُلِّ مَنْ اشْتَرَاهُ مِنْ سَبِيهِمْ شَيْئًا مَوْفِيًا^(٤) ، فَكَانَ يُوجَدُ عِنْدَ الْعَجَائِزِ الْمَالُ وَلَا يُوجَدُ
عِنْدَ الشَّوَابِ فَرَبِحَ عُثْمَانُ مَالًا كَثِيرًا ، وَذَلِكَ أَنَّ عُثْمَانَ صَارَ فِي سَهْمِهِ الْعَجَائِزُ ، وَيُقَالُ
لَمَّا قَسَمَ جَعَلَ الشَّوَابَ عَلَى حِدَةٍ وَالْعَجَائِزَ عَلَى حِدَةٍ ، ثُمَّ خَيَّرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عُثْمَانَ ،
فَأَخَذَ الْعَجَائِزَ .

قَالَ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ : وَإِنَّمَا لَمْ يُؤْخَذَ مَا جَاءَتْ بِهِ الْعَجَائِزُ فَيَكُونُ فِي الْغَنِيمَةِ لِأَنَّهُ لَمْ
يُوجَدَ مَعَهُنَّ إِلَّا بَعْدَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ ، فَمَنْ جَاءَ مِنْهُنَّ بِالَّذِي وُقِّتَ لَهُنَّ عُتِقَ ، فَلَمْ
يَتَعَرَّضْ لَهُنَّ ، وَاشْتَرَى أَبُو الشَّحْمِ الْيَهُودِيَّ امْرَأَتَيْنِ مَعَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ثَلَاثَةَ أَطْفَالٍ
بِمِائَةِ وَخَمْسِينَ دِينَارًا ، وَجَعَلَ يَقُولُ : أَلَسْتُمْ عَلَى دِينِ يَهُودٍ ؟ فَتَقُولُ الْمَرْأَتَانِ : لَا نُنْفَارُ
دِينَ قَوْمِنَا حَتَّى نَمُوتَ عَلَيْهِ ، وَهُنَّ يَبْكِيَانِ .

وَنَبِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يُفْرَقَ فِي الْقِسْمِ وَالْبَيْعِ بَيْنَ النِّسَاءِ

(١) هي عمتي - صلى الله عليه وسلم - « السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٣ » .

(٢) في ت « وأم سعد بن معاذ كبشة بنت رافع . وفي مغازي الواقدي ٢ : ٥٢٢ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٦٣
« وأم سعد بن معاذ » ولم يذكرها كبشة بنت رافع لا منفردة ولا علماً للكنية التي سبقتها .

(٣) مغازي الواقدي ٢ : ٥٢٣ .

(٤) كذا في ط ، م . وفي مغازي الواقدي ٢ : ٥٢٣ ، وشرحت في هامشها بأنها الزيادة على الثمن الذي دفعه .
أما في ت فاللفظ « مؤقتاً » .

والذرية وَقَالَ : « لَا يُفَارِقُ^(١) بَيْنَ الْأُمِّ وَوَلَدِهَا حَتَّى يَبْلُغَ » . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا بَلُوغُهُ ؟
 قَالَ^(٢) : تَحِيْضُ الْجَارِيَةِ وَيَخْتَلِمُ الْغُلَامُ » وَكَانَتْ الْأُمُّ وَأَوْلَادُهَا الصَّغَارُ تُتْبَاعُ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَمِنْ يَهُودَ . وَإِذَا كَانَ الْوَلَدُ صَغِيرًا لَيْسَ مَعَهُ أُمٌّ لَمْ يُبْعَ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ وَلَا مِنَ الْيَهُودِ إِلَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَأَسْتَشْهَدُ يَوْمَ بَنَى قُرَيْظَةَ خَلَادُ بْنُ سُؤيد ، وَمَنْذَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ .

* * *

ذكر بعض ما قيل من الاتساع في هذه الغزوة

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
 - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِحَسَّانَ يَوْمَ قُرَيْظَةَ : اهْجُمِ أَوْ هَاجِمِهِمْ وَجَبْرِيلَ مَعَكَ .

وَرَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ ، وَرَدَّهُمُ
 اللَّهُ بِغِيظِهِمْ . قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « مَنْ يَحْمِي أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ ؟ »
 فَقَامَ كَعْبٌ ، وَابْنُ رَوَاحَةَ ، وَحَسَّانُ ، فَقَالَ لِحَسَّانَ : « اهْجُمِ أَنْتَ فَإِنَّهُ سَيُعِينُكَ
 عَلَيْهِمُ رُوحُ الْقُدُسِ » ، فَقَالَ حَسَّانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

لَقَدْ لَقِيتُ قُرَيْظَةَ مَا أَسَاهَا	وَمَا وَجَدْتُ لِيذُلًّا مِنْ نَصِيرٍ ^(٣)
أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ	سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِي النَّصِيرِ
غَدَاةً أَنَاهُمْ يَهْوَى إِلَيْهِمْ	رَسُولُ اللَّهِ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى	بِفِرْسَانٍ عَلَيْهَا كَالصُّقُورِ ^(٤)
تَرَكْنَاهُمْ وَمَا ظَفَرُوا بِشَيْءٍ	دِمَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ كَالْعَبِيرِ
فَهُمْ صَرَغَى تَحُومُ الطَّيْرِ فِيهِمْ	كَذَلِكَ يُدَانُ ذُو الْعَنْدِ الْفَجُورِ
فَأَنْذِرْ مِثْلَهَا نُضْحًا قُرَيْشًا	مِنَ الرَّحْمَنِ إِنْ قَبِلْتَ نَذِيرِي

١٥٥ و

(١) كَذَا فِي ط ، م . وَفِي ت « لَا يَفْرُقُ » وَتَوَافَقَا مِغَازَى الْوَاقِدَى ٢ : ٥٢٤ .

(٢) سَقَطَ فِي الْأَصُولِ - وَالْإِثْبَاتُ عَنْ مِغَازَى الْوَاقِدَى ٢ : ٥٢٤ .

(٣) وَانْظُرْ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ كَثِيرٍ ٣ : ٢٥٩ ، وَالْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ لَهُ ٤ : ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٤) هَذَا الْبَيْتُ مِنْ ت ، م وَهُوَ وَارِدٌ فِي الْمَرْجَمِينَ السَّابِقِينَ وَفِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٢٧١ .

وقال أيضاً :

لَقَدْ لَقِيتُ قُرَيْظَةً مَا أَسَاهَا وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذُلٌّ ذَلِيلٌ^(١)
وَسَعْدٌ كَانَ أَنْذَرَهُمْ بِنُضْحِ
فَمَا بَرَّحُوا بِنَقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى
يَأْخُذُوا بِحِصْنِهِمْ مِنَّا صُفُوفٌ
يَأْنِ إِلَهُكُمْ رَبٌّ جَلِيلٌ
فَلَا هُمْ^(٢) فِي بِلَادِهِمُ الرَّسُولُ
لَهُ مِنْ حَرٍّ وَقَعْتِهِمْ صَلِيلٌ

وقال أيضاً :

تَفَاقَدَ^(٣) مَعَشَرٌ نَصَرُوا قُرَيْشًا
هُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ
كَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ أَتَيْتُمْ
فَهَانٌ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَى
وَلَيْسَ لَهُمْ بَبِلْدَتِهِمْ نَصِيرٌ
وَهُمْ عُنَى عَنِ التَّوَارَةِ بُور
يَتَصَدِّقُ الَّذِي قَالَ النَّذِيرُ^(٤)
حَرِيقٌ بِالبُورَةِ مُسْتَطِيرٌ

وقال أيضاً^(٥)

لَقَدْ سَجَمْتُ^(٦) مَنْ دَمَعُ عَيْنِي عَبْرَةٌ
قَتِيلٌ ثَوَى فِي مَعْرَكٍ فُجِعَتْ بِهِ
عَلَى مَلَّةِ الرَّحْمَنِ وَارِثُ جَنَّةٍ
فَإِنْ تَكُ قَدْ وَدَّعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا
فَأَنْتَ الَّذِي يَأْسَعُدُ ابْنَتَ بِمَشْهَدٍ
بِحُكْمِكَ فِي حَيٍّ قُرَيْظَةً بِالَّذِي
وَحَقُّ لِعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ عَلَى سَعْدٍ
عُبُونٌ ذَوَارِي^(٧) الدَّمْعِ دَائِمَةُ الْوَجْدِ
مَعَ الشُّهَدَاءِ وَقَدْهَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ
وَأَمْسَيْتَ فِي غَبْرَاءِ مُظْلَمَةِ اللَّحْدِ
كَرِيمٍ وَأَثْوَابِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ
قَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتَ عَلَى عَمْدٍ

(١) وانظر هذه القصيدة في السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٢ .

(٢) فلام : فلاه قتله بالسيف ، تقول فليت رأسه إذا ضربته بالسيف (اللسان) .

(٣) انظر القصيدة في البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٣٦ . وفي السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٢ .

(٤) النذير : المراد به الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمعنى أن الله تعالى أخذ عليهم العهد في التوراة أن يؤمنوا بالرسول إذا بعثه الله تعالى فكفروا بالقرآن ولم يتبعوا حكم التوراة .

(٥) وانظر القصيدة في السيرة لابن هشام ٢ : ٢٦٩ - والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٣٠ .

(٦) سجمت : فاضت وسالت .

(٧) ذواري : جمع ذارية وهي السائلة .

فوافق حكم الله حُكْمُكَ فِيهِمْ وَلَمْ تَعْفُ إِذْ ذُكِّرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدٍ
فَإِنْ كَانَ رَبُّ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأُلَى شَرَوْا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَاتِهَا الْخُلْدِ
فَنِعْمَ مَصِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمًا لِلدُّجَاهَةِ وَالْقَصْدِ

وقال أيضاً^(١) يبكى سعد بن معاذ ورجالا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

أَلَا يَا لِقَوِي هَلْ لِمَا حُمَّ^(٢) دَافِعُ وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ الْعِيشِ رَاجِعُ
تَذَكَّرْتُ عَصْرًا قَدْ مَضَى فَتَهَا فَتَتْ بَنَاتُ^(٣) الْحَشَا وَأَنْهَلَ مِنْهُ الْمَدَامِعُ
صَبَابَةٌ وَجِدٍ ذُكِّرْتَنِي أَخْوَةَ وَقَتَلَى مَضَى فِيهَا طُفَيْلٌ وَرَافِعُ
وَسَعْدٌ فَأَضْحَوْا فِي الْجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ مَنَازِلُهُمْ فَلَا أَرْضَ مِنْهُمْ بِلَاقِعِ^(٤)
وَقَوْا يَوْمَ بَدْرٍ لِلرَّسُولِ وَفَوْقَهُمْ ظِلَالُ الْمَنَايَا وَالسُّيُوفُ اللَّوَامِعُ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّ وَكُلُّهُمْ مُطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَالَوْا^(٥) جَمَاعَةً وَلَا يَقْطَعُ الْآجَالَ إِلَّا الْمَصَارِعُ
لَأَنَّهُمْ يَرْجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً / إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا النَّبِيُّونَ شَافِعُ
فَذَلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادِ بِلَاؤُنَا إِجَابَتُنَا لِلَّهِ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ
لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا لِأَوَّلِنَا فِي مِلَّةِ اللَّهِ تَابِعُ
وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَخُدَّةُ وَأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ لَا بُدَّ وَأَقْـمُ

١٥٥ ظ

(١) وانظر القصيدة في السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٣٦ .

(٢) حم : بالبناء للمجهول بمعنى قدر .

(٣) بنات الحشا : أراد بها قلبه وما يقرب منه : وذلك لأنها مستكنة فيه .

(٤) بلاقع : جمع بلقع وهو القفر الخالي .

(٥) كذا في الأصول . وفي السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٠ « تولوا »

تَنْبِيْهَاتٌ

الاول : قُرَيْظَةَ بضم القاف وفتح الراء وسكون التحتية وبالطاء المعجمة المشالة فتاء تأنيث ، قال السمعاني هو اسم رَجُلٍ نَزَلَ أولاده قَلْعَةً حَصِيْنَةً بقرب المدينة فنسبت إليهم . وقريظة والنضير أخوانٍ مِنْ أولَادِ هَارُونَ - عليه الصَّلَاة والسلام .

الثاني : روى البخارى فى جميع الروايات عَنْ شَيْخِهِ عبد الله بن محمد بن أَثَمَاء قَالَ : حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَّةُ بن أَثَمَاء عَنْ نَافِعٍ عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنَى قُرَيْظَةَ » . إلخ . وَوَأَفَقَ الْبُخَارِيُّ عَلَى لَفْظِ الْعَصْرِ مِنْ طَرِيقِ جُوَيْرِيَّةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي حَفْصِ السُّلَمِيِّ عَنْ جُوَيْرِيَّةٍ وَأَصْحَابِ الْمَغَازِي . وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إِلَى الزُّهْرِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عبد الله بن كَعْبٍ بن مَالِكٍ عَنْ عَمِّهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بن كَعْبٍ . وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مَوْصُولًا بِذِكْرِ كَعْبِ بن مَالِكٍ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن محمد بن أَثَمَاء بِسَنَدِهِ وَقَالَ : « لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الظُّهْرِ إِلَّا فِي بَنَى قُرَيْظَةَ » . وَوَأَفَقَهُ ابْنُ سَعْدٍ ، وَأَبُو يَعْلَى ، وَابْنُ حِبَّانَ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ أَبِي حَفْصِ السَّابِقِ ، قَالَ الْحَافِظُ : وَلَمْ أَرَهُ عَنْ جُوَيْرِيَّةٍ - مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ أَبِي حَفْصِ السُّلَمِيِّ إِلَّا بِلَفْظِ الظُّهْرِ ، وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا بِإِحْتِمَالٍ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ قَبْلَ الْأَمْرِ كَانَ صَلَّى الظُّهْرَ ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُصَلِّهَا . فَقِيلَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّهَا ، لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الظُّهْرِ ، وَلِمَنْ صَلَّاهَا لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ . أَوْ أَنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ رَاحَتْ بَعْدَ طَائِفَةٍ ، فَقِيلَ لِلطَّائِفَةِ الْأُولَى الظُّهْرَ ، وَالتَّى بَعْدَهَا الْعَصَرَ .

قال الحافظ : وَهُوَ جَمْعٌ لَأَبَاسٍ بِهِ ، لَكِنْ يُبْعَدُهُ اتِّحَادُ مَخْرَجِ الْحَدِيثِ ، لِأَنَّهُ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ كَمَا بَيَّنَّاهُ بِإِسْنَادٍ وَاحِدٍ مِنْ مَبْدَنِهِ إِلَى مُنْتَهَاهُ ، فَيُبْعَدُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ رَجَالَ إِسْنَادِهِ حَدَّثَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِينِ إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَحَمَلَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَنْ بَعْضِ رَوَاتِهِ ، وَسَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا كُلُّهُ مِنْ حَيْثُ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ ،

أما بالنظر إلى حديث غيره فالأحتمالان المتقدمان في كونه قال « الظُّهْر » لِطَائِفَةٍ مِنْهُ^(١) فيحتمل أن رواية « الظهر » هي التي سمعها ابن عمر ، ورواية « العصر » هي التي سمعها كعب بن مالك ، وعائشة - رضى الله عنهما - وقيل في وجه الجمع أيضاً أن يكون - صلى الله عليه وسلم - قال لأهل القُوَّة ، أو لمن كان منزله قريباً « لَا يُصَلِّينَ أَحَدٌ الظُّهْرَ » وقال لغيرهم : « لَا يُصَلِّينَ أَحَدٌ الْعَصْرَ^(٢) » .

الثالث : أغرب ابن التين فادعى أن الذين صلوا « العصر » صلُّوا على ظُهور دوابهم ، وأستند إلى أن النزول إلى الصلاة يُنَافِي مقصودَ الإسراعِ في الوُضُوءِ . قال : فأما الذين لم يُصَلُّوها عَمِلُوا بالدليل الخاص وهو الأمر بالإسراع فترَكُوا عُمُومَ إيقاع « العصر » في وقتها إلى أن فات ، والذين صلُّوا جَمَعُوا بين دَلِيلِي وَجُوب الصَّلَاةِ وَوُجُوب الإسراع فصلُّوا رُكْبَانًا ، لأنهم لو صلُّوا نَزُولًا لكان مُضَادًّا لما أمروا به من الإسراع ، ولا يُظَنُّ ذلك بهم مع ثَقُوبِ أَفْهَامِهِمْ قال الحافظ : وفيه نظر ، لأنه لم يأمرهم بترك النُّزُولِ ، فلعلهم فهموا أن المراد بأمرهم أَلَّا يُصَلُّوا العصر إلَّا في بَنَى قُرَيْظَةَ المبالغة في الأمر بالإسراع ، فبادرُوا إلى أمتثال أمره وخصوا وقت الصلاة من ذلك لما تقرر عندهم من تأكيد أمرها فلا يمتنع أن ينزلوا فيصلُّوا ، ولا يكونُ في ذلك مضادةٌ لما أمروا به . ودعوى أنهم صلُّوا رُكْبَانًا يحتاج إلى دليل ، ولم أره صريحاً في شيء من طرق هذه القصة .

الرابع : يُسْتَفَادُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ، وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، وَعَائِشَةَ تَرَكَ تَغْنِيفَ مَنْ بَلَكَ وَسَعَهُ وَاجْتَهَدَ ، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ عَدَمُ تَأْثِيمِهِ ، وَحَاصِلُ مَا وَقَعَ فِي الْقِصَّةِ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ حَمَلُوا النَّهْيَ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَلَمْ يَبَالُوا بِخُرُوجِ الْوَقْتِ تَرْجِيحاً لِلنَّهْيِ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ ، وَهُوَ تَرَكَ تَأْخِيرَ الصَّلَاةِ عَلَى وَقْتِهَا^(٣) وَاسْتَدَلُّوا بِجَوَازِ التَّأْخِيرِ لِمَنْ اشْتَغَلَ

(١) عبارة الزرقاني في شرح المواهب ٢ : ١٣٠ « فالاحتمالان في كونه قال الظهر لطائفة والعصر لطائفة مجيئها متجه » ..

(٢) والزرقاني في شرح المواهب ٢ : ١٣٠ يوافق ما هنا ويضيف « والجمع الأخير - أي هذا الجمع - ظاهر أيضاً بالنظر لغير رواية ابن عمر » .

(٣) كذا في ط ، وفي ت ، م « عن وقتها » .

بِأَمْرِ الْحَرْبِ^(١) ، وَلَاسِيَّماً الزَّمَانُ زَمَانَ التَّشْرِيعِ ، وَالْبَعْضُ الْآخِرَ حَمَلُوا النَّهْيَ عَلَى غَيْرِ الْحَقِيقَةِ وَأَنَّهُ كُنَايَةٌ عَنِ^(٢) الْحَثِّ وَالْأَسْتَعْجَالِ وَالْإِسْرَاعِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ : وَقَالَ^(٣) فِي « زَادَ الْمَعَادِ » مَا حَاصِلُهُ : كُلُّ مَنْ الْفَرِيقَيْنِ مُأْجُورٌ بِقَصْدِهِ إِلَّا أَنَّ مَنْ صَلَّى حَازَ الْفَضِيلَتَيْنِ : امْتِثَالَ الْأَمْرِ فِي الْإِسْرَاعِ ، وَامْتِثَالَ الْأَمْرِ فِي الْمَحَافَظَةِ عَلَى الْوَقْتِ وَلَا سِيَّماً فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ بَعَيْنُهَا مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا ، وَأَنَّ مَنْ فَاتَتْهُ حَبِطَ عَمَلُهُ ، وَإِنَّمَا لَمْ يُعْنَفِ الَّذِينَ أَخْرَوْهَا لِقِيَامِ عَذْرِهِمْ فِي التَّمَسُّكِ بِظَاهِرِ الْأَمْرِ ، وَلَأنَّهُمْ أَجْتَهِدُوا فَأَخْرَوْا امْتِثَالاً^(٤) لِلْأَمْرِ ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَصِلُوا إِلَى أَنْ يَكُونُوا فِي أَصُوبٍ مِنْ اجْتِهَادِ الطَّائِفَةِ الْآخَرَى .

الخامس : قَالَ السَّهِيلِيُّ : قَوْلُهُ « مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ » مَعْنَاهُ أَنَّ الْحُكْمَ نَزَلَ مِنْ فَوْقِ . قَالَ : وَمِثْلُهُ قَوْلُ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : زَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ نَبِيِّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، أَيْ أَنْزَلَ تَزْوِيجَهَا مِنْ فَوْقِ^(٥) ، قَالَ : وَلَا يَسْتَحِيلُ وَصْفُهُ - تَعَالَى - بِالْفَوْقِ ، عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ لَا عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي يَسْبِقُ إِلَى الْوَهْمِ مِنَ التَّحْدِيدِ الَّتِي يُفْضِي إِلَى التَّشْبِيهِ .

السادس : اخْتَلَفَ فِي مُدَّةِ الْحِصَارِ^(٦) فَقَالَ ابْنُ عُقْبَةَ : بَضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً : وَرَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَعْبُدِ بْنِ كَعْبٍ ، وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(١) يَعْقِبُ الزَّرْقَانِيُّ فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٢٩ بِقَوْلِهِ : « بِنَظِيرِ مَا وَقَعَ فِي الْخَنْدَقِ وَأَنَّهُمْ صَلُّوا الْمَصْرَ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ : لِشَغْلِهِمْ بِأَمْرِ الْحَرْبِ . فَجُوزُوا عَمَلَهُمْ بِكُلِّ شُغْلٍ تَمَلُّقٍ بِالْحَرْبِ » .

(٢) فِي ت ، م « عَلَى الْحَثِّ » .

(٣) أَيْ ابْنُ الْقَيْمِ الْجَوْزِيُّ .

(٤) فِي ت ، م « لَامْتِثَالَ الْأَمْرِ » .

(٥) قَالَ الزَّرْقَانِيُّ فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٣٥ « وَهَذَا نَحْوُ يَخَافُونَ رَهْمَ مَنْ فَوْقَهُمْ » أَيْ عِقَاباً يَنْزِلُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَهُوَ عِقَابُ رَهْمٍ » .

(٦) وَذَكَرَ الزَّرْقَانِيُّ فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٣٠ أَنَّهُ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ بِأَنَّ شِدَّةَ الْحِصَارِ كَانَتْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً - وَتَرَدَّدَ إِلَيْهَا رَوَايَةٌ بِضْعَ عَشْرَةَ ، وَأَنَّ مُدَّتَهُ كُلُّهَا خَمْسَ وَعِشْرُونَ .

السابع : اختلف في عدد من قُتل من بني قُرَيْظَةَ : فعند ابن إسحاق : أنهم كانوا ١٥٦ ظ ستمائة ، وبه جَزَمَ أَبُو عُمَرَ في ترجمة سعد بن مُعَاذ ، وعند ابن عائد من مُرْسَل / قتادة : كانوا سبعمائة . وقال السَّهْلِيُّ : الْمَكْثَرُ يَقُولُ : إِنَّهُمْ مَا بَيْنَ الثَّمَانَةِ إِلَى التَّسْعِمَاةِ ، وفي حديث جابر عند الترمذى والنسائى وابن حِبَّانَ بإسنادٍ صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل ، فيحتمل في طريق الجمع ، أن يقال إن الباقيين كانوا أتباعاً^(١) ، وقد حكى ابن إسحاق أنه قيل : إِنَّهُمْ كانوا تسعمائة .

الثامن : في شرح غريب القصة .

« رَجَلَ رَأْسَهُ » بفتح الراء والجم المشددة : سَرَّحَهُ

الْمِجْمَرَةَ - بكسر الميم الأولى : الْمُبْخَرَةَ .

عَذِيرَكَ - بفتح الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَكَسْرِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ التَّحْتِيَّةِ وَفَتْحِ الرَّاءِ أَى هَاتِ مَنْ يَعْذِرُكَ ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ .

دِحْيَةَ - بكسر الذَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِهَا : وهو الريش .

إِثْرَهُ - بكسر الهمزة وسكون التاء المثناة ويجوز فتحها ، وحكى تثليث الهمزة .

الْأَعْتِجَارُ بِالْعِمَامَةِ : هو أن يلفها على الرأس ، ويرد طرفها على وجهه ولا يَعْمَلُ منها شيئاً تحت ذقنه .

أَرَى - بضم الهمزة : أَظُنُّ

الرَّحَالَةُ - بكسر الراء وتخفيف الحاء المهملة : سَرَجٌ^(٢) مِنْ جُلُودٍ لَيْسَ فِيهِ خَشَبٌ ، كَانُوا يَتَّخِذُونَهُ لِلرَّكُضِ الشَّدِيدِ ، وَالْجَمْعُ الرَّحَائِلُ .

(١) قال ذلك الحافظ بن حجر كافي شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٣٧ .

(٢) يقال هي أكبر من السرح وتفتنى بالجلود وتكون للخيول والنجايب (لسان العرب ر.ح.ل)

اللَّامَةُ - بالهمزة : الدَّرْع ، وقيل : السلاح . ولَّامَةُ الحرب آتته ، وقد يترك الهمز للتخفيف .

الِاسْتَبْرَقُ : ضربٌ من الدِّيبَاج غليظ .

الدِّيبَاجُ : فارسيٌّ معرَّبٌ ، وقد تكسر الدال وقد تفتح .

القطيفة : كساءٌ له خَمَلٌ

الماجِشُون - بكسر الجيم وضم الشين المعجمة : ومعناه الورد .

الثَّنَايَا - جمع ثنية : وهي الثَّقَى^(١)

حمراء الأسد : تقدمت في غزوتها .

الجَهْدُ : المشقة والتَّعب .

الصِّفَا - بالقصر : الحِجَارَةُ ، وَيُقَالُ : الحِجَارَةُ المُلْسُ^(٢)

لأَضْعُضِعْنَهَا : لأحركنها وأزلزلنها .

ساطعاً : مرتفعاً .

الرُّقَاق - بضم الزاي وتخفيف القاف وبعْدَ الألفِ قَافٌ أُخْرَى .

بَنَى غَنَمٌ - بغيرين مُعْجَمَةٌ مفتوحة وسكون النون : بَطْنٌ من الخِزْرِجِ مِنْ وَلَدِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النُّجَارِ .

كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى الْغُبَارِ : أَي أَنَّهُ مُسْتَحْضِرُ الْقِصَّةِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مُشَخَّصَةً لَهُ بَعْدَ تِلْكَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ .

(١) وهي موضع على ثمانية أميال من المدينة (ياقوت . معجم البلدان) .

(٢) في ت « الحجارة الملّس » .

موكبُ جبريل - بتثليث الباء ؛ الفتح بتقدير انظر ، والجربدل من الغبار ،
والضمُّ خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا موكب جبريل . والموكب : نوعٌ من السير ،
وجماعة الفرسان أو جماعة يسبيرون^(١) وكان السير برفق .

يَا خَيْلَ اللَّهِ اركبي ، فيه حذف مضاف تقديره : يا فرسان خيل الله اركبي .

* * *

شرح غريب ذكر مسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم

لواء الجيش : علمه ، وهو دون الراية .

ابتدره الناس : سارعوا إليه

المَغْفَرُ - بكسر الميم : ما يلبس تحت البيضة^(٢)

القناة : الرمح .

اللَّحِيفُ^(٣) : بالضم : يأتي الكلام عليه في خيله - صلى الله عليه وسلم .

الْبَهِيُّ - بفتح الباء وكسر الهاء وتشديد الباء : لقبُ عبد الله بن يسار لبهائه .

يَعْفُورُ : يأتي الكلام عليه في حمرة - صلى الله عليه وسلم

الصُّورَان - ثنية صُور - بالفتح ثم السكون . اسم للنخل المجتمع الصغار موضع

في أقصى بقيع الفرقد^(٤) مما يلي طريق بني قريظة .

(١) إضافة يقتضيها السياق . ويمزها ما جاء في شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٢٨ .
(٢) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، وقيل هو رفراف البيضة ، وقيل :
هو حلق يتقنع به المتسلح ، قال ابن شميل : المغفر حلق يحملها الرجل أسفل البيضة تسبغ على العنق فتقيه ، قال :
وربما كان المغفر مثل القلنسوة غير أنها أوسع يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع (لسان العرب غ. ف. ر) .
(٣) اللحيف : ضبطه هنا بالضم أى ضم لاه - وفي لسان العرب « اسم فرسه صلى الله عليه وسلم - لطول ذنبه ،
وهو فيل بمعنى فاعل ، كأنه يلحف الأرض بذنبه : أى يغطيها .
(٤) لم يرد هذا اللفظ في سياق المتن . والفرقد كبار الموشج ، وهو مقبرة أهل المدينة داخل المدينة بأعلى
أودية العقيق (ياقوت . معجم البلدان) .

يَقْذِفُ الرِّعْبُ : يَرْمِيهِ وَيَجْعَلُهُ فِي قُلُوبِهِمْ^(١)

الصَّيَاصِيَّ : الحُصُونُ .

بِثْرَانَا - بِالضَّمِّ وَتَخْفِيفِ النُّونِ كَهُنَا ، وَقِيلَ بِالْفَتْحِ وَبِالتَّشْدِيدِ كَحَتَّى وَقِيلَ كَحَتَّى
لَكِنْ بِالْمَوْحِدَةِ / بَدَلَ النُّونِ ، وَقِيلَ^(٢) غَيْرَ ذَلِكَ .

١٥٧

الْحَرَّةُ : أَرْضُ ذَاتِ حِجَارَةٍ سَوْدَ نَخْرَةٍ كَأَنَّهَا أَحْرَقَتْ بِالنَّارِ

الْأَخَابِيثُ : جَمْعُ أَخْبَثَ

أُسَيْدٌ - بَضْمُ الْهَمْزَةِ وَآخِرُهُ دَالٌ مَهْمَلَةٌ .

الْحُضَيْرُ - بَضْمُ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ

الْجُرْ - بَضْمُ الْجِيمِ : الثَّقَبُ .

خَارُوا : ضَعُفُوا وَجَبُنُوا .

« الطَّاغُوتُ » : مَا عُبدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ .

شرح غريب ذكر محاصرة المسلمين لبني قريظة

« النَّبَلُ » : السَّهَامُ .

يَتَعَاقَبُونَ : يَتَنَاوَبُونَ .

الْحَلْقَةُ - بِفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ : السِّلَاحُ كُلُّهُ .

إِلَّا أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حَكْمِهِ : عَلَى قَضَائِهِ فِيهِمْ .

(١) فِي الْأَصُولِ « يَرْمِيهِ يَجْعَلُهُ » مَكْرَرًا الْعِبَارَةَ السَّابِقَةَ وَالْمَثْبُتَ يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٢) فِي الْقَامُوسِ الْمَحِيطِ : بِثْرٌ بِالْمَدِينَةِ لِبَنِي قَرِيظَةَ وَوَادٌ بِطَرِيقِ حَاجٍ مِصْرَ . وَانْظُرْ نِهَآيَةَ الْأَرْبِ لِلنُّوِيرِ

١٧ : ١٨٧ ، وَشَرَحَ الْمَوَاهِبَ لِلزُّرْقَانِيِّ ٢ : ١٢٨ .

شرح غريب ذكر اعتراف كعب بن أسد بصدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم

خِلَالاً - بكسر الخاء المُعْجَمة ، وتخفيف اللّام : أى خِصَالاً ، جمع خَلَّة بفتح
المعجمة وتشديد اللّام .

إِسْرَائِيل : يعقوب .

حَيٍّ - بضم الحاء المهملة وتكسر وتحتيتين ثانيهما مشددة .

أَخْطَب - بفتح الهمزة فحاء معجمة ساكنة ، فطاء مهملة فموحدة .

« عَلَى هذه » - بتشديد التحتية ، وهذه : اسم إشارة ، محلها نصب مفعول أبيّتم .

جَوَّاس - بفتح جيم فواو مُشَدَّدة فألف فسين مهملة .

النَّسْل : الولد .

لَعَمْرَى - بفتح اللّام والعين : أى وحياتى .

غِرَّة - بكسر الغين المعجمة وتشديد الرَّاء : الغَفْلَة .

مُضْلِتَيْن - جمع مُضْلِت بِكسر اللّام ، وبالصّاد المهملة الساكنة : أى مُجَرِّدين
السيوف من أغمادها .

أَسِيد - بفتح الهمزة وكسر المهملة ، وقيل إنه بضم الهمزة وبفتح السين .

سَعِيَة - بسين فعين ساكنة مهملتين فتحتية مفتوحة ، فتاء تأنيث .

الْهَيْبَان - بفتح الهاء وكسر التحتية المُشَدَّدة بعدها موحدة .

هَذَل - بفتح الهاء وإسكان الدال المهملة وباللام .

الْخُرْج - بفتح الخاء المعجمة وسكون الرَّاء بعدها جيم والخراج : ما يُؤَدَّى كل سنة .

شرح غريب ذكر طلبهم أبا لبابة — رضى الله عنه

جَهَشَتْ إليه — بفتح الجيم والهاء : أسرع متباكية .

الأسطوانة^(١) :

العمد — بالدال ويجوز فتح العين والميم ويكون مفرداً وجمعاً . ويجوز ضم العين والميم أيضاً : والمراد هنا : سوارى المسجد .

المُخَلَّقَة : التى طُلِّيتْ بِالْخُلُوقِ وزن رَسُول ، وهو ما يُتَخَلَّقُ به من الطَّيِّب .
وقيل : هو مائع فيه صفرة .

أرى — بفتح الهمزة .

حَمَاءٌ : طين أسود .

آسِنَةٌ : مُتَغَيِّرَةٌ .

رَبُوضٌ — بفتح الراء وتخفيف الموحدة المضمومة وبعد الواو ضاد معجمة : أى
عظيمة غليظة .

قُسِيطٌ : تصغير قسط .

ثار الناس : نهضوا .

يَضَعَةٌ مِئِي — بفتح الموحدة وسكون الضاد المعجمة : قِطْعَةٌ مِئِي .

أَطَأَ^(٢) — بهمز آخره .

أَنْخَلِيعَ من مالى : أَخْرَجَ مِنْهُ لِلَّهِ .

(١) الأسطوانة : وترسم بالسين « الأسطوانة » وأكثر ورودها بالسين .

(٢) كذا فى الأصول : ولم يرد ذكر لكلمة أَطَأَ فى سياق طلب اليهود لأبى لبابة .

شرح غريب ذكر نزول بنى قُرَيْظَةَ على حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم

جَهَدَهُمْ : أشتد عليهم .

كُتِفُوا : بالبناء للمفعول .

١٥٧ ظ الأثاث - بفتح الهمزة : / متاع البيت ، الواحد ، أثاثه ، وقيل : لَأَ وَاحِدَ لَهُ مِنْ لفظه .

الْجِرَارُ - بكسر الجيم وتخفيف الراء : جمع جَرَّة .

السَّكَّر - بفتح السين المهملة والكاف : نبيذ التمر ، وفي التنزيل (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا^(١))

أَهْرِيْقَ - بضم الهمزة وفتح الهاء وتسكن .

حلفاؤُنَا : أراد الذين حالفناهم على المناصرة .

قَيْنُقَاع : تقدم ضبطها في غزوتها .

الْحَاسِرُ - بالحاء والسين المهملتين : الذى لا دِرْعَ عليه .

دارع : صاحب درع .

أَلَحُّوا عَلَيْهِ : تَمَادَوْا على قوْلهم .

الشَّعْتُ : التَّفَرُّقُ والانتشار .

الضَّائِع : الذى ليس له من يقوم بأمره ، وفي لَفْظ الضَّيْعَة : بفتح الضاد المعجمة ، وسكون التحتية ، وفتح العين المهملة ، وتاء تانيث ، أى تُرِكَ وَضِعَّ ، وهو أيضاً : مصدر ضاع الشئ ضَيْعَةً وضِيعاً ، وأَضَعْتُهُمْ : تركتهم .

أعرابي : منسوب إلى الأعراب ، وهم سكان البادية .

(١) سورة النحل ٦٧ .

الشَّنْدَة - بشين معجمة ، فنون ، فذال معجمة مفتوحات ، تشبه الإكاف يُجَعَل
لمقدمته حِنُوً وهو بالكسر واحد أحناء السَّرَج والقَتَب ، وحِنُو كل شئ اعوجاجه .

الخِطَام - بكسر الخاء المعجمة : مَا تُقَادُّ بِهِ الدَّابَّةُ .

آن - بالفتح والمد : قُرْبَ وَدَنَا .

اللائم : العاذل .

التعى : خبر الموت .

تَمُنَّ عَلَيْنَا : تُنْعَم .

مَا أَلَوْكُمْ جُهْدًا : أَى مَا أَدْعَ جُهْدًا وَلَا أَقْصَرَ فِي ذَلِكَ .

الجُهد : الطَّاقَة .

المُوسَى : آلَةُ الْحَدِيدِ الَّتِي يُخْلَقُ بِهَا .

تُسَبَّى النِّسَاء ، السَّبْيُ : النَّهْبُ وَأَخَذُ النَّاسِ عبيداً وإماءً .

أَرْقِعة^(١) : أَى السَّمَوَاتِ ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : كَذَا جَاءَ عَلَى لَفْظِ التَّذْكِيرِ عَلَى مَعْنَى

السَّقْفِ قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : سَمَّوْهَا « الرَّقِيع » لِأَنَّهَا مَرْقُوعَةٌ بِالنُّجُومِ .

الملك - بكسر اللام .

وَصَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا : الْأَوْزَارُ : هُنَا السِّلَاحُ وَآلَةُ الْحَرْبِ وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ الْانْقِضَاءِ ،

وَفِيهِ حَذَفٌ ، أَى حَتَّى يَضَعَ أَهْلُ الْحَرْبِ أَثْقَالَهُمْ ، فَاسْتَدَ الْفِعْلُ إِلَى الْحَرْبِ مَجَازًا .

* * *

شرح غريب فكر قتلهم

فَسَيِّقُوا : مِنْ السُّوقِ بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ الْإِسْرَاعُ .

الكَدْمُ : الْعَضُّ .

الحُمُرُ : الْحَمِيرُ .

(١) الرواية التي ساقها مصنفنا « سبع سموات » وهناك روايات ورد فيها ذكر « سبعة أرقمة » وانظر البداية

والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٢ .

غَدَا - سَارَ غُدْوَةً ، أَيْ أَوَّلَ النَّهَارِ .

الْأَخْدُود : شَقٌّ فِي الْأَرْضِ مُسْتَطِيلٌ .

أَحْجَارُ الزَّيْت : مَكَانٌ بِالْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ .

أَرْسَالًا - بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ : أَيْ طَائِفَةٌ بَعْدَ طَائِفَةٍ .

حَلِيَّةُ أَصْحَابِهِ : أَشْرَافُهُمْ .

يُذْهَبُ بِهِمْ - بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَفَتْحِ ثَالِثِهِ .

لَا يَنْزِع : لَا يَرْجِعُ .

أَزْرَى بِهِ : قَصَّرَ فِي حَقِّهِ .

الْحُبَاب - بِحَاءٍ مَهْمَلَةٍ وَمَوْحِدَتَيْنِ . وَزَنَ غَرَابٌ .

الْحُلَّة : إِزَارٌ وَرْدَاءٌ ، وَأَصْلُ تَسْمِيَّتِهَا بِهَا إِذَا كَانَ الثَّوْبَانِ جَدِيدَيْنِ لَمَّا يُحَلَّ طَيُّهُمَا ، فَقِيلَ لَهُ حُلَّةٌ بِهَذَا الْأِسْمِ ، ثُمَّ اسْتَمَرَ عَلَيْهَا .

شُقْحِيَّةٌ ^(١) بِضَمِّ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ ، مِنْ شَقَحَ الْبُشْرُ إِذَا تَلَوَّنَ .

فُقَاقِيَّةٌ - بِفَاءٍ مَضْمُومَةٍ ، فَقَافٌ ، فَحَاءٌ مَهْمَلَةٌ ، فَتَحْتِيَّةٌ مُشَدَّدَةٌ ، نَسَبٌ إِلَى الْفُقَاحِ ، وَهُوَ الزَّهَرُ إِذَا أُنْشَقَّتْ أَكْصَامُهُ ^(٢) .

هَمَدَ إِلَيْهَا : قَصَدَ .

الْأَنْمَلَةُ : طَرَفُ الْإِصْبَعِ .

التَّمَسُّ بِمِثْنَاءٍ فَوْقِيَّةٍ فَمِمْ فَسَيْنَ مَهْمَلَةٌ : طَلَّبَ .

(١) فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ ٢ : ١٢٤ « حُلَّةٌ فَحْتِيَّةٌ » وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ الْوَشْيِ .

(٢) كَذَا فِي طَوْفِي ت. م. « أَكْتَهُ » .

فَلَقَلْتُ : حَرَكْتُ .

من يَخْذُلُ اللهَ يُخْذَلُ بفتح الهاء من الاسم الكريم قاله السهيلي . والضم الظاهر
كما في نسخ صحيحة من السيرة .

الْمَلْحَمَةُ : القتال وموضعه أيضًا .

جاذبه : لغة في جاذبه ، وقيل : مقلوب منه . إذا جره إليه .

الإسار - بالكسر : القيد

/ قِيلُوهم : من القِيلُولَة .

تُبْرِدُوا : تكسر شدة الحر .

الْجَزَع - بفتح الحين : نقيض الصبر .

لم أُنبِتْ - بضم الهمة وسكون النون وكسر الموحدة .

لَاذَّبه : استجار .

سَلَّمَى بفتح السين المهملة : إحدى خالات النبي - صلى الله عليه وسلم ؛ أي خالات
جَدِّه عبد المطلب ، لأن أمه من بنى عَدِيَّ بن النَّجَّار من الأنصار .

الدَّأَب - بالسكون والتحريك : العادة والتأني .

بنانة - بموحدة ونونين بينهما ألف ؛ نقله النَوَوِيُّ في مُبْهَمَاتِهِ عن الخطيب . وقال
في المورد : رأيتُه بِخَطِّ الحافظ السَّلَفي بشاء مثْلثة ، فموحدة ، فَأَلَفَ ، ففوقية ، قلتُ :
وكذا رأيتُه في نسخةٍ من العيون صحيحة جدًا قُرئت على مصنفها مرَّات ، وقُرئت
على الحافظ ابن حجر وغيره من المُتَقِينِ .

الزَّبير بن بَاطًا - بفتح الزَّاي ، وأبوه ؛ بموحدة ، فَأَلَفَ ، فطاءً مهملة فَأَلَفَ
مقصورة .

شَدَحَه : كسره .

انْطَلِقَ بِهِ - بالبناء للمفعول .

شرح غريب ذكر خبر ثابت بن قيس - رضى الله عنه

مَنْ عَلَيْهِ - بفتح الميم وتشديد النون .

بُعَاث - تَقَدَّمَ الكلام عليه في أبواب إسلام الأنصار .

لَهُ عِنْدِي يد : نعمة أَنْعَمَهَا عَلَى .

جَزَّ - بفتح الجيم وتشديد الزاى .

مِرَاة - بكسر الميم ، وإسكان الرَّاء فهزمة مفتوحة ممدودة فتاء تَأْنِيث .

صِينِيَّةٌ : منسوبة إلى الصين .

الْعَذَارَى : جمع عَذْرَاء ، سُمِّيَتْ البكر لذلك لضيقها .

الْحَيَّ : القبيلة

الْبَادِي : خلاف الحاضر .

الْمَحَلُّ^(١) : الجَذْب .

مُقَدِّمَتَنَا - بكسر الدال المهملة المشددة ؛ مقدمة الحرب : أوله .

عَزَّال - بعين مهملة مفتوحة فزاي مُشَدَّدة فَالْف فلام .

سِمَوَال^(٢) - بسين مهملة مكسورة وتفتح ، فميم وآخِرُهُ لام .

الْمَجْلِس - بكسر اللام : موضع الجُلُوس ، وبفتح : المصدر .

(١) المحل : هذا اللفظ لم يرد في سياق المصنف ، وإنما ورد في سياق مغازى الواقدي ٢ : ٥١٩ .

(٢) في البداية والنهاية ٢ : ١٢٦ يثبت رواية بشين معجمة .

فَتَلَهُ^(١) دَلُونَا ضَح - قال ابن إسحاق : بالفاء والفَوْقِيَّةُ أى مقدار ما يأخذ الرَّجُلُ الدَّلُو التي خرجت من البِئْرِ فَيَصُبُّهَا فى الحوض ، ثُمَّ يَفْتِلُهَا أى يردّها إلى موضعها . وقال ابن هشام : إنما هو بالقاف والموحدة ، وقَابِلُ الدَّلُو : هو الذى بأخذها من المسقى ، ولفظ الخبر عند أبى عبيد : فلست صابرا عنهم إِفْرَاغَةَ دَلُو .

ما أَبَالَى : ما أَهَمَّ ولا أَكْثَرُ .

شرح غريب ذكر اصطفائه - صلى الله عليه وسلم - رِيحَانَةَ رضى الله عنها

خُنَافَةٌ : بالخاء والنون^(٢) .

وَجَدَ فى نَفْسِهِ : غضب ولم يُظْهِرْ ذلك .

شرح غريب قسم المفنم

قَاد ثَلَاثَةَ أَفْرَاسَ : جَنَّبَهَا .

مِخْصَنَ - بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين ثم نون .

السَّهْمَانِ - بالضم والأسهم والسهم : النَّصِيبُ .

الرَّثَّةُ - بكسر الراء وتشديد الثاء المثناة : وهى متاع البيت الدون .

أَخَذَى بِحَاءٍ مَهْمَلَةٍ فَذَالَ مَعْجَمَةً : أَعْطَى .

سَهْمُهُ - فعل ماضٍ : أى غلبه .

مَحْمِيَّةٌ - بفتح الميم / وسكون الحاء المهملة وكسر الميم الثانية وتخفيف التحتية . ١٥٨ ظ

(١) فى المرجع السابق ٢ : ١٢٥ « قال ابن إسحاق : فيلة - بالفاء والياء المثناة من أسفل ويقول ابن هشام بالقاف والباء .

(٢) بياض فى الأصل وما أثبتته : تأكيد لرسم الاسم فى سياق المتن . ولعل المصنف هنا لم يترجح لديه وجه فى الرسم فتركه حتى يطمئن لرأى « وخنافة » كانت من بنى النصير ومتزوجة فى بنى قريظة رجلا يقال له الحكم (شرح المواهب : ٢ : ١٣٧) .

جَزء - بجيم مفتوحة فزاي ساكنة فهمزة .

سَبْرَة - بفتح السين المهملة وسكون الموحدة .

شرح غريب قصيدتى حسان - رضى الله عنه

ما أسأها : أَرَادَ ما ساءها ، فقلب ، والعرب تفعل ذلك فى بعض الأفعال ، يقولون :
رأى وأرى فى معنى واحد على جهة القلب .

المُجَنَّبَة : التى تجنب ، أى تقاد .

تعاذى : تجرى وتسرع .

الْعَبِير : هنا الزَّعْفَرَان .

تَحُوم - بحاءٍ مُهْمَلَة : تستدبر .

يُدَان - بضم التحتية : يُجْزَى .

الْعَنَد - بفتح العين المهملة والنون والذال المهملة : الخروج عن الحق .

الْفَجُور^(١) : بفتح الفاء من الفُجُور وخفضه على الجواد^(٢) وقد كان يجوز فيه
الرفع على الإقواء فى القوافى . وكذلك من رواه « الفخور » .

[نذيرى]^(٣) هنا مصدر . قال تعالى : (كَيْفَ نَذِيرِ)^(٤) أى إنذارى .

تَفَاقَد : فَقَدَ بعضهم بَعْضًا ، وهو دُعَاء عليهم .

بور : ضَلَال ، أو هَلَكى من البَوَار : وهو الهلاك .

(١) بياض بالأصول والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) كذا فى ط ، وفى ت . م « وخفضه على الجوار » .

(٣) سقط فى الأصول ، والمثبت يقتضيه السياق .

(٤) سورة الملك آية : ١٧

السَّراةُ - بفتح السين المهملة : الخِيَارُ .

البويرة : موضع ببني قُرَيْظَةَ . وتقدم الكلام عليها في غزوة بني النضير .

الطَّوائف : النواحي

السَّعِير : النار المُلتَهبة .

النُّزَه : بضم النون : البعد ، يقال فلان يُنَزُّه نفسه عن الأقدار أى يباعد نفسه عنها .

يَضِير - بالضاد المعجمة : بمعنى يَضُر . يقال : ضَارَّة بمعنى ضَرَّه ، ومن رَوَاهُ بالضاد المهملة فمعناه تشقق وتقطع .

الباب الحادى والعشرون

فى غزوة بنى لَحْيَانَ^(١) بن هذيل بن مدركة بن ناحية عُسْفَانَ

وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - على عاصم بن ثابت ، وَخُبَيْب بن عَدِيٍّ وأصحابهما^(٢) المقتولين بالرَّجِيع الآتِى ذكره فى السَّرايا والبُعُوث . وَجَدَا شديداً ، فأظهر أنه يُريد الشَّام ، لِيُصِيبَ مِنَ الْقَوْمِ غِرَّةً ، فَعَسَكَرَ من ناحية الجُرْف ، وخرج فى مائتى رَجُلٍ ، ومعهم عشرون فرساً .

قال محمد بن عمر ، وابن سعد ، وابن هشام : وأستخلف على المدينة ابن أم مكتوم . فخرج من المدينة فسلك على غراب^(٣) ثم على مَحِيص ثم على الْبَتْرَاء ، ثم صَفَقَ ذات اليسار ، فخرج على يَتْنٍ^(٤) ثم على صُخَيْرَات الثَّام ، ثم أَسْتَقَام به الطريق على السَّيَالَةِ ، فَأَغْذَ السَّيْرَ سريعاً حتى نزل بطن غُرَان^(٥) وبينها وبين عُسْفَانَ خمسة أميال حيثُ كان مُصَابُ أصحابه^(٦) فترَحَّم عليهم ، وَدَعَا لهم فسمِعَتْ به بنو لَحْيَانَ فهُرَبُوا فى رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد ، فأقام يوماً أو يومين ، فبعث السرايا فى كل ناحية ، فلم يقدروا على أحد . فلما أخطأه من غِرَّتِهِم ما أراد . قال : « لو أَنَا هَبَطْنَا عُسْفَانَ لَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنَا قد جِئْنَا مَكَّةَ » فهبط فى أصحابه حتى نزلوا عُسْفَانَ .

(١) وانظر فى غزوة بنى لحيان (مغازى الواقدي ٢ : ٥٣٥ - وابن كثير - البداية والنهاية ٤ : ١٤٩ وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٤٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٠ .

(٢) عبارة الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٤٧ « كانوا عشرة أو سبعة ، وأراد بأصحابه - أى عاصم - ما يشمل المقتولين ببئر معونة ، وهم القراء السبعون ؛ لأن عاصم وأصحابه لم يقتلوا بها بل كانوا سرية وحدهم .

(٣) فى مغازى الواقدي ٢ : ٥٣٦ « على غرابات » وفى الهامش ويقال غراب بصيغة المفرد كما فى ابن إسحاق : وهو جبل بناحية المدينة .

(٤) فى المرجع السابق « بين » بالياء الموحدة . وشرحت فى الهامش بأنها قرية من قرى المدينة تقرب من السيالة (عن معجم ما استعجم ص ١٨٩) وسيرد التعريف بها فى التنبيهات . وانظر وفاء الوفا ٤ : ١٣٣٥ .

(٥) غران : اسم لواءى الأزرق خلف أمج بجبل (وفاء الوفا) ٢ : ٣٥٣ وسيرد فى التنبيهات .

(٦) أى الذين قتلوا فى بئر معونة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٤٧)

قال ابن إسحاق : ثم بعث فارسين ، وقال ابن عمر ، وابن سعد : بعث أبا بكر - رضي الله عنه - في عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعروهم ، فأتوا كراع الغميم ، ثم رجعوا ولم يلقوا أحداً / وراح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قافلاً قال جابر ١٥٩ ، فيما رواه ابن سعد : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : حين رجع : « آيئون تائبون - إن شاء الله تعالى - لربنا حامدون » وفي رواية « لربنا عابدون ، أعود بالله من وعشاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال » . زاد محمد ابن عمر : « اللهم بلغنا بلاغاً صالحاً يبلغ إلى خير مَغفرتك ورضوانك » قالوا : وهذا أول ما قال هذا الدعاء . وغاب - صلى الله عليه وسلم - عن المدينة أربع عشرة ليلة ، وقال كعب بن مالك - رضي الله عنه - في هذه الغزوة .

لَوَانَّ بَنِي لِحْيَانٍ كَانُوا تَنَاظَرُوا لَقُوا عُصْباً فِي دَرَاهِمِ ذَاتِ مَصْدَقٍ
لَقُوا سَرَعَانَ يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ أَمَامَ طُحُونٍ كَالْمَجْرَةِ فِيلِقُ
وَلَكِنِّهِمْ كَانُوا وَبَاراً تَتَبَعَتْ شِعَابُ حِجَانٍ غَيْرِ ذِي مُتَنَفِّقٍ

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : اختلفوا في أي شهر وفي أي سنة كانت هذه الغزوة فقال ابن سعد : كانت هذه الغزوة لهُلال ربيع الأول سنة ست^(١) ، وصحح شيخه محمد بن عمر : أنها في سنة ست^٢ في رجب ، وقال ابن إسحاق في رواية البكائي ، وسلمة بن الفضل : على رأس ستة أشهر في جمادى الأولى وقال في رواية يونس كما ذكره الحاكم : في شعبان ، وقال ابن حزم : الصحيح أنها في السنة الخامسة ، وذكرها بعضهم أنها في السنة الرابعة ، وجزم الذهبي في تاريخ الإسلام وغيره من العلماء : بأنها في السادسة ، وصححه في البداية .

(١) الخلاف الموجود هنا له نظير في كتب السيرة . فهل كانت الغزوة في ربيع الأول . أو في رجب ، أو في شعبان . وهل كانت في السنة الرابعة ، أو الخامسة ، أو السادسة . ولكن ابن حزم جزم بأنها في الخامسة . ويقول : إن هذا هو الصحيح ، وهو قول ابن إسحاق (البداية والنهاية ٤ : ١٤٩) (وشرح المواهب ٢ : ١٤٦) و (سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢٧٩) .

الثاني : في بيان غريب ما سبق :

لِحَيَّان - بكسر^(١) اللام وسكون المهملة : نسبة إلى لِحَيَّان بن هُذَيْل^(٢) بن مُدْرِكَة ابن إلياس بن مُضَر .

هُذَيْل - بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وباللام .

عُسْفَان^(٣) - بضم العين المهملة وسكون السين المهملة وبالفاء والنون .

غُرَّة : غَفْلَة .

وَجَدَ على عاصم : حَزَن .

خُبَيْب - بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة .

الرَّجِيع - بفتح الراء وكسر الجيم وزن رضيع : من ناحية الشام على ثلاثة أميال من المدينة .

الجُرُف - بضم الجيم والراء وبالفاء : موضع قرب مكة ، وآخر قرب المدينة واليمن واليمامة .

غُرَاب - بلفظ الطائر المعروف : جبل شأى^(٤) المدينة .

مَجْنِص بفتح الميم وكسر الحاء - وبالضاد المهملتين كَقَلِيل^(٥) : موضع بالمدينة .
البُتْرَاء : تَأْنِيث أَبْتَر .

(١) في شرح المواهب ٢ : ١٤٦ « بكسر اللام وفتحها - لفتان » .

(٢) في المرجع السابق يقول الزرقاني : وزعم الهمداني النسابة : أن أصل بنى لحيان من بقايا جرهم ، ودخلوا في هذيل فنسبوا إليهم .

(٣) عسفان : قرية جامعة بين مكة والمدينة على نحو يومين من مكة « وفاء الوفا » (٢ : ٣٤٥)

(٤) في شرح المواهب ٢ : ١٤٧ « جبل بناحية المدينة ، وفي السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٧٩ « جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام .

(٥) في د « كحليك » .

صَفَّقَ - بتشديد الفاء : عَدَلَ .

يَيْنَ - بتحتانيتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة وآخره نون . وضبطه الصغاني بفتحهما : وَادٍ من أودية المدينة .

صُخَيْرَات - بضم الصاد المهملة وبالياء المعجمة المفتوحة وسكون التحتية جمع صُخَيْرَةٍ بالتصغير .

الثَّمَام - بشاء مثلثة مضمومة ، ورواه المغاربة بالمثلثة الفوقية .

السَّيَالَة - كسحابة : مكان على ثلاثين ميلا من المدينة .

أَغَذَّ السَّيْرَ يَغْذُهُ إِغْذَاذًا - بغين وذل معجمتين : أى أسرع .

غُرَّان - بضم الغين المعجمة وتخفيف الراء وآخره نون : وادى الأزرق^(١) .

يَذْعَرُهُمْ : يخوفهم .

قافلاً : راجعاً

آيبون : راجعون

١٥٩ ظ

/ وعُثَاء السَّفَر - بالمثلثة : مشقته .

الكَّابَة : الحزن .

تَنَاطَرُوا : أى أنتظر بعضهم بعضاً .

العُصْب - بضم العين وفتح الصاد المهملتين ، وآخره موحدة : الجماعات .

السَّرْعَان - بفتح السين والراء المهملتين ، أول القوم .

(١) وادى الأزرق : بين أمج وصفان وبميد عن الأخير بخمسة أميال (شرح المواهب ٢ : ١٤٧) .

السَّرْبُ - بسين مهملة مفتوحة فراء ساكنة : الطريق ، وبكسر السين : النَّفْسُ .
الرَّوْعُ : الفزع .

طَحُونُ : كثيفة تطحن كل ما تمر به .

المَجَرَّةُ - هنا مَجَرَّةُ السماء ؛ وهى البياض المستطيل بين النجوم .

الْقَيْلَقُ : الكتيبة الشديدة .

الْوَبَارُ : جمع وَبَر ، دويبة على قدر الهر تشبه بها العرب الضعفاء .

الشُّعَابُ : جمع شعب وهو المنخفض بين الجبلين .

الحِجَّانُ - بحاء مهملة فجيم فـألف فنون : المعوج ، والأَحْجَنُ : المعوج ، ومن رواه الحِجَّاز^(١) بالزاي عنى أرض مكة وما يليها ، ومن رواه حجار بالراء فهو جمع حجر .

غير ذى مُتَنَفَّق : أى ليس له باب يخرج منه ، وأصله من النَّافِقَاءِ ، وهو أحد أبواب جحرة اليربوع إذا أخذ عليه من باب الجُحْرِ خرج عليه .

(١) وهى رواية ابن هشام فى السيرة النبوية ٢ : ٢٨١)

الباب الثاني والعشرون

في غزوة الحديبية^(١)

والسبب في ذلك ما رواه الفريابي ، وعبد بن حميد وابن جرير ، والبيهقي عن مجاهد ، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة ، وابن جرير عن ابن زيد ، ومحمد ابن عمر عن شيوخه قالوا : أرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين مُحَلِّقِينَ رؤوسهم ومقصرين ، وأنه دَخَلَ الْبَيْتَ ، وأخذ مِفْتَاحَهُ وعَرَّفَ مع الْمُعَرِّفِينَ^(٢) .

قال ابن سعد ، ومحمد بن عمر ، وغيرهما : وَأَسْتَنْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - الْعَرَبَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي مِنَ الْأَعْرَابِ ، لِيَخْرُجُوا مَعَهُ وَهُوَ يَخْشَى مِنْ قُرَيْشٍ وَالَّذِي صَنَعُوا^(٣) أَنْ يَغْرَضُوا لَهُ بِحَرْبٍ أَوْ يَصُدُّوهُ عَنِ الْبَيْتِ . فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ .

قال محمد بن عمر : وَقَدِمَ عَلَيْهِ بُسْرٌ^(٤) - بضم الموحدة وسكون المهملة . وَأَعْجَمَهَا ابن إسحاق ، وكسر الموحدة - ابن سفيان بن عمرو الخُزَاعِي فِي لَيَالٍ [بَقِيَتْ^(٥)] مِنْ شَوَالٍ مُسْلِمًا ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « يَا بُسْرُ لَا تَبْرَحَ حَتَّى تَخْرُجَ مَعَنَا ، فَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ مُعْتَمِرُونَ » ، فَأَقَامَ وَأَبْتَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِدْنَا

(١) ورد حديث هذه الغزوة في شرح المواهب ٢ : ١٧٩ . والمغازي للواقدي ٢ : ٥٧١ .

والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٦٤ - والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٥٧٢ .

(٢) أي مع الذين وقفوا بعرفات .

(٣) (والذي صنعوا) هذه العبارة متبينة في ط .

(٤) في البداية والنهاية ٤ : ١٦٥ « بشر بن سفيان الكلبى » وجاء في شرح المواهب ٢ : ١٨١ « والصحيح

أنه بسر كما قال الحافظ . وجزم به ابن إسحاق وابن عبد البر وغيرهم . وفي المغازي للواقدي ٢ : ٥٧٢ (بسر بن سفيان الكلبى » .

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من مغازي الواقدي ٢ : ٥٧٢ .

فكان يبعث بها إلى ذى الجَدر حتى حضر خروجه ، فأمر بها فجلبت إلى المدينة ، وسلمها إلى ناجية^(١) بن جندب الأسلمي فقدمها إلى ذى الحليفة .

وأستخلف على المدينة - قال محمد بن عمر ، وابن سعد - : ابن أم مكتوم . وقال ابن هشام : ومن تبعه : نُمَيْلة - بالنون تصغير غملة - بن عبد الله الليثي ، وقال البلاذري بعد أن ذكر ابن أم مكتوم ويقال : أبورهم كلثوم بن الحُصَيْن قال : وقوم يقولون : أستخلفهم جميعاً^(٢) وكان ابن أم مكتوم على الصلاة .

* * *

نكر خروجه - صلى الله عليه وسلم

١٦٠ روى عبد الرزاق ، والإمام أحمد ، وعبد بن حميد ، والبخاري وأبو داود / ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن المنذر عن معمر بن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، وابن إسحاق عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور - بكسر الميم وسكون السين المهملة - ابن مخزومة^(٣) - بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة ، ومروان بن الحكم^(٤) : أنها حدثاه ومحمد بن عمر عن شيوخه ، يزيد بن بعضهم على بعض - قال محمد بن عمر : دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيته فآغتسل ، وليس ثوبين من نسج صحر^(٥) ، وركب راحلته القضاة من عند بابيه ، وخرج بأمر سلمة معه ، وأم عمارة وأم منيع أسماء بنت عمرو ، وأم عامر الأشهلية ، وخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب لا يشكون في الفتح لمرؤيتا المذكورة ، وليس معهم سلاح إلا السيوف

(١) هو ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائل بن سهم بن مازن بن سلمان بن أسلم ابن أقصى بن أبي حارثة (البداية والنهاية ٢ : ١٦٥) وكان اسمه ذكوان فغير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اسمه . وسماه ناجية لما أنه نجا من قريش (السيرة الحلبية ٣ : ١١) .

(٢) في ب ، م « استخلفهما جميعاً » والمثبت من ط . وعبارة شرح المواهب ٢ : ١٨٠ تتفق مع ب ، م . وانظر الخلاف هناك .

(٣) المسور بن مخزومة بن نوفل بن أhib بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري له ولأبيه صحبة ، مات سنة أربع وستين (شرح المواهب ٢ : ١٨١) .

(٤) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أبو عبد الملك . ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين ، له صحبة (شرح المواهب ٢ : ١٨١) .

(٥) صحر : قرية باليمن ينسب الثوب إليها هامش مغازي الواقدي ٢ : ٥٧٣ .

في القُرْب ، وساق قَوْمُ الْهُدَى فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم الاثنين لَهلال ذى القعدة حتى نزل ذا الحُلَيْفَةِ^(١) فصلى الظهر ، ثم دَعَا بِالْبُذْن - وهى سبعون - فَجُلِّلَتْ^(٢) ، ثم أَشْعَرَ مِنْهَا عِدَّةً وهى موجّهات إلى القِبْلَةِ فى الشُّقِّ الْأَيْمَنِ ، ثم أَمَرَ نَاجِيَةَ بن جُنْدَب فَأَشْعَرَ مَا بَقِيَ وَقَلَّدَهُن نَعْلًا نَعْلًا ، وَأَشْعَرَ الْمُسْلِمُونَ بُذْنَهُمْ وَقَلَّدُوها ، وكان معهم مائتا فرس ، وبعث - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بُسْرَ بن سفيان^(٣) عَيْنًا لَهُ ، وقدم عِبَادُ بن بِشْر طليعة فى عشرين فارساً ، ويُقَال جعل أميرهم سعد بن زيد الأشْهَلِ .

* * *

نكر إحرامه - صلى الله عليه وسلم

ثم صلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ركعتين ، وركب من باب المسجد بذى الحُلَيْفَةِ ، فلما أُنْبِئَتْ به راحته مُسْتَقْبِلَةَ الْقِبْلَةِ أَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ ؛ لِيَأْمَنَ النَّاسُ حَرْبَهُ ، وليعلم الناس أَنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ ، وَمُعَظَّمًا لَهُ . وَلَفِظَ تَلْبِيَتَهُ « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ » . وَأَحْرَمَ غَالِبُ أَصْحَابِهِ ، وَأُمُ الْمُؤْمِنِينَ أُم سَلَمَةَ بِإِحْرَامِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُحْرَمْ إِلَّا « بِالْجُحْفَةِ » وسلك طريق البيداء^(٤) وَمَرَّ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ بِالْأَعْرَابِ مِنْ بَنِي بَكْرٍ ، وَمُزَيْنَةَ ، وَجُهَيْنَةَ فَاسْتَنْفَرَهُمْ ، فَتَشَاغَلُوا بِأَمْوَالِهِمْ ، وَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ : يَرِيدُ مُحَمَّدٌ يَغْزُو بَنَاءَ إِلَى قَوْمٍ مُعَدِّينَ^(٥) فى الْكُرَاعِ وَالسَّلَاحِ ، وَإِنَّمَا مُحَمَّدٌ ، وَأَصْحَابُهُ أَكَلَةُ جَزُورٍ ، لَنْ يَرْجِعَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ مِنْ سَفَرِهِمْ هَذَا أَبَدًا ، قَوْمٌ لَا سِلَاحَ مَعَهُمْ وَلَا عَدَدَ .

ثم قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَاجِيَةَ بن جُنْدَب بِالْهُدَى مَعَ فَتْيَانٍ مِنْ أَسْلَمَ ، وَمَعَهُمْ هَذِي الْمُسْلِمِينَ ، وَلَقِيَ طَائِفَةً مِنْ بَنِي نَهْدٍ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا ، وَأَهْدَوْا لَهُ لَبَنًا مِنْ نَعْمِهِمْ ، فَقَالَ : « لَا أَقْبَلُ هَدِيَّةَ مُشْرِكٍ » فَأَبْتَاعَهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ ، وَأَبْتَاعُوا

(١) ذى الحليفة : ميقات أهل المدينة .

(٢) أى ألبست الجلال ، جمع جل . وهو النطاء (الصالح) .

(٣) الإضافة للتوضيح .

(٤) البيداء : هى التى إذا رحل الحجاج من ذى الحليفة استقبلوها مصعدين إلى المغرب (وفاء الوفا : ٢ : ٢٦٧) .

(٥) عبارة الواقدي « معدين مؤيدين فى الكراع والسلاح » مغازى الواقدي ٢ : ٥٧٤ .

منهم ثلاثة أَضْبُ^(١) فَأَكَلَ قَوْمٌ أَجَلَةً وَسَأَلَ الْمُخْرِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عنها فقال : « كُلُّوا فَكُلْ صَيْدَ الْبَرِّ لَكُمْ حَلَالٌ فِي الْإِحْرَامِ تَأْكُلُونَهُ إِلَّا مَا صِدْتُمْ أَوْ صِيدَ لَكُمْ » . وعطب من ناجية بن جُنْدُبٍ بَعِيرٌ مِنَ الْهَدْيِ ، فجاءَ بِالْأَبْوَاءِ إِلَى ١٦٠ رسول / الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأخبره ، فقال : « انْحَرَهُ وَأَصْبِغْ فَلَانْدَهُ فِي دَمِهِ ، وَلَا تَأْكُلْ أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ رُفْقَتِكَ مِنْهُ ، وَخَلْ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَهُ » .

نكر حديث أبي قتادة والصعب بن جثامة وبعض من اهدى له

روى الإمام مالك والستة عن أبي قتادة رضى الله عنه - قال : كنت يوماً جالساً مع رجالٍ من أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أماناً ، والقومُ مُخْرِمُونَ وَأَنَا غَيْرُ مُخْرِمٍ عامِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَأَبْصَرُوا حِمَاراً وَخَشِيّاً - وَأَنَا مَشْغُولٌ أَخْصِفُ نَعْلِي - فلم يؤذَنُونِي ، وَأَحْبَبُوا لَوْ أَنِّي أَبْصَرْتَهُ ، وفي رواية فرأيتُ أصحابي يتراءون شيئاً ، وفي رواية : يضحك بعضهم إلى بعض ، فنظرت فإذا حمارٌ وخشيٌّ فقمْتُ إلى فرسي فَأَسْرَجْتُهُ ، ثم ركبْتُ ونسيتُ السَّوْطَ والرُّمْحَ ، فقلتُ لهم : ناولوني السَّوْطَ والرَّمْحَ ، قالوا : والله لا نعينك عليه ، فغضبتُ فنزلتُ فَأَخَذْتُهُمَا ، ثم ركبْتُ فشددتُ على الحمارِ فمقرَّته ، ثم جِئْتُ به وقد مات فوقعوا فيه يأكلونه ، ثم إنَّهم شكُّوا في أكلهم إِيَّاهُ وهم حُرْمٌ ، فَرُخْنَا وَخَبَّاتُ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْعُضْدُ مَعِي ، فَأَدْرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فسألناه عن ذلك فقال لهم : هل منكم أحدٌ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَيْهِ أَوْ أَشَارَ إِلَيْهِ ؟ قالوا : لا ، فقال : « كُلُّوا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهِ إِنَّمَا هِيَ طُعْمَةٌ أَطْعَمَكُمْوَهَا اللَّهُ ، هُوَ حَلَالٌ ، هَلْ مَعَكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ ؟ فقلتُ نعم ، فَنَاولْتُهُ الْعُضْدَ فَأَكَلَهَا وَهُوَ مُخْرِمٌ . وروى الإمام مالك والشيخان والترمذي والنسائي عن الصعب بن جثامة - رضى الله عنه - أنه أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِمَاراً وَخَشِيّاً وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بَوْدَانَ فَرَدَّهُ عَلَيْهِ ، فلما رأى ما في وجهه^(٢) قال : إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ .

(١) أضب جمع ضب وهو من فصيلة الزحافات وذيله كثير المقد . وضرب به المثل فقيل : أعقد من ذنب ضب (الوسيط)

(٢) أى من كراهية رد هديته (مغازي الواقدي ٢ : ٥٧٦) .

وأهدى له إيماء بن رَحْضَةَ^(١) الغفارى مع ابنه خُفَّاف بن إيماء - رضى الله عنه -
مائة شاة وبيعيرين يحملان لَبَنًا ، فقال : « بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ » وَفَرَّقَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ
- صلى الله عليه وسلم - وأهدى له بعضُ الأعراب من ودَّان مَعِيشًا^(٢) وعُتْرًا^(٣) وَضَغَابِيْسَ^(٤)
فجعل يأكل الضَّغَابِيْسَ والعُتْرَ وأعجبه ، وأدخل على أم سلمة منه ، وجعل رسولُ
الله - صلى الله عليه وسلم - يعجبه هذه الهدية ، ويُرَى أصحابه أَنَّهَا طَرِيفَةٌ .

نكر امره كعب بن عجرة بحلق رأسه لعنر

روى الإمام أحمد ، وعبد بن حُمَيْد ، والشيخان والترمذى ، وابن جرير ، والطبرانى
عن كعب بن عُجْرَةَ - رضى الله تعالى عنه - قال : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -
بِالْحُدَيْبِيَّةِ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ - قَدْ حَصَرْنَا الْمُشْرِكُونَ ، وَكَانَتْ لِي وَفْرَةٌ فَجَعَلْتُ
الْهُوَامُ تَسَاقُطُ عَلَى وَجْهِى ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ : « أَيُؤْذِيكَ
هَوَامُ رَأْسِكَ » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : « مَا كُنْتُ أَرَى / أَنَّ الْجَهْدَ بَلَغَ بِكَ هَذَا » !! ١٦١ و
فَأَمَرَنِي أَنْ أَحْلُقَ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ - تعالى - هذه الآية : (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ
أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ^(٥)) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -
عليه وسلم : « صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، أَوْ تَصَدَّقْ بِفَرَقِ^(٦) بَيْنِ سِتَّةِ مَسَاكِينَ أَوْ أَنْسِكَ
مَا تَيْسَّرَ لَكَ » .

وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - الْجُحْفَةَ أَمَرَ بِشَجَرَةٍ فَقُصِمَ مَا تَحْتَهَا ،
فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ : « إِنِّي كَاتِنٌ لَكُمْ فَرَطًا ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ
تَضِلُّوا أَبَدًا ، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ » - صلى الله عليه وسلم -

(١) فى م « رَحْضَةُ » وضبطها المصنف فى المفردات براه مفتوحة فحاء مهملة . ويوافق هذا ما ورد فى مغازى
الواقدي ٢ : ٥٧٧ .

(٢) فى الأصول « بليامقش » والمثبت من مغازى الواقدي ٢ : ٥٧٧ - والمعيش : الطعام وما يعاش به من الخبز
(القاموس المحيط) .

(٣) العتر : نبت ينبت متفرقا ، فإذا طال وقطع أصله خرج منه شبه اللبن (النهاية : ٣ : ٦٥) .

(٤) الضغابيس : صغار القنّاء ، واحدها ضغبوس (القاموس المحيط) وانظر شرح المفردات .

(٥) الآية ٩٦ من سورة البقرة .

(٦) الفرق : الزاد (السيرة الحلبية ٣ : ٣٣) .

نكر بلوغ خبر خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى المشركين

روى الخرائطي^(١) في الهواتف عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : لَمَّا تَوَجَّه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يريدُ مكةَ عامَ الحُدَيْبِيَّةِ ، قَدِمَ عليه بشر^(٢) - بكسر الموحدة والمعجمة - بن سُفيان العَتَكِي ، فقال له : « يَا بَشْرُ هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ عِلِمُوا بِمَسِيرِي ؟ » فقال بَأبَى أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي لَيْلَةٍ كَذَا وَقَرِيشٌ فِي أَنْدِيَّتِهَا ، إِذْ صَرَخَ صَارِخٌ مِنْ أَعْلَى جَبَلٍ أَبِي قُبَيْسٍ - لَيْلَةَ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِالمسير بصوت أسمع أهل مكة :

هَيُوا^(٣) لَصَاحِبِكُمْ مِثْلَى صَحَابَتِهِ سِيرُوا إِلَيْهِ وَكُونُوا مَعَشْرًا كَرَمًا
بَعْدَ الطَّوَافِ وَبَعْدَ السَّعْيِ فِي مَهَلٍ وَأَنْ يَحْزُوهُمْ مِنْ مَكَّةَ الْحَرَمِ
شَاهَتَ^(٤) وَجُوهَكُمْ مِنْ مَعَشَرٍ تُكَلِّ لَا يُنْصَرُونَ إِذَا مَا حَارَبُوا ضَمًا

فَارْتَجَتْ مَكَّةَ ، وَاجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ ، وَتَعَاقَدُوا أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ بِمَكَّةَ فِي عَامِهِمْ هَذَا ، فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ : « هَذَا الْهَاتِفُ سَلَفَعُ . شَيْطَانُ الْأَصْنَامِ يُؤْشِكُ أَنْ يَقْتُلَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ صَوْتًا وَهُوَ يَقُولُ :

شَاهَتَ وَجُوهَ رِجَالٍ حَالَفُوا ضَمًا وَخَابَ سَعِيهِمْ مَا قَصَرَ الْهَمُّ
إِنِّي قَتَلْتُ عَدُوَّ اللَّهِ سَلَفَعَةً شَيْطَانَ أَوْثَانِكُمْ سُحْقًا لِمَنْ ظَلَمَا
وَقَدْ أَتَاكُمْ رَسُولُ اللَّهِ فِي نَفْسٍ وَكُلُّهُمْ مُحْرِمٌ لَا يَسْفِكُونَ دَمًا

(١) رواية الخرائطي بتمامها والشعر الذي ساقه أثبتهما الزرقاني في شرح المواهب ٢ : ١٨٢
(٢) هنا قال المصنف : « بشر بكسر الموحدة والمعجمة بن سفيان العتكى » وسبق في ص ٥٧ قوله : « بسر - بضم الموحدة وسكون المهملة ، وأعجمها ابن إسحاق وكسر الموحدة - بن سفيان بن عمرو الخزاعي » وانظر تعليقنا على هذا الخلاف هناك . وما في شرح المواهب ٢ : ١٨٢ « بسر بن سفيان الكهبي » .
(٣) في ت « هيو لصادركم » وفي م « هيو لصادركم » والمثبت من ط ويوافق شرح المواهب .
(٤) كذا في الأصول . وفي شرح المواهب (شاهت وجوههم) .

قالوا : ولما بَلَغَ المشركين خروجُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رَاعَهُمْ [ذلك^(١)] فَاجْتَمَعُوا وتشاوروا فقالوا : أيريد محمد أن يدخلها علينا في جنوده معتمراً فتسمع العرب أنه قد دخل علينا عَنَوَةً ، وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ؟! والله لا كان هذا أبداً ومنا عَيْنٌ^(٢) تطرف .

ثم قدموا خالد بن^(٣) الوليد في مائتي فارس إلى كُرَاعِ الغَمِيمِ^(٤) ، وأَسْتَنْفَرُوا من أطاعهم من الْأَحَابِيشِ ، وَأَجْلَبَتْ ثَقِيفٌ معهم وخرجوا إلى بَلَدَحِ^(٥) ، وضربوا بها الْقِيَابَ والأَبْنِيَةَ ، ومعهم النساءُ والصَّبِيَّانِ ، فَعَسَكُوا هُنَاكَ ، وأَجْمَعُوا على مَنَعَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من دُخُولِ مَكَّةَ وَمُحَارَبَتِهِ ، ووضعوا الْعُيُونَ على الجبال ، وهم عشرة أَنفُسٍ يُوحِي بعضهم إلى بعض الصوت [الخفي^(٦)] فعل محمدٌ / كذا وكذا ، حتى ١٦١ ظ ينتهي إلى قُرَيْشٍ بِبَلَدَحِ ورجع بشر^(٧) بن سفيان الذي بعثه عَيْنًا له من مَكَّةَ وقد علم خبر مَكَّةَ والقوم ، فَلَقِيَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ^(٨) وراءَ عُسْفَانَ فقال : يا رسول الله !! هذه قريش سمعتُ بمسيرك ، فخرجُوا ومعهم الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ ، قد لبسوا جُلُودَ النُّمُورِ ، وقد نَزَلُوا بنى طَوًى يُعَاهِدُونَ اللهَ لا تَدْخُلُهَا عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قَدَّمَهَا إلى كُرَاعِ الغَمِيمِ ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أَكَلَتْهُمْ الْحَرْبُ ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ ، فَإِنْ هُمْ أَصَابُونِي كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَرَادُوا ، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَافِرِينَ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ ، فَمَا تَظُنُّ قُرَيْشُ ؟ فَوَاللهِ لا أزال

(١) سقط في الأصول - والإثبات عن مغازي الواقدي ٢ : ٥٧٩ .

(٢) في ت ، م « عين تطوف » والمثبت من ط وتوافقها مغازي الواقدي ٢ : ٥٧٩ .

(٣) ويقال عكرمة بن أبي جهل (شرح المواهب ٢ : ١٨٣ ، مغازي الواقدي ٢ : ٥٧٣)

(٤) كراع الغميم : موضع قريب من مكة بين رابغ والجحفة . ورجع شرح المواهب بأنه الغميم وليس كراع الغميم لأن ذلك بين مكة والمدينة . قال : إن سياق الحديث ظاهر في أنه كان قريباً من الحديبية فهو غير كراع الغميم (شرح المواهب ٢ : ١٨٣)

(٥) بلدح : موضع خارج مكة « المرجع السابق ٢ : ١٨٢ » .

(٦) الإضافة عن (مغازي الواقدي ٢ : ٥٧٩) .

(٧) في ت ، م « بسر » بإهمال السين .

(٨) غدير الأشطاط : موضع تلقاء الحديبية (شرح المواهب ٢ : ١٨١) .

أَجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ .

نكر مشاورته - صلى الله عليه وسلم - وصلاته صلاة الخوف

ثم قام رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أَمَّا بَعْدُ : ، يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَشِيرُوا عَلَيَّ أَتَرُونَ أَنْ نَعْمَلَ إِلَى ذَرَارَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ » وقال : « فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ^(١) وَإِنْ يَأْتُونَنَا تَكَنُّعًا . وفي لفظ : عَيْنًا - قَطَعَهَا اللَّهُ ، أَمْ تَرُونَ أَنْ نَوْمَ الْبَيْتِ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ ؟ » فقال أبو بكرٍ - رضي الله عنه - : الله ورسوله أعلم ، يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ^(٢) وَلَمْ نَجِءْ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وَنَرَى أَنْ نَمْضِيَ لِيُوجِهَنَا ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنِ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ ، ووافقه على ذَلِكَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ .

وروى ابن أبي شيبه عن هشام بن عروة عن أبيه ومحمد بن عمر عن شيوخه .
أَنَّ الْيَقْدَادَ بْنَ الْأَسَدِ - رضي الله عنه - قال بعد كلام أبي بكر : إِنَّا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَنَبِيِّهَا : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ » انتهى .

فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - « فَيَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ » .

ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه فصاف خيله فيما بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبين القبلة - فأمر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عباد بن بشر - رضي الله عنه - فتقدم في خيله ، فقام بإزائه ، فصاف أصحابه ، وحانت صلاة الظهر ، فأذن بلال ، وأقام ، فاستقبل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) في ت ، م « محزونين » والمنبت من ط ويوافقه ما في شرح المواهب ٢ : ١٨٢ .

(٢) أى أنه أشار بترك القتال والاستمرار على ما خرج له من العمرة حتى يكون بدء القتال منهم (شرح

المواهب ٢ : ١٨٢) .

عليه وسلم القبلة - وصف النَّاسَ خلفه ، فركع بهم ركعة وسجد ، ثم سَلَّمَ ، فقاموا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّعَبِثَةِ . فقال خالد بن الوليد : قد كَانُوا عَلَى غِرَّةٍ لَوْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ تَأْتِي السَّاعَةُ صَلَاةٌ أُخْرَى هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ، فنزل جبريل بين الظهر والعصر بهذه الآية : (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا / فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِزْبَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِزْبَكُمْ إِنَّ اللَّهَ آَعَدَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا^(١)) فحانت صلاةُ العصر ، فصلَّى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - صَلَاةَ الْخَوْفِ ، وستأني كيفيتها في أبواب صلواته - صلى الله عليه وسلم .

نكر مسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى الحديبية من غير طريق
خالد بن الوليد وما وقع في ذلك من الآيات

روى البزار بسندٍ رجاله ثقاتٌ عن أبي سعيد الخُدري - رضى الله عنه - مُختصراً ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : لَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قال : « تَيَامَنُوا فِي هَذَا الْعَصَلِ^(٢) » وفي رواية اسلكوا ذات اليمين بين ظهور الحمض^(٣) ؛ فإن خالد بن الوليد بالغميم في خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طليعة^(٤) » كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ يَلْقَاهُ وَكَانَ بِهِمْ رَحِيماً ، فقال : « تَيَامَنُوا فَأَيْكُمْ يَعْرِفُ «ثَنِيَّةَ ذَاتِ الْحَنْظَلِ» ؟ » فقال بُرَيْدَةُ^(٥) بن الحُصَيْنِب : بحاءٍ مضمومةٍ فصاد مفتوحة مهملتين فتحتية

(١) الآية ١٠٢ من سورة النساء .

(٢) العصل : موضع بالبادية كثير الغياض ، وقيل شجرة إذا أكل منها البعير سلحته . ويروى بالعين والصاد المعجمة وبالصاد المهملة بمعنى الرمل الملتوى الموج نهاية الأرب ١٧ : ٢١٩ حاشية ، وانظر شرح المفردات .

(٣) الحمض : اسم موضع من طريق يخرج على ثنية المزار (شرح المواهب ٢ : ١٨٣) .

(٤) الطليعة : مقدمة الجيش ، وانظر شرح المفردات .

(٥) سمى ابن سعد السالك بهم حنزة بن عمرو الأسلمي (شرح المواهب ٢ : ١٨٣)

فموحدة ، - وقيل حمزة بن عمرو الأسلمي :-
 أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ عَالِمٌ بِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « اسْأَلْكَ أَمَانًا »
 فَأَخَذَ بُرَيْدَةُ فِي الْعَصَلِ - قَبْلَ جِبَالِ سَرَاعٍ قَبْلَ
 الْمَغْرِبِ ، فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةٍ^(١) الْجَيْشِ ، فَاَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا
 لِقَرِيشٍ ، فَسَلَكَ بُرَيْدَةُ بِهِمْ طَرِيقًا وَغَرًّا أَجْرَلْ^(٢) بَيْنَ شِعَابٍ ، وَسَارَ قَلِيلًا تَنْكِبُهُ
 الْحَجَارَةُ وَتُعَلِّقُهُ الشَّجَرُ ، وَصَارَ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُمَا قَطُ . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ
 أَسْلُكُهَا فِي الْجُمُعَةِ مِرَارًا ، فَنَزَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْأَسْلَمِيِّ ، فَسَارَ بِهِمْ قَلِيلًا ، ثُمَّ سَقَطَ
 فِي خَمَرٍ^(٣) الشَّجَرِ فَلَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ ، فَنَزَلَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسْلَمِيُّ فَاَنْطَلَقَ
 أَمَامَهُمْ حَتَّى نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الثَّنِيَّةِ ، فَقَالَ : هَذِهِ ثَنِيَّةُ ذَاتِ
 الْحَنْظَلِ ؟ فَقَالَ عَمْرُو : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَمَّا وَقَفَ بِهِ عَلَى رَأْسِهَا تَحَدَّرَ بِهِ ، قَالَ
 عَمْرُو : فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ لَتَهْمُنِي نَفْسِي وَحْدَهَا^(٤) إِنَّمَا كَانَتْ مِثْلَ الشَّرَاكِ^(٥) فَاتَّسَعَتْ
 لِي حِينَ بَرَزْتُ ، فَكَانَتْ فِجَاجًا لِأَجِبَةٍ^(٦) وَلَقَدْ كَانَ النَّاسُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ يَسِيرُونَ جَمِيعًا
 مُعْطِفِينَ^(٧) مِنْ سَعَتِهَا يَتَحَدَّثُونَ ، وَأَضَاءَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى كَانَا فِي قَمَرٍ .

وروى مسلم عن جابر مُختَصِرًا ، وأبو نعيم عن أبي سعيد ، وابن إسحاق عن الزُّهْرِيِّ ،
 ومحمد بن عمر عن شيوخه .

قال أبو سعيد : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ حَتَّى
 إِذَا كُنَّا بِعُسْفَانَ سِرْنَا مِنْ^(٨) آخِرِ اللَّيْلِ حَتَّى أَقْبَلْنَا عَلَى « عَقَبَةِ ذَاتِ الْحَنْظَلِ » قَالَ

-
- (١) القتر : الغبار الأسود (شرح المواهب ٢ : ١٨٣) .
 (٢) أجزل : الجزل الحجارة ، وقيل الشجر مع الحجارة ، وقيل المكان الصلب الغليظ الشديد (لسان العرب)
 وفي عيون الأثر لابن سيد الناس ٢ : ١١٤ « أجزل » .
 (٣) خمر الشجر : كل ما يترك من شجر أو بناء أو غيره يقال له خمر (النهاية ١ : ٣٢٠) .
 (٤) كذا في الأصول : وفي مغازي الواقدي ٢ : ٨٤ « والله إن كان ليهمني نفسي وجدي » .
 (٥) الشراك : سير النمل (القاموس المحيط) .
 (٦) اللاجبة : اللاجب الطريق الواسع (النهاية ٤ : ٥٠) وفي مغازي الواقدي ٢ : ٨٤ « وكانت حجة
 لاجبة » ، وفي ت . م . « لاجمة » .
 (٧) في ت ، م « مصطفين » والمثبت من ط ويوافقه الواقدي .
 (٨) في ت ، م « في آخر الليل » .

جابر : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : - مِنْ يَصْعَدُ ثَنِيَّةَ الْمِرَارِ^(١) فَإِنَّهُ يَحُطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَعَدَ خَيْلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ ، ثُمَّ تَبَادَرَ النَّاسُ بَعْدَ . وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ / فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : - « مَثَلُ هَذِهِ الثَّنِيَّةِ اللَّيْلَةِ ١٦٢ ظ كَمَثَلِ الْبَابِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ « وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ »^(٢) » وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا أَنْ خَرَجُوا مِنَ الْأَرْضِ الصَّعْبَةِ وَأَفْضُوا إِلَى أَرْضِ سَهْلَةٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : - « قُولُوا نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ » . فَقَالُوا ذَلِكَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ إِنَّهَا لِلْحِطَّةِ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا » قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : - « لَا يَجُوزُ هَذِهِ الثَّنِيَّةَ اللَّيْلَةَ أَحَدٌ إِلَّا غُفِرَ لَهُ » فَلَمَّا هَبَطْنَا نُزِلْنَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَخْشَى أَنْ تَرَى^(٣) قَرِيشَ نِيرَانًا ، فَقَالَ : لَنْ يَرَوْكُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا صَلَّى بِنَا صَلَاةَ الصُّبْحِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ غُفِرَ لِلرَّكْبِ أَجْمَعِينَ إِلَّا رُؤَيْكِبًا وَاحِدًا عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ التَّقَتْ عَلَيْهِ رِحَالُ الْقَوْمِ لَيْسَ مِنْهُمْ ، وَقَالَ جَابِرٌ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « كَلِّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ » . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَطُلِبَ فِي الْعَسْكَرِ فَإِذَا هُوَ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ بَنِ عَمْرٍو^(٤) بَنِ نُفَيْلٍ ، وَالرَّجُلُ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ مِنْ أَهْلِ سَيْفِ الْبَحْرِ يَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقِيلَ لِسَعِيدٍ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥) قَالَ : كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ : وَيَحْكُ !! اذْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَغْفِرُ لَكَ .

وَقَالَ جَابِرٌ : فَقُلْنَا لَهُ : تَعَالِ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ :

(١) ثَنِيَّةُ الْمِرَارِ : بضم الميم وكسرها . وانظر الخلاف في شرح المفردات وهي مهبط الحديبية من أسفل مكة (شرح المواهب ٢ : ١٨٣) .

(٢) الآية ٥٨ من سورة البقرة .

(٣) والمبارة في مغازي الواقدي ٢ : ٥٨٥ « فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حين نزل : مَنْ كَانَ فَعَلٍ فَلْيَصْطَنِعْ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَإِنَّمَا مَعَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَقْلٌ - وَالثَّقَلُ الدَّقِيقُ - وَإِنَّمَا كَانَ عَامَةً زَادَنَا الْبَقَرُ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا نَخَافُ مِنْ قَرِيشٍ أَنْ تَرَانَا الْخ .

(٤) (عمرو بن) مثبتة عن ط - ويوافقها الواقدي ٢ : ٥٨٥ .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط في الأصول ، والإضافة من مغازي الواقدي ٢ : ٥٨٦ .

والله لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لِي صَاحِبُكُمْ . وقال أبو سعيد : فقال^(١) .
 بعيرى والله أهم من أن يستغفر لى ، إذا هو قد أضل بعيرا له ، فأنطلق يطلب بعيره
 بعد أن استبرأ العسكر وطلبه فيهم ، فبينما هو فى جبال سُرَّاعِ إذ زلقت به نعله
 فتردَّى فمات ، فما علم به حتى أكلته السباع ، قال أبو سعيد : فقال رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم - يومئذ : « سَيَاتِيكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ كَأَنَّهُمْ قَطَعُ السَّحَابِ . هُمْ خَيْرُ أَهْلِ
 الْأَرْضِ »^(٢) .

نكر نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحديبية وما وقع فى ذلك من الآيات

قال مسور بن مخرمة ، ومروان [بن الحكم]^(٣) : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم
 سار قَلَمًا دَنَا مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَقَعَتْ يَدَا رَاحِلَتِهِ عَلَى ثَنِيَّةٍ تُهْبِطُ فِي غَائِطٍ^(٤) الْقَوْمِ ،
 فَبَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ ، فَقَالَ ، وَفِي رِوَايَةٍ : فَقَالَ النَّاسُ « حَلَّ حَلٌّ »^(٥) فَأَبَتْ أَنْ تَنْبَعِثَ
 وَأَلَحَّتْ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : خَلَّاتِ^(٦) الْقَصْوَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : مَا خَلَّاتِ
 الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِعَادَةٍ ، وَفِي لَفْظٍ : بِخُلُقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ^(٧) مَكَّةَ ،
 ثُمَّ قَالَ : « وَاللَّيْلِ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ خُطَّةً فِيهَا تَعْظِيمُ حُرُمَاتِ اللَّهِ
 تَعَالَى إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا » ثُمَّ زَجَرَهَا فَقَامَتْ ، فَوَلَّى رَاجِعًا عَوْدَهُ عَلَى بَدْنِهِ . وَفِي رِوَايَةٍ

(١) رواية الواقدي تختلف عما هنا وهو هنا أوضح .

(٢) فى منازى الواقدي ٢ : ٥٨٦ « هم خير من على الأرض » .

(٣) الإضافة من البداية والنهاية ٤ : ١٧٣ .

(٤) الغائط : المطنن الواسع ، وانظر شرح المفردات .

(٥) حل حل : صيغة تزجر بها الناقة (اللسان ١٣ : ١٨٤ ، ١٨٥) .

(٦) خلَّات : أى بركت ، والخلا فى الإبل بمنزلة الحران فى الدواب (هامش الواقدي ٢ : ٥٨٧) .

(٧) أى حبسها الله عز وجل عن دخول مكة ، كما حبس الفيل عن دخولها ، ومناسبة ذلك التشبيه بقصة الفيل
 كما قال الحفاظ : أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدمتهم قریش لوقع بينهم القتال المفصى إلى سفك
 الدماء ونهب الأموال ، كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه ، لكن سقى فى علم الله فى الموضعين أنه سيدخل فى الإسلام خلق
 منهم ، وسيخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون (شرح المواهب ٢ : ١٨٤) .

فعدل عنهم حتى نزل بِأَقْصَى الحديبية على ثمد^(١) من ثمد الحديبية ظَنُون^(٢) قليل الماء يَتَبَرَّضُ^(٣) النَّاسُ مَاءَهُ تَبَرُّضًا ، فلم يُلبِثُهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ^(٤) ، فَاشْتَكَى النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قِلَّةَ الماء ، وفي لفظ « الْعَطَش » فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَأَمَرَ بِهِ فُغِرَزَ / فِي الماء فجاشت بالرواء^(٥) حَتَّى صَدَرُوا عَنْهَا بِعَطْنٍ^(٦) قَالَ ١٦٣ و الْمِسْوَرُ : وَلَئِنْهُمْ لِيُغْتَرِفُونَ بِأَنْبِيتِهِمْ جُلُوسًا عَلَى شَفِيرِ الْبُشْرِ .

قال محمد بن عمر : والذي نزل بالسَّهْمِ ناجية بن الأعجم^(٧) - رجلٌ من أسلم ، ويقال : ناجية بن جندب وهو سائقُ بُذْنِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد روى أن جاريةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِنَاجِيَةٍ وَهُوَ فِي الْقَلِيبِ :

يَا أَيُّهَا الْمَاتِحُ دُلُّوِي دُونَكَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا
يُشْنُونُ خَيْرًا وَيَمَجِّدُونَكَا

فقال ناجية وهو في القليب :

قَدْ عَلِمْتُ جَارِيَةَ يَمَانِيَه أَنِّي أَنَا الْمَاتِحُ وَأَسْمَى نَاجِيَه
وَطَعْنَةُ ذَاتِ رَشَائِشٍ وَاهِيَه طَعَنْتُهَا تَحْتَ صُدُورِ الْعَادِيَه

قال محمد بن عمر : حدثني الهيثم بن واقد عن عطاء بن مروان عن أبيه قال : حدثني أربعة عشر رجلاً مِّنْ أَسْلَمَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ

(١) التمد : الماء القليل الذي لا مادة له (الصحيح : ٤٤٨) .

(٢) الظنون : البئر لا يدري فيها ماء أم لا ، ويقال القليلة الماء (الصحيح : ٢١٦٠) .

(٣) يتبرض : يقال برض الماء من العين إذا خرج وهو قليل (الصحيح : ١٠٦٦) .

(٤) وفي رواية « نزعوه » وانظر شرح المفردات ، وشرح المواهب ٢ : ١٨٥ .

(٥) الرواء : الماء العذب « السيرة الحلبية ٣ : ١٣ » .

(٦) العطن : مبرك الإبل حول الماء (النهاية ٣ : ١٠٧) والمعنى أنهم رَوَوْا ورويت إبلهم حتى بركت حول الماء (السيرة الحلبية ٣ : ١٣) .

(٧) جاء في شرح المواهب ٢ : ١٨٥ « . . . حدثني أربعة عشر رجلاً من أصحابه الأنصار أن الذي نزل البئر ناجية بن الأعجم ، وقيل : هو ناجية بن جندب ، وقيل البراء بن عازب ، وقيل عبادة بن خالد - حكاه عن الواقدي ، ووقع في الاستحباب : خالد بن عبادة ، وقال في الفتح : يمكن الجمع بأنهم تعاونوا على ذلك بالخفر وغيره . وانظر أيضاً (سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣١٠ ، ٣١١) .

ناجية بن الأعجم ، يقول : دعاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين شكى ^(١) إليه قلة الماء فأخرج سهماً من كِنَانَتِهِ ، ودفعه إليّ ، ودعَا بِدَلْوٍ من ماء البئر فجثته به ، فتوضاً فَمَضْمَضَ فاه ، ثم مَجَّ في الدلو - والناس في حرٍّ شديد - وإنما هي بئر واحدة قد سبق المشركون إلى بَلَدَح فغلبوا على مياهه فقال : « انزل بالدلو فصبها في البئر وأثر ماءها بالسهم » ففعلت ، فوالذي بعثه بالحق ما كِدْتُ أخرجُ حتى يغمرني وفارت كما تَفُورُ القِدْرُ ، حتى طَمَّتْ وأستوت بشفيرها ، يَغْتَرِفُونَ من جانبها حتى نَهَلُوا من ^(٢) آخرهم . وعلى الماء يومئذ نَفَرٌ من المنافقين ، منهم عبد الله بن أبيّ ، فقال أوس بن خُوَيْلٍ : وَيَحْك يا أبا الحُبَاب !! أما آن لك أن تبصر ^(٣) ما أنت عليه ؟ أبعدَ هذا شيء ؟ فقال : إني قد رأيتُ مثلَ هذا . فقال أوس : قَبَحَكَ الله وقبح رأيك فأقبل ابنُ أبي يريْدُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم فقال [رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤)] « يا أبا الحُبَاب : أتى رأيتَ مثلما رأيتَ اليوم » ؟ فقال : ما رأيتُ مثله قط . قال : « فَلِمَ قُلْتَهُ » ؟ فقال ابنُ أبيّ : يا رسولَ الله اسْتَغْفِرْ لِي ، فقال ابنُه عبد الله بن عبد الله - رضى الله عنه - يارسول الله اسْتَغْفِرْ لَهُ ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ .

وروى ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، عن البراء بن عازب - رضى الله عنهما - قال :
أنا نزلت بالسهم . والله أعلم .

قصة أخرى : روى الإمام أحمد ، والبخاري ، والطبراني ، والحاكم في الإكليل ، وأبو نعيم عن البراء بن عازب ، ومسلم عن سلمة بن الأكوع ، وأبو نعيم عن ابن عباس ، والبيهقي عن عُرْوَةَ ، قال البراء : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحُدَيْبِيَّة أربع عشرة مائة ، والحُدَيْبِيَّة : بئر فقدمناها وعليها خَمْسُونَ شاة ما ترويهما فتَبْرُضُها فلم نترك فيها قطرة ، قال ابن عباس : وكان الحرُّ شديداً ، فشكى النَّاسُ الْعَطَشَ ، فَبَلَغَ ذلك النبي - عليه الصلاة والسلام - فَاتَّاهُمْ فَجَلَسَ على شَفِيرِهَا ، ثم دَعَا « بِنَاء » وفي

(١) شكى : بالبناء للمجهول كما في شرح المواهب ٢ : ١٨٥ وكذلك شرح المفردات .

(٢) « نهلوا من آخرهم » كذا في جميع الأصول . وكذا مغازى الواقدي ٢ : ٥٨٨ .

(٣) في ت ، م « أما آن لك أن تبصر » والمثبت من ط ويوافقه ما في مغازى الواقدي ٢ : ٥٨٨ .

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة (من الواقدي ٢ : ٥٨٩) للتوضيح .

لفظ « يَدُلُّوْ » فتوضأ في الدَّلْو ، ثم مَضَمَض ودَعَا ، ثم صَبَّه فيها ، فتركناها غير بعيد ثم إنها أَصْدَرَتْنا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرَكَابُنَا . قال البراء . ولقد رأيت [آخرنا] (١) أخرج بشوب خَشْيَةِ الْغَرَقِ حتى جَرَّتْ نَهْرًا .

وقال ابن عباس وعُرْوَةُ فَفَارَتْ بِالْمَاءِ حَتَّى / جَعَلُوا يَغْتَرِفُونَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْهَا وَهُمْ جُلُوسٌ ١٦٣ ظ على شفيرها (٢) .

قصة أخرى : روى البخارى فى المغازى وفى الْأَشْرِبَةِ ، عن جابر بن عبد الله ، عن سَلَمَةَ ابن الأكوع - رضى الله عنهما - قالوا : عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَرَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ (٣) ، وقال جابر فى رواية : وقد حضر العصر ، وليس معنا ماء غير فَضْلَةٍ ، فَجُعِلَ فى إِنَاءٍ فَأَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسَ نَحْوَهُ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مَا لَكُمْ ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ماء نتوضأ به ، ولا نشربُ إِلَّا مَا فى رَكْوَتِكَ فَأَفْرَغْتَهَا فى قَدَحٍ ، وَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَدَهُ فى الْقَدَحِ ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَقُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا ، فقال سالم بن أبى الجعد : فَقُلْتُ لَجَابِر : كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ ؟ قال : لو كُنَّا مائة أَلْفَ لَكَفَّانَا ، [كُنَّا] (٤) خمس عشرة مائة .

نكر نزول المطر فى تلك الأيام وما قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى صبيحة المطر -

روى الشيخان وأبو عوانة ، والبيهقى عن زيد بن خالد - رضى الله عنه - قال : خَرَجْنَا مع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - عام الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَأَصَابَنَا مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيُّ - صَلَّى الله عليه وسلم - الصُّبْحَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فقال : أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ « قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ : قال : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « أَصْبَحَ

(١) سقط فى الأصول - والإثبات عن السيرة الحلبية ٣ : ١٤ .

(٢) فى ت ، م « وهم جلوس على شفتها » .

(٣) الركوة : إناه كالقدح . وقد فُسر به (شرح المواهب ٢ : ١٨٦) والاضبط عن شرح المفردات .

(٤) إضافة يقتضها السياق .

من عِبَادِي مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِفَضْلِ اللَّهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوَائِبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَجْمٍ كَذًا - وفي رواية : بَنُوهُ كَذًا وَكَذًا - فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوَائِبِ كَافِرٌ بِي .^(١)

قال محمد بن عمر : وكان ابن أبيّ بن سلول قال : هذا نَوْءُ الْخَرِيفِ مُطِرْنَا بِالْشَّعْرِ^(٢) .

وروى ابن سعد عن أبي المليح عن أبيه قال : أصابنا يوم الْحُدَيْبِيَّةِ مَطَرٌ لَمْ يَبْلُ أَسَافِلَ نِعَالِنَا ، فنادى مُنَادِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ .

وأهدى عمرو بن سالم وبُسْر بن سُفْيَانَ الْخَزَاعِيَّانِ - رضى الله عنهما - بِالْحُدَيْبِيَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - غَنَمًا وَجُزُورًا ، وأهدى عمرو بن سالم لسعد بن عُبَادَةَ - رضى الله عنه - جُزُرًا - وكان صديقًا له - فجاء سَعْدٌ بِالْجُزُرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرًا أَهْدَاهَا لَهُ ، فقال : « وَعَمْرُو قَدْ أَهْدَى لَنَا مَا تَرَى ، فبَارَكَ اللَّهُ فِي عَمْرٍو » ثم أمر بِالْجُزُرِ تُنَحَّرَ وَتُقَسَّمُ فِي أَصْحَابِهِ ، وفرَّقَ الْغَنَمَ فِيهِمْ مِنْ آخِرِهَا وَشَرِكَ فِيهَا فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ مِنْ لَحْمِ الْجُزُورِ كَنَحَوْ مَا دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ ، وَشَرِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي شَاتِيهِ ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ بَعْضُهَا ، وَأَمَرَ - صلى الله عليه وسلم - لِلَّذِي جَاءَ بِالْهَدِيَةِ بِكَسْوَةٍ .

نكر قدوم بديل بن ورقاء الخزاعي / ورسَل قريش على رسول الله
صلى الله عليه وسلم

و ١٦٤

لما أطمأن رسولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِالْحُدَيْبِيَّةِ : جاءه بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ - وأسلم بعد ذلك - في رجالٍ من خُزَاعَةٍ ، منهم : عمرو بن سالم ، وخراش ابن أمية وخارجة بن كُرْز ، ويزيد بن أمية وكانوا عِيْبَةً^(٣) نُصَحِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -

(١) وانظر قول الواقدي في المغازي ٢ : ٥٩٠ .

(٢) الفسط من شرح المفردات ، وشرح المواهب ٢ : ١٨٦ ، وعيبة الرجل : خاصته وأصحاب سره . وقال الزهري : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسلمها ومشرکها لا يخفون عنه شيئاً كان . (السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١١) .

وسلم - بتهامة ، منهم المسلم ومنهم الموادع . لا يُخْفُونَ عنه بتهامة شيئاً . فلما قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلموا ، فقال بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ : جئناك من عند قومك ، كعب بن لؤى ، وعامر بن لؤى ، قد استنقروا لك الأحابيش ومن أطاعهم ، قد نزلوا أعداداً^(١) مياه الحديبية ، معهم العوذ المطافيل^(٢) والنساء والصبيان ، يُقسمون بالله لا يُخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إِنَّا لَمْ نَأْتِ لِقَتَالِ أَحَدٍ ، إِنَّمَا جِئْنَا لِنَطُوفَ بِهَذَا الْبَيْتِ ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ ، إِنْ قُرَيْشًا قَدْ أَضْرَبَتْ بِهِمُ الْحَرْبُ وَهَكَتَهُمْ^(٣) فَإِنْ شَاءُوا مَا دَدْتُهُمْ^(٤) مُدَّةً يَأْمَنُونَ فِيهَا ، وَيُخْلَوْنَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ^(٥)) ، - وَالنَّاسُ أَكْثَرُ مِنْهُمْ - فَإِنْ أَصَابُونِي فَذَلِكَ الَّذِي أَرَادُوا وَإِنْ ظَهَرَ أَمْرِي عَلَى النَّاسِ كَانُوا بَيْنَ أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ أَوْ يَقَاتِلُوا وَقَدْ جَمُوعُ^(٦) ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْ فَوَاللَّهِ لَأَجْهَدَنَّ^(٧) عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي^(٨) وَلَيَنْفِذَنَّ^(٩) اللَّهُ - تَعَالَى أَمْرَهُ .

فوعى بُدَيْلُ مَقَالََةَ رَسُولِ اللَّهِ وَقَالَ : سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ ، وَعَادَ وَرَكْبُهُ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالَ نَاسٌ مِنْهُمْ : هَذَا بُدَيْلٌ وَأَصْحَابُهُ ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ أَنْ يَسْتَخْبِرُواكُمْ فَلَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ حَرْفٍ وَاحِدٍ ، فَلَمَّا رَأَى بُدَيْلٌ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَخْبِرُونَهُ قَالَ : إِنَّا جِئْنَا مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ ،

(١) أعداد : جمع عد ، وهو الماء الذي لا انقطاع له ، ويطلق أيضاً على الكثرة في الشيء (نهاية الأرب للنويري ١٧ : ٢٢٢ - هامش) والضببط من شرح المواهب ٢ : ١٨٧ . وإضافة أعداد إلى مياه الحديبية من إضافة الأسماء إلى الأخص .

(٢) العوذ المطافيل : الأسماء اللاتنية معهن أولادهن . (السيرة الحلبية ٣ : ١١ ، شرح المواهب ٢ : ١٨٧) .
(٣) يفتح النون والماء ويكسر الماء أيضاً . أى أبلغت فيهم حتى أضغمت قوتهم وهزلتهم وأضغمت أموالهم (انظر شرح المفردات) ، (شرح المواهب ٢ : ١٨٧) .

(٤) أى جعلت بيني وبينهم مدة نترك الحرب بيننا وبينهم فيها (شرح المواهب ٢ : ١٨٧) .

(٥) زاد الزرقاني بعد هذا اللفظ (من كفار العرب وغيرهم) شرح المواهب ٢ : ١٨٧ .

(٦) أى استراحوا (المرجع السابق) .

(٧) في البداية والنهاية ٤ : ١٧٤ « لأقاتلنهم » وكذا في نهاية الأرب للنويري ١٧ : ٢٠٠ .

(٨) السالفة : صفحة المتق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكفى بانفرادها عن الموت ، لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت . وقيل أراد : حتى يفرق بين رأسي وجسدي (النهاية ٢ : ١٧٥) .

(٩) ضبط هذا اللفظ بضم الياء وسكون النون وكسر الفاء مخففة ، وفتح الذال . وضبطه الزركشي والدماسيني بضم الياء وفتح النون وكسر الفاء المشددة وكلام الفتح محتمل . والمعنى يعضين الله أمره (شرح المواهب ٢ : ١٨٨) .

أَتَحِبُّونَ أَنْ نَخْبِرَكُمْ عَنْهُ ؟ فَقَالَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَالْحَكَمُ بْنُ الْعَاصِ - وَأَسْلَمَا
 بَعْدَ ذَلِكَ - مَا لَنَا حَاجَةً بِأَنْ تُخْبِرُونَا عَنْهُ ، وَلَكِنْ أَخْبِرُوهُ عَنَّا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا
 عَامَهُ هَذَا أَبَدًا حَتَّى لَا يَبْقَى مِنَّا رَجُلٌ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ - وَأَسْلَمَ
 بَعْدَ ذَلِكَ - بِأَنْ يَسْمَعُوا كَلَامَ بُذَيْلٍ فَإِنْ أَعْجَبَهُمْ قَبْلُوهُ وَإِلَّا تَرَكُوهُ ، فَقَالَ صَفْوَانُ
 ابْنُ أُمَيَّةَ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ - وَأَسْلَمَا بَعْدَ ذَلِكَ - أَخْبِرُونَا بِالَّذِي رَأَيْتُمْ وَسَمِعْتُمْ ، فَقَالَ
 بُذَيْلٌ لَهُمْ : إِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِقِتَالٍ إِنَّمَا
 جَاءَ مُعْتَمِرًا وَأَخْبِرَهُمْ بِمَقَالَةِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَقَالَ عُرْوَةُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ
 أَتَتَّهَمُونَنِي ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ ! قَالُوا : بَلَى . [قَالَ : أَلَسْتُ بِالْوَلَدِ ؟
 قَالُوا : بَلَى (١)] وَكَانَ عُرْوَةُ لِسَبِيْعَةَ بِنْتِ عَبْدِ شَمْسٍ الْقُرَشِيَّةِ . قَالَ : « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي
 أَسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ لِنَصْرِكُمْ فَلَمَّا تَبَلَّغُوا (٢) عَلَى نَفَرْتُمْ إِلَيْكُمْ بِنَفْسِي وَوَلَدِي وَمَنْ
 أَطَاعَنِي ؟ قَالُوا : قَدْ فَعَلْتَ ، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ . قَالَ : إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ ، وَعَلَيْكُمْ
 شَفِيقٌ ، لَا أَدْخِرُ عَنْكُمْ (٣) نُصْحًا ، فَإِنْ بُذِيلًا قَدْ جَاءَكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٌ لَا يَرُدُّهَا أَحَدٌ أَبَدًا
 إِلَّا أَحَدٌ شَرٌّ مِنْهَا . فَاقْبَلُوهَا مِنْهُ ، وَأَبْعَثُونِي حَتَّى آتِيَكُمْ بِمُضْدَاقِهَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَنْظُرْ (٤)
 إِلَى مَنْ مَعَهُ ، وَأَكُونُ لَكُمْ عَيْنًا آتِيَكُمْ بِخَبْرِهِ ، فَبِعِثْتِهِ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَاءَ (٥) رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، تَرَكْتُ كَعْبَ
 ١٦٤ ظ ابْنَ لُؤَى وَعَامَرَ بْنَ لُؤَى عَلَى أَعْدَادِ مِيَاهِ الْحُدَيْيَةِ ، مَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ / قَدْ أَسْتَنْفَرُوا
 لَكَ الْأَحَابِيْشَ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ ، قَدْ لَبَسُوا جُلُودَ النُّمُورِ ، وَهُمْ يُقْسِمُونَ بِاللَّهِ لَا يُحْذِلُونَ
 بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبَيْتِ حَتَّى تَجْتَاحَهُمْ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ وَمَنْ قَاتَلَهُمْ (٦) بَيْنَ أَحَدِ أَمْرَيْنِ أَنْ

- (١) مَا بَيْنَ الْحَاصِرَتَيْنِ مِنَ الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ لَا بَيْنَ كَثِيرٍ ٤ : ١٧٤ . وَعِبَارَةُ الْوَاقِدِيِّ فِي الْمَغَازِي ٢ : ٢٩٤
 « أَلَسْتُ الْوَالِدَ وَأَنَا الْوَلَدُ » .
 (٢) كَذَا فِي ط . وَفِي ت ، م « بَلَّغُوا » وَكَذَا فِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥٩٤ ، وَفِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٨٩ ،
 وَالْمَعْنَى امْتَنَعُوا عَنِ الْإِجَابَةِ . يُقَالُ : بَلَغَ الْفَرِيمَ إِذَا امْتَنَعَ عَنْ آدَاءِ مَا عَلَيْهِ .
 (٣) فِي ت م « لَا أُؤَخِّرُ » وَالْمَثْبُوتُ مِنْ ط . وَيُؤَافِقُهُ مَا فِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥٩٤ .
 (٤) فِي ت « وَانْطَلَقَ » وَالْمَثْبُوتُ عَنْ ط ، م وَيُؤَافِقُهُ مَا فِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥٩٤ .
 (٥) أَيْ عُرْوَةُ بِنْتُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ ، وَهُوَ يُؤَافِقُ مَا فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ ٤ : ١٧٤ ، وَمَا فِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥٩٥
 وَعِبَارَةُ شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٨٩ « فَعَجَلَ - أَيْ عُرْوَةُ - يَكْلِمُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِنَحْوِ مَا قَالَ بُذَيْلٌ . فَقَالَ
 لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُذَيْلٍ » .
 (٦) عِبَارَةُ الْوَاقِدِيِّ « وَإِنَّمَا أَنْتَ وَمَنْ قَاتَلَهُمْ بَيْنَ أَحَدِ أَمْرَيْنِ » ٢ : ٥٩٥ .

تَجَنَّحَ قَوْمَكَ ولم يُسْمِعْ بِرَجُلٍ أَجْتَاكَ قَوْمَهُ وَأَهْلَهُ قَبْلَكَ . أَوْ بَيَّنَّ أَنْ يَخْذُلَكَ مِنْ تَرَى مَعَكَ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرَى مَعَكَ وَجُوهًا وَإِنِّي لَا أَرَى إِلَّا أَوْبَاشًا ، وَفِي رَوَايَةٍ : فَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا^(١) مِنْ النَّاسِ ، لَا أَعْرِفُ وَجُوهَهُمْ وَلَا أَنْسَابَهُمْ ، وَخَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ . وَفِي رَوَايَةٍ : وَكَأَنِّي بِهِمْ لَوْ قَدْ لَقِيتَ قُرَيْشًا أَسْلَمُوكَ فَتَوَخَّذْ أَسِيرًا ، فَأَيُّ شَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا ؟ فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ قَاعِدًا خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : اْمْصُصْ^(٢) بَظَرِ اللَّاتِ ، أَنْحُنْ^(٣) نَخْذُلُهُ أَوْ نَفِرْ عَنْهُ ؟ ! فَقَالَ عُرْوَةُ : مَنْ ذَا ؟ قَالُوا : أَبَا بَكْرٍ . فَقَالَ عُرْوَةُ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا يَدُ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأُجِيبَنَّكَ^(٤)

وَكَانَ عُرْوَةُ قَدْ اسْتَعَانَ فِي حَمَلِ دِيَةِ فَأَعَانَهُ الرَّجُلُ بِالْفَرِيسَتَيْنِ وَالثَّلَاثِ ، وَأَعَانَهُ أَبُو بَكْرٍ بِعَشْرِ فَرَائِضَ فَكَانَتْ هَذِهِ يَدُ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ عُرْوَةَ ، وَطَفِقَ عُرْوَةُ كُلَّمَا كَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَسَّ لَحْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْمَغْيِرَةَ ابْنَ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالسَّيْفِ ، - عَلَى وَجْهِهِ الْمَغْفَرُ^(٥) - لَمَّا قَدِمَ عُرْوَةُ لِبَسَهَا ، فَطَفِقَ الْمَغْيِرَةُ كُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ لِيَمَسَّ لَحْيَةَ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَقْرَعُ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَيَقُولُ : أَكْفُفُ^(٦) يَدَكَ عَنْ مَسِّ لَحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَتَبَغَّى لِمَشْرُكٍ أَنْ يَمَسَّهُ . فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ غَضَبَ عُرْوَةَ وَقَالَ : وَيْحَكَ !! مَا أَفْظَكَ وَأَغَظَكَ !

(١) الْأَوْشَابُ : الْأَخْلَاطُ مِنْ أَنْوَاعِ شَيْءٍ - شَرَحَ الْمَفْرَدَاتِ - وَفِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٨٩ ، ١٩٠ « أَشْوَابًا بِتَقْدِيمِ الْمَعْجَمَةِ عَلَى الْوَاوِ لِلْأَكْثَرِ وَعَلَيْهَا اقْتَصَرَ صَاحِبُ الْمَشَارِقِ ، قَالَ الْمَصْنِفُ : وَلَأَبَى ذَرَّ عَنْ الْكُثْمَنِ « أَشْوَابًا بِتَقْدِيمِ الْوَاوِ عَلَى الْمَعْجَمَةِ ، وَيُرْوَى أَوْبَاشًا بِتَقْدِيمِ الْوَاوِ عَلَى الْمَوْحِدَةِ (يَعْنِي أَخْلَاطًا مِنَ النَّاسِ) قَالَ الْحَافِظُ : وَالْأَشْوَابُ : الْأَخْلَاطُ مِنْ أَنْوَاعِ شَيْءٍ ، وَالْأَوْبَاشُ الْأَخْلَاطُ مِنَ السَّفَلَةِ فَالْأَوْبَاشُ أَخْصَرُ مِنَ الْأَشْوَابِ » .

(٢) الضَّبْطُ مِنَ الشَّرْحِ الْمَفْرَدَاتِ . وَيُؤَافِقُهُ ضَبْطُ شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٩٠ حَيْثُ قَالَ : بِأَلْفٍ وَصَلِ وَصَادِينَ مَهْمَلَتَيْنِ الْأَوَّلَى مَفْتُوحَةٌ بِصِيغَةِ الْأَمْرِ ، وَحَكَى ابْنُ التِّينِ عَنْ رَوَايَةِ الْقَابِسِ ضَمَّ الصَّادِ الْأَوَّلَى ، وَخَطَأَهَا . وَأَقْرَبَهُ الْحَافِظُ وَالْمَصْنِفُ لِأَنَّهُ خِلَافُ الرِّوَايَةِ - وَإِنْ جَاءَ لَفَةً .

(٣) اسْتَفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ قَصْدُهُ تَوْبِيخُهُ فِي نِسْبَةِ الْفِرَارِ لَهُمْ - الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ٢ : ١٩٠ .

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي مِغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥٩٥ « لَأُجِيبَنَّكَ » وَيُؤَافِقُ ذَلِكَ مَا فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٩٠ .

(٥) الْمَغْفَرُ : زَرَدٌ يَلْبَسُهُ الْمُحَارِبُ تَحْتَ الْقَلَنْسُوَةِ . وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا الْمَغْفِرَةُ . وَلَعَلَّ عُودَ الضَّمِيرِ الْمُؤَنَّثِ عَلَيْهِ فِي لِبَسِهَا هَذَا الْإِعْتِبَارُ . وَفِي إِحْدَى رَوَايَاتِ شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٩٠ - ١٩١ « وَفِي رَوَايَةِ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْبَرِ أَنَّ الْمَغْيِرَةَ لَمَّا رَأَى عُرْوَةَ مَقْبِلًا لِبَسَ لَأَمْتَهُ وَجَعَلَ عَلَى رَأْسِهِ الْمَغْفَرَ لِيَسْتَحْفِيَ مِنْ عُرْوَةَ عَمَهُ » .

(٦) وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي مِغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥٩٥ - وَفِي الْبَخَارِيِّ : آخِرُ يَدِكَ عَنْ لَحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وَسَلَّمَ - وَفِي السِّيَرَةِ الْحَلَبِيَّةِ ٣ : ١٦ : أَكْفَفَ يَدَيْكَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال : ليت شِعري !! من هذا^(١) الذى آذانى من بين أصحابك ؟ والله لا أحسب فيكم
الأم منه ولا أشرف منزلة . فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : « هذا أبن
أخيك^(٢) » المغيرة بن شعبة ، فقال عروة : وأنت بذلك يا عُذر ، والله ما غسلت عنك
عذرتك^(٣) بعكاظ^(٤) إلا أمس ، لقد أوثقنا العداوة من ثقيف إلى آخر الدهر - وسيلتى
في ترجمة المغيرة بيان هذه العذرة .

وجعل عروة يرمق أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بعينه ، فوالله ما يتنخم
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نخامة^(٥) إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها
وجّهه وجلده ، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلوا على وضوئه ،
ولا يسقط شيء من شعره إلا أخذوه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحدّثون
النظر إليه ؛ تعظيماً له .

فلما فرغ عروة من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وردّ عليه رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - مثل ما قال لبديل بن ورقاء وكما عرض عليهم من المدة .
فأتى عروة قريشاً ، فقال : يا قوم إني وفدت إلى الملوك^(٦) : كسرى وقيصر والنجاشي^(٧)
وإني والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيما بين ظهرائيه من محمد في أصحابه ، والله إن

(١) وفي مغازى الواقدي ٢ : ٥٩٥ « ليت شمرى !! من أنت يا محمد من هذا الذى أرى من بين أصحابك ؟
(٢) لأن عروة كان عم والد المغيرة ، فالمغيرة يقول له يا عم ، لأن كل قريب من جهة الأب يقال له عم -
« السيرة الحلبية ٣ : ١٦ » .

(٣) عذرتك : أى حياتك - وذلك ببذل المال (شرح المواهب ٢ : ١٩١) وفي مغازى الواقدي ٢ : ٥٩٥
« والله ما غسلت عنك عذرتك إلا بعكاظ أمس » والمعلاط - القطيع من الغنم (القاموس المحيط) ورواية ابن إسحاق
وهل غسلت سؤدتك إلا بالأمس .

(٤) كذا في الأصول . ولعلها « عكاظ » الواردة في التعليل السابق . لأن عكاظ لم يرد بها ذكر في المراجع
هنا . وقد كانت حادثة المغيرة بن شعبة مع بنى مالك في بيسان . وانظر القصة بكاملها في مغازى الواقدي ٢ : ٥٩٥ - ٥٩٨
والبداية والنهاية ٤ : ١٧٤ والسيرة الحلبية ٣ : ١٧ والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١٣ ، ٣١٤ .

(٥) النخامة - بضم النون : ما يخرج من الصدر (شرح المواهب ٢ : ١٩٢) وفي اللسان : ما يخرج من الخيشوم
عند التنخم (ن خ م)

(٦) في ت ، م « على الملوك » والمثبت من ط ويوافقه ما في مغازى الواقدي ٢ : ٥٩٨ .
(٧) قيصر : لقب لكل من ملوك الروم . وكسرى - بكسر الكاف وتفتح - لكل من ملك الفرس . والنجاشي -
يفتح النون وتكسر وخفة الجيم وأخطأ من شدهما فألف فشين معجمة فتحتية مشددة ومخففة - لقب لمن ملك الحبشة
(شرح المواهب ٢ : ١٩٢) .

رَأَيْتُ مَلَكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ، وليس بملك . والله ما تَنَحَّجُمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعْتَ فِي كَفٍّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ / بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ١٦٥ بِأَمْرِ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ أَيْهِمْ يَظْفَرُ مِنْهُ بِشَيْءٍ ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ شَعْرِهِ إِلَّا أَخْلَوْهُ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يَحْدُثُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ ، فَإِنْ هُوَ أَذِنَ لَهُ تَكَلَّمَ ، وَإِنْ لَمْ يَأْذِنْ لَهُ سَكَتَ ، وَقَدْ عَرَّضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَأَقْبَلُوهَا ، قَدْ حَرَزْتُ الْقَوْمَ ، وَأَعْلَمُوا أَنْكُمْ إِنْ أَرَقْتُمْ مِنْهُمْ السَّيْفَ بَذَلُوهُ لَكُمْ ، وَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لَا يَبَالُونَ مَا يُصْنَعُ بِهِمْ إِذَا مَنَعَتْ صَاحِبَهُمْ ، وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُ مَعَهُ نِسَاءً ^(١) مَا كُنَّ لِيَسْلَمَنَّهُ أَبَدًا عَلَى حَالٍ ، فَرَوَا رَأْيَكُمْ فَأَتَوْهُ يَا قَوْمَ ، وَأَقْبَلُوا مَا عَرَّضَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ ، مَعَ أَنِّي أَخَافُ أَنْ لَا تُنْصَرُوا عَلَى رَجُلٍ أَتَى زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظَّمًا لَهُ ، مَعَهُ الْهُدَى يَنْحَرُهُ وَيَنْصَرِفُ ، فَقَالَتْ قَرِيشٌ : لَا تَتَكَلَّمُ بِهَذَا يَا أَبَا يَغْفُورَ ، لَوْ غَيْرَكَ تَكَلَّمَ بِهَذَا ^(٢) ؟ وَلَكِنْ نَرُدُّهُ عَامِنَا هَذَا ، وَيَرْجِعُ إِلَى قَابِلٍ ، فَقَالَ : مَا أَرَاكُمْ إِلَّا تُصَيِّبُكُمْ ^(٣) قَارِعَةً . فَانْصَرَفَ هُوَ وَمَنْ تَبِعَهُ إِلَى الطَّائِفِ .

فَقَامَ الْحُلَيْسُ وَهُوَ بِمَهْمَلَتَيْنِ - مُصَغَّرٌ - بِنِ عِلْقَمَةَ الْكِنَانِيِّ وَكَانَ مِنْ رُءُوسِ الْأَحَابِيْشِ وَلَا أَعْلَمُ لَهُ إِلَّا سَلَامًا ^(٤) فَقَالَ : دَعَوْنِي آتِيهِ . فَقَالُوا : أَتَيْتُهُ . فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « هَذَا فُلَانٌ مِنْ قَوْمٍ يُعَظَّمُونَ الْبُذْنَ ^(٥) وَفِي لَفْظٍ « الْهُدَى ، وَيَتَأَلَّهُونَ ^(٦) ، فَأَبْغَتْهُمَا لَهُ » فَبُعِثَتْ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى الْهُدَى يَسْبُلُ عَلَيْهِ مِنْ عُرْضِ الْوَاتِي عَلَيْهَا فَلَانِهَا ، قَدْ أَكَلَتْ أَوْبَارَهَا مِنْ طَوْلِ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ « قَوْمًا » كَذَا فِي السِّيرَةِ الْحَلِيبِيَّةِ ٣ : ١٨ وَفِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥٩٩ « نِسِيَات » .

(٢) فِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥٩٩ (لَوْ غَيْرَكَ تَكَلَّمَ بِهَذَا لِلْمَنَاءِ) .

(٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٩٢ « مَا أَرَاكُمْ إِلَّا تُصَيِّبُكُمْ قَارِعَةً فَانْصَرَفَ هُوَ وَمَنْ تَبِعَهُ إِلَى الطَّائِفِ » .

(٤) فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٩٢ « قَالَ الْبَرْهَانُ : لَا أَعْلَمُ لَهُ إِلَّا سَلَامًا وَالظَّاهِرُ هَلَاكُهُ عَلَى كَفَرِهِ » .

(٥) الْبُذْنُ : جَمْعُ بُذْنَةٍ ، وَهِيَ الْبَعِيرُ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى وَالْمَاءُ فِيهَا لِلْوَحْدَةِ لَا لِلتَّأْنِيثِ ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : الْبُذْنَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ الْإِبِلِ وَأَنَّ الْهُدَى مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ . وَانْظُرْ شَرْحَ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٩٣ .

(٦) التَّأَلُّهُ : التَّعْبُدُ وَالتَّنَسُّكُ (الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ)

الحبس ، تُرَجِّع الحنين ، وأستقبله الناس يُلبُّون^(١) قد أقاموا نصفَ شهر ، وقد تَفَلُّوا وشَعَثُوا ، صاح وقال : سبحان الله « ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَلُّوا عن البيت أبي الله أن تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب ، ما ينبغي لهؤلاء أن يصلوا عن البيت^(٢) هلكت قريش ورب الكعبة . إنَّ القوم إنما أتوا عُمَارًا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أَجَلٌ يَا أَخَا بَنِي كِنَانَةَ » .

وذكر ابن إسحاق^(٣) ومحمد بن عمر ، وابن سعد : أنه لم يصل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لَمَّا رَأَى ذَلِكَ إِعْظَامًا لِمَا رَأَى فَيُخْتَمَلُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - خاطبه مِنْ بَعْدِ^(٤) ، فرجع إلى قريش فقال : إني رأيتُ ما لا يحلُّ منه ، رأيتُ الْهَدْيَ فِي قَلَانْدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْبَارَهُ مَعْكُوفًا عَنْ مَحِلِّهِ وَالرُّجَالَ قَدْ تَفَلُّوا وَقَمَلُوا^(٥) أَنْ يَطُوفُوا بِهَذَا الْبَيْتِ ، وَاللَّهُ مَا عَلَى هَذَا خَالِفُنَاكُمْ ، وَلَا عَاقِدُنَاكُمْ ، عَلَى أَنْ تَصُدُّوا عَنِ الْبَيْتِ مَنْ جَاءَهُ مُعْظَمًا لِحُرْمَتِهِ مُؤَدِّيًا لِحَقِّهِ . و[ساق]^(٦) الهدى معكوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُخَلَّنَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ ، أَوْ لَأَنْفِرَنَّ بِالْأَحَابِيْشِ نَفْرَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ . فَقَالُوا : كُفَّ عَنَا يَا حُلَيْسٍ حَتَّى نَأْخُذَ لَأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى بِهِ ، وَفِي لَفْظٍ^(٧) اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك ، كُلُّ مَا رَأَيْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ مَكِيدَةٌ .

فقام مِكَرَزُ بَكْسَرِ^(٨) الميم ، وسكون الكاف ، وفتح الرّاء ، بعدها زاي ، ابن حَفْص . فقال : دعوني آتِه . فَلَمَّا طَلَعَ وَرَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قال : « هَذَا رَجُلٌ

(١) أي بالعمرة .

(٢) إضافة عن شرح المواهب ٢ : ١٩٣ .

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١٣ . ومغازي الواقدي ٢ : ٥٩٩ .

(٤) وهو قول الحافظ بن حجر كما في شرح المواهب ٢ : ١٩٣ .

(٥) في الأصول . « قد تفلوا وقلوا » وفي السيرة الخلية ٣ : ١٥ « والرجال قد شعثوا وقلوا » والمثبت

من مغازي الواقدي ٢ : ٥٩٩ .

(٦) سقط في الأصول - والإثبات من مغازي الواقدي ٢ : ٦٠٠ .

(٧) والقولان في السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١٢ .

(٨) هو مكرز بن حفص بن الأحنف من بني عامر ابن لؤي (شرح المواهب ٢ : ١٩٣) .

غَادِرٌ ، وَفِي لَفْظٍ « فَاجِرٌ » فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَلَّمَهُ بِنَحْوِ مَا كَلَّمَهُ بِهِ بُدَيْلًا وَعُرْوَةَ ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ / رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ذكر إرساله - صلى الله عليه وسلم - خراش بن أمية وبعده عثمان بن عفان إلى قريش

قال «محمد بن إسحاق» (١) ومحمد بن عمر وغيرهما : بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى قريش خراش بن أمية على جمل (٢) لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُقَالُ لَهُ الثَّغْلَبُ ، لِيُبَلِّغَ عَنْهُ أَشْرَافَهُمْ بِمَا جَاءَ لَهُ ، فَعَقَرَ عِكْرَمَةَ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ - وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ - الْجَمَلُ ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ فَمَنَعَهُ الْأَحَابِيْشُ ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَمْ يَكِدْ فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَا لَقِيَ .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عُرْوَةَ قَالَ : لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْحُدَيْبِيَّةَ فَرَعَتْ قُرَيْشٌ لِنُزُولِهِ إِلَيْهِمْ ، فَأَحَبَّ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَدَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لِيَبْعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي وَقَدْ عَرَفْتُ قُرَيْشَ عَدَاوَتِي لَهَا ، وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ مَنْ يَمْنَعُنِي ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ . فَلَمْ يَقُلْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْئًا ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكِنِّي أَذْكَ عَلَى رَجُلٍ أَعَزَّ بِمَكَّةَ مِنِّي ، وَأَكْثَرُ عَشِيرَةً وَأَمْنَعُ ، وَأَنَّهُ يَبْلُغُ لَكَ (٣) مَا أَرَدْتُ ، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ . فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عُثْمَانَ فَقَالَ : « أَذْهَبَ إِلَى قُرَيْشٍ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالٍ وَإِنَّمَا جِئْنَا عُمَارًا ،

(١) ما بين الرقین ساقط من ت ، م . والمثبت من ط ويوافقه ابن كثير في السيرة النبوية ٣ - ٣١٨ - حيث يقول : « قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش إلخ » . وانظر مغازی الواقدي ٢ : ٦٠٠ .

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١٤ « وحمله على بعير له » .

(٣) في الأصول « يبلغ ذلك ما أرادت » ولعل الصواب ما أثبتته وهذا اللفظ لم يرد في سيرة النبي لابن هشام

٢ : ٣١٤ ولا في رواية ابن كثير عنه في السيرة النبوية ٣ : ٣١٨ ولا في مغازی الواقدي ٢ : ٦٠٠

وَأَدْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ رِجَالًا بِمَكَّةَ مُؤْمِنِينَ وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٍ فَيَدْخُلَ عَلَيْهِمْ وَيُبَشِّرَهُمْ بِالْفَتْحِ ، وَيُخَبِّرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - وَشَيْكَأً أَنْ يُظْهِرَ دِينَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى لَا يُسْتَحْفَى فِيهَا بِالْإِيمَانِ . فَانْطَلَقَ عُمَانُ إِلَى قُرَيْشٍ فَمَرَّ عَلَيْهِمْ بِبَلَدِهِ فَقَالُوا : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْكُمْ لِأَدْعُوَكُمْ^(١) إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَإِلَى اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَدْخُلُونَ فِي الدِّينِ كَافَّةً ، فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - مُظْهِرُ دِينِهِ وَمُعِزُّ نَبِيِّهِ ، وَآخِرَى : تَكْفُونَ وَيَكُونُ الَّذِي يَلِي هَذَا الْأَمْرَ مِنْهُ غَيْرُكُمْ ، فَإِنَّ ظَفِيرَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَلِكَ مَا أَرَدْتُمْ ، وَإِنْ ظَفِيرَ كُنْتُمْ بِالْخِيَارِ بَيْنَ أَنْ تَدْخُلُوا فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ، أَوْ تُقَاتِلُوا وَأَنْتُمْ وَافِرُونَ جَاهِلُونَ . إِنْ الْحَرْبُ قَدْ تَهَكَّتْكُمْ وَأَذْهَبَتْ الْأُمَائِلَ مِنْكُمْ . وَآخِرَى : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُخَبِّرُكُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، إِنَّمَا جَاءَ مُعْتَمِرًا ، مَعَهُ الْهَدْيُ ، عَلَيْهِ الْقَلَائِدُ يَنْحَرُهُ وَيَنْصَرِفُ .

فَقَالُوا : قَدْ سَمِعْنَا مَا تَقُولُ ، وَلَا كَانَ هَذَا أَبَدًا ، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا عَنُودٌ ، فَارْجِعْ إِلَى صَاحِبِكَ فَاخْبِرْهُ أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْنَا .

وَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ^(٢) - وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَحَبَّبَ بِهِ أَبَانُ وَأَجَارَهُ^(٣) ، وَقَالَ : لَا تَقْصِرْ عَنْ حَاجَتِكَ ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْ فَرَسٍ كَانَ عَلَيْهِ فَحْمَلُ عُمَانَ عَلَى السَّرَجِ وَرَدَفَ^(٤) وَرَأَاهُ وَقَالَ :

أَقْبِلْ وَأَذْبِرْ لَا تَخَفْ أَحَدًا بنو سعيد أعزّة الحرم

١٦٦ و فَدَخَلَ بِهِ مَكَّةَ ، فَاتَى عُمَانُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ / - رَجُلًا رَجُلًا - فَجَعَلُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ : إِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا أَبَدًا ، وَدَخَلَ عَلَى قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءً مُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : قَدْ أَظْلَكُكُمْ حَتَّى لَا يُسْتَحْفَى

(١) فِي مَنَازِلِ الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٦٠٠ « يَدْعُوَكُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ » .

(٢) هُوَ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ (مَنَازِلِ الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٦٠١) .

(٣) فِي الْمَرْجِعِ السَّابِقِ (وَأَجَازَهُ) .

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ . فِي مَنَازِلِ الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٦٠١ « وَرَدَفَهُ »

بمكة اليوم بالإيمان ، ففَرَحُوا بذلك ، وقالوا : أَقْرَأْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -
السَّلامَ .

وَلَمَّا فَرَّغَ عُمَانُ مِنْ رِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى قَرِيشٍ قالوا له :
إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ ، فقال : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ رَسُولُ اللَّهِ
- صلى الله عليه وسلم - وَأَقَامَ عُمَانُ بِمَكَّةَ ثَلَاثًا يَدْعُو قُرَيْشًا .

وقال المسلمون - وهم بالحُلَيْبِيَّةِ ، قبل أَنْ يَرْجِعَ عُمَانُ - : خَلَصَ عُمَانُ مِنْ بَيْنِنَا
إِلَى الْبَيْتِ فَطَافَ بِهِ ، فقال رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « مَا أَظْنُّهُ طَافَ بِالْبَيْتِ
وَنَحْنُ مَحْضُورُونَ » ، وقالوا : وما يمنعه يا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ خَلَصَ إِلَيْهِ قال : « ذَلِكَ ظَنِّي
بِهِ أَلَّا يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ حَتَّى نَطُوفَ » ، وَعِنْدَ ابْنِ جَرِيرٍ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سُلَيْمَةَ بْنِ
الْأَكْوَعِ - مَرْفُوعًا - « لَوْ مَكَثَ كَذَا كَذَا سَنَةً مَا طَافَ حَتَّى أَطُوفَ » فَلَمَّا رَجَعَ عُمَانُ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قال المسلمون له : اِسْتَفْنَيْتَ مِنَ الْبَيْتِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ !!
فقال عُمَانُ : بَشَسَ مَا ظَنَنْتُمْ بِي ! فوالذي نفسى بيده لو مكثتُ مقيمًا بها سَنَةً وَرَسُولُ
اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مقيم بالحُدَيْبِيَّةِ مَا طُفْتُ حَتَّى يَطُوفَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَقَدْ دَعَنْتَنِي قَرِيشٌ إِلَى أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَأَبَيْتُ . فقالوا : كَانَ رَسُولُ
اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَعْلَمَنَا وَأَحْسَنَنَا ظَنًّا .

وكان رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالْحِرَاسَةِ بِاللَّيْلِ ، فَكَانُوا
ثَلَاثَةً يَتَنَاقَشُونَ الْحِرَاسَةَ : أَوْسُ بْنُ خُوَلٍّ - بَفَتْحِ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَالْوَاوِ - وَعَبَادُ
ابْنُ بَشَرٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ عَلَى حَرَسِ
رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي ، وَعُمَانُ بْنُ عَفَّانٍ بِمَكَّةَ . وَقَدْ كَانَتْ
قَرِيشٌ بَعَثَتْ لَيْلًا^(١) خَمْسِينَ رَجُلًا ، عَلَيْهِمْ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ ، وَأَمَرُوهُمْ أَنْ يَطُوفُوا^(٢)
بِالنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - رَجَاءً أَنْ يُصِيبُوا مِنْهُمْ أَحَدًا ، أَوْ يُصِيبُوا مِنْهُمْ غِرَّةً ،

(١) فِي ت ، م « لَيْلَةً » وَالْمَثْبُوتُ مِنْ ط وَيُؤَافِقُهُ مَا فِي مِغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٦٠٢ .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي مِغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٦٠٢ « يَطِيفُوا » وَكَذَلِكَ فِي سِيرَةِ ابْنِ كَثِيرٍ ٣ : ٣١٨ .

فَأَخَذَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، فَجَاءَ بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَقْلَتَ مِكْرَزُ
فَخَبَّرَ أَصْحَابَهُ وَظَهَرَ قَوْلُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ رَجُلٌ غَادِرٌ ،
وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ دَخَلُوا مَكَّةَ بِإِذْنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُمْ :
كُرْزُ بْنُ جَابِرِ الْفِهْرِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ ، وَأَبُو الرَّومِ بْنُ عُمَيْرِ الْعَبْدَرِيِّ ، وَعَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهَشَامُ
ابْنِ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ ، وَأَبُو^(١) حَاطِبِ بْنِ عُمَرُو مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ^(٢) وَعُمَيْرُ بْنُ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ
وَحَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ^(٣) . قَدْ دَخَلُوا مَكَّةَ فِي أَمَانِ عَثْمَانَ ، وَقِيلَ :
سِرًّا ، فَعَلِمَ بِهِمْ فَأَخَذُوا ، وَبَلَغَ قَرِيشًا حَبَسُ أَصْحَابِهِمُ الَّذِينَ مَسَكَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ،
١٦٦ ظ فَجَاءَ جَمْعٌ مِنْ قَرِيشٍ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابِهِ / حَتَّى تَرَامُوا بِالنَّبْلِ
وَالْحِجَارَةِ ، وَأَسَرَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ - أَيْضًا - اثْنِي عَشَرَ فَارِسًا ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
ابْنُ زَيْمٍ - وَقَدْ أَطْلَعَ الثَّانِيَةَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ - فَرَمَاهُ الْمُشْرِكُونَ فَقَتَلُوهُ ، وَبَعَثَ قَرِيشُ
سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَحُوَيْطَبَ بْنَ عَبْدِ الْعُزَّى - وَأَسْلَمَا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَمِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ ، فَلَمَّا
جَاءَ سُهَيْلٌ وَرَأَاهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِأَصْحَابِهِ : سَهْلٌ أَمْرُكُمْ^(٤) فَقَالَ سُهَيْلٌ :
يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الَّذِي كَانَ مِنْ حَبَسِ أَصْحَابِكَ وَمَا كَانَ مِنْ قِتَالٍ مَنْ قَاتَلَكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ
رَأْيِ ذَوِي رَأْيِنَا بَلْ كُنَّا لَهُ كَارِهِينَ حِينَ بَلَغْنَا ، وَلَمْ نَعْلَمْ بِهِ ، وَكَانَ مِنْ سُفْهَائِنَا ،
فَابْعَثْ إِلَيْنَا بِأَصْحَابِنَا الَّذِينَ أَسَرْتَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَالَّذِينَ أَسَرْتَ آخِرَ مَرَّةٍ . فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « إِيَّتِي غَيْرُ مُرْسِلِهِمْ حَتَّى تُرْسِلُوا أَصْحَابِي » ، فَقَالُوا :
أَنْصَفْتَنَا ، فَبَعَثَ سُهَيْلٌ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى قُرَيْشٍ بِالشَّيْئِمِ - بِشَيْنٍ مَعْجَمَةٍ مُصَغَّرٍ - بِنِ عَبْدِ
مَنَافِ التَّيْمِيِّ ، فَبَعَثُوا بِمَنْ كَانَ عَنْدهُمْ : وَهُمْ عَثْمَانُ وَالْعَشْرَةُ السَّابِقُ ذَكَرَهُمْ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ - وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَصْحَابَهُمُ الَّذِينَ أَسَرَهُمْ ، وَقَبِلَ وَصُولَ
عَثْمَانَ وَمَنْ مَعَهُ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ عَثْمَانَ وَمَنْ مَعَهُ قُتِلُوا ، فَكَانَ
ذَلِكَ حِينَ دَعَا إِلَى الْبَيْعَةِ .

(١ ، ٢ ، ٣) إضافة من الواقدي ٢ : ٦٠٣ .

(٤) في مغازي الواقدي ٢ : ١٠٣ « سهل أمرهم » وفي شرح المواهب ٢ : ١٩٤ « قد سهل لكم من أمركم »
وسهل بفتح السين وضم الهاء وعند الدماميني بضم السين وكسر الهاء المشددة .

نكر مبايعته - صلى الله عليه وسلم - بيعة الرضوان وفضل من بايع

قالوا : لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ عَثَانَ قَدْ قُتِلَ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ ، وَقَالَ : « لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ » وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَنَازِلَ بَنِي مَازَنَ بْنِ النُّجَارِ ، وَقَدْ نَزَلَتْ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَعَجَسَ فِي رِحَالِهِمْ تَحْتَ شَجَرَةِ خَضِرَاءَ ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَمَرَنِي بِالْبَيْعَةِ » فَأَقْبَلَ النَّاسُ يَبَايِعُونَهُ حَتَّى تَدَاكَوْا^(١) فَمَا بَقِيَ لِبَنِي مَازَنَ مَتَاعٌ إِلَّا وَطِيُّ ، ثُمَّ لَبَسُوا السَّلَاحَ وَهُوَ مَعَهُمْ قَلِيلٌ ، وَقَامَتْ أُمُّ عِمَارَةَ إِلَى عَمُودٍ كَانَتْ تَسْتَظِلُّ بِهِ فَأَخَذَتْهُ بِيَدِهَا وَشَدَّتْ سَكِينًا فِي وَسْطِهَا

وَرَوَى ابْنُ جُرَيْرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ وَالْبَيْهَقِيِّ عَنْ عُرْوَةَ ، وَابْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ شَيْخِهِ ، قَالَ سَلَمَةُ : بَيْنَا نَحْنُ قَائِلُونَ إِذْ نَادَى مَنَادِي رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أَيُّهَا النَّاسُ الْبَيْعَةُ الْبَيْعَةُ » نَزَلَ رُوحُ الْقُدُسِ فَأَخْرَجُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ « قَالَ سَلَمَةُ : « فَسَرْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ تَحْتَ شَجَرَةِ سَمُرَةٍ^(٢) فَبَايَعَنَاهُ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ قَالَ : فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ ، ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ النَّاسِ قَالَ : « بَايِعْ يَا سَلَمَةُ » قَالَ : قُلْتُ : قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ . قَالَ : « وَأَيْضًا » قَالَ : وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَزَلًا فَأَعْطَانِي حَجَفَةً - أَوْ دَرَقَةً - ثُمَّ بَايَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ قَالَ : « أَلَا تَبَايَعُنِي يَا سَلَمَةُ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ بَايَعْتُكَ فِي أَوَّلِ النَّاسِ ، وَفِي وَسْطِ النَّاسِ ، قَالَ : « وَأَيْضًا » فَبَايَعْتُهُ الثَّلَاثَةَ ، ثُمَّ قَالَ لِي : « يَا سَلَمَةُ أَيْنَ حَجَفَتُكَ - أَوْ دَرَقَتُكَ - الَّتِي أُعْطَيْتُكَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقِينِي عَمَى عَامِرٍ عَزَلًا / فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا ، قَالَ : فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ : « إِنَّكَ ۖ ۱۶۷ وَكَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ : اللَّهُمَّ ابْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْهُ قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، قِيلَ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ

(١) تَدَاكَوْا : أَيِ تَرَاخَمُوا (اللِّسَان) وَفِي مَغَارِي الْوَأَقْدَى ٢ : ٦٠٣ (حَتَّى تَدَارَكَ النَّاسَ) .

(٢) فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ٢٠٧ « شَجَرَةُ سَمُرَةٍ أَوْ أُمِّ غِيلَانَ كَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَازِلًا تَحْتَهَا يَسْتَظِلُّ بِهَا فَبَايَعُوهُ » .

كنتم تبائعون قال : على الموت^(١) . وفي صحيح البخارى عن نافع قال : إن ابن عمر أسلم قبل أبيه ، وليس كذلك ، ولكن عُمَرَ يومَ الحُدَيْبِيَّةِ أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتى به ليقاتل عليه ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يبائع عند الشجرة وعمرُ لا يدرى بذلك ، فبايعه عبد الله ، ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر وعمر يستلثم^(٢) للقتال فأخبره أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يبائع تحت الشجرة ، قال : فإنطلق فذهب معه حتى بايع رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فهى التى يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وفيه أيضاً عن نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الحُدَيْبِيَّةِ تفرقوا في ظلال الشجر فإذا الناس مُحَدِّقُونَ بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال^(٣) عمر : يا عبد الله انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذهب فوجدهم يُبايعونه فبايع ، ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع .

وروى الطبرانى عن عطاء بن أبى رباح قال : قلت لابن عمر : أشهدت بيعة الرضوان مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قالت : فما كان عليه ؟ قال : قميص من قطن ، وجبة محشوة ، ورداء وسيف ، ورأيت النعمان بن مقرن - بميم مضمومة فقفاف مفتوحة فراء مشددة مكسورة - المازنى قائم على رأسه ، قد رفع أغصان الشجرة عن رأسه يبايعونه .

وفي صحيح مسلم عن جابر قال : بايعنا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - وعمر أخذ بيده تحت شجرة - وهى سَمُرَةٌ فبايعناه غير الجد بن قيس الأنصارى اختفى تحت بطن بعيه . وعند ابن إسحاق عن جابر [بن عبد الله^(٤)] : فكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقتة قد خبأ إليها يستتر بها من الناس بايعناه على ألا نفر ، ولم نبايعه على الموت .

(١ - ١) ما بين الرقین سقط ط ، م والإثبات عن ت .

(٢) أى يلبس لأمنه .

(٣ - ٣) ما بين الرقین ساقط من ط والإثبات من ت ، م .

(٤) الإضافة من السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ بها مش الروض الأنف ص ٢٢٩

وفيه - أيضاً - عنه : لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي - صلى الله عليه وسلم - يبايع الناس وأنا رافع غصن من أغصانها عن رأسه ولم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ألا نفرّ .

وروى الطبراني عن ابن عمر ، والبيهقي عن الشعبي ، وابن منده عن زر بن حبیش قالوا : لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ كَانَ أَوَّلَ مَنْ انْتَهَى إِلَيْهِ أَبُو سَنَانِ الْأَسَدِي ، فَقَالَ : ابْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « عَلَامَ تَبَايَعَنِي » قَالَ : عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ . زَادَ ابْنُ عُمَرَ : فَقَالَ النَّبِيُّ : وَمَا فِي نَفْسِي ؟ قَالَ : أَضْرِبُ بِسِيفِي بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى يُظْهِرَكَ اللَّهُ أَوْ أَقْتَلَ . فَبَايَعَهُ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى بَيْعَةِ أَبِي سَنَانٍ .

وروى البيهقي عن أنس وابن إسحاق عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : لما أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببَيْعَةِ الرِّضْوَانِ كَانَ بَعَثَ عُمَانُ - رَسُولُ اللَّهِ - / صلى الله عليه وسلم - إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَبَايَعَ النَّاسَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « اللَّهُمَّ إِنَّ عُمَانَ فِي حَاجَتِكَ وَحَاجَةٌ رَسُولُكَ ، فَضَرْبَ بِلَاحِدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، فَكَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لِعُمَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْدِيهِمْ لِأَنفُسِهِمْ .

وروى البخاري وابن مردويه عن طارق بن عبد الرحمن قال : انطلقتُ حاجاً فمررتُ بِقَوْمٍ يُصَلُّونَ فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : هَذِهِ الشَّجَرَةُ حَيْثُ بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ . فَاتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ سَعِيدٌ : حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيْمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ الْعَامِ الْمَقْبَلِ نَسِينَاهَا فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا ، فَقَالَ سَعِيدٌ : إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَعْلَمُوهَا وَعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ ، فَانْتُمْ أَعْلَمُ .

(١) هو زرين حبیش بن حباشة من أوس الأسدی ، من أسد بن خزيمه ، يكنى أبا حريم أو قيل أبا مطرف . أدرك الجاهلية ولم ير النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو من كبار التابعين ، روى عن عمر وعلى وابن مسعود - رضي الله عنهم - وروى عنه الشعبي والنخعي ، وكان فاضلاً عالماً بالقرآن ، توفي سنة ٨٣ هـ (أسد الغابة ٢ : ٢٠٠) .

وروى ابنُ سعد بسند جيّد عن نافع قال : خرج قومٌ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك بأعوام فما عَرَفَ أَحَدٌ منهم الشجرة ، واختلفوا فيها . قال ابن عمر : كانت رحمة من الله .

وروى ابن أبي شيبة في المصنف وابنُ سعد عن نافع قال : بلغ عمرَ بنَ الخطاب أن ناساً يأتون الشجرة التي بُويع تحتها فيصلُّون عندها فتَوَعَّدُهُمْ ، ثم أمر ففُطِطَتْ .

وروى البخاريّ وابن مردويه عن قتادة قال : قلتُ لسعيد بن المُسيَّب : كم كان الذين شَهِدُوا بيعَةَ الرِّضْوَانِ ؟ قال : خمس عشرة مائة ، قلتُ فإنَّ جابرَ بنَ عبد الله قال : أربع عشرة^(١) مائة ، قال : يرحمه الله تَوَهَّمْ ، هو حدَّثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة .

وروى الشيخان ، وابنُ جرير عن عبد الله بن أبي أُوْفَى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة ، وكانت أسْلَمُ ثُمْنَ المهاجرين .

أَفَادَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ أَسْلَمَ كَانَتْ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ مِائَةَ رَجُلٍ ،

وروى سعيد بن منصور والشيخان عن جابر بن عبد الله قال : كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةَ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ » .

وروى الإمام أحمد ، وأبو دارد ، والترمذي عن جابر بن عبد الله ، ومسلم عن أبي بَشر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » .

وروى الإمام أحمد بسندٍ - رجاله ثقات - عن أبي سعيد الخُدْري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لَا تُوقِدُوا نَارًا بِاللَّيْلِ » فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ : « أَوْقِدُوا وَأَصْطَنِعُوا فَإِنَّهُ لَا يَدْرِكُ قَوْمٌ بَعْدَكُمْ صَاعَكُمْ وَلَا مُدَّكُمْ » .

(١) وانظر الخلاف حول عدد أصحاب رسول الله في هذه الغزوة والتوفيق بين الآراء في شرح المواهب ٢ : ١٨٠

وفي سيرة النبي لابن كثير ٣ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

فلما نظر سُهَيْلُ بن عمرو وَحُوَيْطُبُ بن عبد العُزَّى ، وَمِكْرَزُ بن حَفْص ، ومن كان معهم من عُيُون قريش مِنْ سُرْعَةِ النَّاسِ إِلَى الْبَيْعَةِ وتشميرهم إلى الحرب اشتدَّ رُغْبُهُمْ وخَوْفُهُمْ ، وأسرعوا إلى القضية .

ثم أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن الذي ذُكِرَ من أمر عثمان باطل .

١٦٨ و

/ ذكر الهدنة وكيف جرى الصلح يوم الحديبية

روى ابن إسحاق وأبو عبيد وعبدُ الرزاق والإمام أحمد وعبد بن حميد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن مردويه ، ومحمد بن عمر عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، والشيخان عن سُهَيْل بن حُنَيْف أن عثمان لما قدم من مكة هو ومن معه رجع سُهَيْلُ بن عمرو وَحُوَيْطُبُ وَمِكْرَزُ إلى قريش فأخبروهم بما رأوا من سرعة أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب اشتدَّ رعبهم ، فقال أهل الرأي منهم : ليس خيرٌ من أن نصلح محمداً على أن ينصرف عنا عامه هذا ، ولا يخلص إلى البيت حتى يسمع من سمع بمسيره من العرب أننا قد صددناه ، ويرجع قابلاً فيقيم ثلاثاً وينحر هديته وينصرف ، ويقم ببلدنا ولا يدخل علينا ، فأجمعوا على ذلك . فلما أجمعت^(١) قريش على الصلح والموادعة بعثوا سُهَيْلُ بن عمرو وَحُوَيْطُبُ وَمِكْرَزُ وقالوا لسهيل : ائت محمداً فصالحه وليكن في صلحك ألا يدخل عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوةً فأنى سهيلُ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رآه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا » وفي لفظ : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « سَهْلٌ أَمْرُكُمْ » وجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - متربعا ، وكان^(٢) عَبَادُ بن بَشْرٍ وَسَلَمَةُ بن أسلم بن حَرِيش على رأسه - وهما مُقَنَّعَانِ في الحديد - فبرك سُهَيْلُ على ركبتيه فكلَّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأطال الكلام وتراجعا ، وارتفعت الأصوات وأنخفضت ،

(١) في ط « اجتمعت » والمثبت من ت ، م . ويوافقه ما في منازي الواقدي ٢ : ٦٠٥ .

(٢) في ط (وقام) والمثبت من ت ، م

وقال عباد بن بشر لسهيل : اخفض من صوتك عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون حول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جلوس ، فجرى بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين سهيل القول حتى وقع الصلح على أن توضع الحرب بينهما عشر سنين ، وأن يأمن الناس بعضهم بعضا ، وأن يرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عامه هذا ، فإذا كان العام المقبل قدمها فخلوا بينه وبين مكة ، فأقام فيها ثلاثاً فلا يدخلها إلا بسلاح الراكب والسيوف في القرب لا يدخلها بغيره ، وأنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه - وإن كان على دين محمد - رده إلى وليه ، وأنه من أتى قريشاً ممن اتبع محمداً لم يرده عليه ، وأن بينهم وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عيبة^(١) مكفوفة ، وأنه لا إسلال^(٢) ولا إغلال^(٣) ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل ، فتوالت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتوالت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم .

فكره المسلمون هذه الشروط وأمتعضوا منها ، وأبى سهيل إلا ذلك فلما اصطاحوا^{١٦٨ ط} ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب / إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ألسنت نبي الله حقاً ؟ قال : بلى . قال : ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال : بلى ، قال^(٤) : أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار ؟ قال : بلى . قال : علام نعطي الدنيئة^(٥) في ديننا ؟ ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إني عبد الله ورسوله ولست أعصيه ولن يضيعني وهو ناصرى قال : أو ليس كنت تحدثنا^(٥) أننا سنأتي البيت فنطوف حقاً ؟ قال : « بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه العام ؟ قال : لا : قال : « فإنك آتية ومطوف به » ، فذهب عمر إلى

(١) يريد أن تكف عنا ونكف عنك (هامش مغازى الواقدي ٢ : ٦١١ عن شرح أبي ذر ص ٣٤١).

(٢) الإسلال : السركة ، والإغلال : الحيانة (المرجع السابق).

(٣) سقط في الأصول . والمثبت عن شرح المواهب ٢ : ٢٠٤ .

(٤) الدنية : أصلها الدنيئة بالهمزة ولكن خففت ، وهي صفة لمخوف : أي الحالة الدنيئة الخسيسة (المرجع

السابق) .

(٥) كذا في ط ، ت وكذا شرح المواهب ٢ : ٢٠٤ - وفي م « تحدثني »

أبي بكر^(١) مُتَغَيِّظًا ولم يضبر ، فقال : يَا أَبَا بَكْرٍ : أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟ قال : بلى . قال : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟ قال : بلى . قال : فَعَلَّامٌ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمْ يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؟ قال : أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ ، وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغُرْزِهِ^(٢) حَتَّى تَمُوتَ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَلَى الْحَقِّ . وفي لفظ فَإِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ . فقال عمر : وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، قال : أَوْ لَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّهُ سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ ؟ قال : بلى أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَام ؟ قال : لا . قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ^(٣) بِهِ . فَلَقِيَ عُمَرُ مِنْ هَذِهِ الشُّرُوطِ أَمْرًا عَظِيمًا . وقال كما في الصحيح : وَاللَّهِ مَا شَكَّكْتُ مِنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا يَوْمِيذٍ ، وَجَعَلَ يَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْكَلَامَ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَلَا تَسْمَعُ يَا أَبْنِ الْخَطَابِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ مَا يَقُولُ ، تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَاتَّهِمَ رَأْيِكَ ، قَالَ عُمَرُ : فَجَعَلْتُ أَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ حَيَاءً فَمَا أَصَابَنِي شَيْءٌ قَطُّ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَمِلْتُ بِذَلِكَ أَعْمَالًا - أَيْ صَالِحَةً - لَتَكْفُرَ عَنِّي مَا مَضَى مِنَ التَّوَقُّفِ فِي أَمْتِثَالِ الْأَمْرِ أَبْتِدَاءً كَمَا عِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ^(٤) وَابْنِ عُمَرَ الْأَسْلَمِيِّ . قَالَ عُمَرُ : فَمَا زِلْتُ أَتَصَدَّقُ وَأُصُومُ وَأُصَلِّي وَأَعْتِقُ مِنَ الَّذِي صَنَعْتُ يَوْمِيذٍ مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا .

وروى البزار عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : اتهموا الراى على الدين فلقد رأيتنى أَرُدُّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِرَأْيِي ، وَمَا أَلَوْتُ عَلَى الْحَقِّ ، قَالَ : فَرَضَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَبَيْتُ حَتَّى قَالَ : « يَا عُمَرُ تَرَانِي رَضِيفٌ وَتَأْبَى » .

(١) قدم المصنف هنا سؤال عمر للنبي - صلى الله عليه وسلم - على سؤاله لأبي بكر موافقاً بذلك مغازى الواقدي ٦٠٦ : ٢ أما في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣١٧ . والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٦٨ ، فقد قدم فيها سؤاله لأبي بكر على سؤاله للنبي - صلى الله عليه وسلم .

(٢) الفرز : للرحل بمنزلة الركاب للسر والمراد : الزم أمره (هامش مغازى الواقدي ٢ : ٦٠٦ عن شرح أبي ذر ص ٢٤١) .

(٣) كذا في ط ، ت . وفي م وتطوف به .

(٤) عرض شرح المواهب ٢ : ٢٠٥ موقف عمر - رضى الله عنه - وسببه وعذره وما قاله وعمله بسبب ذلك .

فقال سهيل : هَاتِ ؛ اَكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كِتَاباً ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلِيّاً - كما في حديث البراء عند البخارى في كِتَابِ الصُّلْحِ وكتاب الجزية ، ورواه إسحاق بن راهويه من حديث المسور ومروان ، وأحمد ، والنسائي ، والبيهقي والحاكم - وَصَحَّحَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ ^(١) ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « اَكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، فَقَالَ سُهَيْلٌ - وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ - أَمَّا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى مَا هُوَ ، وَلَكِنْ اَكْتُبْ بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ اَكْتُبُ ^(٢) فِي قَضِيَّتِنَا مَا نَعْرِفُ . فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : وَاللَّهِ لَا تَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « اَكْتُبْ بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ » ثُمَّ قَالَ : « هَذَا ١٦٩ وَمَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ / رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ ، اَكْتُبْ فِي قَضِيَّتِنَا مَا نَعْرِفُ ، اَكْتُبْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِعَلَى امْحَهُ ، فَقَالَ عَلَى : مَا أَنَا بِالَّذِي « أَمْحَاهُ » ^(٣) وَفِي لَفْظِ « أَمْحَاكَ » وَفِي حَدِيثِ مُحَمَّدٍ ^(٤) ابْنُ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ : فَجَعَلَ عَلَى يَتَلَكَّأُ ، وَأَبَى أَنْ يَكْتُبَ إِلَّا مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : اَكْتُبْ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهَا تُعْطِيهَا وَأَنْتَ مُضْطَهَدٌ ^(٥) . انتهى .

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَسِيدَ بْنِ الْحُصَيْنِ وَسَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ أَخْذًا بِبَيْدِ عَلَى ^(٦) وَمَنْعَاهُ

(١) هو عبد الله بن مغفل بن مقرن المزني ذكره ابن فتحون في ذيل الاستيعاب ، ولم يذكره مستنداً لذكره في الصحابة . وقال ابن قتيبة : ليست له صحبة ولا إدراك . وذكره في التابعين ابن سعد والمجلى والبخارى وابن حبان وغيرهم (الإصابة ٣ : ٢٤٢) .

(٢) يوجد هنا بياض في الأصول بمقدار ثلاث كلمات . ولكن السياق متصل ويتفق مع ما في شرح المواهب ٢ : ١٩٥ .

(٣) في شرح المواهب ٢ : ١٩٦ « وأما بالالف لغة في أمحوه بالواو ، وفيه لغة ثالثة أمحيه كما في المختار - ولم يذكرها المصباح .

(٤) لفظ (محمد) ساقط من

(٥) في شرح المواهب ٢ : ١٩٦ « وأنت مضطر : يشير إلى ما وقع لعل يوم الحكين ، فإنه لما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه على أمير المؤمنين أرسل معاوية يقول لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين قلته أمحها واكتب ابن أبي طالب فقال على : الله أكبر مثل بمثل أمحها » .

(٦) عبارة الواقدي في المغازي ٢ : ٦١١ « أخذنا بيد الكاتب فأسكاهها وقالوا : لا تكتب إلا محمد رسول الله وإلا فالسيف بيننا » .

أَنْ يَكْتُبَ إِلَّا « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » ، وَإِلَّا فَالْسَيْفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، فَأَرْتَفَعَتْ^(١) الْأَصْوَاتُ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُخَفِّضُهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ بِإِيْدِهِمْ : اسْكُتُوا . فَقَالَ : أَرْنِيهِ^(٢) ، فَأَرَاهُ إِيَّاهُ فَمَحَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ وَقَالَ : اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . قَالَ الزَّهْرِيُّ : وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَسْأَلُونَنِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ بِهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَسَهِيلٌ عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ ، فَتَطُوفَ ، فَقَالَ سَهِيلٌ : لَا وَاللَّهِ لَا تَحْدُثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضَغْطَةً^(٣) ، وَلَكِنْ لَكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، فَكُتِبَ . فَقَالَ سَهِيلٌ : عَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا أَحَدٌ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيٍّ - وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَيْكُتَبُ هَذَا ؟ كَيْفَ يَرُدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : نَعَمْ^(٤) إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ جَاءَ مِنْهُمْ إِلَيْنَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا .

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَفَّلٍ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، وَالنَّسَائِيِّ ، وَالْحَاكِمِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ ، قَالَ^(٥) قَبِينَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا ثَلَاثُونَ شَابًّا عَلَيْهِمُ السَّلَاحُ فَشَارَوْا^(٥) إِلَى وُجُوهِنَا ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخَذَ اللَّهُ بِأَيْمَانِهِمْ - وَلَفَظُ الْحَاكِمِ بِأَبْصَارِهِمْ - فَقُمْنَا إِلَيْهِمْ فَأَخَذَنَا هُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « هَلْ جِئْتُمْ فِي عَهْدٍ أَحَدٍ وَهَلْ جَعَلْ لَكُمْ أَحَدٌ أَمَانًا ؟ » فَقَالُوا : لَا . فَخَلَّى سَبِيلَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ^(٦) 》 .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ ، وَمُسْلِمٌ ، وَالثَّلَاثَةُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ « الْحُدَيْبِيَّةِ » هَبَطَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابِهِ

(١) ف ت ، م « وارتفعت » .

(٢) أى أرنى مكانها أى كلمة رسول الله - شرح المواهب ٢ : ١٩٦ .

(٣) ضغطة : أى قهرا . والضبط من شرح المواهب ٢ : ١٩٩ ، وشرح المفردات .

(٤) « قال » هذا اللفظ من ط .

(٥) كذا فى ط ، ت . وفى م « فشاروا » .

(٦) آية ٢٤ من سورة الفتح .

فَمَانُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي السَّلَاحِ مِنْ قِبَلِ جَبَلِ التَّنْعِيمِ يُرِيدُونَ غِرَّةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَدَعَا عَلَيْهِمْ ، فَأَخْلَوْا فَعَفَا عَنْهُمْ .

وروى عبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة قال : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُقَالُ لَهُ ابْنُ زُنَيْمٍ أَطْلَعَ الثَّغِيَّةَ « يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ » فَرَمَاهُ الْمُشْرِكُونَ فَقَتَلُوهُ ، فَبَعَثَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خِيَلًا ، فَأَتَوْا بِأَتْنِي عَشَرَ فَارِسًا ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « هَلْ لَكُمْ عَهْدٌ أَوْ ذِمَّةٌ ؟ » قَالُوا : لَا . فَأَرْسَلَهُمْ .

١٦٩ ط وروى الإمام أحمد / ، وعبد بن حميد ، ومسلم ، عن سلمة بن الأكوع . رضى الله عنه قال : إِنَّ الْمَشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَرْسَلُونَا فِي الصُّلْحِ فَلَمَّا أَصْطَلَحْنَا وَأَخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ أَتَيْتُ شَجَرَةً فَأَضْطَجَعْتُ فِي ظِلِّهَا ، فَاتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنْ مُشْرِكِي أَهْلِ مَكَّةَ ، فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَبْغَضَهُمْ وَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى ، فَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ وَأَضْطَجَعُوا ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي يَاللَّهُمَّ هَاجِرِينَ ، قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ فَأَخْتَرَطْتُ سِيفِي فَأَشْتَدَدْتُ عَلَى أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ ، فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ^(١) ، وَجَعَلْتُهُ فِي يَدِي ، ثُمَّ قُلْتُ : وَالَّذِي كَرَّمَتْ وَجْهَهُ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِي عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسْوَقَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجَاءَ عَمِّي عَامِرُ بَرَجَلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُقُودُهُ حَتَّى وَفَّقَنَاهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : دَعَوْهُمْ يَكُونُ لَهُمْ بَدَأُ الْفُجُورِ وَثَنِيَاهُ فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ^(٢) ﴾ فَبَيْنَمَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَبُو جَنْدَلٍ^(٣) - بِالْجَيْمِ وَالنُّونِ

(١) فِي ت « سِلَاحَهُمْ » .

(٢) الْآيَةُ ٢٤ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ .

(٣) أَبُو جَنْدَلٍ وَاسْمُهُ الْعَامِصِيُّ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهِيلَ بْنِ عَمْرٍو ، وَإِسْلَامُهُ سَابِقٌ عَلَى إِسْلَامِ أَبِيهِ لِأَنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا

كَأَجَاهٍ فِي السِّيرَةِ الْحَلَبِيَّةِ ٢ : ١٦ .

وزن جَعْفَر - بن سهيل ابن عمرو يَرْسُفُ في قُبُودِهِ قد خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ أَبُوهُ سُهَيْلٌ قَدْ أَوْثَقَهُ فِي الْحَدِيدِ وَسَجَنَهُ ، فَخَرَجَ مِنَ السَّجَنِ وَاجْتَنَبَ الطَّرِيقَ وَرَكِبَ الْجَبَالَ حَتَّى أَتَى « الْحُدَيْبِيَّةَ - فقام إليه المسلمون يُرْحَبُونَ بِهِ وَيُهَنِّئُونَهُ ، فلما رآه أَبُوهُ سُهَيْلٌ قام إليه فَضْرَبَ وَجْهَهُ^(١) بغصن شوك وأخذ بتلبسته^(٢) ثم قال : يا محمد ، هَذَا أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدَ » قَالَ فَوَاللَّهِ إِذَا لَا أَصَالِحُكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا . قال : « فَأَجِزْهُ^(٣) لِي » قال : مَا أَنَا بِمُجِيزُهُ^(٣) لَكَ . قال : « بَلَى فافْعَلْ » . قال : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . فقال مِكْرَزٌ وَحُوَيْطُبٌ : بَلَى قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ . فأتخذه فأدخله فُسْطَاطًا فَأَجَازَاهُ وَكَفَّ عَنْهُ أَبُوهُ . فقال أَبُو جَنْدَلٍ أَى معاشر المسلمين أَرَدُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ ؟ وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا ، فرفع رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صوته وقال : يَا أَبَا جَنْدَلٍ ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلَكُم مَعَكُمْ مِنَ الْمُسْتَضَعْفِينَ فِرْجًا وَمَخْرَجًا ، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا مَعَ الْقَوْمِ صُلْحًا وَأَعْطَيْنَاهُمْ وَأَعْطَوْنَا عَلَى ذَلِكَ عَهْدًا ، وَإِنَّا لَا نَغْدِرُ » ومشى عمر بن الخطاب إلى جنبِ أَبِي جَنْدَلٍ ، وقال له : اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّمَا هُمُ الْمُشْرِكُونَ وَإِنَّمَا دَمٌ أَحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ ، وَجَعَلَ عُمَرُ يُدْنِي قَائِمَ السَّيْفِ مِنْهُ . قال عمر : رَجَوْتُ أَنْ يَأْخُذَ السَّيْفَ فَيَضْرِبَ بِهِ أَبَاهُ . قال فَضَنُّ الرَّجُلُ بِأَبِيهِ .

وقد كان أصحابُ رسولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد خَرَجُوا وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي الْفَتْحِ لِرُؤْيَا رسولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ / - ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنَ الصُّلْحِ وَالرَّجُوعِ ١٧٠ و وما تحمل عليه رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في نفسه دَخَلَ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ

(١) في ط فضر به في وجهه « والمثبت عن ت ، م ويوافقه ما في شرح المواهب ٢ : ٢٠١ .

(٢) كذا في الأصول . ويوافقه ما في السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٣١ جهامش الروض الأنف ، ونهاية الأرب للتويرى ١٧ : ٢٣٢ . وفي مغازى الواقدي ٢ : ٦٠٨ - وأخذ بلبسته « وفي شرح المواهب ٢ : ٢٠١ » وأخذ بتلبسته ، وقال البرهان أى جمع عليه ثوبه الذى هو لابسه وقبض عليه نحره .

(٣) كذا في الأصول . وفي مغازى الواقدي ٢ : ٦٠٨ « أجره لى قال ما أنا بمجيره وجاء في شرح المواهب ٢ : ٢٠١ فاجزه بالجيم والزاي بصيغة فعل الأمر من الإجازة ، أى امض لى فعلى فيه ولا أردّه إليك أو استتته من القضية ووقع في الجمع للحميدى بالراء ، ورجح ابن الجوزى الزاي .

أَمْرٌ عَظِيمٌ حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ . فَرَادَهُمْ أَمْرُ أَبِي جَنْدَلٍ عَلَى مَا بِهِمْ ، وَنَفَذَتِ الْقَضِيَّةُ وَشَهِدَ عَلَى الصَّلَاحِ رِجَالُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلٍ بْنُ عَمْرِو . وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَمَحْمُودُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَكَرَّزُ بْنُ حَفْصٍ وَهُوَ مُشْرِكٌ .

فلما فَرَغَ من قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ أَحْلِقُوا » فَوَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَ : « هَلَكَ الْمُسْلِمُونَ . أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَنْحَرُوا وَيَحْلِقُوا فَلَمْ يَفْعَلُوا » . وَفِي رِوَايَةٍ : « أَلَا تَرَيْنَ إِلَى النَّاسِ أَمْرُهُمْ بِالْأَمْرِ فَلَا يَفْعَلُونَهُ - وَهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامِي وَيَنْظُرُونَ وَجْهِي » . فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا تَلْسُهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ دَخَلَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ مِمَّا أَدْخَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي أَمْرِ الصَّلَاحِ ، وَرُجُوعُهُمْ بِخَيْرٍ فَتُحْ فَتُح يَا نَبِيَّ اللَّهِ اخْرُجْ وَلَا تَكَلِّمْ أَحَدًا كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُو حَالِقَكَ^(١) فَيَحْلِقَكَ فَجَلَى^(٢) اللَّهُ - تَعَالَى - عَنِ النَّاسِ بِأُمِّ سَلَمَةَ - فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَضْطَبَعَ^(٣) بِثَوْبِهِ ، فَخَرَجَ فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ وَيَمَمَ^(٤) هَدْيِهِ وَأَهْوَى بِالْحَرْبَةِ إِلَى الْبُذْنِ رَافِعًا صَوْتَهُ « بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ » وَنَحَرَ ، فَتَوَاتَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْهَدْيِ وَازْدَحَمُوا^(٥) عَلَيْهِ يَنْحَرُونَهُ حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقَعُ^(٦) عَلَى بَعْضٍ ، وَأَشْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي الْهَدْيِ ، فَتَنَحَّرَ الْبَدَنَةُ عَنْ سَبْعَةٍ ، وَكَانَ هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) فِي ت ، م « بِحَالِقِكَ » وَالمُثَبِّتُ مِنْ ط وَيُؤَافِقُهُ مَا فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ٢٠٨ .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ بِالْجِيمِ وَاللَّامِ وَالْيَاءِ وَفِي الْمَرْجِعِ السَّابِقِ « فَجَلَا » بِاللَّامِ وَالْأَلِفِ .

(٣) اضْطَبَعَ : أَخَذَ ثَوْبَهُ فَجَعَلَ وَسْطَهُ تَحْتَ إِبْطِهِ الْأَيْمَنِ وَأَلْقَى طَرْفِيهِ عَلَى كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ مِنْ جِهَةِ الصَّدْرِ

الْنَهَائَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ ٣ : ١٢ .

(٤) كَذَا فِي ط ، فِي ت ، م « يَنْهَم » وَكَذَا فِي مِغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٦١٣ . وَهُمْ الرِّجَالُ بِمَعْنَى زَجَرِهَا (الصَّحَاحُ

٢٠٤٧) .

(٥) فِي ط « وَانْجَحَمُوا » وَالمُثَبِّتُ عَنْ ت ، م وَيُؤَافِقُهُ مَا جَاءَ فِي مِغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥١٣ .

(٦) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ٢٠٩ « حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا » وَفِي مِغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٦١٣

« حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يَنْهَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا » وَفِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ لِلتَّوِيرِيِّ ١٧ : ٢٣٣ « حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا نَعْمَا » .

وسلم - سبعين بَدَنَةً ، وكان الَهْدِيُّ دُونَ الْجِبَالِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى وَادِي الثَّنِيَّةِ ، فلما صَدَّهَ الْمُشْرِكُونَ رَدَّ وَجْهَهُ الْبُذْنَ .

قال ابن عباس : لما صُدَّتْ عَنِ الْبَيْتِ حَنْتٌ كَمَا تَحِنُّ إِلَى أَوْلَادِهَا . رواه الإمام أحمد والبيهقي . فَنَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بُذْنَهُ حَيْثُ حَبَسُوهُ وَهُوَ الْحَدِيبِيَّةُ ، وَشَرَّدَ جَمَلَ أَبِي جَهْلٍ مِنَ الْهَدْيِ وَهُوَ يَرْعَى وَقَدْ قَلَدَ وَشَعَرَ . وَكَانَ نَجِيبًا مَهْرِيًّا فِي رَأْسِهِ بُرَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، أَهْدَاهُ لِيَغِيزَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ ، فَمَرَّ مِنَ الْحَدِيبِيَّةِ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى دَارِ أَبِي جَهْلٍ بِمَكَّةَ ، وَخَرَجَ فِي أَثَرِهِ عَمْرُو بْنُ عَنَمَةَ بْنِ عَدِيٍّ لِأَنْصَارِيٍّ ، فَأَبَى سَفَهَاءُ مَكَّةَ أَنْ يُعْطَوْهُ حَتَّى أَمَرَهُمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو بِدَفْعِهِ إِلَيْهِ ، قِيلَ : وَتَفَعَّلُوا فِيهِ عِدَّةٌ نِيَّاقٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « لَوْلَا أَنْ سَمِيتَنَاهُ فِي الْهَيْئَةِ فَعَلْنَا » ، وَنَحَرَهُ عَنْ سَبْعَةِ ، وَنَحَرَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ . وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ ، بُذْنَاتٍ سَاقَوْهَا .

وروى ابن سعد عن أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : نَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَبْعِينَ بَدَنَةً عَامَ الْحَدِيبِيَّةِ ، الْبَدَنَةُ عَنْ سَبْعَةِ ، وَكُنَّا يَوْمَئِذٍ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةَ . وَمَنْ لَمْ يَضْحَ أَكْثَرَ مِنْ ضَحْيٍ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُضْطَرِبًا^(١) فِي الْحُلِّ وَإِنَّمَا يُصَلِّي فِي الْحَرَمِ / . وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ هَذِهِ بَعْشَرِينَ بَدَنَةً ١٧٠ ظ لِيَتَنَحَرَ عَنْهُ عِنْدَ « الْمَرْوَةِ » مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ نَحْرِ الْبُذْنِ دَخَلَ قَبَّةَ لَهُ مِنْ آدَمَ حِمْرَاءَ^(٢) وَدَعَا بِخِرَاشٍ - بِمَعْجَمَتَيْنِ - بَنَ أُمَيَّةَ بْنَ الْفَضْلِ الْكَعْبِيَّ ، فَحَلَقَ رَأْسَهُ وَرَمَى شَعْرَهُ عَلَى شَجَرَةٍ كَانَتْ إِلَى جَنْبِهِ مِنْ سَمَرَةِ خَضِرَاءَ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ الشَّعْرَ مِنْ فَوْقِ الشَّجَرَةِ فَيَتَحَاصُّونَهُ^(٣) ، وَأَخَذَتْ أُمُّ عِمَارَةَ طَاقَاتٍ مِنْ شَعْرِهِ فَكَانَتْ تَغْسِلُهَا لِلْمَرِيضِ وَتَسْقِيهِ فَيَبْرَأُ ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا .

(١) مضطربا . فسرت في هامش سيرة النبي لابن كثير ٣ : ٣٢٢ أن خيامه كانت مقامة في الحل « وكذلك في هامش مغازي الواقدي ٢ : ٦١٤ وعزا التفسير لشرح أبي ذر ص ٣٤٢ .

(٢) حمراء : كذا في ت ، م ومغازي الواقدي ٢ : ٦١٥ . وفي ط « آدم أحمر » .

(٣) أي يتقاسمونه (القاموس المحيط) .

وَحَلَقَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ وَقَصَرَ بَعْضُ ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
رَأْسَهُ مِنْ قَبْطِهِ وَهُوَ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ الْمُحْلِقِينَ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالْمُقْصِرِينَ قَالَ :
« رَحِمَ اللَّهُ الْمُحْلِقِينَ ثَلَاثًا » . ثُمَّ قَالَ وَ « الْمُقْصِرِينَ » .

وروى ابن أبي شَيْبَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْمُحْلِقِينَ
ظَاهَرَتْ^(١) عَلَيْهِمُ التَّرْحِيمُ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ لَمْ يَشْكُوا . وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مَوْقُوفًا .

وَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى رِيحًا عَاصِفَةً فَأَحْتَمَلَتْ أَشْعَارَهُمْ فَأَلْقَتْهَا فِي الْحَرَمِ كَمَا رَوَاهُ
ابْنُ سَعْدٍ عَنْ مَجْمَعِ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِيهِ ، وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
« بِالْحُدَيْبِيَّةِ تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَيُقَالُ عَشْرِينَ لَيْلَةً ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، وَابْنُ سَعْدٍ .
قَالَ ابْنُ عَائِذٍ : وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي غَزْوَتِهِ هَذِهِ شَهْرًا وَنِصْفًا .

نَكَرَ رَجُوعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنُ سَعْدٍ ، وَالْبَيْهَقِيُّ ،
وَالْحَاكِمُ عَنْ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَالْبِزْزَارِ ، وَالطَّبْرَانِيِّ ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي خَنْبَسٍ
الْغَفَّارِيِّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو عَنْ شَيْوْخِهِ ، يَزِيدُ بْنُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا أَنْصَرَفَ مِنْ « الْحُدَيْبِيَّةِ » نَزَلَ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ ثُمَّ نَزَلَ « بِسُفْيَانَ »
وَأَرْمَلُوا^(٢) مِنَ الزَّادِ ، فَشَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوا
مِنَ الْجُوعِ الْجَهْدَ ، وَفِي النَّاسِ ظَهَرَ ، فَقَالُوا : نَنْحِرُهُ^(٣) يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَنَدَّهْنُ مِنْ شُحُومِهِ
وَنَتَّخِذُ مِنْ جُلُودِهِ أَخْنِيَةَ^(٤) فَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ عُمَرُ
ابْنُ الْخَطَّابِ فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَفْعَلْ ،
فَإِنْ يَكُنْ فِي النَّاسِ بَقِيَّةٌ ظَهَرَ يَكُنْ أَمْثَلُ ، كَيْفَ بِنَا إِذَا نَحْنُ لَقِينَا الْعَدُوَّ غَدًا

(١) أَيْ أَظْهَرَتْ التَّرْحِمَ لِلْمُحْلِقِينَ دُونَ الْمُقْصِرِينَ (السِّيرَةُ الْخَلْبِيَّةُ ٣ : ٢٧) وَفِي ت « ظَاهَرَتْ لَهُمْ » وَفِي
نَهَايَةِ الْأَرْبِ ١٧ : ٢٣٣ « فَلَمْ تَظْهَرِ التَّرْحِمُ عَلَى الْمُحْلِقِينَ دُونَ الْمُقْصِرِينَ ؟ » .

(٢) أَرْمَلُوا : نَفَذَ زَادَهُمُ (الصَّحَاحُ) .

(٣) كَذَا فِي ط . وَفِي ت ، م « نَحْرُ » وَفِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٦١٦ « فَتَنْحَرُ »

(٤) كَذَا فِي ط . وَفِي ت ، م وَفِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٦١٦ « حِذَاءُ »

جِبَاعاً رَجَالاً ؟ ! ولكن إن رَأَيْتَ أَنَّ تَدْعُو النَّاسَ بِبَقَايَا أَزْوَاجِهِمْ فَتَجْمَعُهَا ثُمَّ تَدْعُو فِيهَا بِالْبَرَكَةِ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَبْلُغُنَا بِدَعْوَتِكَ ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - النَّاسَ بِبَقَايَا أَزْوَاجِهِمْ وَبَسَطَ نِطْعاً فَجَعَلَ النَّاسُ يَجِثُونَ بِالْحَفْنَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَفَوْقَ ذَلِكَ ، فَكَانَ أَغْلَاهُمْ مَنْ جَاءَ بِصَاعِ تَمْرٍ ، فَاجْتَمَعَ زَادُ الْقَوْمِ عَلَى النُّطْعِ ، قَالَ سَلَمَةُ : فَتَطَاوَلْتُ لِأَحْرَرِكُمْ هُوَ فَحَرَرْتَهُ كَرِبْضَةٍ ^(١) عَنَزَ وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَدَعَا بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُو ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ حَشَوْا أَوْعِيَتَهُمْ ، وَبَقِيَ مِثْلُهُ ، فَضَحَكَ / رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ١٧١ و قَالَ : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَلْقَى اللَّهُ - تَعَالَى - عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِهِمَا إِلَّا حُجِبَ مِنَ النَّارِ » .

ثُمَّ أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي ^(٢) الرَّحِيلِ ، فَلَمَّا أَرْتَحَلُوا أَمْطَرُوا ^(٣) مَا شَاءُوا وَهُمْ صَائِفُونَ ، فَتَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَزَلُوا ، فَشَرِبُوا مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ ،

ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَخَطَبَهُمْ ، فَجَاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَجَلَسَ اثْنَانِ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذَهَبَ وَاحِدٌ مُعْرِضاً ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الثَّلَاثَةِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : أَمَّا وَاحِدٌ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَتَابَ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، أَمَّا الثَّالِثُ فَأَعْرَضَ . فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ » .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عُرْوَةَ قَالَ : قَفَلَ ^(٤) رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَاجِعاً فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا هَذَا يَفْتَحُ ، لَقَدْ صُدِدْنَا

(١) أى كقدر العنز وهى رابضة (السيرة الحلبية ٣ : ٥٨) ، وشرح المفردات .

(٢) فى مغازى الواقدي ٢ : ٦١٦ « بالرحيل »

(٣) فى المرجع السابق « مطروا » .

(٤) كذا فى ط ، وفى ت ، م « أقبل » ويوافقهما شرح المواهب ٢ : ٢١١ .

عن البَيْتِ وَصَدَّ هَدْيُنَا . وَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَا خَرَجَا إِلَيْهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ : « يَتَسَنَّسُ الْكَلَامُ ، بَلْ هُوَ أَعْظَمُ الْفَتْحِ ، قَدْ رَضِيَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَدْفَعُوا بِالرَّاحِ عَنْ بِلَادِهِمْ . وَيَسْأَلُوكُمُ الْقَضِيَّةَ ، وَيَرْغَبُونَ إِلَيْكُمْ فِي الْأَمَانِ ؛ وَلَقَدْ رَأَوْا مِنْكُمْ مَا كَرِهُوا ، وَأَخْفَرَكُمْ اللَّهُ - تعالى - عَلَيْهِمْ وَرَدَّكُمْ سَالِمِينَ مَأْجُورِينَ فَهُوَ أَعْظَمُ الْفَتْحِ ، أَنْسَيْتُمْ يَوْمَ أُحُدٍ ؟؟ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ، وَأَنَا أَذْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ !! أَنْسَيْتُمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ ؟ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا !! فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : صدق الله ورسوله ، فهو أَعْظَمُ الْفُتُوحِ ، وَاللَّهُ يَأْتِي اللَّهَ مَا فَكَّرْنَا فِيمَا فَكَّرْتَ فِيهِ ، وَلَآنْتَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَبِالْأُمُورِ (١) منا .

نكر نزول سورة الفتح و مرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم وما ظهر في ذلك من الآيات

روى الإمام أحمد ، والبخارى ، والترمذى ، والنسائى ، وابن حبان وابن مردويه عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي سَفَرٍ يَعْنِي « الْحَدِيبِيَّةَ » فَسَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ ، فَقَامْتُ فِي نَفْسِي : فَكَلِمَتُكَ أُمْلَكَ يَا أَبْنَا الْخَطَّابِ ، نَزَرْتُ (٢) رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْكَ ، فَحَرَكْتُ بَعِيرِي ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ النَّاسِ ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ ، فَمَا نَشِيتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ نَزَلَ فِي شَيْءٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ (٣) .

(١) رواية شرح المواهب ٢ : ٢١١ « ولأنت أعلم بالله وبأمره منا » .

(٢) الضبط من شرح غريب رجوعه - صلى الله عليه وسلم - ونزول سورة الفتح . وقد ضبط اللسان بفتح الزاى مع التخفيف . والمعنى ألحمت عليه في المسألة إلحاحاً (اللسان ٧ : ١٢١ وفي مغازى الواقدي ٢ : ٦١٧ « نذرت » بالذال أخت الدال .

(٣) الآيتان ١ ، ٢ من سورة الفتح . والمراد كما في السياق إنزال السورة كلها .

وروى ابنُ أبي شَيْبَةَ والإمامُ أحمدُ ، وابنُ سعد ، وأبو داود ، وابنُ جرير ، وابن المنذر ، والحاكم - وصححه - ابنُ مَرْدَوَيْهِ ، والبيهقي في الدلائل / ، عن مُجَمِّع^(١) بن ١٧١ ط جَارِيَةَ الأنصاري - رضى الله عنه - قال : شَهِدْنَا « الحديبية » مع رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَلَمَّا انْصَرَفْنَا عَنْهَا إِلَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ إِذَا النَّاسُ يَوْجِفُونَ^(٢) الْأَبَاعَ ، فقال النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا لِلنَّاسِ ؟ قالوا : أَوْحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَخَرَجْنَا مع النَّاسِ نَوْجِفُ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - على رَاحِلَتِهِ عند « كُرَاعِ الْغَمِيمِ » فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) فقال رَجُلٌ^(٣) من أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أو هو فَتَحَ ؟ فقال : « أَيْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ فَتَحَ » زاد ابنُ سَعْدٍ : فلما نَزَلَ بها جَبْرِيلُ قال : ليهنئك يا رسول الله ، فلما هَنَأَهُ جَبْرِيلُ هَنَأَهُ النَّاسُ .

وروى عبد الرزاق والإمام أحمد ، وابن أبي شَيْبَةَ ، وعبد بن حُمَيْد ، والشيخان والترمذي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والحاكم عن أنس - رضى الله عنه - قال : لما رجعنا من « الحديبية » قال رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « أُنْزِلَتْ عَلَيَّ ضُحَى^(٤) آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا » ثَلَاثًا - قُلْنَا - وَفِي لَفْظٍ قَالُوا - هَنِئًا مَرِيئًا لك يا رسول الله فقد بين الله لك مَاذَا يَفْعَلُ بِكَ ، فَمَاذَا يَفْعَلُ بِنَا ؟ فنزلت ، وَفِي لَفْظٍ فنزلت عليه : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾^(٥) حَتَّى بَلَغَ (فَوْزًا عَظِيمًا) .

(١) مجمع بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة - ابن جارية - بالجيم والراء - ابن عامر الأنصاري الأوسى المدني الصحابي . المتوفى في خلافة معاوية . روى له الترمذي وأبو داود وابن ماجه وانظر شرح المواهب ٢ : ٢١٠ .

(٢) يوجفون : يسرعون السير ، وفي نهاية الأرب ١٧ : ٢٣٤ « يهزون الأباعر ينشطونها بالجداء لتخف وتسرع في سيرها » .

(٣) في نهاية الأرب ١٧ : ٢٣٥ « فقال عمر : « أو فتح هو يا رسول الله » .

(٤) وفي رواية الموطأ « أنزلت على الليلة سورة » شرح المواهب ٢ : ٢١٠ .

(٥) آية ه من سورة الفتح .

وروى ابنُ أبي شَيْبَةَ ، والإمامُ أحمد ، والبخارى فى تاريخه ، وأبو داود والنسائى ، وابن جرير ، وغيرهم عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : « أَقْبَلْنَا مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ » مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فَبَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذْ أَتَاهُ الْوَحْيُ ، وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ اشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَسُرِّيَ عَنْهُ وَبِهِ مِنَ السُّرُورِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَأَخْبَرْنَا أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) .

١٧٢ وروى البيهقى من طريق المسعودى عن جامع بن / شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : لما أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - من « الحديبية » جَعَلَتْ نَاقَتُهُ تَثْقُلُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) فَأَدْرَكْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - من السُّرُورِ مَا شَاءَ ، فَأَخْبَرْنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ عَرَّسَ بِنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « مَنْ يَحْرُسُنَا ؟ » فَقُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : « إِنَّكَ تَنَامُ » ثُمَّ قَالَ : « مَنْ يَحْرُسُنَا » فَقُلْتُ : أَنَا . فَقَالَ : أَنْتَ ، فَحَرَسْتُهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَ وَجْهُ الصُّبْحِ أَدْرَكَنِي قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « إِنَّكَ تَنَامُ » ، فَمَا اسْتَيْقَظْتُ إِلَّا بِالشَّمْسِ ، فَلَمَا اسْتَيْقَظْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « إِنَّ اللَّهَ لَوْ شَاءَ أَنْ لَا تَنَامُوا عَنْهَا^(١) لَا تَنَامُوا ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِمَنْ بَعْدَكُمْ ، ثُمَّ قَامَ فَصَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ ، ثُمَّ قَالَ : « هَكَذَا لِمَنْ نَامَ أَوْ نَسِيَ مِنْ أُمَّتِي » ثُمَّ ذَهَبَ الْقَوْمُ فِي طَلِبِهِمْ رَوَاحِلَهُمْ فَجَاءُوا بِنِ غَيْرِ رَاحِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « اذْهَبْ هَاهُنَا » وَوَجَّهَنِي وَجْهًا فَذَهَبْتُ حَيْثُ وَجَّهَنِي فَوَجَدْتُ زِمَامَهَا قَدْ اتَّوَى بِشَجَرَةٍ مَا كَانَتْ تَحِلُّهَا الْأَيْدَى . قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : كَذَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ : إِنْ ذَلِكَ كَانَ حِينَ أَقْبَلُوا مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، ثُمَّ رَوَى مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ - وَنَاهِيكَ بِهِ عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عُلْقَمَةَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ الْمَسْعُودِيِّ

(١) فى ت ، م « لَنْ تَنَامُوا » والمثبت من ط .

بذكر الحُدَيْبِيَّةِ تاريخ نزول السَّورَةِ حين أَقْبَلُوا مِنَ الحُدَيْبِيَّةِ فقط ، ثم ذكر معه حديث التَّوَمِ عن الصَّلَاةِ ، وحديث الرَّاحِلَةِ ، وكانا في غَزْوَةِ تَبُوكَ قلتُ لم يَنْفَرْدُ المَسْعُودِيُّ بِذلك ، قال ابن أبي شَيْبَةَ في المَصْنُفِ : حدثنا منذر عن شعبة عن جامع بن شَدَادَ بِهِ ، ولا مانع من التعدد .

نكر قدوم أبي بصير على رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
ورده إليهم وما حصل له ولأصحابه من الفرج

رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَالْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ
عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَتَاهُ أَبُو بَصِيرٍ عُتْبَةُ — بضم العين المهملة —
ابن أُسَيْدٍ — بوزن أمير — بن جارية — بجيم — الثَّقَفِيُّ ، حليف بني زُهْرَةَ — مُسْلِمًا قَدْ
أَفْلَتَ مِنْ قَوْمِهِ — فَسَارَ عَلَى قَدَمَيْهِ سَعْيًا ، فَكَتَبَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ ، وَأَزْهَرُ بْنُ
عَبْدِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — كِتَابًا وَبَعَثَا خُنَيْسَ — بِمَعْجَمَةٍ
وَنُونٍ وَآخِرُهُ مَهْمَلَةٌ — مُصَغَّرَ — ابْنِ جَابِرٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ ، اسْتَأْجَرَاهُ بِبَكْرٍ ابْنِ لَبُونٍ ،
وَحَمَلَاهُ عَلَى بَعِيرٍ ، وَكَتَبَا يَذْكُرَانِ الصَّلَاحَ الَّذِي بَيْنَهُمْ ، وَأَنْ يَرُدُّوهُ إِلَيْهِمْ أَبَا بَصِيرٍ ،
فَخَرَجَ الْعَامِرِيُّ وَمَعَهُ مَوْلًى لَهُ يُقَالُ لَهُ كَوَثَرٌ دَلِيلًا ، فَقَدِمَا بَعْدَ أَبِي بَصِيرٍ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
فَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ كَعْبٍ الْكِتَابَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَإِذَا فِيهِ : قَدْ عَرَفْتَ
مَا شَارَطْنَاكَ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَنَا مِنْ^(١) رَدِّ مَنْ قَدِمَ عَلَيْكَ مِنْ أَصْحَابِنَا فَاْبْعَثْ
إِلَيْنَا بِصَاحِبِنَا . فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَبَا بَصِيرٍ أَنْ يَرْجِعَ مَعَهُمْ ، وَدَفَعَهُ إِلَيْهِمَا
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرُدُّنِي إِلَى الْمَشْرِكِينَ يَفْتَنُونَنِي فِي دِينِي ؟ فَقَالَ : « يَا أَبَا بَصِيرٍ
إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، وَلَا يَصْلُحُ لَنَا فِي دِينِنَا الْعُدْرُ ، وَإِنَّ اللَّهَ — تَعَالَى
جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرُدُّنِي إِلَى

(١) بعد هذه الكلمة بياض بمقدار كلمتين ، ولكن الكلام متصل كما في مغازي الواقدي ٢ : ٦٢٥ .

المشركين !!؟ قال : « انْطَلِقْ يَا أَبَا بَصِيرٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا » فخرج معهما ، وجعل المسلمون يُسِرُّونَ إِلَى أَبِي بَصِيرٍ : يَا أَبَا بَصِيرٍ أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا ، وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ ، فَأَفْعَلْ وَافْعَلْ : يَأْمُرُونَهُ بِقَتْلِ اللَّذَيْنِ مَعَهُ ، وَقَالَ لَهُ عَمْرٌ : أَنْتَ رَجُلٌ ، وَمَعَكَ السِّيفُ ، فَأَنْتَ هَاهُنَا بِعِنْدِ صَلَاةِ الظُّهْرِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ ، فَصَلَّى أَبُو بَصِيرٍ فِي مَسْجِدِهَا رَكْعَتَيْنِ ؛ صَلَاةَ الْمَسَافِرِ ، وَمَعَهُ زَادٌ لَهُ مِنْ تَمَرٍ يَحْمِلُهُ ؛ يَأْكُلُ مِنْهُ . وَدَعَا الْعَامِرِيُّ وَصَاحِبَهُ لِيَأْكُلَا مَعَهُ فَقَدَمَا سُفْرَةَ فِيهَا كِسْرٌ فَأَكَلُوا جَمِيعًا ، وَقَدْ عَلَّقَ الْعَامِرِيُّ سَيْفَهُ فِي الْجِدَارِ وَتَحَادَثَا . وَلَفْظُ عُرْوَةَ : فَسَلَّ الْعَامِرِيُّ سَيْفَهُ ثُمَّ هَزَّهُ فَقَالَ : لَا أَضْرِبَنَّ بِسَيْفِي هَذَا فِي الْأَوْسِ وَالخَزَرَاجِ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ .

١٧٢ ظ فقال له أبو بصير / : أَصَارِمُ سَيْفُكَ هَذَا ؟ قال : نعم ، قال : ناولنيه أنظر إليه إن شئت ، فناوله إِيَّاهُ ، فَلَمَّا قَبِضَ عَلَيْهِ ضَرَبَهُ بِهِ حَتَّى بَرَدَ . قال ابن عقبة : ويقال بل تناول أبو بصير السَّيْفَ بِفِيهِ وَصَاحِبُهُ نَائِمٌ ، فَقَطَعَ إِسَارَهُ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِهِ حَتَّى بَرَدَ ، وَطَلَبَ الْآخِرَ فَجَمَزَ^(١) مَذْعُورًا مُسْتَخْفِيًا ، وَفِي لَفْظٍ : وَخَرَجَ كَوَثْرُ هَارِبًا يَعْدُو نَحْوَ الْمَدِينَةِ وَهُوَ عَاضٌ عَلَى أَسْفَلِ ثَوْبِهِ قَدْ بَدَأَ طَرَفُ ذِكْرِهِ ، وَالْحَصَى يَطِيرُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ مِنْ شِدَّةِ عَدُوِّهِ ، وَأَبُو بَصِيرٍ فِي أَثَرِهِ ، فَأَعْجَزَهُ وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ رَأَاهُ : « لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « وَيَحَكَ مَالِكَ » قَالَ : قَتَلَ وَاللَّهِ صَاحِبِيَّكُمْ صَاحِبِي وَأَقْلَبْتُ مِنْهُ وَلَمْ أَكْدَ ، وَإِنِّي لَمُقْتُولٌ . وَأَسْتَغَاثَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَقْبَلَ أَبُو بَصِيرٍ فَبَأْنَاخَ بِعِيرِ الْعَامِرِيِّ . وَدَخَلَ مَتَوَشِّحًا سَيْفَهُ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ وَقَفْتُ ذِمَّتُكَ وَأَدَّى اللَّهُ عَنْكَ ، وَقَدْ أَسْلَمْتَنِي بِيَدِ الْعَدُوِّ ، وَقَدْ آمَنْتَنِي بِدِينِي مِنْ أَنْ أُفْتَنَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « وَيَلِ أُمَّهُ مِسْعَرٌ^(٢) حَرْبٍ » وَفِي لَفْظٍ « مِحْشَسٌ^(٣) حَرْبٍ » ، لَوْ كَانَ مَعَهُ

(١) فجمز : أى عدا وأسرع (نهاية الأرب ١٧ : ٢٤٦) .

(٢) مسعر حرب : موقدها ، يتعجب النبي - صلى الله عليه وسلم - من شجاعته وجراته وإقدامه (نهاية الأرب

١٧ : ٢٤٦ ، وانظر شرح غريب قديم أبي بصير .

(٣) محش الحرب : مسمرها ومهيجه (مغازي الواقدي ٢ : ٦٢٦ ، وشرح المفردات) .

رجالاً» وفي لفظ له أحد. قال عُرْوَة ومحمد بن عمر : وَقَدَّمَ سَلْبَ الْعَامِرِيِّ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِيُخَمِّسَهُ ، فَقَالَ : « إِنِّي إِذَا خَمَسْتُهُ رَأَوْنِي لَمْ أُوفِ لَهُمْ بِالَّذِي عَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ شَأْنُكَ بِسَلْبِ صَاحِبِكَ ، وَأَذْهَبَ حَيْثُ شِئْتَ » وفي الصحيح أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « وَيَلَّ أُمَّهُ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَحَدٌ عَرَفَ أَنَّهُ سِيرْدُهُ ، فَخَرَجَ أَبُو بَصِيرٍ وَمَعَهُ خَمْسَةٌ كَانُوا قَدَمُوا مَعَهُ مُسْلِمِينَ مِنْ مَكَّةَ حِينَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمْ يَكُنْ طَلِبَهُمْ أَحَدٌ حَتَّى قَدَمُوا سَيْفَ الْبَحْرِ ، وَلَمَّا بَلَغَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو قَتْلُ أَبِي بَصِيرٍ الْعَامِرِيَّ اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَا صَالِحَنَا مُحَمَّدًا عَلَى هَذَا . فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : قَدْ بَرَأَ مُحَمَّدٌ مِنْهُ أَقْدَ أَمَكُنْ صَاحِبَكُمْ مِنْهُ فَقَتَلَهُ بِالطَّرِيقِ ، فَمَا عَلَى مُحَمَّدٍ فِي هَذَا ؟ فَاسْتَدَّ (١) سُهَيْلُ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أُؤَخِّرُ ظَهْرِي حَتَّى يُودَى هَذَا الرَّجُلُ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ : إِنَّ هَذَا لَهُوَ السَّفَهَ ، وَاللَّهُ لَا يُودَى ثَلَاثًا - وَأَنْتَى (٢) قُرَيْشٌ تَدِيهِ وَإِنَّمَا بَعَثْتُهُ بَنُو زُهْرَةَ ؟ فَقَالَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ : وَاللَّهُ مَا تَدِيهِ ، مَا قَتَلْنَاهُ وَلَا أَمَرْنَا بِقَتْلِهِ ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مُخَالَفٌ (٣) فَأَرْسَلُوا إِلَى مُحَمَّدٍ يَدِيهِ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ : لَا ، مَا عَلَى مُحَمَّدٍ دِيَّةٌ وَلَا غُرْمٌ قَدْ بَرَأَ مُحَمَّدٌ . مَا كَانَ عَلَى مُحَمَّدٍ أَكْثَرَ مِمَّا صَنَعَ ، فَلَمْ تَخْرُجْ لَهُ دِيَّةٌ فَأَقَامَ أَبُو بَصِيرٍ وَأَصْحَابُهُ بِسَيْفِ (٤) الْبَحْرِ ، وَقَالَ ابْنُ شَهَابٍ : بَيْنَ الْعِيصِ وَذِي الْمَرْوَةِ مِنْ أَرْضِ جُهَيْنَةَ عَلَى طَرِيقِ عَيْرَاتِ قُرَيْشٍ .

قال محمد بنُ عمر (٥) : لما خرج أبو بصير لم يكن معه إلا كَفٌّ تَمَرٍ فَأَكَلَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَصَابَ حَيْثَانًا قَدْ أَلْقَاهَا الْبَحْرُ بِالسَّاحِلِ فَأَكَلَهَا ، وَبَلَغَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ قَدْ حُبِسُوا بِمَكَّةَ خَبِيرُ أَبِي بَصِيرٍ ، فَتَسَلَّلُوا إِلَيْهِ .

(١) كافي رواية ابن إسحاق (السيرة النبوية بن هشام ٢ : ٣٢٤) .

(٢) ما بين الحاصرتين من (مغازي الواقدي ٢ : ٦٢٨) .

(٣) أي مخالف لديننا (مغازي الواقدي ٣ : ٦٢٨) .

(٤) سيف البحر ؛ أي ساحله (شرح المواهب ٢ : ٢٠٣) وفي نهاية الأرب ١٧ : ٢٤٦ « حتى نزلوا بين العيص وذى المروة من أرض جهينة على طريق عيرات قريش مما يلي سيف البحر » وفي السيرة النبوية لابن هشام طريق مكة إذا قصدوا الشام وهو يحاذي المدينة إلى جهة الساحل (شرح المواهب ٢ : ٢٠٣) .

(٥) انظر مغازي الواقدي ٢ : ٦٢٧ .

قال محمد بنُ عمر : كان عمر بنُ الخطاب هو الذي كَتَبَ إليهم بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لِأَبِي بصير « وَيَلُ أُمِّهِ مِحْشَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ » ١٧٣ و أخبرهم / أَنَّهُ بِالسَّاحِلِ ، وَأَنْفَلَتْ أَبُو جَنْدَلُ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو الَّذِي رَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِالْحَدِيثِيَّةِ ، فَخَرَجَ هُوَ وَسَبْعُونَ رَاكِبًا رَمْنًا أَسْلَمُوا فَلَحَقُوا بِأَبِي بصير ، وَكَرِهُوا أَنْ يَقْدُمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي هَذَنَةِ الْمُشْرِكِينَ ، وَكَرِهُوا الثَّوَاءَ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمِهِمْ ، فَنَزَلُوا مَعَ أَبِي بصير ، وَلَمَّا قَدِمَ أَبُو جَنْدَلُ عَلَى أَبِي بصير سَلَّمَ لَهُ الْأَمْرَ ؛ لِكَوْنِهِ قُرَشِيًّا فَكَانَ أَبُو جَنْدَلُ يَوْمُهُمْ ، وَاجْتَمَعَ إِلَى أَبِي جَنْدَلُ - حِينَ سَمِعَ بِقُدُومِهِ - نَاسٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ وَأَسْلَمَ وَجُهِينَةَ ، وَطَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى بَلَغُوا ثَلَاثِمِائَةً (١) مَقَاتِلَ - كَمَا عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ - لَا تَمُرُّ بِهِمْ عِيرٌ لِقَرِيشٍ إِلَّا أَخَذُوهَا وَقَتَلُوا مَنْ فِيهَا ، وَضَيَّقُوا عَلَى قَرِيشٍ ، فَلَا يَظْفَرُونَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلُوهُ .

ومما قاله أَبُو جَنْدَلُ بْنُ سُهَيْلٍ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ :

أَبْلَغُ قُرَيْشًا عَنْ أَبِي جَنْدَلٍ أَنَّا بَذَى الْمَرْوَةَ فِي السَّاحِلِ (٢)
فِي مَعْشَرٍ تَخَفَقَ رَايَاتُهُمْ بِالْبَيْضِ فِيهَا وَالْقَنَا الذَّابِلِ (٣)
يَأْبُونَ أَنْ تَبْقَى لَهُمْ رُفْقَةٌ مِنْ بَعْدِ إِسْلَامِهِمُ الْوَاصِلِ
أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مَخْرَجًا وَالْحَقُّ لَا يُغْلَبُ بِالْبَاطِلِ
فَيَسْلُمُ الْمَرْءُ بِإِسْلَامِهِ وَيُقْتَلُ الْمَرْءُ وَلَمْ يَأْتَلِ

فَأَرْسَلَتْ قَرِيشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ يَسْأَلُونَهُ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَى أَبِي بصير وَأَبِي جَنْدَلٍ وَمَنْ مَعَهُمْ ، وَقَالُوا مَنْ خَرَجَ مِنَّا إِلَيْكَ فَأَمْسِكْهُ فَهُوَ لَكَ حَلَالٌ غَيْرُ حَرَجٍ أَنْتَ فِيهِ . وَقَالَ : فَإِنْ هَؤُلَاءِ الرِّكَبُ قَدْ فَتَحُوا

(١) كَذَا جَزَمَ ابْنُ عَقْبَةَ فِي مَغَازِيهِ ، وَلَا يَنْصَحُاقُ : بَلَغُوا سَبْعِينَ . وَلَأَبِي الْمَلِيحُ : أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ ، وَجَزَمَ عُرْوَةَ بِأَنَّهُمْ بَلَغُوا سَبْعِينَ ، وَلَكِنْ السَّجِيلُ زَعَمَ أَنَّهُمْ بَلَغُوا ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ . وَانْظُرْ (شَرْحُ الْمَوَاهِبِ ٢ : ٢٠٣ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٧ : ٢٤٧ - فِي السَّيْرَةِ الْخَلِيبَةِ « بَلَغُوا ثَلَاثِمِائَةَ » ٣ : ٣٢ .

(٢) انْظُرْ مَعَانِيَ مَفْرَدَاتِ قَصِيدَةِ أَبِي جَنْدَلٍ فِي شَرْحِ الْمَفْرَدَاتِ .

(٣) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ ١٧ : ٢٤٧ « الذَّبَلُ » .

عَلَيْنَا بَابًا لَا يَصْلَحُ إِقْرَارُهُ ، فَكُتِبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى أَبِي بَصِيرٍ وَأَبِي جَنْدَلٍ يَأْمُرُهُمَا أَنْ يَقْدُمَا عَلَيْهِ ، وَيَأْمُرَ مِنْ مَعَهُمَا مِمَّنْ اتَّبَعَهُمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ فَلَا يَتَعَرَّضُوا لِأَحَدٍ مَرَّ بِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ وَعَيْرَاتِهَا ، فَقَدِمَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى أَبِي بَصِيرٍ وَهُوَ يَمُوتُ . فَجَعَلَ يَقْرُؤُهُ ، وَمَاتَ وَهُوَ فِي يَدَيْهِ ، فَدَفَنَهُ أَبُو جَنْدَلٍ مَكَانَهُ ، وَجَعَلَ عِنْدَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا .

وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ناس من أصحابه ورجع سائرهم إلى أهلهم ، وأمنت بعد ذلك عيرات قريش .

قال عروة : فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلِمَ الَّذِينَ كَانُوا أَشَارُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَمْنَعَ أَبَا جَنْدَلٍ مِنْ أَبِيهِ بَعْدَ الْقَضِيَّةِ أَنَّ طَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَيْرٌ لَهُمْ فِيهَا أَحَبُّوا وَفِيهَا كَرِهُوا مِنْ رَأْيِ مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَهُ قُوَّةَ هِيَ أَفْضَلُ مِمَّا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الْفُوزِ وَالْكَرَامَةِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَامَ الْقَضِيَّةِ وَحَاقَ رَأْسَهُ قَالَ : « هَذَا الَّذِي وَعَدْتُكُمْ » .

ولمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ أَخَذَ الْمِفْتَاحَ وَقَالَ : « أَذْعُوا لِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ . فَقَالَ : « هَذَا الَّذِي قُلْتُ لَكُمْ » .

ولمَّا كَانَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ وَقَفَ بِعُرْفَةٍ وَقَالَ : « أَيُّ عَمْرِو هَذَا الَّذِي قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاللَّهُ مَا كَانَ فَتْحٌ فِي الْإِسْلَامِ أَعْظَمَ مِنْ صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَكَانَ النَّاسُ قَصَرَ رَأْيُهُمْ عَمَّا كَانَ / ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ : مَا كَانَ ١٧٣ ظ فَتْحٌ فِي الْإِسْلَامِ أَعْظَمَ مِنْ صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَكَانَ النَّاسُ قَصَرَ رَأْيُهُمْ عَمَّا كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبَيْنَ رَبِّهِ ، وَالْعِبَادُ يَعْجَلُونَ ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - لَا يَعْجَلُ لِعِجَالَةِ الْعَبْدِ^(١) حَتَّى يَبْلُغَ الْأُمُورَ مَا أَرَادَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ

(١) فِي « الْعِبَادِ » .

قائماً عند المنحر يُقَرَّبُ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بُدْنَه ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ينحَرُها بيده ، ودعا الحلاقَ فَحَلَقَ رأسَه ، فانظر إلى سهيل يلقط ^(١) من شعره ، وأراه يضعه على عينيه ، وأذكرُ امتناعه أن يُقَرَّ يومَ الحُدَيْبِيَّةِ بأنَّ يُكْتَبَ : « بسم الله الرحمن الرحيم » فَحَمِلْتُ الله - تعالى - الذي هداه للإسلام .

* * *

نكر ما أنزل الله سبحانه وتعالى في شأن غزوة الحديبية : قال الله سبحانه وتعالى « انا فتحنا لك فتحا مبينا »

بيئاً وظاهراً ، وهذا إخبارٌ عن صلح الحُدَيْبِيَّةِ ، وسمَّاهُ فَتْحًا لأنه كانَ بعد ظُهُورِهِ على المشركين حتَّى سَأَلُوهُ الصُّلْحَ ، وتسبب عنه فتح مكة ، وفَرَّغَ به - صلى الله عليه وسلم - لسائر العرب فغزاهم ، وفتَحَ مواضعَ .

ورَوَى البخاري عن أنس - رضى الله عنه - في الآية قال : الفتحُ صلحُ الحُدَيْبِيَّةِ .

ورَوَى أيضاً عن البراء رضى الله عنه - قال : تَعُدُّونَ أنتم الفتحَ فتحَ مكة ، وقد كان فتحُ مكة فتحاً ، ونحن نَعُدُّ الفتحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يومَ الحُدَيْبِيَّةِ .

قال الحافظ رحمه الله يعنى ^(٢) قوله تعالى : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) وهذا موضع وقع فيه اختلافٌ قديم : والتحقيق : أنه يختلف باختلاف المراد من الآيات . فقوله - تعالى : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) المرادُ بالفتح هنا الحُدَيْبِيَّةُ ؛ لأنها كانت مَبْدَأَ الفتح المبين على المسلمين لما تَرَتَّبَ على الصلح الذى وَقَعَ من الأمن ورفع الحرب وتمكَّنَ مَنْ كان يَحْشَى الدخولَ فى الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك ، كما وقع لخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص وغيرهم ، ثم تبعت الأسباب بعضها بعضاً ، إلى أن كمل الفتح .

(١) كذا فى الأصول - وفى السيرة الحلبية ٣ : ٣٢ « فانظر إلى سهيل كلما يلقط من شعره صلى الله عليه وسلم يضمه

على عينيه . »

(٢) ينظر قول الحافظ فى شرح المواهب ٢ : ٢١٠ .

قال الزُّهْرِيُّ : لم يكن في الإسلام فتحٌ قبل فتح الحُدَيْبِيَّةِ أعظم منه^(١) إنما كان الكفر حيث القتال^(٢) ، فَلَمَّا أَمِنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، كُلَّم بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، ولم يُكَلِّمْ أَحَدٌ بالإسلام يعْقِلُ شيئاً إلاَّ بَادَرَ إلى الدخول فيه ، فلقد دَخَلَ في تينك السَّنَتَيْنِ مثل مَنْ كان دَخَلَ في الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : : ويدل عليه أنه - صلى الله عليه وسلم - خرج في الحديبية في ألف وأربعمائة ، ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة في عشرة آلاف انتهى .

وأما قوله - تعالى - في هذه السُّورَةِ : (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) فالمرادُ به فتح خيبر على الصحيح ؛ لأنها وقعت فيها المغنم الكثيرة ، وقسمت خيبر على أهل الحُدَيْبِيَّةِ ، وأما قوله - تعالى : (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) فالمرادُ به الحُدَيْبِيَّةِ ، وأما قوله - تعالى : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) وقوله - صلى الله عليه وسلم « لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ » فالمرادُ به فتحُ مكة باتِّفاق^(٣) ، فبهذا / يرتفع الإشكال^(٤) وتجتمع الأقوال بعَوْنِ اللَّهِ . ١٧٤ و

وقال في موضع آخر : ومما ظهر من مصلحة الصلح المذكور غير ما ذكره الزُّهْرِيُّ ، أنه كان مقدمة بين يَدَيِ الْفَتْحِ الأعظم الذي دَخَلَ النَّاسُ عَقِبَهُ في دين الله أفواجا » فكانت الهدنة معناها كذلك ، وَلَمَّا كانت قصة الحُدَيْبِيَّةِ مقدمةً للفتح سُجِّيتْ فَتْحًا ؛ لِأَنَّ الْفَتْحَ في اللغةِ فَتْحُ مُغْلَقٍ ، وَالصَّلْحُ كَانَ مُغْلَقًا حَتَّى فَتَحَهُ اللَّهُ - تعالى . وكان من أسباب فتحه صدَّ المسلمين عن البيت ، فكان في الصورة الظاهرة ضِيمًا للمسلمين ، وفي الصورة الباطنة عِزًّا لهم ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لِأَجْلِ الْأَمْنِ الذي وقع بينهم اختلاط بعضهم ببعض من غير نكير ، وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين ، وكانوا قبل لا يتكلمون عندهم بذلك إلاَّ خفية . وظاهر مَنْ كان يُخْفِي إسلامه ،

(١) لفظ منه إضافة على الأصول من شرح المواهب ٢ : ٢١١ . والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٢٢ .

(٢) كذا في الأصول . وفي شرح المواهب ٢ : ٢١١ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٢٢ « إنما كان القتال حيث التقى الناس » .

(٣) أي باتفاق الآية والحديث كما في شرح المواهب ٢ : ٢١١

(٤) قاله الحافظ ابن حجر كما في المرجع السابق .

فَذَلَّ الْمُشْرِكُونَ مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا الْعِزَّةَ ، وَقَهَرُوا مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا الْغَلَبَةَ ، (لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) اللام للعلّة الغائيّة ، جعل الغفران علة للفتح من حيث أنّه سَبَبٌ عن جهاد الكُفَّار والسَّعي في إعلاء الدين ، وإزاحة الشُّرك وتكميل النفوس الناقصة قَهْرًا ؛ ليصيرَ ذلك بالتدرّيج اختياريًا ، وتخليص الضّعفة من أيدي الظلمة ، وتقدّم الكلام على هذه الآية في أواخر تنبيهات المعراج ، ويأتى له تيمّة في الخصائص (وَيُتِمُّ) بالفتح المذكور (نِعْمَتُهُ) إنعامه بإعلاء الدين وضم المملوك إلى النبوة (عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ) في تبليغ الرسالة وإقامة مراسيم الديانة (صِرَاطًا) طريقاً (مُسْتَقِيمًا) يُثَبِّتُكَ عَلَيْهِ ، وهو دين الإسلام (وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ) به (نَصْرًا عَزِيزًا) ذا عِزٍّ لَا دُلَّ مَعَهُ (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ) الثِّبَاتَ وَالطَّمَأْنِينَةَ (فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ) حتى يثبتوا ، حتى لا تفلق النفوس وتدحض الأقدام (لِيَزِدَّادُوا إِيمَانًا) يقيناً (مَعَ إِيْمَانِهِمْ) يقينهم برسوخ العقيدة وأطمئنان النفس عليها ، أو أنزل فيه السكون إلى ما جاء به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم (لِيَزِدَّادُوا إِيمَانًا) بالشرائع (مَعَ إِيْمَانِهِمْ) بالله واليوم الآخر (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) في صنعه ، أى لم يزل مُتَّصِفًا بذلك ، ثم ذكر - تعالى - القصة في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي أصحابه حتى أنتهى إلى ذكر البيعة فقال عزَّ وجلَّ (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) ببيعة الرضوان بالحُدُوبِية (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) أى ما يبايعون أحداً إلا الله ، أى ليست تلك المبايعة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل مع الله - تعالى - وَكَمَا رُوِيتَ الْمُشَاكَلَةُ بين قوله : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) وبين قوله (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) بنى عليها قوله (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) على سبيل الاستعارة التخيلية تنمياً لمعنى المشاكلة ، وهو كالترشيح للاستعارة ، أى إذا كان الله - تعالى - مُبَايَعًا ، ولابدَّ للمبايع - كما تقرّر واشتهر - من الصّفة لليد فتخيّل اليد لتأكيد المشاكلة ، وإلّا ، فَجَلَّ جَنَابُهُ الْأَقْدُسُ عن الجارحة ، والمعنى أَنَّ اللَّهَ ١٧٤ ظ - تعالى - مُطَّلِعٌ على مبايعتهم فيجازيهم عليها / (فَمَنْ نَكَثَ) نَقَضَ البيعة (فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) يرجع وبال نقضه على نفسه (وَمَنْ أَوْفَى) ثبت (بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ) فى

مبايعته (فَسَوَّيْتِهِ) بالفوقية والنون (أَجْرًا عَظِيمًا) وهو الجنة ، ثم ذكر تعالى ما المنافقون يَعْتَلُونَ به إذا لَقُوا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فقالَ تبارك وتعالى : (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ) من الأعراب حول المدينة ، الذين خَلَفَهُم الله - تعالى - عن صحبتك لَمَّا طلبتهم لِيَخْرُجُوا معك إلى مكة ، خَوْفًا من تَعَرُّضِ قريش لك عام الحُدَيْبِيَّةِ إذا رجعتَ منها (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) عن الخروج معك (فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) الله - تعالى - من ترك الخروج معك ، قال سبحانه وتعالى مكذباً لهم (يَقُولُونَ بِالسَّيْنَةِ) أى من طلب الاستغفار والاعتذار (مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) فهم كاذبون فى اعتذارهم (قُلْ فَمَنْ) استفهام بمعنى التثنية ، أى لا أحد (يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا) بفتح الضاد - ما يضركم كقتل ، واخلل فى المال والأهل وعقوبة عن التخلف - وبضمها - أى [الهزال وسوء الحال] ^(١) (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا) ما يصاد ذلك ؛ لأنهم ظنوا أن تخلفهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدفع عنهم الضرر ، ويعجل لهم النفع بالسلامة فى أنفسهم وأموالهم ، فأخبرهم تبارك وتعالى أنه إن أَرَادَ بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحداً على دفعه (بَلْ) هنا وفيما يأتى للانتقال من غرض إلى آخر (كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا) أى ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون ، (وَزَيْنَ ذَلِكَ) عَدَمُ الانقلاب (فِي قُلُوبِكُمْ) فتمكنَ فيها (وَظَنَنْتُمْ ظَنُّ السَّوِّ) هذا وغيره (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) بواو وراء جمع بائر أى هالكين عند الله - تعالى - بهذا الظن (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا) أعدنا وهيئنا ^(٢) (لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) ناراً شديدة (وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يديره كيف يشاء (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) إذ لا وُجُوبَ عليه (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) ولم يزل مُتَّصِفًا بذلك ، ثم ذكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إذا انطلقوا

(١) بياض فى الأصول بمقدار ثلاث كلمات . والمثبت من لسان العرب ٦ : ١٢٣ وقد جاء فيه « الضر بالضم الاسم دون المصدر ، وهو الهزال وسوء الحال ، وقوله عز وجل (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه) وقوله (كان لم يدعنا إلى ضره) فكل ما كان من سوء الحال وفقر أو شدة فى بدن فهو ضر ، وما كان ضد النفع فهو ضر » .
(٢) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين والمثبت من اللسان .

إلى مغنم ليأخذوها أَلْتَمَسَ المخلفون الخروجَ لِعَرِضٍ مِنَ الدُّنْيَا ، فقال تبارك وتعالى .
(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ) المذكورون (إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغْنَمٍ لِتَأْخُذُوهَا) هى مغنم خيبر ؛
فإنه - صلى الله عليه وسلم - لما رجع من الحُدَيْبِيَّةِ أَقَامَ بالمدينة مدة ثم غزا خيبر
بمن شَهِدَ الحُدَيْبِيَّةَ ففتحها ، وَغَنِمَ أموالاً كثيرة فخصَّها بهم (ذَرُونَا) اتركونا
(نَتَّبِعْكُمْ) لناخذ منها (يُرِيدُونَ) بذلك (أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) وقرأ حمزة والكسائي
بكسر الكاف ، وهو جمع كَلَامٍ - أى مواعيده بغنائم خيبر أَهْلَ الحُدَيْبِيَّةِ خاصةً
(قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا) ننى بمعنى النهى (كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) أى مِنْ قَبْلُ
عودنا (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا) أَنْ نُصِيبَ معكم من الغنائم فقلتم ذلك (بَلْ
كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) يعلمون من الدين (إِلَّا قَلِيلًا) منهم (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ)
١٧٥ و المذكورين أختياراً (سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ) أصحاب (شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ) / حال
مُتَدَرِّةٌ - هى المدعو إليها فى المعنى (أَوْ) هم (يُسَلِّمُونَ) فلا يقاتلون (فَإِنْ تَطِيعُوا)
إلى قتالهم (يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا) هو الغنيمة فى الدنيا ، والجنة فى الآخرة (وَإِنْ
تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ) عن الحُدَيْبِيَّةِ (يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلماً (لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ) إثمٌ فى تركِ
الجهاد (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ) بالياء والتون (جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ) فَصَلَ الْوَعْدَ وَأَجْمَلَ الْوَعْدَ مبالغَةً فى الوعد لِسَبْقِ رحمته ثم جمل^(١) ذلك
بالتكرار على سبيل التعميم فقال : (وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ) كذلك (عَذَابًا أَلِيمًا) إذ
الترهيبُ هنا أنفع من الترغيب .

ثم ذكر - تعالى - مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فقال عَزَّ وَجَلَّ (لَقَدْ رَفِئَ اللَّهُ عَنْ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ) بالحُدَيْبِيَّةِ (تَحْتَ الشَّجَرَةِ) هى سَمُرَةٌ كما رواه ابن جرير
وابن أبى حاتم عن سلمة ، أو سِدْرَةٌ كما رواه مسلم عن جابر (فَعَلِمَ) الله تعالى (مَا فِي
قُلُوبِهِمْ) من الصدق والوفاء (فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ) الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع
(عَلَيْهِمْ) ثم ذكر ما أَثَابَهُمْ عن ذلك فقال : (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) هو فَتْحُ خَيْبَرَ

(١) كذا فى ت ، م . وفى ط « أجمل »

بعد أنصرفهم من الحُدَيْبِيَّةِ (وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا) من يهود خَيْبَر ، وكانت خَيْبَرُ ذات عقار وأموال ، فقسَّمها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بينهم (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) غالباً^(١) (حَكِيمًا) أى لم يزل مُتَّصِفًا بِذَلِكَ (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا) من الفتوحات التى تُفْتَحُ لَكُمْ إلى يوم القيامة (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) غنيمة خيبر ، ثم ذكَّركم نعمته عليهم بِكَفِّ أَيْدِي الْعَدُوِّ عَنْهُمْ فقال تعالى : (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) فى عيالكم لما خرجتُم وهَمَّتْ بِهِم الْيَهُودُ ، فَقَذَفَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فى قلوبهم الرُّعْبَ ، وَقِيلَ : كَفَّ أَيْدِي أَهْلِ مَكَّةَ بِالصَّلْحِ (وَلِتَكُونَ) هذه الْكَفَّةُ أَوِ الْغَنِيْمَةُ الْمَعْجَلَةُ - عَطْفًا عَلَى مُقَدَّرِ أَى لِيَتَشْكُرُوهُ (آيَةٌ) علامة (لِلْمُؤْمِنِينَ) يُعْرِفُونَ بِهَا أَنَّهُمْ مِنْ اللَّهِ - تعالى - بِمَكَانٍ ، أَوْ صِدْقَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فى وَعْدِهِمْ فَتَحَ خَيْبَرَ حِينَ رَجُوعِهِ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) أى طريقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَتَفْوِيزِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ - تعالى - (وَأُخْرَى) صِفَةُ مَغَانِمٍ ، فَيَقْدَرُ مِنْبَدَأُ (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) بعد ، لما كان فيها من الجولة ، والمراد : فارس والروم (قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) علم أنها ستكون لكم (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) لَأَنَّ قُدْرَتَهُ دَائِمَةٌ لَا تَخْتَصُّ بِشَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بِالْحُدَيْبِيَّةِ وَلَمْ يُصَالِحُوا (لَوَلَّوْا الْأَذْوَارَ) لَانْهَزَمُوا (ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يَحْرُسُهُمْ (وَلَا نَصِيرًا) يَنْصُرُهُمْ (سُنَّةَ اللَّهِ) مُصَدِّرُ مُؤَكِّدٌ بِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ مِنْ هَزِيمَةِ الْكَافِرِينَ وَنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَى سَنَ اللَّهِ - تعالى - ذَلِكَ سُنَّةَ (الَّتِي قَدْ خَلَتْ) مَضَتْ فى الْأُمَمِ كما قال - تعالى - (لَا غَلْبَانَ أَنَا وَرُسُلِي ^(٢)) (مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) تَغْيِيرًا مِنْهُ (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) أى كَفَّارَ مَكَّةَ (وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ) بِالْحُدَيْبِيَّةِ (مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) فَإِنْ ثَمَانِينَ طَافُوا بِعَسَاكِرِكُمْ لِيَصِيبُوا مِنْكُمْ غِرَّةً ، فَأَخْلَوْا ، فَأَتَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَعَقَا عَنْهُمْ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الصَّلْحِ (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) مِنْ مَقَاتِلَتِهِمْ / ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِالتَّحْتِيَةِ (بَصِيرًا) فَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهِ (هُمْ) ١٧٥ ط
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَلُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (عَنِ الْوَصُولِ) إِلَيْهِ (وَالْهَدَى مَعْكُوفًا)

(١) كَذَات ، م . وفى ط « عَالِيًا »

(٢) الْآيَةُ ٢١ مِنْ سُورَةِ الْمَجَادَلَةِ .

عليكم ، معكوفاً : مَحْبُوسًا ، حَالٌ (أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) الذى ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال (وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ) موجودون بمكة مع الكفار (لَمْ تَعْلَمُوهُمْ) بصفة الإيمان (أَنْ تَطَّوَّهُمْ) تقتلهم مع الكفار لو أذن لكم فى الفتح ، بدل اشتمال (فتصيبكم منهم) من جهتهم (مَعَرَّةٌ) مكروه ؛ بوجوب الدية ، أو الكفارة بقتلهم ، أو التأسف عليهم ، أو غير ذلك (بِغَيْرِ عِلْمٍ) منكم به ، وضائر الغيبة به للصنفين بتغليب الذكور ، وجواب لولا محذوف أى لأذن لكم فى الفتح ولكن لَمْ يُوْذَنَ فيه حينئذ (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) كالْمُؤْمِنِينَ المذكورين (لَوْ تَزَيَّلُوا) تميزوا عن الكفار (لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) من أهل مكة حينئذ بآن نَأْذَنَ لكم فى فتحها (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلماً (إِذْ جَعَلَ) متعاقب بعذبنا (الَّذِينَ كَفَرُوا) فاعل (فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ) الأنفة من الشئ (حَمِيَّةٌ الْجَاهِلِيَّةُ) بدلٌ من حمية ، وهى صدَّهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه عن المسجد الحرام (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فصالحوهم ، على أن هذا^(١) يعود من قَابِلٍ ، ولم يلحقهم من الحمية مَالِحِقِ الْكَفَّارِ حَتَّى يَفَاتِلُوهُمْ (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها (وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا) من الكفار (وَأَهْلَهَا) عطفٌ تفسير (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) أى لم يزل مُتَّصِفًا بذلك ؛ ومن معلومه تعالى أن المؤمنين أهلها (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْيَا بِالْحَقِّ) رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى النوم عامَ الْحُدَيْبِيَّةِ قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين يحلقون رؤوسهم ويقصرون ، فأخبر بذلك أصحابه ففَرَحُوا ، فلما خرجوا معه وصدَّهم الْكَفَّارُ بِالْحُدَيْبِيَّةِ ورجعوا ، وشقَّ عليهم ذلك ، ورأب بعض المنافقين نزلت ، وقوله تعالى : (بِالْحَقِّ) متعاقبٌ بِصَدَقَ ، أو حال من الرُّوْيَا ، وما بعدها تفسير لها (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ) أى جميع شعورها (وَمُقَصِّرِينَ) شعورها ، وهما حالان مقدرتان (لَا تَخَافُونَ) حالٌ مُؤَكَّدَةٌ أو استئناف : أى لا تخافون بعد ذلك (فَعَلِمَ) فى الصالح (مَا لَمْ تَعْلَمُوا) من

(١) المقصود : أن يعود المصطفى صلى الله عليه وسلم هذا العام ثم يعود بعد ذلك فى العام القادم .

الصلاح (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ) أى الدخول (فَتَحًا قَرِيبًا) هو فتح خَيْر ، وتحققت الرؤيا فى العام القابل ، ويأتى الكلام على تفسير بقية السورة فى الخصائص إن شاء الله تعالى .

تَنْبِيْهَاتٌ

الاول : الحُدَيْبِيَّة : بحاء مهملة مضمومة ، فดาล مهملة مفتوحة فموحدة مكسورة فتحتية مفتوحة. قال الإمام الشافعى - رحمه الله - وأهل اللغة وبعض أهل الحديث - رحمهم الله - التَّحْيِيَّة مخففة^(١) . وقال أكثر أهل الحديث / مُشَدَّدة . قال النووى - رحمه الله - ١٧٦ و فهما وَجْهَان مشهوران .

وقال فى المطالع : ضبطنا التخفيف عن الْمُتَقِنِينَ وأما عامة الفُحَّهَاء والمُحَدِّثِينَ فيشُدُّوْنَهَا . وقال البكرى - رحمه الله - أهلُ العراقِ يُشَدُّوْنَ ، وأهلُ الحجازِ يخفِّفون . وقال النحاس - رحمه الله - سألت كلَّ مَنْ لقيتُ مِنْ أَثَقُ بعلمه عن « الحديبية » فلم يختلفوا عن قراءتها مخففة .

قال أحمد بن يحيى^(٢) - رحمه الله - لا يجوزُ فِيهَا غيره ، ونَصَّ فى البارع على التخفيف . وحكى التَّشْدِيدَ ابن سيدة - رحمه الله - فى المحكم ، قال فى تهذيب المطالع : ولم أره لغيره ، وأشار بعضهم إلى أَنَّ التثْقِيلَ لم يُسْمَعْ حتى يَصِحَّ^(٣) ، ووجهُهُ أَنَّ التثْقِيلَ إنما^(٤) يكون فى المنسوب ، نحو الإسْكَندَرِيَّة فإنها منسوبة إلى الاسْكَندر وأما الحُدَيْبِيَّة «

(١) أنظر الخلاف حول تخفيف ياء الحديبية الثانية وتشديدها فى شرح المواهب ٢ : ١٧٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٠ وهو لا يخرج عما هنا .

(٢) أحمد بن يحيى هو ثعلب كما فى شرح المواهب ٢ : ١٧٩ .

(٣) كذا فى ط . وفى ت وم « لم يسمع فى فصيح » .

(٤) كذا فى ط ، وفى ت ، م « بأنه يكون فى المنسوب »

فلا تعقلُ فيها النُّسْبَةُ ، وياء النسبة في غير مَنْسُوب قليلة ، ومع قلته موقوف على السماع . والقياسُ أن يكون أصلها حَدْبَاءَ بزيادة «ألفٍ» للإلحاق ببنات الأربعة ، فلما صغرت أنقلبت الألفُ ياء ، وقيل : حَدْيَبَةُ ، وشهد لصحة هذا أقوالهم لِيَيْلَةَ بالتصغير ، وَلَمْ يَرُدْ لَهَا مُكَبَّرٌ فَقَدَّرَهُ الْأَئِمَّةُ لَيْلَةً لِأَنَّ الْمُصَغَّرَ فَرَعُ الْمُكَبَّرِ ، ويمتنع وجودُ فرعٍ بدون أصله .

قال المحب الطبري - رحمه الله - : هي قريبة من مكة أكثرها في الحرم .

وفي صحيح البخاري عن البراء « الحديبية » بِثَر . قال الحافظ - رحمه الله - يُشِيرُ إلى أَنَّ المكان المعروف بالحُدَيْبِيَّةَ سُمِيَ بِبِثْرِ كَانَتْ هُنَاكَ ، هذا اسمها ، ثُمَّ عُرِفَ الْمَكَانُ كُلُّهُ بِذَلِكَ ، وَبَيَّنَّهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ نَحْوَ مَرَحَلَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ تِسْعٌ^(١) مَرَّاحِلَ

الثاني : قَالُوا كَانَتْ سَنَةً سِتٍّ ، قاله الجمهور ، في ذِي الْقِعْدَةِ ، وقال هِشَامُ ابْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - في شَوَّالٍ ، وَشَذَّ بِذَلِكَ هِشَامُ عَنِ الْجُمْهُورِ . وَقَدْ وَافَقَ أَبُو الْأَسْوَدُ عَنْ عُرْوَةَ الْجُمْهُورِ . وفي البخاري عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : مَا أَعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، وفيه عن أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلُّهُنَّ فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، فذكر منها عُمَرَةً « الحديبية » .

الثالث : اِخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ فِي عِدَّةِ مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهَا ، فَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَفَاقِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ فِي حَدِيثِ الْمِسْوَرِ ، وَمُرْوَانَ : أَلْفٌ وَثَمَانِيَةٌ .

وفي رواية إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ : كُنَّا أَرْبَعِ عَشْرَةَ مِائَةً .

وفي رواية زهير بن معاوية عن أَبِي إِسْحَاقَ كَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةً أَوْ أَكْثَرَ .

(١) انظر الخلاف حول المسافة التي بين الحديبية وكل من مكة والمدينة في شرح المواهب ٢ : ١٧٩ .

وفي رواية لسالم بن أبي الجعد عن جابر : أنهم كانوا خَمْسَ عَشْرَةَ مائة ، وكذلك رواية سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عنه ، وكذلك رواية^(١) ابن أبي شَيْبَةَ عن مُجَمِّعِ بْنِ جَارِيَةَ .

قال الحافظ - رحمه الله - والجمعُ بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة ، فَمَنْ قال ألف وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال ألف وأربعمائة ألغاه . ويؤيده قول البراء في رواية عنه : كُنَّا أَلْفًا وأربعمائة أو أكثر ، وأَعْتَمَدَ على هذا الجمع النووي - رحمه الله / . وأما البيهقي - رحمه الله - فَمَالَ إلى التَّرْجِيحِ ، وقال : ١٧٦ ط
إِنْ رِوَايَةٌ مَنْ قال أَلْفًا وأربعمائة أَرَجَحَ ، ثم روى مِنْ طَرِيقِ أَبِي الزَّبِيرِ وَمِنْ طَرِيقِ سَفِيَّانِ بْنِ عَمْرِ بْنِ دِينَارٍ ، كِلَاهُمَا عَنْ جَابِرٍ كَذَلِكَ .

ومن رواية مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ عن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، والبراء بن عازب وَمِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عن أَبِيهِ ، ومعظم هذه الطرق عن مسلم .

ووقع عند ابن سعد - رحمه الله - في حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ : زُهَاءُ أَلْفٍ وأربعمائة ، وهو أَيْضًا في عدم التَّحْدِيدِ .

وأما قولُ عبد الله بن أبي أوفى - رحمه الله - : كُنَّا أَلْفًا وثلثمائة كما رواه البخاري ، فَيُمْكِنُ حَمْلُهُ على ما أَطْلَعَ عليه ، وأُطْلِعَ غَيْرُهُ على زيادة أناسٍ لم يَطَّلِعْ هو عليهم ، والزيادة مِنَ الثَّقَةِ مقبولة . أو الْعَدَدُ الَّذِي ذَكَرَهُ عَدَدُ الْمُقَاتِلَةِ . وَالزِّيَادَةُ عليها مِنَ الْإِتِّبَاعِ مِنَ الْخَدَمِ وَالنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ .

وأما قولُ ابن إسحاق - رحمه الله - إِنَّهُمْ كَانُوا سَبْعِمِائَةً فَلَمْ يُوَافِقْهُ [أحد^(٢)] عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ قَالَهُ اسْتِنْبَاطًا مِنْ قَوْلِ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : نَحَرْنَا الْبَدَنَةَ عَنْ عَشْرَةٍ ، وَكَانُوا نَحَرُوا سَبْعِينَ بَدَنَةً . وَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَنْحَرُوا غَيْرَ الْبَدَنِ ، مَعَ أَنَّ بَعْضَهُمْ لَمْ يَكُنْ أَحَرَمَ أَصْلًا . وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ غَلَطٌ بَيِّنٌ ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ مِنْ أَنَّهُمْ نَحَرُوا سَبْعِينَ بَدَنَةً ، وَالْبَدَنَةُ جَاءَ إِجْزَاؤُهَا عَنْ سَبْعَةٍ وَعَنْ عَشْرَةٍ ، وَهَذَا

(١) كذا في ط ، ت ، م « رواه » .

(٢) سقط في الأصول . والإضافة من شرح المواهب ٢ : ١٨٠ .

لا يدل على ما قاله فإنه قد صرح أن البدنة في هذه العمرة عن سبعة ، فلو كانت السبعون عن جميعهم كانوا أربعمائة وتسعين رجلا ، وقد قال في تمام الحديث بعينه : إنهم كانوا ألفا وأربعمائة .

وأما ما وقع في حديث المسور ومروان عن البخاري أنهم خرجوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بضع عشرة مائة ، فيجتمع أيضا بأن الذين بأيعوا كانوا كما تقدم . وأما الذين زادوا على ذلك فكانوا غائبين عنها ، كمن توجه مع عثمان - رضي الله عنه - إلى مكة ، على أن لفظ البيعة يصدق على الخمس والأربع ، فلا تخالف .

وجزم ابن عقبة^(١) بأنهم كانوا ألفا وسبعمائة ، وفي حديث سلمة بن الأكوع عند ابن أبي شيبة ألفا وسبعمائة . وحكى ابن سعد : أنهم كانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين . وهذا^(٢) إن ثبت تحرير^(٣) بالغ .

وزاد ابن مردويه عن ابن عباس ، وفيه رد على ابن دحية ، حيث زعم أن سبب الاختلاف في عددهم ، أن الذي ذكر عددهم لم يقصد التحديد ، وإنما ذكره بالحدس والتخمين .

الرابع : في أخذه - صلى الله عليه وسلم - ذات اليمين عن خالد وجيشه ، جواز الاستتار عن طلائع المشركين ومفاجأتهم بالجيش طلبا لغيرتهم .

الخامس : في استشارته - صلى الله عليه وسلم - أصحابه ، استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه استخراجا لوجه الرأي ، واستطابة لنفوسهم ، وأن يخصص به بغضهم دون البعض .

السادس : في قوله - صلى الله عليه وسلم - : « مَا خَلَّاتِ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ ، جَوَّازُ الْحُكْمِ عَلَى الشَّيْءِ بِمَا عُرِفَ مِنْ عَادَتِهِ ، وَإِنْ جَازَ أَنْ يَطْرَأَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ مِنْ »

(١) هو موسى بن عقبة كما جاء في المرجع السابق .

(٢) في شرح المواهب ٢ : ١٨٠ « قال الحافظ وهذا إن ثبت تحرير بالغ » .

(٣) في ط « تحديد » والمثبت عن ت ، م . ويوافقه ما في شرح المواهب .

شَخِصٌ هَفْوَةٌ لَا يُعْهَدُ مِثْلُهَا مِنْهُ لَا تَنْسَبُ إِلَيْهِ وَيُرَدُّ عَلَى مَنْ نَسَبَهُ إِلَيْهَا مِنْ ، لَا يَعْرِفُ /
/صورة حاله ، لَأَنَّ خَلَاءَ الْقَصَوَاءِ لَوْلَا خَارِقُ الْعَادَةِ لَكَانَ مَا ظَنَّهُ الصَّحَابَةُ جَمِيعًا صَحِيحًا ، ١٧٧ و
ولم يُعَاتِبَهُمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِعُذْرِهِمْ فِي ظَنِّهِمْ .

السابع : قوله - صلى الله عليه وسلم - حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ : أى حبسها الله عزَّ
وَجَلَّ عن دخول مكة كما حَبَسَ الْفِيلَ عن دُخُولِهَا ، وقصة الفيل مشهورة ، وتَقَدَّمَ
الإشارة إِلَيْهَا . ومناسبة ذكرها أَنَّ الصَّحَابَةَ لَوْ دَخَلُوا مَكَّةَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ وَصَدَّتْهُمْ^(١)
قَرِيشٌ عن ذلك لَوَقَعَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ قَدْ يُفْضِي إِلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ وَنَهْبِ الْأَمْوَالِ ، كما
لَوْ قُدِّرَ دُخُولُ الْفِيلِ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ ، لكن سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ - تعالى - فِي الْمَوْضِعَيْنِ
أَنَّهُ سَيَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ خَلْقٌ مِنْهُمْ ، وَسَيَخْرُجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ نَاسٌ يُسْلِمُونَ وَيُجَاهِدُونَ .
وكان بمكة في الْحَدِيثِيَّةِ جَمْعٌ كَثِيرٌ مُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوِلْدَانِ ، فَلَوْ طَرَقَ الصَّحَابَةُ مَكَّةَ لَمَّا أَمِنَ أَنَّ يُصَابَ مِنْهُمْ نَاسٌ بِغَيْرِ عَمْدٍ^(٢) كما
أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - في قوله : (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ)^(٣) الآية .

الثامن : اسْتَبَعْدَ الْمَهْلُبُ جَوَازَ إِطْلَاقِ حَابِسِ الْفِيلِ عَلَى اللَّهِ عز وجل ، وقال : المرادُ
حَبَسَهَا أَمْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَتُعَقَّبُ بِأَنَّهُ يَجُوزُ إِطْلَاقُ ذَلِكَ فِي حَقِّ اللَّهِ - تعالى -
فَيُقَالُ : حَبَسَهَا اللَّهُ حَابِسُ الْفِيلِ ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يُمْنَعَ تَسْمِيَّتُهُ - تعالى - حَابِسُ
الْفِيلِ وَنَحْوَهُ ، كما أَجَابَ بِهِ ابْنُ الْمُنِيرِ ، وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَنَّ الْأَسْمَاءَ
تَوْقِيفِيَّةٌ .

وقد تَوَسَّطَ الْغَزَالِيُّ وَطَائِفَةٌ فَقَالُوا : مَحَلُّ الْمَنْعِ مَالَمْ يَرِدْ نَصٌّ بِمَا يُشْتَقُّ مِنْهُ
بَشَرَطٍ إِلَّا يَكُونُ ذَلِكَ الْأَسْمُ الْمُشْتَقُّ مِنْهُ مُشْعِرًا بِنَقْصِ ، فَيَجُوزُ تَسْمِيَّتُهُ بِالْوَاقِ (وَمَنْ

(١) كَذَا فِي ط ، وَفِي ت ، م « وَصَلَهُمْ » وَيَتَّفَقُ شَرْحُ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٨٤ مَعَ ط .

(٢) كَذَا فِي ط وَشَرْحُ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٨٤ . وَفِي ت ، م « بِغَيْرِ عَمْدٍ » .

(٣) الْآيَةُ ٢٥ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ .

تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ (١) وَلَا يَجُوزُ تَسْمِيَتُهُ الْبِنَاءُ (٢) وَإِنْ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ
تعالى : (وَالْمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْدٍ) (٣) .

التاسع : في قوله - صلى الله عليه وسلم - : « حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ » جَوَازُ التَّشْبِيهِ
من الجهة العامة ، وإن اختلفت الجهة الخاصة ، لأن أصحاب الفيل كانوا على باطلٍ
محضٍ ، وأصحاب هذه الناقة كانوا على حقٍّ محضٍ ، ولكن جاز التشبيه من جهة
إِرَادَةِ الله - تعالى - منع الحَرَمِ مُطْلَقًا ، أما مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ فَوَاضِحٌ . وَأَمَّا مِنْ أَهْلِ
الْحَقِّ فَلِلْمَعْنَى الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي الرَّابِعِ .

العاشر : قوله - صلى الله عليه وسلم - : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ
خُطَّةً إِلَى آخِرِهِ » . قَالَ السَّهْلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : لَمْ يَقَعْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْحَدِيثِ ، أَنَّهُ قَالَ
إِنْ شَاءَ اللهُ - تعالى - مع أَنَّهُ مَأْمُورٌ فِي ذَلِكَ فِي كُلِّ حَالٍ .

قال : والجوابُ عن ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَمْرًا وَاجِبًا حَتْمًا ، فَلَا يُحْتَاجُ مَعَهُ لِلأَسْتِثْنَاءِ ،
وتعقب بآئِهِ - تعالى - قَالَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ
آمِنِينَ) فَقَالَ : إِنْ شَاءَ اللهُ ، مَعَ تَحْقِيقِ وَقُوعِ ذَلِكَ تَعْلِيمًا وَإِرْشَادًا ، فَالْأَوَّلَى أَنْ
يُحْمَلَ عَلَى أَنَّ الْأَسْتِثْنَاءَ سَقَطَ مِنَ الرَّاوي ، أَوْ كَانَتِ الْقِصَّةُ قَبْلَ نَزُولِ الْأَمْرِ بِذَلِكَ ،
وَلَا يُعَارِضُهُ كَوْنُ الْكَهْفِ مَكِّيًّا ، إِذْ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَتَأَخَّرَ نَزُولُ بَعْضِ السُّورَةِ ، وَفِي
١٧٧ ظ قَوْلِهِ - صلى الله عليه وسلم - « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ » الْخ / تَأْكِيدُ الْقَوْلِ بِالْيَمِينِ لِيَكُونَ
أَدْعَى إِلَى الْقَبُولِ . وَقَدْ حُفِظَ عَنْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - الْحَلِيفُ فِي أَكْثَرِ مِنْ
ثَمَانِينَ (٤) مَوْضِعًا ، كَمَا سَيَأْتِي بَسْطُ ذَلِكَ فِي بَابِهِ .

الحادى عشر : في حديث البراء في شفير بئر الحديبية أَنَّهُ - صلى الله عليه وسلم -
تَوَضَّأَ فَمَضْمَضَ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّ فِيهَا ، وَفِي حَدِيثِ الْمَسُورِ ، وَمَرْوَانَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صلى

(١) الْآيَةُ ٩ مِنْ سُورَةِ غَافِرٍ .

(٢) كَذَا فِي ط . وَشَرَحَ الْمَوَاهِبُ ٢ : ١٨٤ . وَفِي ت ، م « بِالْبِنَاءِ » .

(٣) الْآيَةُ ٤٧ مِنْ سُورَةِ الذَّارِيَّاتِ .

(٤) قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ كَأَنَّ فِي شَرَحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ١٨٥ .

الله عليه وسلم - أنتزع سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهَا ، ويمكن الجمعُ بَأَنَّ الْأَمْرَيْنِ وَقَعَا مَعًا ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُحَمَّدٌ بْنُ عُمَرَ مِنْ طَرِيقِ أَوْسِ بْنِ خُوَلٍ أَنَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَوَضَّأَ فِي الدَّلْوِ ثُمَّ أَفْرَغَهُ فِيهَا وَأَنْتَزَعَ السَّهْمَ ثُمَّ وَضَعَهُ فِيهَا ، وهكذا ذكر أَبُو الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ أَنَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَمَضَّمَصَ فِي الدَّلْوِ وَصَبَّهُ فِي الْبُئْرِ ، وَنَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَفَارَتْ .

الثاني عشر : اِخْتَلِفَ فِي النَّازِلِ بِالسَّهْمِ ، فعند ابنِ إِسْحَاقَ عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَسْلَمَ : أَنَّهُ نَاجِيَةٌ بَنَ جُنْدُبَ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبَ .

وروى مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ عَنْ خَالِدِ بْنِ عِبَادَةَ الْعَفَّارِيِّ قَالَ : أَنَا الَّذِي نَزَلْتُ بِالسَّهْمِ ، ويمكن الجمعُ بَأَنَّهُمْ تَعَاوَنُوا عَلَى ذَلِكَ ^(١) .

الثالث عشر : فِي حَدِيثِ جَابِرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ رَكْوَةً فَتَوَضَّأَ فِيهَا ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسَ نَحْوَهُ فَقَالَ « مَا لَكُمْ ؟ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ : لَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرِبُ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ . قَالَ : فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدَهُ فِي الرُّكْوَةِ ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ ، قَالَ : فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا .

وَجَمَعَ ابْنُ حِبَّانَ بَيْنَ حَدِيثِ جَابِرٍ هَذَا وَبَيْنَ مَا تَقَدَّمَ بِأَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ مَرَّتَيْنِ فِي وَقتَيْنِ ، وَقَالَ مَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ وَالْمَسُورِ وَمَرْوَانَ غَيْرَ مَا فِي حَدِيثِ جَابِرٍ ، وَكَانَ حَدِيثُهُ قَبْلَ قِصَّةِ الْبُئْرِ ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ فِي الْأَشْرِبَةِ [مِنْ كِتَابِ الْبُخَارِيِّ] ^(٢) أَنَّ نَبَعَ الْمَاءِ كَانَ حِينَ حَضَرَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ عِنْدَ إِرَادَةِ الْوُضُوءِ ،

(١) جاء في شرح المواهب ٢ : ١٨٥ « قال الحافظ في المقدمة : روى ابن سعد من طريق أبي مروان ، حدثني أربعة عشر رجلا من الصحابة الأنصار : أن الذي نزل البئر ناجية بن الأعجم ، وقيل هو ناجية بن جندب ، وقيل البراء بن عازب ، وقيل عبادة عن خالد - حكاه عن الواقدي - ووقع في الاستيعاب خالد بن عبادة وقال في الفتح يمكن الجمع بأنهم تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره » .

(٢) ما بين الحاصرتين من شرح المواهب ٢ : ١٨٦ .

وحديث البراء كان لإرادة ما هو أعم من ذلك ، ويحتمل أن الماء انفجر من أصابعه ويده في الركوة وتوضأ كلهم وشربوا ، وأمر حينئذ يصب الماء الذي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها .

الرابع عشر : أقتصّر بدليل بن ورقاء على قوله : تركت كعب بن لؤي ، وعامر ابن لؤي ؛ لكون قريش الذين كانوا بمكة أجمع ترجع أنسابهم إليهما ، وبقي من قريش بنو سامة بن لؤي ، ولم يكن بمكة منهم أحد ، وكذلك قريش الظواهر ، وتقدم بيانهم في [من]^(١) اسمه القريشي .

قال هشام بن الكلبي : بنو عامر بن لؤي وكعب بن لؤي هما الصريحان لأشك فيهما ، بخلاف سامة وعوف ؛ أي ففيهما خلاف ، قال : وهم قريش البطاح ، بخلاف قريش الظواهر وفي موالاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

الخامس عشر : قوله - صلى الله عليه وسلم - « إن أظهر فإن شاءوا » إلخ إنما ردّد ١٧٨ و - صلى الله عليه وسلم - الأمر مع أنه جازم بأن الله سينصره / ويظهره ؛ لوغده - تعالى - له بذلك على طريق التنزيل مع الخصم وفرض الأمر على ما زعم الخصم ؛ ولهذا النكتة حذف القسم الأول وهو التصريح بظهور غيره ، وقوله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك « ولينفذن^(٢) الله أمره » - بضم أوله وكسر الفاء ؛ أي ليمنضين الله - تعالى - أمره في نصر دينه ، وحسن الإتيان بهذا الجزم بعد ذلك الترييد للتنبيه على أنه لم يورده إلا على سبيل الفرض ، ووقع التصريح بذكر القسم الأول في رواية ابن إسحاق^(٣) كما في القصة ، فالظاهر أن الحذف وقع من بعض الرواة .

السادس عشر : قول عروة لقريش ألستم بالوالد وألست بالولد هو الصواب ، ووقع لبعض رواة الصحيح عكس^(٤) ذلك ، وزعم^(٥) أن كل واحد منكم كالولد ،

(١) إضافة يقتضيها السياق . وفي شرح المواهب ٢ : ١٨٧ « إنما اقتصر على هذين لرجوع أنساب قريش الذين بمكة أجمع إليهما ، وبقي من قريش بنو سامة بن لؤي وبنو عوف بن لؤي وهم قريش البطاح ولم يكن بمكة منهم أحد ، وكذلك قريش الظواهر الذين منهم بنو تميم بن غالب ومحارب بن فهر » .

(٢) وضبطها الزركشي والدمامي بفتح النون الأولى وشد الفاء المكسورة ، انظر شرح المواهب ٢ : ١٨٨ .

(٣) رواية ابن إسحاق « فوالله لا أزال أجاهد - الخ » السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٠٩ .

(٤) يقصد المصنف رواية أبي ذر : ألستم بالولد وألست بالوالد ؟ ، انظر شرح المواهب ٢ : ١٨٩ .

(٥) في ت ، م « ووهم » والمثبت من ط .

وقيل : معناه أنتم حتى قد ولدتني ، لكون أمي منكم ، وهذا هو الصحيح ، لأنه كان لسبيعة بنت عبد شمس .

السابع عشر : في قيام المغيرة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسيف ، جواز القيام على رأس الأمين له بقصد الحراسة ، ونحوها من ترهيب العدو ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس ، لأن محله إذا كان على وجه العظمة والكبر .

الثامن عشر : كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحيته من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة ، وفي الغالب إنما يفعل ذلك النظير ، بالنظير لكن كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يغضى لغرزة عن ذلك استماله له وتأييها له ، والمغيرة يمنعه إجلالا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتعظيما .

التاسع عشر : في تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما ذكره يعد إشارة منهم إلى الرد على ما خشيته غرزة من فرارهم ، وكأنهم قالوا بلسان حالهم : من يحب إمامه هذه المحبة يعظمه هذا التعظيم كيف يظن به أنه يفر عنه ويسلمه لعدوه بل هم أشد اغتباطا به وبدينه ونصره من القبايل التي يراعى بعضها بعضا بمجرد الرحم .

العشرون : استشكل قوله - صلى الله عليه وسلم - في مركز هذا رجل فاجر أو غادر مع أنه لم يقع منه في قصة الحديبية فجور ظاهر ، بل فيها ما يشعر بخلاف ذلك كما سبق في القصة ، وفي إجازته أبا جندل لأجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما امتنع سهيل بن عمرو - رضى الله عنه - قبل إسلامه ، وأجيب : قال محمد بن عمر في معازيه في غزوة « بدر » إن عتبة بن ربيعة قال لقريش كيف نخرج من مكة وبنو كنانة خلفنا لأنامهم على ذرايينا ؟ قال : وذلك أن حفص بن الأخيف - بخاء معجمة فتحية وبالفاء - والد مركز كان له ولد وضي فقتله رجل من بني بكر ابن عبد مناة بدم لهم ، كان في قريش ، فتكلمت قريش في ذلك ، ثم اضطلحوا ، فعدا مركز بن حفص بعد ذلك على عامر بن يزيد ، سيد بني بكر غرة فقتله ،

فنفرت مِنْ ذَلِكَ كِنَانَةً ، فجاءت وَقْعَةً بِذَرٍ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ ، وَكَانَ مِكَرَزٌ مَعْرُوفًا ١٧٨ ط بِالْغَدْرِ / وَتَقَدَّمَ فِي الْقِصَّةِ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّتَ الْمُسْلِمِينَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ ، فَكَأَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَشَارَ إِلَى هَذَا.

الحادى والعشرون : فى صحيح مسلم عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ - رضى الله عنه : أَنَّهُ أَوَّلُ [مِنْ] ^(١) بَايَعِ .

وروى الطَّبْرَانِيُّ وغيره كما فى الْقِصَّةِ عن الشَّعْبِيِّ [ورواه] ^(١) ابن مندة عن زُرَّابْنِ حَبِيش - رحمهما الله - أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ أَبُو سَنان ^(٢) الْأَسَدَى ، والجمع [ممكن] ^(٣) بينهما .

الثانى والعشرون : فى حديثِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ - رضى الله عنه - أَنَّهُمْ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْمَوْتِ ، وفى حديثِ جَابِرٍ وَغَيْرِهِ : عَلَى أَنَّهُ لَا يَفِرُّ ، وَقَالَ الْحَافِظُ : لَا تَنَافَى بَيْنَهُمَا ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُبَايَعَةِ عَلَى الْمَوْتِ أَلَّا يَفِرُّوا وَلَوْ مَاتُوا ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ يَقَعَ الْمَوْتُ وَلَابدُّ ، وهو الَّذِى أَنْكَرَهُ نَافِعٌ وَعَدَلَ إِلَى قَوْلِهِمْ ، بَلْ بَايَعَهُمْ عَلَى النَّصْرِ ، أَيْ عَلَى الثَّبَاتِ ، وَعَدَمِ الْفِرَارِ ، سَوَاءٌ أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى الْمَوْتِ أَمْ لَا . وَقَالَ فى مَوْضِعٍ آخَرَ : مَنْ أَطْلَقَ أَنْ بَيْعَتُهُ كَانَتْ عَلَى الْمَوْتِ أَرَادَ لَازِمَهَا لِأَنَّهُ إِذَا بَايَعَ عَلَى أَلَّا يَفِرُّوا لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَثْبِتَ ، وَالَّذِى يَثْبِتُ إِمَّا أَنْ يَغَابَ وَإِمَّا أَنْ يُؤَسَّرَ ، وَالَّذِى يُؤَسَّرُ إِمَّا أَنْ يَنْجُو وَإِمَّا أَنْ يَمُوتَ ، وَلَمَّا كَانَ الْمَوْتُ لَا يُؤْمَنُ فى مِثْلِ ذَلِكَ أَطْلَقَهُ الرَّاوى ، وَحَاصِلُهُ أَنَّ أَحَدَهُمَا حَكَى صُورَةَ الْبَيْعَةِ وَالْآخَرُ حَكَى مَا تَوَوَّلَ إِلَيْهِ .

(١) سقط فى الأصول ، والإضافة من شرح المواهب ٢ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٢) وقيل ابنه سنان لأن أباه مات فى حصار بنى قريظة. قاله الواقدي وضعفه بعض الحفاظ (شرح المواهب ٢ : ٢٠٧ .

(٣) سقط فى الأصول ، والمثبت من شرح المواهب ٢ : ٢٠٨ حيث قال « والجمع ممكن وكلهم بايع مرة إلا ابن عمر

فبايع مرتين مرة قبل أبيه ومرة بعده كما فى الصحيحين وإلا سلمة بن الأكوع فبايع مرتين كما فى البخارى ، وثلاثا كما فى مسلم ، قال ابن المنير : والحكمة فى تكراره البيعة لسلمة أنه كان مقدماً فى الحرب فأكد عليه العقد احتياطاً ، قال الحفاظ : أو لأنه كان يقاتل قتال الفارس والراجل فتعددت البيعة بتعداد الصفة » .

الثالث والعشرون : من الصحابة رضى الله عنهم من بايع مرتين ، وهو عبد الله بن عمر ، وقد اختلف في سبب مبايعته قبل أبيه رضى الله عنهما ، كما تقدم في القصة عن نافع عنه . وجمع بأنه بعثه يحضر الفرس ورأى الناس مجتمعين فقال أنظر ما شأنهم فغدا يكشف حالهم فوجدتهم يبايعون فبايع وتوجه إلى الفرس فأحضرها ، وأعاد حينئذ الجواب على أبيه فخرج معه فبايع عمر وباع ابن عمر مرة أخرى .

الرابع والعشرون : من الصحابة رضى الله عنهم من بايع ثلاث مرات ، وهو سلمة ابن الأكوع رضى الله عنه - طلب ذلك منه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع علمه بأنه بايع قبل .

قال المهلب : أراد صلى الله عليه وسلم أن يؤكد بيعته لسلمة لعلمه بشجاعته وغناؤه في الإسلام وشهرته بالثبات ، فلذلك أمره بتكرير المبايع ليكون له في ذلك فضيلة .

قال الحافظ : ويحتمل أن يكون سلمة لما بدر إلى المبايع ثم قعد قريباً ، واستمر الناس يبايعون إلى أن خفوا ، أراد صلى الله عليه وسلم منه أن يبايع لتتوالى المبايع معه ولا يقع فيها تخلل ، لأن العادة في مبدل كل أمر أن يكثر من يباشره فيتوالى ، فإذا تناهى قد يقع بين من سيجىء آخر تخلل ولا يلزم من ذلك اختصاص سلمة بما ذكره ، والواقع أن الذى أشار إليه المهلب من حال سلمة في الشجاعة وغيرها لم يكن ظهراً بعد ، لأنه إنما وقع منه بعد ذلك في غزوة ذي قرد كما سيأتى ، حيث استعاد السرح الذى كان المشركون أغاروا عليه ، فاستلب ثيابهم ، وكان آخر أمره أن أسهم له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سهم الفارس والرجل .

فالأولى أن يقال / تفرس فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك فبايعه مرتين ، ١٧٩ . وأشار إلى أنه سيقوم في الحرب مقام رجلين فكان كذلك .

قلت : ولم يستحضر الحافظ ما وقع عند مسلم : أنه - صلى الله عليه وسلم - بايعه ثلاث مرات ، ولو استحضره لوجهه .

الخامس والعشرون : الحكمة في قطع عمر الشجرة وفي إخفاء مكانها أنه لا يحصل بها آفتان لما وقع تحتها من الخير ، فلو بقيت لما أمن من تعظيم الجهال لها حتى

رُبَّمَا أَفْضَى بِهِمْ أَنْ لَهَا قُوَّةٌ نَفْعٌ وَضُرٌّ كَمَا نَرَاهُ الْآنَ شَاهِدًا فِيهَا دُونَهَا ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ عُمَرُ بِقَوْلِهِ : « كَانَتْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ » ، أَى كَانَ إِخْفَاؤُهَا بَعْدَ ذَلِكَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ « رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ » أَى كَانَتْ الشَّجَرَةُ مَوْضِعَ رَحْمَةٍ وَمَحَلِّ رِضْوَانِهِ لِإِنزَالِهِ الرِّضَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَهَا . وَقَوْلُ الْمُسَيَّبِ وَالْدُّ سَعِيدٍ أَنْسَيْنَاهَا ، وَفِي لَفْظٍ نَسِينَاهَا ، أَى نَسِينَا مَوْضِعَهَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا .

وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ فَعَمِيَ عَلَيْنَا مَكَانُهَا . وَقَوْلُ الْمُسَيَّبِ وَابْنِ عَمْرِو : أَنَّهُمَا لَمْ يَعْلَمَا مَكَانَهَا ، لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ مَعْرِفَتِهَا أَصْلًا ، فَقَدْ قَالَ جَابِرٌ كَمَا فِي الصَّحِيحِ : لَوْ كُنْتُ أَبْصِرُ الْيَوْمَ لَأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ الشَّجَرَةِ ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَضْبِطُ مَكَانَهَا بِعَيْنِهِ ، وَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ بَعْدَ الزَّمَانِ الطَّوِيلِ يَضْبِطُ مَوْضِعَهَا ، فَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُهَا بِعَيْنِهَا ، قَبْلَ أَنْ يَقْطَعَهَا عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

السادس والعشرون : جَزَمَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ سَعْدٍ وَالْجُمْهُورُ بِأَنَّ مَدَّةَ الصُّلْحِ عَشْرَ سِنِينَ ، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَوَقَعَ فِي مَغَازِي ابْنِ عَائِذٍ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ أَنَّهَا كَانَتْ سِنَتَيْنِ ، وَكَذَا وَقَعَ عِنْدَ ابْنِ عُقْبَةَ ، وَيَجْمَعُ بِأَنَّ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ هِيَ الْمُدَّةُ الَّتِي وَقَعَ الصُّلْحُ فِيهَا حَتَّى وَقَعَ نَقْضُهُ عَلَى يَدِ قُرَيْشٍ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ .

وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي كَامِلِ ابْنِ عَدِيٍّ وَمُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ ، وَالْأَوْسَطِ لِلطَّبْرَانِيِّ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو أَنَّ مَدَّةَ الصُّلْحِ كَانَتْ أَرْبَعَ سِنِينَ ، فَهُوَ مَعَ ضَعْفِ إِسْنَادِهِ مُنْكَرٌ مُخَالِفٌ لِلصَّحِيحِ .

السابع والعشرون : الَّذِي كَتَبَ كِتَابَ الصُّلْحِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبَيْنَ سُهَيْلٍ ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الصُّلْحِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ، وَعَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَاعِ ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ عَنِ الزُّهَيْرِيِّ . وَرَوَى عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ سُهَيْلٍ بَنِي عَمْرِو عَنْ أَبِيهِ قَالَ : الْكِتَابُ عِنْدَنَا كَتَبَهُ ^(١) مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، وَيُجْمَعُ بِأَنَّ أَصْلَ كِتَابِ

(١) عبارة شرح المواهب ٢ : ١٩٥ « الكتاب عندنا كاتبه محمد بن سلمة » .

الصلح ؛ بخط علي - رضى الله عنه - كما في الصحيح ، ونسخ مثله محمد بن مسلمة لسهيل بن عمر ، وقال الحافظ رحمه الله : ومن الأوهام ما ذكره عمر بن شبة بعد أن روى أن اسم كاتب الكتاب بين المسلمين وقريش على بن أبي طالب من طرق ، ثم روى من طريق آخر أن اسم الكاتب محمد بن مسلمة ، ثم قال : حدثنا يزيد / بن ١٧٩ عائشة ؛ يزيد بن عبيد الله بن محمد التيمي قال : كان اسم هشام بن عكرمة بغيضاً ، وهو الذى كتب الصحيفة فشلت يده فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هشاماً .

قال الحافظ : وهو غلط فاحش ، فإن الصحيفة التى كتبها هشام بن عكرمة هى التى اتفقت عليها قريش لما حصروا بنى هاشم وبنى عبد المطلب فى الشعب ، وذلك بمكة قبل الهجرة - أى كما سبق ، فتوهم عمر بن شبة أن المراد بالصحيفة كتاب القصة التى وقعت بالحديبية ، وليست كذلك ، بل بينهما نحو عشر سنين .

الثامن والعشرون : وقع فى بعض طرق حديث البراء بعد أن ذكر امتناع على - رضى الله عنه - من مخو « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم » فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الكتاب وليس يُحسنُ يكتب فكتب « هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله » إلى آخره ، وسبأى الكلام على ذلك فى الخصائص^(١) إن شاء الله تعالى .

التاسع والعشرون : امتناع على - رضى الله عنه - من مخو لفظ « رسول الله صلى الله عليه وسلم » من باب الأدب المستحب ، لأنه لم يفهم من النبى - صلى الله عليه وسلم - تحميم^(٢) مخو على بنفسه ، ولهذا لم ينكر عليه ، ولو تحتم مخو بنفسه لم يجز لعل تركه ، ولما أقره النبى - صلى الله عليه وسلم - على المخالفة . وفى قوله - صلى الله عليه وسلم - « فإن لك مثلاً - تعظيماً - وأنت مضطهد » : أى مقهور ، معجزة ظاهرة لما وقع لعل - رضى الله عنه - فى التحكيم^(٣) كما سبأى فى ترجمته .

(١) انظر الخلاف حول مدى معرفة النبى صلى الله عليه وسلم للكتابة والقراءة فى شرح المواهب ٢ : ١٩٦ - ١٩٨ .

(٢) كذا فى ط وفى شرح المواهب ٢ : ١٩٢ . وفى ت ، م « تحم »

(٣) يشير إلى ما وقع لعل رضى الله عنه يوم الحكين ، فإنه لما كتب الكتاب هذا ما صالح عليه : على أمير المؤمنين أرسل معاوية يقول : لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين ماقاتلته . اعلمها واكتب ابن أبى طالب فقال على : الله أكبر مثل مثل ، اعلمها . شرح المواهب ٢ : ١٩٦ .

الثلاثون : قال الخطّابي - رحمه الله - تعالى : تأوّل العلماء ما وقع في قصّة أبي جندل على وجهين .

أحدهما : أن الله - تعالى - قد أباح « التّقيّة » إذا خاف الهلاك ، ورخص له أن يتكلم بالكفر مع إضمار الإيمان إن [كان]^(١) يمكنه التورية ، فلم يكن ردّه إليهم إسلاماً لأبي جندل إلى الهلاك مع وجود السبيل إلى الخلاص من الموت بالتّقيّة .

والوجه الثاني : أنّه إنما ردّه إلى أبيه ، والغالب أنّ أباه لا يبلغ به الهلاك ، وإنّ عذبه أو سجنه فله مندوحة بالتّقيّة أيضاً ، وأمّا ما يخاف عليه من الفتنة فإن ذلك امتحان من الله - تعالى - يبتلي به صبر عباده المؤمنين .

الحادي والثلاثون : اختلف العلماء رحمهم الله ، هل يجوز الصلح مع المشركين على أن يرد إليهم من جاء مسلماً من عندهم إلى بلاد المسلمين أم لا ؟ ف قيل : نعم ، على ما دلّت عليه قصّة أبي جندل وأبي بصير . وقيل : لا . وإن الذي وقع في القصّة : منسوخ ، وإن ناسخه « أنا برى »^(٢) من مسلم بين المشركين « وهو قول الحنفية ، وعند الشافعية ضابط جواز الردّ أن يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب

الثاني والثلاثون : قال النووي - رحمه الله - وافق النبي - صلى الله عليه وسلم - في ١٨٠ و ردّ من جاء من المشركين في ترك كتابته بسم الله الرحمن الرحيم / وكتب باسمك اللهم ، وفي ترك كتابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي ردّ من جاء منهم إلى المسلمين دون من جاء من المسلمين إليهم وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور ، أما البسملة وباسمك اللهم فمعناها واحد ، وكذلك قوله : « محمد بن عبد الله » هو أيضاً رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) إضافة على ما في الأصول .

(٢) انظر عبارة شرح المواهب ٢ : ٢٠٤ حيث قال « وأن ناسخة حديث أبي داود والترمذي وصححه الضياء عن جرير مرفوعاً » أنا برى من مسلم بين مشركين « واختصره المصنف ، ولفظه عند رواته المذكورين « أنا برى من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا ترامي نارها ، وهو قول الحنفية ولا شاهد فيه للنسخ لأنه فيمن تمكن من الفرار ولا عشيرة له تحميه أو قاله بعد رضا المشركين برد من جاء مسلماً . الخ » .

وليس في ترك وصف الله تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ولا في ترك وصفه - صلى الله عليه وسلم - هنا بالرسالة لا ينفيها ، ولا مفسدة فيما طلبوه . وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتبوا ما لا يحل من تعظيم آلِهِتِهِم ونحو ذلك . وإنما شَرَطُ رَدِّ مَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ وَمَنْعَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْهِمْ فَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث الحكمة فيه بقوله : « مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا » . ثم كان كما قال - صلى الله عليه وسلم - فجعل الله للذين جَاءُونَا مِنْهُمْ وَرَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فَرْجًا وَمَخْرَجًا . ثم كان كما قال - صلى الله عليه وسلم .

الثالث والثلاثون : في إتيان عُمَرَ أبا بكر وإجابة أبي بكر لعمر بمثل ما أجاب به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - دلالة على أنه أكمل الصحابة وأعرفهم بأحوال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأعلمهم بأمور الدين وأشدّهم موافقة لأمر الله - تعالى - وسبق في باب إرادة الصديق الهجرة قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وردّ ابن الدغنة له ، وقوله لقريش ، إن مثله لا يخرج ، ووصفه بنظير ما وصفت به خديجة - رضي الله عنها - رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - من كونه يصلُّ الرَّحْمَ ويحملُ الكَلَّ ويُعِينُ على نوائب الحق وغير ذلك . فلما كانت صفاتهما متشابهة من الابتداء . استمر ذلك إلى الانتهاء ، ولم يذكر عمرُ أنه راجع أحدٌ بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ ، وذلك لجلالة قَدْرِهِ وَسَعَةِ عِلْمِهِ عِنْدَهُ .

الرابع والثلاثون : قول عُمَرَ - رضي الله عنه - فَعَمَلْتُ لذلك أَعْمَالًا . قال بعضُ الشراح - رحمهم الله : أي من الذَّهَابِ والمَجْيِءِ والسُّؤَالِ والجَوَابِ . لم يكن ذلك شَكًّا من عمر ، بل طلباً من كشف ما خفي عليه ، وَحُثًّا على إِذْلالِ الكُفَّارِ ، لما عُرِفَ من قُوَّتِهِ في نُصْرَةِ الدِّينِ . انتهى .

قال الحافظ : وتفسير الأعمال بما ذكر مردود ، بل المراد الأعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التَّوَقُّفِ في الأَمْثَالِ ابتداءً . وقد ورد عن عُمَرَ التَّصْرِيحُ بِمُرَادِهِ بقوله : « أَعْمَالًا لَأَتَّقِيَ » ، ورواية ابن إسحاق : فكان عمرُ يقولُ : ما زلت أَتَصَدَّقُ وَأَصُومُ

وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به . وعند الواقدي من حديث ابن عباس : قال عمر : لقد أعتقت بسبب ذلك رقاباً وصمت دهرأ ، وأما قوله : ولم يكن شك ، فإن أراد نفى الشك فواضح ، وقد وقع في رواية ابن إسحاق أن أبا بكر لما قال له الزم غزوه فإنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال عمر : ١٨٠ ظ / أنا أشهد أنه رسول الله ، وإن أراد نفي الشك في وجود المصلحة وعدمها فمردود ، وقد قال السهيلي - رحمه الله - هذا الشك ما لا يستمر صاحبه عليه ، وإنما هو من باب الوسوسة ، كذا قال الحافظ . والذي يظهر أنه توقف معه ليقف على الحكمة في القصة ، وتكشف عنه الشبهة ، ونظيره قصته في الصلاة على عبد الله بن أبي ، وإن كان في الأول لم يطابق اجتهاده الحكم ، بخلاف الثانية ، وهي هذه القصة ، وإنما عمل الأعمال المذكورة لهذه ، وإلا فجميع ما صدر منه كان معذوراً فيه ، بل هو مأجور ، لأنه مجتهد فيه .

الخامس والثلاثون : إنما توقف المسلمون في النحر والحلق بعد الأمر بهما ، لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للنذبة ، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور ، وتخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم ، ويسوغ لهم ذلك ، لأنه كان زمان وقوع التشريع . ويحتمل أن يكونوا أبهتهم^(١) صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الدل عند أنفسهم مع ظهور قوتهم واقتدارهم - في اعتقادهم - على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة ، وأخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقضي القور ، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم كما سبق في القصة من كلام أم سلمة - رضى الله عنها - في قولها « لا تلمهم » إلخ .

السادس والثلاثون : في كلامه - صلى الله عليه وسلم - لأم سلمة في توقف الناس عن امتثال أمره ، جواز مشاوره المرأة الفاضلة ، وفضل أم سلمة ووفور عقلها ، حتى قال إمام الحرمين : لا نعلم امرأة أشارت برأى فأصابت إلا أم سلمة ، كذا قال : وقد استدرك بعضهم عليه بنت شبيب في أمر موسى .

(١) كذا في ت ، م . وفي ط « أبهتهم » والمعنى فاجأهم فدهشهم وحيرتهم .

السابع والثلاثون : لا يُعَدُّ ما وقع من أبي بصير من قَتْلِهِ الرَّجُلَ الذى جاء فى طلبه غدرًا لأنه لم يكن فى جملة من دخل فى المعاهدة التى بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وبين قريش ، إلا أنه إذ ذاك كان محبوساً بمكة ، لكنه لما خشى أنَّ المشرك يُعيدَه إلى المشركين دَرَأَ عن نفسه بقتله ، ودافع عن دينه بذلك ، ولم يُنْكِرْ عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك .

الثامن والثلاثون : فى حديث الْمِسْوَر ، ومروان بعد ذكر قصة أبي بصير ، فأنزل الله - تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ^(١) ﴾ الآية . قال الحافظ : ظاهره أنها نزلت فى شأن أبي بصير ، وفيه نظر ، والمشهور فى سبب نزولها ما رواه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ، ومن حديث أنس بن مالك ، وأحمد ، والنسائي بِسَنَدٍ صحيح من حديث عبد الله بن مغفل أنها أُنْزِلَتْ بسبب القوم الذين أرادوا من قريش أن يأخذوا من المسلمين غِرَّةَ فظفر المسلمون بهم ، فَعَقَا عَنْهُمْ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيل فى سبب نزولها غير ذلك .

التاسع والثلاثون : قال البلاذرى ^(٢) - رحمه الله - قال العلماء : والمصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده الظاهرة التى كانت عَاقِبَتُهَا فَتْحُ مَكَّةَ وإسلام أهلها كلهم ودخول النَّاسِ فى دين الله أفواجا ، وذلك أنهم قبل الصلح ^{١٨١ و} لم يكونوا يختلطون ، ولا يَتَظَاهَرُ عندهم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما هو ولا يخلون ^(٣) بمن يُعَلِّمُهُمْ بها مفصلة ، فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاءوا إلى المدينة ، وذهب المسلمون إلى مكة وَخَلَوْا بِأَهْلِهِمْ وَأَصْدِقَائِهِمْ وغيرهم ممن يَسْتَنْصِحُونَهُمْ ، وسمعوا منهم أقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - مفصلةً بجزئياتها ، ومعجزاته الظَّاهِرَة ، وأعلام نبوته المتظاهرة ، وحسن سيرته ، وجميل طريقته ، وعاینوا بأنفسهم

(١) الآية ٢٤ من سورة الفتح .

(٢) فى ت ، م « النوى » والمثبت عن ط . ويرجحه أنه لم يرد فى نهاية الأرب ١٧ : ٢٢٩ - ٢٤٤ ما يوافق هذا القول .

(٣) يخلون : من خلا به إذا انفرد به .

كثيراً من ذلك ، فمالت نفوسهم إلى الإيمان حتى بدر خلقٌ منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة ، وأزداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام ، فلما كان يومُ الفتح أسلموا كُلُّهم لِمَا كَانَ تَمَهِّدَ لَهُمْ من الميل ، وكانت العربُ في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش^(١) فلما أسلمت قريش أسلمت العرب في البوادي .

الأربعون : في بيان غريب ما سبق :

المعرفين : الواقفين بعرفة .

استنفروا : استنجدوا واستنصروا .

يَعْرِضُوا له بحرب - بفتح التحتية وكسر الرَاء .

فَأَبْطَأَ عليه : بفتح الهزرة أوله وآخره .

ذو الجَدْر : بفتح الجيم وسكون الدال المهملة : سرح على ستة أميالٍ من المدينة ، بناحية فيها كانت فيه لقاح رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

ذُو الحُلَيْفَةِ - بضمّ الحاء المهملة ، وفتح اللام ، وسكون التحتية بعدها فاء^(٢)

صُحَار - بصاد مضمومة فحاء مهملتين فالألف : قرية باليمن .

قَلَدَ بُذْنُهُ : علق في عنقها قطعة من حبلٍ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ هَدَى فيكفّ الناس عنها .

أَشْعَرَهَا - بالشين المعجمة : وَخَزَ سنامها حتى يسيل الدم فيعلم أَنَّهُ هَدَى^(٣) .

البَيْدَاء : الشرف الَّذِي قُدَّامَ ذِي الحُلَيْفَةِ في طريق مكة .

الأَبْوَاء : بفتح الهزرة وسكون الموحدة وبالماء : قرية من عمل الفرع .

(١) عبارة الزرقاني في شرح المواهب ٢ : ٢٠٠ « وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش لما يعلمونه فيهم من القوة والرأى ، ولأنهم كانوا يقولون : قوم الرجل أعلم به » .

(٢) وهي قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة .

(هامش نهاية الأرب ١٧ : ٢٤٦ ،

(٣) وقيل : هو أن يضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فيلطمها بدنها إشعاراً بأنها هدى ، شرح المواهب ٢ : ١٨١ .

القلائد : جمع قلادة .

جَنَامَة : بفتح الجيم وتشديد الناء المثناة .

إِثْمَاء : بكسر أوله وسكون التحتية وبالد .

رَحْضَة : براء مفتوحة فحاء مهملة تفتح وتسكن فضاء معجمة مفتوحة .

خُفَاف - بخاء معجمة مضمومة وفاءين الأولى مخففة .

العِثْر : بكسر العين المهملة وسكون الفوقية وبالراء : نبت ينبت مُتَفَرِّقًا فإذا قطع أصله خَرَجَ منه شيء شبه اللبن ، وهو المرزجوش^(١) .

الضَّغَابِيس - بضاد فغين معجمة فالف فموحدة : وهو صغار القثاء وقيل : هو نبت ينبت في أصول الثام يصلق بالخل والزيت ويؤكل . والثَّمَام : بالثاء المثناة^(٢) .

الهوام : جمع هامة بالتشديد ، يطلق على ما يدب من الحيوان كالقمل ونحوه .

الجُحْفَة - بجيم مضمومة ، فحاء مهملة ، ففاء ، فتاء تأنيث : تقدم الكلام عاينها في غزوة^(٣)

قُمَ بالبناء للمفعول ؛ أى كُنِسَ .

الْفَرَط - بفتحتين ؛ المتقدم في طلب الماء^(٤) .

شَاهَتْ وَجُوهُهُمْ : قَبِحَتْ

تُكَل - بضم الفوقية وفتح الكاف : أى يتكل بعضكم على بعض .

أَرْتَجَت مَكَة : اضطربت .

(١) المرزجوش : ويقال المرزنجوش والمردقوش فارسيّ معرب هو الزعفران وطيب تجمعه المرأة في مشطها يضرب إلى الحمرة والسواد . (القاموس المحيط - مردقوش) .

(٢) وانظر في تمام التعريف لسان العرب « ضغيب » ٧ : ٤٢٦ .

(٣) بياض بمقدار كلمة . ولعلها « بدر » حيث ورد ذكر الجحفة فيها أكثر من مرة وانظر مغازي الواقدي ١ : ٤٢ .

(٤) وقال في النهاية ٣ : ١٩٤ « إني كائن لكم فرطاً : أى أجراً » .

راعهم : أفرعهم .

عَنَوَة - بفتح العين المهملة ، وسكون النون ، وفتح الواو : أخذ الشيء قهراً وكذا
١٨١ ظ إذا / أخذ صلحاً فهو من الأضداد ، والمراد هنا الأول .

عَيْنٌ تَطْرَفُ : تنظر وتتحرك .

كُرَاع - بكاف مضمومة فراء مخففة ، فالف فَعَيْنٌ مهملة : وهو طرف الغنم^(١)
بغين معجمة مفتوحة ؛ وهو واد بين رايغ والجُحفة ؛ وكُرَاع كل شيء طرفه .

الأحابيش : بحاء مهملة ، فالف ، فموجدة مكسورة فتحتية فشين معجمة : وأخذها
أخبوش بضمين ؛ وهم : بنو الهون بن خزيم بن مُذركة ، وبنو الحرث وبنو عبد مناة
ابن كنانة ، وبنو المصطلق من خزاعة^(٢) ، وتقدم الكلام على ذلك مبسوطاً في غزوة^(٣)

أَجْلَبَتْ : استخففت الناس لطلب العدو .

بَلَدَج - بموحدة مفتوحة ، فلام ساكنة ، فдал مفتوحة ، فحاء مهملتين : وهو
واد في طريق التنعيم إلى مكة .

غَدِير : بغين معجمة مفتوحة ، فдал مهملة مكسورة .

الْأَشْطَاط - بشين معجمة ، وطاءين مهملتين : جمع شَط وهو جانب الوادي ، ووقع
في بعض نسخ الصحيح لأبي ذر الهروي بإعجام الطاءين .

عُسْفَان - بعين مضمومة ، فسین ساكنة مهملتين ، ففاء : قرية بينها وبين مكة
ثلاثة مراحل .

.....

(١) في شرح المواهب ٢ : ١٨٢ « وحكى عياض تصغيره ، وكذا وقع في شعر جرير والشيخ » .

(٢) وجاء في شرح المواهب ٢ : ١٨٢ « والأحابيش كانوا يخالفوا مع قريش في قيل : تحت جبل يقال له الحبش أسفل مكة ، وقيل : سوا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم ، والتحش التجمع » ، والحبشة الجملة ، وروى الفاكهي عن عبد العزيز ابن أبي ثابت أن ابتداء حلفهم مع قريش كان على يد قصية بن كلاب^(١) ، وروى الفاكهي عن عبد العزيز^(٢) : « (٣) يأتى في الأصول بمقدار كلمة ياء ولعلها الخندق » فإنه كان من بين الأحزاب « أحابيشهم ومن تبعهم » ، وانظر مغازي الواقدي ٢ : ٤٤٢ .

الْعُوذُ - يعين مهملة مضمومة فواو ساكنة ، فذال معجمة : جمع عائذ : وهي الناقة

ذات اللين

المطافيل : الأمهات اللاتي معهن أطفالهن ؛ يريد أنهم خرجوا بنوات الألبان ليتزودوا
ألبانها ، ولا يرجعوا حتى يمنعوه ، أو كَتَى بذلك عن النساء معهن الأطفال ، والمراد
خرجوا معهم نساؤهم وأولادهم لإرادة طول المقام ، وليكون أدعى إلى عدم الفرار .

قال ابن فارس - رحمه الله - : كل أنثى وضعت فهي إلى سبعة أيام عائذ ، والجمع عُوذ ، كأنها سميت بذلك لأنها تعوذ ولدها وتلتزم^(١) الشغل به ، وقال السهيلي : سُميت بذلك وإن كان الولد هو الذي يعوذ بها لأنها تعطف عليه بالشفقة والخشوع ، كما قالوا تجارة رابحة وإن كانت مربوحوها فيها .

لبسوا جُلُود النَمُور : كناية على شِدَّة الحِقْد والغضب ، تشبيهاً بأخلاق النَمُور ،
وقيل : هو مثل يُكْنَى به عن إظهار العداوة والتكبر ، ويقال للرجل الذي يظهر العداوة
لبسَ لي جلد نمر .

دى طوى - بتثليث الطاء المهملة والفتح : أشهر واد بمكة .

ويج: كلمة يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها.

افریقین کاملین

Đã ... của ...

تَنفَرِدُ هذه السَّالِفَةُ - بسينٍ مهملة ، ولامٍ مكسورةٍ بعدها فاء : صفحة العنق ،

كفى بذلك عن القتل ؛ لأن القتل تنفرد مقدمة عنقه . وقال الداودي الشارح :

المراد الموت ، أى حتى أموت ويُحتمل أن يكون أراد أنه يُقاتل حتى ينفرد وحده

في مقاتلتهم^(٢) .

(1) $\text{Mg}, \text{Al}, \text{Fe}, \text{Zn}, \text{Cu}, \text{Mn}, \text{Ni}, \text{Co}, \text{Pb}, \text{Cr}, \text{MgO}, \text{Al}_2\text{O}_3, \text{Fe}_2\text{O}_3, \text{ZnO}, \text{CuO}, \text{MnO}, \text{NiO}, \text{CoO}, \text{PbO}, \text{CrO}_2$

(١) بياض في الأصول بمقدار كلمتين . ولكن الكلام متصل . ويؤيده ما جاء في شرح المواهب ٢ : ١٨٧ .

(٢) وبقية كلام الداوودي « وأبقى منفرداً في قبري » شرح المواهب ٢ : ١٨٨

وقال ابن المنير - رحمه الله - لَعَلَّه^(١) - صلى الله عليه وسلم نَبَّه بِالْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى ؛
أَيُّ أَنْ لَى مِنَ الْقُوَّةِ بِاللَّهِ - تعالى - وَالْحَوْلُ بِهِ مَا يَقْتَضِي أَنَّى أَقَاتِلَ عَنْ دِينِهِ ، لو أَنْفَرَدْتُ ،
فَكَيْفَ لَا أَقَاتِلَ عَنْ دِينِهِ مَعَ وُجُودِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثَرَتِهِمْ ؟ .

* * *

شرح غريب ذكر مشاورته - صلى الله عليه وسلم

١٨٢ و مَوْتُورِينَ - بالفوقية : اسم مفعول ، جمع موتور ، وهو الذى قَتِلَ له / قتيل فلم
يُذْرِكْ بدمه .

مَخْرُوبِينَ - بحاء مهملة ، فراء [فواو]^(٢) فموحدة : مسلوبين مَنُوهَبِينَ ، يُقَالُ
حَرَبَهُ إِذَا أَخَذَ مَالَهُ وَتَرَكَه بِلَا شَيْءٍ
نَوْمٌ - بنون فَهَمْزَةٌ : نقصد .

تَكُنْ عُنُقًا - بضم العين المهملة والنون ، وفي لفظ « عَيْنًا قَطَعَهَا اللَّهُ » . قال فى المطالع :
وكلاهما صحيح ، والعنق أَوْجَهٌ لِذِكْرِ الْقَطْعِ مَعَهُ ، أَيْ أَهْلَكَ اللَّهُ - تعالى - جماعة
منهم . والعُنُقُ : الشئ الكثير ، ولقوله : « عينا » وجه أيضاً ؛ أَيْ كَفَى اللَّهُ - تعالى -
منهم مَنْ كَانَ يَرُصِدُنَا وَيَتَجَسَّسُ عَلَى أَخْبَارِنَا . والعَيْنُ : الجاسوس ، وتبعه على ذلك فى
التَّقْرِيبِ - وما ذكرناه هو الوجه ، بخلاف ما قَدَّرَهُ^(٣) الكرمانى وتبعه شيخنا أبو الفضل
ابن الخطيب الْقَسْطَلَانِيُّ - رحمهما الله - وقد ذكر فى القصة أَنَّ الْعَيْنَ الذى أَرْسَلَهُ رَسُولُ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ مُسْلِمًا وَهُوَ بُسْرٌ - بضم الموحدة وسكون المهملة -
ابن سُفْيَانَ الْخَزَاعِى .

الغَرَّةُ - بكسر الغين المعجمة : الغفلة .

حانت الصلاة : دخل وقتها .

(١) كذا فى ط و شرح المواهب ٢ : ١٨٨ . وفى ت ، م « لعلمه » .

(٢) إضافة على الأصول .

(٣) كذا فى « ط » وفى ت ، م « قرره » .

شرح غريب ذكر مسيرته - صلى الله عليه وسلم - الى الحديبية

العَصَل - بفتح العين والصاد المهملتين : جمع عَصْلَة ؛ وهى شجرة إذا أَكَلَ منها البعير سلحته^(١) .

ظَهَرَى^(٢) كذا : بينه ووسطه .

الحَمَض - بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وبالضاد المعجمة : ما ملح وأمر من النبات كالأثل والطرفاء ، وذكر فى الإملاء أنه هنا اسم موضع ، فالله أعلم .

الطليعة : القوم يُبْعَثُونَ أمام الجيش يتعرفون طلع العدو ، وبالكسر ، أى خبره ، والجمع طلائع .

أَجْرَل - بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الراء وآخره لام : أى كثير الحجارة .
والجَرَل : - بفتح الجيم والراء : الحجارة . ويُروى بدال مهملة عَوْضاً عن اللام ؛ أى ليس به نبات .

الشَّعَاب - بكسر الشين المعجمة : جمع شَعْب بكسرها أيضاً : ما انفرج بين جبلين .
تنكبه الحجارة : تصيبه .

حَار - بِحَاء مهملة : لم يدر وجه الصَّواب .

ثَنِيَّة ذات الحنظل : ثنية فى شعب ما بين مكة وجدة .

سراوع : جمع سَرَوَعَة - بفتح السين المهملة ، وسكون الراء ، وفتح العين المهملة - وهى الرابية من الرمل كذا فى النهاية . وفى مصنف ابن أبى شيبة عن هشام بن عروة عن أبيه فأخذ بهم بين سَرَوَعَتَيْن ؛ أى بين شجرتين ، هذا لفظه ، فالله أعلم .

(١) وفى لسان العرب « عصل » ١٣ : ٤٧٦ ، وقيل هو شجر يشبه الدخلى تأكله الإبل وتشرب عليه الماء كل يوم .
وقيل هو حمض ينبت على المياه ، والجمع عصل . . . والعصل الرمل الملتوى المعوج .

(٢) ماورد فى سياق القصة هو « ظهور الحمض » أما « ظهري » فهى نص رواية وردت فى السيرة النبوية لابن كثير

قَبَلَ المغرب : بكسر القاف : ناحيته .

ما شعر : ما علم .

قَتَرَةُ الجيش : بفتح القاف والفوقية : الغبار الأسود الذى تثيره حوافر الدواب .

وَعَرَّ - بكسر العين : أى غليظ حزن يصعب الصعود إليه .

الشَّرَاكَ للنعل : سيرها الذى على ظهر القدم .

الْفِجَاج : - بكسر الفاء : جمع فَجَّ : الطريق الواضح الواسع .

لَا حِجَةَ - بالحاء المهملة والموحدة واضحة^(١)

ثنية المُرَّار : بضم الميم على المشهور ، وبعضهم يكسرهما ، وتخفيف الراء : طريق
فى الجبل يُشرف على الحديبية ، وليست الثنية التى أسفل مكة .

قولوا حِطَّة - بكسر الحاء وفتح الطاء المشددة المهملتين ؛ أى حُطُّ عَنَّا ذُنُوبِنَا ،

١٨٢ ظ ويُرَوَّى / بإعجام الحاء وضمها ؛ أى الخصلة والفضيلة .

سيف البحر - بكسر السين : ساحله .

استبرأ العسكر : تأملَه وفتَّشَه .

شرح غريب ذكر نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحديبية

الغائط : هنا المطمئن الواسع من الأرض ، والجمع غيطان وأغواط وغوط .

حَلَّ حَلٍّ - بفتح الحاء المهملة وسكون اللام : كلمة تقال للناقة إذا تركت السير . قال
الخطَّابى - رحمه الله - إن قلت « حل » واحدة فبالسُّكُون وإن أعدتها تَوْنَتْ الأولى
وَسَكَنْتَ الثانية . وحكى غيره السكون فيهما والتنوين كتنظيره فى نخ نخ ، يقال : حلحلت
فلاناً إذا أزعجته عن موضعه .

أَلَحَّتْ - بتشديد الحاء المهملة : تبادت على عدم القيام ، وهو من الإلحاح ، وهو
الإصرار على الشيء .

(١) لاجبة : ورد فى سياق الخبر ص ٦٤ « لاجبة » وشرحت فى النهاية فى غريب الحديث ٤ : ٥٠ .

خَلَّاتٌ : الخَلَّاءُ - بخاءٍ معجمة والمد ؛ للإبل كالجِرَّان للخيَل . قال ابن قتيبة :
لا يكون الخَلَّاءُ إِلَّا لِلنُّوقِ خاصة . وقال ابن فارس : لا يُقَالُ للجمل خَلَّاءٌ ولكن أَلَحَّ .
القَصَوَاءُ : بقاف مفتوحة فصاد مهملة وبالد ، وبعض رواة الصحيح كَحُبْلَى^(١) -
وغلط .

بُخِّلُقٌ - بضم الخاء المعجمة ، واللام والقاف : أى بعادة .

خُطَّةٌ : بضم الخاء المعجمة : أى خصلة يعظمون فيها حرَمَاتِ الله تعالى . ومعنى قوله
يعظم حرَمَاتِ الله تعالى فى هذه القصة تَرْكُ القتال فى الْحَرَمِ والجنوح إلى المُسَالمة والكف
عن إراقة الدماء .

أَعْطَيْتَهُمْ إِيَّاهَا : أجبتهن إليها .

وَتَبَّتْ - بالثلثة : قَامَتْ .

عَوْدُهُ عَلَى بَدْنِهِ : أى لم يقطع ذهابه حتى وصله برجوعه .

الْثَّمَدُ - بشاءٍ مثناة فميم مفتوحين فдал مهملة : حفيرة فيها ماء قليل ، يُقَالُ
ماءٌ مَثْمُودٌ قليل الماء .

الظَّنُونُ : الذى تَتَوَهَّمُهُ ، ولستَ منه على ثقة فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُولٍ . وقيل : هو
البئر التى يظن [أن]^(٢) فيها ماء . وقوله قليل الماء تأكيد لرفع توهم أن يُراد لغةً من يقول :
إن الثمد : الماء الكثير . وقيل : الثمد ما يظهر فى الشتاء ، ويذهب فى الصيف .

يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ - بالموحدة المشددة والضاد المعجمة : يأخذونه قليلاً قليلاً . والْبَرَضُ
- بالفتح والسكون : اليسير من العطاء . وقال صاحب العين : هو جمع الماء بالكفَّين .

(١) وفى شرح المواهب ٢ : ١٨٤ « القصو قطع طرف الأذن ، يقال بغير أقصى وناقة قصواء . . وزعم الداودى
أنها كانت لاتسبق فقيل لها القصواء ، لأنها بلغت من السبق أقصاء » .
(٢) إضافة على الأصول .

لم يُلبِثْهُ الناس - بتحتية مضمومة فلام ساكنة فمثلة : من الإلباث . وقال ابن التين : بفتح اللام وكسر الموحدة المثقلة ؛ أى لم يتركوه أن يُقيم .

نَزَحُوهُ - بنون فزاي فحاء مهملة ، وفي لفظ نزفوه بالفاء بدل الحاء : ومعناها واحد ، وهو أخذ الماء شيئاً بعد شيء

صَدَرُوا : رجعوا .

بعطن : أى رَوَوْا ورويت إبلهم حتى بركت ؛ وعَطَنَ الإبل : مبارَكها حَوْلَ الماء لتعاد للشرب ، وقد يكون عند غير الماء .

القَلْبِيب - بفتح القاف وكسر اللام - عند العرب : البئر العادية القديمة مطوية كانت أو غير مطوية .

شفير البئر : حَرَفُها .

تَجِيْش - بفتح الفوقية وكسر الجيم وآخره شين معجمة : تفور .

الرُّى : بكسر الراء وفتحها .

المَائِح - بالتحية ، والحاء المهملة : الذى انحدر فى الركبة يملأ الدلو وذلك حين يقل ماؤها ، ولا يمكن أن يستسقى منها إلا بالأغتراف باليد .

١٨٢ و من كلامهم المائح / أعرف باست المائح : وهو الذى يستسقى بالدلو ، فالنقط من أسفل لمن يكون أسفل ومن فوق لمن يكون فوق .

يُمجِدُّونَكَ : يشرفونك ، والتمجيد : التشريف .

الرَّشَاش^(١) - براء مفتوحة فشينين معجمتين .

(١) الرشاش : يقال طعنة رشاش أى واسمة يتفرق منها الدم (القاموس المحيط) .

واهية : مسترخية واسعة الشق .

العادية : القوم الذين يغدون ويسرعون الجرى .

طمت : بفتح الطاء المهملة : ارتفع ماؤها .

نهلوا : رروا .

الركائب : المطى ، الواحدة راحلة من غير لفظها^(١) .

آن الشيء - بالمد : قرب .

الرَّكْوَة - بفتح الراء : إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء ، والجمع رِكَاء وَرَكَوَات بالتحريك .

شرح غريب نزول المطر في تلك الأيام

النُّوء : سقوط نجم من المنازل في الغرب مع الفجر . وطلوع رقيبته من الشرق . كانوا يعتقدون أنه لا بد عند ذلك من مطر ، أو ريح ، فمنهم من يجعله للطلع لأنه ناء ، ومنهم من ينسبه للغارب ، فنى النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك عنه ، وكَفَّرَ مَنْ اعتقد أن النجم فاعل ذلك ، ومن جعله دليلاً فهو جاهل بمعنى الدلالة . قال في النهاية : فَمَنْ أَسْنَدَ ذَلِكَ إِلَى الْعَادَةِ الَّتِي يَجُوزُ انْخِرَامُهَا فَقَدْ كَرَّهَهُ قَوْمٌ وَجُوزَهُ آخَرُونَ .

الْخَرِيف - بالخاء المعجمة : الفصل الذى تختبر فيه الثمار ، أى تقطع .

الشُّعْرَى - بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة : كوكب معروف ليس في

السماء كوكب يقطعها عرضاً غيره .

الْجُزُور : بفتح الجيم من الإبل خاصة ، يقع على الذكر والأنثى ، والجمع جُزُرٌ

(١) وفي المنجد « الركائب جمع ركوبه وهى «ايركب» .

شرح غريب ذكر قدوم بديل بن ورقاء ورسل قریش

بديل : بضم الموحدة وفتح المهملة والتصغير .

ورقاء : بفتح الواو وبالقاف .

خُرَاعَة : بضم الخاء المعجمة وبالزاي .

عَيْبَة - بفتح العين المهملة وسكون التحتية بعدها موحده : ما يوضع فيه الثياب لحفظها ؛ أى أنهم موضع النصح له والأمانة على سرّه ، كأنه شبه الصّدر الذى هو مستودع السرّ بالمعينة التى هى مستودع الثياب .

نُصَح - بضم النون ، وحكى ابن التين فتحها .

تِهَامَة - بكسر الفوقية : وهى مكة وما حولها ، وأصلها من التهم ؛ وهو شدة الحرّ وركود الرّيح .

الأَعْدَاد - بالفتح جمع عِدٍّ بالكسر والتشديد وهو الماء الذى لا أنقطاع له .

تَبِيد : تهلّك [خضراؤهم]^(١) بخاء فضاء معجمتين : [معظم قریش أو جماعتهم]^(٢) .

نَهَكْنَهُم الحرب - بفتح النون وكسر الهاء : أى بلغت بهم حتى أضعفتهم ، إما أضعفت قواهم ، وإما أضعفت أموالهم .

مَادَدْتُهُمْ جعلت بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مدّة بترك الحرب بينى وبينهم . قوله : فَإِنْ ظَهَرَ أَمْرِي ، وقوله فَإِنْ شَاءُوا شرط بعد شرط ، والتقدير : فَإِنْ ظَهَرَ غيرهم من الكفار عَلَى كِفَاهِمِ الْمُؤْنَةِ ، وَإِنْ أَظْهَرَ أَنَا عَلَى غيرهم فَإِنْ شَاءُوا أطاعوني وإلّا فقد^(٣) جَمُّوا - بفتح الجيم وتشديد الميم المضمومة ؛ أى قَوُّوا واستراحوا .

(١) سقط فى الأصول ، والإثبات عن سياق الغزوة - وعن مغازى الواقدي ٢ : ٥٩٣ .

(٢) بياض فى الأصول - والمثبت يستقيم به السياق .

(٣) كذا فى ط . ومغازى الواقدي ٢ : ٥٩٣ - وفى ت ، م « وإلا فلا جموا » .

لَيُنْفِذَنَّ - بضم التحتية وسكون النون وكسر الفاء وبالدال المعجمة : فعل مضارع مؤكد بالنون / . استنفرت أهل عكاظ : دعوتهم إلى نصركم ، وعُكَظَ بعين مهملة ١٨٤ ظ مضمومة فكاف مخففة فألف فطاء معجمة مُشَالَة : سوق بقرب عرفات .

بَلَّحُوا : بموحدة فلام مشددة مفتوحتين فمهملة مضمومة : امتنعوا من الإجابة ، وانبلح : امتنع من الإجابة .

أَسَيْتَكُمْ - بهمزة مفتوحة : يقال أسيه^(١) بمالي مؤاسة ؛ أى جعلته أسوتى فيه .

تجتاحهم - بجيم وحاء مهملة : تهلكتهم بالكلية .

أوباش : بتقديم الواو : الأخلاط من السفلة ؛ وهم أخص من قوله في رواية أشواب بتقديم الشين المعجمة على الواو ، وهم الأخلاط من أنواع شتى .

خَلِيقًا - بالخاء المعجمة والقاف : حقيقاً وَزناً ومعنى ، ويُقَالُ خَلِيقٌ للواحد والجمع^(٢) . يَدْعُوكَ : بتركوك .

أمصص - بألف وصل ومهملتين ، الأولى مفتوحة ، زاد في التقريب ويجوز ضمها : فعل أمر .

البَطْرُ - بفتح الموحدة وسكون الظاء المعجمة المُشَالَة : قِطْعَة تَبْقَى بعد الخِتَانِ في فرج المرأة .

واللات : اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها ، وكانت عادة العرب الشتم بذلك ، لكن بلفظ الأمر ، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عُرْوَة بإقامة مَنْ^(٣) كان يَعْبُدُ مَقَامَ أمه ، وحمله على ذلك ما أغضبه من نسبة المسلمين إلى الفرار ،

(١) وفي اللسان ١٨ : ٣٨ « الجوهري : آسيته بمالي مؤاسة جعلته أسوتى فيه » والمثبت ما في الأصول ، ولعله تحريف

(٢) ولذا وقع وصفا لأشواب (شرح المواهب ٢ : ١٩٠) .

(٣) كذا في الأصول . وحققا أن تكون « ما » لغير العاقل زيادة في سب عروة .

وفيه جواز النطق بما يستشنع من الألفاظ لإرادة زجر من بدأ منه ما يستحق به^(١) ذلك .

أما - بفتح الهزة وتخفيف الميم : حرف استفتاح .

المِغْفَر : بكسر الميم ، وسكون الغين المعجمة .

أَلْفَظَ - بالفاء وتشديد الظاء المعجمة المشالة : الشديد الخلق بضمين .

الغليظ : السوء القول .

اليد : النعمة والإحسان .

لم أجزك بها : لم أكافئك بها .

طَفِقَ - بفتح الطاء ، وكسر الفاء : جعل .

أهوى بيده : مَدَّها^(٢) .

نعل السيف : ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها .

غُدْرَ - بغين معجمة - وزن عمر ، ومعدول عن غادر : مبالغة في وصفه بالغدر ؛ وهو ترك الوفاء .

يَرْمُقُ - بضم الميم : يلحظ .

يُجِلُّونَ بضم أوله وكسر المهملة : يدعون .

وَضُوءه - هنا بالفتح^(٣) : الماء

(١) في شرح المواهب ٢ : ١٩٠ « قال ابن المنير : في قول أبي بكر تحسيس للعدو ولدينهم وتمريض بالزأهم من قولهم اللات بنت الله - تعالى الله عن ذلك - بأنها لو كانت بنتاً كان لها ما يكون للإناث » .

(٢) زاد شرح المواهب ٢ : ١٩١ « أو قصد أو أشار أو أوما » .

(٣) في المرجع السابق ٢ : ١٩٢ « فضلة الماء الذي توضع به » .

كسرى : بكسر الكاف وبفتحها .

يَتَأَلَّهُونَ : يعظمُونَ أمر الإله ، وقيل التأله : التعبد .

أَبَعَثُوهَا لَهُ : أثيروها دفعة واحدة .

عُرِضَ الْوَادِي - بضمَّ العين المهملة وسكون الرَّاء ، وبالضَّادِ المعجمة : جانبه وناحيته ، وقيل : عُرِضَ كُلُّ شَيْءٍ : وسطه ، وليس المرادُ ضِدَّ الطول ؛ ذاك بفتح العين .

تَفَلَّوْا - بالثَنَاءِ الفوقية وكسر الفاء : تَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُمْ .

السَّعَثَ - بالشين المعجمة ، والعين المهملة المفتوحتين وبالثاء المثناة : الانتشار والتفرُّق للشعر .

لَحُمَ : بفتح اللام وسكون الحاء المعجمة .

وَجُذِّمَ : بجيم مضمومة ، فذال معجمة .

كندة : بكسر الكاف

جَنِيرَ - بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفتح التحتية وبالراء : أسماء قبائل .

أَجَلَ - كنعم وزناً ومعنى .

معكوف : محبوس .

* * *

شرح غريب ذكر إرساله - صلى الله عليه وسلم - خراش بن أمية ،
وبعده عثمان ، ومبايعته - صلى الله عليه وسلم - بيعة الرضوان ، وذكر
الهدنة ، وكيف جرى الصلح

التَّغَلَّبُ - بلفظ / اسم الحيوان المعروف .

عَقَرَ الدَّابَّةَ : ضرب قوائمها .

وَشَيْكَاً - بالشين المعجمة والتَّحْنِيَّةُ : قريباً .

كافة : جميعاً .

الأمائل : الخيار من قومهم .

وافرون : كثيرون .

جامون - بتشديد الميم : مُستريحون كثيرون .

المناجزة في الحرب : المبادرة والمقاتلة .

مازن - بكسر الزاي : أبو قبيلة .

البينة البينة : بنصبها على الإغواء .

روح القدس : جبريل - صلى الله عليه وسلم - وتقدم الكلام على ذلك في ترجمته .

في أبواب المعراج .

ثُرنا - بالثالثة : نهضنا .

سرة - بفتح المهملة وضم الميم : من شجر الطلح ، وهو نوع من العُصاه .

الحجفة - بحاء فجيم ففاء مفتوحات : الثرس الصغير يطارق بين جلدتين (١) .

الدركة : الحجفة .

عزلاً - بكسر الزاي مع فتح العين ، وبضمهما : أى لا سلاح معه يقاتل به فيعتزل .

الحرب .

أبغنى : أعطنى .

مخفون به : محيطون ناظرون إليه بأحداقهم .

الجدد بن قيس : بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة - جمع جدد ، أى جلود .

ضباً إليها - بفتح الضاد المعجمة والموحدة مهموز : اختبأ بها .

(١) وفي اللسان ١٠ : ٣٨٢ « الحجفة ضرب من الترس واحدتها حيفة ، وقيل هي من جلود الخافض وتقول هي من

جلود الإبل مقورة ، وقال ابن سيده : هي من جلود الإبل يطارق بعضها بعض . ويقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب حيفة ودركة . »

اضْطَنِعُوا - بصاد ساكنة فطاء مفتوحة مهملتين ، فنون مكسورة ، فعين مهملة :

اتَّخَذُوا صَنِيعاً ؛ يعنى اتخذوا طعاماً تُنفقونه في سبيل الله .

لن يدرك قومٌ بعدكم صناعكم ولا مدكم ؛ الصَّاع : أربعة أمداد ، والمد : ربع صاع

وهو رطل وثلاث بالعراق عند الشافعي وأهل الحجاز ، ورطلان عند أبي حنيفة وأهل

العراق ؛ أى ما يبلغ ثواب صاع أحدكم ولا مُدّه في الثواب إذا تصدّق به .

تشميرهم إلى الحرب : إسراعهم إليه .

القضية :..... (١)

الهدنة - بضم أوّله وسكون ثانيه وبضمه أيضاً : الصلح والموادعة بين المتحاربين .

مقتنعان في الحديد - بتشديد النون : عليهما بيضه .

العنوة - بفتح العين المهملة وسكون النون : أخذ الشيء قهراً .

عَيِّبَةٌ مكفوفة - بفتح العين المهملة وسكون التحتية : أى أمر مطوّى في صدور

سليمة ، وهو إشارة إلى ترك المواجهة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها ، والمحافظة

على العهد الذى وقع بينهم .

لا إغلال - بغيرين معجمة : لا خيانة ، تقول أغل الرجل إذا خان ، وأما في الغنيمة

فيقال غلّ بغير ألف .

ولا إسلال : لا سرقة ، من السلّة وهى السرقة ، والمراد أن يأمن بعضهم من بعض

في نفوسهم وأموالهم سراً وجهراً ، وقيل : الإسلال من سلّ السيوف ، والإغلال من

لبس الدرّع . وواه أبو عبيد .

إمّعضوا - بيم مشددة فعين مهملة فصاد معجمة ، ولبعض رواقٍ الصحيح أمّعضوا -

بإظهار الفوقية : أى شقّ عليهم (٢) .

(١) يأتى في الأصول بمقدار كلمتين ، ولعل المراد الصلح أو الموادعة بضمها ، أى بفتح الدال ، ففتح الله - (٢) وفى شرح المواهب ٢ : ٢٠٠ . يأتى تفسيراً من هذا الترتيب وأنفوا منه .

الدَّيْنَةُ - بَدَال مَهْمَلَة مَفْتُوحَة فَنُون مَكْسُورَة فَتَحْتِيَّة مُشَدَّدَة : الْخَصْلَة الْمَذْمُومَة ،
وَالْأَصْل فِيهِ الْهَمْز وَقَدْ يَخْفَف .

أَوَّلُسْنَا - بَفَتْح الْوَاو ، وَالْأَسْتِفْهَام لِلْإِنْكَار^(١) ، وَكَذَا مَا بَعْدَهُ .

الْغَرْزُ - بَفَتْح الْغَيْن الْمَعْجَمَة فَرَاء سَاكِنَة فَزَاي : رَكَاب كُورَالْبَعِير إِذَا كَانَ مِنْ
جِلْد أَوْ خَشَب .

يَتَلَكَّأُ : يَبْطِئُ .

هَاتِ : فَعَلَ أَمْرٌ مِنْ بَابِ رَأَى يُرَآى .

مُضْطَهَّدٌ : بِحِمٍّ مَضْمُومَة فُضَاد مَعْجَمَة سَاكِنَة فِطَاء مَهْمَلَة .

لَا تَحْدُثُ الْعَرَبُ - بَفَتْح الْفَوْقِيَّة ، وَتَشْدِيد الدَّالِ الْمَهْمَلَة الْمَفْتُوحَة حَذَفَ مِنْهُ
١٨٤ ط إِحْدَى التَّائِينَ / . ضُغْطَة - بِضَمِّ الضَّاد ، وَسُكُون الْغَيْن الْمَعْجَمَتَيْنِ ، فِطَاء مَهْمَلَة : مَقْهُور .

التَّنْعِيمُ - عَلَى لَفْظِ الْمَصْدَر ، مِنْ نَعْمَتِهِ تَنْعِيماً : مَكَانٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ
مِنْ جِهَةِ الْمَدِينَةِ .

الْغِرَّةُ - بِالْكَسْرِ : الْغَفْلَةُ .

زُنَيْمٌ : بِضَمِّ الزَّاي وَفَتْحِ النُّونِ .

اخْتَرَطَ السَّيْفَ : أَسْتَلَّهُ .

الْعَبَلَاتُ - بَفَتْحِ الْمَهْمَلَة وَالْمُوَحَّدَة : وَهْمٌ مِنْ قَرِيشٍ أَمِيَّةِ الصَّغْرَى ، نَسَبُوا إِلَى أَمِّهِمْ
عَبْلَةَ بِنْتِ عُيَيْدٍ .

(١) وَفِي الْمَرْجِعِ السَّابِقِ ٢ : ٢٠٥ « قَالَ الْعُلَمَاءُ : لَمْ يَكُنْ سَوْأَلُ عُمَرُوفِي اللَّهِ عَنْهُ وَكَلَامُهُ شَكَا فِي الدِّينِ - حَاشَا
مِنْ ذَلِكَ - طَلَبًا لِكَشْفِ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ وَعَدَمِهَا فِي هَذَا الصَّلَحِ وَحَاشَا عَلَى إِذْلَالِ الْكُفَّارِ وَظُهُورِ الْإِسْلَامِ كَمَا عَرَفَ
وَيَخْلُقُهُ وَقُوَّتُهُ فِي نَصْرِ الدِّينِ وَإِذْلَالِ الْمُبْطِلِينَ - فَفِيهِ جَوَازُ الْبَحْثِ فِي الْعِلْمِ حَتَّى يَظْهَرَ الْمَعْنَى » .

بَدءَ الفجور^(١) - بفتح الموحدة ، وسكون الدال المهملة وبالهزم : ابتداءؤه وأوله
وثنياه - بضم الثاء المثناة وسكون النون فتحية ، أى عودة ثانية ، وفي رواية ثناه بكسر
المثناة وإسقاط التحتية .

أَبُو جَنْدَل - بالجيم : وزن جعفر .

يَرُسُفُ في قيوده - بفتح التحتية وضم السين المهملة وبالفاء : يمشى مشياً بطيئاً
بسبب القيد .

لم نقض^(٢) الْكِتَابَ بَعْدَ : لم نفرغ من كتابته .

أجزه لى - بالجيم والزاي : امض لى فعلى ولا أَرَدَه عليك أو استثنه من القضية ،
ووقع فى الجمع للحميدى بالراء^(٣) ، ورجح أبو الفرج الزاي .

ضَنَّ بِأَبِيهِ - بالضاد المعجمة ، والنون المشددة : بخل ، أى لم يسمح بقتله .
الْتَأَمَ - بهمزة مفتوحة : انسد .

يَمَّمْ هَذِيهِ : قصده .

شرد جمل : نَدَّ ونَفَرَ .

التَّجِيب : الفاضل من كل حيوان .

المَهْرَى - بفتح الميم وسكون الهاء : نسبة إلى بنى مَهْرَةَ كَتَمَرَة : قبيلة مِنْ قِضَاعَة
سَمَوْا بِاسْمِ آبِيهِمْ مَهْرَةَ بن حيدان ، وبلد بعمان ، والإبل المَهْرِيَّة تُنْسَبُ إلى أَحَدِهِمَا .
الْبُرَّة - بضم الموحدة وتخفيف الراء المخففة : حلقة تجعل فى أَنفِ البَعِيرِ لِيَذُلَ ،

(١) بدء الفجور : لم يرد ذلك فى متن النزوة - وإنما وردت فى رواية مسلم عن سلمة (قال) « جاء عى برجل يقال له
مكرز فى ناس من المشركين فقال صلى الله عليه وسلم : دعوهم يكون لهم بدء الفجور وثنياه فغفاهم » .

(٢) الضبط من شرح المواهب ٢ : ٢٠١ حيث ضبط الكلمة بالحروف « وفيه » ولأبى ذر عن المستمل والحموى
لم نقض بالفاء وتشديد المعجمة .

(٣) وهى موافقة لرواية السيرة الحلبية ٣ : ٢٥ .

وأكثر ما تكون من صُفَر ، فإن كانت من شَعْر فهي خزامه ، وإن كانت من خشب فهي خشاش ، بخاء وشينين معجمات .

مضطرباً في الحل : أى كانت قُبَّتَه مضروبة في الحل ، وكانت صلاته في الحرم لقرب الحُدَيْبِيَّة من الحرم .

اضْطَبَعَ بثوبه : أدخله تحت إبطه اليمنى وألقاه على عاتقه الأيسر .

* * *

شرح غريب ذكر رجوعه — صلى الله عليه وسلم — ونزول سورة الفتح

مرّ — بفتح الميم وتشديد الرّاء ، مضاف إلى الظّهْران ، بالظاء المعجمة المُشَالَّة المفتوحة ، وبين مرّ والبيت^(١) الشريف ستة عشر ميلاً .

أَرْمَلُوا من الزّاد — بالرّاء : نفَذَ زادهم .

النتع : المتخذ من الأديم معروف ، وفيه أربع لغات . فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها .

ربضة عَنَز : قدرها رابضة ؛ أى باركة .

التّواجد — بالنون والجيم المكسورة وبالدال المعجمة : جمع ناجذ ، وهو السّن بين الضّرس والناَب ، وأواخر الأضراس . والمراد هنا الأنياب .

الجهد : المشقة .

يدفعوكم بالرّاح — بالحاء المهملة والرّاء : جمع راحة وهى الكفّ .

لا يُلَوُّون على أَحَدٍ : لا يَلْتَفِتُونَ إليه ، ولا يَعْطِفُونَ عليه .

ثكلته أمه : كلمة تقولها العرب للإنكار ، ولا يريدون حقيقتها .

نزّرت — بنون فزاي مشدّدة فراء : ألححت .

(١) ما بين المقوفتين زيادة تقتضيها السياق .

نشب - بنون فشين معجمة فموحدة : لبث .

يوجفون الأباعر : يُحَثُّونَهَا عَلَى الإسراع في السير .

هنيئاً : طيباً .

مرئياً : سائغاً .

عَرَسْنَا - بعين فراء مشددة فسين / مهملات فنون : نَزَلْنَا لَيْلًا ، أو آخر الليل . ١٨٥ ،

شرح غريب ذكر قدوم أبى بصير - رضى الله عنه - على رسول الله -
صلى الله عليه وسلم

أبو بصير - بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون التحتية فراء .

البَكْرُ مِنَ الإِبِل - بالفتح : وهو الفتى من الدواب خلاف المُسِنَّ ، كالشباب من

الناس .

حتى بَرَدَ - بموحدة فراء مفتوحتين فдал مهملة : خمدت حواسه ، وهى كناية على الموت ؛ لأن الميت تسكن حركته . وأصل البرد السكون .

الإِسَار : وزن كتاب : القيد بفتح^(١) القاف .

جَمَزَ - بالجيم والزاي - أسرع .

الدُّغْر - بضم الذال المعجمة وسكون المهملة : الخوف .

وَيْلُ أُمِّه - بضم اللام ووصل الهزمة وكسر الميم المشددة : وهى كلمة ذمّ تقولها العرب فى المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من الذمّ ؛ لأنَّ الوَيْلَ الهلاكُ ، فهو كقولهم : لَأُمِّ الوَيْلُ . قال القراء : أصل وَيْلٌ وِئٌ لفلان ، أى حُزْنٌ له : فكسر الاستعمال ، فألحقوا بها اللام ، فصارت كأنها منها ، وأعربوها ، وتبعه ابنُ مالك ، إلا أنه قال تبعاً للخليل

(١) فى الأصول بكسر القاف . والصواب ما أثبتته لأن يكسر القاف إنما هو بمعنى المقدار والمسافة . والمراد هنا الحبل أو الرباط الذى تشد به أيدي أو أرجل المقيدين .

إن وى كلمة تعجب ، وهى من أساء الأفعال ، واللام بعدها مكسورة ، ويجوز ضمها
إتباعاً للهمزة ، وحذفت الهمزة تخفيفاً .

مِسْعَرٌ حربٍ - بكسر الميم ، وسكون السين ، وفتح العين المهملتين وبالنصب
على التمييز ، وأصله من مِسْعَرٍ حرب . أى مُسْعِرُها ، قال الخطابي : كَأَنَّهُ يَصِفُهُ بِالْإِقْدَامِ
فِي الْحَرْبِ ، وَالتَّسْعِيرِ لِنَارِهَا .

مِحْشٌ - بحاء مهملة وشين معجمة : وهو بمعنى مِسْعَرٍ حرب . : وهو العود الذى
تُحَرَّكُ بِهِ النَّارُ .

العِيصُ - بكسر العين المهملة ، وسكون التحتية ، وبالصاد المهملة : موضع قرب
المدينة على ساحل البحر .

ذو المَرَوَةِ : موضع فى أرض جُهَيْنَةَ مِمَّا يَلِي سَيْفَ الْبَحْرِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ .

الثَّوَاءُ - بَاءٌ مَثَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَبِالْمَدِّ : الْإِقَامَةُ .

صَنَادِيدُ^(١) قَرِيْشٍ : عَظَمَاؤُهَا .

المَعْشَرُ - وَاحِدُ الْمَعَاشِرِ : وَهِيَ الْجَمَاعَاتُ مِنَ النَّاسِ .

تَخْفِيقٌ - بِخَاءٍ مَعْجَمَةٌ سَاكِنَةٌ فَفَاءٌ مَكْسُورَةٌ وَبِالْقَافِ : تَضْرِبُ .

أَيْمَانُهُمْ - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ .

الْقَنَّا - بِفَتْحِ الْقَافِ وَبِالْقَصْرِ : جَمْعُ قَنَاءَ : الرَّمْحِ .

الذَّابِلُ - بِذَالٍ مَعْجَمَةٌ ، فَالْفُ فَمَوْحِدَةٌ ، أَشَارَ إِلَى أَنَّ رَمَاحَهُمْ رَقَاقٌ .

لَمْ يَأْتَلِ : لَمْ يَحْلِفْ .

(١) لم يرد هذا اللفظ فى شعر أبى جندل ولا ما سبقه من سياق الغزوة .

الباب الثالث والعشرون

في غزوة ذي قرد^(١) - وهي الغابة

والسَّبَبُ فيها إغارة عُمَيْيَّة بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ الْفَزَارِي فِي خَيْلِ غَطَفَانَ عَلَى لِقَاحِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

روى الشيخان ، والبيهقي عن يزيد بن أبي عبيد ، ومسلم وابن سعد ، والبيهقي عن إياس بن سلمة بن الأكوع كلاهما عن سلمة - رضى الله عنه . وابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ومن لا يُتَّهَم عن عبد الله بن كعب ابن مالك ، ومحمد بن عمر عن شيوخه ، وابن سعد عن رجاله ، أَنَّ لِقَاحَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كانت عشرين لِقْحَةً^(٢) وكانت / ترعى البيضاء^(٣) ودون ١٨٥ ظ البيضاء إلى الجبل ، وهو طريق خيبر ، فأجذب ما هنالك فقرَّبوها إلى الغابة تصيب من أثلها وطفائها وتغدو في الشجر ، وكان الراعى يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب .

قال محمد بن عمر : وكان أبو ذرٍّ قد استأذن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى لِقَاحِهِ^(٤) ، فقال له رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إني أخاف عليك من هذه الضاحية أن تغير عليك . ونحن لا نأمن من عُمَيْيَّة بن حِصْن وذَوِيهِ وهي في طرف من أطرافهم ، فألحَّ عليه ، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لكأنني بك قد

(١) وانظر أخبار هذه الغزوة في مغازي الواقدي ٢ : ٥٣٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٨٦ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٤ ، ونهاية الأرب ١٧ : ٢٠١ ، وشرح المواهب ٢ : ١٤٨ وذو قرد . ماء على نحو بريد من المدينة ما يلي بلاد غطفان ، والقرء لفة الصوف .

(٢) لقحة بكسر اللام وقد تفتح وحاء مهملة . والجمع لقاح بالكسر فقط . وهي ذوات اللبن القريبة المهد بالولادة بشهر واثنين وثلاثة .

(٣) البيضاء : موضع تلقاء حمى الريدة (معجم ما استمعتم : ١٨)

(٤) عبارة الواقدي في المغازي ٢ : ٥٣٨ « أن يكون في لقاحه » وهو يفسر مامعنا .

قتل ابنك وأخذت أمرك ، وجئت تنوكاً على عصاك » فكان أبو ذر يقول : عجباً لي ، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لكأن بك » وأنا ألح عليه ، فكان - والله - ما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أبو ذر : والله إنني لفي منزلنا ، ولقاح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد رُوحت وعُطفت وحُلِيت عَمَتُّها ، ونمنا ، فلما كان الليل أخلق بنا عيينة بن حصن في أربعين فارساً ، فصاحوا بنا وهم قيام^(١) فأشرف لهم ابني فقتلوه ، وكانت معه أمراته وثلاثة نفر فنجوا ، وتنحيت عنهم ، وشغلهم عن إطلاق عُقل اللقاح ، ثم صاحوا في أدبارها ، فكان آخر العهد بها ، ولما قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخبرته تبسم .

وقال سلمة بن الأكوع : خرجت قبل أن يؤذن^(٢) بالأولى ، وكانت لقاح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذى قرد ، فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بظهره مع رباح - بفتح الراء وبالموحدة - غلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا معه ، وخرجت بفرس طلحة أنديته^(٣) مع الظهر ، فلقيت غلاماً لعبد الرحمن بن عوف كان في لبيل لعبد الرحمن بن عوف فأخطثوا مكانها ، وأهتدوا للقاح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرني أن لقاح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أغار عليها عيينة بن حصن في أربعين فارساً من غطفان .

قال محمد بن عمر وابن سعد : ليلة الأربعاء ، قال سلمة : فقلت : يا رباح أقعد على هذا الفرس ، فالحق بطلحة ، وأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن قد أغير على سرجه^(٤) ، وقمت على تل بناحية سلع ، فجعلت وجهي من قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات يا صباحاه أسمع ما بين لابتيها ثم انبعث القوم ومعى سيفي ونبلي ، فجعلت أردهم ، وفي لفظ : أرميهم ، وأعقر بهم ، وذلك حين يكثر الشجر ، فإذا

(١) في مغازي الواقدي ٢ : ٥٣٩ « وهم قيام على رموسنا »

(٢) أي لصلاة الصبح كما في السيرة الحلبية ٣ : ٤ .

(٣) وفي السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٩٠ « أريد أن أنديه مع الأبل » وانظر المعنى في شرح المفردات .

(٤) السرح : المال السام المرسل في المرعى ، وانظر شرح المفردات .

رجع إلى فارس جلس له في أصل شجرة ، ثم رميت ، فلا يُقبل على فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فألحق رجلاً فأرميه وهو على رحله فيقع سهمي في الرحل حتى انتظمت كتفه فقلت : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع فإذا كنت بالشجر أحرقتهم بالنبل ، وإذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فرميتهم بالحجارة ، فما زال ذلك شأني وشأنهم أتبعهم وأرتجز حتى ما خلق الله - تعالى - شيئاً من ظهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا خلّفته وراء ظهرى واستنقذته من أيديهم .

قال / ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رُمعاً ، وأكثر من ثلاثين ١٨٦ برودة يستخفون منها ، ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه الحجارة ، وجمعتهم على طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى إذا اشتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاري مُمدداً لهم . وهم في ثنية ضيقه ، ثم علوت الجبل ، فأنا فوقهم . فقال عيينة : ما هذا الذي أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح^(١) ما فارقنا بسحر حتى الآن ، وأخذ كل شيء في أيدينا وجعلنا وراء ظهره ، فقال عيينة : لولا أن هذا يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم ، وقال : ليقيم إليه نفر منكم ، فقام إلى أربعة منهم فصعدوا في الجبل ، فلما أسمعهم الصوت قلت لهم : أتعرفوننى ؟ فقالوا : ومن أنت ، قلت : أنا ابن الأكوع ، والذي أكرم وجهه محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يطلبني رجل منكم فيدركني ، ولا أطلبه فيفوتني . فقال رجل منهم : إني أظن فرجعوا .

ذكر حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طلب العدو
وتقديمه جماعة أمامه

قال ابن إسحاق^(٢) : وبلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صياح ابن الأكوع يصرخ بالمدينة « الفرع الفرع » . فترامت الخيول إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) البرح : الشدة والأذى وهى يفتح الباء وسكون الراء شرح المواهب ٢ : ١٥١ () ، وانظر شرح المفردات .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٢ ط الشعب .

فكان أول من أنتهى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الفرسان المقداد بن عمرو ، وهو الذى يُقال له ابن الأسود حليف بنى زُهرة ، زاد محمد بن عمر - نقلاً عن عمارة بن غزية ، وابن سعد - فنودى « يا خيل الله أركبى » ، وكان أول ما نودى بها - كذا قال ، وزاد ابن عائد عن قتادة : أن أول ما نودى « يا خيل الله أركبى » فى غزوة بنى قريظة ، وهى قبل هذه عندهم .

قال محمد بن عمر : وكان المقداد يقول : لما كانت ليلة السرح جعلت فرسى سبحة^(١) لا تقر ضرباً ضرباً بيدها ، وصهيلاً ، فأقول : والله إن لها لشأناً ، فأنظر إلى آريها^(٢) فإذا هو مملوء علفاً ، فأقول : عطشى فأعرض عليها الماء فما تريده . فلما طلع الفجر أخرجتها ولبست سلاحى ، ثم خرجت حتى أصلى مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصبح ، فلم أر شيئاً ، ودخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيته ، ورجعت إلى بيتى ، والفرس لا تقر ، فوضعت سرجها والسلاح واضطجعت ، فأتانى آت فقال : إن الخيل قد صيح بها ، فخرجت .

قال ابن إسحاق : ثم كان أول فارس وقف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد المقداد من الأنصار عبّاد بتشديد الموحدة ابن بشر^(٣) - بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة ، وسعد بسكون العين - بن زيد ، وأسيد^(٤) - بضم أوله وفتح ثانيه - ابن ظهير - وهن^(٥) - تصغير ظهر - بطاء معجمة مشالة ، ومحرز^(٦) بضم الميم وسكون الحاء المهملة فراء مكسورة فزاي ابن نضلة بالنون وسكون الضاد المعجمة ، وربيعه بن أكم

(١) كذا فى ط ت ، م « سبحاء » بالمد . والمثبت يتفق وما جاء فى مغازى الواقدي ٢ : ٥٣٨ .

(٢) آريها : الآرى الحبل الذى تشد به الدابة إلى محبسها (الصحاح ٢٢٦٧) . والمراد هنا مربطها وموضع علفها .

(٣) هو عبّاد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء . أحد بنى عبد الأشهل السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٢ .

(٤) وهو أحد بنى كعب بن عبد الأشهل أيضاً (المرجع السابق) .

(٥) « وهن » أى يشك فيه كما فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٨٧ . وهو أسيد الظهري كما فى القاموس المحيط

(ظ ه ر) .

(٦) هو محرز بن نضلة ، أخو بنى أسد بن خزيمه (السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٢ .

بالثناء المثلثة ، وعكاشة بتشديد الكاف وتخفيفها ابن محصن بكسر الميم وسكون الحاء
المهملة وأبو عيَّاش^(١) بالتحتيّة والشين المعجمة الزُّرقى ، وأبو قتادة^(٢) . فلما اجتمعوا
إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أَمَرَ عليهم سعد بن زيد ، ثمَّ قال : « اخْرُجْ فِي طَلَبِ
الْقَوْمِ حَتَّى أَلْحَقَكَ بِالنَّاسِ » .

وقال / محمد بن عمر^(٣) ، وابنُ سعد : عقد رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ١٨٦ ظ
للمِقْدَادِ لَوَاءً فِي رُمَحِهِ ، وقال : « أَمْضِ حَتَّى تَلْحَقَكَ الْخِيُولُ ، وَأَنَا عَلَى أَثَرِكَ »
قالا : وَالثَّبْتُ عِنْدَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَمَرَ عَلَى هَذِهِ السَّرِيَةِ سَعْدَ
ابْنَ زَيْدِ الْأَشْهَلِيِّ ، وَلَكِنَّ النَّاسَ نَسَبُوهَا لِلْمِقْدَادِ ؛ لِقَوْلِ حَسَّانَ . : غَدَاةُ فَوَارِسِ الْمِقْدَادِ . :
فَعَاتِبَهُ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ : اضْطَرْنِي الْوِزْنَ إِلَى الْمِقْدَادِ^(٤) .

قال ابنُ إسحاق : وقد قالَ رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَا بُلْعْنِي عَنْ رَجُلٍ
مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ - لِأَبِي عِيَّاشٍ : « يَا أَبَا عِيَّاشٍ لَوْ أُعْطِيتَ هَذَا الْفَرَسَ رَجُلًا هُوَ أَفْرَسُ
مِنْكَ فَلَحِقَ بِالْقَوْمِ » ، قال أبو عيَّاشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَفْرَسُ النَّاسِ ، وَضُرِبَتْ
الْفَرَسُ ، فَوَاللَّهِ مَا جَرَى بِي خَمْسِينَ ذِرَاعًا حَتَّى طَرَحَنِي ، فَعَجِبْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : « لَوْ أُعْطِيتَهُ أَفْرَسَ مِنْكَ » وَأَنَا أَقُولُ : أَنَا أَفْرَسُ النَّاسِ ،
فَزَعَمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -^(٥) لَمَّا أُعْطِيَ فَرَسَ أَبِي عِيَّاشٍ
مُعَاذَ بْنَ مَاعِصٍ وَكَانَ ثَامِنًا ، أَوْ عَائِذَ - بِالتَّحْتِيَةِ وَالْمَعْجَمَةِ ابْنَ مَاعِصٍ بَعِينَ مَكْسُورَةَ
فَصَادَ مَهْمَلَتَيْنِ . وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ مَاعِصٍ وَأَخَاهُ قُتَيْلًا يَوْمَ بَثْرِ مَعُونَةَ شَهِيدَيْنِ
كَمَا سَيَأْتِي فِي السَّرَايَا ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَعِدُّ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ أَحَدَ الثَّمَانِيَةِ وَيَسْقُطُ أُسَيْدُ
ابْنِ ظُهَيْرٍ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ ، فَخَرَجَ الْفَرَسَانِ حَتَّى تَلَاَحِقُوا ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَحِقَ

(١) هو عبيد بن زيد بن الصامت أخو بني زريق (المرجع السابق) .

(٢) أبو قتادة هو الحارث بن ربيع أخو بني سلمة . (المرجع السابق) .

(٣) أنظر (مغازي الواقدي ٢ : ٥٤٢) .

(٤) وبيت حسان هو : وتسرو أولاد القبيطة أننا : سلم غداة فوارس المقداد .

(٥) إضافة تقتضيها السياق .

بالقوم مُحَرَز بن نَضْلَة ، وكان يقال له الأخرم بخاء معجمة ساكنة وراء ، ويقال له قَمِير - بضم القاف وفتح الميم .

وإن الفَرَزَ لَمَّا كَانَ جَالَ فَرَسٌ^(١) لمحمود بن مسلمة في الحائط حين سمع صاهلة الخيل . وكان فرسا صنيعا جامعا ، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل - حين رأيْن الفرس يجول في الحائط بجذع نخْلٍ هو مَرْتَبُوط به : يا قمير هل لك في أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما تَرَى ، ثم تَلَحَق بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فخرج عليه ، فلم يلبث أن بَدَّ الخيلَ بجماحه حتى أدرك القوم ، فوقف بين أيديهم ، ثم قال : قِفُوا يامعشر بَنِي اللَّكِيَّةِ حَتَّى يَلْحَقَ بِكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أَدْبَارِكُمْ من المهاجرين والأنصار ، فحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يُقَدَّر عليه حتى وقف على آرِيَّة^(٢) في بني عبد الأشهل .

قال سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ : فما برحتُ من مكاني حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ ، فإذا أَوَّلَهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِي ، وعلى أثره أَبُو قَتَادَةَ ، وعلى أثره المقدادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ ، فولى المشركون مدبرين ، قال سلمة : فنزلت من الجبل ، وأخذت بعنانِ فرسِ الأخرم ، وقلت : يا أخرم احذرهم لا يقتطعوك حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه ، قال : يا سلمة ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وتعلم أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ ، فلا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ . فَخَلَّيْتُهُ ، فالتقى هو وعبد الرحمن بن عُيَيْنَةَ فعثر بعبد الرحمن فرسه ، وطعنه ١٨٧ وعبد الرحمن فقتله . وتحول على فرسه ، ولحق / أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين ، فعقر بَأَى قَتَادَةَ ، وقتله أَبُو قَتَادَةَ ، وتحول أَبُو قَتَادَةَ إِلَى الْفَرَسِ .

(١) عبارة الواقدي - المغازي ٢: ٥٤٢ « فلما نادى الصريخ الفزع الفزع كان فرس لمحمد ابن مسلمة يقال له ذواللمة مربوطاً في الحائط ، فلما سمع صاهلة الخيل صهل وجال في الحائط في شنته » والعبارة المذكورة هي عبارة ابن هشام في السيرة ٢: ٢١٤ إلى هامش الروض الأنف .

(٢) الآري : الحبل الذي تشد به الدابة (انظر شرح المفردات) .

وروى محمد بن عمر عن صالح بن كيسان ، قال مُخْرِزُ بن نضلة قبلَ أن يَلْقَى العدوَّ بيوم : رأيت السماءَ فُرِجَتْ لى حتى دخلتُ فى السماء الدنيا ، حتى انتهيت إلى السماء السابعة ، ثم انتهيت إلى سدرة المُنْتَهَى ، فقيل لى : هذا منزلك ، فعرضتها على أبى بكر الصديق - وكان من أعبر الناس - فقال : أبشر بالشهادة . فقتل بعد ذلك بيوم .

قال سلمة : ثم خرجت أعدو فى أثرِ القومِ فوالذى أكرم وجهه حتى ما أرى من ورائى من أصحابِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ولا غبارهم شيئاً ، ويعرضون قبل غيبوبة الشمس إلى شُعبٍ فيه ماء يقال له ذو قَرَد ، فأرادوا أن يشربوا منه فأبصرونى أعدو وراءهم فعطفوا عنه ، وأسندوا فى الثنية « ثَنِيَّة ذى بئر » وغربت الشمس ، وألحق رجلاً فأرميه وقتل :

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضيع

قال : فقال يا ثكل أم الأكوع بُكْرَةٌ^(١) فقلت : نعم أى عدو نفسه . وكان الذى رميته بُكْرَةٌ ، فأتبعته بسهم آخر فعلق به سهمان ، وخطفوا فرسين ، فجئت بهما أسوقهما إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة بن حصن وغشاه ببرده ، ثم لحق بالناس ، وقال محمد بن عمر ، وابن سعد : وقتل المقداد ابن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن . [وقرفة^(٢)] بن مالك بن حذيفة بن بدر ، فالله أعلم . وأدرك عُكَّاشَةُ بن حصن أَوْبَاراً ، وابنه عمرو بن أَوْبَار وهما على بعير واحد فانتظمهما [بالرمح^(٣)] فقتلها جميعاً ، واستنقذوا بعض اللقاح .

وروى البيهقي عن عبد الله بن أبي قتادة : أن أبا قتادة اشترى فرسه من دواب

(١) بياض فى الأصول . والإثبات عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٩١ .

(٢) إضافة للتوضيح من شرح المواهب ٢ : ١٥٠ .

(٣) إضافة عن المرجع السابق . والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٨٨ .

دخلت المدينة . فلقية مَسْعَدَةُ الْفَزَارِي فَقَالَ : يَا أَبَا قَتَادَةَ ، مَا هَذَا الْفَرَسُ ؟ فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ : فَرَسٌ أَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ مَا أَهْوَنَ قَتْلَكُمْ وَأَشَدَّ حَرْبِكُمْ ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ : أَمَّا إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يَلْقَيْنِيكَ وَأَنَا عَلَيْهَا فَقَالَ [أَمِينَ^(١)] وَكَانَ أَبُو قَتَادَةَ ذَاتَ يَوْمٍ يَحْلِفُ فَرَسَهُ تَمَرًا فِي طَرَفِ بَرْدَتِهِ إِذْ

رَفَعَتْ رَأْسَهَا وَأَصْرَتْ أُذُنَيْهَا ، فَقَالَ : أَحْلَفُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَحْسَتْ بِرِيحِ خَيْلٍ : فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : وَاللَّهِ يَا بَنِي مَا كُنَّا نَرَامُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَكَيْفَ حِينَ جَاءَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ رَفَعَتْ الْفَرَسُ أَيْضًا رَأْسَهَا ، وَأَصْرَتْ أُذُنَيْهَا ، فَقَالَ : أَحْلَفُ بِاللَّهِ

لَقَدْ أَحْسَتْ بِرِيحِ خَيْلٍ . فَوَضَعَ سَرَجَهَا فَأَسْرَجَهَا ، وَأَخَذَ بِسِلَاحِهِ ، ثُمَّ نَهَضَ حَتَّى أَتَى مَكَانًا يُقَالُ لَهُ الزُّورَاءُ^(٢) فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ ، تُشَوِّطُ^(٣)

دَابَّتَكَ ، وَقَدْ أُخِذَتِ اللَّقَاحُ . وَقَدْ ذَهَبَ النَّبِيُّ فِي طَلِبِهَا وَأَصْحَابِهِ !؟ فَقَالَ : أَيْنَ ؟

فَأَشَارَ إِلَيْهِ نَحْوَ الثَّنِيَّةِ . فَإِذَا بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي زَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ جُلُوسٌ عِنْدَ ذِبابٍ^(٤) ، فَقَمَعَ دَابَّتَهُ ، ثُمَّ خَلَّاهَا ، فَمَرَّ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

فَقَالَ لَهُ : « أَمُضْ يَا أَبَا قَتَادَةَ صَحْبِكَ اللَّهُ » قَالَ أَبُو قَتَادَةَ : فَخَرَجْتُ إِذَا بِإِنْسَانٍ

١٨٧ ط يحاكيني فلم ننشب أن هجمنا على العسكر ، فقال لي : يا أبا قتادة / ما تقول ؟؟ أما

القوم فلا طاقة لنا بهم ، فقال له أبو قتادة : تقول : إني واقف حتى يأتي رسول الله

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أريد أن تشد في ناحية وأشد في ناحية ، فوثب أبو قتادة

فشقَّ القومَ . فَرَمَوْهُ بِسَهْمٍ ، فَوَقَعَ فِي جَبْهَتِهِ ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ : فَنَزَعْتُ قِدْحَهُ ، وَأَظُنُّ

أَنِّي قَدْ نَزَعْتُ الْحَدِيدَةَ . وَمَضِيْتُ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَنْشِبْ أَنْ طَلَعَ عَلَى فَارَسٍ عَلَى فَرَسٍ

فَارَهُ وَعَلَيْهِ مَغْفَرٌ لَهُ فَأَثْبَتْنِي وَلَمْ أَثْبِتْهُ . قَالَ : لَقَدْ أَلْقَانِيكَ اللَّهُ يَا أَبَا قَتَادَةَ وَكَشَفَ

عَنْ وَجْهِهِ وَأَدَاةَ كَلِيلَةٍ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ مَسْعَدَةُ الْفَزَارِي ، فَقَالَ : أَيَّمَا أَحَبِّ إِلَيْكَ

مَجَالِدَةٌ أَوْ مَطَاعَنَةٌ أَوْ مِصَارَعَةٌ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : ذَاكَ إِلَيْكَ ، قَالَ فَقَالَ : صِرَاعٌ ،

(١) بياض بالأصل . والإثبات عن . السيرة الحلبية ٢ : ١٢٩ ط الحلبي .

(٢) الزوراء : مكان بسوق المدينة . وانظر وفاء الوفا ٤ : ١٢٢٨ تحقيق محيي الدين .

(٣) أى تجرى فرسك (محيط المحيط) .

(٤) ذباب : جبل بجبانة المدينة ، وعليه مسجد الراية ، ويقال له أيضاً « ذوباب (وفاء الوفا ٤ : ١٢١٤) .

فأجال رجله على دابته ، وأجلتُ رجلى على دابتي ، وعقلت دابتي وسلاحى إلى شجرة ، وعقل دابته وسلاحه إلى شجرة ، ثم توائبنا ، فلم أنشب أن رزقنى الله - تعالى - الظفر عليه ، فإذا أنا على صدره ، فوالله إني لمن أهم الناس من رجل متأبط قد [هممت] ^(١) أن أقوم فأخذ سيفى ، ويقوم فيأخذ سيفه ، وإنّا بين عسكرين لا آمن أن يهجم على أحدهما ، إذا بشىء مس رأسى ، فإذا نحن قد تعالجتنا ، حتى بلغنا سلاح مسعدة فضربتُ بيدي إلى سيفه ، فلما رأى أن السيف وقع بيدي قال : يا أبا قتادة ، أستحيني ، قلت : لا ، والله أو ترد أملك الهاوية .

قال : فمن للصبيّة ؟ قلت : النار . قال : ثم قتلته وأدرجته في بُردى ، ثم أخذتُ ثيابه فلبستها ، ثم أخذت سلاحه ، ثم استويتُ على فرسه ، وكانت فرسى نفرت حين تعالجتنا فرجعت إلى العسكر ، قال : ففرقوها ^(٢) .

قال : ثم مضيتُ على وجهى فلم أنشب أنا حتى أشرفتُ على ابن أخيه وهو في سبعة عشر فارساً ، قال فالحُتُ إليهم فوقفوا ، فلما أن دنوت منهم حملتُ عليهم حملة وطعنتُ ابن أخيه طعنة دقتُ عنقه ^(٣) ، وأنكشفَ مَنْ كان معه . وجبتُ اللقاح برمجي .

* * *

نكر خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لطلب العدو

قال محمد بن عمر ، وابن سعد :

خرج رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - غداة الأربعاء راكباً مُقنَّعاً في الحديد .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ^(٤) .

قال : وخلف سعد بن عبادة - رضى الله عنه - في ثلاثمائة من قومه يحرسون

المدينة .

(١) يياض في الأصل ، والمثبت عن البيهقي .

(٢) كذا في ط ، م وفي ت و م ، ص « ففرقوها » .

(٣) كذا في ط ، وفي ت و م و ص « صلبة » .

(٤) انظر سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢٨٤ .

قال ابن إسحاق : وَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْمُسْلِمُونَ بِحَبِيبِ مُسْجَى بَيْرُذِ أَبِي قَتَادَةَ اسْتَرْجَعُوا ، وَقَالُوا : قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لَيْسَ بِأَبِي قَتَادَةَ ، وَلَكِنَّهُ قَتِيلٌ لِأَبِي قَتَادَةَ ، وَضَعَ عَلَيْهِ بُرْدَهُ لَتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ ».

قال ابنُ سعد قال سلمة لحقنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والخيول عشاء قال أبو قتادة - رضى الله عنه- فى حديثه السابق : وأقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن معه من أصحابه ، فلما نظر إليهم العسكرُ فروا قال : فلما انتهوا إلى موضع المعسكر إذا بفارس أبى قتادة قد عرقت فقال رجلٌ من أصحابه : يا رسول الله !! ١٨٨ و قد عُرِيت فرس أبى قتادة ، قال : فوقف عليها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم / فقال : « ويح أُمك ، رُبَّ عَنِيٍّ لَكَ فى الحرب » مرتين^(١) . ثم أقبل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه حتّى إذا أنتهوا إلى الموضع الذى تَعَالَجْنَا فيه إذا هُم بِأَبِي قَتَادَةَ - فيما يَرَوْنَ مُسْجَى فى ثيابه ، فقال رجلٌ من الصّحابة : يا رسول الله ؛ قد اسْتُشْهِدَ أَبُو قَتَادَةَ ، قال ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ أَبَا قَتَادَةَ ، وَالَّذِى أَكْرَمَنِى بِمَا أَكْرَمَنِى بِهِ إِنَّ أَبَا قَتَادَةَ عَلَى آثَارِ الْقَوْمِ يَرْتَجِزُ » . فدخلهم الشَّيْطَانُ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى فَرَسِي قَدْ عُرِيت ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى مُسْجَى عَلَيْهِ ثِيَابِي .

قال : فخرج عُمر بنُ الخطّابِ وأبو بكرٍ - رضى الله عنهما - يَسْعَيَانِ حتّى كشف الثَّوبَ ، فَإِذَا وَجْهُ مَسْعَدَةَ ، فَقَالَا : اللَّهُ أَكْبَرُ ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، مسعدة يا رسول الله . فكَبَّرَ الناسُ ، ولم ينشب أن طَلَعَ عليهم أَبُو قَتَادَةَ يحوش اللّقاح ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - « أَفْلَحَ وَجْهُكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ ، أَبُو قَتَادَةَ سَيِّدُ الْفَرَسَانِ ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ ».

قال : قلت : بَأبَى أَنْتَ وَأُمى يا رسول الله ، سَهْمٌ أَصَابَنِى ، وَالَّذِى أَكْرَمَكَ بِمَا أَكْرَمَكَ ، وفى ولدك وفى ولد ولدك - وأحسب عكرمة قال وفى ولد ولد ولدك - ما هذا بوجهك

(١) أى قال ذلك مرتين .

يا أبا قتادة ؟ قد ظننتُ أنّي قد نزعته ، قال : « أَذْنُ مِنِّي يا أبا قتادة » قال : فدنوت منه . قال : فنزع التّصل نزعا رفيقا ، ثم بزق فيه رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - ووضع راحته عليه ، فوالذي أكرم محمداً - صَلَّى الله عليه وسلّم - بالنبوة ما ضَرَبَ^(١) على ساعةٍ قطّ ، ولا قَرَحَ^(٢) قط على .

وروى محمد بن عمر وابنُ سعد عن أبي قتادة قال : لَمَّا أدركني رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - قال : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي شَعْرِهِ وَبَشَرِهِ ، وقال^(٣) : أَفْلَحَ وَجْهَكَ ، قلتُ : وَوَجْهَكَ يَا رَسُولَ الله ، قال : « قَتَلْتَ مَسْعَدَةَ ؟ » قلتُ : نعم ، وذكر نحو ما تَقَدَّمَ قال : فمات أبو قتادة وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة سنة .

وذهب الصّريخُ إلى بني عمرو بن عَوْفٍ ، فجاءت الأمدادُ ، فلم تزل الخيلُ تأتي والرجالُ على أقدامهم والإبلُ ، والقومُ يَتَعَقَّبُونَ البعيرَ والحمارَ حتى أنتهوا إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - بنى قَرَدَ

قال ابنُ إسحاق : واستنقلوا عشرَ لِقاحٍ زاد - فيها جملٌ لأبي جهل ، وأفلت القومُ بعشر .

وكانت رايةُ رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - العُقَابُ ، يحملها سعدُ بن زَيْدٍ ، وكان شعارهم أَمِتْ أَمِتْ .

وصَلَّى رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - يومئذٍ صلاةَ الخوف ، وسيأتى بيانها في أبواب صَلَاتِهِ - صَلَّى الله عليه وسلّم - صلاةَ الخوف .

وقال سلمة : ولحقني عَمِي بِسَطِيحَةٍ فيها مِذْقَةٌ^(٤) من لبن ، وسطيحة فيها ماء فتوضأتُ وشربت .

(١) ضرب عليه : أى اشتد وجهه « أساس البلاغة » .

(٢) في المغازي للواقدي ٢ : ٥٤٥ « قرح أوقاح » .

(٣) كذا في ت ، م . وفي ط « وقد أفلح » .

(٤) في السيرة الحلبية ٣ : ٨ « أتاني عَمِي عامر بن الأكوع » والمذقة : القدر القليل .

وروى ابن سعد عنه قال : لَحِقْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والخيول
عشاء انتهى .

قال سلمة : فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو على الماء الذي أَجْلَبْتَهُمْ
عنه ، فإذا رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ ، وَكَلَّ مَا قَدْ اسْتَنْقَذْتَهُ
من المشركين ، وكل رمح وبردة ، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التي اسْتَنْقَذْتَ من
١٨٨ ظ القوم ، وشوى لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من سَنَامِهَا وَكَبِيدِهَا / فقلتُ : يا رسول
الله !! قد حميت القوم الماء ، وهم عَطَاشٌ خَلْفِي ، فانتخب من القوم مائة رجل فَاتَّبَعَ
القَوْمَ فَلَا يَبْقَى مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ . فضحك رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حتى بدت
نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ ، وقال : « يا سلمة أَتُرَاكَ كُنْتُ فاعلا ؟ » قلت : نعم . والذي
أَكْرَمَكَ . فقال : « مَلَكْتَ فَاسْجَحْ ، إِنَّهُمْ لَيُغَبَّقُونَ »^(١) وفي لفظ لَيُقْتَرُونَ فِي أَرْضِ
غُطْفَانَ » ، فجاء رجل من غُطْفَانَ وقال : نَحَرَ لَمْ فَلَانٌ جَزُورًا ، فلما كَشَطُوا جُلْدَهَا
رَأَوْا غِبَارًا ، قالوا : أَتَاكُمْ الْقَوْمُ ، فخرجوا هارِبِينَ .

قال ابن إسحاق : وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي أَصْحَابِهِ فِي كُلِّ
مِائَةِ جَزُورًا .

وَأَقَامَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَذَى قَرَدَ يَوْمًا وَلَيْلَةً يَتَحَسَّبُ الْخَبِرَ .
وفي حديث سلمة أنهم كانوا خمسمائة .

قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد : وَيُقَالُ سَبْعِمِائَةٍ ، وَبَعَثَ سَعْدُ
ابْنُ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِأَحْمَالٍ تَمَرٍ ، وَبِعَشْرَ جَزَائِرٍ فَوَافَتْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَذَى قَرَدَ ، قَالَ سَلْمَةُ : فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « خَيْرُ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ ، وَخَيْرُ رَجَالِنَا »^(٢) سَلْمَةُ .

(١) يغبقون : أى يثربون الغبوق وهو ما يشرب بالليل بخلاف الصبوح .

(السيرة الحلبية : ١٣٠٤٢)

(٢) رواه مسلم وابن سعد في حديث سلمة بن الأكوع - شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٥٣ .

ثم أعطاني رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - سهم الفارس والراجل فجمعهما لي جميعاً ، ثم أردفني رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وراءه على العُضْبَاء راجعين إلى المدينة ، فلما كان بينها وبينه قريبٌ من ضَخْوَةٍ ، وفي القوم رجلٌ من الأنصار كان لا يُسَبِّحُ ، فجعل يُنادي : هل مَنْ يُسَاقِبُ ؟ إلى رجلٍ يسَاقِبُ إلى المدينة ، فَعَلَ ذلك مراراً ، وأنا وراء رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - مُردِّفِي ، قلت له : أما تكرم كريماً ، ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قلت : يا رسول الله ، بأي أنت وأمي خَلَّني فلاسَاقِبَ الرَّجُلُ ، قال : « إن شِئتُ » قلت : أذهب ، فَطَفَّرَ عن راحلته ، وثنيت رجلي ، فطفرت عن الناقة ، ثم ارتبطت عليه^(١) شرفاً أو شرفين ، يعنى استبقيت نفسي ، ثم عدوتُ حتَّى أَلْحَقَهُ ، فَأَصْلُكُ بين كَتِفَيْهِ بيدي ، وقلت : سَبَقْتُكَ والله ، فضحك وقال : والله إن أظن ؛ فسبقته حتَّى قدمنا المدينة ، فلم نلبث إلا ثلاثاً حتَّى خرجنا إلى خَيْبَر^(٢) .

قال محمد بن عمر وابن سعد : ورجع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - إلى المدينة يوم الاثنين ، وقد غاب خمس ليال .

وروى الزبير بن بكار عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمي قال : مر رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - في غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ على ماءٍ يقال له بيسان ، فسأل عنه ، فقيل : اسمه يا رسول الله بيسان - وهو مالح - فقال : « بل هو نَعْمَان وهو طيب » فَغَيَّرَ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - الاسم - وغير الله عز وجل الماء ، فأشتراد طالحة ، فتصدق به

ذكر قدوم امرأة^(٣) أبي نر على ناقة رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد ، ومسلم وأبو داود عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - فذكر الحديث ، وفيه « فكانت المرأة في الوثاق ، وكان القوم يُريحُون نَعَمَهُم بين

(١) كذا في الأصول . وفي السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٩٢ « ربطت عليه » .

(٢) قال ابن كثير في السيرة ٢ : ٢٩٣ « وهكذا رواه مسلم من عدة طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه » .

(٣) ذكر ابن حجر في الإصابة (٤ : ٢٤١) أن اسمها ليل ، وكانت زوجاً لأبي ذر ولم ينسبها .

١٨٩ و يدى بيوتهم . فَأَنْفَلَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ الْوُثَاقِ ، فَأَتَتْ الْإِبِلَ ، فَجَعَلَتْ / إِذَا دَنْتَ مِنَ الْبَعِيرِ رَغَاً فَتَشْرَكَهُ ، حَتَّى أَنْتَهَتْ إِلَى الْعُضْبَاءِ فَلَمْ تَرُغْ ، قَالَ : وَهِيَ نَاقَةٌ مَدْرِيَّةٌ ، فَقَعَدَتْ فِي عَجْزِهَا ، ثُمَّ زَجَرَتْهَا فَأَنْطَلَقَتْ ، وَقَدْ رَأَوْهَا فَطَلَبُوهَا فَأَعْجَزَتْهُمْ ، قَالَ : وَنَذَرْتُ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَتَنْحَرِنَهَا ، فَلَمَّا قَدِمْتَ الْمَدِينَةَ رَأَاهَا النَّاسُ ، فَقَالُوا : الْعُضْبَاءُ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ : إِنَّهَا نَذَرْتُ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرِنَهَا ، فَاتُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : « سُبْحَانَ اللَّهِ ، يَسُئُ مَا جَزَتْهَا نَذَرْتُ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ لَتَنْحَرِنَهَا ، لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ وَلَا فِيهَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ » . زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ مُرْسَلِ الْحَسَنِ « إِنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ إِبِلِي ، لِمُرْجَعِي إِلَى أَهْلِكَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ » .

وَقَدِيمَ ابْنِ أَخِي عُيَيْنَةَ بِلَقْحَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - السَّمْرَاءُ فَبَشَّرَتْهُ بِهَا سَلَمَى ^(١) ، فَخَرَجَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُسْتَبْشِراً ، وَإِذَا رَأْسُهَا بِيَدِ ابْنِ أَخِي عُيَيْنَةَ ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَرَفَهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّمَ بَرَبِكَ ^(٢) ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْدَيْتُ لَكَ هَذِهِ اللَّقْحَةَ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - [وَقَبَضَهَا] ^(٣) مِنْهُ ، ثُمَّ أَقَامَ عِنْدَهُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِثَلَاثِ أَوَاقٍ مِنْ فِضَّةٍ ، فَجَعَلَ يَتَسَخَّطُ ، قَالَتْ سَلَمَى : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُؤَيِّبُهُ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ إِبِلِكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : نَعَمْ وَهُوَ يَتَسَخَّطُ عَلَيَّ » .

ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الظُّهْرَ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمَنْبَرَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُيْهِدِي إِلَى النَّاقَةِ مِنْ إِبِلِي أَعْرِفُهَا كَمَا أَعْرِفُ بَعْضَ أَهْلِي ، ثُمَّ أَتِيْبُهُ عَلَيْهَا فَيَظْلُ بَيَسَخَّطُ عَلَيَّ ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلَّا مِنْ قُرَيْشٍ أَوْ أَنْصَارِي أَوْ ثَقَفِي أَوْ دَوْسِي » .

(١) فِي مِغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٢ : ٥٤٨ أَنْ سَلَمَى هِيَ جَدَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ .

(٢) فِي الْمَرْجِعِ السَّابِقِ ٢ : ٥٤٩ « أَيُّمَ بِكَ »

(٣) الْإِضَافَةُ عَنِ الْمَرْجِعِ السَّابِقِ .

نكر من قتل في هذه الغزوة

فمن المسلمين مُحَرِّزُ بنِ نَضْلَةَ^(١) ، أحد بني أسد بن خُزَيْمَةَ ، وابن وقاص بن مُجَرِّز - بيم مضمومة فجيم فزايين معجمتين ، الأولى مشددة مكسورة المذَلَّجِي - فيما نقل ابن هشام عن غير واحد من أهل العلم .

ومن الكفار مَسْعَدَةُ بن حَكَمَةَ^(٢) - بفتحيتين ، وأوثار - بضم الهمة وبالثاء المثلثة عند محمد بن عمر ، وابن سعد ، وبالموحدة عند ابن إسحاق ، وقال ابن عُقْبَةَ : أَوْبَار - بفتح الهمة وسكون الواو فموحدة والله أعلم .

وأبناه عمرو بن أوبار ، وحبيب بن عِيْنَةَ ، وقرقة بن مالك ابن حُذَيْفَةَ بن بدر ، ووقع عند ابن عقبة : وقرقة امرأة مَسْعَدَةَ .

* * *

نكر بعض ما قيل من الشعر في غزوة ذي قرد

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لَوْ لَا الَّذِي لَأَقَتْ وَمَسَّ نُسُورَهَا	بِجَنُوبِ سَايَةِ أَمْسٍ فِي التَّقْوَادِ
لَلْقَيْنَكُمْ يَحْمِلُنَ كُلُّ مُدَجِّجٍ	حَامِي الْحَقِيقَةِ مَاجِدِ الْأَجْدَادِ
وَلَسَرَّ أَوْلَادَ اللَّقِيطَةِ أَنْ نَسَا	سِلْمٌ غَدَاةَ فَوَارِسِ الْمُقْدَادِ
كُنَّا ثَمَانِيَّةً وَكَانُوا جَحْفَلًا	لَجِبًا فَشَكُّوا بِالرَّمَاكِ بَدَادِ
كُنَّا مِنْ [الْقَوْمِ] ^(٣) الَّذِينَ يَلُونَهُمْ	وَيُقَدِّمُونَ عِنَانَ كُلِّ جَوَادِ

١٨٩ ظ

(١) هو محرز بن نضلة بن عبد الله الأسدي ، من بني أسد بن خزيمة ، شهد بدرًا - ونضلة بفتح وسكون الضاد المعجمة ، وعن الدارقطني فتحها ، وحكى الهنوي عن ابن إسحاق : محرز بن عون بن نضلة ، وبهضم يقول : ابن ناضلة - قاله الهمري (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٥٠) .

(٢) هو مسمدة بن حكمة الغزاري رئيس المشركين يومئذ ، وهو الذي قتله أبو قتادة وسماه ببرده (شرح المواهب ٢ : ١٥٠) .

(٣) سقط في الأصول ، والإثبات عن السيرة لابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٥٤ .

كلا ورب الرأقيصاتِ إلى مِنى
 حتى تُبيلَ الخيلَ في عَرَصاتِكُمْ
 رَهْوَاً بِكُلِّ مُقَلِّصٍ وَطَيْرَةٍ
 أَفْنَى دَوَابِرَهَا وَلاَح مُتُونَهَا
 وكذا الرِّعَانُ جِيَادُنَا مَلْبُونَةٌ^(١)
 وَسُيُوفُنَا بِيضُ الحَدَائِدِ تَجْتَلِي
 أَخَذَ الإلهُ عَلَيْهِمْ لِحْرَامِهِ
 أَيامَ ذِي قَرْدٍ وَجْوهَ عِبَادِ^(٢)

فلما قالها حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ غَضِبَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَحَلَفَ أَنْ لَا يَكَلِّمُهُ أَبَداً ، ثُمَّ قَالَ :
 أَنْطَلَقَ إِلَى خَيْلِي وَفُوارِسي فَجَعَلَهَا لِلْمَقْدَادِ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ حَسَّانُ ، وَقَالَ : مَا ذَاكَ أَرَدْتَ
 وَلَكِنِ الرَّوْيَ وَافَقَ اسْمَ الْمَقْدَادِ ، وَقَالَ أَبْيَانًا يُرَضِّي بِهَا سَعْدًا

إِذَا أَرَدْتُمْ الْأَشَدَّ الْجَلْدَا أَوْ ذَا غَنَاءٍ فَعَلَيْكُمْ سَعْدَا
 سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ لَا يُهْدِي هَذَا

فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ سَعْدٌ وَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا .

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ لِلْفُوارِسِ :

- أَتَحْسِبُ أَوْلَادُ اللَّقِيْطَةِ أَنْنَا
 وَإِنَّا أَنْاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
 وَإِنَّا لَنُنْقِرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمْعِ الدُّرَى
 نَرْدُ كُماةَ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْتَخَوْا
 بِكُلِّ فَنٍّ حَامِي الْحَقِيقَةِ مَاجِدٍ
 كَرِيمٍ كَسِرْحَانَ الْغَضَاةِ مُخَالِسِ

(١) فِي السِّيرَةِ لِابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٢٨٦ « فَكَذَلِكَ إِنْ جِيَادُنَا مَلْبُونَةٌ » .

(٢) فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٢٨٦ ، وَالْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ ٤ : ١٥٥ .

أَخَذَ إِلَهَهُ عَلَيْهِمْ لِحْرَامِهِ وَلَعِزَّةَ الرَّحْمَنِ بِالْأَسْدَادِ
 كَانُوا بِدَارِ نَاعِمِينَ فَعَدَلُوا أَيَّامَ ذِي قَرْدٍ وَجْوهَ عِبَادِ

يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ بِيضُ تَقْدُ الْهَامَ تَحْتَ الْقَوَانِسِ
فَسَائِلُ بَنِي بَدْرِ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارِسِ
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فاصدقوا مَنْ لَقِيتُمْ وَلَا تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي الْمَجَالِسِ
وَقُولُوا زَلَّلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ بِهِ وَخَرَّ فِي الصُّدْرِ مَا لَمْ يَمَارَسِ

قال ابن إسحاق :

وقال شداد بن عارض الجُشَيْمِيُّ في يوم ذى قرد ، يعنى لِعُيَيْنَةَ بنِ حِصْن ، وكان عُيَيْنَةُ يكنى بأبى مالك :

فَهَلَّا كَرَّرْتَ أَبَا مَالِكٍ وَخَيْلُكَ مُدْبِرَةٌ تُفَنِّسِلُ
ذَكَرْتَ الْإِيَابَ إِلَى حَسْبَجِدٍ وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعْدَ الْمُفَنِّسِلُ
وَطَمَنْتَ نَفْسَكَ ذَا مِيعَةٍ مَسَحَ النَّضَالَ إِذَا يُوسَّسِلُ
إِذَا قَبَضْتَهُ إِلَيْكَ الثَّمَا لُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَّمَ الْجِرْجِلُ
فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الْإِلَهِ هَلَمْ يَنْظُرَ الْآخِرَ الْأَوَّلُ
عَرَفْتُمْ فَسَوَارِسَ قَدْ عُوْدُوا طِرَادَ الْكُمَاةِ إِذَا أَسْهَلُوا
إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشَقَّى بِهِمْ فِضَاحًا وَإِنْ يُطْرَدُوا يَنْزِلُوا
فَيَقْتَصِمُوا فِي سَوَاءِ الْمَقَا مَ بِالْبَيْضِ أَخْلَصَهَا الصَّبِيقَلُ

تَنْبِيهَاتُ

الأول : ذو قرد - بفتح القاف والراء ، وحكى الضم^(١) فيها ، وحكى ضم أوله وفتح ثانيه . قال الحازمي - رحمه الله - : الأول ضبط أصحاب الحديث ، والضم عن أهل اللغة ، وقال البلاذري - رحمه الله - الصواب الأول . وهى على نحو بريد مما بلى بلاد غطفان ، وقيل على مسافة يوم ، قال السهيلي : والقرد فى اللغة الصوف .

(١) قاله الحافظ كما فى شرح المواهب ٢ : ١٤٨ ، وما جاء هنا من الضبط والاختلاف فيه من الأقوال لا يخرج عما هناك .

الثانى : قال البخارى فى صحيحه فى غزوة ذى قرد : كانت قبل خيبر بثلاث ، وذكرها بعد الحديبية قبل خيبر .

قال الحافظ : ويؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد ومسلم من حديث إياس بن سلمة ابن الأكوع عن أبيه فذكر قصة الحديبية ، ثم قصة ذى قرد ، وقال فى آخرها : فرجعنا - أى من الغزوة - إلى المدينة ، فوالله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر .

وأما ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر وابن سعد فقالوا : كانت غزوة ذى قرد فى سنة ست قبل الحديبية .

قال محمد بن عمر وابن سعد فى ربيع الأول .

وقيل فى جمادى الأولى .

وقال ابن إسحاق فى شعبان فيها ، فإنه قال : كانت غزوة بنى لحيان فى شعبان سنة ست ، فلما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة لم يُقِمْ إلا ليلتين حتى أغار عيينة بن حصن على لقاحه - صلى الله عليه وسلم - قال ابن كثير : وما ذكره البخارى أشبه بما ذكره ابن إسحاق .

وقال أبو العباس القرطبي - وهو شيخ صاحب التذكرة والتفسير - تبعاً لأبي عمر - رحمهم الله : لا يختلف أهل السير أن غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية ، يكون ما وقع فى حديث سلمة وهم من بغض الرواة .

قال^(١) : ويحتمل أن يجمع بأن يقال يُحْتَمَلُ أن يكون - صلى الله عليه وسلم - أغزى سرية فيهم سلمة بن الأكوع إلى خيبر قبل فتحها ، فأخبر سلمة عن نفسه وعن خراج معه ، يعنى حيث قال : خرجنا إلى خيبر قال : ويؤيده أن ابن إسحاق

(١) أى أبو العباس القرطبي كما فى شرح المواهب ٢ : ١٤٨ .

ذكر أَنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أغزى إليها عبد الله بن رَوَاحَةَ قبل فتحها مرتين . انتهى .

قال الحافظ - رحمه الله - تعالى : وسيأق الحديث يابى هذا الجمع ؛ فإن فيه بعد قوله : خَرَجْنَا إلى خَيْبَر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجَعَلَ عَمَى يَرْتَجِرُ بالقوم ، وفيه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - من السَّائِق وفيه مبارزة عمه لمرحب وقتل عامر ، وغير ذلك ممَّا وقع في غزوة خَيْبَر حيث خرج إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعلى هذا ما في الصحيح أَصَحُّ مما ذكره أهل السُّنَنِ .

قال الحافظ : ويحتمل في طريق الجمع أن تكون إغارة عُيَيْنَةَ بنِ حِصْن على اللَّقَاح وقعت مرتين ؛ الأولى التي ذكرها ابن إسحاق وهي قبل الحُدَيْبِيَّة ، والثانية بعد الحُدَيْبِيَّة قبل الخروج إلى خَيْبَر .

وكان رأس الذين أغاروا عبد الرحمن بن عُيَيْنَةَ كما في سياق سلمة عند مسلم ، ويؤيده أَنَّ الحَاكِمَ ذكر في الإكلیل / أَنَّ الخروج إلى ذى قَرَد تَكَرَّر ، ففي الأولى خرج ١٩٠ ط إليها زيد بن حَارِثَة قبل أُحُد ، وفي الثانية خرج إليها النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - في ربيع الآخر سنة خمس ، والثالثة هذه الْمُخْتَلَفُ فيها - انتهى . فإذا ثبت هذا قوى الجمع ، الذى ذَكَرْتُهُ ، والله أعلم^(١) .

الثالث : في حديث سلمة عند مسلم : أن عبد الرحمن بن عُيَيْنَةَ بن حِصْن أغار على اللَّقَاح ، وفي حديثه عند الطَّبْرَانِي أَنَّهُ عُيَيْنَةَ بن حِصْن ، ولفظ ابن عقبة : أَنَّهُ عُيَيْنَةَ بن بدر ، ويقال إن مسعدة كان رئيساً للقوم في هذه الغزوة ، ولا مُنَافَاة بين ما ذكر ، فَإِنَّ كُلًّا منهما كان رئيساً فيهم ، وكان حاضراً .

الرابع : حديث سلمة - رضى الله عنه - أنه استنقذ جميع ظُهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعبرة بن عقبة : استنقذوا السَّرح . والذى ذكره ابن إسحاق ،

(١) أنظر هذه الأقوال والجمع بينها في شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٤٨ .

وابنُ عمر ، وابنُ سعد وغيرهم أنه استنقذ من اللّقاح عشرة فقط ، وما في حديث سلمة - رضي الله عنه - هو المعتمد^(١) ، لصحة سنده .

الخامس : في حديث سلمة - رضي الله عنه - أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - ركبَ في رجوعه إلى المدينة العُصْبَاءَ ، وأرذف سلمة وراءه ، وفي حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ السَّابِقِ : إن امرأةَ أَبِي ذَرٍّ أخذتها من العدو وركبتها .

السادس : في بيان غريب ما سبق :

حِصْن - بكسر الحاء الفَزَارِيُّ - بفاء مفتوحة فزاي فألف فراء : قبيلةٌ من غَطَفَانَ .

غَطَفَانَ : بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة المشالة ، وبالفاء .

اللّقاح - بكسر اللام ، وتخفيف القاف فمهملة : ذواتُ اللَّبَن من الإبل ، واحدها لَقْحَة - بكسر اللام وفتحها ، واللّقوح : الحلوب .

عُمَيْيَنَة - بضم العين المهملة وكسرها .

البَيْضَاء - تَأْنِيثُ أَبْيَض : اسم موضع عند الجبل .

الغابة - بالغين المعجمة ، والموحدة : مال من أموال عوَالِ المدينة^(٢) .

الأثل : شجر عظيم لا ثَمَرَ له ، الواحدةُ أَثْلَة .

(١) يقول الزرقاني في شرح المواهب ٢ : ١٥٣ « قاله الشامي أي صاحب سبل الهدى والرشاد وهو المعتمد لصحة سنده قلت وقد رواه ابن سعد نفسه عن سلمة مثل رواية مسلم كما سلف ، وما أستدّه مقدم على ما ذكره بلاسند فكيف وقد وافقه الشيخان . . الخ . . » .

(٢) جاء في شرح المواهب للزرقاني ٢ : ١٤٨ « قال الشريف : ووه من قال من عوَالِ المدينة ، كيف وهو مفوض مياه أوديتها بعد مجتمع الأسياال ، ثم قال : وكان بها أملاك لأهلها استولى عليها الخراب ، وبيعت في تركة الزبير بألف ألف وستائة ألف » .

ويقول السهودي في وفاء الوفا ٤ : ١٢٦١ « وعوَالِ المدينة على أربعة أميال وقيل ثلاثة وهذا حد أدناه ، وأبعدها ثمانية أميال » وانظر الخلاف هناك .

الطَّرْفَاء : شجر من شجر البادية وشطوط الأنهار ، واحدها طَرْفَةٌ بفتح الطاء والراء
مثل قصبة وقصباء .

يشوب : يرجع .

الضاحية : الناحية البارزة .

ذويه : أصحابه .

أُخْدَقَ به - بهزة مفتوحة فحاء مهملة ساكنة فдал مهملة ففاف : أطاف .

قبل أن يُؤذَّن بالأولى : يعنى صلاة الصبح .

الظَّهْرُ : الرِّكَّابُ التي تحملُ الأثقالُ في السفر .

أُنْدِيَه - بضم أوله وبالتون وتشديد الدال المهملة ؛ والتَّنْدِيَه أن يورد الماء ساعة ،
ثم يرد إلى المراعى ساعة ثم الماء ، كذا قال أبو عبيد والأصمعي وقال ابن قُتَيْبَةَ : إنما
هو أُنْدِيَه - بالوحدة ؛ أى أخرجه إلى البدو ، وأنكر الأول . وقال : ولا يكون إلا
للإبل خاصة ، وقال الأصمعي : التندية تكون للإبل والخيول ، أو هو الصحيح وهذا الحديث
يشهد له . وخطأ الأزهرى ابن قُتَيْبَةَ وصَوَّبَ الأول .

السَّرْح - بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات : المال السائِمُ المُرسَلُ في
المرعى .

سَلَحَ بفتح السين المهملة ، وسكون اللام ، وبالعين المهملة : جَبَلُ بالمدينة

يا صَبَاحاه : كلمة يقال عند اسْتِنْفَارِ مَنْ كان غافلاً عن حدوهِ ، لأنهم أكثر
ما يغيرون / عند الصُّباح ، ويسمّون يَوْمَ الْغَارَةِ يَوْمَ الصُّباح .

١٩١ ر

اللَّبَنان : تشية لآبَة : وهى الحرّة ؛ وهى الأرض ذات الحجارة السود .

أَرَدَيْهم - بضم الهمزة ، وفتح الراء ، وتشديد الدال المهملة : يرميهم .

أعقر بهم : أقتل دوابهم .

الأَكْوَعُ - بهمزة مفتوحة ، فكاف ساكنة ، فواو مفتوحة ، فعين مهملة العظم الكَاع : الكوعُ ، وهو طَرَفُ الزند مِمَّا يلى الرَّسْعُ ، والكوع طرفه الذى يلى الابهام ، والكاع طرفه الذى يلى الخنصر وهو الكرِشوع والكوع أخفاهما وأشدّهما ، دَرَمَةٌ ، والدَّرَمُ أَنْ لا يظهر للعظم حَجْمٌ .

اليومُ يومُ الرُّضْع - بالرفع فيهما ، وينصَبُ الأول ويرفع الثانى على جعل الأول ظَرْفًا . قال : وهو جائز إذا كان الظَّرْفُ واسعاً ولم يضق عن الثانى .

الرُّضْع - بضمُّ الرَّاءِ كَرُضْعٍ ، ورضاع : وهو اللّثيم . قال السُّهَيْلِيُّ : قال أهل اللُّغَةِ : يقالُ فى اللّؤم - رَضِعَ - بالفتح - يَرْضِعُ بالضمُّ رضاعةً لا غير . وَرَضِعَ الصَّبِيُّ ثَدْيَ أُمِّهِ يَرْضِعُ بالفتح - رَضَاعًا مثل سَمِعَ . يسمع سماعاً ، والمعنى اليومُ اليومُ هلاكِ اللثام ، والأصل فيه أن شخصاً كان شديد البخل ، فكان إذا أراد حلب ناقته أرتضع من ثديها لثلاً يحلبها ، فيسمعُ جيرانه وَمَنْ يَمُرُّ به صوتُ الحلبِ فيطلبون منه اللبَنَ . وقيل : بل صنع ذلك لثلاً يتبددَ من اللبَنِ شيئاً إذا حلب فى الإناء ، ويبقى فى الإناء شَيْءٌ إذا شربه ، فقالوا فى المثل : « أَلَأَمْ من راضع » . وقيل غير ذلك .

الثنائيا : جمع ثنية ، وهى العقبة المسلوكة .

الْبَرْح - بفتح الموحدة وسكون الراء : الشدة والأذى .

نكر حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى طلب العدو، وشرح غريبة

الْفَزَعُ الْفَزَعُ : منصوبان بفعل محذوف .

يَا خَيْلَ اللَّهِ أَرْكَبِي : على حذف مضاف ؛ أى يا فرسان خيل الله .

الْأَرَى^(١) - بفتح الهمزة وسكون الراء ، وتشديد التحتية : مربوط الدابة ، وقيل : معلفها . قال فى العين : وقال الأصمعى : هو حبل مربوطٌ فى الأرض ويبرز طرفه يربط به الدابة ، وأصله مِنَ الحبس والإقامة ؛ من قولهم : تَأَرَى بالمكان : أقام به .

(١) يبدو أن ضبط الأرى على الوجه الذى ذكره المصنف خطأ ، وقد جاء فى اللسان : الأرى محبس الدابة ، وقال ابن السكيت فى قولهم للمعلف أرى : هذا مما يضر به الناس فى غير موضعه ، وإنما الأرى : محبس الدابة ، وانظر اللسان (أرى) .

الْحَائِطُ : البستان المحوط عليه .

فَرَسًا صَنِيعًا - بفتح الصاد المهملة وكسر النون فتحتية ساكنة فعين مهملة ، فعيل بمعنى مفعول ، يُقال منه صنعت فرسي صُنْعًا ، وصنعة : إذا أحسنت القيام عليه ، فهو صَنِيعٌ .

جامًا^(١) - بجيم وميم مشددة : مرتاحاً له مدة لم يُركب .

بَذَّ الْحَيْلَ - بفتح الموحدة وتشديد الذال المعجمة : سبقها . بجَمَامِه : بفتح الجيم .

اللَّكِيعة - بفتح اللام ، وكسر الكاف ، فتحتية ساكنة ، فعين مهملة مفتوحة ، اللَّثِيمة .

من أدباركم : مِنْ ورائكم .

جال الفرس - بالجيم : نَفَرَ من مكانه

يقتطعوك : يحولون بيننا وبينك .

ثكلته أمه : فقدته .

أَكْوَعُهُ ، وفي لفظ : أكوعى ، برفع العين فى الأول لفظاً ، وفي الثانى تقديرًا ؛ أى أنت الأكوع الذى كنت بُكْرَةً هذا النهار ، ولهذا قال : نعم . لأنه / كان أول ما لحق ١٩١ ط بهم صَاحَ بِهِمْ : أنا أبى الأكوع ، فلما لحق بهم آخر النهار - وقال هذا القول قالوا : أنت الذى كنت معنا بُكْرَةً ؟ قال : نعم .
إنتظمها : نَفَذَ رُمْحَهُ أو سَهْمَهُ فيهما .

الجُرء - بضم الجيم ، وسكون الراء ، وبالحمزة والجَرَأة . بفتحيتين ، وبالمدة - على الشئ : الهجوم ، والإسراع بالهجوم عليه من غير توقّف .

(١) جاما : يقال حجم الفرس يجم جا وجاماً ، وأجم : ترك فلم يركب « اللسان » .

أصرت أذنيها : جمعتها .

الرُّوَرَاءُ : بفتح الزَّاي وبالد : موضع عند سوق المدينة قرب المسجد .

الشَّوْطُ - بالشين المعجمة والطاء المهملة : مسافة يعدوها الفرس كالميدان ونحوه .

ذُبَاب - بزال معجمة تضم وتكسر وموحدتين : جبل بالمدينة .

قمع دابته : ذللها .

يحاكيني : يُساويني في المشي .

فنشب - بنون فشين معجمة فموحدة : لبث .

القِدْح : بكسر القاف وسكون الدال وبالحاء المهملتين : السهم .

الفَارِه - بفاء وراء مكسورة : الخفيف النشط .

كليلة : محيطة من جميع جوانبه .

المِغْفَر - بكسر الميم ، وسكون الغين المعجمة ، وفتح الفاء وبالراء : زَرَدٌ يُنْسَجُ من الدُّرُوع على قدر الرأس يُجَعَلُ تحت القَلَنْسُوَّة .

أثبتني : عرفني .

المجالدة : المُضَارَبَةُ بالسيوف .

المُطَاعَنَةُ : المضاربة^(١) بالرماح .

مُتَابِطٌ : أخذ شيئاً تحت إبطه .

أَلَحْتُ - بنخفيف الحاء المهملة : أشرت .

(١) في ت ، وفي م ، طه « المطاعة » .

شرح غريب ذكر خروج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لطلب العدو

المُقَنَّع — بضم الميم ، وفتح القاف ، وفتح النون المشددة ، وبالعين المهملة ، : الذى ليس بيضة .

عَدُو : جَرَى .

يَجُوسُ : أصل الجوس شِدَّة الاختلاط ومداركة الضرب .

الصَّرِيخ : بالمهملة ، وبالحاء المعجمة : الاستغاثة .

الْأَمْدَادُ — جمع مَدَد ، وهم الأعوان والأنصار .

الشعار — بكسر الشين المعجمة : العلامة فى الحرب .

أَمِتْ أَمِتْ : أمر بالإماتة ، وتقدم بيانه فى غزوتى بدر وأحد .

السَّطِيحَةُ : المَزَادَةُ التى تكون من آدميين^(١) ، قُوبِلَ أحدهما بالآخر فسطح عليه ، وهى من أواني المياه .

السَّمْلَقَةُ — بفتح الميم ، وسكون الذال المعجمة : القليل من لبن ممزوج بماء .

أَجَلِيْنَهُمْ عَنْهُ — بفتح الهمزة وسكون الجيم : طردتهم .

حَمِيتِ الْقَوْمَ الْمَاءَ : منعتهُم من الشرب .

النَّوَاجِذُ — جمع نَاجِذٍ بالذال المعجمة : السن بين الأضراس ، والمراد هنا الأنياب .

الْعَضْبَاءُ : ناقة النبی — صلى الله عليه وسلم .

عَدَا : عدوا على الرجلين .

أَسْجَحَ — بقطع الهمزة ، وسكون السين المهملة ، وكسر الجيم ، وبالحاء المهملة :

أَرْفَقَ وَسَهَّلَ وَأَعَفَ وَأَسْمَحَ ، وَالْإِسْجَاحُ : حسن العفو .

يُغْبِقُونَ — بِتَحْتِيَّةٍ مضمومة ، فغين معجمة ساكنة ، فموحدة مفتوحة ، والغبوق :

الشرب بالعشي ، أى يسقون اللبن بالعشي .

(١) كذا فى ط . وفى ت ، م «جلدين» .

يُقَرَّونَ - بضم التحتية ، وسكون القاف ، وفتح الراء يُضَيِّفُونَ .
 يتَحَسَّبُ - بفتح الحاء والسين المشددة المهملتين فموحدة يتعرَّف ويستخبر .
 طفرت - بالطاء والراء المهملتين بينهما فاء : وثبت ونفرت .
 رَبَطْتُ نَفْسِي : حبستها عن الجرى .
 الشرف : ما أرتفع عن الأرض .
 أَصْلُكَ بَيْنَ كَتْفَيْهِ : أَضْرَب .

* * *

شرح غريب شعر حسان - رضى الله عنه

١٩٢ و النسر - بنون ، فسين مهملة : جمع نسر ، وهو هنا ما يكون^(١) في بطن حافر الدابة /
 كأنها نواة أو حصاة ، وأضمر ذكر الخيل وإن لم يتقدم لها ذكر ، لأن الكلام يدل
 عليها ، وفي الفرس عشرون عضواً كل عضوٍ منهما ، سمي باسم طائر .
 ساية - بسين مهملة ، فألف فتحتية ، اسم قرية جامعة^(٢) من عمل الفرع^(٣)
 بها أكثر من سبعين عينا .
 التَّقْوَاد - بفوقية مفتوحة مشددة ، فقاق ساكنة ، وآخره دال مهملة ، أى جَرَّها
 بِالْمِقْوَد من أمام . والسَّوق : من خلف .
 المدجج - بضم الميم ، وفتح الدال ، وفتح الجيم الأولى وتشديدها وتكسر : الكامل
 السلاح .
 الحامى : المانع .

(١) كذا في ط ، م وفي ت « لحة يابسة في بطن » الخ

(٢) ساية : ويقول السهوى في وفاء الوفا ٤ : ١٢٣١ « وأد من أعمال المدينة وفي ساية نخل ومزارع وموز ورمات
 وعنب ، وأصلها لولد على بن أبي طالب ، وفيها من أفناء الناس ، ويطلع عليها جبل السراة دون عسفان .

(٣) الفرع : من أعمال المدينة على مرحلة - وقيل على ثمانية يرد منها . وهي قرية غناء كبيرة بها منبر ونخل ومياه كثيرة ، وأجل
 عينها عينا إحداهما الريض ، والأخرى النجف يسقيان عشرين ألف نخلة ، وهي كالكرة فيها عدة قرى - وانظر (وفاء الوفا ٤ :
 ١٢٨١ ، ١٢٨٢) .

الحقيقة : بحاء مهملة ، وقافين بينهما تحتية : ما يحقُّ على الرجل أن يحميه .
الماجد : الشريف .

بنو اللَّقِيْطَةِ : هم الْمُلتَقِطُونَ الذين لا يُعرف آباؤهم .

السَّلم - بفتح السين المهملة ، وكسرهما : الصلح .

الْجَحْفَل - بجيم مفتوحة ، فحاء مهملة ساكنة ، ففاء مفتوحة ، فلام ؛ الجيش الكثير .

اللَّجِب - بفتح الهمزة واللام الثانية : وكسر الجيم ، وبالموحدة : الكثير الأصوات .

شُكُّوا : بشين معجمة ، فكاف مشددة ، والشُّك - بالفتح هنا الطعن ، ورُوى باللام ، وهو الطرد .

بَدَاد - بموحدة مفتوحة فدا لين مهملتين من التَّبَدُّد ؛ وهو التَّفَرُّق ؛ بُني على الكسر ، وهو في موضع نصب ، كانتصاب المصدر في قولك : مشيت القهقري ، وقَعَدْتُ الْقُرْفُصَاءَ ، كأنه قال : طعنوا الطَّعْنَةَ التي يُقال لها بَدَاد .

الجواد : من الخيل السريع .

الرَّاقِصَات . هنا الإبل ؛ والرَّقْصُ والرَّقْصَانُ ؛ ضرب من مشيها .

الْمَخَارِم^(١) - بالخاء المعجمة جمع مَخْرَم : وهو ما بين الجبلين .

الْأَطْوَاد : الجبال المرتفعة .

نُبَيْل الخيل ، من لفظ التَّبُول ؛ أى نجعلها تَبُول .

نَوُوب : بفتح الفوقية ، وبالهزمة : نرجع .

الْمَلَكَاتِ : النساء اللاتي أُمْلِكْنَ .

(١) وفي اللسان « المخارم : أفواه الفجاج ، والمخارم الطرق . وقيل الطرق في الجبال وأفواه الفجاج .

الرَّهْوُ : بفتح الراء [المشى في ^(١)] سكون .

المُقَلَّص : المشمر .

طِيرة فرس : وثابة سريعة .

المُعْتَرَك : موضع الحرب .

رَواد : مَنْ رواه بفتح الراء فَمَعْنَاهُ : سريعات ، مِنْ رَدَى الفرس يُرْدِي : أسرع ؛
أى تُرْدِي بفرسانها ؛ أى تسرع . وَمَنْ رواه بكسر الراء فهو من المشى الرويد ؛ وهو
الذى فيه فتور .

دَوَابِرْهَا : أواخرها .

لَاَحَ : غَيْرَ وَأَضْعَفَ .

متونها : ظهورها .

الطَّرَاد : مطاردة الأبطال بعضهم بعضاً .

الجياد : جمع جواد ، تقدم .

مَلْبُونَةٌ : تسقى اللبن .

مُشْعَلَةٌ : موقدة .

غَوَادٍ - جمع غادية .

تَجَنَّلَى - بفوقية مفتوحة ، فجيم معجمة ساكنة ، فموحدة ، فلام مكسورة ؛
تَقَطَّعَ .

الجُنُنُ - بضم الجيم ، ونونين جمع جُنَّة : الترس وكذلك السلاح .

الهامة : الرأس .

(١) يياض في الأصول . والمثبت يقتضيه السياق .

المُرْتَاد : الطالب للحرب هنا .

الْأَسْدَاد : جمع سَدَّ ، بفتح السين : ما يسدبه على الإنسان فيمنعه عن وجهه .

عِبَاد - بكسر المهملة : أحد جمع عبد .

* * *

شرح غريب قصيدة كعب بن مالك — رضى الله عنه

نَنْشَنِي : نرجع .

الْمَدَاعِيس : المطاعن ، واحدها مدعس ، يقال دعسه بالرمح إذا طعنه .

الْقُمُوع - بقاف ، فميم مضمومتين فعين مهملة جمع قمعة ؛ وهى أعلى سنام البعير .

الذُّرَى - بضم الذال المعجمة ، وفتح الراء : الأسنة .

الْأَبْلَح - بفتح الهمزة ، وسكون الموحدة ، وبالحاء المعجمة : المتكبر .

الْمُتَشَاوِس - بفوقية فشين معجمة ، وآخره سين مهملة : الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر .

المُعْلِمِينَ - بسكون العين ، وكسر (١) اللام .

الْكُمَاة - بضم الكاف : الشجعان .

انتخوا : تكبروا .

يُسَلَّى - بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وتشديد اللام .

النَّخْوَة - بفتح النون ، وسكون الخاء المعجمة : العظمة والتكبر .

الْمُقَاعِيس : الذى لا يلين ولا ينقاد .

السُّرْحَان : الذئب .

(١) المعلمين : كذا ضبط المصنف ، وقد ضبطه محقق السيرة النبوية لابن كثير بفتح اللام ٣ : ٢٩٦ .

الغَصَاةُ : شجرة ، وجمعها غَصَيٌّ : ويقال : أنجبت الذئب ذئاب الغصى^(١) .

المخالس : الذى يخطف الشئ سرعة على غفلة .

يلنودون : يمنعون ويدفعون .

الأحساب : جمع حَسَبَ بفتحين : ما يعدُّ من المآثر .

التلاد : بكسر الفوقية : المال القديم .

تَقُدُّ : تقطع .

القَوَانِسُ - بالقاف : أعلى بيض الحديد ، واحتلها قونس .

التَّمَارُسُ : المضاربة فى الحرب والمقاربة

المخالب - بيم فحاء معجمة مفتوحين : جمع مِخْلَب - بكسر الميم ، ظفر كل

سَبُع من الماشى والطائر ، أو هو لما يصيد من الطير ، والظفر لما لا يصيد .

الخَادِرُ : الأسد فى خِلْته ، وهى الأجمة .

الْوَحْرُ : بالحاء والراء المهملتين : الحقد .

شرح غريب قصيدة شedad بن عارض الجشمى - رضى الله عنه

الإِيَاب : الرجوع .

عَسَجَدَ : بلفظ اسم الذهب : اسم موضع .

وهيهات : اسم فعل بمعنى بَعُدَ .

المَقْفَل : الرجوع .

ذُو مَيْعَةٍ : فرس ذو نشاط .

المِسْحَ - بكسر الميم ، وفتح السين ، والحاء المشددة ، المهملتين ، الكثير الجرى .

(١) الغصى ، ويرسم أيضاً بالألف : الغصاة .

الْفَضَاءُ - بالفاء المعجمة : المتسع من الأرض .

جاش - بالجيم ، والشين المعجمة : تحرك وغلَى .

اضْطَرَمَ : وىروى بالباء ، أى فى جريه ، وبالموحدة ؛ أى تَحَرَّك .

المرجل : بكسر الميم : القِدر .

لم ينظر : لم ينتظر .

أَسْهَلُوا : أخذوا فى سهل الأرض .

الْفِضَاحُ : الفاضحة - بالفاء ، والضاد المعجمة والمهملة .

الصَيْقَلُ : الذى يزيل ما على السلاح من الصدأ .

الباب الرابع والعشرون

في غزوة خيبر^(١)

قال ابن عقبة ، وابن إسحاق : ولما قَدِمَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة من الحُدَيْبِيَّة - زاد ابن إسحاق في ذى الحجة - مكث بها عشرين ليلة أو قريباً منها ، ثم خرج غادياً إلى خيبر - زاد ابن إسحاق في المحرم - وكان الله - عزَّ وجلَّ - وعده إياها وهو بالحُدَيْبِيَّة ، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة ، فأعطاه الله - تعالى - فيها خيبر ﴿ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ^(٢) ﴾ - خيبر .

قال محمد بن عمر : أمر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بالخروج فجدُّوا في ذلك ، وأسْتَنْفَرَ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ شُهَدِ الحُدَيْبِيَّة يغزون معه ، وَجَاءَهُ الْمُخَلَفُونَ عنه في غزوة الحُدَيْبِيَّة ليخرجوا معه رجاء الغنيمة ، فقال : « لَا تَخْرُجُوا مَعِيَ إِلَّا رَاغِبِينَ فِي الْجِهَادِ ، فَأَمَّا الْغَنِيمَةُ فَلَا » .

١٩٢ ب قال أنس - رضي الله عنه - : وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - / لأبي طلحة^(٣) - رضي الله عنه - حين أراد الخروج إلى خيبر : « التَّمِسُوا لِي غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي » فخرج أبو طلحة مُرْدَفِي وأنا غُلَامٌ ، قَدْ رَاهَقْتُ ، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل خَدَمْتُهُ - ، فسمعتة كثيراً ما يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ

(١) وانظر : سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣٢٨ . والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٨١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٤٤ - والمغازي للوالدي ٢ : ٦٣٣ - وشرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢١٧ .

(٢) سورة الفتح آية ٢٠ .

(٣) وهو زوج أم أنس كما في السيرة الحلبية ٣ : ٣٦ .

مِنْ أَلْهَمٍ وَالْحَزَنَ وَالْعَجْزَ وَالْكَسَلَ وَالْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَضَلَعَ الدِّينَ وَغَلَبَةَ الرِّجَالَ » رواه سعيد بن منصور .

وَأَسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْمَدِينَةِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : نُمَيْلَةُ أَيْ بَضْمُ النَّوْنِ ، وَفَتْحُ الْمِيمِ ، وَسُكُونُ التَّحْتِيَةِ ، ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيُّ . - كَذَا قَالَ وَالصَّحِيحُ سِبَاعٌ - بِكَسْرِ السَّيْنِ بْنِ عُرْفُطَةَ - بَعَيْنٌ مَهْمَلَةٌ مَضْمُومَةٌ فَرَاءٌ سَاكِنَةٌ فَفَاءٌ مَضْمُومَةٌ ، فَطَاءٌ مَهْمَلَةٌ كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ الصَّغِيرِ ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ ، وَالطَّحَاوِيُّ ، وَالحَاكِمُ ، وَالبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .
وَأَخْرَجَ مَعَهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وَلَمَّا تَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالنَّاسُ شَقَّ عَلَى يَهُودِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ هُمْ مُوَادِعُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَرَفُوا أَنَّهُ إِنْ دَخَلَ خَيْبَرَ أَهْلَكَ أَهْلَ خَيْبَرَ ، كَمَا أَهْلَكَ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَالنَّضِيرَ وَقَرْيَظَةَ . وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ لَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَقٌّ إِلَّا لَزِمَهُ .

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ شَيْبَةَ ، وَأَحْمَدُ ، وَالتَّطَبَّرِيُّ عَنْ أَبِي حَنْزَلَةَ (١) بِمَهْمَلَاتٍ وَزَنَ جَعْفَرٌ - بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّهُ كَانَ لِأَبِي الشَّخْمِ الْيَهُودِيِّ خَمْسَةُ دَرَاهِمٍ ، وَلَقِظَ التَّطَبَّرِيُّ : أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ فِي شَعِيرٍ أَخَذَهُ لِأَهْلِهِ فَلَزِمَهُ . فَقَالَ : أَجْلِنِي فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَقْدِمَ عَلَيْكَ فَأَقْضِيكَ حَقَّكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، قَدْ وَعَدَ اللَّهُ - تَعَالَى - نَبِيَّهٖ أَنْ يُغْنِمَهُ خَيْبَرَ ، فَقَالَ أَبُو الشَّخْمِ حَسِداً وَبَغِيّاً : أَتَحْسِبُونَ أَنَّ قِتَالَ خِيَابِرٍ مِثْلُ مَا تَلْقَوْنَ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فِيهَا - وَالتَّوْرَةُ - عَشْرَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ ، وَتَرَاغَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَعْطَاهُ حَقَّهٖ » قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَقْدَرُ عَلَيْهَا قَالَ : أَعْطَاهُ حَقَّهٖ . قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا قَالَ ثَلَاثًا لَمْ يَرَا جِعَ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَخَرَجْتُ فَبَعْتُ [أَحَدًا] (٢) ثَوْبَيْنِ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ ، وَطَلَبْتُ بَقِيَّةَ حَقِّهِ فَدَفَعْتَهُ

(١) هو عبد الله بن أبي حنزة الأسلمي (مغازي الواقدي ٢ : ٩٣٤) .

(٢) إضافة عن مغازي الواقدي ٢ : ٣٦٥ .

إليه ولبست ثوبى الآخر . وأعطاني ابن أسلم بن حريش بفتح الحاء وكسر الراء وبالشين المعجمة ثوباً آخر .

(١) وَلَفْظُ الطَّبْرَانِي : فخرج به أبْنُ أَبِي حَدَرْدَ إِلَى السُّوقِ وَعَلَى رَأْسِهِ عَصَابَةٌ وَهُوَ يَأْتِزِرُ بِمُتَزَرٍ ، فَتَزَعُ الْعِمَامَةُ عَنْ رَأْسِهِ فَاتَزَرَبَهَا ، وَنَزَعَ الْبُرْدَةَ فَقَالَ : اشْتَرِ مِنِّي هَذِهِ ، فَبَاعَهَا مِنْهُ بِالْدِرَاهِمِ . فَمَرَتْ عَجُوزٌ فَقَالَتْ : مَا لَكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرَهَا ، فَقَالَتْ : هَٰذَا نَوَاسِطُ الْبُرْدِ ، فَطَرَحَتْهُ عَلَيْهِ ، فَخَرَجَتْ فِي ثَوْبَيْنِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَنَفَلَنِي اللَّهُ - تَعَالَى - مِنْ خَيْبَرٍ ، وَغَنِمْتُ أَمْرَأَةً بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَبِي الشَّحْمِ قَرَابَةً ، فَبِعْتُهَا مِنْهُ .

وجاء أبو عَيسٍ - بموحدة - ابن جَبْرِ - بفتح الجيم وسكون الموحدة ، فقال يا رَسُولَ اللَّهِ ما عندي نفقة ولا زاد ولا ثوبٌ أُخْرِجُ فيه ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شِقَّةً سُنْبُلَانِيَّةً : جنس من الغليظ شبيه بالكرباس . قال سلمة : خرجنا مع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما اتقينا وألقين سكينتنا علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا إنا إذا صيح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا^(١)

١٩٣ ظ فقال رسول الله / صَلَّى الله عليه وسلم - : « مَنْ هَذَا السَّائِقُ ؟ » قالوا : عامر بن الأكوع قال : « يَرْحَمُهُ اللَّهُ » وفي رواية « غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ » . قال : وما استغفر رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - لإنسانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتَشْهَدَ . فقال عُمَرُ - وهو على جملي : وَجِبَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ : لولا أمتعتنا بعامر .

(١ - ١) ما بين الرقین سقط فی الأصول . والإثبات عن شرح المواهب للزرقانی ٢ : ٢١٨ - ٢١٩ . والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٤٦ - وسيرد شرح المفردات في شرح غريب الألفاظ ما يدل على سقوط ذلك في متن الكتاب .

وروى الحارث بن أبي أسامة عن أبي أسامة ، والبيهقي عن ثوبان - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في غزوة خيبر : « مَنْ كَانَ مُضْعَفًا أَوْ مُضْعَبًا فَلْيَرْجِعْ » . وأمر بلالاً فنادى بذلك ، فرجع ناس ، وفي القوم رجلٌ على صعب ، فمر من الليل على سواد فنَفَرَبِه فصرعه فلما جاءوا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « مَا شَأْنُ صَاحِبِكُمْ ؟ » فَأَخْبَرُوهُ ، فقال : « يَا بِلَالُ ، مَا كُنْتَ أَذْنَتَ فِي النَّاسِ ، مَنْ كَانَ مُضْعَفًا أَوْ مُضْعَبًا فَلْيَرْجِعْ » ؟ قال : نعم . فَأَبَى أَنْ يَصِلَ عَلَيْهِ . زاد البيهقي ، وأمر بلالاً فنادى في الناس « الجنة لا تحل لعاص » ثلاثاً .

قال محمد بن عمر : وَبَيَّنَّا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - في الطريق في ليلة مُقَسَّرَةٍ إِذْ أَبْصَرَ رَجُلًا يَسِيرُ أَمَامَهُ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَبْرِقُ فِي الْقَمَرِ كَأَنَّهُ فِي شَمْسٍ وَعَلَيْهِ بَيْضَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ هَذَا ؟ » فَقِيلَ : أَبُو عَبَسَ بْنِ جَبْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « أَدْرِكُوهُ »^(١) قَالَ : فَأَدْرَكُونِي فَحَبَسُونِي ، فَأَخَذَنِي مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ أُنْزِلَ فِي أَمْرٍ مِنَ السَّمَاءِ ، فَجَعَلْتُ أَتَذَكَّرُ مَا فَعَلْتُ حَتَّى لَحَقَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ : « مَا لَكَ تَقَدَّمُ النَّاسَ لَا تَسِيرُ مَعَهُمْ » ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ نَاقَتِي نَجِيبَةٌ ، قَالَ : فَأَيْنَ الشَّقِيقَةُ الَّتِي كَسَوْتِكَ ؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : بَعَثَهَا بَثَانِيَّةَ دَرَاهِمَ ، فَتَزَوَّدْتُ بِدَرَاهِمِينَ وَتَرَكْتُ لِأَهْلِي دِرْهَمِينَ^(٢) ، وَابْتَنَعْتُ هَذِهِ الْبُرْدَةَ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ قَالَ : « أَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبَسَ وَأَصْحَابُكَ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَئِنْ سَلِمْتُمْ وَعِشْتُمْ قَلِيلًا لَيَكْثُرَنَّ زَادُكُمْ ، وَلَيَكْثُرَنَّ مَا تَتَرَكُونَ لِأَهْلِيكُمْ وَلَتَكْثُرَنَّ دَرَاهِمُكُمْ وَعَبِيدُكُمْ وَمَا ذَلِكَ لَكُمْ بِخَيْرٍ » . قَالَ أَبُو عَبَسَ : فَكَانَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - .

قال سويد بن النعمان - رضي الله عنه - : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لَمَّا وَصَلَ إِلَى الصُّهْبَاءِ - وَهِيَ أَدْنَى خَيْبَرَ - صَلَّى الْعَصْرَ ، ثُمَّ دَعَا بِالْأَزْوَادِ ، فَلَمْ يَزُتْ

(١) كَذَا فِي ط ، وَفِي ت ، م « أَحْبَبُوهُ » .

(٢) فِي الْمَغَازِي لِلْوَاهِدِيِّ ٢ : ٦٣٦ وَتَزَوَّدْتُ بِدَرَاهِمِينَ تَمَرًا ، وَتَرَكْتُ لِأَهْلِي نَفَقَةَ دَرَاهِمِينَ .

إلا بالسويق ، فأمر به فثرى فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأكلنا معه ، ثم قام إلى المغرب فَمَضْمَضَ ومضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ . رواه البخارى ، والبيهقى . زاد محمد بن عمر : ثم صلى بالناس العشاء ، ثم دعا بالأدلاء فجاء حُسَيْلُ بن خارجة^(١) [وعبد الله بن نعيم الأشجعي]^(٢) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لحُسَيْلُ « يا حُسَيْلُ : امْضِ أَمَامَنَا حَتَّى نَأْخُذَ بِنَا صَدُورَ الْأَوْدِيَةِ حَتَّى تَأْتِيَ خَيْبَرَ مِنْ بَيْنِهَا وَبَيْنَ الشَّامِ ، فَأَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّامِ وَبَيْنَ حُلَفَائِهِمْ مِنْ غَطَفَانَ » فقال حُسَيْلُ : أنا أسلكُ بك ، فأنتهى به إلى موضع له طُرُقٌ ، فقال : يا رسول الله إن لها طُرُقاً تُؤْتِي مِنْهَا كُلُّهَا . ١٩٤ و فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم / « سَمِّهَا لِي » وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُحِبُّ الْأَفْعَالَ الْحَسَنَ وَالْأَسْمَ الْحَسَنَ^(٣) ، ويكره الطَّيْرَةَ ، والاسم القبيح ، فقال : لها طريقٌ يُقَالُ لَهَا حَزَنٌ ، وطريقٌ يُقَالُ لها : شَاشٌ ، وطريقٌ يُقَالُ لها حَاطِبٌ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لَا تَسْلُكُهَا » . قال : لَمْ يَبْقَ إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ يُقَالُ له : مَرْحَبٌ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم « أَسْلُكُهَا » .

* * *

نكر دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أشرف على خيبر

روى ابن إسحاق عن أَبِي مُعَيْثٍ بن عمرو - رضى الله عنه - وهو بغين معجمة ، وثناء مثلثة عند ابن إسحاق ، وبعين مهملة مفتوحة ففوقية مشددة فموحدة عند الأمير ، ومحمد بن عمر عن شيوخه ، قالوا « إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أشرف على خيبر ، قال لأصحابه : « قِفُوا » فوقفوا . فقال : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ فَإِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرِ أَهْلِهَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا ، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللَّهِ » . وكان يقولها لكل قرية يريد دخولها . وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ وابن حبان عن صُهَيْب .

(١ ، ١) إضافة عن المغازى الواقدي ٢ : ٦٣٨ .

(٢) سقط في الأصول . والإثبات عن المغازى الواقدي ٢ : ٦٤٠ .

نكر وصول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى خيبر

قال محمد بن عمر : ثم سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى انتهى إلى المنزلة ؛ وهي سوق لخيبر ، صارت في سَهْمٍ زيد بن ثابت - رضى الله عنه - فعرّس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بها ساعة من الليل ، وكانت يهود لا يظنون قبل ذلك أَنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - / يغزوهم لمنعتهم وسلاحهم وَعَدَدِهِمْ ، فلما أَحَسُّوا بِخُرُوجِ ١٩٤ ظ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم قاموا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ، ثم يقولون : مُحَمَّدٌ يَغْزُونَا هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ !! وكان ذلك شأنهم ، فلما نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ولم يَصِحْ لهم دِيكَ حتى طلعت الشمس ، فَأَصْبَحُوا وَأَفْتَدَتْهُمْ تَخَفُقُ وَفَتَحُوا حُصُونَهُمْ غَائِدِينَ مَعَهُمُ الْمَسَاحِي ، والكرازين والمكاتل ، فلما نظروا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وَلَوْا هَارِبِينَ إلى حصونهم .

وروى الإمام الشافعي ، وابن إسحاق ، والشيخان من طرق عن أنس - رضى الله عنه - قال : سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى خيبر ، فأنتهى إليها ليلاً ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا طرق قومًا بليل^(١) لم يُغْزَ عليهم حتى يُصْبِحَ ، فإذا سمع أَذَانًا أَمْسَكَ ، وإن لم يسمع أَذَانًا أَغَارَ عليهم حتى يُصْبِحَ ، فصلينا الصُّبْحَ عند خيبر بغلس ، فلم نسمع أَذَانًا ، فلما أصبح ركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وركب معه المسلمون وأنا رديفُ أَبِي طَلْحَةَ ، فَأَجْرَى نَبِيُّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فانهصر^(٢) عن فخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإني لأرى بياضَ فَخْذِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وإن قَدَى لَتَمْسُقُ قَدَمَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -

وخرج أهل القرية إلى مَزَارِعِهِمْ بِمَكَاتِلِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قالوا : مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ . فَأَدْبَرُوا هَرَبًا . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) سقط في الأصول : والإثبات عن شرح المواهب ٢ : ٢٢١ والبداية والنهاية ٤ : ١٨٣ .

(٢) أى فانهصر إزاره صلى الله عليه وسلم كما سيرد في رواية ابن كثير .

عليه وسلم - ورفع يديه « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

وروى الترمذى وابن ماجه والبيهقى ، بسند ضعيف عن أنس - رضى الله عنه - قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم خيبر على حمار مخطوم برسن من ليف ، وتحتة إكاف من ليف .

قال ابن كثير : الذى ثبت فى الصحيح ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جرى فى زقاق خيبر حتى انحسر الإزار عن فخذه فالظاهر أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار ، قال : ولعل هذا الحديث - إن كان صحيحاً - محمول على أنه ركبته فى بعض الأيام ، وهو مُحَاصِرُهَا^(١) .

قال محمد بن عمر - رحمه الله - وجاء الحُبَاب - بضم الحاء المهملة ، وموحدين ابن المنذر - رضى الله عنه - فقال : يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان من أمرٍ أُمِرْتُ به فلا نتكلم ، وإن كان الرأى تكلّمنا . فقال - صلى الله عليه وسلم - « هو الرأى » فقال : يا رسول الله . دَنَوْتُ مِنَ الْحُصُونِ ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ ظَهْرَى النَّخْلِ ، وَالنَّزْ^(٢) مَعَ أَنَّ أَهْلَ النَّطَاةِ لِي بِهِمْ مَعْرِفَةٌ ، لَيْسَ قَوْمٌ أَبْعَدَ مَدًى سَهْمٍ مِنْهُمْ ، وَلَا أَعْدَلُ رَمِيَةً مِنْهُمْ ، وَهُمْ مَرْتَفِعُونَ عَلَيْنَا ، يَنَالُنَا نَبْلُهُمْ ، وَلَا نَأْمُنُ مِنْ بَيَاتِهِمْ ، يَدْخُلُونَ فِي خَبَرِ النَّخْلِ فَتَحْوِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى مَوْضِعٍ بَرِيءٍ مِنَ النَّزْ وَمِنَ الْوَبَاءِ نَجْعَلُ الْحَرَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَتَّى لَا يَنَالُنَا نَبَالُهُمْ وَنَأْمُنُ مِنْ بَيَاتِهِمْ وَنَرْتَفِعَ مِنَ النَّزْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « أَشَرْتُ بِالرَّأَى ، وَلَكِنْ نُقَاتِلُهُمْ هَذَا الْيَوْمَ .

١٩٥ ر ودعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محمد بن مسلمة - رضى الله عنه - فقال : « انظُرْ لَنَا مَنْزِلًا بَعِيدًا مِنْ حَصُونِهِمْ بَرِيئًا مِنَ الْوَبَاءِ ، نَأْمُنُ فِيهِ مِنْ بَيَاتِهِمْ ، فَطَافَ

(١) ويؤيد هذا الجمع ما فى السيرة الحلبية ٣ : ٤٠ ، وما فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٠ .

(٢) النز : ما يتحلب من الأرض من الماء (الصحاح ٥٩٦) .

محمد حتى أتى الرجيع^(١) ، ثم رجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله وجدتُ لك منزلاً ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ » .

نكر ابتدائه - صلى الله عليه وسلم - باهل النظافة

صف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه ووعظهم وأنهام عن القتال حتى حتى يأذن لهم ، فعمد رجلٌ من أشجع فحمل على يهودى وحمل عليه اليهودى فقتله ، فقال الناس : أَسْتَشْهِدُ فلان ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أَبْعَدُ مَا نَهَيْتُ عَنْ الْقِتَالِ ؟ . قالوا : نعم . فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مُنَادِيًا فنادى فى النَّاسِ « لَا تَحِلَّ الْجَنَّةُ لِعَاصٍ » .

وروى الطبرانى فى الصغير عن جابر - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يومئذ : « لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى الْعَافِيَةَ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَذَرُونَ مَا تُبْتَلُونَ بِهِ مِنْهُمْ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَقُولُوا : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ ، وَنَوَاصِينَا وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِكَ ، وَإِنَّمَا نَقْتُلُهُمْ أَنْتَ ، ثُمَّ الزَّمُوا الْأَرْضَ جُلُوسًا ، فَإِذَا غَشَوْكُمْ فَانْهَضُوا ، وَكَبِّرُوا » ، وذكر الحديث .

قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد : وفرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرايات ، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر ، وإنما كانت الأولوية^(٢) .

وكانت راية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سوداء من بُرْدٍ لعائشة - رضى الله عنها - تُدْعَى الْعُقَاب ، ولواؤه أبيض ، دفعه إلى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رضى الله عنه - ودَفَعَ رَايَةً إِلَى الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، وراية إلى سعد بن عُبَادَةَ ، وكان شعارهم « يَا مَنْصُورُ أَمِيتُ » .

(١) الرجيع : واد قرب خيبر

(٢) قاله منطوى وغيره ، كما فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٢ .

وَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْقِتَالِ ، وَحَثَّهِمْ عَلَى الصَّبْرِ ، وَأَوَّلَ حَصْنٍ حَاصِرَهُ حَصْنُ نَاعِمٍ بِالنُّونِ ، وَالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَقَاتَلَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَهُ ذَلِكَ أَشَدَّ الْقِتَالِ ، وَقَاتَلَهُ أَهْلُ النَّطَاةِ أَشَدَّ الْقِتَالِ ، وَتَرَسَّ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَئِذٍ ، وَعَلَيْهِ - كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو - دَرْعَانٌ وَبَيْضَةٌ وَمِغْفَرٌ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ يُقَالُ لَهُ الظَّرْبُ ، وَفِي يَدِهِ قَنَاءٌ وَتُرْسٌ .

وَتَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ : أَنَّهُ كَانَ عَلَى حِمَارٍ فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ فِي الطَّرِيقِ ، ثُمَّ رَكِبَ الْفَرَسَ حَالَ الْقِتَالِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فَقَالَ الْحُبَابُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ تَحَوَّلْتُ ؟ فَقَالَ : « إِذَا أَمْسَيْنَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - تَحَوَّلْنَا » .

وَجَعَلَتْ نَبِيلُ يَهُودٍ تُخَالِطُ الْعُسْكَرَ وَتَجَاوِزُهُ ، وَالْمُسْلِمُونَ يَلْتَقِطُونَ نَبْلَهُمْ ثُمَّ يَرُدُّونَهَا عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَحَوَّلَ إِلَى الرَّجِيعِ وَأَمَرَ النَّاسَ فَتَحَوَّلُوا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَغْدُو بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى رَايَاتِهِمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ الْحَصْنَ عَلَيْهِمْ / ١٩٥ ظ

ذَكَرَ اخْذَ الْحُمَى الْمُسْلِمِينَ وَرَفَعَهَا عَنْهُمْ بِبَرَكَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ طَرِيقِ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ الْفَهْرِيِّ وَعَنْ أَبِي قَلَابَةَ وَأَبِي نَعِيمٍ ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَرْقَعِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو عَنْ شَيْبُوخَةَ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا قَدِمُوا خَبِيرَ أَكَلُوا الثَّمَرَةَ الْخَضِرَاءَ وَهِيَ وَبَيْئَةٌ وَخِيْمَةٌ ، فَأَكَلُوا مِنْ تِلْكَ الثَّمَرَةِ . فَأَمَدَتْهُمْ الْحُمَى ، فَشَكُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ « قَرَّسُوا الْمَاءَ فِي الشَّنَانِ ، فَإِذَا كَانَ بَيْنَ الْأَذَانَيْنِ فَاحْذَرُوا الْمَاءَ عَلَيْكُمْ حَذَرًا ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ - تَعَالَى - فَفَعَلُوا ^(١) فَكَانَ مَاءٌ نَشَطُوا مِنَ الْعَقْلِ .

(١) وَفِي السِّيرَةِ الْخَلْقِيَةِ ٣ : ٩١ « وَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبِيرَ كَانَ الْبَرُّ الْخَضِرَ ، فَأَكْثَرَ الصَّحَابَةُ مِنْ أَكْلِهِ ، فَأَصَابَتْهُمْ الْحُمَى ، فَشَكُوا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : بَرَدُوا لِمَا فِي الشَّنَانِ - أَيْ الْقُرْبِ - ثُمَّ صَبَّوْا عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَذَانِ الْفَجْرِ ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَفَعَلُوا فَذَهَبَتْ عَنْهُمْ .

ذكر فتحه — صلى الله عليه وسلم — حصن الصعب بن معاذ بن النطاة
وما وقع في ذلك من الآيات

لم يكن بخيبر حصن أكثر طعاماً وودكاً وماشية ومتاعاً منه ، وكان فيه خمسمائة مقاتل ، وكان الناس قد أقاموا أياماً يُقاتلون ليس عندهم طعام إلا العلق^(١)

وروى محمد بن عمر عن أبي اليسر كعب بن عمر — رضى الله عنه — : أنهم حاصروا حصن الصعب بن معاذ ثلاثة أيام ، وكان حصناً منيعاً ، وأقبلت غنم لِرَجُلٍ من يهود ترتع وراء حصنهم ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « من رجل يطعمنا من هذه الغنم » ؟ فقلت : أنا يا رسول الله فخرجت أسعى مثل الظبي ، وفي لفظ : مثل الظليم ، فلما نظر إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مؤكياً قال : « اللهم متّعنا به » فأدركت الغنم — وقد دخل أولها الحصن — فأخذت شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدي ، ثم أقبلت أعدو كأن ليس معي شيء ، حتى انتهيت إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأمَرَ بهما فدُبِحتا ، ثم قَسَمَهما ، فما بقي أحدٌ من العسكر الذين معه مُحَاصِرِينَ الحصن إلا أكل منهما ، فقليل لأبي اليسر : كم كانوا ؟ قال : كانوا عدداً كثيراً .

وروى ابن إسحاق عن بعض من أسلم ، ومحمد بن عمر — رحمه الله — عن معتب — بكسر الفوقية المشددة — الأسلمي — رضى الله عنه — واللفظ له ، قال : أصابتنا معشَرُ أسلم مجاعة حين قَدِمْنَا خَيْبَرَ ، وأقمنا عشرة أيام على حصن النطاة لا نفتح شيئاً فيه طعام ، فأجمعت أسلم أن أرسلوا^(٢) أسماء بن حارثة — بالحاء المهملة والثاء المثناة ، فقالوا انت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقل له : إن أسلم يقرئوك السلام ، ويقولون : إنا قد جُهِدْنَا من الجوع والضعف ، فقال بُرَيْدَةُ بْنُ الْحَصِينِ — بضم الحاء ، وفتح الصاد المهملتين : والله إن رأيت كاليوم قط من بين العرب يصنعون هذا ، فقال

(١) العلق : القليل من الشيء . أو هو ما يتصل به قبل الغذاء (محيط المحيط)

(٢) في المغازي للواقدي ٢ : ٦٥٩ « فأجمعت أسلم أن يرسلوا » .

زيد^(١) بن حارثة أخو أسماء ؛ والله إني لأرجو أن يكون هذا البعث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مفتاح الخير فجاءه أسماء فقال : يا رسول الله إن أسلم تقرأ عليك السلام ، وتقول إنا قد جُهدنا من الجوع والضعف ، فأدعُ الله لنا / فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم قال : « والله ما بيدي ما أقويهم به ، قد عَلِمْتُ حالَهُمْ ، وأنَّهُمْ ليست لهم قوة ، ثم قال : « اللهم فافتح عليهم أعظم حِصْنٍ فيها ، أكثرها طعاماً ، وأكثرها ودكاً » .

ودفع اللّواء إلى الحُبَاب بن المُنْذِر - رضى الله عنه - وَنَدَبَ النَّاسَ ، فما رجعنا حتى فتح الله علينا حِصْنَ الصَّعْب بن مُعَاذ .

قالت أمُّ مُطَاعِ الأَسْلَمِيَّة - رضى الله عنها - لقد رَأَيْتُ أَسْلَمَ حين شَكَّوْا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما شَكَّوْا من شِدَّةِ الْحَالِ ، فندب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النَّاسَ فنهضوا ، فرَأَيْتُ أَسْلَمَ أَوَّلَ من أَنْتَهَى إلى حِصْنِ الصَّعْب بن مُعَاذ ، فما غابت الشمسُ من ذلك اليوم حتى فتح الله^(٢) - تعالى - وما بخبير حِصْنٍ أَكْثَرَ طعاماً وودكاً منه ، وكان عليه قتالٌ شديد .

بَرَزَ رَجُلٌ من يهود يقالُ له يُوْشَع ، يدعو إلى البراز ، فبرز له الحُبَاب بن المُنْذِر ، فاختلفا ضرباتٍ فقتله الحُبَاب ، وبرز له آخر يقال له الزَّيَال ، فبرز له عَمَارَةُ بن عُقْبَةَ الْغِفَارِيِّ ، فبادرَه الْغِفَارِيُّ فضربه ضربةً على هامته وهو يقول : خُذْهَا وَأَنَا الْغَلَامُ الْغِفَارِيُّ ، فقال النَّاسُ « بَطَلُ جِهَادِهِ » ، فبلغ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك فقال : « ما بِأُسْ به يُؤْجَر وَيُحْمَد » .

وروى محمد بن عمر عن محمد بن مسلمة - رضى الله عنه - قال : رَأَيْتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - رَمَى بِسَهْمٍ فما أَخْطَأَ رجلاً منهم ، وتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ، وأنفرجوا ودخلوا الحصن .

(١) في المرجع السابق « هند بن حارثة » .

(٢) كذا في ط . وفي ت ، م « فتحه الله » .

وروى محمد بن عمر عن جابر - رضى الله عنه - أنهم وجئوا في حصن الصَّعب من الطَّعام ما لم يكونوا يَظُنُّون أنه هُناك من الشَّعير والتمر والسَّمْن والعسل والزَّيت والودَّك .

ونادى مُنادى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - : كُلُّوا وأَعْلِفُوا ولا تَحْمِلُوا ، يقول : لا تَخْرُجُوا به إلى بلادكم .

ذكر محاصرته - صلى الله عليه وسلم - حصن الزبير بن العوام -
رضي الله عنه - الذي صار في سهمه بعد

رَوَى البيهقي عن محمد بن عمر قال : لَمَّا تحولت يهودُ مِنْ حِصْنِ نَاعِمٍ وَحِصْنِ الصَّعْبِ بن مُعَاذٍ إلى قُلةِ الزُّبَيْرِ (١) حاصِرم رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وهو حِصْنٌ في رأسِ قُلةٍ ، فأقام محاصِرم ثلاثة أيام ، فجاء يهودى يدعى غزال فقال : يَا أبا القاسم تؤمننى على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النَّطَاة وتخرج إلى أهل الشَّقِّ ؛ فإن أهل الشَّقِّ قد هلكوا رُعباً منك ؟ فأمنته رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - على أهله وماله ، فقال اليهودى : إنك لو أقمت شهراً ما بالوا ؛ لهم دُبُولٌ (٢) تحت الأرض يخرجون بالليل فيشربون منها ، ثم يرجعون إلى قلعته فيمتنعون منك ، فإن قطعت عنهم شِربَهُمْ أَصْحَرُوا (٣) لك ، فسار رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - إلى دُبُولِهِم فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا وقاتلوا أشد قتال .

وقتل من المسلمين يومئذ نفر ، وأصيب من اليهود في ذلك اليوم عشرة ، وأفتتحة رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وكان هذا آخر حُصُونِ النَّطَاةِ .

فلما فرغ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - / من النَّطَاة تحوَّل إلى الشَّقِّ .

١٩٦ ط

(١) كذا في الأصول . وفي معاني الواقدي ٢ : ٦٦٦ قلة .

(٢) دبول : الدبول الأنهر الصغيرة (السيرة الحلبية ٣ : ٤٧) .

(٣) اصحروا : برزوا في الصحراء (نهاية الأرب للنويري ١٧ : ٢٥٦) وعجالة الواقدي في المعاني ٢ : ٦٦٧ .

فإن قطعت شربهم عليهم ضجروا .

نكر انتقاله - صلى الله عليه وسلم - الى محاصرة حصون الشق وفتحها

روى البيهقي عن محمد بن عمر - رحمه الله - عن شيوخه - رحمهم الله - قالوا :
لما تحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الشق وبه حصون ذوات عدد ، فكان
أول حصن بدأ به حصن أبي ، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قلعة يقال
لها سَمَوَان^(١) فقاتل عليها أهل الحصن ، قتالاً شديداً ، وخرج رجل من يهود يقال له
غزول^(٢) ، فدعا إلى البراز ، فبرز له الحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، فاقتتلا فاختلعا ضربات ، ثم
حمل عليه الحُبَابُ ، فقطع يده اليمنى من نصف الذراع ، فوقع السيف من يد غزول ،
فبادر راجعاً منهزماً إلى الحصن ، فتبعه الحُبَابُ ، فقطع عُرْقُوبَهُ ، فوقع فدَقَفَ عليه ،
فخرج آخر ، فصاح : مَنْ يَبَارِزُ ؟ فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش ، فَقَتَلَ
الجحشيَّ ، وقام مكانه يدعو إلى البراز ، فبرز له أَبُو دُجَانَةَ ، وقد عصبَ رأسه بعصابته
الحمراء ، فوق المِغْفَرِ ، يَخْتَالُ في مشيته ، فبدره أَبُو دُجَانَةَ - رضى الله عنه - فضربه
فقطع رجله ثم دَقَفَ عليه ، وأخذ سلبه ، درعه وسيفه ، فجاء به إلى رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - فنقله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك ، وأحجم اليهود
عن البراز ، فكَبَّرَ المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، يقدمهم أَبُو دُجَانَةَ ،
فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتفرقوا
الجُدَرُ كأنهم الظباء حتى صاروا إلى حصن النَّزَالِ^(٣) بالشَّقِ ، وجعل يأتي مَنْ بَقِيَ من
فُلِ^(٤) النَّظَاةِ إلى حصن النَّزَالِ ، فغَلَّقُوهُ ، وأمتنعوا فيه أشدَّ الأمتناع ، وزحف
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم في أصحابه ، فقاتلهم ، فكانوا أشدَّ أهل الشَّقِ
رَمِيّاً للمسلمين بالنَّبْلِ والحجارة ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - معهم حتى
أصابَتِ النَّبْلُ ثِيَابَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وَعَلِقَتْ به ، فَأَخَذَ رسول الله

(١) في المغازي للواقدي ٢ : ٦٦٧ « سمران » بضم فسكون فراء مفتوحة .

(٢) في السيرة الحلبية ٣ : ٤٧ ، ونهاية الأرب ١٧ : ٢٥٦ « غزوال » .

(٣) في مغازي الواقدي ٢ : ٦٦٨ « حصن الزار » وفي البداية والنهاية ٤ : ١٩٨ « حصن البزاة » .

(٤) الفل : الفلول المنهزمة (السان) .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - النَّبَلُ فجمعها ، ثم أَخَذَ لَهُمْ كَفًّا مِنْ حَصَى فَحَصَبَ بِهِ حِصْنَهُمْ ،
فَرَجَفَ الْحِصْنَ بِهِمْ ، ثُمَّ سَاخَ فِي الْأَرْضِ ، حَتَّى جَاءَ الْمُسْلِمُونَ فَأَخْلَنُوا أَهْلَهُ أَخْذًا .

نَكَرَ انْتِقَالَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى حِصُونِ الْكُتَيْبَةِ (١) وَبَعَثَهُ السَّرِيَا
لِوَجْعِ رَأْسِهِ وَمَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ

لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حُصُونَ النَّطَاةِ ، وَالشَّقِّ أَنْهَزَمَ مِنْ سَلَمٍ
مِنْهُمْ إِلَى حِصُونِ الْكُتَيْبَةِ ، وَأَعْظَمَ حِصُونُهَا الْقُمُوصُ ، وَكَانَ حِصْنًا مَنِيعًا .

ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَاصِرُهُ قَرِيبًا مِنْ
عِشْرِينَ لَيْلَةً ، وَكَانَتْ أَرْضًا وَخِمَةً .

وَرَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، وَالْبُخَارِيُّ وَابْنُ أَبِي أُسَامَةَ ، وَأَبُو نَعِيمٍ عَنْ سَلْمَةَ
ابْنِ الْأَكْوَعِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ . وَأَبُو نَعِيمٍ عَنْ ابْنِ
عَمْرٍ ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، وَعُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،
وَأَبُو لَيْلَى ، وَمُسْلِمٌ ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ
عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - قَالَ بُرَيْدَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - تَأْخُذُهُ الشَّقِيقَةُ فَيَمْكُثُ الْيَوْمَ وَالْيَوْمِينَ لَا يَخْرُجُ ، فَلَمَّا نَزَلَ خَيْبَرَ أَخَذَتْهُ
الشَّقِيقَةُ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى النَّاسِ ، فَأَرْسَلَ أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَأَخَذَ رَايَةَ رَسُولِ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، ثُمَّ نَهَضَ فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ رَجَعَ ، وَلَمْ يَكُنْ فَتَحَ .
وَقَدْ جَهَدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَأَخَذَ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْقِتَالِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ رَجَعَ ، وَلَمْ يَكُنْ فَتَحَ . وَفِي حَدِيثٍ عَنْ
عَلِيٍّ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ : أَنَّ الْغَلْبَةَ كَانَتْ لِلْيَهُودِ فِي الْيَوْمِينَ (٢) . انْتَهَى .

(١) الْكُتَيْبَةُ - بِكَافٍ مَفْتُوحَةٍ فَعُوقِيَّةٍ ، وَقِيلَ مِثْلُهَا مَكْسُورَةٌ فَتَحْتِيَّةٌ سَاكِنَةٌ ، فَوَحْدَةٌ - وَيُقَالُ بِضَمِّ الْكَافِ (شَرْحُ
الْمَوَاهِبِ لِلزَّرْقَانِيِّ ٢ : ٢٢٨) .

(٢) أَنْظَرَ ذَلِكَ وَكُلَّ الْقِصَّةِ فِي السِّيَرَةِ الْحَلَبِيَّةِ ٣ : ٤٣ .

فأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذلك فقال : « لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ ^(١) » ، ليس بِفَرَارٍ ، يُحِبُّ الله ورسوله ، يأخذها عَنْوَةً « وفي لفظ « يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ » قال بُرَيْدَةُ : فَبِتْنَا طَيِّبَةً أَنْفُسَنَا أَنْ يَفْتَحَ غَدًا ، وَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ ^(٢) لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ [الناس ^(٣)] غَدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ عُمَرُ : فَمَا أَحْبَبْتَ الْإِمَارَةَ قَطُّ حَتَّى كَانَ يَوْمُئِذٍ .

قال بُرَيْدَةُ : فَمَا مَنَّا رَجُلٌ لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مَنْزِلَةٌ إِلَّا وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، حَتَّى تَطَاوَلَتْ أُنَالُهَا ، وَرَفَعْتُ رَأْسِي لِمَنْزِلَةٍ كَانَتْ لِي مِنْهُ ، وَلَيْسَ مِنِّي .

وفي حديث سَلَمَةَ ، وَجَابِرٍ : وَكَانَ عَلَى تَخْلُفٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لِرِمْدٍ شَدِيدٍ كَانَ بِهِ لَا يُبْصِرُ ، فَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : لَا ، أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - !! فَخَرَجَ فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ بُرَيْدَةُ : وَجَاءَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَتَّى أَنَاخَ قَرِيبًا ، وَهُوَ رَمَدٌ ، قَدْ عَصَبَ عَيْنَيْهِ بِشِقِّ بُرْدٍ قَطْرِي ، قَالَ بُرَيْدَةُ : فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - صَلَّى الْغَدَاةَ ، ثُمَّ دَعَا بِاللَّوَاءِ ، وَقَامَ قَائِمًا . قَالَ ابْنُ شَهَابٍ : فَوَعِظَ النَّاسَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيْنَ عَلِيٌّ ؟ » قَالُوا : يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ، قَالَ : « فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ » قَالَ سَلَمَةُ : فَجِئْتُ بِهِ أَقْوَدَهُ ، قَالُوا كُلُّهُمْ : فَأَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « مَا لَكَ ؟ » قَالَ : رَمِدَتْ حَتَّى لَا أَبْصِرَ مَا قُدَّامِي . قَالَ : « أَذْنُ مِنِّي » وفي حديث عَلِيٍّ عِنْدَ الْحَاكِمِ : فَوَضَعَ رَأْسِي عِنْدَ حَجَرِهِ ، ثُمَّ بَزَقَ فِي آلِيَةِ ^(٤)

(١) كَذَا فِي ط ، وَفِي ت ، م « عَلَى يَدَيْهِ » .

(٢) يَدُوكُونَ : كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ ١٧ : ٢٥٣ ، وَشَرَحَ الْمَوَاهِبُ لِلزَّرْقَانِيِّ ٢ : ٢٢٣ « وَيَذْكُرُونَ » وَالْمَعْنَى بَاتُوا فِي اخْتِلَاطٍ وَاخْتِلَافٍ ، مِنَ اللَّوَكَةِ بِمَعْنَى الْإِخْتِلَاطِ . وَسِيرِدَ ذَلِكَ فِي شَرَحِ الْمَفْرَادِ .

(٣) الْإِضَافَةُ عَنْ شَرَحِ الْمَوَاهِبِ لِلزَّرْقَانِيِّ ٢ : ٢٢٣ .

(٤) فِي شَرَحِ الْمَوَاهِبِ لِلزَّرْقَانِيِّ ٢ : ٢٢٣ « بَزَقَ فِي آلِيَةِ رَاحَتِهِ » وَفِي السَّيْرِ الْحَلْبِيَّةِ ٣ : ٤٢ « فِي كَفِّ يَدِهِ » وَالْآلِيَةُ : الْحِمَّةُ الَّتِي تَحْتَ الْإِبْهَامِ ، أَوْ بَاطِنُ الْكَفِّ . كَأَنِّي فِي شَرَحِ الْمَوَاهِبِ .

يده فذلك بها عيني ، قالوا : فبرأ كأن لم يكن به وجع قط ، فما وجعهما [على^(١)] حتى مضى لسبيله^(٢) ، ودعاه وأعطاه الراية ، قال سهل فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . فقال : « أَنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ . ثُمَّ أَدْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى - وَحَقِّ رَسُولِهِ . فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ » وقال أبو هريرة : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعل : « أَذْهَبَ فِقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتْ » قال : علامَ أقاتل الناس ؟ قال : « قَاتِلُهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » فخرجوا ، فخرج بها [٣] والله يأنح يهول هرولة^(٣) . حتى ركزها تحت الحِصْنِ فاطَّلَعَ يهوديٌّ من رأس الحِصْنِ فقال : من أنت ؟ قال : عليٌّ ، فقال اليهودي غلبتهم والذي أنزل التوراة على موسى ، فما رجع حتى فتح الله تعالى على يديه .

قال أبو نعيم : فيه دلالة على أن فتح علي لحصنهم مقدم في كتبهم بتوجيه من الله وجهه إليهم ، ويكون فتح الله - تعالى - علي يديه .

**نكر قتل علي - رضي الله عنه - الحارث وإخاه مرحبا ، وعامرا وياسرا
فرسان يهود وسبعانها**

رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ مِنْ حِصْنِ خَيْبَرٍ - مَبَارِزًا - الْحَارِثُ أَخُو مَرْحَبٍ فِي عَادِيَّتِهِ فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَرَجَعَ أَصْحَابُ الْحَارِثِ إِلَى الْحِصْنِ ، وَبَرَزَ عَامِرٌ ، وَكَانَ رَجُلًا جَسِيًّا طَوِيلًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) مضى لسبيله : أي مات .

(٣-٣) مابين الحاصرتين إضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٣ . ويوافقها نهاية الأرب ١٧ : ٢٥٥ ،

والسيرة الحلبية ٣ : ٤٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٣٥ . وموضع المثلث بياض في الأصول ، لكن ورد في شرح القريب لفظ « يأنح » مشروحاً . ولفظ « يهول » أيضا .

– صلى الله عليه وسلم – حين برزَ وطلع عامِر « أَتَرَوْنَهُ خَمْسَةَ أَذْرَعٍ ؟ » وهو يدعو إلى البراز ، فخرج إليه عليُّ بن أبي طالب – رضى الله عنه – فضربه ضربات ، كل ذلك لا يصنع شيئاً ، حتى ضَرَبَ ساقيةَ فَبَرَكَ ، ثم دَفَعَ عليه ، وأخذ سلاحه .

قال ابن إسحاق : ثم برزَ ياسرٌ وهو يقول :

قَدْ عَلِمْتَ خَيْبَرَ أَنَّى يَاسِرٍ شَاكِيَ السَّلَاحِ بَطْلُ مُغَاوِرٍ
إِذَا اللَّيْثُوثُ أَقْبَلَتْ تُبَادِرٍ وَأَحْجَمَتْ عَنْ صَوْلَةِ الْمُسَاوِرِ
إِنْ حُسَامَى فِيهِ مَوْتُ حَاضِرٍ

قال محمد بن عمر : وكان من أشدِّائِهِم ، وكان معه حَرَبَةٌ يَحُوسُ^(١) النَّاسَ بِهَا حَوْسًا ، فبرز له عليُّ بن أبي طالب ، فقال له الزُّبَيْرُ بن العوام : أَقَسَمْتُ أَلَا خَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، ففعل ، فَقَالَتْ صَفِيَّةُ^(٢) لَمَّا خَرَجَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ – رضى الله عنها – : يَا رَسُولَ اللَّهِ يَقْتُلُ ابْنِي ؟ فقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – « بَلْ أَبْنُكَ يَقْتُلُهُ – إِنْ شَاءَ اللَّهُ » فخرج إليه الزُّبَيْرُ وهو يقول :

قَدْ عَلِمْتَ خَيْبَرَ أَنَّى زَبَّارُ قَرْمٌ لِقَرْمٍ غَيْرِ نِكْسٍ فَرَارُ
ابْنُ حِمَاةِ الْمَجْدِ ، أَبْنُ الْأَخْيَارِ يَاسِرُ لَا يَغْرُزُكَ جَمْعُ الْكُفَّارِ
فَجَمْعُهُمْ مِثْلُ السَّرَابِ الْخَتَّارِ

ثم التقيا فقتله الزُّبَيْرُ ، قال ابن إسحاق : وذكر أن علياً هو الذى قتل ياسيراً .

قال محمد بن عمر : وقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – لِلزُّبَيْرِ لما قتل ياسيراً فذاك عم وخال ثم قال : « لكل نبي حواري وحواري الزبير ابن عمتي » .

(١) كذا في الأصول . وفي شرح غريب المفردات أيضاً – وفي المغازى للواقدي ٢ : ٦٥٧ « يحوش بها المسلمين حوشاً » والمعنى يسوقهم .

(٢) هي صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وأم الزبير بن العوام رضى الله عنه (السيرة الحلبية ٣ : ٤٥)

حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم ، والبيهقي أن مَرْحَبًا - وهو بفتح الميم ، والحاء المهملة ، وسكون الراء - بينهما - وبالموحدة - خَرَجَ وهو يَخْطُرُ بِسَيْفِهِ ، وفي حديث [ابن^(١)] بُرَيْدَةَ عن [أبيه : خرج مرحب^(٢)] وعليه مِغْفَرٌ [مُعْصِفَر^(٣)] يمانى وحجرٌ قد نقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خَيْبِرُ أَتَى مَرْحَبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلُ مُجَرَّبُ
إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ^(٤)

قال سلمة : فبرز له عامرٌ وهو يقول :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبِرُ أَتَى عَامِرُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلُ مُغَامِرُ

قال : فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ ، فوقع سيفُ مَرْحَبٍ في ثَرَسِ عامر ، فذهب عامر يَسْفُلُ^(٥) له ، وكان سيفه فيه قِصَرٌ ، فَرَجَعَ سيفُهُ على نَفْسِهِ ، فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ ، وفي رواية عين رُكْبَتِهِ^(٦) ، وكانت فيها نفسه ، قال بُرَيْدَةُ : فَبَرَزَ مَرْحَبٌ وهو يقول :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبِرُ أَتَى مَرْحَبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلُ مُجَرَّبُ
إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ وَأَخْجَمَتْ عَنْ صَوْلَةِ الْمَغْلَبِ

فَبَرَزَ له على بنُ أَبِي طالب - رضى الله عنه - وعليه جُبَّةٌ أرجوان حمراء قد أخرج خَمَلَهَا ، وهو يقول :

(١) إضافة عن ابن كثير في السيرة النبوية ٣ : ٣٥٤ .

(٢ ، ٣) بياض في الأصول ، والإثبات عن المرجع السابق ٣ : ٣٥٥ .

(٤) في شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٢٥ : إذا الحروب أقبلت تلهب .

ومثل ذلك السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٦ ، ٣٥٧ ولكنها أوردت بعد الآيات كما يلي :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكي السلاح بطول مجرب

أطمع أحساناً وحيناً أضرب إذا الليث أقبلت تلهب

إن حياى للمسمى لا يقسرب

(٥) يسفل : الضبط من شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٢٥ ؛ وشرحها بقوله « أى يضربه من أسفل » وفي السيرة

النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٦ « يسفل » بالعين المهملة ، ومعناه ينشط .

(٦) أى طرف ركبته الأعلى (شرح المواهب ٢ : ٢٢٥)

أَنَا الَّذِي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ كَلَيْثُ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ^(١)

أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلُ السَّنْدَرِ^(٢)

فَضْرَبَ مَرْحَبًا ففلق رأسه ، وكان الفتح .

وفي حديث بُرَيْدَةَ ، فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ ، فَبَدَرَهُ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بضربة فَقَدَ الحجر والمغفر ورأسه ووقع في الأخراس وسمع أهل العسكر صوت ضربه وقامَ النَّاسُ مع عليٍّ حتى أَخَذَ المدينة .

وروى الإمام أحمد عن عليٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : لما قتلْتُ مَرْحَبًا ، جُثْتُ بِرَأْسِهِ إلى رسولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

نكر من زعم من أهل المغازي وغيرهم أن محمدا بن مسلمة -
رضي الله عنه - هو الذي قتل مرحبا

روى البيهقي عن عُرْوَةَ ، وعن موسى بن عُقْبَةَ ، وعن الزُّهْرِيِّ ، وعن ابنِ إِسْحَاقَ ، وعن محمد بن عمر عن شيوخه ، قالوا : واللفظ لابنِ إِسْحَاقَ قال : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ سَهْلٍ بن عبد الرحمن بن سهل أخو بني حارثة عن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : خرج مَرْحَبُ الْيَهُودِي من حِصْنِ خَيْبَرَ ، وقد جمع سلاحه يقول من يبارز ويرتجز

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرَ أَتَى مَرْحَبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلُ مُجَرَّبُ

أَطْعَنُ أَخِيَانًا وَحِينَئِذَا أَضْرَبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَحَرَّبُ

إِنْ جِمَايَ لِلْجَمَى لَا يُقَرَّبُ

ضرغام أجسام وليث قسورة

أكيلهم بالسيف كيل السندرة

أكيلكم بالصاع كيل السندرة

(١) وفي السيرة الحلبية ٣ : ٤٤

(٢) وفي شرح المواهب ٢ : ٢٢٥

وفي السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٢٥

والسندرة : مكيال كبير ، وقيل ضرب من الكيل غراف جراف (نهاية الأرب ١٧ : ٢٥٤ - السيرة النبوية لابن كثير

٣ : ٣٥٥) .

فأجابه كعبُ بنُ مالك فقال :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَتَى كَعْبُ مُفَرِّجُ الْغَمِّ جَرَىءُ صُلْبُ
إِذَا شَبَّتِ الْحَرْبُ تَلْتَهَا ^(١) الْحَرْبُ مَعِيَ حُسَامٌ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ
نَطَأَكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّغْبُ نُعْطَى الْجَزَاءُ أَوْ بِنَاءُ النَّهْبُ
بَكْفٌ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتَبُ ^(٢)

قال ابن هشام : وأنشدني أبو زيد - رحمه الله :

١٩٨ ظ

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَتَى كَعْبُ وَأَنْبَى مَتَى تُشَبُّ الْحَرْبُ /
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ جَرَىءُ صُلْبُ مَعِيَ حُسَامٌ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ
بَكْفٌ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتَبُ نَدُّكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّغْبُ

قال : ومرحب بن عميرة .

قال جابر : فقال رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « مَنْ لِهَذَا ؟ » قال محمد ابن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله المؤثور الثائر ، قُتِلَ أَخِي بِالْأَمْسِ ، قال : « فَقُمْ إِلَيْهِ ، اللَّهُمَّ أَعِنُهُ عَلَيْهِ » قال : فلما دنا أحدهما مِنْ صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عُمْرِيَّة ^(٣) من شجر العُشْرِ ^(٤) ، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ، فكلما لاذ منه بها أقتطع صاحبه مادونه منها ، حتى برز كلُّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرَّجُلِ الْقَائِمِ ، ما فيها فنن ، ثم حمل مَرْحَبٌ على محمد بن مسلمة فضربه ، فَأَتَقَاهُ بِالْذَّرْقَةِ ، فوقع سيفه فيها ، فَعَصَّتْ بِهِ فَأَمْسَكَتْهُ ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله . والله أعلم .

(١) كذا في ط ، وفي ت ، م « وثار الحرب » والمثبت يتفق مع روايات كتب السيرة .

(٢) عتب : كذا في الأصول . والمعنى كما سيرد في شرح غريب المفردات وليس فيه مايلام عليه . وفي السيرة لابن كثير

بكف ماض ليس فيه عيب

٣٥٧ : ٣

(٣) عمرية : أى قديمة وسيرد ضبطها وشرحها في شرح الغريب .

(٤) العشر : شجر له صمغ وهو من المضاء - وسيأتى في شرح الغريب .

قلت : جزم جماعة من أصحاب المغازى : بأن محمد بن مسلمة هو الذى قتل
مَرْحَبًا^(١) .

ولكن ثبتَ فى صحيح مسلم ما تقدم عن سلمة بن الأكوع أنَّ عليًّا - رضى الله عنه -
هو الذى قتل مَرْحَبًا .

ووردَ ذلك فى حديث بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب ، وأبى نافع مولى رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - وعلى تقدير صحة ما ذكره جابرٌ ، وجزم به جماعة ، فَمَا فى صحيح
مُسْلِمٍ مُقَدَّمٌ عليه من وجهين : أحدهما أنه أصحَّ إسناداً ، الثانى . أن جابراً لَمْ يشهد
خَيْرٌ كما ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وغيرهما ، وقد شهدها سلمةُ وبُرَيْدَةُ ،
وأبو رافع - رضى الله عنهم - وهم أعلم ممن لم يشهدا ، وما قيل من أن محمد بن
مسلمة ضربَ ساقى مَرْحَبَ فقطعهما ولم يجهز عليه ، ومربه على فأجهز عليه ، يأباه
حديث سلمة وأبى رافع ، والله أعلم . وصحَّح أبو عمر - رحمه الله - أنَّ عليا - رضى الله
عنه - هو الذى قتل مَرْحَبًا ، وقال ابن الأثير : إنه الصحيح .

* * *

نكر قلع على - رضى الله عنه - باب خير

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن حسن عن بعض أهله ، عن أبى رافع مولى
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : خرجنا مع على بن أبى طالب - رضى الله
عنه - حين بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - برايته ؛ فلما دنا من الحصن
خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجلٌ من يهود ، فطرح تُرْسَهُ من يده فتناول على باباً
كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل ؛ حتى فتح الله
- تعالى - عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نفرٍ سبعة أنا ثامنهم ،
نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما نقلبه .

(١) جاء فى شرح المواهب ٢ : ٢٢٤ « وبه جزم ابن إسحاق ، وابن عتبة ، والواقدي » .

وروى البيهقي من طريقين عن المطلب بن زياد ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي جعفر محمد بن علي - رضي الله عنه - عن آبائه ، قال : حدثني جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - : أنَّ علياً - رضي الله عنه - حمل الباب يوم خيبر ، حتى صعد عليه المسلمون فافتتحوها ، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون / رجلاً - رجاله ثقاتٌ إلا ليث ١٩٩ و ابن أبي سليم - وهو ضعيف .

قال البيهقي : ورؤي من وجه آخر ضعيف عن جابر قال : اجتمع عليه سبعون رجلاً ، وكان أجهدهم أن أعادوا الباب ، قلت : رواه الحاكم .

نكر اسلام العبد الاسود وما وقع في ذلك من الآيات (١)

روى البيهقي عن جابر بن عبد الله ، والبيهقي عن أنس - رضي الله عنهم - والبيهقي عن عروة ، وعن موسى بن عتبة : أنَّ عبداً حبشياً^(٢) لرجل^(٣) من أهل خيبر كان يرعى غنماً لهم ، لما رآهم قد أخذوا السلاح واستعدوا لقتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سألهم : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل ، الذي يزعم أنه نبي . فوقع في نفسه ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - فخرج بغنمه ليرعاها ، فأخذه المسلمون ، فجاءوا به لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي لفظ ابن عتبة : أنه عمد بغنمه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما شاء الله أن يكلمه ، فقال الرجل : ماذا تقول ، وماذا تدعو إليه ؟ قال : « أدعوك إلى الإسلام وأن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، وأن لا تعبد إلا الله » . قال العبد : وماذا يكون لي إن شهدت بذلك ، وآمنت بالله تعالى ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لك الجنة إن آمنت على ذلك » فأسلم العبد ، وقال : يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه ، مئتين الريع ، لا مال لي ، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل ، أدخل

(١) انظر القصة في السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٩١ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٦١ . وسيأتي فيمن استشهد بخبر أنه ابن أسلم أو يسار .

(٢) ورد في هامش ت ، م « إن اسمه عامر اليهودي » كما في الاستيعاب .

(٣) (هامش ت ، م - والسيرة الحلبية ٣ : ٤٥)

الجنة ؟ قال : « نعم » . قال : يا رسول الله إن هذه الغنم عندى أمانة فكيف بها ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أخرجها من العسكر ، وأرمها بالحصباء فإن الله - عز وجل - سيؤدى عنك أمانتك ^(١) » ففعل ، وأعجب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلمته ، فخرَجَتِ الغنم تشتد مجتمعة كأنَّ سائقاً يسوقها حتَّى دخلت كلُّ شاة إلى أهلها ، فعرف اليهودى أنَّ غلامه قد أسلم ، ثم تقدَّم العبد الأسود إلى الصفِّ ، فقاتل فأصابه سهمٌ فقتله ، ولم يُصلِّ لله - تعالى - سجدة قط ، فأحتمله المسلمون إلى عسكرهم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أَدْخِلُوهُ الْفُسْطَاطَ » ، وفى لفظ « الخباء » فأدخلوه خباء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتَّى إذا فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل عليه ، ثم خرج فقال « لَقَدْ حَسَنَ إِسْلَامُ صَاحِبِكُمْ ، لَقَدْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ عِنْدَهُ لَزَوْجَتَيْنِ لَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ » .

وفى حديث أنس : فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو مقتول ، فقال : « لَقَدْ حَسَنَ اللَّهُ وَجْهَكَ ، وَطِيبَ رِيحَكَ ، وَكَثُرَ مَالُكَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ زَوْجَتَيْهِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ يَنْزِعَانِ جُبَّتَهُ ^(٢) يَدْخُلَانِ فِيمَا بَيْنَ جِلْدِهِ وَجُبَّتِهِ » .

وعند ابن إسحاق « ينفضان التراب عن وجهه ، ويقولان : « تَرَبَّ اللَّهُ وَجْهَ مَنْ تَرَبَّكَ وَقَتَلَ مَنْ قَتَلَكَ » .

نكر نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن أكل لحوم الحمر الانسية وغيرها مما ينكر

روى الشيخان عن عبد الله بن أبى أوفى - رضى الله عنه - قال : أصابتنا مجاعة ليالى خيبر ، فلما كان يوم خيبر وقعنا فى الحُمُرِ الانسية ، فأنتحرنّاها ، فلما غَلَتِ الْقُدُورُ ، ونَادَى مُنَادٍ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أَنْ أَكْفِثُوا الْقُدُورَ ، ولا تأكلوا من لحوم الحُمُرِ شيئاً .

(١) ورد فى هامش ت ، م « قال أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب : إنما رد الغنم - والله أعلم - إلى حصن الوطيط أو قبل أن تحمل الغنائم »

(٢) فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٦٢ « يتنازعان جبته عليه » .

وعن أنس - رضى الله عنه - قال : لما كان يوم خيبر ، جاء فقال : يا رسول الله ، فَنِيَتْ الحُمْرُ ، فَأَمَرَ أبا طلحة فنادى « إِنَّ الله ورسوله يَنْهَاكُم عن لحوم الحُمْر » رواه عثمان بن سعيد الدارمي بسند صحيح .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم خيبر عن بيع الغنائم حتى تُقَسَم ، وعن الحبابي أن توطأ حتى يَضَعْنَ ما في بطونهن ، قال : « لا تسق زرع غيرك » ، وعن لحوم الحُمْر الأهلية ، وعن كل ذى ناب من السباع - رواه الدارقطني .

وعن أبي ثعلبة الخشني - رضى الله عنه - قال : غَزَوْتُ مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيبر ، والناس جِياعٌ ، فَأَصَبْنَا بها حُمْراً إِنْسِيَةً فَدَبَخْنَاهَا ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَأَمَرَ عبد الرحمن بن عَوْف فنادى في الناس (إِنَّ لِحُومَ الحُمْرِ لا تَحِلُّ لِمَنْ يَشْهَدُ أَنى رسول الله) رواه الإمام أحمد ، والشيخان .

وعن سلمة - رضى الله عنه - قال : أَتَيْنَا خيبر فحاصرناها حتى أَصَابَتْنَا مَخْمَصَةٌ شديدة : يعنى الجوع الشديد ، ثم إِنَّ الله - تعالى - فتحها علينا . فلما أَمْسَى الناس مَسَاءَ اليوم الذى فُتِحَتْ عليهم ، أوقدوا نيراناً كثيرةً ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ما هذه النيران ؟ على أى شئ توقدون ؟ » قالوا : على لحم ، قال : « على أى لحم ؟ » قالوا : لحم حُمْرٍ إِنْسِيَةٍ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أَهْرِقُوهَا ، وَاكْسِرُوا الدَّنَان » فقال رجل : أو هريقوها ونغسلها ؟ قال « أو ذاك » رواه الشيخان ، والبيهقي .

ورَوَى محمد بن عمر - رحمه الله - تعالى - عن شيوخته : أن عدة الحمر التى ذبحوها ، كانت عشرين أو ثلاثين ، كذا رواه على الشك .

**نكر فتحه — صلى الله عليه وسلم — الوطيح والسلام
وكانا آخر حصون خيبر فتحا**

قال ابنُ إسحاق : وَتَدَنَّى^(١) رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِالْأَمْوَالِ يَأْخُذُهَا مَالًا مَالًا ، وَيَفْتَحُهَا حِصْنًا حِصْنًا ، حَتَّى أَنْتَهَوْا إِلَى ذِيكَ الْحَصْنَيْنِ ، وَجَعَلُوا لَا يَطْلَعُونَ مِنْ حَصْنِهِمْ حَتَّى هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنْ يَنْصَبَ عَلَيْهِمُ الْمَنْجَنِيْقَ ، لَمَّا رَأَى مِنْ تَغْلِيْقِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَا يَبْرُزُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَلَمَّا أَيْقَنُوا بِالْهَلَكَةِ — وَقَدْ حَصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا — سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — الصَّلْحَ ، فَأَرْسَلَ كِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ يَقَالُ لَهُ شِمَاخُ يَقُولُ^(٢) (أَنْزِلْ فَأَكْلِمَكَ ؟) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : « نَعَمْ » فَنَزَلَ [كِنَانَةُ^(٣)] ابْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ ، فَصَالَحَ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — عَلَى حَقْنِ دِمَاءِ مَنْ فِي حَصُونِهِمْ مِنَ الْمَقَاتِلَةِ ، وَتَرْكِ الذَّرِيَّةِ لَهُمْ ، وَيُخْرِجُونَ مِنْ خَيْبَرَ وَأَرْضِهَا بِذَرَارِيهِمْ ، وَيُخْلُتُونَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَبَيْنَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ وَأَرْضٍ ، وَعَلَى الصَّفَرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ وَالْكُرَاعِ وَالْحَلَقَةِ ، وَعَلَى الْبَرِّ إِلَّا ثَوْبًا عَلَى ظَهْرِ إِنْسَانٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — « وَبَرَرْتُ مِنْكُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ إِنْ كَتَمْتُمُونِي شَيْئًا » فَصَالَحُوهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — إِلَى الْأَمْوَالِ فَقَبِضَهَا الْأَوَّلَ فَلِأَوَّلِ ، وَوَجَدَ فِي ذِيكَ الْحَصْنَيْنِ مِائَةَ دِرْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ سَيْفٍ ، وَأَلْفَ رُمْحٍ ، وَخَمْسِمِائَةِ قَوْسٍ عَرَبِيَّةٍ بِجَعَابِهَا .

**نكر سؤال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حلى حبي
ابن اخطب وماله اللذين حملهما لما اجلى عن المدينة، وما وقع في ذلك من الآيات**

قال محمد بن عمر : كَانَ الْحَلَى فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ فِي مَسْكٍ حَمَلٍ ، فَلَمَّا كَثُرَ ، جَعَلُوهُ فِي مَسْكٍ ثَوْرٍ ، ثُمَّ فِي مَسْكٍ جَمَلٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ الْحَلَى يَكُونُ عِنْدَ الْأَكَابِرِ مِنْ آلِ أَبِي الْحُقَيْقِ وَكَانُوا يُعِيرُونَهُ الْعَرَبَ .

(١) تَدَنَّى : أَخَذَ الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى (هامش السيرة النبوية لابن هشام ٣ : ٢٨٥ . والسيرة لابن كثير ٣ : ٢٦٧)

(٢) بَيَاضٌ فِي الْأَصُولِ بِمَقْدَارِ كَلِمَتَيْنِ . وَلَكِنْ الْكَلَامُ مُتَّصِلٌ .

(٣) الْإِضَافَةُ عَنِ الْمَغَازِي لِلْوَاقِعِيِّ ٢ : ٦٧٠ .

وروى ابنُ سعد والبيهقيُّ عن ابنِ عمر ، وابنِ سعد - بسند رجاله ثقاتٌ - عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى - وهو صدوق سيء الحفظ - عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما ظهر على أهل خيبر صالحهم على أن يخرجوا بأنفسهم وأهليهم ، وللنبي - صلى الله عليه وسلم - الصفراء والبيضاء والحلقة والسلاح ، ويخرجهم ، وشرطوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - أن لا يكتموه شيئاً ؛ فإن فعلوا فلا ذمة لهم .

قال ابن عباس : فأتى بكنانة ، والربيع ، وكان كنانة زوج صفية ، والربيع أخوه أو ابن عمه ، فقال لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أين آتيتكما التي كنتم تُعبرونها أهل مكة ؟ » .

وقال ابن عمر : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعم^(١) حبي « ما فعل مسك حبي الذي جاء به من النصير ؟ » فقال : وقال ابن عباس : قال : « هربنا ، فلم نزل نضعنا أرض وترفعنا أخرى ، فذهب في نفقتنا كل شيء .

وقال ابن عمر : أذهبته النفقات والحروب ، فقال « العهد قريب » ، والمال أكثر من ذلك .

وقال ابن عباس : فقال لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنكما إن تكتمان شيئاً فأطلعت عليه استحلت به دماءكما وذرايركما » . فقالا : نعم .

وقال عروة ومحمد بن عمر فيما رواه البيهقي عنهما : فأخبر الله عز وجل رسوله - صلى الله عليه وسلم - بموضع الكنز ، فقال لكنانة « إنك لمغتر بأمر السماء » .

قال ابن عباس : فدعا رسول الله / الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً من الأنصار فقال : ٢٠٠ ظ « اذهب إلى قراح^(٢) كذا وكذا ، ثم انتِ النخل فأنظر نخلة عن يمينك ، أو عن

(١) هو سعيد بن عمرو (السيرة الحلبية ٣ : ٤٩) .

(٢) قراح : القراح من الأرضين كل قطعة على حياها من منابت النخل ، وقيل الأرض المخلصة للذرع والفرث وقيل للزرعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر (تاج المروس ٢ : ٢٠٥) .

يسارك مرفوعةً فأتنى بما فيها » فجاءه بالآنية والأموال ، فقومت بعشرة آلاف دينار ،
فضرب أعناقهما ، وسبى أهليهما بالتكث الذى نكثاه .

وقال ابن إسحاق : أتى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بكنانةَ بن الربيع ، وكان
عنده كنزُ بنى النضير ، فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه ، فأتى رسولُ الله - صلى
الله عليه وسلم - برجلٍ من يهود ، قال ابن عُقبة : اسمه ثعلبة^(١) وكان فى عقله شيء ،
فقال لرسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - إني رأيتُ كنانة يُطيفُ بهذه الخربة كلَّ
غداة ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لكنانة : « أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْنَاهُ عِنْدَكَ ،
أَقْتُلَكَ ؟ » قال : نعم ، فأمر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بالخربة فحفرت ،
وأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤدّيه ، فأمر رسولُ الله - صلى
الله عليه وسلم - الزبير بن العوام ، فقال : « عَذَّبْهُ حَتَّى تَسْتَأْصِلَ مَا عِنْدَهُ » فكان الزبير
- رضى الله عنه - يقدحُ بِزَنْدِهِ فى صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسولُ الله
- صلى الله عليه وسلم - إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

ذكر ارادته - صلى الله عليه وسلم - اجلاء يهود خبير عنها كما وقع
شرطهم ، ثم إقراره إياهم يعملون فيها ما أقرهم الله ، وإخراج عمر
ابن الخطاب لهم لما نكثوا العهد^(٢)

روى البخارى والبيهقى عن ابن عمر ، والبيهقى عن عُرْوَةَ وعن موسى بن عُقبة :
أَنَّ خَيْبَرَ لَمَّا فَتَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - سَأَلَتْ يَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى
الله عليه وسلم - أَنْ يُقَرِّمَ فِيهَا عَلَى نِصْفِ مَا خَرَجَ مِنْهَا مِنَ التَّمْرِ ، وَقَالُوا : دَعْنَا
يَا مُحَمَّدُ نَكُونُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ . نَصْلَحُهَا ، وَنَقُومُ عَلَيْهَا ، وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى
الله عليه وسلم - وَلَا لِأَصْحَابِهِ غِلْمَانُ يَقُومُونَ عَلَيْهَا ، وَكَانُوا لَا يَفْرغُونَ أَنْ يَقُومُوا عَلَيْهَا ،

(١) وفى السيرة الحلبية ٢ : ١٦٧ ط الحلبية « اسمه سعية بن عمرو بن حنبل بن أخطب ، وفى رواية سمية بن سلام بن
أبى الحقيق » .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٧٨ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٩٩ ،
ونهاية الأرب ١٧ : ٧٣٨ ، والمغازى للواقدي ٢ : ٦٩٠ .

فأعطاهم رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخل وشيء ما بدأ لرسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ، وفي لفظ ، قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - « نقركم فيها على ذلك ما شئنا ، وفي لفظ « ما أقركم الله » .

وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرصها عليهم ، ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - [شدة خرص^(١)] ابن رواحة ، وأرادوا أن يرشوا ابن رواحة ، فقال : يا أعداء الله ، تطعموني السُّخْت ؟ والله لقد جئتم من عند أحب الناس إلي ، ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير / ولا يحملني بغضي ١٠٢ وإياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض ، فأقاموا بآرضهم على ذلك .

فلما كان زمان عمر ، غشوا المسلمين ، وألقوا عبد الله بن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه ، ويقال بل سحروه بالليل وهو نائم على فراشه ، فكوع حتى أصبح كأنه في وثاق ، وجاء أصحابه ، فأصلحوا من يديه ، فقام عمر خطيباً في الناس ، فقال : إن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - عامل يهود خيبر على أموالها ، وقال : نقركم ما أقركم الله ، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدي عليه من الليل ، ففدعت يده ، وليس لنا هناك عدو غيرهم ، وهم تهمتنا ، وقد رأيت إجلالهم . فمن كان له سهم بخيبر فليحضر حتى نقسمها ، فلما أجمع على ذلك ، قال رئيسهم ، وهو أحد بني الحقيق : لا تخرجنا ودعنا نكون فيها كما أقرنا أبو القاسم وأبو بكر ، فقال عمر لرئيسهم : أتراني سقط عني قول رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - « كيف بك ، إذا أرفضت^(٢) بك راحلتك تؤم الشام يوماً ، ثم يوماً ؟ » وفي رواية : أظننت أتي نسيئ قول رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - « كيف بك إذا خرجت من خيبر يعذوبك قلوبك ليلة بعد ليلة » فقال : تلك هزيلة من أبي القاسم ، قال : كذبت ، وأجلهم عمر ، وأعطاهم

(١) الإضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٧٨ .

(٢) أرفضت : أي سال عرقها . وفي السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٧٩ « وقصت » بمعنى أسرعت .

قيمة ما لهم من التمر : مالا ، وإيلاً ، وعروضاً من أقتابٍ وحبال ، وغير ذلك ، وسيأتى
 فى أبواب الوفاة النبوية قوله - صلى الله عليه وسلم - : « أخرجوا اليهود من جزيرة
 العرب » .

نكر قصة الشاة المسمومة وما وقع فى ذلك من الآيات (١)

روى الشيخان عن أنس ، والإمام أحمد ، وابن سعد ، وأبو نعيم عن ابن عباس ،
 والدارمى ، والبيهقى عن جابر ، والبيهقى بسندٍ صحيح - عن عبد الرحمن بن كعب
 ابن مالك ، والطبرانى عنه عن أبيه ، والبزار والحاكم ، وأبو نعيم عن أبي سعيد ،
 والبيهقى عن أبي هريرة - رضى الله عنهم - والبيهقى عن ابن شهاب - رحمه الله تعالى - :
 أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أفتتح خيبر ، وقتل من قتل ، وأطمأن الناس ،
 أهدت زينب ابنة الحارث امرأة سلام بن مشكم ، وهى ابنة أخى مَرْحَب - لَصَفِيَّة
 امرأته [شاة^(٢)] مَصْلِيَّة ، وقد سألت : أى عُصْرِ الشاة أحبُّ إلى رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - ؟ فقيل لها الذراع ، فأكثرت فيها من السمِّ ، ثم سَمَّت سائر الشاة ، فدخل
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على صفية ومعه بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ - بمِهْمَلات -
 فقدمت إليه الشاة المَصْلِيَّة ، فتناول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الكتف ، وفى
 لفظٍ : الذراع ، وأنتهس^(٣) منها فلاكها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتناول بَشْرُ
 ابن البراء عظماً ، فانتهس منه .

قال ابن إسحاق ، فأما بَشْرُ فأساغها ، وأما رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 فلَفَظَها ، وقال ابن شهاب : فلما استرط^(٤) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقمته

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٣٧ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٣٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٣
 والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٠٨ - ٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٩٤ ، والمغازى للواقدي ٢ : ٦٧٧ .

(٢) إضافة يقتضيا السياق . وهى فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٣٩ .

(٣) انظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٤٢

(٤) فى شرح المواهب ٢ : ٢٤٤ (ازدرد رسول الله)

أسترط بشرُّ بن البراء ما في فيه / فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - أرفعوا ما في ٢٠١ ظ أيديكم ، فإنَّ كُفَّ هذه الشَّاةِ تخبرني أنَّي نُعييت فيها .

قال ابن شهاب : فقال بشرُّ بنُ البراء : والذي أكرمك لقد وجدتُ ذلك في أكلتي التي أكلت فما معنى أن أَلْفَظَها إلا أنَّي أعظمت أن أنْغصك^(١) طعامك ، فلمَّا سغت ما في فيك لم أكن لأرغب بنفسى عن نفسك ورجوت ألا تكون استرطَّتها ، وفيها نعى . فلم يَقم بشرُّ من مكانه حتى عاد لونه كالطَّلَسَان ، وماطله وجعه حتى كان لا يتحول إلا أن حُول . قال الزهري قال جابر : واحتجم رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - على كاهله يومئذ ، حججه أبو هند مولى بني بياضة بالقرن والشفرة ، وبقي رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - بعد ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه .

فقال^(٢) : « ما زلتُ أجِدُ من الأكلة التي أكلتُ من الشَّاةِ يوم خَيْرِ عِدَاداً حتى كان هذا وأنقطع أَبْهَرِي » فتوفى رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - شهيداً بلفظ ابن شهاب .

وذكر محمد بن عمر : أنه ألقى من لحم تلك الشَّاةِ لكلبٍ فما تبعت يدهُ رجله حتى مات .

وقال الصحابة السابق ذكرهم - رضى الله عنهم - إنَّ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - أرسل إلى اليهودية ، فقال : « أَسَمِيتِ هذه الشَّاة ؟ » فقالت : من أخبرك ؟ قال : « أَخْبَرْتَنِي هَذِهِ النَّبِيُّ فِي يَدَيَّ وَهِيَ الذَّرَاع ، قالت : نعم ، قال : « مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتِ ؟ » قالت : بلغت من قومي ما لم يَخَفَ عليك ، فقلتُ : إن كان ملكاً استرحنا منه ، وإن كان نبياً فسيُخْبَرُ ، فتجاوز - وفي لفظ - فعفا عنها رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - وماتَ بشرُّ من أكلته التي أكل ولم يُعَاقِبْهَا .

(١) في السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٩٩ « أنغصك »

(٢) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر محمد بن عمر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَهَا : « مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ » قَالَتْ : قَتَلْتَ أَبِي وَعَمِّي وَزَوْجِي وَأَخِي - فَأَبُوها الْحَارِثُ وَعَمها يَسَارُ وَأَخوها مَرْحَبٌ وَزَوْجُها سَلَامٌ بْنُ مِشْكَمٍ .

وعن أَبِي سَلَمَةَ عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا مَاتَ يَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ أَمَرَ بِالْيَهُودِيَةِ فَقُتِلَتْ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَوَقَعَ عِنْدَ الْبِزَارِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْدَ سُؤَالِهِ لِلْمَرْأَةِ الْيَهُودِيَةِ وَاعْتِرَافِهَا - بَسَطَ يَدَهُ إِلَى الشَّاةِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : « كُلُّوا بِاسْمِ اللَّهِ » قَالَ : فَأَكَلْنَا وَذَكَرْنَا اسْمَ اللَّهِ ، فَلَمْ يُضِرَّ أَحَدٌ مِنَّا .

قال الحافظ عماد الدين بن كثير : وفيه نكارةٌ وغرابةٌ شديدة . قلت : وذكر محمد ابن عمر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمَرَ بِلَحْمِ الشَّاةِ فَأُخْرِقَ .

نكر قدوم جعفر بن أبي طالب - رضى الله عنه - ومن معه من الأشعرين من ارض الحبشة (١)

رَوَى الشَّيْخَانُ ، وَالْإِسْمَاعِيلِيُّ ، وَابْنُ سَعْدٍ ، وَابْنُ حِبَّانَ ، وَابْنُ مَنْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَمَّا بَلَّغْنَا مَخْرَجَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَإِخْوَانِي ، أَنَا أَصْغَرُهُمْ ، أَحَدُهُمْ أَبُو رُحْمٍ - بَضْمُ الرَّاءِ ، وَسَكُونُ الْهَاءِ - وَالْآخِرُ أَبُو بُرْدَةَ ، إِمَّا قَالَ : فِي بَضْعٍ ، وَإِمَّا قَالَ : فِي ثَلَاثَةِ أَوَائِنِينَ ٢٠٢ و وخمسين رجلا من قومي / فركبنا سفينة - قَالَ ابْنُ مَنْدَةَ : حَتَّى جِئْنَا مَكَّةَ - ثُمَّ خَرَجْنَا فِي بَرٍّ حَتَّى أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ - فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى التَّجَاشِيِّ بِالْحَبْشَةِ : فَوَافَقَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ جَعْفَرٌ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعَثَنَا ، وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعاً فَوَافَقَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ فَتَحَ خَيْبَرَ قَالَ : فَأَسْهَمَ لَنَا ، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٥٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٥٦ ، وشرح المراهب ٢ : ٢٤٦ ،
والبداية والنهاية ٤ : ٢٠٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٨٩ . والمغازي للواقدي ٢ : ٦٨٣ .

شيئاً إلا من شهدَ معه ، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، قسم لهم معنا ، وذكر البيهقي (١) - رحمه الله - أَنَّ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - سأل الصحابة أن يشركوهم ففعلوا ذلك ، انتهى .

قال : فكان أناس يقولون لنا : « يعنى أصحاب » السفينة : سبقناكم بالهجرة .

ودخلت أسماء (٢) - بنت عميس - بعين وسين مهملتين ، وبالتصغير - وهى ممن قديم معنا يومئذ - على حفصة زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه ، فدخل عمر على حفصة ، وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء - رضى الله عنهم - من هذه ؟ فقالت : أسماء بنت عميس فقال عمر : سبقناكم بالهجرة ، نحن أحق برسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - قال : فغضبت وقالت : كلاً والله يا عمر ، كنتم مع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - يُطعمُ جِياعَكُمْ ، ويُعلمُ جاهلكم ، وكنا فى دار ، أو أرض البُعْداء البُغْضاء بالحِيشة ، وذلك فى الله وفى رسوله ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ، ولا أشرب شرباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك ، فلما جاء رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - قالت : يا نبي الله !! إن رجالاً يفخرون علينا ، ويزعمون أننا لسنا من المهاجرين الأولين ، فقال : « مَنْ يَقُولُ ذلك ؟ » قلت : إن عمر قال كذا وكذا ، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - : « ما قُلْتَ له ؟ » قالت : قلت له كذا وكذا ، قال : « ليس بلحق لي منكم ، له ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة - هجرتان » قالت : فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحابه يأتونى أرسالاً ينسألونى عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيءٌ هم أفرح ، ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - قال أبو بَرِيْدَةَ : قالت أسماء : ولقد رأيتُ أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث منى ، وقال لكم الهجرة مرتين .

(١) يياض بالأصل والإثبات عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٩٤ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٤٦ .

(٢) هى أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه .

وروى البيهقي عن جابر - رضى الله عنه - قال : لما قدم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - من خيبر ، وقَدِمَ جعفرُ من الحبشة ، تلقَّاهُ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فقبَّلَ جبهته ، ثم قال : « والله ما أدرى بأيِّهما أفرحُ ، بفتح خيبر ، أم بقدم جعفر » .

وروى البيهقي ، بسندٍ فيه من لا يُعرف^(١) حاله - عن جابر - رضى الله عنه - قال :
 ٢٠٢ ط لما قدم جعفر بن أبي طالب تلقَّاهُ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فلما نظرَ / جعفر إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - « حَجَلَ » قال أَحَدُ رُؤَاتِهِ : يعنى مشى على رِجْلٍ واحدةٍ إعظاماً^(٢) منه لرسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فقبَّلَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - بين عَيْنَيْهِ .

* * *

نكر قدوم أبى هريرة وطائفة من أوسى على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بخيبر

روى الإمام أحمد ، والبخارى فى التاريخ ، وفى «مجمع الزوائد للهيثمى فى أول خيبر»^(٣) عن خزيمة ، والطحاوى ، والحاكم ، والبيهقي عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال :
 قدمنا المدينة ، ونحن ثمانون بيتاً من أوس ، فصلينا الصبحَ خلف سَبَّاح بن عُرفطة الغفارى ، فقرأ فى الركعة الأولى بسورة : « مَرِّم » ، وفى الآخرة « وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ » فلما قرأ « إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ^(٤) » قلتُ : تركت عمى بالسَّراة له مِكْيَالَانِ ، إذا اكْتَالُ أَكْتَالُ بِالْأَوْفَى ، وإذا كَال كَال بالناقص ، فلما فرغنا من صلاتنا ، قال قائلٌ : رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بخيبر ، وهو قَادِمٌ عليكم ، فقلت : لا أسمع به فى مكان أبداً إلا جثته ، فزودنا سَبَّاح بن عُرفطة ، وحملنا حتى جئنا خيبر فنجد رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قد فتَحَ النَّطَاةَ ، وهو محاصر الكَتِيبَةَ ، فأقمنا حتى فتح الله علينا .

(١) هو مكى بن إبراهيم الرعنى كما فى البداية والنهاية ٤ : ٣٠٦ .

(٢) لأن أهل الحبشة يفعلون ذلك للتعظيم (السيرة الحلبية ٣ : ٥٧ .

(٣-٣) ما بين الرقن من هامش ت .

(٤) سورة المطففين آية ٢ .

وفي رواية فقدمنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد فتح خيبر ، وكلم المسلمين فأشركنا في سَهْمَانِهِمْ .

ورَوَى البخاري ، وأبو داود عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قدمت المدينة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخیبر حين أفتتحها ، فسألتُهُ أَنْ يُسَهِّمَ لِي ، قال : فتكلم بعضُ وَلَدِ^(١) سعيد بنِ العاص فقال : لا تُسَهِّمَ لَهُ يا رسولَ الله ، قال : فقلتُ : هذا والله هو قاتل ابنِ قَوْقَل ، فقال : وأظنه [أبان] بن^(٢) سعيد بنِ العاص سمياً عجباً لِيُؤْبَرُ تَلَكَّى عَلَيْنَا مِنْ قَتْلِهِمْ ضَانٌ يَعِيرُنِي بِقَتْلِ أَمْرِي مُسْلِمٍ أَكْرَمَهُ اللهُ عَلَى يَدَيَّ . ولم يَهِنِ عَلَى يَدَيْهِ .

وروى البخاري ، وأبو داود عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : بعث رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَبَاناً عَلَى سَرِيَّةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، قَبْلَ نَجْدٍ ، قال أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقَدِمَ أَبَانٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بَخَيْبَرَ بَعْدَ مَا أَفْتَتَحَهَا ، وَإِنَّ حُزْمَ خَيْلِهِمْ لَلْيَفِّ ، فقال : يا رسولَ الله أَرْضِخْ لَنَا فقال أَبُو هُرَيْرَةَ : يا رسولَ الله لا تقسمْ لَهُمْ ، فقال أَبَانٌ وَأَنْتَ هَذَا يَا وَبْرُ تَحَدَّرَ مِنْ رَأْسِ خَالٍ - وفي لفظ - فَاِنْ ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا أَبَانُ اجْلِسْ » فلم يقسمْ لَهُمْ .

فَكَرَ قُدُومَ عِيَّتَةِ بْنِ حِصْنٍ وَبَنَى فِزَارَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - خَيْبَرَ بَعْدَ فَتْحِهَا وَمَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ^(٣)

رَوَى^(٤) الْبَيْهَقِيُّ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ - رَحِمَهُمَا اللهُ - تَعَالَى / - : أَنَّ ٢٠٣ وَبَنَى فِزَارَةَ مِمَّنْ قَدِمَ عَلَى أَهْلِ خَيْبَرَ لِيُعِينُوهُمْ فَرَأَسَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ لَا يَعِينُوهُمْ وَسَأَلَهُمْ أَنْ يَخْرِجُوا عَنْهُمْ وَلَكُمْ مِنْ خَيْبَرَ كَذَا وَكَذَا ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا

(١) هو أبان بن سعيد بن العاص كما صرح به في السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٩٣ .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) انظر السيرة الحلبية ٣ : ٢٩ .

(٤) ورد في هامش ت «وعن أبي هريرة قال : ما شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنا قط إلا قسم لي إلا خيبر فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة ، وكان أبو هريرة وأبو موسى جاءا بين الحديبية وخيبر - رواه أحمد ، وفيه على بن زيد وهو سيء الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح » .

أَن فَتَحَ اللَّهُ خَيْبَرَ أَنَاهُ مِنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ ، فَقَالُوا : حَظَّنَا وَالَّذِي وَعَدْتَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « حَظُّكُمْ - أَوْ قَالَ « لَكُمْ ذُو الرُّقَيْبَةِ » جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ خَيْبَرَ - فَقَالُوا : إِذَا نَقَاتَلَك ، فَقَالَ : « مَوْعِدُكُمْ جَنَفًا » . فَلَمَّا أُنْ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَرَجُوا هَارِبِينَ .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ شَيْوَخِهِ ، قَالُوا : كَانَ أَبُو شَيْبَةَ الْمُزَنِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدْ أَسْلَمَ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ يُحَدِّثُ وَيَقُولُ : لَمَّا نَفَرْنَا إِلَى أَهْلَانَا مَعَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ فَرَجَعَ بِنَا عُيَيْنَةَ ، فَلَمَّا كَانَ دُونَ خَيْبَرَ عَرَسْنَا مِنَ اللَّيْلِ ، قَفَزَعْنَا ، فَقَالَ عُيَيْنَةُ : أَبْشُرُوا ، إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي النَّوْمِ أَنِّي أُعْطِيتُ ذُو الرُّقَيْبَةِ - جَبَلًا بِخَيْبَرَ - قَدْ وَاللَّهِ أَخَذْتُ بِرُقَيْبَةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا أَنْ قَدِمْنَا خَيْبَرَ - قَدِيمَ عُيَيْنَةَ ، فَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ فَتَحَ خَيْبَرَ ، فَقَالَ عُيَيْنَةُ : يَا مُحَمَّدُ ! أُعْطِيَ مَا غَنِمْتَ مِنْ حُلَفَائِي ، فَإِنِّي قَدْ خَرَجْتُ عَنْكَ وَعَنْ قِتَالِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « كَذَبْتَ وَلَكِنَّ الصَّبَاحَ الَّذِي سَمِعْتَ أَنْفَرَكَ إِلَى أَهْلِكَ قَالَ : أُحْذِنِي يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : « لَكَ ذُو الرُّقَيْبَةِ » قَالَ عُيَيْنَةُ : وَمَا ذُو الرُّقَيْبَةِ ؟ قَالَ « الْجَبَلُ الَّذِي رَأَيْتَ فِي مَنَايِكَ أَنَّكَ أَخَذْتَهُ » فَانْصَرَفَ عُيَيْنَةُ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ جَاءَهُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ ، وَقَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ تَوْضِيعٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، فَاللَّهُ ، لَيُظْهِرَنَّ مُحَمَّدٌ عَلَى مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، يَهُودٌ كَانُوا يَخْبِرُونَنَا بِهَذَا أَشْهَدُ لِسَمْعَتِ أَبِي رَافِعٍ سَلَامٌ مِنْ مِشْكَمٍ يَقُولُ : إِنَّا لَنَحْسُدُ مُحَمَّدًا عَلَى النَّبُوَّةِ ، حَيْثُ خَرَجْتَ مِنْ بَنِي هَارُونَ ، وَهُوَ نَبِيُّ مُرْسَلٌ ، وَيَهُودٌ لَا تَطَاوَعُوا عَلَى هَذَا ، وَلَنَا مِنْهُ ذِبْحَانٌ وَاحِدٌ بِيَثْرِبَ وَآخَرُ بِخَيْبَرَ .

نَكَرَ مَصَالِحَ أَهْلِ نَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى خَيْبَرَ فَدَنَا مِنْهَا بَعَثَ مُحَيِّصَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الْحَارِثِيَّ إِلَى فَدَاكَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَخَوِّفُهُمْ أَنْ يَغْزَوْهُمْ كَمَا غَزَا أَهْلَ خَيْبَرَ . وَيَحُلُّ بِسَاحَتِهِمْ ، قَالَ مُحَيِّصَةُ فَجِئْتُهُمْ فَأَقَمْتُ عَنْدهُمْ يَوْمَيْنِ ، فَجَعَلُوا يَتَرَبَّصُونَ وَيَقُولُونَ بِالنَّطَاطَةِ عَامِرٍ وَيَاسِرٍ وَالْحَارِثِ ، وَسَيِّدِ الْيَهُودِ مَرْحَبٍ ، مَا نَرَى مُحَمَّدًا بِقَرَبٍ

حرايم^(١) ، إن بها عشرة آلاف مقاتل ، قال محيصة : فلما رأيت خبثهم أردت أن أرجع ، فقالوا : نحن نرسل معك رجالاً منا يأخذون لنا الصلح ، ويظنون أن يهود تمتنع ، فلم يزالوا كذلك حتى جاءهم قتل أهل حصن ناعم ، وأهل النجدة منهم ، فقتل ذلك أعضادهم ، فقدم رجل من رؤسائهم يقال له نون بن^(٢) يوشع في نفر من يهود ، فصالحوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن يحقن دماءهم ويعجلهم ، ويخلصوا^{٢٠٣} ظ بينه وبين الأموال ، ففعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويقال : عرضوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يخرجوا من بلادهم ، ولا يكون للنبي - صلى الله عليه وسلم - [عليهم] ^(٣) من الأموال شيء ، فإذا كان أو أن جذاذها جاءوا فجذوها ، فأبى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقبل ذلك ، وقال لهم محيصة : ما لكم منعة ولا حصون ولا رجال ، ولو بعث إليكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مائة رجل لساقوكم إليه ، فوقع الصلح بينهم بأن لهم نصف الأرضين بتربتها ، ولرسول الله - صلى الله عليه وسلم - نصفها ، فقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك ، يقول محمد بن عمر : وهذا أثبت القولين ، وأقرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك ، ولم يأتهم^(٤) ، فلما كان عمر بن الخطاب وأجلى يهود خيبر بعث إليهم من يقوم أرضهم ، فبعث أبا الهيثم مالك بن التيهان - بفتح الفوقية وكسر التحتية المشددة ، وبالنون - وفروة ابن عمرو بن جبار^(٥) - بتشديد الموحدة - بن صخر ، وزيد بن ثابت ، فقوموها لهم ؛ النخل والأرض ، فأخذها عمر ، ودفع إليهم نصف قيمة النخل بتربتها ، فبلغ ذلك خمسين ألف درهم أو يزيد ، وكان ذلك المال جاء من العراق ، وأجلاهم إلى الشام .

(١) الحري : جناب الرجل هاشم المغازي للواقدي ٢ : ٧٠٦

(٢) في ص يوشع بن نون .

(٣) الإضافة عن المغازي للواقدي ٢ : ٧٠٦ .

(٤) في المرجع السابق ٢ : ٧٠٧ « ولم يأتهم » .

(٥) في المرجع السابق ٢ : ٧٠٧ « ابن حيان » .

**نكر المراهنة التي كانت بين قريش في أن أهل خير يغلبون رسول الله
صلى الله عليه وسلم**

روى البيهقي عن عروة ، وعن موسى بن عقبة ، وعن محمد بن عمر عن عبد الله ابن أبي بكر بن حزم - رحمهم الله تعالى - قالوا - : واللفظ لمحمد بن عمر - : كان حُوَيْطِب - بضم الحاء المهملة ، وسكون التحتية ، وكسر الطاء المهملة - ابن عبد العزى - رضى الله عنه - يقول : أنصرفت من صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وأنا مُسْتَيْقِنٌ أَنَّ مُحَمَّدًا - صلى الله عليه وسلم - سيظهر على الخلق ، وتَأْبَى حِمِيَّةُ الشَّيْطَانِ إِلَّا لَزُومَ دِينِي ، فقدم علينا عَبَّاس - بالموحدة المشددة - ابن مِرْدَاس - بكسر الميم - السلمي يُخْبِرُنَا أَنَّ مُحَمَّدًا - صلى الله عليه وسلم - قد سار إلى خيابر ، وَأَنَّ خيابر قد جمعت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فَمُحَمَّدٌ لَا يُفْلِتُ^(١) إلى أن قال عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ : من شاءَ بانيعته أن محمداً لَا يُفْلِتَ قلتُ : أنا أخطرك ، فقال صفوان بن أمية^(٢) : أنا معك يا عباس ، وقال نَوْفَلُ بْنُ معاوية الدِّلَمِيُّ أَنَا مَعَكَ يَا عَبَّاسُ ، وَضَوَى إِلَى نَفَرٍ مِنْ قَرِيشٍ فَتَخَاطَرْنَا مِائَةَ بَعِيرٍ أَخْمَاسًا^(٣) إلى مائة بَعِيرٍ ، أَقُولُ أَنَا وَحِزْبِي : يَظْهَرُ مُحَمَّدٌ - صلى الله عليه وسلم - ويقولُ عَبَّاسُ وَحِزْبُهُ : نَظْهَرُ غَطَفَانٌ ، وَجَاءَ الْخَبَرُ بِظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَخَذَ حُوَيْطِبٌ وَحِزْبُهُ الرَّهْنَ .

* * *

**نكر استئذان الحجاج^(٤) بن علاط - رضى الله عنه - من رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - بعد فتح خير أن يذهب الى مكة لأخذ ماله
قبل وصول الخبر اليها /**

٢٠٤ و

روى الإمام أحمد عن أنس - رضى الله عنه - والبيهقي عن ابن إسحاق ، ومحمد ابن عمر عن شيوخه ، قالوا : كان الحجاج بن علاط بكسر العين المهملة ، وتخفيف

(١) كذا في ط ، ص ، وفي ت و م « لا يفلت »

(٢) إضافة للتوضيح .

(٣) في المغازي للواقدي ٢ : ٧٠٢ « خاسا إلى مائة بعير »

(٤) انظر سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣٤٥ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٥

اللَّامُ ، السَّلْمَى^(١) بضم السين ، خرج يُغَيِّرُ في بعض غاراته ، فَذَكِّرَ له أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - بِخَيْبَرَ ، فَاسْلَمَ ، وحضر مع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - وكانت أم شيبه ابنة عُمير بن هاشم^(٢) - أخت مُضْعَب بن عُمير العُبدري - أمراته ، وكان الحجاج مكشراً ، له مالٌ كثيرٌ ، وله معادن الذهب التي بأرض بني سُلَيْم - بضم السين ، فقال : يا رسول الله ، إِنْ دُنَّ لِي ، فَأَذْهَب فَأَخَذَ مَالِي عِنْدَ أَمْرَأَتِي ، فَإِنْ عَلِمْتُ بِإِسْلَامِي لَمْ أَخْذُ مِنْهُ شَيْئاً ، وَمَالٌ لِي مُتَفَرِّقٌ فِي تَجَارِ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلَّم - فقال : يا رسول الله ، إِنَّهُ لَأَبْدُ لِي مِنْ أَنْ أَقُولَ ، قَالَ « قُلْ » قال الحجاج : فخرجتُ فلما أَنْتَهَيْتُ إِلَى الْحَرَمِ ، هَبَطْتُ فَوَجَدْتُهُم بِالثَنِيَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَإِذَا بِهَا رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَسَمَّعُونَ الْأَخْبَارَ^(٣) قَدْ بَلَغَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلَّم - قد سار إلى خيبر ، وعرفوا أنها قرية الحِجَازِ أَنْفَةً وَمَنْعَةً وَرِيفاً وَرِجَالاً وَسِلَاحاً ، فَهُمْ يَتَحَسَّبُونَ الْأَخْبَارَ ، مع ما كان بينهم مِنَ الرَّهَانِ^(٤) ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : الْحِجَاجُ بْنُ عَلَاطٍ عِنْدَهُ - وَاللَّهِ - الْخَبْرَ - وَلَمْ يَكُونُوا عَلِمُوا بِإِسْلَامِي - يَا حِجَاجُ ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ الْقَاطِعَ^(٥) قَدْ سارَ إِلَى خَيْبَرَ بَلَدَ يَهُودَ ، وَرِيفَ الْحِجَازِ ، فَقُلْتُ : بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ سارَ إِلَيْهَا وَعِنْدِي مِنَ الْخَبْرِ مَا يَسْرُكُمُ فَالْتَبَطُوا بِجَانِبِي رَاحِلَتِي ، يَقُولُونَ : إِيهِ يَا حِجَاجُ !؟ فَقُلْتُ : لَمْ يَلْقَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَوْمًا يُحْسِنُونَ الْقِتَالَ غَيْرَ أَهْلِ خِيَابِرَ ، كَانُوا قَدْ سَارُوا فِي الْعَرَبِ يَجْمَعُونَ لَهُ الْجُمُوعَ ، وَجَمَعُوا لَهُ عَشْرَةَ آلَافٍ فَهَزِمَ هَزِيمَةً لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا قَطْ ، وَأُسِرَ مُحَمَّدٌ أَسْرًا ، فَقَالُوا : لَا نَقْتُلُهُ حَتَّى نَبْعَثَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَنَقْتُلَهُ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ بَيْنَ قَتْلِ مَنْنَا وَمِنْهُمْ ، وَلِهَذَا فَإِنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيْكُمْ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ فِي عَشَائِرِهِمْ ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُمْ ، وَقَدْ صَنَعُوا بِكُمْ مَا صَنَعُوا ،

(١) في السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٥ « السلمي ثم الهزلي . وفي السيرة الحلبية ٣ : ٦٠ هو أبو نصر بن حجاج الذي نفاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع أم الحجاج بن يوسف الثقفي تهتف به وتقول .

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

(٢) وفي السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٥ « هي أم شيبه بنت طلحة »

(٣) الإضافة عن المغازي للواقدي ٢ : ٧٠٣ .

(٤) كذا في ط ، ت ، م . وفي ص « مع ما كان فيهم من الرهان .

(٥) يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما في السيرة الحلبية ٣ : ٦٠ .

قال : فَصَاحُوا بِمَكَّةَ ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، هذا محمدٌ إنما تنتظرون أن يُقَدَّمَ به عليكم فَيُقْتَلَ بين أظهركم ، وقلت : أَعَيْنُونِي عَلَى جَمْعِ مَالِي عَلَى غَرْمَانِي فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْدِمَ فَأُصِيبَ مِنْ غَنَائِمِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، قبل أن تسبقني التجار إلى مَا هُنَاكَ ، فقاموا فجمعوا إلى مَالِي كَأَحْتُ جَمْعَ سَمْعُ بِهِ ، وَجِئْتُ صَاحِبَتِي فَقُلْتُ لَهَا : مَالِي ، لَكُلِّي الْحَقَّ بِخَيْرٍ فَأُصِيبَ مِنَ الْبَيْعِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَنِي التُّجَّارُ .

وفشا ذلك بِمَكَّةَ ، وأظهر المشركون الفرح والسرور ، وأنكسر من كان بِمَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب ، فقعد وجعل لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ فَاشْفَقَ أَنْ يَدْخُلَ دَارَهُ فَيُؤْذَى . وعلم أَنَّهُ يُوْذَى عِنْدَ ذَلِكَ فَأَمَرَ بِبَابِ دَارِهِ أَنْ يَفْتَحَ وَهُوَ مُسْتَلْقٌ فَدَعَا بِقَتْمٍ ، فجعل يرتجز ويرفع صوته^(١) لِئَلَّا يَشْمِتَ بِهِ الْأَعْدَاءُ ، وحضر باب العباس ٢٠٤ ظ بين مَغِيْظٍ ومَحْزُونٍ ، وبين شَامِتٍ ، وبين مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ / مَقْهُورِينَ بِظُهُورِ الْكُفْرِ ، وَالْبَغْيِ ، فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ الْعَبَّاسَ طَيِّبَةً نَفْسُهُ ، طَابَتْ أَنْفُسُهُمْ ، وَأَشْتَدَّتْ مُنْتَهُمُ^(٢) ، فَدَعَا غُلَامًا لَهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو زَبِيْبَةٍ^(٣) ، بَلْفَظٍ وَاحِدَةٍ زَبِيْبٍ الْعَنْبِ ، وَلَمْ أَجِدْ لَهُ ذِكْرًا فِي الْإِصَابَةِ ، فَقَالَ : اذْهَبْ إِلَى الْحِجَاجِ فَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ الْعَبَّاسُ : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ حَقًّا ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَاجُ : اقْرَأْ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ^(٤) : لِيَدْخُلْ لِي فِي بَعْضِ بَيْتِي ، لِأَتِيَهُ بِالْخَبَرِ عَلَى مَا يَسِرُهُ ، وَاسْكُمُ عَنِّي ، وَأَقْبَلَ أَبُو زَبِيْبَةٍ يَبْشُرُ الْعَبَّاسَ ، فَقَالَ : أَبْشُرْ يَا أَبَا الْفَضْلِ ، فَوُثِبَ الْعَبَّاسُ فَرِحًا كَأَن لَمْ يَمْسَسْ شَيْئًا ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو زَبِيْبَةٍ ، وَاعْتَنَقَهُ الْعَبَّاسُ ، وَاعْتَنَقَهُ ، وَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي قَالَهُ .

فَقَالَ الْعَبَّاسُ : لِلَّهِ عَلَى عَتَقِ عَشْرِ رِقَابٍ ، فَلَمَّا كَانَ ظُهُورًا ، جَاءَهُ الْحِجَاجُ ، فَنَاشَدَهُ

(١) وفي رواية الإمام أحمد « فأخذ إنا له يقال له قَتْمٌ ، واستلقى ووضع على صدره وهو يقول : -

حي قَتْمٌ شَبَّ ذِي الْأَنْفِ الْأَثْمِ

نبي ذِي النعم برغم من زعم

(٢) المنة : بضم الميم : القوة . المحيط . وانظر شرح الغريب .

(٣) كذا في الأصل . وفي المغازي للواقدي ٢ : ٧٠٤ « أبو زبينة »

(٤) في المرجع السابق « وقل له أحلني في بعض بيوتك حتى آتيك ظهرا يبيض ماتحب »

الله : لَتَكْتُمَنَّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَيُقَالُ : يَوْمًا وَلَيْلَةً ، فَوَافَقَهُ الْعَبَّاسُ^(١) عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ، وَلِي مَالٌ عِنْدَ أَمْرَأَتِي ، وَدِينٌ عَلَى النَّاسِ ، وَلَوْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي لَمْ يُلْدِعُوهُ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ فَتَحَ خَيْبَرَ ، وَجَرَتْ سِهَامُ اللَّهِ - تَعَالَى - وَرَسُولُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهَا وَأَنْتَشَلَ مَا فِيهَا ، وَتَرَكْتُهُ عَرُوسًا بِأَبْنَةِ مَلِيكَهُمْ حَيَّيْ بْنِ أَخْطَبٍ ، وَقَتِيلَ ابْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ فَلَمَّا أَمْسَى الْحِجَابُ مِنْ يَوْمِهِ خَرَجَ وَطَالَتْ^(٢) عَلَى الْعَبَّاسِ تِلْكَ اللَّيَالِي ، وَيُقَالُ : إِنَّمَا أَنْتَظَرُهُ الْعَبَّاسُ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، وَالنَّاسُ يَمْجُؤُونَ فِي شَأْنِ مَا تَبَايَعُوا عَلَيْهِ ، عَمَدَ الْعَبَّاسُ إِلَى حُلَّةٍ فَلَبِسَهَا ، وَتَخَلَّقَ بِخُلُقٍ ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ قَضِيبًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَخْطُرُ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْحِجَابِ بْنِ عَلَاطٍ فَقَرَعَهُ ، فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ : أَلَا تَدْخُلُ يَا أَبَا الْفَضْلِ ؟ قَالَ : فَأَيْنَ زَوْجِكَ ؟ قَالَتْ : ذَهَبَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَالَتْ : لَا يَحْزَنُكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْفَضْلِ ، لَقَدْ نَشَقَّ عَلَيْنَا الَّذِي بَلَغَكَ ، قَالَ : أَجَلٌ ، لَا يَحْزَنُنِي اللَّهُ ، لَمْ يَكُنْ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَّا مَا أَحْبَبْنَا ، فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ خَيْبَرَ ، وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَفِيَّةً لِنَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فِي زَوْجِكَ فَالْحَقِّي بِهِ ، قَالَتْ : أَظُنُّكَ وَاللَّهِ صَادِقًا .

ثُمَّ ذَهَبَ حَتَّى أَتَى مَجْلِسَ قُرَيْشٍ وَهُمْ يَقُولُونَ إِذَا مَرَّ بِهِمْ : لَا يَصِيبُكَ إِلَّا خَيْرٌ يَا أَبَا الْفَضْلِ !! هَذَا وَاللَّهِ التَّجَلَّدَ لِحَرِّ الْمَصِيبَةِ ؛ قَالَ : كَلَّا وَاللَّهِ الَّذِي حَلَفْتُمْ بِهِ ، لَمْ يُصِْبْنِي إِلَّا خَيْرٌ بِحَمْدِ اللَّهِ ، أَخْبَرَنِي الْحِجَابُ بْنُ عَلَاطٍ أَنَّ خَيْبَرَ فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ، وَجَرَى فِيهَا سِهَامُ اللَّهِ وَسِهَامُ رَسُولِهِ ، فَرَدَّ اللَّهُ - تَعَالَى - الْكَأَبَةَ الَّتِي كَانَتْ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كَانَ دَخَلَ فِي بَيْتِهِ مَكْتَتِبًا حَتَّى أَتَوْا الْعَبَّاسَ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، فَسُرَّ الْمُسْلِمُونَ . وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ [يَا لِعِبَادِ اللَّهِ]^(٣) انْفَلَتْ عِلْوُ اللَّهِ ، - يَعْنِي الْحِجَابُ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْنَا لَكَانَ لَنَا وَلَهُ شَأْنٌ ، وَلَمْ يَنْشَبُوا أَنْ جَاءَهُمُ الْخَبَرُ بِذَلِكَ .

(١) فِي ط « فَوَافَقَهُ » وَالْمَثْبُوتُ عَنْ بَقِيَّةِ النُّسخِ .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي الْمَغَازِي لِلْوَاقدِي ٢ : ٧٠٤ « وَاسْتَظَنَّهُ الْعَبَّاسُ »

(٣) بَيَاضٌ فِي الْأَصُولِ وَالْمَثْبُوتُ عَنْ نَهَايَةِ الْأَرْبِ لِلنُّوَيْرِيِّ ١٧ : ٢٦٨ ، وَالسَّيْرَةُ الْحَلَبِيَّةُ ٣ : ٦١ .

ذكر مغانم خيبر ومقاسمها على طريق الاختصار

٢٠٥ و عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام خيبر ، فلم يغنم ذهباً ولا فضة إلا الإبل والبقر والمتاع والحوائط . وفي رواية إلا الأموال والثياب والمتاع . رواه مالك والشيخان ، وأبو داود ، والنسائي . وقال ابن إسحاق^(١) : وكانت المقاسم على أموال خيبر على الشق ونطاة والكئيبه ، وكانت الشق ، ونطاة في سُهْمَانِ المسلمين ، وكانت الكئيبه خُمُسُ الله ، وسُهْمُ النبي - صلى الله عليه وسلم - وسُهْمُ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ^(٢) ، وطُعْمَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وطُعْمَ رِجَالٍ مَشَوْا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وبين أَهْلِ فَدَكٍ بِالْصُّلْحِ ؛ مِنْهُمْ مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنْهَا ثَلَاثِينَ وَسَقًا^(٣) مِنْ شَعِيرٍ ، وَثَلَاثِينَ وَسَقًا مِنْ تَمْرٍ ، وَقُسِّمَتْ خَيْبَرُ عَلَى أَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، مَنْ شَهِدَ خَيْبَرَ وَمَنْ غَابَ عَنْهَا ، وَلَمْ يَغِبْ عَنْهَا إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَقَسَمَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كَسْهُمَ مَنْ حَضَرَهَا ، وَكَانَ وَادِيَاها - وَادِى السُّرَيْرَةِ ، وَوَادِى خَاصٍ ، وَهُمَا اللَّذَانِ قُسِّمَتْ عَلَيْهِمَا خَيْبَرُ .

وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهماً ، نطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشق ثلاثة عشر سهماً ، وقُسمت الشق ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم ، وكانت عدة الذين قُسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم ، للرجال أربع عشرة مائة ، والخيل مائتا فرس ، فكان لكل فرس سهمان ، ولفارسه سهم ، وكان لكل راجل سهم ، وكان لكل سهم رأس جمع إليه مائة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهماً ، جمع .

(١) انظر سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣٤٩ .

(٢) زاد ابن كثير في السيرة النبوية ٣ : ٣٨٣ « وابن السبيل »

(٣) الوسق : بالكسر والفتح : ستون صاعاً ، أو حمل بعير .

فَكَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَأْسًا ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَأْسًا ، وَسَرَدَ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ . ثُمَّ قَالَ : ثُمَّ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْكَتِيبَةَ ؛ وَهِيَ وَادَى خَاصٍ بَيْنَ قَرَابَتِهِ وَبَيْنَ نِسَائِهِ وَبَيْنَ رِجَالِ مُسْلِمِينَ وَنِسَاءٍ أَعْطَاهُمْ مِنْهَا ، ثُمَّ ذَكَرَ كَيْفِيَّةَ الْقِسْمَةِ .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي خَثْمَةَ - بَخَاءٍ مَعْجَمَةٍ ، فَنَاءٍ مِثْلَةِ سَاكِنَةٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَيْبَرَ نِصْفَيْنِ ، نِصْفًا لِنَوَائِبِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَنِصْفًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَسَمَهَا بَيْنَهُمْ عَلَى ثَمَانِيَةِ عَشْرَ سَهْمًا .

رَوَى أَيْضًا عَنْ بُشَيْرٍ - بَضْمِ الْمُوَحَّدَةِ - بَنِ يَسَارٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خَيْبَرَ قَسَمَهَا عَلَى سِتَّةِ وَثَلَاثِينَ سَهْمًا ، جَمَعَ كُلَّ سَهْمٍ مِائَةَ سَهْمٍ ، فَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلِلْمُسْلِمِينَ النِّصْفُ مِنْ ذَلِكَ ، وَعُزِّلَ النِّصْفُ الْبَاقِي لِمَنْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْوُفُودِ وَالْأُمُورِ وَنَوَائِبِ النَّاسِ ، زَادَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ مَرْسَلَةٌ بَيَّنَّ فِيهَا نِصْفَ النَوَائِبِ : الْوُطَيْحِ وَالْكَتِيبَةِ وَمَا حِيزَ مَعَهُمَا ، زَادَ فِي رِوَايَةِ وَالسَّلَامِ ، وَعُزِّلَ النِّصْفُ الْآخَرُ الشَّقَّ وَالنِّطَاةَ وَمَا حِيزَ مَعَهُمَا ، وَكَانَ سَهْمُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهَا حِيزَ مَعَهُمَا كَسَهْمِ أَحَدِهِمْ^(١) .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - : وَكَانَ الْمُتَوَلَّى لِلْقِسْمَةِ بِخَيْبَرَ جَبَّارٌ - بَفَتْحِ الْجِيمِ ، وَتَشْدِيدِ الْمُوَحَّدَةِ وَبِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ - ابْنُ صَخْرٍ الْأَنْصَارِيُّ مِنْ بَنِي سَلِيمَةَ - بِكُسْرِ اللَّامِ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ، وَكَانَا حَاسِبَيْنِ قَاسِمَيْنِ .

وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْغَنَائِمِ فَجُمِعَتْ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا فَرْوَةُ بْنُ عَمْرِو الْبِيَّاضِي ، ثُمَّ أَمَرَ بِذَلِكَ فَجَزِيَ خَمْسَةَ أَجْزَاءَ ، وَكَتَبَ فِي سَهْمٍ مِنْهَا ، اللَّهُ ، وَسَائِرُ السُّهُمَانِ أَغْفَالٌ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَا خَرَجَ سَهْمُ رَسُولِ

(١) وَرِوَايَةُ ابْنِ كَثِيرٍ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ ٣ : ٣٨٢ « فَعَيْنُ نِصْفِ النَوَائِبِ : الْوُطَيْحِ وَالْكَتِيبَةِ وَالسَّلَامِ وَمَا حِيزَ مَعَهُمَا ، وَنِصْفُ الْمُسْلِمِينَ ، الشَّقَّ وَالنِّطَاةَ وَمَا حِيزَ مَعَهُمَا ، وَسَهْمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا حِيزَ مَعَهُمَا » .

الله - صلى الله عليه وسلم - لم يتحيز في الأخماس ، فأمر ببيع الأربعة الأخماس فيمن يريد ، فباعها قروة ، وقسم ذلك بين أصحابه وكان الذي ولي إحصاء الناس ، زيد ابن ثابت فأحصاهم ألفاً وأربعمائة ، والخيـل مائتي فرس ، وكانت السهمان على ثمانية عشر سهماً ، لكل مائة سهم ، وللخيـل أربعمائة سهم ، وكان الخمس الذي صار لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُعطى منه ما أراه الله من السلاح والكسوة ، وأعطى منه أهل بيته ، ورجالاً من بنى المطلب ، ونساءً ، واليتيم والسائل .

ثم ذكر قـدوم الدؤسيين والأشعريين وأصحاب السفينتين ، وأخذهم من غنائم خيبر ، ولم يبين كيف أخذوا .

قال في العيون : وإذا كانت القسمة على ألف وثمانمائة سهم وأهل الحديبية ألف وأربعمائة ، والخيـل مائتي فرس بأربعمائة سهم ، فما الذي أخذه هؤلاء المذكورون ؟

وما ذكره ابن إسحاق من أن المقاسم كانت على الشق ، والنطاة والكتيبة أشبه ، فإن هذه المواضع الثلاثة مفتوحة بالسيف عنوة من غير صلح ، وأما الوطيط والسلاّم فقد يكون ذلك هو الذي أصطفاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما ينوب المسلمين ، ويُترجع حينئذ قول موسى بن عقيبته ومن قال بقوله : إن بعض خيبر كان صلحاً ، ويكون أخذ الأشعريين ومن ذكر معهم من ذلك ، ويكون مشاورة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهل الحديبية في إعطائهم ليست استنزالاً لهم عن شئ من حقهم ، وإنما هي المشورة العامة ، « وشاورهم في الأمر »^(١) .

روى الشيخان عن عبد الله بن مفضل - بضم الميم ، وفتح الغين المعجمة ، والفاء المشددة ، وباللام - رضى الله عنه - قال أصبت جراباً ، وفي لفظ : دُلّ جراب من شحم يوم خيبر فالتزمته ، وقلت : لا أعطى أحداً منه شيئاً ، فالتفت فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستحييت منه ، وحملته على عنق إلى رجلي وأصحابي فلقيني صاحب

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

الغانم الذى جُعلَ عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هَلُمَّ حَتَّى نَقْسِمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، قلت : لَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكَ ، فَجَعَلَ يُجَادِبُنِي الْجِرَابَ ، فَرَأْنَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَصْنَعُ ذَلِكَ ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا ، ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِ الْغَنَمِ : « لَا أَبَالِكَ ، خَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ » فَأَرْسَلَهُ ، فَأَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي وَأَصْحَابِي ، فَأَكَلْنَاهُ .

قال ابن إسحاق : / وأعطى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ابن لُقَيْمٍ - بضم اللام ، ٢٠٦ و قال الحاكم : واسمه عيسى العيسى - بموحدة - حين أفتتح خيبر ما بها من دجاجة وداجن .

* * *

ذكر اهداء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النساء والعبيد من الغانم

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من نساء المسلمين فَرَضَخَ لهن ^(١) من النوى ، ولم يضرب لهن بسهم .

روى ابن إسحاق ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، كلاهما من طريقه عن امرأة ^(٢) من غِفَارٍ قالت : أتيتُ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - في نسوةٍ من بَنِي غِفَارٍ - بكسر الغين المعجمة - فقلن : يا رسولَ الله قد أردنا الخروجَ معك إلى وجهك هذا - وهو يسير إلى خَيْبَرَ - فندأوى الجرحى ، ونعين المسلمين ما أستطعنا ، فقال : « عَلَى بَرَكَتِهِ اللَّهُ تَعَالَى » . قالت : فخرجنا معه ، وذكرنا الحديث .

قالت : فلما فتح رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - خيبر رَضَخَ لنا من النوى .

وعن عبد الله بن أنيس - رضى الله عنه - قال : خرجتُ مع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - إلى خَيْبَرَ ومعى زوجتى - وهى حُبْلَى ، فنفستُ في الطريق ، فأخبرتُ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فقال : انْقَعْ لَهَا تَمْرًا ، فإذا أنعمَ بِلَهُ فامُرْهُ ^(٣)

(١) رَضَخَ : أى أعطاهن عطاء يسير لم يصل إلى نصيب السهم ، وانظر شرح الغريب .

(٢) هى أمية بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية (المغازى للواقدي ٢ : ٦٨٥)

(٣) وكذا في المغازى للواقدي ٢ : ٦٨٦ - ومرث الشيء لينه ، والتبريده في الماء : أنقعه وحركه حتى تفرق فيه ،

(المحيط) وفي البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٠٥ « فإذا أنعم فامر به لتشربه »

لِيَتَشَرَّبَهُ . ففعلتُ فما رَأَتْ شيئاً تكرهه ، فلماً فتحنا خيبر أخذى النساء ولم يُسْنَمهن ، فأخذى زوجتى وولدى الذى وُلِد . رواه محمد بن عمر .

وروى أبو داود عن عُمر مولى أبي اللّخَم - بالموحدة بلفظ اسم الفاعل - رضى الله عنه - قال شَهِدْتُ خَيْبَرَ مع سادق فكلّموا في رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فأمر بي فقلدتُ سَيْفًا - فإذا أنا أَجْرُهُ ، فَأُخْبِرَ أَنى مملوك ، فأمر لى بشئٍ من خُرُثَى المتاع^(١) .

ذكر من استشهد بخيبر من المسلمين^(٢)

أسلم الحبشى الراعى . ذكره أبو عمر وأعرضه ابن الأثير بأنه ليس فى شئ من السياقات أن اسمه أسلم ، قال الحافظ : وهو اعتراض متجه ، قلتُ : قد جزم ابن إسحاق فى السيرة برواية ابن هشام بأن اسمه أسلم الأسود الراعى ، تقدم أن اسمه أسلم . وقال محمد بن عمر : اسمه يسار^(٣) .

أُنَيْف - تصغير أنف - بن حبيب بن عمرو بن عوف .

أُنَيْف - كالذى قبله بن وائلة^(٤) بالمثلثة ، أو التحتية ،

أوس بن جبير^(٥) - بالجيم - الأنصارى من بنى عمرو بن عوف ، قُتِل على حصن ناعم ، أورده ابن شاهين ، وتبعه أبو موسى : أوس بن حبيب الأنصارى . ذكره أبو عمر ، وقيل هو الذى قبله .

أوس بن فايد - بالتحية والذال المعجمة الأنصارى ، ذكره أبو عمر : أوس بن فايد - بالفاء والذال المهملة ، أو ابن فاتك أو الفاكه من بنى عمرو بن عوف .

أوس بن قتادة الأنصارى .

(١) كذا ضبطه المصنف بالحروف فى شرح الغريب وفسره بأثاث البيت .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٣ . والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٤ . والمغازى للواقدي ٢ : ٦٩٩

(٣) فى المغازى للواقدي ٢ : ٧٠٠ « يسار العبد الأسود »

(٤) فى المرجع السابق « أنيف بن وائلة »

(٥) كذا فى الأصول . وفى المغازى للواقدي ٢ : ٧٠٠ « أوس بن حبيب » وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٠٦

« أوس بن الفاكه » .

بِشْر - بكسر الموحدة وسكون المعجمة ابن البراء بتخفيف الراء - ابن مَعْرُور ،
بفتح الميم ، وسكون العين المهملة ، وضم الراء الأولى .

ثابت بن إثْلة - بكسر الهمزة ، وسكون الثاء المثناة ، وزاد أبو عمر واواً في أوْلِهِ ،
ولم يوافقوه .

ثَقْف - بشاء مثناة - مفتوحة ، فقاق ساكنة ففاء ، وقال محمد بن عمر ثقاف
ابن عمرو بن سُمَيْط الأسدي .

الحارث بن حاطب ، ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد ، وقالوا :
شهد بدرأ ، ولم يتعرض له أبو عمر ، ولا الذهبي ، ولا الحافظ : لكونه أَسْتُشْهَدَ بخبير :
وهو أخو ثعلبة بن حاطب بن عمر بن عبيد الأنصاري الأوسي .

ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرَة - بفتح السين المهملة ، وسكون الخاء المعجمة ، وبالموحدة
ابن عمرو الأسدي ، قُتِلَ بالنُّطَاة ، قتله الحارث اليهودي .

رِفَاعَة بن مَسْرُوح - بمهملات - الأسدي حليف بني عبد شمس ، قتله الحارث
اليهودي .

سليم بن ثابت بن وقش الأنصاري الأشهلي ، ذكره ابن الكلبي ، وأبو جعفر بن
جرير الطَّبْرِيُّ .

طَلْحَة : ذكره ابن إسحاق ، ولم ينسبه ، ولم يقف كثيرٌ من الحفاظ على نسبه ،
ولم يذكره محمد بن عمر ولا ابن سعد ، وقال أبو ذر في الإملاء : هو طلحة بن يحيى
ابن إسحاق بن مليل

قال أبو علي الغساني - رحمه الله - لم يخبر ابن إسحاق باسم طلحة هذا ، قلت :
ولم أر لطلحة بن يحيى بن إسحاق هذا ذكراً في الإصابة للحافظ ، ولا في الكاشف
للذهبي .

عامر بن الأكوع ، واسم الأكوع : سنان بن عبد الله بن قشير الأسلمي المعروف بابن الأكوع عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، روى الشيخان ، والبيهقي عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - قال : لما تصاف القوم يوم خيبر ، وكان سيف عامر فيه قصر ، فتناول به ساق يهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه ، فأصاب عين ركبته فمات منه ، فلما قفلوا سمعت نفراً من أصحاب محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولون : بطل عمل عامر ، قتل نفسه ، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا أبكي فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لما رأي شاحياً : مالك ؟ قلت : فذاك أبي وأمي ؛ زعموا أن عامراً حبط عمله . قال : « من قال ؟ » قلت : فلان وفلان ، وأسيّد ابن الحضير الأنصاري فقال : « كذب من قاله ، إن له لأجرين » وجمع بين أصبعيه « إنه لجاهد مجاهد ، قلّ عربّي مشى - وفي لفظ نشأ^(١) بها مثله » ووقع في حديث ؛ أنه عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وفي حديث آخر أنه أخوه ، ولا تنافي بينهما ، لأنه عمه وأخوه في الرضاغة .

عبد الله بن أبي أمية بن وهب الأسدي بالحلف ، قُتل بالنطة ، وذكره محمد بن عمر ، وابن سعد ولم يذكره ابن إسحاق .

عبد الله بن هُبَيْب - بموحدين - مصغر - ابن أَهْيَب ؛ ويقال : وَهَيْب بن سُحَيْم اللَّيْثي حليف بني أسد ، ذكره ابن إسحاق في رواية البكائي ، وجريز بن حازم ، ويونس بن بكير ، لكن عنده عبد الله بن فلان بن وهب ، وكذا سمّاه أبو عمر وجماعة وذكر محمد بن عمر : أنه أسُشِهْدَ هو وأخوه عبد الرحمن بأحد قال الحافظ : والأوّل أولى .

٢٠٧ و عَدِيّ بن مُرّة / بن سُراقَة البلوى بفتح الموحدة واللام - حليف الأنصار طعن بين ثدييه بحربة فمات منها - ذكره محمد بن عمر ، وابن سعد ، وأبو عمر .

(١) جاء في شرح المواهب ٢ : ٢٢٥ « الضمير - فيهما - للأرض أو المدينة أو الحرب أو الخصلة » .

عروة بن مرة بن سراقَة الأوسى : ذكره أبو عمر .

عمارة بن عقبة بن حارثة الغفارى ، رى بسهم ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد ، وأبو عمر ، وتعقبه الحافظ فى كونه أستشهد بخيبر بكلام يدل على أنه لم يراجع السيرة فى هذا المحل ، ولا شك فى صحة ما ذكره أبو عمر .

فُضَيْل بن النعمان الأنصارى السلمى - بفتح السين ، ذكره ابن إسحاق فى رواية يونس وابن سَلَمَة وزياد ، وجزم بذلك محمد بن عمر ، وابن سعد هنا ، وقال ابن سعد فى موضع آخر : كذا وجدناه فى غزوة خيبر ، وطلبناه فى نسب بنى سَلَمَة فلم نجده ، ولا أحسبه إلا وهما^(١) ، وإنما أراد الطفيل بن النعمان بن خنساء بن سنان ، والطفيل ذكره ابن عقبة فىمن شهد خيبر .

بشر بن المنذر بن زَنْبَر - بزاي ، ونون موحدة وزن جَعْفَر - بن زيد بن أمية الأنصارى ، ذكره ابن إسحاق .

مَحْمُود بن مَسْلَمَة : قُتِلَ عِنْدَ حِصْنِ نَاعِم ، أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ صَخْرَةٌ ، قِيلَ أَلْقَاهَا عَلَيْهِ مَرْحَب ، وقيل : كنانة بن الربيع ، ولعلهما أشتركا فى الفعل .

وَمِدْعَمُ الْأَسْوَد مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل بخيبر - وهو الذى غلَّ الشملة يومئذ ، وجاء الحديث أنها تشتعل عليه نارا .

مرة بن سُرَاقَة الأنصارى ، ذكره أبو عمر ، وتعقبه ابن الأثير بأن الذى ذكروا أنه شهد خيبر أبوه عروة بن مرة . قال الحافظ : ولا مانع من الجمع ، قلت : ويؤيد كلام ابن الأثير أن أبا عمر لم يذكره فى الدرر ، بل ذكر أبوه عروة .

مسعود بن ربيعة - ويقال : ربيع بن عمرو القارى بالتشديد ممن أستشهد بخيبر .

(١) وانظر الخلاف حوله فى أسد الغابة ٤ : ١٨٤ ط الوهبة .

مسعود بن سعد بن قيس الأنصارى الزرقى : ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد ، ونقل أبو نعيم عن ابن عمار أنه ذكره فيهم ، وخالفه الواقديّ - اهـ . نقله الحافظ وأقره . والذي في معازي الواقدي أنه استشهد بخيبر ، وأنّ مرحباً قتله ، فالله أعلم .

يسار : اسم الأسود الراعى ؛ ذكره محمد بن عمر ، وابن سعد وسمّاه ابن إسحاق ، أسلم .

أبو سُفيان بن الحارث ، كذا في نسخة سقيمة عن الزهري نقلاً عن رواية يونس عن ابن إسحاق ، ولم أره في الإصابة .

أبو ضيَّاح - بضاد مفتوحة ، فتحتية مشددة ، فألف ، فحاء مهملة - الأنصارى ، اسمه النعمان ، وتقدم في البدرين رجلٌ من أشجع ذكره محمد بن عمر ، وابن سعد . وروى النسائي والبيهقي عن شداد ابن الهاد - رضى الله عنه - أن رجلاً من الأعراب جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأمن وأتبعه ، فقال : أهاجرُ معك ، فأوصى به النبي - صلى الله عليه وسلم - بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً قسمه لهم ، وقسمَ له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظَهْرَهُمْ ، فلما جاء دَفْعُوهُ إليه ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا قسمُ قسمه لك رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فخذ ، فجاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ٤٠٧ ظ ما هذا ؟ قال : « قسم قسمته لك » قال : ما على هذا أتبعك ، ولكن اتبعك على أن أُرْمَى/ههنا ، وأشار إلى حَلْقِهِ - بسهم - فأموت ، فأدخل الجنة . فقال : « إِنْ تَصَدَّقَ اللهُ يَصْدُقْكَ » ثم نهضوا إلى قتالِ العدو ، فأتى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُحْمَلُ وقد أَجَابَهُ سهم حيث أشار ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « هو هو » قالوا : نعم . قال : « صَدَقَ اللهُ فَصَدَقَهُ » فكفَّنه النبي - صلى الله عليه وسلم - في جُبِّته ، ثم قدمه . فصلى عليه ، وكان مما ظهر من صلاته : « اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ وابن عَبْدِكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ ، قُتِلَ شَهِيدًا ، أَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ » .

وقتل من يهود ثلاثة وتسعون رجلاً .

ذكر انصراف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن خيبر وتوجهه
الى وادى القرى (١)

قال أبو هريرة : نزلناها أصيلاً مع مغرب الشمس ، رواه ابن إسحاق .

قال البلاذرى : قالوا : أتى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - مُنْصَرَفَهُ من خيبر
وَادِى الْقُرَى فَدَعَا أَهْلَهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَمْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَقَاتَلُوا ، فَفَتَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنُوةً ، وَغَنَمَهُ اللَّهُ أَمْوَالُ أَهْلِهَا ، وَأَصَابَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ أَثَاثاً
وَمَتَاعاً ، فَخَمَسَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَلِكَ ، وَتَرَكْتَ الْأَرْضَ ، وَالنَّخْلَ
فِي أَيْدَى يَهُودَ ، وَعَامِلَهُمْ عَلَى نَحْوِ مَا عَامَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ خَيْبَرَ .

قال محمد بن عمر : لما أنصرفَ رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ خَيْبَرَ ، وَأَتَى
الصَّهْبَاءَ سَلَكَ عَلَى بَرْمَةٍ (٢) ، حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى وَادِى الْقُرَى ، يَرِيدُ مَنْ بَهَا مِنْ يَهُودَ ،
وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَحْدُثُ فَيَقُولُ ؛ - خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - مِنْ خَيْبَرَ إِلَى وَادِى الْقُرَى ، وَكَانَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ [بْنُ وَهَبٍ] (٣) الْجَذَامِي قَدْ وَهَبَ
لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَبْدًا أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ - بِمِمْ مَكْسُورَةٌ فَدَالٌ سَاكِنَةٌ
فَعَيْنٌ مَفْتُوحَةٌ مَهْمَلَتَيْنِ ، وَكَانَ يُرَجِّلُ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا نَزَلْنَا
بِوَادِى الْقُرَى أَنْتَهَيْنَا إِلَى يَهُودَ ، وَقَدْ ضَوَى إِلَيْهَا نَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ ، فَبَيْنَا مِدْعَمٌ يَحُطُّ
رَحْلَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ اسْتَقْبَلَتْنَا يَهُودٌ بِالرَّمْيِ حَيْثُ نَزَلْنَا ، وَلَمْ نَكُنْ
عَلَى تَعَبَةٍ ، وَهُمْ يَصْبِحُونَ فِي آطَامِهِمْ ، فَيَقْبِلُ سَهْمٌ عَائِرٌ (٤) فَأَصَابَ مِدْعَمًا فَقَتَلَهُ ،
فَقَالَ النَّاسُ : هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّةُ ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَلَّا وَالَّذِى
نَقَبْنِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِى أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْغَنَائِمِ لَمْ يُصِبْهَا الْمَقْسِمُ تَشْتَعِلُ

(١) انظر السيرة الحلبية ٣ : ٦٨ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٤٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٨
والمغزى للواقدي ٢ : ٧٠٩ .

(٢) برمة : من أعراض المدينة قرب « بلاكت » بين خيبر ووادى القرى ، به عيون ونخل لقريش ، ويقال له ..
« ذو البيضة » (وفاء الوفا ٤ : ١١٤٧) .

(٣) إضافة للتوضيح من البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٨ .

(٤) سهم عائز : أى لا يدري رايه (القاموس المحيط) .

عَلَيْهِ نَارًا . فلما سمع الناس بذلك جاء رجلٌ إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم -
بِشِرَاكِ أَوْ شِرَاكَيْنِ ، فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - : « شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ
شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ » .

وعباً رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - أصحابه للقتال ، وصفهم ، ودَفَعَ لواءه
إلى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، وَرَايَةَ إِلَى الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَرَايَةَ إِلَى سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ - بضم
الحاء المهملة وفتح النون ، وسكون التحتية ، وَرَايَةَ إِلَى عَبَّادٍ - بتشديد الموحدة ، وبالدال
المهملة - ابن بشر .

٢٠٨ ثم دعاهم رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - إلى الإسلام وأخبرهم أنهم / إن أسلموا
أحرزوا أموالهم ، وَحَقَّنُوا دِيَارَهُمْ ، وحسابهم على الله - تعالى .

فبرز رجلٌ منهم ، فبرز له الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ فقتله ، ثم بَرَزَ آخِرُ ، فبرز له الزُّبَيْرُ
فقتله ، ثم بَرَزَ آخِرُ ، فبرز إليه عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رضى الله عنه - فقتله ، ثم برز
آخر فبرز إليه أَبُو دُجَانَةَ فقتله ، ثم بَرَزَ آخِرُ فبرز له أَبُو دُجَانَةَ فقتله ، حتى قتل
منهم رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا كُلَّمَا قُتِلَ رَجُلٌ دَعَا مَنْ بَقِيَ
إلى الإسلام .

ولقد كانت الصَّلَاةُ تَخْضُرُ يَوْمَئِذٍ فَيَصِلُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَصْحَابِهِ ،
ثُمَّ يَعُودُ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، ففقاتلهم حتى أمسوا ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشَّمْسُ
حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - عَنَوَةً ، وَغَنَمَهُ اللَّهُ
- تعالى أموالهم ، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً ، وأقام رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم -
بِوَادِي الْقُرَى أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ ، وَقَسَمَ مَا أَصَابَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِوَادِي الْقُرَى ، وَتَرَكَ الْأَرْضَ
وَالنَّخِيلَ بِأَيْدِي يَهُودَ ، وَعَامَلَهُمْ عَلَيْهَا .

قال البلاذري : وَوَلَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ ،

وأقطع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - جمرة - بالجيم - ابن هودة - بفتح الهاء ، والدَّال المعجمة - الْعُدْرِيَّ رميةً بسوطه^(١) من وادى القرى .

نكر نومهم عن الصلاة حين انصرفوا من خير وما ظهر في ذلك الطريق
من الآيات^(٢)

روى مسلم ، وأبو داود عن أبي هريرة . وأبو داود عن ابن مسعود ، وابن إسحاق عن سعيد بن المسيب ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : أنصرف رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - من وادى القرى راجعاً بعد أن فرغ من خير ووادى القرى ، فلما كان قريباً من المدينة سرى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ليلته حتى إذا كان قبيل الصُّبْح بقليل نزل وعرس ، وَقَالَ : أَلَا رجل صالح حافظ لعينه يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ قال بلال : يا رسول الله أنا أحفظه عليك ، فنزل رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وَقَامَ بلال يُصَلِّي ما شاء الله أَنْ يُصَلِّي . ثم استند إلى بغيره ، وأستقبل الفجر يرقبه ، فغلبته عينه ، فنام ، فلم يستيقظ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس .

وكان رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - أول أصحابه هَبَّ ، فقال : « ما صَنَعْتَ بِنَا يَا بِلَال ؟ » قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ ، قَالَ : « صَدَقْتَ » ثم اقتاد رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - بغيره غير كثير ، ثم أناخ وأناخ الناس فتوضأ ، وتوضأ الناس ، وأمر بلالاً فأقام الصلاة ، فلما فرغ ، قال : « إِذَا نَسِيتُمْ الصَّلَاةَ فَصَلُّوهَا إِذَا ذَكَرْتُمُوهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾^(٣) » ﴿

(١) كذا في الأصول ، وفي أسد الغابة ١ : ٢٩٤ « رمية سوطه وحضر فرسه » وفي الإصابة ١ : ٢٤٤ « حضر فرسه » ورمية سوطه .

(٢) انظر السيرة الحلبية ٣ : ٦٩ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٢ والمغازي للواقدي ٢ : ٧١١ .

(٣) سورة طه آية ١٤ .

نكر رجوع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى المدينة مؤيذا منصورا /

روى الأئمة الستة^(١) عن أبي موسى الأشعري - رضى الله عنه - قال : أشرف الناس على واد ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير : « الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله » فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « اربعوا^(٢) على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً ، وهو معكم » وأنا خلف دابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسمعتي وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فقال : « يا عبد الله بن قيس » قلت : لبيك يا رسول الله فذاك أبي وأمي ، قال : « ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، فذاك أبي وأمي ، قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

ولما انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الجرف ليلاً ، نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً ، فذهب رجل فطرق أهله ، فرأى ما يكره فخلى سبيله ولم يهجر ، وضمن بزوجه أن يفارقها ، وكان له منها أولاد ، وكان يحبها ، فعصى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورأى ما يكره .

ولما نظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جبل أحد ، قال : هذا جبل يحبنا ونحبه ، اللهم إني أحرم ما بين لابتي المدينة .

فكر رد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الأنصار ما منحوا للمهاجرين

روى الشيخان ، والحافظ ، ويعقوب بن سفيان عن أنس - رضى الله عنه - قال : لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قديموا وليس بأيديهم شيء ، وكان الأنصار أهل أرض وعقار ، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ، ويكفوهم العمل والمؤنة ، وكانت أم أنس أعطت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعذافاً لها ،

(١) رواه الشيخان وأصحاب السنن عن أبي موسى (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٤٨) .
(٢) اربعوا : أى أرفقوا وأمسكوا عن الجهر ، واعطفوا على أنفسكم بالرفق وكفوا عن الشدة (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٤٩) .

فأعطاهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أم أيمن مولاته أم أسامة بن زيد ، فلما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أهل خيبر ، وأنصرف إلى المدينة ، ردّ المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا قد منحوهم من ثمارهم ، وردّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أمي أعذاقها .

وفي رواية : فسألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأعطانيهن ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي ، وجعلت تقول : كلا والله الذي لا إله إلا هو لا يعطيكن وقد أعطانيهن ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « يا أم أيمن أتركي ذلك كذاً وكذاً » وهي تقول : كلاً - والله الذي لا إله إلا هو ، فجعل يقول : « لك كذاً وكذاً ، ولك كذاً » وهي تقول : كلاً والله الذي لا إله إلا هو حتى أعطاه عشرة أمثالها أو قريباً من عشرة أمثالها .

فكر بعض ما قيل من الشعر في غزوة خيبر

قال كعب بن مالك - رضي الله عنه^(١) :

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَرًا وَفُرُوضَهُ بِكُلِّ فِتْيَ عَارِي الْأَشَاجِعِ مَنُودٍ^(٢)
جَوَادِلْدَى الْغَايَاتِ لَأَوَاهِنِ الْقَوَى جَرِيءٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
عَظِيمِ رَمَادِ الْقِدْرِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ ضَرْوبٍ يَنْصُلِ الْمَشْرِفِي الْمُهَنْدِ
يَرَى الْقَتْلَ مَدْحًا إِنْ أَصَابَ شَهَادَةٌ مِنْ اللَّهِ يَرْجُوها وَفَوْزًا بِأَحْمَدِ
يَلُودُ وَيَحْيَى عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّدٍ وَيَدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيئُهُ^(٣) يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ
يُصَدِّقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْعَيْبِ مُخْلِصًا يُرِيدُ بِذَلِكَ الْعِزَّ وَالْقُوَى فِي عَدِ

(١) انظر قصيدة كعب بن مالك في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢٤٩ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٧ .

(٢) كذا في المراجع السابقة وفي ت ، ط ، م . وفي ص « مجود » .

(٣) كذا ت ، ط ، م - وفي ص « وينصره في كل أمر يريئه » .

وقال حسان - رضى الله - تعالى - عنه^(١) :

يَنْسُ مَا قَاتَلَتْ خَيَابِرُ عَمَّا جَمَعُوا مِنْ مَزَارِعٍ وَنَخِيلٍ
كَرَهُوا الْمَوْتَ فَاسْتَبِيحَ حِمَاهُمْ وَأَقْرَأُوا فِعْلَ اللَّيْمِ الدَّلِيلِ
أَمِنَ الْمَوْتَ تَهْرَبُونَ فَإِنَّ أَلَمَ مَوْتِ الْمَوْتِ الْهَزَالِ غَيْرُ جَمِيلٍ

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : خيبر - بخاء معجمة ، فتحتية ، فموحدة ، وزنُ جعفر : وهى اسم ولاية تشتمل على حُصُونٍ ومزارع ، ونخل كثير ، على ثلاثة أيام من المدينة على يسار حَاجَّ الشَّامِ . والخيبر بِلِسَانِ الْيَهُودِ : الحصن ، ولذا سُمِّيَتْ خَيَابِرُ^(٢) أيضاً - بفتح الخاء ، قاله ابن القيم مما ذكر ابن إسحاق ، وقال ابن عقبة ومحمد بن عمر وأبو سعد النيسابورى فى الشرف : أنها بجيلة - بفتح الجيم والموحدة ابن جُوَّال بفتح الجيم وتشديد الواو ، بعدها ألف ولام ، وقيل : سُمِّيَتْ بأول من نزلها ، وهو خيبر أخو يثرب أبنا قَانِيَةِ بن مهلايل بن آدم بن عبيل ، وهو أخو عاد .

وذكر جماعة من الأئمة : أَنَّ بعضها فتح صلحاً ، وبعضها فتح عَنوةً . وبه يجمع بين الروايات المختلفة فى ذلك .

وروى عن الإمام مالك - رحمه الله تعالى - أَنَّ الْكَيْبَةَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ عِزْقٍ . ولأَبْنِ زُبَّالَةَ حديث « ميلان فى ميل من خيبر مقدس ، وحديث « خيبر مقدسة ، والسوارقية^(٣) مؤتفكة ، وحديث « نعم القرية فى سَنِيَّاتِ الدِّجَالِ خيبر » وتوصف خيبر بكثرة التمر .

(١) انظر قصيدة حسان فى البداية والنهاية ٤ : ٢١٧ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٥٠

(٢) فى شرح المواهب ٢ : ٢١٧ « ذكره الحازمى »

(٣) السوارقية ، ويقال السويرقية - مصفرة - قرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانت لبني سليم ، وقال عرام هى قرية غناء كبيرة فيها مسجد ومنبر وسوق يأتها التجار من الأقطار ، ولكل من بنى سليم فيها شئ ، ولهم مزارع ونخيل كثيرة وموز وعنب وتين ورمال وسفرجل وخوخ ، ولهم إبل وخيل وشاة ، وقرى حوالهم ويمرون طريق الحجاز (وفاه الوفا ٤ : ١٢٣٨) .

قال حسان بن ثابت - رضى الله عنه :

وإِنَّا وَمَنْ يُهْدَى الْقَصَائِدَ نَحْوَنَا كَمُسْتَبْضِعٍ تَمَرًا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرٍ

وروى البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - قال : لما فُتِحَتْ خَيْبَرُ ، ، قُلْنَا :

الآن نشبع من التمر . وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : ما شبعنا من التمر حتى فُتِحَتْ خَيْبَرُ ، وتُوصَفُ خَيْبَرُ بِكَثْرَةِ الْحُمَى ، قدم خيبر أعرابي بعياله فقال :

قُلْتُ لِحُمَى خَيْبَرَ اسْتَعْدَى هَاكِ عِيَالِي فَأَجْهَدِي وَجِدِّي
وَبَاكِرِي بِصَالِدٍ وَوَرَدِ أَعَانِكَ اللَّهُ عَلَى ذَا الْجَنْدِ^(١)

فُحِمَ ومات ، وبقي عياله .

قال أبو عبيد البكرى - رحمه الله - فى معجمه وفى الشَّقِّ عَيْنُ تُسَمَّى الْحَمَّةُ ، وهى التى سَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قِسْمَةُ الْمَلَائِكَةِ^(٢) ، يذهب ثلثا مائها فى فَلَجٍ / والثلث الآخر فى « فَلَجٍ » والمسلك واحد وقد اعتبرت منذ زمان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى اليوم يطرح فيها ثلاث خشبات أو ثلاث تمرات فتذهب اثنتان فى الْفَلَجِ الذى له ثلثا مائها ، وواحدة فى الْفَلَجِ الثانى ، ولا يقدر أحد أن يأخذ من ذلك الْفَلَجِ أكثر من الثلث ، ومن قام فى الْفَلَجِ الذى يأخذ الثلثين لِيَرُدَّ الْمَاءَ إِلَى الْفَلَجِ الثانى غلبه الماء وفاض ، ولم يرجع إلى الْفَلَجِ الثانى شئ يزيد على قدر الثلث وتشتمل خيبر على حصون كثيرة ، ذُكِرَ منها فى الْقِصَّةِ كثير .

الثانى : اختلف فى أى سنة كانت غزوتها : قال ابن إسحاق : خرج رسولُ الله عليه وسلم - فى بقية المحرم سنة سبع ، فَأَقَامَ يُحَاصِرُهَا بِضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ إِلَى أَنْ فَتَحَهَا فى صفر .

(١) فى الأصول « وباكري بصائب وردى أعادتك الله على ذى الجند

والثبت من معجم البلدان لياقوت ٢ : ٥٥٥ .

(٢) فى الأصول « قبة الملائكة » والثبت عن معجم ما استعجم للبكرى ١ : ٣٣٢ .

وقال يونس بن بكير في المغازي عن ابن إسحاق من حديث المسور ومروان ، قالا :
« أنصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الحُدَيْبِيَّةِ ، فنزلت عليه سورة الفتح
فيما بين مكة والمدينة » فأعطاه الله فيها خيبر بقوله : (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا
فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ^(١)) ويعنى خيبر ، فقدم المدينة في ذى الحجة فأقام بها حتى سار
إلى خيبر في المحرم .

وذكر ابن عُقْبَةَ عن ابن شهاب أنه - صلى الله عليه وسلم - أقام بالمدينة عشرين
ليلة أو نحوها ثم خرج إلى خيبر .

وعند ابن عائذ عن ابن عباس : أقام بعد الرجوع من الحديبية عشر ليال .
وعند سليمان التيمي خمسة عشر يوماً .

قال الإمام مالك رحمه الله - تعالى - : كان فتح خيبر سنة ست
والجمهور - كما في زاد المعاد : أنها في السابعة ، وقال الحافظ : إنه الراجح قالا :
ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناء على ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي ،
وهو ربيع الأول .

وابن حزم - رحمه الله - يرى أنه من شهر ربيع ^(٢) الأول .

الثالث : قال الحافظ : نقل الحاكم عن الواقدي ، وكذا ذكره ابن سعد ^(٣) أنها
كانت في جُمَادَى الْأُولَى . فالذى رأيته في مغازي الواقدي : أنها كانت في صفر ، وقيل :
في ربيع الأول ، وأغرب من ذلك ما رواه ابن سعد ، وابن أبي شيبه عن أبي سعيد
الخُدْرِي - رضى الله عنه - قال : خرجنا إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان ، الحديث .
وإسناده حسن ، إلا أنه خطأ ، ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت ^(٤) ، وتوجيهه ^(٥) بأن

(١) سورة الفتح آية ٢٠ .

(٢) ولذا جزم بن حزم بأن خيبر كانت سنة ست (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢١٧)

(٣) ذكره ابن سعد عن الواقدي أيضاً (المرجع السابق) .

(٤) والتصحيح حصل لتقارب اللفظين (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢١٧) .

(٥) أى الخروج من هذا التناقض (المرجع السابق) .

غزوة حُنين كانت ناشئةً عن غزوة الفتح ، وغزوة الفتح خرجَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - فيها في رمضانَ جَزْماً^(١) ، وذكر الشيخ أبو حامد - رحمه الله - تعالى ، في التعليق : أنها كانت سنة خمس ، وهو وهَمٌ ، ولعله انتقل من الخندق إلى خيبر ، وأجاب بعضهم^(٢) بأنَّه أسقط سنة المقدم أي وقطع النظر عن سنة الغزوة^(٣)

الرابع : قول عامر : اللَّهُمَّ لولا أنت ما أمتدينا ؛ قال الحافظ في هذا : الْقِسْمُ زحاف الخَزَم بالمعجمتين ، وهو زيادةٌ سببٍ خفيف ، وفي الصحيح في الجهاد عن البراء بن عازب : أنه مِنْ شَرَّ عبد الله بن رَوَاحَة ، فيحتمل أن يكون هو وعامر توارداً / على ما توارد عليه بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر واستعان ٢١٠ وعامر ببغض ما سبقه إليه ابن رواحة .

الخامس : استشكل^(٤) قول عامر : « فداءً » بأنَّه لا يقال في حق الله - تعالى ، إذ معنى « فِدَاءٌ » نفديك بأنفسنا ، فحذف متعلق الفعل للشبهة ، وإنما يتصور الفداء لمن يجوز عليه الفَنَاءُ ، وأجيب عن ذلك بأنَّها كلمة لا يراد ظاهرها ، بل المراد بها المحبة والتعظيم ، مع قطع النظر عن ظاهر اللَّفْظ ، وقيل : المخاطبُ بهذا الشعر النبي - صَلَّى الله عليه وسلَّم - والمعنى ؛ لا تؤاخذنا بتقصيرنا في حَقِّكَ ونصرك ، وعلى هذا فقوله : « اللَّهُمَّ » لم يقصد به الدعاء ، وإنما أَفْتَتَحَ بها الكلام ، والمخاطب بقوله : لولا أنت النبي - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ويعكر عليه قوله بعد ذلك : فأنزلن سكينتنا علينا : وثبت الأقدام إن لاقينا ، فإنه دُعَاءُ لله ، ويحتمل أن يكون المعنى ؛ فأسأل ربك أن ينزل ويثبت .

السادس : في بيان الروايات التي وردت في هذا الرجز ومعانيها.

(١) وعلى هذا الأساس فيصح إطلاقه على غزوة حنين يجعلها من غزوة الفتح لكونها ناشئة عنها ، والخروج من المدينة لها واحد .

(٢) في شرح المواهب ٢ : ٢١٧ « وأجاب البرهان » .

(٣) الإضافة عن المرجع السابق .

(٤) أورد هذا الإشكال الإمام الفقيه الأصولي محمد بن علي بن عمر التميمي المازري - نسبة إلى مازر بليدة بجزيرة صقلية - مات سنة ست وثلاثين وخمسة ، وله ثلاث وثمانون سنة (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢١٩) .

وما اتَّقَيْنَا بتشديد الفوقية بعدها قاف ؛ أى ؛ ما تركنا من الأوامر ، « وما ظرفية ، وللأصيل^(١) والنسقى من رواية الصحيح بهمزة قطع ، فموحدة ساكنة ؛ أى ما خلفنا وراءنا مما كسبناه من الآثام ، أو ما أَبَقَيْنَا وراءنا من الذنوب ، فلم نَتَّب منه وللقابسى : مَالَقَيْنَا بلامٍ وكسرٍ القاف ؛ أى ما وجدنا من المَنَاهى . ووقع فى الأدب^(٢) ما اقْتَفَيْنَا بقافٍ ساكنة ، ففوقية ، وفاءٍ مفتوحتين ، فتحتية ساكنة ، أى أَتَبَعْنَا من الخطايا ، من قَفَوْتَ الأثر إذا تبعته ، وكذا عند مسلم ، وهو أشهر الروايات فى هذا الرجز .

أَلْقَيْنَ سَكِينَةً علينا . وفى رواية النسقى و « أَلَقَى » بحذف النون ، وبزيادة ألف ولام فى السكينة بغير تنوين ، وليس بموزون السكينةُ : الوقار ، والتثبث .

أَتَيْنَا : بفوقية : أى جئنا إذا دعينا إلى القتال أو الحق . ورُوى بالموحدة أى إذا دعينا إلى غير الحق امتنعنا

وبالصياح عَوَّلُوا علينا : أى قصدونا بالدعاء وبالصوت العالى . واستَعَانُوا علينا ، يقالُ : عَوَّلْتُ على فلان وعولت بفلان .

السابع : اُخْتُلِفَ فى فتح خيبر . هل كان عَنَوَةً أو صلحاً ، وفى حديث عبد العزيز ابن صُهَيْب عند البخارى فى الصلاة : التصريح بأنه كان عَنَوَةً ، وبه جزم أبو عمر ، وردَّ على من قال فُتِحَتْ صَلْحًا ، قال : وإنما دَخَلَتِ الشُّبْهَةُ على من قال فُتِحَتْ صَلْحًا ؛ بالحصنين اللذين أسلمهما أهلها لحقن دِمَائِهِمْ ، وهو ضربٌ مِنَ الصلح ، لكنه لم يقع ذلك إلا بِحِصَارٍ ، وقتال ، قال الحافظ - رحمه الله تعالى : والذى يظهر أَنَّ الشبهة فى ذلك قولُ ابن عمر : إن النبىَّ - صَلَّى الله عليه وسلَّم - قاتل أهلَ خيبر ، فغلب على

(١) انظر رأى الأصيل والقابسى وجميع الروايات المختلفة والتخريجات ووجوه الإعراب فى شرح المواهب ٢ : ٢١٨

(٢) أى ولمسلم والبخارى فى الأدب (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢١٨)

النخل فصالحوه على أن يجُلُوا منها وله الصفراء والبيضاء والحلقة ، ولهم ما حَمَلَتْ رُكَابُهُمْ ، على ألا يكتُموا ولا يغيّبوا الحديث . وفي آخره : فسبي نساءهم وذُراريهم ، وقَسَمَ أمواهم للنكت الذي نكثوا ، وأراد أن يجليهم ، فقالوا : دَعْنَا في هذه الأرض نصلحها .. الحديث ، ورواه أبو داود والبيهقي / وغيرهما ، وكذلك أخرجه أبو الأسود ٢١٠ ظ في المغازي عن عروة . فعلى هذا كان وقع الصلح ، ثم حصل النقص منهم فزال أمر الصلح ، ثم مَنَّ عليهم بترك القتل وإبقائهم عُمَالاً بالأرض ، ليس لهم فيها ملك ، ولذلك أجلاهم عمر ، فلو كانوا صُولحوا على أرضهم لم يجلوها منها .

وجنح غَيْرُ واحدٍ من العلماء إلى أن بعضها فُتِحَ عَنَوَةً ، وبعضها فُتِحَ صلحاً ، وليس بنا ضرورة إلى بَسْطِ الكلام على ذلك .

الثامن : زعم الأَصْبَلِيُّ - رحمه الله تعالى - أنَّ حديث نومهم عن الصلاة إنما كان بِحُثْنَيْنِ لا بخبير ، وأن ذِكْرَ خبير خطأ ، ورد عليه أبو الوليد البَاجِي ، وأبو عمر فأجادا .

التاسع : اُخْتَلِفَ في إسلام زينب بنت الحارث التي أهدت الشاة المسمومة وفي قَتْلِهَا ؛ أما إِسْلَامُهَا ؛ فروى عبد الرزاق في مصَنِّفه عن معمر عن الزُّهْرِيِّ أنها أسلمت ، وأن رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - تركها . قال معمر : والناس يقولون قَتَلَهَا . وجزم بإسلامها سليمان التيمي في مغازيه ولفظه بعد قولها : « وَإِنْ كُنْتُ كاذِباً أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ ، وقد استبان لي أَنَّكَ صادق ، وأنا أشهدك وَمَنْ حَضَرَكَ أَنِّي على دينك ، وأن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : وأنصرف عنها حين أسلمت ،

وأما قتلها وتركها ، فروى البيهقي عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أنه - صَلَّى الله عليه وسلم - ما عرض لها ؛ وعن جابر قال : فلم يُعَاقِبْهَا رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم ، وروى ابن سعد عن شيخه محمد بن عمر بأسانيد له مُتَعَدِّدَةٌ هذه القصة ، وفي آخرها فدفعها إلى أولياء بشر بن البراء فقتلوها قال محمد بن عمر : وهو أثبت . وروى أبو داود

من طريق الزُّهْرِي عن جابر نحو رواية معمر عنه ، والزُّهْرِي لم يسمع من جابر ، ورواه أيضاً عن أَبِي هُرَيْرَةَ .

قال البيهقي - رحمه الله - يحتمل أن يكون تركها أولاً ، ثم لَمَّا مَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ مِنَ الْأَكْلَةِ قَتَلَهَا . وبذلك أجاب السُّهَيْلِي - رحمه الله تعالى - وزاد : أنه تركها ، لأنه كان لا ينتقم لنفسه ، ثم قتلها بِبِشْرٍ قِصَاصًا .

قال الحافظ - رحمه الله تعالى - : يحتمل أن يكون تركها أولاً ، ثم لَمَّا مَاتَ بِشْرٌ لكونها أسلمت ، وإنما أَخَّرَ قَتْلَهَا حَتَّى مَاتَ بِشْرٌ لِأَنَّ بَموته يتحقق وَجُوبُ الْقِصَاصِ بشرطه .

وروى أبو سعد النَّيْسَابُورِي : أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قتلها وصلبها ، قاله أعلم العاشر : وقع في سنن أبي داود أنها أُخِيتَ مَرْحَبٌ ، وبه جزم السُّهَيْلِيُّ ، وعند البيهقي في الدلائل : بنت أخي مرحب ، وبه جزم الزُّهْرِي كما في مغازي مُوسَى بن عقبة

الحادي عشر : إن قيل ما الجمعُ بين قوله - تعالى : [وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ^(١)] وبين حديث الشاة المسمومة المصلية بالسُّمِّ الصادر من اليهودية ؟ والجواب : أن الآية نزلت عامَ تَبُوكَ ، والسُّمُّ كان بخيبر ، قبل ذلك .

الثاني عشر : اختلف في مدَّة إقامته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَرْضِ خَيْبَرَ ، فروى ٢١١ والطبراني في / الأوسط عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أقام بخيبر ستة أشهر ، يجمع بين الصَّلَاتَيْنِ . وروى البيهقي عنه : أربعين يَوْمًا ، وسنَّده ضعيف .

وقال ابن إسحاق^(٢)

(١) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٢) في ط ، ت ، م « يياض بمقدار ثلاث كلمات . وليس لهذا الياض أثر في ص - وفي شرح المواهب ٢ : ٢٤٧ » والذي قاله ابن احمق والواقدي والبلاذري يستفاد منه أن المدَّة كانت بضع عشرة ليلة في الحصار حتى فتحت في صفر وثلاثة أيام بلياليها حين بنى بصفية وثمانية أيام مدة الذهاب والإياب فغاية المدَّة شهر » .

الثالث عشر : في بيان غريب ما سبق .

اسْتَنْفَرَ : استنجد واستنصر .

(١) عسكر : جَمَعَ عسكره : أى جَيْشَه .

ثَنِيَّةُ الوداع : تقدم الكلام عليها مبسوطاً في دخوله - صلى الله عليه وسلم - المدينة .
في أبواب الهجرة .

الرَّغَابَة - بالزاي والغين المعجمتين وبالموحدة كسحابة ، وضبطه أبو عبيد البكري - رحمه الله تعالى - بالضم : مجتمع السيول بأرض العقيق ، غربي مشهد حمزة ، وهو أعلى إضْمَ ، وهم مَنْ قال إنه لا يُعْرَف ، وإنما المعروف الغابة .

نَقَمَى - بنون ففاف فميم مفتوحات فألف تأنيث : اسم وادٍ بالمدينة كجمزى ونسكى ، ويُرْوَى - بضم أوله وثانيه : اسم وادٍ بها .

المُشَلَّل - بضم الميم ، وفتح الشين المعجمة ، واللام الأولى وتشديدها : ثنية تشرف على قديد .

(١) الوطاة : الأرض السهلة .
راهق - بالراء والقاف . : قارب .

الجُبْن - بضم الجيم ، وسكون الموحدة ، وتضم أيضاً : صفة الجبان .

ضلع الدين ، قال القاضي - بفتح الضاد المعجمة ، واللام . شدته ، وثقل حمله .

فينقاع ، والنضير ، وقُرِئَظَه : تقدم الكلام عنها في غزوتها .

سُنْبُلَانِيَّة - بضم السين المهملة ، والموحدة بينهما نون ، أى سابعة من الطول ؛ يقال ثوب سُنْبُلَانِي ، وسُنْبَلْ ثوبه إذا أسبله من خلفه ، أو أمامه ، وقال اليعمرى : منسوبة إلى موضع من المواضع . قلت : سنبلان محلة ، بأصبهان ، والمراد هنا الأول .

(١) هذه الألفاظ الستة لم ترد في سياق الخبر .

الكِرْيَاس - بالكسر : الثوب^(١) الخشن .

عِضْر - بمهمات فالكسر : فالكسون ، أو بفتحيتين : جبل بقرب المدينة من جهة خيبر ، ومن الغرائب قول ابن الأثير مع ذكر ذلك أنه بين المدينة ووادي القُرْع^(٢) .
حَنُو الإِبِل : سَوَّقُهَا بالشَّعْر .

الصُّهْبَاء - بفتح الصَّاد المهملة - وسكون الهاء وبالد : موضع قرب المدينة .

أَذْنَى خيبر : أسفلها .

هَنِيهَاتِكَ - جمع هُنَيْهَةٍ ؛ وهي تصغير هَنَّة كما قالوا في تصغير سنة سنيهة ،
والهنة : كناية عن كل شيء لا يعرف اسمه ، أو يعرف فيكنى عنه ، كذا في الصحيح
بالتصغير ، وفي أخرى هُنَيْاتِكَ^(٣) ، وفي السيرة : هناتك جمع هنة ؛ أي من أخبارك
وأشعارك ، فكُنِيَ عن ذلك كله ، والمراد هنا الحُدَاء للإبل .

وَجَبَتْ : أي الجنة .

لولا : حرف عَرَضٍ بمعنى هلا .

- أَمْتَعْنَا - بفتح أوله : أَبْقَيْتَهُ لَنَا لِنَسْتَمْتَعَ : أي بشجاعته ، والتمتع : الترفه
إلى مدة .

على بَكْرٍ - بفتح الموحدة : الفتي من الإبل .

السويق - بفتح السين ، وكسر الواو ؛ قمح أو شعير يُقْلَى ثم يطحن .

ثرى السويق : بله .

الرجيع - بالجيم كأمير ، وادٍ قرب خيبر .

(١) الكرياس : لفظ فارسي ، وهو الثوب من القطن (السان) .

(٢) وقد ورد التعريف به في وفاة الوفا ٤ : ١٢٦٧ ، وعقب السهوي على التعريف بقوله « وفيه نظر » . كما ورد

التعريف به في لسان العرب .

(٣) وهي رواية للكشمي - بحذف الهاء الثانية وشد التحتية : أي من أراجيزك (شرح المواهب ٢ : ٢١٨) .

عَظْفَان - بغين معجمة ، فطاء مهملة ، ففاء مفتوحات .
الفَال . والطَّيْرَةُ : يأتى بيانهما فى باب محبته - صلى الله عليه وسلم - الفَال الحسن

٢١١ ظ

شرح غريب/نكر إرادة غطفان مساعدة يهود ، ودعاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم - لما اشرف على خيبر

قوله^(١) : مُظَاهِرِينَ : مُعَاوِنِينَ .

الْمُنْقَلَةُ - بيم مفتوحة ، فنون ساكنة ، فقاء مفتوحة ، فلام : الْمَرْحَلَةُ من مراحل
السَّفَر .

خَالَفُوا إِلَيْهِمْ : جَاءُوا إِلَى أَهْلِهِمْ بَعْدَ خُرُوجِ قَوْمِهِمْ .

تُبَلَّوْنَ - بضم الفوقية ، وسكون الموحدة ، وفتح اللام .

عَشَوْكُمْ - بفتح الغين ، وضم الشين المعجمة .

النَّبَأُ : الْخَبَرُ

أُظْلِلْنَ^(٧) - بطاء معجمة مُشَالَةً ؛ مِنْ الظِّلِّ .

أَقْلَلْنِ : حَمَلْنِ .

أَضَلَلْنِ - بضاد معجمة ساقطة : مِنْ الْإِضْلَالِ ، ضِدُّ الْإِرْشَادِ .

دَرَيْنِ - بزال معجمة : حَمَلْنِ ، وَقَالَ : أَذْرَيْنِ لِمَزَاجَةِ أَضَلَلْنِ .

شرح غريب ذكر وصول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

إلى خيبر

قوله : عَرَّسَ : بعين ، فراء مشددة ، فسين مهملات مفتوحات ، نزل ليلا ، أو

آخره .

مَنْعَتَهُمْ : قُوَّتَهُمْ وَعِلَادَهُمْ ؛ بفتح العين .

هِيَهَاتَ : اسم فعل ماض بمعنى بَعُدَ .

(٧-١) لم ترد هذه الألفاظ السبعة فى سياق الخبر .

الساحة : الموضع المتسع أمام الدار ، وقال الأزهرى : هو فضاء بين دُورِ الحى .

الأَفْثِدَة : جمع فؤاد ؛ وهو القلب .

غدا إلى كذا : سار إليه صباحاً .

المَسَاحِي بِمَهْمَلَتَيْن ، جمع مِسْحَاة : وهى من آلة الحرث^(١) ، والميم زائدة ، لأنه من السَّحُو ، وهو الكشف والإزالة .

الكرازِن : جمع كَرَزَن - بفتح الكاف والزَّي وبكسرهما وبالنون ويقال بالميم عوضاً عن النون : وهو الفأس .

المَكَاتِل - جمع مِكْتَل ، بكسر الميم ، وفتح الفوقية : أَلْفُفَةُ الكبيرة التى يحمل فيها التراب وغيره ، سميت بذلك لتكتل الشيء فيها ، وهو تلاصق بعضه ببعض .

لم يُغَزْ - بضم التحتية ، وكسر الغين المعجمة : أى لم يسرع فى الهجوم عليهم .
انْحَسَرَ - أنْكَشَفَ .

محمد - صلى الله عليه وسلم - خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هو أو هذا محمد .
الخميس - بلفظ اسم أحد الأيام يروى - بضم السين وبفتحتها على أنه مفعول معه ، وسُمِيَ الجيشُ خميساً لأنه ينقسم خمسة أقسام ؛ لَأَنَّ له ساقَةً ، ومقدمةً ، وجناحين ، وقلباً ، لامن أجل تخميس الغنيمة لأن فى تخميسها سنة الإسلام ، وقد كان الجيشُ يُسَمَّى خميساً فى الجاهلية .

النَزُّ - بفتح النون ، وتشديد الزاى : السائل من المائع .

النَّطَاةُ - بنون فطاء مهملة بوزن : حصاة .

الخَمَرُ - بخاء معجمة - فميم مفتوحتين فراء ، مَا وَارَاكَ من شجرٍ أو بناءٍ أو غَيْرِهِ .

البرىء - بفتح الموحدة ، وكسر الراء المخففة ، وبالمد : السالم .

(١) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرقة من الحديد (السان) وفى شرح المواهب ٢ : ٢٣١ جمع مسحاة من آلات الحرث .

الرجيع - بالراء ، والجيم والعين المهملتين وزن أمير ، واد قُرب خيبر ، وهو غير
الذى توجه إليه عاصمٌ حَمَى الدَّبَرُ^(١) .

شرح غريب ذكر ابتداء القتال واخذ الحمى المسلمين

قوله : من أشجع - بشين معجمة ، فجيم ، فعين مهملة .

الشعار - بكسر الشين المعجمة ، وبالعين المهملة : العلامة التى كانوا يتعارفون بها
فى الحرب / يامنصور أَمِتْ : أمر بالموت ، والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة ٢١٢ ،
مع حصول الغرض . بالشعار ، فإنهم جعلوا هذه الكلمة علامة يتعارفون بها لأجل ظلمة
الليل .

تَرَسَ - بفوقية ، فراء مشددة فسين مهملة .

نَاعِمَ - بالنون ، والعين المهملة كصاحب : حصن من حصون خيبر .
أَهْمَلَتْهُمْ : أذهبت قوتهم .

قَرَسُوا - بفتح القاف وكسر الراء المشددة ، وضم السين المهملة فعل أمر ، أى :
برَدُوا ، يوم قارس البرد .

شِنَان - بكسر الشين المعجمة : الأسقية^(٢) .

أَحْدَرُوا - بالحاء ، والdal المهملتين : صبوا الماء .

نشطوا - بنون مضمومة : خلصوا ، وليس إسقاط الهزة من أوله بلحن بل لغة
صرح بها فى البارع .

العُقْل - بضميتين : جمع عَقَال .

(١) والرجيع الذى كانت به سرية عاصم بن ثابت يقع بين مكة والطائف ، فى أرض بنى سليم وأرض بنى كلاب
(وفاء الوفا ٤ : ١١٤٢ ، ١٢١٧) ، وحى الدبر أى الذى حماه الدبر من أخذ قريش له بعد قتله والدبر النحل أو الزناير .
وكان ذلك بسبب دعائه قبل قتله : اللهم إني حيث دينك فى أول النهار فأحمى لحمى آخره . وانظر قصته فى بحث الرجيع
بشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٦٤ - ٧٤ .

(٢) الشنان : الأسقية الخلقية ، وهى أشد تبريداً للماء من الجدد . البدايه والنهاية لابن كثير ٤ : ١٩٤ .

شرح غريب ذكر فتحه — صلى الله عليه وسلم — حصن الصعب

[الصعب^(١)] : ضد السهل .

الودك — بفتح الواو ، والذال المهملة : دسم اللحم ودهنه

العلقة من العيش — بضم العين المهملة : القليل منه .

الطُّبِيُّ — جمع ظَبْيٍ : حيوان معروف .

الظِّلِيمُ — بفتح الظاء المعجمة المشالة ، وكسر اللام : الذكر من النعام .

احتَضَنَ الشيءَ : جعله تحت حضنه ، وهو ما تحت الإبط إلى الخاصرة .

المعشر : جماعة الرجل ، دون النساء ،

جُهِدْنَا — بالبناء للمفعول : حصل لنا جَهْدٌ ومشقة .

غَنَاءٌ — بفتح الغين المعجمة ، وتخفيف النون ، وبالمد : الكفاية .

البرَّاز — بفتح الموحدة ، والراء ، الأرض الواسعة الفضاء^(٢) .

الغفارى — بكسر الغين المعجمة .

الزَّيَال : بزاي معجمة وياء^(٣) وألف ثم لام .

بادره : سارع إلى قتله .

على هامته : رأسه .

ذُبَابُ السَّيْفِ — بضم الذال المعجمة وبالموحدتين : طرفه .

الدُّغْمُوصُ — بِضَمِّ الدَّال ، وسكون العين وآخره صاد : دُوَيْبَةُ تغوص في الماء .

(١) إضافة يقتضيا السياق .

(٢) ويجوز أن يكون بكسر الباء ويكون المعنى خرجوا للبارزة أى المقاتلة .

(٣) إضافة يقتضيا السياق .

شرح غريب ذكر محاصرته — صلى الله عليه وسلم — حصن الزبير بن العوام
وحصون الشق

[الشق^(١)] — بفتح الشين المعجمة ، أَعْرَفُ مِنْ كَسْرِهَا ، وباللقاف المشددة عند أهل
اللغة .

قوله قلة الزبير : هي القلعة التي صارت إليه من قسمة الغنائم .

الرعب : الخوف

الدُّبُول : [جمع دَبْل ، نهيرات وقنوات وجداول^(٢)] .

أَصَحَرُوا : خرجوا إلى الصحراء .

أَبَى [بضم الهمزة وفتح الباء مُصَغَر^(٣)] .
سَمَوَان^(٤) :

دَفَفَ عليه — بدال ، رُوِيَ إِعْجَامُهَا وَإِهْمَالُهَا : أى أَجْهَزَ عليه ، وَحَزَّ رَقَبَتَهُ .

أَبُو دُجَانَةَ — بضم الدال المهملة : وتخفيف الجيم وبالنون . سَمَاكَ بن خُرْشَةَ

يَخْتَال : [يَمْشَى مَشْيَةَ الْمُتَكَبِّرِ^(٥)] .

الْأَثَاث — بِثَاءَيْنِ مَثَلَتَيْنِ : المتاع .

الجلر : جمع جدار ، وهو الحائط .

سَاخَ فِي الْأَرْضِ — بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ : أَنْخَسَفَ فِيهَا .

(١) إضافة يقتضيه السياق .

(٢) إضافة على الأصول عن نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٥٦ .

(٣) بياض بالأصول ، والمثبت يقتضيه السياق . وحصن أبى هو أول مابدأ به صلى الله عليه وسلم من حصون الشق

كما فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٨ .

(٤) بياض بالأصل بمقدار ثلاث كلمات . ولعله كان يريد أن يقول بالسين المهملة والميم والواو — وقد سبق أن بينا

أن اللفظ فى المغازى للواقدي ٢ : ٦٦٧ «سمران» بضم فسكون فراه مفتوحة . وكذا فى وفاء الوفا ٤ : ١٢٢٦ .

(٥) إضافة يقتضيه السياق .

شرح غريب انتقاله — صلى الله عليه وسلم — الى حصون الكتبية

قوله : الكَتِيبَةُ : بكافٍ مفتوحة ، ففوقية ، وقال أبو عُبَيْدَةَ : بشاءٍ مثلثة مكسورة فتحية ساكنة فموحدة ، وقيل : إنها بالتصغير .

٢١٢ و القَمُوصُ بالقاف / والصاد المهملة كصبور . وقيل : بغين فضاء معجمتين .

الوَخَمَ - بفتح الواو ، والحاء المعجمة : البواء .

الشَّقِيقَةُ : وَجَعٌ يأخذ نصف الرأس والوجه .

نهض : تحرك .

الفتح : النصر .

قد جهد : أصابه جهد ، وهو المشقة .

الأرمد : الذى أصابه الرمد فى عينيه ، وهو وجع فيها .

الفرار - بفتح الفاء والراء المشددة : الهرب .

تَفَلَّ : بَصَقَ .

العَنَوَة - بفتح العين المهملة : أخذ الشيء قهراً .

بات الناس يَدُونُكُون - بتحتية ، فдал مهمة مضمومة ؛ أى باتوا فى اختلاط واختلاف ، والدوكة : الاختلاط .

غدوا عليه - بالمعجمة : أتوا صباحاً .

تطاولتُ لها : رفعتُ عنقِ كى يرانى .

ثم : بفتح المثناة .

أناخ : برك براجلته .

شَقَّ بُرْدَ - بكسر الشين المعجمة : قطعة منه .

قَطْرَى - بكسر القاف ، وسكون الطاء المهملة : نوع من البُرُود فيه حمرة ، ولها أعلام ، فيها بعض الخشونة ، وقيل : هي حُلُلٌ تحمل من قبل البحرين ، قال الأزهرى : فى أعراض البحرين قرية [يقال لها^(١)] قطر ، وأحسبُ الثياب القطرية تنسب إليها ، فكسروا القاف للنسبة ، وَخَفَّفُوا .

بَرَأَ - بفتح الراء ، والهمزة ، بوزن ضَرَبَ ، ويجوز كسر الراء ، بوزن عَلِمَ : خلص من وجعه .

مضى لسبيله : مات .

أَنْفَذَ - بضم الهمزة ، والفاء ، بينهما نون ساكنة ، وإعجام الذال ، : امض .
على رسلك - بكسر الراء : على هيئتك .

حُمِرَ - بضم الحاء المهملة ، وسكون الميم : النَّعَمَ بفتح النون ، والعين المهملة ؛ الحُمِرَ من ألوان الإبل المحموده ، قيل : المرادخير لك من أن تكون لك فتصدق بها ، وقيل : بل تقتنيها وتملكها ، وكانت مما يتفاخر به

علام ؛ « على » حرف الجر ، دخل على « ما » الاستفهامية فَحُذِفَتْ أَلْفُهَا لدخوله .
يَأْنِحُ - بتحتية ، فآلف ، فنون مكسورة ، فحاء مهملة : أى به نفس شديد من الإعياء فى العدو .

يهول : يسرع ؛ والهولة : فوق المشى ودون الجرى .

غَلَبْتُمْ^(٢) - بالبناء للمفعول .

الرَّضُمُ^(٣) - بفتح الراء ، وسكون الضاد المعجمة ، ويجوز تحريكها : الحجارة المجتمعة .

(١) الإضافة يقتضيا السياق .

(٢) فى سياق الخبر ص ١٩٥ « غَلَبْتُمْ » .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى سياق الانتقال إلى حصون الكتيبة .

شرح غريب نكر قتل على رضى الله عنه — الحارث وأخاه مرحبا وعامرا
وياسرا الخ

قوله فى عاديتـه^(١)

جسـيا : عظيم الجسم .

شاك السلاح — بشين معجمة ، وأصله شائك بحذف الهمزة ، ومن رواه شاك
أو شاكى فإنه أخذ الهمزة إلى آخر الكلمة وقلبها ياء .

الجـمى — بكسر الحاء ، وفتح الميم المخففة : كل ما حميته ومنعته .

المساوـر : المعاجل خصمه^(٢) .

يحوس الناس — بحاء وسين مهملتين : يجهضهم عن أثقالهم ، أى يبلغ فى النكاية
فيهم ، وأصل الحوس شدة الاختلاط ، ومداركة الضرب .
زبـار : أراد زبـير .

القـرم — بفتح القاف : السيد ، وأصله الفحل من الإبل الذى أقرم ، أى ترك
من الركوب والعمل ووضع^(٣) للفحلة .

النكـس — بكسر النون : الرجل الضعيف .

الحوـارى : الناصر والمعين .

الليوث : جمع ليث ؛ الأسد .

٢١٣ و تلهب / أصله : تتلهب .

مغامر : يقتحم المهالك .

(١) بياض فى الأصول بمقدار ثلاث كلمات والمادية : الحدة والغضب (المحيط) وكذلك الذين يملون على أرجلهم
هامش المغازى للواقدي ٢ : ٦٥٣) .

(٢) كذا فى ت ، ط ، م — وفى ص « المغاور : القتال المعاجل خصمه » .

(٣) كذا فى ت ، ط ، م — وفى ص « وودع » بالدال — وعليه فالمراد أنه وضع فى عنقه الودع دلالة على تركه
للفحولة وانظر السان .

يَسْفُلُ له - بفتح التحتية ، وسكون السين المهملة ، وضم الفاء ، أى يضربه فى أسافله .

الأكحل : عرق .

عين الركبة : طرفهما الأعلى .

الأزجوان - بضم الهمزة ، والجيم : اللون الأحمر .

وقول على - رضى الله عنه - :

* أنا الذى سمنى أمى حيدره *

قال ثابت بن قاسم^(١) - رحمهما الله - تعالى - فى تسميته بذلك ثلاثة أقوال ؛ أحدها أن اسمه فى الكتب المتقدمة أسد ، والأسد هو الحيدرة ، الثانى أن أمه فاطمة بنت أسد - رضى الله عنها - حين ولده ، كان أبوه غائباً ، فسمته باسم أبيها ، فقدم أبوه فسماهُ علياً ، الثالث : أنه كان يُقَبَّ فى صغره بحيدرة ؛ لأن الحيدرة الممتلئ لحماً مع عظم بطن ، وكذلك كان على - رضى الله عنه - وذكره الشيخ كمال الدين اللميرى - رحمه الله - تعالى - فى شرح المنهاج^(٢) .

مُجَرَّب - بفتح الراء : اسم مفعول .

أكيلهم^(٣) : أجزيهم بالياء .

السندرة : شجرة يصنع منها مكاييل عظيمة^(٤) .

الخَمْلُ - بفتح الخاء المعجمة ، وسكون اللام : الهدب .

(١) عبارة شرح المواهب ٢ : ٢٢٤ « وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل »
(٢) أى النجم الوهاج فى شرح المنهاج للنووى - تأليف محمد بن موسى بن عيسى بن عل الدميرى . أبى البقاء كمال الدين الزركل - الأعلام ٧ : ٣٤٠ .
(٣) لم يرد لفظ « أكيلهم » فى رواية المصنف ، وإنما ورد « أوفهم » وأكيلهم رواية شرح المواهب ٢ : ٢٢٤ .
(٤) وسبق تفسير السندرة بالمكيال الكبير أو ضرب من الكيل غراف جراف « نهاية الأرب ١٧ : ٢٥٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٥ .

أقبلت تحرَّب : تغضب ، يقال حرَّب الرجل إذا غضب ، وحرَّبه : إذا أغضبه .
الْغَمَى : الكرب .

جرىء - بالجيم ، والهمزة : شجاع مقدام .

صُلْب : شديد .

شَبَّت الحرب : أوقدت ، وهيجت .

العَقِيق - هنا جمع عقيقة ، وهى شعاع البرق ، شبه السيف به .

عَضْبٌ - بعين مهملة ، فساد معجمة : قاطع .

الجزا - بالقصر والمد : الجزية التى تؤخذ .

يفىء : يرجع .

النَّهْبُ : ما أنتهب من الأموال .

ليس فيه عَنَب : ليس فيه ما يلام عليه .

نَدَّكُكُمْ : نطويكم ونلصقكم بالأرض .

جَمِير - بكسر الحاء المهملة ، وسكون الميم ، وفتح التحتية .

الموتور - بالفوقية : الذى قتل له قتيل فلم يؤخذ ثأره .

الثَّائِرُ - بالثاء المثناة : الطَّالِبُ بالثَّار ، وهو طلب الدم .

عُمَرِيَّة - بعين مهملة مضمومة ، فميم ساكنة ، فراء مكسورة : أى قديمة ، التى أتى عليها عمرٌ طويل .

العُشْر - بعين مهملة مضمومة فشين معجمة مفتوحة : شجر له صمغ ، وهو من العضاة ، وثمرته نفاخة كنفخة القشاة الأصفر ، الواحدة عشيرة ، والجمع عُشْر ، وعُشْرَات - بضم العين ، وفتح الشين .

يلوُدُ : يستتر .

الفَنَنَ - بفتح الفاء ، والنون الأولى : الغصن .

ورأيتُنِي - بضم التاء : رأيت نفسي .

شرح غريب نكر اسلام العبد الاسود ونهيه - صلى الله عليه وسلم -
عن لحوم الحمر الانسية

قوله عمد إليه : قصد .

حَفَنَةً - بفتح الحاء المهملة ، وسكون الفاء : ملء الكفين .

خرجت تشتد : تعدو .

سُجِّيَ - بسين مهملة ، والجيم ، بالبناء للمفعول : غَطِّيَ :

الحُمُر - بضم الحاء ، والميم : الحمير الأهلية .

الإنسية^(١) - بكسر الهمزة ، وسكون النون وفتحها : وهى التى تألف البيوت ؛ الإنسية
منسوبة إلى الإنس .

أَكْفَيْتَ القدور ؛ قال ابن التين : صوابه فكفنت ، قال الأصمعى : كفأت الإناء
قلبه ، ولا يقال أكفأته ، ويحتمل أن يكون المراد أميلت حتى أَمَالَ ما فيها ، قال
الكسائى : أكفأت الإناء : أملته .

الخُشْنَى - بضم الخاء ، وفتح الشين المعجمتين .

المخمصة : المجاعة .

أَهْرِيقُوهَا ؛ يقال هراق / الماء يهريقه - بفتح الهاء : صَبَّهُ ، والأصل الإراقة ، وأهرق ٢١٢ ط
يهرق ساكناً ، وأهراق يهريق كاسطاع يسطيع ، كأنَّ الهاء عوض من حركة الياء .
الدِّثَّان - بكسر الدال المهملة الخوايى ؛ جمع دَنٌ - بفتحها .

(١) الأنسية : بكسر الهمزة نسبة إلى الإنس ، وهم أولاد آدم . وحكى ضبها فتكون ضد الوحشية ، ويجوز فتحها
وفتح النون ، وانظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٣٤ .

شرح غريب فتحه — صلى الله عليه وسلم — الوطيح والسُّلالم

قوله . حاز ماله : ضمه إلى ملكه .

الوطيح — بواو مفتوحة ، فطاء مكسورة ، فتحتية ساكنة ، فحاء مهملة^(١)

السُّلالمُ — بسينٍ مهملة مضمومة ، وقيل بفتحها ، وكسر اللام التي قبل الميم ، ويقال فيه السلاليم .

تَدَنَّى — بفوقية ، فдал مهملة ، فنون مشددة مفتوحات معتل : أى أخذه مالا مالاً وحصناً حصناً .

الأدنى فالأدنى : أى الأقرب .

المنجنيق — بفتح الميم ، وتكسر : آلة من آلات الحصار يرمى بها .
كِتَانَة بكسر الكاف ، ونونين .

حَيَّى — بحاء مضمومة ، فتحتية مفتوحة ، فأخرى مشددة .

أَخْطَب : بالخاء المعجمة فالطاء المهملة وبالموحدة .

الحَقِيق — بضم الحاء المهملة ، وفتح القاف الأولى ، وسكون التحتية .

حَقَنَ دَمَهُ : امتنع من قتله وإراقته ، أى جمعه له وحبسه عليه .

الصفراء : الذهب .

البَيْضَاء : الفضة .

الكُرَاع — بضم الكاف : اسم لجماعة الخيل خاصة .

الحَلَقَة — بسكون اللام : السلاح أجمع ، أو الدروع خاصة .

البَزَّ — بفتح الموحدة ، وبالزاي : نوع من الثياب .

ذِمَّةُ اللَّهِ — بكسر المعجمة : عهده وميثاقه .

(١) هكذا ضبطه ابن الأثير وغيره ، وصحف من قال غير هذا ، وقال السهيلي : مأخوذ من الوطح وهو ما بين الأظلاف ونخالب الطير من الطين (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٢٨) .

المَسْك - بفتح الميم ، وسكون السين المهملة : الجلد .

خَرِبَة : أى مكان خرب ضد العامرة .

شرح غريب ذكر ارادته - صلى الله عليه وسلم - اجلاء يهود

قوله : الجلاء - بفتح الجيم ، وبالد : الخروج من البلد .

بدا - غير مهموز : ظهر .

الشر هنا : النَّصَف كما فى الرواية الأخرى .

الخَرَص - بفتح الخاء المعجمة ، وبكسرهما - هنا : حَزْرُ ما على النخل من الرطب تمرا .

السُّحْت - بضمّتين ويسكن : المال الحرام ، لا يحل لبسه ، ولا أكله .

الفَدَع - بفتح الفاء ، والدال ، وبالعين المهملتين ؛ أى اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل فينقلب الكف ، أو القدم إلى الجانب الآخر ، وذلك الموضع .

انفدعت - بفتحات ، قال فى التقريب : فَدَعَ اليهودُ يَدَ عبد الله ، ففدع : غير معروف فى اللغة ، ويحتمل أن يكون بغين معجمة . قال الأزهري : الفَدَع : كسر شئ أجوف كالنقع ، قلت : وفيه نظر ؛ لأنّ الوارد أن يد عبد الله اعوجت فقط لا أنها كسرت . والله تعالى أعلم .

والإنسى - قال أبو زيد : الأيسر من كل شئ ، وقال الأصمعي هو الأيمن ، وقال كل اثنين من الإنسان مثل الساعدين والزنديين ، والقدمين ، فما أقبل منهما على الإنسان فهو إنسى ، وما أدبر عنه فهو وحشى .

الكَوَع - بالتحريك : أن تعوج اليد من قَبْلِ الكوع ، وهو رأس اليد مما يلي الإبهام ، والكرسوع رأسه مما يلي الخنصر .

عُدِيَ عليه بالبناء للمفعول .

ارْقَضَتْ : سَالَ عَرَقَهَا .

تَوْم : تَقْصِد .

الْقُلُوص - بفتح القاف ، وضم اللام من الإبل : بمنزلة الجارية من النساء ، وهى الشابة ؛ الجمع قُلُوص بضمتين ، وقِلاص - بالكسر ، وقلائص .
هزيلة - بفتح الهاء وسكون الزاى : وهى المرة من الهزل ضد الجد .

شرح غريب قصة الثاة المسمومة

قوله سَلَام : وزن كلام .

مَشْكَم : بكسر الميم ، وسكون الشين المعجمة .

مَصْلِيَة - بفتح الميم ، وسكون الصاد المهملة ؛ أى المشوية .

انتهمس اللحم : أخذه بمقدم الأسنان للأكل .

لَاكَ : مضع .

ساغ اللقمة : بلعها .

لَفَظَهَا : طرحها .

أَسْتَرَط : ابتلع .

الأَكْلَة - بضمتين : المأكول .

الطِيلَسَان - بفتح الطاء ، واللام ، وتكسر .

ماطله وجعه : طالته مدته .

الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق .

لهوات^(١) - بثلاث فتحات ، جمع لهاة ، وهى اللحم المعلقة فى أقصى الفم .

(١) لم يرد هذا اللفظ فى متن الفزوة .

العِدَاد - بعين مكسورة ، فِدال مهملتين : احتياج وجع اللدِيع ، فإنه إذا تم له سنة من حين لُدِغ عاوده هياج الألم .

يُعَاوِدُنِي - بضم أوله ، ورابعه ، وتشديده ، أى يراجعني ألم سُمِّها .

قال الداودي : الألم الذى حصل له - صلى الله عليه وسلم - من الأكلة هو نقص لذة ذَوْقه . قال ابن الأثير : وليس يَبَيِّنُ لَأَن نقص الذَّوق ليس بألم .

الأَبْهَر - بفتح الهزرة ، وسكون الموحدة : عرق يكتنف الصَّلب إذا انقطع مات صاحبه .

تجاوز عنها : عفا .

شرح غريب فكر قدوم جعفر وأبى هريرة - رضى الله عنهما

كلا - هنا : حرف ردع وزجر .

الحبيشية والبحرية^(١) - همزة الاستفهام والتصغير لبعض رواة الصحيح ، والباقيين بعلمها ، فنسبها عمر للحبشة لسكانها بها ، وإلى البحر لركوبها إياه .

البُعْدَاء عن الدين : البُعْضَاء له ، وهما جمع بعيد ، وبغيض .

وَأَيْمَ الله : أى يمين الله ، قسم ، وفيه اثنا عشر لغة .

أَهْلَ السفينة - بالنصب على الاختصاص ، وعلى النداء بِحَذَفِ أدواته ، ويجوز الجر على البدل من الضمير .

أرسالاً - بفتح الهزرة : أفواجاً ، يتبع بعضهم بعضاً .

الحَجَل - بحاء مهملة مفتوحة ، فجيم ساكنة ، فلام ؛ أى يرفعُ رِجْلاً ويقفز على الأخرى من الفرع ، وقد يكون بالرجلين .

التطفيف : نقص المكيال .

(١) الحبيشية والبحرية : لم يرد هذان اللفظان في المتن .

اكتال منه وعليه : أخذ يتولى الكيل بنفسه ، ويقال : كَال الدافع ، واكتال الآخذ .

السَّراة - بفتح السين المهملة : أعظم جبال العرب^(١) .

السُّهُمان - بالضم ، والأسهم ، والسهام ؛ جمع سَهْم : وهو النصيب .

الحُزْم - بضم الحاء المهملة ، والزاي ؛ جمع حِزَام .

لَّيِّف : بلام التأكيد ، وهو معروف .

ابن قَوْقَل - بقافين بينهما واو - وزن جعفر ، النعمان بن مالك بن ثعلبة بن أَصْرَم - بصادٍ مهملة ، وزن أحمد - ابن فَهْم بن ثعلبة بن غَنَم - بفتح الغين ٢١٤ ظ المعجمة / وسكون النون ، بعدها ميم - ابن عمر بن عوف الأنصاري ، الأوسى . وقَوْقَل : لقب ثعلبة ، وقيل أَصْرَم ، قتله أَبَانُ في أُحُد - رضى الله تعالى عنه .

أَكْرَمه الله على يدي : أى أستشهد بأن قُتل فأَكْرَمه الله - تعالى - بالشهادة .

ولم يَهْنُ على يديه - بتشديد التّون - أَصله يُهَيِّنُنِي فَأَدْعَمْتُ إِحدى النونين في الأخرى .

يا عجباً لِوَبَر : الوَبَر - بفتح الواو ، وسكون الموحدة - دَابَّة كالسَّنُور وحشية ، ونقل أبو على القالى - بالقاف - عن أبي حاتم : أن بعض العرب تُسَمَّى كل دَابَّة من حشرات الجبال وَبَرًا ، قال الخطابي : أراد بآن يُحَقِّرُ أبا هريرة ، وأنه ليس في قَدْرِ من يشير بعطاء ولا منع ، وأنه قليل القُدرة على القتال ، قال الكرمانى - رحمه الله تعالى - وفيه تعريض بكنية أبي هريرة .

تدلى : تحدر - وفي رواية : تدلأُ بدالين مهملتين بينهما همزة ساكنة - قيل : أَصله تَدَهَّدَه ، فأبدلت الهاء همزة ، وقيل : الدأداة : صوتُ الحجارة في السيل : أى هجم علينا بغتة .

(١) والسراة هو الحد الفاصل بين تهامة ونجد ، وذلك أنه أقبل من قمر اليمن حتى بلغ أطراف الشام . . . وما انحاز إلى شرقيه فهو الحجاز (وفاء الوفا ٤ : ١١٨٣) .

قَدُوم - بقاف مفتوحة للأكثر ، فдал مهملة مشددة ، وضم بعضهم القاف : اسم
ثنية ببلاد دوس .

ضأل - باللام المخففة : فسرہ البخارى فى رواية المستملى ، بالسدر ، وكذا قال أهل
اللغة : إنه السدر البرى ، وتوهم صاحب المطالع للبخارى ليس بشيء .

ضان : بغير همزة - قيل هو رأس الجبل ، إلا أنه فى الغالب موضع مَرعى الغنم ،
وقيل : هو جبل الدَّوس : قوم أبى هريرة .

يَنْحَى - بفتح التحتية وسكون النون ، وفتح العين المهملة : أى يعيب عَلَى ، وفى
رواية يُعِيرْنِي .

وأنت بهذا : أى أنت تقول بهذا ، أو قائل بهذا ، أو أنت بهذا المكان والمنزلة من
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع كونك لست من أهله ، ولا من قومه ولا من بلاده .

قَبَل - بكسر القاف ، وفتح الموحدة .

نَجَد - بفتح النون ، وسكون الجيم .

شرح غريب نكر قدوم عيينة بن حصن وبنى فزارة ومصالحة اهل فلك

قوله : عُيَيْنَة : تصغير عين .

فَزَارَة - بفتح الفاء ، والزاي المخففة .

ذو الرُقَيْبَة - تصغير رقبة ؛ وقيل : كسفينة : جبلٌ مَطْلٌ على خيبر .

جَنَفًا - بفتح الجيم والنون ، والفاء ، والمد والقصر ، وقد يضم أوله فى الحالين :
ماء من مياه بنى فزارة بين خيبر وفدك .

أَحْذَاه - بالحاء المهملة ، والذال المعجمة : أعطاه .

توضع : تسرع .

مَحِيصَة - بيم فحاء مهملة مفتوحة ، فتحية مشددة مكسورة ، فصاد مهملة .

فَدَكَ - بفتح الفاء ، والدال المهملة ، وبالكاف : بينها وبين المدينة كما قال ابن سعد : ستة أميال .

التَّجْدَة : القوة .

نُرى - بنون ، فراء مهملة مبنياً للمفعول : نَظَن .

حراهم - جمع حَرَّة - بالخاء المهملة ، والراء المشددة : وهى أرض ذات حجارة سود نَخِرَّة كأنها أحرقت بالنار .

فَتَّ أَعْضَادَهُمْ : كسر قوتهم ؛ والعُضد : الناصر والمعين .

شرح غريب ذكر المراهنة وخبر الحجاج بن علاط - رضى الله تعالى عنه

يُفْلِت - بضم التحتية ، وسكون الفاء ، وبالفوقية بعد اللام : يَخْلُص نَجَاةً .

خَاطَرَهُ - بالخاء المعجمة ، والطاء المهملة : راهنه .

ضوى إليه - بالضاد المعجمة الساقطة : أى مال .

يُغَيِّر - بغين معجمة : من الإغارة وهى كبس العدو .

الثَّنية البيضاء : عقبة تهبطك إلى فح - بالخاء المعجمة - وأنت مقبل من المدينة تريد أسفل مكة قَبْلَ ذِي طُوًى .

الريف - بالكسر : الخصب والسعة فى المطعم ، وحيث تكون الخضرة والحياة .

يَتَحَسَّبُونَ الْأَخْبَار - بفتح التحتية والفوقية والخاء ، والسين المشددة المهملتين . وضم الموحدة ؛ أى يتطلبونها .

الرَّابْتُوا لجنب ناقتى : مشوا إلى جنبها كمشى العرجاء لازدحامهم حولها .

الحجاز : ما بين نجد والسَّراة .

الأنفة - بفتح الهمزة ، والنون : الحمية .

الْمَنَعَةُ - بالتحريك : جمع مانع ؛ ككاتب وكتبة ، ويسكن على معنى منعة واحدة ،
وهى العشيرة فالحمأة .

الرَّيْعُ - بكسر الراء ، والتحتية وسكون : المكان المرتفع .

الفَل - بفتح الفاء : القوم المنهزمون .

يُقَدِّمُ - بضم أوله ، وفتح الدال .

أَحْثٌ - بالثاء المثناة : أسرع .

الشامت : الذى يفرح ببلاء ينزل على غيره .

وبين مسلم ومسلمة : أى ومؤمن ومؤمنة .

المؤنة - بضم الميم : القوة .

لِيُخْلِلَ لى فى بعض بيوته : أى لينفرد فيه .

ناشده الله : ذكَّره به .

أنتثل ما فيها - بهمزة ، فنون ساكنة ففوقية فثاء مثناة : استخرج .

العروس : وصف يستوى فيه الذكر والأنثى .

الخَلُوق : نوع من الطيب .

خَطِرَ فى مشيته : أقبل بيده وأدبر كثيرا .

التجلد : التصبر .

الكآبة : الحزن .

أولى له : كلمة معناها الوعيد من ولى الأمر أى تداوله شر .

ينشبوا : يلبثوا .

شرح غريب نكر غنائم خير ومقاسمها

قوله : أَخَذَى النساء : أعطاهن .

الحوائِط - جمع حائط : وهو هنا البستان .

شريق - بالشين المعجمة ، والقاف .

وادی خاص - بالخاء المعجمة ، فالف ، فصاد مهملة ، كذا عند ابن إسحاق ،
وجرى عليه ياقوت والسيد وغيرهما ، وقال أبو الوليد القشيري : إنما هو وادی خلص باللام .
قال البكري : وهو بضم أوله ، وإسكان ثانيه ، وبالصاد المهملة .

الجِراب - بكسر الجيم ، ويجوز فتحها في لغة نادرة .

لا أبالك : هو أكثر ما يستعمل في المدح : أى لا كافى لك غير نفسك ، وقد
يذكر في معرض الذم ، وقد يكون بمعنى جدّ في أمرك وشمر ؛ لأن من له أب اتكّل عليه
في بعض شأنه .

رضخ - بالخاء - والضاد المعجمتين : أعطى .

خُرْتُى المتاع - بخاء معجمة ، مضمومة ، فراء ساكنة فشاء مثناة مكسورة فتحتية
مشددة : هو أثاث البيت ومتاعه ؛ فالإضافة بيانية .
الدجاج - بتثليث الدال : الطائر المعروف .

الداجن : ما ألف الناس في بيوتهم كالشاة التي تغلف ، والدجاج ، والحمام ، وسمى
داجنًا لإقامته مع الناس ، يقال : دجن بالمكان إذا أقام به .

شرح غريب من استشهد بخير

قوله : قفلوا : رجعوا .

شاحبا - بشين معجمة فحاء مهملة ، فموحدة : أى متغير اللون .

كذب من قاله : أخطأ .

إنه لجَاهِدٌ مجَاهِدٌ - كذا للأكثر باسم الفاعل فيهما ، وكسر الهاء ، وبالتنوين ،
والأول مرفوع على الخبر والثاني إلتباع ، ولأبى ذرٌّ عن الجمحى والمستملى - بفتح الهاء
والدال ، قال القاضى - رحمه الله - تعالى : والأول هو الوجهُ ، قال ابن دُرَيْد - رحمه
الله تعالى - : رجل جَاهِدٌ ؛ أى مُجِدٌّ فى أموره ، وقال ابن التَّيِّه - رحمه الله تعالى :
الجَاهِدُ : من يرتكب المشقة لأعداء الله تعالى .

مشى - بشين معجمة - كذا فى رواية بالميم والقصر من المشى . والضمير فى [بها] ^(١)
للأرض أو للمدينة أو للحرب أو للخصلة ، وفى رواية نشأ - بنون وهمزة ، وحكى
السَّهَيْلى : أنه وقع فى رواية مُشَابِهًا - بضم الميم ، اسم فاعل من الشبه : أى ليس مشابهاً
فى صفات الكمال فى القتال ، وهو منصوب بفعل محذوف تقديره رأيت مشابهاً أو على
الحال ، من قوله عربى ، قال السهيلي : والحال من النكرة يجوز إذا كان فى تصحيح
معنى .

شرح غريب ذكر انصراف رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
ومصالحة أهل تيماء

قوله : أَصْلاً - بضم أوّله وثانيه : جمع أَصِيل وهو العَشِيّ .

وإدى القرى - بضم القاف ^(٢) .

العنوة - بفتح العين المهملة : القهر .

الجُدَامى - بضم الجيم ، وذال معجمة .

الشَّمْلَة : كساء غليظ يلتحف به .

ضَوَى - بفتح الضاد المعجمة ، والواو : مال .

(١) إضافة للتوضيح ، وانظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٥ .

(٢) وإدى القرى : واد كثير القرى بين المدينة والشام . وقيل مدينة قديمة بين المدينة والشام ، وانظر الخلاف حول

حدود هذا الروادى فى وفاء الوفا ٤ : ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ .

الآطام - جمع أطم : الحصن .

مِدْعَم - بكسر الميم ، وسكون الدال ، وفتح العين المهملتين .

يُرْحَل - بضم التحتية ، وفتح الراء ، وكسر الحاء المهملة المشددة : أى يضع الرَّحْل على الدابة ويشدُّه .

سَهْم عائر - بعين مهملة فألف فهزمة مكسورة . : لا يُدْرَى مَنْ رَمَى بِهِ .

سهم غَرْب^(١) بفتح الغين المعجمة ، وسكون الراء ، وتُحْرَك ، يضاف ولا يضاف : أى لا يُدْرَى من رماه .

هنيئًا له الشهادة : أى جاءته بلا مشقة .

الشراك - بكسر الشين المعجمة : أحد سيور النعل التى تكون على وجهها .

تَيْمَاء - بفتح الفوقية - وسكون التحتية : بلد بين المدينة والشام .

* * *

شرح غريب نومهم عن الصلاة ورجوعه - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة

قوله : سَرَى ليلته : سار فيها .

عَرَس - بفتح العين ، والراء المشددة والسين المهملات : نزل آخر الليل .

هَبَّ - بفتح الهاء ، والموحدة المشددة : استيقظ .

اقتاد بغيره : قاده .

من كنز الجنة ، أى أجرها يُدْخَر لقائلها كما يُدْخَر الكنز .

الجُرْف - بضم الجيم ، والراء وبالفاء : موضع بينه وبين المدينة ثلاثة أميال إلى جهة الشام .

طَرَقَ أهله : أتاهم ليلا .

(١) سهم غرب : لم يرد ذلك فى رواية المصنف .

ضَنْ بكذا- بضاد معجمة ساقطة ، فنون مشددة ، مفتوحتين : بخل .
لابتا المدينة : حَرَّتَاهَا ، وهما جانباهما .

شرح غريب ذكر رد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على الانتصار
ما منحوه للمهاجرين ، وغريب شعر كعب بن مالك — رضى الله عنه /
فُرُوضُه — بضم الفاء والراء وبالواو والضاد المعجمة : المواضع التى فيها الأنهار^(١) .
الْأَشَاجِع : عروق ظهر الكف .

مِنْوَد — بجم مكسورة ، فذال معجمة ساكنة ، فواو مفتوحة ، فذال مهملة : مَانِعُ
[الواهن^(٢)] قال فى الإملاء الواهن : الضعيف .
المَشْرِقُ : السِّيف .

ينود : يمنع ويحمى .
الدُّمَار — بذال معجمة مكسورة ، وراء : ما تَجِبُ حمايته .
الْأَنْبَاء — بفتح الهمزة : الأخبار .
الْغَيْب : هنا بالياء ويروى [بالنون ثم]^(٣) بالميم من الغنيمة .

شرح غريب أبيات ابن القيم — رضى الله تعالى عنه^(٤)

الفَيْلَق — بفتح الفاء ، وسكون التحتية ، وفتح اللام ، وبالقاف .
شهباء : كثيرة السلاح .

(١) الفروض : المواضع التى يشرب منها من الأنهار (سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٤٩) .

(٢) الإضافة يقتضيا السياق .

(٣) لم ترد أبيات ابن القيم رضى الله عنه فى سياق المتن . وهى كما فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٠٥ : -

رمى نطاة من الرسول بفيلق	شهباء ذات مناكب وفقار
واستيقنت بالذل لما شيعت	ورجال أسلم وسطها وغفار
صبت بنى عمرو بن زرة غلوة	والشق أظلم أهله بنهار
جرت بأبطها الذىول فلم تدع	إلا الدجاج تصبى بالأحصار
ولكل حصن شاغل من خيلهم	من عبد الاشهل أو بنى التجار
ومهاجرين قد اعلوا سياهم	فوق المنافر لم ينوا للفرار
ولقد علمت لينلبن محمد	وليثوين بها إلى أصفار
فرت يهود عند ذلك فى الوغى	تحت المجاج غائم الأبصار

المناكب - جمع مَنْكِب كَمَسْجِد : مجتمع رأس العضد والكتف .
الْفَقَّار - بالفتح : مفاصل عظم الصُّلب . جعل لها مناكبَ وَفَقَّاراً : يريد بذلك شدتها .

شُبَّعَتْ : فُرِقت .

أَسْلَمَ ، وَغِفَّار - بكسر الغين المعجمة : قبيلتان .

الْأَبْطَح : المكان السَّهْل .

عبد الأشهل - بالشين المعجمة ، وبنو النجار ، من الأنصار .

سَيِّمَاهُمْ : علائِمهم .

الْمَغَاْفِر - جمع مَغْفَر : وهو الذى يجعل على الرأس .

لَمْ يَنْتُوا - بتحتية ، فنون : لم يضعفوا أو لم يفتروا .

يَنْثَوِيْنَ - بالثاء المثناة : يقمن .

أَصْفَار : جمع صَفَر - ، وهو الشهر .

فَرَّتْ يهود : هربت .

الْوَغَى - بفتح الواو ، وبالغين المعجمة : الحرب .

العَجَاج : الغُبَار .

الغَمَائِم - بالغين المعجمة : جفون العيون .

الأبصار - بالموحدة . قال ابن سراج : ويصح أن تكون عمائم بالمهملة ، جمع عمامة ، ويكون الأنصار بالنون ، وقال السهيلي : قوله فرت يهود « هو بيت مشكل ، غير أن بعض النسخ ، وهى قليلة عند ابن هشام ، أنه قال : فرَّت : فَتَحَتْ ، مِنْ قولك : فرَّت الدابة إذا فتحت فاها وغمائم الأبصار ، مفعول فرَّت ، وهى جفون أعينهم ، قال السهيلي : هذا قول . وقد يصح أن يكون فرَّت من الفرار . وغمائم الأبصار من

صفة العجاج ، وهو الغبار ، ونصبه على الحال من العجاج ، وإن كان لفظه لَفْظ المعرفة عنده ، وليس بشاذ في النحو ، ولا مانع في العربية ، وأما عند أهل التحقيق فهو نكرة لأنه لم يُرد الغمائم ، حقيقة ، وإنما أراد مثل الغمائم ، استدلالاً سهيلاً على ذلك بأشياء ذكرها .

الباب الخامس والعشرون

في غزوة ذات الرِّقَاع^(١)

وهي غزوة محارب ، وبنى ثعلبة ، وسببها أَنَّ قادمًا قدم بجَلَب^(٢) إلى المدينة ، فاشترأه منه أهلها ، فقال للمسلمين : إِنَّ بني أُنْمَار بن بَغِيض ، وبنى سعد بن ثَعْلَبَة قد جمعوا لكم جُمُوعا ، وأراكم هادئين عنهم ، فبلغ ذلك رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فاستخلف على المدينة - قال ابن إسحاق : أبا ذرَّ الْغِفَارِي ، وقال محمد بن عمر ٢١٦ ظ وابنُ سعد وابن هشام : عثمان بن عفان ، وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم / من المدينة ليلة السبت لعشرِ خَلَوْن من المحرم . في أربعمئة أو سبعمئة ، أو ثمانمئة ، وسلك على المضيق^(٣) ، ثم أَفْضَى إلى وادئ الشُّقْرَة^(٤) : فأقام فيها يوماً ، وبَثَّ السَّرايا ، فرجعوا منها مع الليل وخبروه أنهم لم يروا أحداً ، ووطئوا آثاراً حديثة ، فسار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أصحابه حتى أتى نخلاً^(٥) . وأتى مجالسهم ، فلم يجد فيها أحداً إلا نسوة ، فأخذهن وفيهن جارية وضيئة ، وقد هربت الأعراب في رؤوس الجبال ، وهم مُطْلُون على المسلمين .

قال ابن إسحاق : فلقى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - جَمْعاً من غَطَفَان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم ، قتال ، فخاف الفريقان بعضهم من بعض ، خاف المسلمون أن يغير المشركون عليهم ، وهم غارون ، وخاف المشركون أن لا يبرح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى يستأصلهم .

(١) انظر شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٨٦ وسيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢٠٣ ، ونهاية الأرب للتويري ١٧ : ١٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٦٠ ، والمغازي للواقدي ١ : ٣٩٥ .

(٢) الجلب : ماجلب من خيل وابل ومتاع (هامش : نهاية الأرب ١٧ : ١٥٨ .

(٣) المضيق : قرية كبيرة بجبل آرة المقابل لقدس وهو من أشخ الجبال . (وفاة الوفا ٤ : ١١١٦ ، ١١١٧) .

(٤) الشقرة : بضم الشين المعجمة وسكون القاف (شرح المواهب ٢ : ٨٩) .

(٥) نخل : بلفظ اسم الجنس ، من منازل بني ثعلبة بنجد على يمين من المدينة - وانظر وفاة الوفا ٤ : ١٣١٩ .

ولما حانت الصلاة - صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأصحابه صلاة الخوف .

وروى البيهقي عن جابر - رضى الله عنه - قال : صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الظهر ، فَهَمَّ به المشركون ، فقالوا : دعوهم فَإِنْ لَمْ صلاة بعد هذه أحبَّ إليهم من أبنائهم ، فنزل جبريل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فَأَخْبَرَهُ ، فصلى العصر صلاة الخوف .

قال ابن سعد : وكان ذلك أول ما صلاها ، ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - راجعاً إلى المدينة .

وبعث بجُعال - بضم الجيم ، وبالعين المهملة ، واللام ، بن سُرَاقَة - رضى الله عنه - بشيراً إلى أهل المدينة بسلامة المسلمين .

وغاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمس عشرة ليلة .

وقد وقع في هذه الغزوة آيات كثيرة ، روى أكثرها جابر بن عبد الله - رضى الله تعالى عنه - .

روى البزار والطبراني في الأوسط عنه ، قال : كانت غزوة ذات الرقاع تُسمى غزوة الأعاجيب - انتهى . منها ما وقع عند إرادة غوث بن الحرث الفتك برسول الله - صلى الله عليه وسلم .

روى الشيخان وغيرهما من طُرُق عن جابر - رضى الله عنه - قال : غزونا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل نجد - وفي رواية ذات الرقاع ، فَلَمَّا قَفَلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أدركته القائلة يوماً بوادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه ، فَنِمْنَا نَوْمَةً ، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ ، فإذا عنده أعرابي جالس ، فقال : « إِنَّ هَذَا أَخْتَرَطَ سِنِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فاستيقظت وهو في يده صلتاً ، فقال لى : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قالت : الله . قال : مَنْ يَمْنَعُكَ

منى ؟ قلت : الله ، قال : من يمنحك منى ؟ قلت : الله - ثلاث مرّات ، فشام^(١) السيف وجلس ، ولم يعاقبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

ولهذه القصة^(٢) طرق تأتي مع بعض ما يتعلق بها من الفوائد في أبواب عصمته - صلى الله عليه وسلم - ممن أراد الفتك به .

ومنها قصة الصبي الذي به جنون ، روى البزار والطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم عن جابر - رضى الله عنه - قال : خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة ذات الرقاع حتى إذا أتى حرّة وأقم ، حضرت امرأة بدويّة بأبن لها ، فقالت : يا رسول الله ، هذا أبني قد غلبني عليه الشيطان ، ففتح فاه فبزق فيه ، فقال : « أخسأ عدو الله أنا رسول الله ثلاثاً » ، ثم قال : « شأنك بأبنك لن يعود الله بشيء ، مما كان يصيبه »

ومنها قصة البيضات الثلاث : روى محمد بن عمر ، وأبو نعيم عن جابر - رضى الله عنه - قال في غزوة ذات الرقاع : جاء عُلْبَة بن زيد الحارثي - رضى الله عنه - بثلاث بيضات أداحي ، فقال يا رسول الله : وجدت البيضات هذه في مفحص نعام ، فقال : دونك يا جابر ، فاعمل هذه البيضات فعملتهن ، ثم جئت بهن في قَصْعَةٍ فجعلت أطلب خُبْزاً فلا أجده ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خُبْز حتى انتهى إلى حاجته والبيض في القصعة كما هو ، ثم قام^(٣) فأكل منه عامة أصحابه ، ثم رحنا مُبْرِدِينَ .

(١) شام السيف : وضعه في غمده ، وهي من الأضداد ؛ لأن شام معناها استل وأغمد (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٩٠) .

(٢) ورد في هامش ت ص ٣٥٨ مايلي : وسيأتي في حنين قصة شبيهة لهذه ، وتقدم مثلها في غزوة غطفان . روى ابن حبان في صحيحه أن في هذه القصة نزل قوله تعالى « والله يعصمك من الناس » وروى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني أمار نزل على ذات الرقاع بأعلى نخل ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على بئر قد دلى رجله فقال النوث من بني النجار : لأقتلن محمداً ، فقال له أصحابه : كيف تقتله ؟ قال : أقول له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلت . فأتاه فقال : يا محمد أعطني سيفك أئتمه . فأعطاه إياه ، فرعدت يده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حال الله بينك وبين ماتريد ، فأنزل الله الآية . ووقع عند الواقدي في شبيه هذه القصة أن اسم الأعرابي دعشور ، وأنه أسلم ، لكن ظاهر كلامه أنها قصتان في غزوتين ، وقيل : إن الرجل الذي أراد الفتك به عليه السلام اسمه عمرو بن جاش . نقله الولي العراقي في المبهات . ١٠٨

(٣) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (المغازي للواقدي ١ : ٣٩٩) .

ومنها قصة الرجل الذى دعا عليه - صلى الله عليه وسلم - بضرب رقبته : روى محمد ابن عمر ، والحاكم ، وأبو نعيم عن جابر - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى على رجل ثوباً مخروفاً ، فقال : مَا لَهُ غَيْرُهُ ؟ فقالوا له ثوبان جديدان فى العيبة ، فَأَمَرَهُ بلبسهما ، فلما وَلَّى الرَّجُلُ ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أليس هذا أحسن ؟ ماله ضرب الله عنقه ؟ » فسمعه الرجل فقال^(١) : يا رسول الله فى سبيل الله تعالى ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى سبيل الله فقتل الرجل فى وقعة اليمامة .

ومنها قصة الجمل الذى شكى إليه حاله .

روى البزار ، والطبراني فى الأوسط ، وأبو نعيم عن جابر - رضى الله عنه - قال : رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَهَبِطِ الْحَرَّةِ ، أَقْبَلَ جَمَلٌ يِرْقُلُ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أَتَدْرُونَ مَا قَالَ هَذَا الْجَمَلُ ؟ » هَذَا جَمَلٌ يَسْتَعْلِيْنِي عَلَى سَيْدِهِ ، يَزْعَمُ أَنَّهُ كَانَ يَحْرُثُ عَلَيْهِ مِنْذُ سَنَيْنَ ، وَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَنْحَرَهُ ، إِذْهَبْ يَا جَابِرُ إِلَى صَاحِبِهِ فَأْتِ بِهِ ، فَقُلْتُ : لَا أَعْرِفُهُ . فقال : إِنَّهُ سَيْدُكَ عَلَيْهِ « فَخَرَجَ بَيْنَ يَدَيَّ مَقْنَعًا ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَجِئْتُ بِهِ فَكَلَّمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي شَأْنِ الْجَمَلِ^(٢) »

ومنها قصة جَمَلِ جَابِر - رضى الله عنه - روى الإمام أحمد عن جابر - رضى الله عنه - قال : فَقَدْتُ جَمَلِي فِي لَيْلَةٍ مُظْلَمَةٍ ، فَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : « مَا لَكَ » . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ !! فَقَدْتُ جَمَلِي ، فَقَالَ : « ذَاكَ جَمَلُكَ ، اذْهَبْ فَخُذْهُ » . فَذَهَبْتُ نَحْوَ مَا قَالَ فَلَمْ أَجِدْهُ ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَذَهَبْتُ فَلَمْ أَجِدْهُ ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَأَنْطَلَقَ مَعِيَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَمَلَ ، فَدَفَعَهُ إِلَيَّ .

(١) بياض فى الأصول والإثبات عن السيرة الحلبية ٢ : ٦٥ ط الحلبي سنة ١٣٤٩ هـ

(٢) قصة جمل جابر رواها ابن اسحاق عن وهب بن كيسان عن جابر مطولا . ومثل ذلك فى طبقات ابن سعد وأنها كانت فى منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع . وفى البخارى أنها كانت فى غزوة تبوك ، وفى مسلم فى غزوة الفتح وانظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٩٢ . والسيرة الحلبية ٢ : ٦٥ .

قصة أخرى : روى الإمام أحمد ، وأبو نعيم / والشيخان ، ومحمد بن إسحاق ومحمد ابن عمر من طريق عن جابر - رضى الله عنه - قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة بني ثعلبة ، وخرجت على ناضح لي ، فأببطاً عليّ ، وأعياني حتى ذهب الناس ، فجعلت أرقبه ، وهَمَنِي شأنه فأنيّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « مَا شَأْنُكَ » ، فقلت : يا رسول الله !! أببطاً عليّ جملي ، فأناخ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه بغيره ، فقال : « مَعَكَ مَاءٌ » ؟ فقلت : نعم . فجئته بِقَعْبٍ من ماء ، فنفت فيه ثم نضح على رأسه وظهره ، وعلى عجزه . ثم قال : « أَعْطِنِي عَصَا » ، فأعطيته عَصَاً معي ، أو قال : قطعت له عَصَاً من شجرة ، ثم نَحَسَهُ نخسات ، ثم قرعه بالعصا ، ثم قال : « أَرْكَبْ » فركبت فخرج - والذي بعثه بالحق - يُوَاهِقُ^(١) نَاقَتَهُ مُوَاهِقَةً ما تفوته ناقته ، وجعلت أكفّه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حياءً منه ، وجعلت أتحدث مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبقيّة الحديث يأتي في باب مزاحه ومداعبته - صلى الله عليه وسلم - وفي باب كرمه وجوده ، وفي باب بيعه وشرائه .

ومنها قصة الشجرتين ، وقصة تخفيف العذاب عن ميتين ، وقصة نبع الماء من بين أصابعه ، وقصة الدابة التي ألقاها البحر لما شكى المسلمون من الجوع .

روى مسلم ، وأبو نعيم ، والبيهقي : عن جابر - رضى الله عنه - قال : سرنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة ذات الرقاع ، حتى نزلنا وادياً أفيحاً ، وذهب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقضى حاجته ، وأتبعته بإداوة من ماء ، فنظر فلم ير شيئاً يستتر به ، وإذا شجرتان بشاطئ الوادي ، فأنطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى إحداهما ، فأخذ بغصنٍ من أغصانها ، وقال : « أَنْقَادِي عَلَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَىٰ » فأنقادت منه كالبعير المَحْشُوشِ^(٢) الذي يصانع قائده ، حتى أنت الشجرة الأخرى فأخذ بغصنٍ من أغصانها وقال : « أَنْقَادِي عَلَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَىٰ » فأنقادت

(١) يواهق : أى يبارها في السير ويماشيها ، ومواهقة الإبل مد أعناقها في السير (النهاية ٤ : ٢٤٣) .

(٢) المحشوش : بخاء وشينين معجمتين . وهو الذى يودع في أنفه خشاش (شرح الشفاء للشهاب ٣ : ٥١) .

معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف^(١) فيما بينهما لأم بينهما ، يعنى جَمَعَهُمَا فقال : « التَّشْمَا عَلَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَىٰ » . فالتأمتا ، قال جابر : فخرجت أحضر مخافة أن يُحِسَّ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - بقدمي^(٢) فبیتعد فجلستُ أحدثُ نفسي ، فحانت مِنِّي لفتة ، فإذا أنا برسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - مُقْبِلٌ ، وإذا الشجرتان قد افتترقتا ، فقامت كلُّ واحدةٍ منهما على ساق ، فرأيت رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - وقفَ وقفةً فقال^(٣) برأسه : « هَكَذَا يَمِينًا وَشِمَالًا » . ثم أقبل ، فلما أنتهى إلى قال : « يَا جَابِرُ ! هل رأيت مَقَامِي ؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « فَأَنْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا وَأَقْبِلْ بِهِمَا ، حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ » . قال جابر : فقمْتُ ، فَأَخَذْتُ حَجْرًا فَكسرتُه / وحسرتُه ٢١٨ و فاندلق لى ، ثم أتيتُ الشجرتين فقطعتُ من كل واحدةٍ منهما غُصْنًا ، ثم أقبلتُ أجترهما حتى إِذَا قُمْتُ مقامَ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - أرسلتُ غُصْنًا عن يَمِينِي وَغُصْنًا عن يسارى ، ثم لحقت برسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - فقلتُ : قد فعلتُ يا رسولَ الله ، فَعَمَّ ذلك ؟ قال : إني مررت بقبرين يُعَذِّبَانِ ، فأحببت بشفاعتي أَنْ يَرَفَهُ^(٤) عنهما مادام القضيبان رطبين فأتينا العسكر ، فقالَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - يا جابر ، ناد بالوضوء ، فناديت : ألا وضوء ألا وضوء ؟ يا رسولَ الله ما وجدت فى الركب من قطرة ، وكان رَجُلٌ من الأنصار يبرد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - الماء فى أشجَابٍ له^(٥) على حِمَازَةٍ^(٦) من جريد ، فقال : « انطلق إلى فلان بن فلان الأنصارى ، فانظر هل فى أشجابه من شئ ؟ فانطلقتُ إليه فنظرت فلم أجِدْ فيها قطرة ماء إلا قطرةً فى عَزْلَاءٍ^(٧) شجب منها ، لو اتى أفرغه بشربة يابسة ؟ ، فأتيتُ

(١) المنصف : أى حل وسط المكان (المرجع السابق) .

(٢) كذا بالأصول ولعلها بقدمي

(٣) أى حركة (شرح الشفاء للشهاب ٣ : ٥١) .

(٤) يرفه : يخفف ويسترده فى شرح الغريب .

(٥) الأشجَاب : جمع شجب وهو السقاء الذى بل (شرح الغريب) .

(٦) الحمازة : أعواد تعلق عليها أسقية الماء (شرح الغريب) .

(٧) العزلاء : فم القرية الأسفل (شرح الغريب) .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته ، قال : « اذهب فأتني به ، فأتيته به ، فأخذه بيده ، فجعل يتكلم بشئ لا أدري ما هو ، ويغمزه بيده ، ثم أعطانيه ، فقال : « يا جابر ، ناد بِجَفْنَةٍ » ، فقلت : يا جفنة الراكب فأتيت بها تحمل ، فوضعت بين يديه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده هكذا ، فبسطها في الجفنة ، ففرق بين أصابعه ، ثم وضعها في قعر الجفنة ، وقال : « خذ يا جابر ، فصب عليّ » ، وقل بسم الله « فرأيت الماء يفور من بين أصابعه . ففارت الجفنة ، ودارت حتى امتلأت . فقال : « يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء » فأتى الناس فاستقوا حتى رويوا ، فقلت : هل بقي أحد له حاجة ؟ ورفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده من الجفنة ، وهى ملاءى .

وشكى الناس الجوع ، فقال : « عسى الله أن يطعمكم بسيف البحر » فأتينا سيف البحر ، فألقى دابة فأورينا على شقها النار ، فشويها ، وأكلنا وطبخنا ، وشبعنا .

قال جابر : فدخلت أنا وفلان وفلان ، حتى عد خمسة في حجاج^(٢) عيניה ، مايرانا أحد حتى خرجنا ، وأخذنا ضلعاً من أضلاعها ، فقوسناه ، ثم دعونا بأعظم رجل في الراكب وأعظم جمل فدخل تحتها ما يطاق رأسه .

نكر قصة الطائر الذي سقط على فرخه لما صاده بعض الصحابة / رضى الله عنهم

ت ٣٩٢

م ٢١٨

روى محمد بن عمر ، وأبو نعيم - رحمه الله تعالى - عن جابر - رضى الله عنه - قال : إننا لمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينتظر إليه ، فأقبل أبواه أو أحدهما حتى طرَحَ نفسه في يدي الذى أخذ فرخه ، فرأيت الناس يعجبون من ذلك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أتعجبون من هذا الطائر ؟ أخذتم فرخه ، فطرح نفسه رحمة بفرخه ، والله لرَبِّكُمْ أَرْحَمُ بِكُمْ مِنْ هَذَا الطَّائِرِ بِفَرَخِهِ » .

(١) سيف البحر : جانب البحر ، وقد تقدم بيان ذلك في غرابة الحديثية .

(٢) حجاج العين : العظم الذى فوق العين . أو العظم الذى عليه الحاجب (وانظر شرح الغريب) .

نكر منقبة لعباد بن بشر - رضى الله عنه

روى ابن إسحاق عن جابر - رضى الله عنه - ومحمد بن عمر عن شيوخه - رحمهما الله تعالى / أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصاب في نخل المشركين في هذه الغزوة ٢١٨ ط امرأة ، وكان زوجها غائباً ، فلما أتى أخبر الخبر ، وقفل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحلف زوجها لا ينتهى حتى يهريق في أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - دماً^(١) ، فخرج يتبع أثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - منزلاً ليلة ذات ريح في شغب أستقبله . فقال : « مَنْ رَجُلٌ يَكْلَأُنَا » ؟ فقام عبّاد بن بشر ، وعمار بن ياسر - رضى الله عنهما - فقالا : نحن يا رسول الله نكلؤك ، وجعلت الريح لا تسكن ، وجلس الرجلان على فم الشَّعب ، فقال أحدهما لصاحبه : أى الليل أحب إليك أن أكفيك أوله ، وتكفينى آخره ؟ قال : أكفى أوله ، فنام عمار بن ياسر ، وقام عبّاد يُصَلِّي ، فأقبل زَوْجُ المرأة يَطْلُبُ غِرَّةً ، وقد سكنت الريح ، فلما رأى سواد عبّاد من قريب قال : يعلم الله أن هذا ربيثة^(٢) القوم ، ففوق سهماً فوضعه فيه ، فانتزعه عبّاد ، فرماه بآخر فوضعه فيه ، فانتزعه ، فرماه بآخر فانتزعه ، فلما غلبه الدَّم رَكَعَ وَسَجَدَ ، ثم قال لصاحبه : إجلس فقد أتيت ، فجلس عمار ، فلما رأى الأعرابي عماراً قد قَامَ عَلِمَ أنه قد تذرا به^(٣) ، فهرب ، فقال عمار : أى أخى ، ما منعك أن تُوقِظنى في أولِ سهم رَمَى به ؟ قال : كنتُ في سورة أقرأها وهى سورة الكهف ، فكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها ، ولولا أنى خشيت أن أَضَيِّعَ ثغراً أمرنى به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ما أنصرفت ، ولو أتى على نَفْسِي .

(١) وفي المغازى للواقدي ١ : ٣٩٧ « حلف زوجها ليطلبن محمداً ولا يرجع إلى قومه حتى يصيب محمداً أو يهريق فيهم دماً أو تتخلص صاحبه »

(٢) الربيثة : حارس القوم (هامش المغازى للواقدي ١ : ٣٩٧) .

(٣) تذرا به : أى علما به (سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢٠٩ هامش) .

ويقالُ إن المَرِيَّ عمار ، قال محمد بن عمر : وأثبتُّها عندنا عباد بن بشر^(١) - رضى الله عنه .

وروى ابن إسحاق عن جابر - رضى الله عنه - أن رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - لَمَّا قَدِمَ صراراً نزل به ، وأمر بذبج جزور ، وأقام عليها والمسلمون يومهم ذلك ، فلما أمسى رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - دخل المدينة ودخلنا معه .

تَنْبِيْهَاتٌ

الاول : اختلف^(٢) في تسمية هذه الغزوة بذات الرِّقَاع - بكسر أوله ، ف قيل : هي اسم شجرة سميت الغزوة بها ، وقيل : لأن أقدامهم نَقِبَتْ فلقوا عليها الخِرْق كما في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري ، وقيل : بل سُمِّيَتْ بِرِقَاعٍ كانت في أَلْوِيَتِهِمْ . قال في تهذيب المطالع : والأصح أنه مَوْضِعٌ ، لقوله : حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرِّقَاعِ . وكانت الأرض التي نَزَلُوهَا ذات ألوان^(٣) تُشَبِّه الرِّقَاع ، وقيل : لِأَن خَيْلَهُمْ كان بها سواد وبياض .

قال محمد بن عمر الأسلمي : سميت بجبلٍ هناك فيه بقع ، ورجَّح السُّهَيْلِيُّ ، ٢١٩ ر والنَّوَوِيُّ / السَّبَبَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ .

قال النووي - رحمه الله تعالى - ويحتملُ أنها سُمِّيَتْ بالمجموع ، وبه جزم صاحب تهذيب المطالع . في التقريب .

الثاني : اختلف متى كانت هذه الغزوة فقال البخاري ومن تبعه : أنها كانت بعد خيبر ، لأن أبا موسى الأشعري جاء من الحبشة سنة سبع بعد خيبر ، كما في الصحيح في باب غزوة خيبر . وتقدَّم ذكره هناك . وصح أيضاً كما في الصحيح أنه شهد ذات

(١) في المغازي للواقدي ١ : ٣٩٧ « ويقال الأنصارى عمارة بن حزم ، قال ابن واقد : وأثبتهما عندنا عمار بن ياسر » .

(٢) وانظر الاختلاف حول سبب التسمية في شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٨٨ .

(٣) كذا في الأصول . وفي شرح المواهب ٢ : ٨٨ « ذات بقع سود وبقع بيض » .

الرِّقَاع ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَزِمَ أَنَّ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ بَعْدَ خَيْبَرَ ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي غَزْوَةِ نَجْدٍ صَلَاةَ الْخَوْفِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالطَّحَاوِيُّ ، وَابْنُ حِبَّانَ مَوْصُولًا .

قَالَ الْبُخَارِيُّ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ : إِنَّمَا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيَّامَ خَيْبَرَ أَيْ فَدَلَ عَلَى أَنَّ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ بَعْدَ خَيْبَرَ ، وَتَعَقَّبَ بِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الْغَزْوَةِ كَانَتْ فِي جِهَةِ نَجْدٍ ، أَيْ لَا تَتَعَدَّدُ ، فَإِنْ نَجَدًا وَقَعَ الْقَصْدُ إِلَى جِهَتِهَا فِي عِدَّةِ غَزَوَاتٍ . وَذَكَرْتُ فِي بَابِ صَلَاتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاةَ الْخَوْفِ مَا يُغْنِي عَنْ إِعَادَتِهِ ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَبُو هُرَيْرَةَ حَضَرَ الَّتِي بَعْدَ خَيْبَرَ ، لَا الَّتِي قَبْلَهَا ، وَالْجَوَابُ أَنَّ غَزْوَةَ نَجْدٍ إِذَا أُطْلِقَتْ فَالْمُرَادُ بِهَا غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ .

وَكَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، ذَكَرَ أَنَّهُ - صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاةَ الْخَوْفِ بِنَجْدٍ ، وَتَقَدَّمَ أَنَّ أَوَّلَ مَشَاهِدِهِ الْخَنْدَقَ ، فَتَكُونُ ذَاتُ الرِّقَاعِ بَعْدَ الْخَنْدَقِ .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاةَ الْخَوْفِ فِي غَزْوَةِ السَّابِغَةِ ، غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ . قَالَ الْحَافِظُ : قَوْلُهُ فِي غَزْوَةِ السَّابِغَةِ ، مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ عَلَى رَأْيٍ ، أَوْ فِيهِ حَذْفُ تَقْدِيرِهِ : غَزْوَةُ السَّفَرَةِ السَّابِغَةِ .

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ وَغَيْرُهُ : تَقْدِيرُهُ غَزْوَةُ السَّنَةِ السَّابِغَةِ ، أَيْ مِنَ الْمُهْجَرَةِ ، وَفِي هَذَا التَّقْدِيرِ نَظَرٌ ، إِذْ لَوْ كَانَ مُرَادًا لَكَانَ هَذَا نَصًّا فِي أَنَّ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ تَأَخَّرَتْ بَعْدَ خَيْبَرَ ، نَعَمْ التَّنْصِيصُ بِأَنَّهَا سَابِعُ غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَأْيِيدًا لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْبُخَارِيُّ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ خَيْبَرَ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الْمُرَادُ الْغَزَوَاتِ الَّتِي خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهَا بِنَفْسِهِ مَطْلَقًا ، سِوَاءِ قَاتِلٍ أَوْ لَمْ يُقَاتِلْ ، فَإِنَّ السَّابِغَةَ مِنْهَا تَقَعُ قَبْلَ أُحُدٍ ، وَلَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ إِلَى أَنَّ ذَاتَ الرِّقَاعِ قَبْلَ أُحُدٍ إِلَّا مَا سَيَأْتِي مِنْ تَرَدُّدِ ابْنِ عُقْبَةَ ، وَفِيهِ نَظَرٌ ؛ لِأَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ صَلَاةَ الْخَوْفِ مُتَأَخِّرَةٌ عَنْ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ يَكُونُ ذَاتُ الرِّقَاعِ بَعْدَ قُرَيْظَةَ ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ

الغزوات التي وقع فيها القتال . والأولى منها بدر ، والثانية أُحُدُ ، والثالثة الخندق ، والرابعة قُرَيْظَةَ ، والخامسة المُرَيْسِيعُ ، والسادسة خَيْبَرُ ، فيلزم من هذا أن تكون ذاتُ الرقاع بعد خيبر لِتُنْصِصَ على أنها السابعة ، فالمراد تاريخ الواقعة لا عدد المغازي ، وهذه ٢١٩ ط العبارات / أقرب مما وقع عند الإمام^(١) أحمد بلفظ كانت صلاةُ الخوف في السابعة ، فإنه يصح أن يكون التقدير في الغزوة السابعة ، كما يصح في غزوة السنة السابعة ، قلت : لا مزيد على هذا التحقيق البليغ ، فرحم الله الحافظ وجزاه خيراً .

وجزم أبو معشر : بأنها كانت بعد بني قريظة ، وهو موافق لما ذهب إليه البخاري ، قال في الزهر^(٢) - وأبو معشر^(٣) من المعتمدين في المغازي .

وقال ابن القيم بعد أن ذكر الخلاف في تاريخها : الصوابُ تحويلُ غزوة ذاتِ الرِّقَاعِ من هذا الموضع ، يعني كونه ذكرها بعد غزوة بني النضير ، وقبل غزوة بَدْرَ الموعد إلى بعد الخندق ، بل بعد خيبر .

قال : وإنما ذكرته ههنا تقليداً لأهل المغازي والسير ، ثم تبين لنا وهمهم

الثالث : قال ابن عُقْبَةَ : لا ندرى هل كانت ذات الرقاع قبل بدر أو بعدها ، أو قبل أُحُدٍ أو بعدها . قال الحافظ : وهذا التردد لا حاصل له ، بل الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بَنِي قُرَيْظَةَ ، لأن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت ، وحديث وقوع صلاة الخوف في غزوة ذاتِ الرِّقَاعِ يدلُّ على تأخرها بعد الخندق .

الرابع : قال أبو الفتح - رحمه الله تعالى - جعل البخاري حديث أبي موسى حجة في أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر ، وليس في خبر أبي موسى ما يدل على شيء من ذلك . قال الحافظ - رحمه الله تعالى - وهذا النفي مردود ، والدلالة من ذلك واضحة كما تقدم تقريره .

(١) إضافة على الأصول .

(٢) أي قال مغلطاً في الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم (مخطوط) .

(٣) هو نجيح بن عبد الرحمن السندي الهاشمي - مولاهم - أبو معشر المدني . توفي سنة ١٧٠ هـ (الخلاصة للفرجى ٣٤٨) .

وقال الإمام علاء الدين الخازن - رحمه الله تعالى - وهذا الذى ذكره البخارى ظاهر
الوضوح لأن سياق الأحاديث يدل على ما قاله .

الخامس : ادعى الحافظ الدمياطى غلط الحديث الصحيح^(١) ، فإن جميع أهل السير
على خلافه ، والجواب أن الاعتماد على ما فى الحديث أولى ، لأن أصحاب المغازى مختلفون
فى زمانها ، فعند ابن إسحاق ، أنها بعد بنى النضير ، وقبْل الخندق فى سنة أربع .

وعند ابن سعد ، وابن حبان : أنها كانت فى المُحَرَّم سنة خمس . وجزم أبو معشر
بأنها كانت بعد بنى قريظة والخندق ، وجزم ابن عُقْبَةَ بتقديمها ، لكن تردّد فى وقتها
كما تقدم . وأيضاً فقد ازداد حديث أبى موسى قوة بحديث أبى هريرة ، وبحديث
ابن عمر كما تقدّم تقريره .

السادس : قيل : إن الغزوة التى شهدها أبو موسى ، وسُمِّيَتْ ذات الرقاع غير
غزوة ذات الرقاع التى وقعت فيها صلاةُ الخوف ، لأن أبا موسى قال فى روايته : أنهم
كانوا ستة أنفُس ، والغزوة التى وقعت فيها صلاةُ الخوف . كان المسلمون فيها أضعاف
ذلك ، والجواب عن ذلك أن العدد الذى ذكره أبو موسى محمولٌ على مَنْ كان مُرافقاً
له من أَلزامه ، لا أَنَّهُ أراد مَنْ كان مع النبي - صلى الله عليه وسلم .

السابع : وقع فى الصحيح « باب غزوة ذات الرقاع » وهى غزوة مُحَارِبٍ^(٢) [بن] ٢٢٠ و
خَصْفَةَ من بنى ثعلبة بن غطفان . قال الحافظ - رحمه الله تعالى - وهو يقتضى أن ثعلبة
جَدُّ لمحارب ، وليس كذلك ، ووقع عند القابسى : خصفه بن ثعلبة ، وهو أشد فى
الوهم . والصواب ما وقع عند ابن إسحاق وغيره ، وبني ثعلبة بواو العطف ، فإن ثعلبة
ابن سعد بن دُبَيَّان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وغطفان بن سعد بن قيس عيلان ،
ومحارب بن خصفه بن قيس عيلان ، فمحارب وغطفان ابنا عم !! فكيف يكون الأعلى
منسوباً إلى الأدنى ؟!

(١) يعنى حديث أبى موسى الأشعرى (شرح المواهب ٢ : ٨٨) .

(٢) سقط فى الأصول . والإثبات عن شرح المواهب ٢ : ٨٦ .

وفي الصحيح في حديث جابر بلفظ محارب وثعلبة بواو العطف على الصحيح ،
وفي قوله ثعلبة من غطفان بيم فنون نظر أيضاً كما يُعلم مما تقدم ، وقد يكون نسبته
لجده الأعلى . وفي الصحيح من رواية بكر بن سَوَّادَ يوم محارب وثعلبة ، فغاير بينهما
ومُحَارِبَ بضم الميم ، وبالحاء المهملة والموحدة ، ونخسفة بفتح الخاء المعجمة ، والصاد
المهملة ، ثم فاء ، أُضيف إليه محارب للتمييز عن غيره من المحاربين ، فإن في مضر
محارب بن فهر ، وفي المغتربين محارب بن صباح ، وفي عبد القيس محارب بن عمرو .

الثامن : غَوَرَتْ : وزن جعفر ، وقيل بضم أوله ؛ وهو بغين معجمة وواو وثاء
مثلثة ، مأخوذ من الغَرث وهو الجوع ، ووقع عند الخطيب بالكاف بدل المثلثة . وحكى
الخطَّابِي فيه غُوِيْرَتْ بالتصغير . وحكى القاضي عن بعض رواة الصحيح : من المعارضة
بالعين المهملة . قال القاضي : وصوابه بالمعجمة

وذكر غويرث هذا الذهبيُّ في التجريد من جملة الصحابة ، ولفظ غورث بن الحرث
الذي قال : من يمنحك مني ؟ قال : الله تعالى - فوقع السيف من يده ، قاله البخاري
من حديث جابر . ا. ١ .

وتعقبه الحافظ بأنه ليس في شيء من طرق أحاديثه في الصحيح تعرّض لإسلامه ، ثم
أورد الطُّرُق . ثم قال : رويناه في المسند الكبير عن مسدّد الخزرجي وفيه ما يصرح
بعدم إسلامه ، ولفظه بعد أن ذكر وقوع السيف من يده ، وقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - من يمنحك مني؟ قال : كن خير آخذ . قال : لا إلا أن تُسلم . قال : لا ولكن أعاهدك
ألا أقاتلك ، ولا أكون مع قومٍ يُقاتلونك . فخلّى سبيله ، فجاء إلى قومه وقال : جئكم
من عند خير الناس ، وكذا رواه الإمام أحمد ، ونقله الثَّعْلَبِيُّ عن الكلْبِيِّ عن أبي صالح
عن ابن عباس ، ثم قال الحافظ : هذه الطرق ليس فيها أنه أسلم ، وكان الذهبي لما رأى
في ترجمة دُعُثُور بن الحرث أن الواقدي ذكر له شبيها لهذه القصة ، وأنه ذكر أنه
أسلم ، فجمع بين الروايتين ، فأثبت إسلام غَوَرَتْ . فإن كان كذلك ففيما صنعه نظر
من حيث إنه عزاه للبخاري ، وليس فيه أنه أسلم من حيث إنه يلزمه الجزمُ بكون

القصتين واحدة ، ومع احتمال كونهما واقعتين إن كان الواقدي أتقن ما نقل . وفي الجملة فهو على الاحتمال . قلت : سبق الذهبي في نقل إسلام غورث عن البخاري الأمير أبو نصر / ٢٢٠ ط ابن مأكولاً في الإكمال . وجزم به الذهبي في مشبه النسبة ، وأقره الحافظ في التبصرة على ذلك ولم يتعقبه . والذهبي لم يغير ذلك للصحيح حتى يرد عليه بما قاله الحافظ . والظاهر أن البخاري ذكر ذلك في أحد تواريخه / فتراجع ، ولم أقف الآن فيها إلا على رُبْع التاريخ الكبير ولم يصل إلى حرف الغين المعجمة . ولم أرَ مَنْ حرَّرَ هذا الموضع . ويحتمل إن صح إسلامه أن يكون أسلم في غير هذا اليوم ووقع للحافظ في الفتح في إسلام غورث كلام غير محرر يأتي الكلام عليه في الحادي عشر .

التاسع : قول غورث للنبي - صلى الله عليه وسلم - من يمنعك مني على سبيل الاستفهام الإنكاري ، أى لا يمنعك مني أحدٌ لأن الأعرابي كان قائماً بالسيف على رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والسيف في يد الأعرابي والنبي - صلى الله عليه وسلم - جالس لا سيف معه ، ويؤخذ من مراجعة الأعرابي في الكلام أن الله - سبحانه وتعالى - منع نبيه منه ، وإلا فما الذي أحوجه إلى مراجعته وتكرارها ثلاث مرات كما عند البخاري في الجهاد ، مع احتياج غورث إلى الحُظوة عند قومه بقتله ، وفي قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في جوابه : « الله يَمْنَعُنِي مِنْكَ » إشارة إلى ذلك ، ولذلك أعاده الأعرابي فلم يزد على ذلك الجواب غاية الثبات للنبي - صلى الله عليه وسلم - وعدم مُبالاته به أصلاً .

العاشر : في رواية يحيى بن أبي كثير : فتهدده أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال الحافظ - رحمه الله تعالى - فظاهرها مُشعرٌ بأنهم حضروا القصة وأنه إنما رجع عما كان عزم عليه بالتهديد ، وليس كذلك ، بل وقع في رواية إبراهيم بن سعد في الجهاد بعد قوله : قلتُ الله !! فشام السيف أى أغمدته ، وكان الأعرابي لما شاهد ذلك الثبات العظيم وعرف أنه حيلَ بينه وبينه ، تحقق صدقه ، وعلم أنه لا يصل إليه ألقى السلاح ، وأمكن من نفسه .

الحادي عشر : في حديث جابر فإذا هو جالس ، ووقع في رواية ابن إسحاق بعد قوله : « قَالَ الله » فدفع جبريلُ في صدره ، فوقع السيفُ من يده فأخذه النبي - صلى الله عليه وسلم -

الله عليه وسلم - فقال : من يمنعك أنت مني ؟ قال : لا أحد ، قال : قم فاذهب لشأنك ، فلما ولى قال : أنت خير مني .

ويجمع بين ما في الصحيح وبين ما ذكره ابن إسحاق من قوله : « فاذهب » أنه بعد ما أخبر أصحابه بقصته ، ولشدة رغبته - صلى الله عليه وسلم - في أئتلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام ، لم يؤاخذوه وعفا عنه . قال الحافظ : وقد ذكر الواقدي في نحو هذه القصة أنه أسلم ، وأنه رجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير ، ووقع في رواية ابن إسحاق - التي أشرت إليها - ثم أسلم .. بعد .

قلت : وعلى الحافظ في هذا الكلام مؤاخذات .

الأولى : قوله « ووقع » في رواية ابن إسحاق بعد قوله « فدفع جبريل في صدره » ٢٢١ و صوابه : وقع عند / الواقدي ، لابن إسحاق ، فإن ابن إسحاق لم يذكر ذلك أصلاً .

الثانية : أن الواقدي ، إنما ذكر ذلك في غزوة غطفان التي تعرف بنذى أمر لا في ذات الرقاع ، وسمى الرجل دعثورا .

الثالثة قوله : وذكر الواقدي في نحو هذه القصة إلخ . قد يؤهم أن الرجل غورث ، وليس كذلك ، بل هو دعثور .

الرابعة قوله : ووقع في رواية ابن إسحاق التي أشرت إليها أنه أسلم ليس في كلام ابن إسحاق أنه أسلم بلا ريب ، ومن راجع كلام ابن إسحاق ، والواقدي في مغازيهما تبين له صحة ما قلته . والله - تعالى - أعلم .

الثاني عشر : قول ابن إسحاق : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استعمل على المدينة في غزوة ذات الرقاع أبا ذر ، لا يستقيم على مذهبه أن ذات الرقاع قبل الخندق ، فإن أبا ذر أسلم قديماً ، ورجع إلى بلاده ، فلم يجرئ إلا بعد الخندق ، كما ذكره محمد ابن عمر .

الثالث عشر : وقع في الوسيط للإمام حجة الإسلام الغزالي - رحمه الله تعالى - أن غزوة ذات الرقاع آخر الغزوات . قال الحافظ : وهو غلط واضح . وقد بالغ ابن الصلاح في إنكاره ، وقال بعض من انتصر للغزالي : لعله أراد آخر غزوة صَلَّيْتُ فيها صلاةُ الخوف ، وهو انتصار مردود أيضاً ، لما رواه أبو داود ، والنسائي . وصححه ابن حبان من حديث أبي بكر أنه - صَلَّى مع رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - صلاةَ الخوف ، وإنما أسلم أبو بكر في غزوة الطائف بالاتفاق . وذلك بعد غزوة ذاتِ الرِّقاع قطعاً .

الرابع عشر : جمهور أهل المغازي على أن غزوة ذات الرقاع هي غزوة مُحَارِب ، كما جزم به ابن إسحاق .

وعند محمد بن عمر ، أنها ثُنتان وتبعه القطب في المورد .

الخامس عشر : قول ابن سعد أن صلاةَ الخوف أول ما صَلَّيْتُ « بذات الرقاع » محمول على ما ذكره هو وغيره من تقدمها على غزوة الحُدَيْبِيَّة ، أما على تأخير ذات الرقاع عن خيبر فتكون أول ما صَلَّيْتُ صلاةَ الخوف في عُسْفَانَ .

السادس عشر : في بيان غريب ما سبق .

الْجَلَب - بفتح الجيم واللام ، وبالموحدة : ما يجلب من بلد إلى بلد للبيع .
بنو أنمار ... بفتح الهمة .

بغِيض - بموحدة ، فغين ، فصاد ، معجمتين بينهما تحتية .

هادين : غافلين عن أمرهم .

المُضِيقُ - بفتح الميم ، وكسر الضاد المعجمة ، ومثناة تحتية وقاف : قرية .

أَفْضَى إلى كذا : وصل إليه .

الشُّقْرَة - بضم الشين المعجمة ، وسكون القاف : اسم موضع على يمين من المدينة .

أتى نخلا - بالخاء المعجمة بلفظ اسم جنس النخلة : موضع على يمين من المدينة أيضاً .

وَضِيئَةٌ -- بالضاد المعجمة : أى حسنة .

غارون : غافلون .

يستأصلهم : يهلكهم جميعا .

حانت الصلاة : دنا وقتها .

* * *

شرح غريب نكر حديث جابر في قصة غورث

قوله - قفل : رجع .

الْعِضَاه - بكسر العين المهملة ، وبالضاد المعجمة ، وبالهاء ، : شجر أم غيلان ، وكل

٢٢١ ط شجر عظيم له شوك . /

اخترط السَّيْفَ : سلَّه من غمده .

صَلْنَا - بفتح الصاد المهملة ، وسكون اللام ، وبالفوقية : أى مجردا من غمده .

شَامَ السَّيْفَ - هنا - أدخله فى غمده .

فتك به : أتاها ليقتله .

وهو غار : غافل .

فى حَرَّة - بفتح الحاء وكسرهما . الحرَّة : أرض ذات حجارة سود كأنها أُحرقت
بالنار والجمع [حرار^(١)] ككلاب .

وأقم - بالواو ، والقاف ، والميم ، وزن آطُم ، من آظام المدينة ، تنسب إليه حرة
وأقم .

بيضات أَدَاحَى - بالدال ، والحاء المهملتين جمع أَدْحَى بضم الهززة ، وهو الموضع
الذى تبيض فيه النعامة وتفرخ .

(١) إضافة يقتضيا السياق .

المَفْحَص - بفتح الميم ، وسكون الفاء ، وفتح الحاء ، وبالصاد المهملتين : اسم
الموضع الذى يَحْفِرُهُ الطائر ليبيض فيه .

العيبة - بفتح العين المهملة ، وسكون التحتية ، وبالموحدة : ما تجعل فيه الثياب .

اليمامة : مدينة على يومين من الطائف ، وأربعة من مكة .

يرفل - بسكون الراء ، وبالفاء : يمشى مشى المُخْتَال .

يستعدينى : يطلب منى نصره .

مقنعا - بالقاف ، والنون ، والعين المهملة : أى ذليلا .

الناضح : الذى يُسْقَى عليه ، ثم أَسْتَعْمَل فى كل بعيرٍ

الْقَعْبُ - بقاف مفتوحة ، فعين مهملة : قدح من خشب .

يُواهِق - بتحتية مضمومة ، فواو ، فهاء مكسورة ، فقاف : أى يُبَارَى ناقة النبی

- صَلَّى الله عليه وسلّم - فى السير ويماشيها .

شرح غريب حديث جابر الطويل

قوله : وادٍ أَفِيح : واسع .

الإداوة - بالكسر : المطهرة .

شاطئ الوادى : جانبه .

الغُضْن - بضم الغين المعجمة .

البعير المُخَشَّوش - بالخاء والشين المعجمتين هو الذى يُجْعَل فى أنفه الخِشَاش .

بكسر الخاء : وهو عود يجعل فى أنف البعير يشدّ به الزمام ليكون أسرع فى انقياده .

وانقاد فلان للأمر : أعطى القياد إذا أذعن طوعا أو كرها .

التَّامَنَّا عليه : انطبقتا عليه وسترناه .

أَخْضِرَ - بضم الهمزة ، وإسكان الحاء ، وكسر الضاد المعجمة : أى أعدو وأسعى
سعيًا شديدًا .

دانت - بالنون ، وروى باللام : أى وقعت واتفقت .

لفتة : نظرة .

حسرتة - بحاء وسين مهملتين : حددته ونحيت عنه ما يمنع جدته بحيث صار
مما يمكن القطع به .

انذلق - بزال معجمة ، أى صار حادًا .

أَمَمْتُ^(١) الشئ : قصدته .

أَجَرَهُمَا : أَجَرُهُمَا .

فَعَمَ ذاك - أدغمت النون في ما الاستفهامية ، وحذفت ألفها لدخول الجار .

يَرْفَهُ عَنْهُمَا - بفتح التحتية ، وسكون الراء ، وفتح الفاء وبالهاء : يخفف .

الأشْجَاب - جمع شجب : وهو السَّقاء الذى خلق وبلى ، وصار سيئًا .

الْجِمَازَة - بكسر الحاء ، وتخفيف الميم والزاي : وهى أعواد يعلق عليها أسقية
الماء .

القطرة : الشئ اليسير .

الْعَزْلَاء - بفتح العين المهملة وسكون الزاي ، وبالد : وهى فم القربة الأسفل .

شربة يابسة : أى قليل جداً ، فلقلته مع شدة يُبْس باقى الشجب يذهب ما فيه .

يغمره : يعصره .

٢٢٢ و الْجَفَنَة - بفتح الجيم : إناء كالقضة ، والجمع الْجَفَان بالكسر / والجفنان بالتحريك

(١) أمت ، كذا هنا . وفى سياق المتن « أتيت » .

ونادِ يا جَفَنَةَ الركب : أى التى تشبعهم أو ياصاحب جفنتهم فحذف المضاف ،
أى من كان عنده جفنة تشبعهم فليحضرها .

سيف البحر - بكسر السين المهملة ، وإسكان التحتية : جانبه .

حَجَاجَ عَيْنِهَا - بفتح الحاء المهملة ، وكسرهما ، وبجيمين : العظم المستدير ، وقال
ثابت : الحجاجان ؛ العظامان المشرفان على العينين ، وفى المخصص : الحجاج العظم الذى
عليه الحاجب .

الكِفْلُ^(١) - بكسر الكاف ، وسكون الفاء : وهو هنا - الكساء الذى يدار حول
سنام البعير ثم يركب .

شرح غريب ذكر منقبة عباد بن بشر - رضى الله عنه

يُهْرِيقُ - بضم التحتية ، وفتح الهاء ، وكسر الراء : يصب ويسيل .
يَكْلُونَا : يحفظنا ويحرسنا .

الشَّعْبُ - بالكسر : الطريق فى الجبل .

الرَّبِيبَةُ - بفتح الراء المشددة ، والموحدة المكسورة ، وبالهزمة ، والمفتوحة :
طليلةُ الْقَوْمِ وَعَيْنُهُمْ ؛ الذى يكشف لهم الخبر .

الثغر - بالثاء المثناة ، والغين المعجمة : ما يلى دار العدو .

صرار - بصاد ورائين مهملتين : اسم أطم بالمدينة شرقيها^(٢) .

(١) لم يرد هذا اللفظ فى سياق المتن .

(٢) وقيل صرار : برّ قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق . وقيل موضع على ثلاثة أميال من المدينة
وقيل هو اسم جبل . وانظر وفاء الوفا ٤ : ١٢٥١ ، ١٢٥٢ .

الباب السادس والعشرون

في عمرة القضاء^(١)

لما دخلَ هلالُ ذِي القعدة سنة سَبْعَ ، وهو الشهر الذي صَدَّه فيه المشركون عن البيت ، وأنزل الله تبارك وتعالى : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ)^(٢) الآية . أمر رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - أصحابه أَنْ يتجهزوا للعمرة ، ولا يتخلف أحدٌ من شهد الحديبية ، فلم يتخلف أحدٌ شهدها ، إِلَّا رجالٌ أَسْتَشْهَدُوا بخيبر ، ورجال ماتوا ، فقال رجالٌ مِنْ حَاضِرِي المدينة مِنْ العرب : يا رسولَ الله ، والله مالنا زاد ، وما لنا أَحَدٌ يُطْعِمُنَا ، فَأمر رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - المسلمين أَنْ ينفقوا في سبيلِ الله - تعالى ، وَأَنْ يَتَصَلَّقُوا ، وَأَلَّا يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فيهلكوا ، فقالوا : يا رسولَ الله ، بِمَ نَتَصَدَّقُ وَأَحْدُنَا لَا يَجِدُ شَيْئاً ؟ فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - : « بَمَا كَانَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

وروى وكيع وابن عُيَيْنَةَ وابن سعيد^(٣) ، ومنصور^(٤) ، وعبد بن حميد ، والبخاري ، والبيهقي في سننه عن حذيفة ، ووكيع ، وعبد بن حميد ، والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله - تعالى عنهم - وابن جرير عن عكرمة ، ووكيع عن مجاهد - رحمهما الله - تعالى - قالوا في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾^(٥)

(١) وانظر في هذه العمرة شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٣٧٠ ، وسيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣٧٠ ، والسيرة الحلبية

٣ : ٧١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٢٨ ، والمغازي للواقدي ٢ : ٧٣١ .

(٢) سورة البقرة آية ١٩٤

(٣) هو عبد الله بن سعيد بن جبير ، الخلاصة للجزرجي ١٩٩ سنة ١٣٤٩ هـ

(٤) هو منصور بن المعتمد السلمي أبو عتاب الكوفي المتوفى سنة ١٣٢ هـ (الخلاصة للجزرجي ٣٨٨ ، المغازي للواقدي

٢ : ٧٣٢) .

(٥) سورة البقرة آية ١٩٥ .

إن التهلكة تركُ النفقة في سبيل الله ، ليس التهلكةُ أن يُقتل الرجل في سبيل الله ، ولكن الإمساك في سبيل الله ، أنفق ولو مشقَّصاً .

قال محمد بن عمر ، وابن سعد : وأستعمل رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - على المدينة أبا رُهم - بضم الراء ، وسكون الهاء - الْغِفَارِيَّ - رضى الله عنه - وقال ابن هشام : وأستعمل عُوفٍ - بالواو والفاء ، تصغير عوف ، ويقال فيه عويث / - بتحتية ط ٢٢٢ فمثلة ابن الْأَضْبَطُ - بضادٍ معجمة ، فموحدة ، فطاء مهمل - رضى الله تعالى عنه - وقال الْبَلَاذُرِيُّ : أستعمل أبا ذرٍّ . ويقال : عويف بن الْأَضْبَطُ والله أعلم .

* * *

نكر ماساقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الهدى وتقنيته السلاح والخيال أمامه

روى محمد بن عمر عن عبد الله بن دينار - رحمه الله تعالى - قال : جعل رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ناجية بن جندب الأسلمي على هديه ، يسيرُ به أمامه ، يطلب الرعى في الشجر ، معه أربعة فتيانٍ من أسلم ، زاد غيره : وأبو هريرة .

وروى محمد بن عمر عن محمد بن إبراهيم بن الحرث قال : ساق رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - في القضية ستين بدنة وروى أيضاً عن شعبة مولى^(١) بن عباس - رضى الله عنهما - قال : قَلَدَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - هديه بيده .

ورَوَى أيضاً عن عاصم بن عمر عن قتادة - رحمه الله تعالى - قال : حمل رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - السلاح ، والبيض ، والدروع ، والرماح وقاد مائة فرس عليها محمد بن مَسْلَمَةَ ، فلما أنتهى إلى ذى الْحُلَيْفَةِ قَدَّمَ الخيل أمامه ، وأستعمل على السلاح بشير بن سعد ، بالموحدة والشين المعجمة ، وزان أمير ، فليل يا رسول الله : حملتُ السِّلَاحَ وقد شرطوا أن لا ندخلها عليهم بسلاحٍ إِلَّا سلاحَ المسافرِ ، السيوف في الْقُرْبِ ! فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - « إِنَّا لَا نُدْخِلُهُ عَلَيْهِمُ الْحَرَمَ ، وَلَكِنْ يَكُونُ قَرِيباً مِنَّا ، فَإِنْ هَاجَنَا هَيْجٌ مِنَ الْقَوْمِ كَانَ السِّلَاحُ مِنَّا قَرِيباً .

(١) الإضافة عن المغازى للواقدي ٢ : ٧٣٣ .

فمضى بالخيـل محمد بن مسلمة - رضى الله عنه - إلى مَرِّ الظهران^(١) ، فوجد بها نفرأ من قريش فسألوه فقال : هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُصَبِّح هذا المنزل غدا إن شاء الله - تعالى - ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعاً ، حتَّى أتوا قريشاً ، فأخبروهم بالذى رأوه من الخيل والسلاح ، ففزعت قريش ، وقالوا والله ما أحدثنا حدثاً ، وإنَّا على كتابنا ، ومُدَّتْنا ، ففيمَ يَغْزُونَا محمدٌ فى أصحابه . قال ابنُ عقبة - رحمه الله تعالى - : بعث رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - جعفر ابن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحرث يخطبها عليه ، قلت : وسيأتى بيان ذلك فى ترجمتها .

* * *

نكر خروجه - صلى الله عليه وسلم - من المدينة وإحرامه

روى محمد بن عمر - رحمه الله - تعالى - عن جابر - رضى الله عنه - قال : أحرم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - من باب المسجد ، لأنَّه سلك طريق الفُرْع^(٢) ، ولولا ذلك لأهلَّ من البيداء . قالوا : وسار رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يلبي ٢٢٣ والمسلمون معه يُلبُّون ، حتَّى انتهى إلى / مَرِّ الظَّهران ، وقدم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بطن يأجج حيث نظر إلى أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مكرز - بكسر الميم ، وسكون الكاف ، وكسر الراء ، وبالزاي - بن حفص فى نفرٍ من قريش حتَّى لقوه ببطن يأجج ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فى أصحابه ، والهدى والسلاحُ قد تلاحق ، فقالوا له : والله يا محمد ما عُرِفَتْ صغيراً ولا كبيراً - بالثَّغَر ، تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك ، وقد شَرَطْتَ لهم ألاَّ تَدْخُلَ إلَّاَّ بسلاح المسافر ، السيوف فى القُرْب !! فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - « إِنِّى لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِمْ بِسِلَاحٍ . » فقال مكرز : هو الذى تُعَرِّفُ به ، البرِّ والوفاء ، ثم رجع مكرز سريعاً إلى مكة بأصحابه ، فقال : إن محمداً لا يدخلُ بسلاحٍ ، وهو على الشرط الذى شرط لكم .

(١) مر الظهران : واد قرب مكة يضاف إليه مر ، وهى قرية (شرح المواهب ٢ : ٢٥٤) .

(٢) الفرع : بضم الفاء وسكون الراء أو بضمهما (شرح المواهب ٢ : ٢٥٤) وقد سبق أن ضبطه المصنف بضم

الفاء والراء .

روى الإمام أحمد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : لما نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرَّ الظُّهْرَانِ في عمرته ، بلغ أصحابه أن قُرَيْشًا تقول ما يَتَّبَعُثُونَ من العَجَف^(١) ، فقال أصحابه : لو أَنْتَحَرْنَا مِنْ ظَهْرِنَا فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَحَسَوْنَا مِنْ مِرْقِهِ ، أَصْبَحْنَا غَدًا حِينَ نَدْخُلُ عَلَى الْقَوْمِ وَبِنَا جَمَامَةً^(٢) ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لَا تَفْعَلُوا ، ولكن أجمعوا إلى من أزوَادِكُمْ » ، فَجَمَعُوا لَهُ ، وَبَسَطُوا الْأَنْطَاعَ فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوْا ، وَحَشَا كُلُّ وَاحِدٍ فِي جِرَابِهِ .

* * *

نكر دخول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة صبيحةً الرابع من ذى الحجة ، ولَمَّا جَاءَ مِكْرَزُ قُرَيْشًا بخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استنكف رجالٌ من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غيظاً وحنقاً ، ونفاسةً ، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالهدى أمامه حتى حُيِسَ بِذِي طُوى ، ودخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على راحلته القصواء وأصحابه محدقون به ، قد توشَّحُوا السيوفَ يُلَبُّونَ ، فلما آتتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ذِي طُوى وقف على راحلته والمسلمون حَوْلَهُ ، ثم دخل من الثنية التي تطلعه على الْحَجُّونَ .

وروى البخارى تعليقاً ، وعبد الرزاق ، والترمذى ، والنسائى ، وابن حبان عن أنس - رضى الله عنه - وابن عقبة عن الزُّهْرَى ، وابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل مكة عام الْقَضِيبَةِ على ناقته وعبد الله بن رواحة آخذ بزمامها ، وهو يقول :

خَلُّوا بَنَى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ^(٣) نَحْنُ ضَرْبَنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

(١) يتباعثون من العجف : أى لايقون على الحركة من الهزال (السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٣٧) .

(٢) الجمامة : البقية من القوة (هامش من المرجع السابق) .

(٣) أنظر القصيدة في شرح المواهب ٢ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٧١ وفيها اختلاف

عما جاء هنا - والمغازى للواقدي ٢ : ٧٣٦ .

صَرَبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ فِي صُحُفٍ تُتْلَى عَلَى رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ إِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ فِي قُبُولِهِ

ط/٢٢٣ فقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه / - يا ابن رواحة !! بين^(١) يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفى حرم الله - تعالى - تقول الشعر ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « خَلَّ عَنْهُ يَا عُمَرُ » فلهى^(٢) أسرع فيهم من نضح النبل . وفى رواية « يا عمر إني أسمع ، فاسكت يا عمر »^(٣) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا ابن رواحة قل : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، نَصَرَ عَبْدَهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » . فقالها ابن رواحة فقالها الناس كما قالها .

* * *

نكر طواف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ماثيا وما جاء
انه طاف راكبا

روى الإمام أحمد ، والشيخان ، وابن إسحاق عن ابن عباس - رضى الله - تعالى عنهما - قال : « قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه مكة ، وقد وهنتهم حُمَى يَثْرِبَ ، فقال المشركون : إنه يقدم غداً قومٌ قد وهنتهم الحُمَى ، ولقوا فيها شدة ، فجلسوا على قُعَيْقِعَانَ مما يلي الْحِجْر ، فأطلع الله - تعالى - نبيه على ما قالوا ، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد أضطجع بردائه وأخرج عضده الأيمن ، ثم قال : « رَجِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَرَاهِمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً » . وفى رواية : « أَرَاهِمَ مَا يَكْرَهُونَ » وأمرهم أن يُرْمَلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ ، ويمشوا بين الركنين ، ليرى المشركون جلدَهُمْ ، ثم استلم الركن ، وخرج يُهْرولُ وأصحابه معه ، حَتَّى إِذَا وَارَاهُ الْبَيْتُ مِنْهُمْ ، وَأَسْتَلَمَ الرُّكْنَ [اليمنى^(٤)] مشى حتى استلم الركن الأسود ثم هروا كذلك ثلاثة أشواط ومشى سائرَهَا . قال ابن عباس : ولم يأمرهم أَنْ يُرْمَلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا لِلْإِبْقَاءِ عَلَيْهِمْ ، فقال المشركون :

(١) استفهام مخوف الأداة ، وفى رواية بإثباتها (شرح المواهب ٢ : ٢٥٦) .

(٢) أى هذه الجملة أو الأبيات أو الكلمات .

(٣) وفى رواية « فأسكت عمر » شرح المواهب ٢ : ٢٥٧ . وهى توافق نسخة صنعاء .

(٤) الإضافة عن سيرة النبی لابن هشام ٢ : ٣٧١ .

« هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَى قَدْ وَهَنْتَهُمْ ؟ هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا ، مَا يَرْضَوْنَ بِالْمَشَى ، أَمَّا لَهُمْ لِيَنْقَزُونَ نَقَزَ الطُّبَى » وكان رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - يكايدهم كلَّما أَسْتَطَاعَ .

قال محمد بن [عمر ، وابن^(١)] سعد وغيرهم : ولم يزل رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - يُلَبِّي حَتَّى أَسْتَلِمَ الرُّكْنَ بِمَحْجَنِهِ .

وروى الحُمَيْدِيُّ والبَخَارِيُّ ، والإِسْمَاعِيلِيُّ عن عبد الله بن أَبِي أَوْفَى - رَضِيَ الله عنه - قال : لما اعتمر رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - سترناه من غلمان المشركين ، وفي رواية مِنَ السُّفَهَاءِ وَالصَّبِيَّانِ مَخَافَةَ أَنْ يُوْذُوا رَسُولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وروى يُونُسُ ابنُ بكير - رحمه الله تعالى - عن زيد بن أسلم - رحمهما الله تعالى - أَنَّ رَسُولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - دَخَلَ عَامَ الْقَضِيَةِ مَكَّةَ ، فطاف على نَاقَتِهِ ، واستلم الركن بِمَحْجَنِهِ . قال هشام ، وابن سعد : مِنْ غَيْرِ - عِلَّةٍ - والمسلمون يَشْتَدُّونَ حَوْلَ رَسُولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وابن رواحة يقول الرجز السابق : وذكر محمد بن عمر ، وابن سعد : أَنَّ رَسُولَ الله / - صَلَّى الله عليه وسلم - طَافَ رَاكِبًا ، وتبعهما القطبُ في المورد . ٢٢٤ و

نكر دخوله - صلى الله عليه وسلم - البيت

روى البيهقي من طريق محمد بن عمر عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - قال : لما قضى رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - طوافه في عمرة القضاء دَخَلَ الْبَيْتَ ، فلم يزل فيه حَتَّى أَذَّنَ بِلَالٍ بِالصُّبْحِ ، فوق ظهر الكعبة ، وكان رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - أمره بذلك ، فقال عكرمةُ بنُ أَبِي جَهْلٍ - وأسلم بعد ذلك - لقد أكرم الله - تعالى - أبا الحكم ، حيث لم يسمع هذا العبد يقولُ ما يقول .

وقال صفوانُ بن أُمِيَّة - وأسلم بعد ذلك - الحمدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ أَبِي قَبْلَ أَنْ يَرَى هَذَا .

(١) سقط في الأصول والمثبت يستقيم به السياق .

وقال خالد بن أسيد - كأمير - وأسلم بعد ذلك : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم حين يقوم بلال [ابن أم بلال^(١)] ينهق فوق الكعبة

وأما سهيل بن عمرو - وأسلم بعد ذلك - ورجال معه لما سمعوا ذلك غطوا وجوههم ، كذا في هذه الرواية : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دخل البيت .

وروى البخاري عن إسماعيل بن أبي خالد - رحمه الله تعالى - أَنَّ رجلاً سأل ابن أبي أوفى - رضى الله عنه - أكان رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - دخل في القضية الكعبة؟ قال : لا .

وقال محمد بن عمر بعد أن رَوَى ما سبق عن ابن عباس : حدثني إبراهيم بن إسماعيل عن داود بن الحصين قال : لم يَدْخُلْ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - الكعبة في القضية . وقد أرسل إليهم ، فأبوا وقالوا : لم يكن في شرطك .

نكر سعيه - صلى الله عليه وسلم - بين الصفا والمروة

روى محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أَنَّ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - طاف بين الصفا والمروة على راحلته ، فلما كان الطَّوْفُ السَّابِعُ عند المَرَّةِ عند فراغه - وقد وقف الهدى عند المَرَّةِ - قال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - « هذا المنحر وكل فجّاج مكة منحر ، فنحَرَ عِنْدَ المَرَّةِ .

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - وقد كان اعتمر مع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قومٌ لم يشهدوا الحُدَيْبِيَّةَ فلم يَنْحَرُوا ، فَأَمَّا من شهدا وخرج في الْقَضِيَّةِ فإنهم اشتركوا في الهَدْيِ . وأمر رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - مائتين من أصحابه حين طافوا بالبيت وسعوا أَنْ يذهبُوا إلى أصحابه ببطن يَأْجَجَ فيقيمون على السَّلَاحِ ، ويأتى الآخرون فيقضوا نُسُكَهُمْ ففعلوا .

(١) الإضافة عن المغازى للواقدي ٢ : ٧٣٨ .

نكر خروجه - صلى الله عليه وسلم - من مكة

روى محمد بن عمر عن عمر بن علي بن أبي طالب - رحمه الله تعالى - قال : لما كان عند الظهر يوم الرابع أتى سهيل بن عمرو ، وحويطب / بن عبد العزى - وأسلما بعد ٢٢٤ ط ذلك قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد وكلت حويطب بإخراج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتياه وهو في مجلس من الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة ، فقالا : قد أنقضى أجلك ، فأخرج عنا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم فصنعت طعاماً ؟ ! » فقالا : لا حاجة لنا في طعامك اخرج عنا ، ننشدك الله يا محمد ، والعقد^(١) الذى بيننا وبينك إلا خرجت من أرضنا ، فهذه الثلاثة قد مضت .

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم ينزل بيتنا ، إنما ضربت له قبة من أديم بالأبطح ، فكان هناك حتى خرج منها ، ولم يدخل تحت سقف بيت من بيوتها ، فغضب سعد بن عبادة - رضى الله عنه - لما رأى من غلظة كلامهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال لسهيل بن عمرو : كذبت لا أم لك ليست بأرضك ولا أرض أبيك ، والله لا يخرج منها إلا طائعا راضيا ، فتبسّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال يا سعد : لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا ، وأسكت الرجلان عن سعد .

وفى الصحيح عن البراء بن عازب - رضى الله عنهما - أن الأجل لما مضى أتى المشركون علياً - رضى الله عنه - فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فذكر ذلك على - رضى الله عنه - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبا رافع - بالرحيل ، وقال : لا يُمَسِّن بها أحدٌ من المسلمين « وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - [حتى نزل^(٢)] بِسْرَفٍ ، وَتَنَامَ النَّاسُ ، وَخَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أبا رافع ليحمل إليه زوجته مَيْمُونَةَ حين يُمَسِّي ، فَأَقَامَ أَبُو رَافِعٍ حَتَّى

(١) كذا في الأصول . وفى المغازى للواقدي ٢ : ٧٤٠ « المهد » .

(٢) الإضافة عن المغازى للواقدي ٢ : ٧٤٠ .

أُنْسَى ، فخرج بِمَيْمُونَةٍ وَمَنْ مَعَهَا ، وَلَقِيَتْ مِنْ سَفْهَاءِ مَكَّةَ عَنَاءً ، وَسَيَّئُ الْكَلَامِ عَلَى دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِهَا فِي تَرْجُمَتِهَا .

ذكر خروج ابنة حمزة - رضى الله عنها

روى الشيخان عن البراء بن عازب ، والإمام أحمد عن علي ، ومحمد بن عمر عن ابن عباس - رضى الله عنهم - قال ابن عباس : إن عمارة بنت حمزة بنت عبد المطلب ، وقيل اسمها أمامة^(١) قال الحافظ : وهو المشهور وأما سلمى بنت عُمَيْسٍ ، كانت بمكة ، فلما قَدِمَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - مكة كُلَّمَا عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فقال عَلَامَ نَتْرَكَ ابْنَةَ عَمَّنَا يَتِيْمَةً بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَشْرِكِينَ ؟ ، فلم ينهه رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فَخَرَجَ بِهَا .

وقال البراء : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - لما خرج تبعته ابنة حمزة تُنَادِي يَا عَمِّي يَا عَمِّي ، فتناولها عليٌّ فَأَخَذَ بِيَدِهَا . وقال لفاطمة - رضى الله عنها - : دونك ابنة عمك ، فأختصم فيها . زيد وعلي وجعفر ، أى بعد أن قَدِمُوا المدينة كما سيأتى .

وكان زيد وصي حمزة ، وكان رسولُ الله / الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قد واخى بينهما حين واخى بين المهاجرين . فقال علي : أنا أحق بها ، وهى ابنة عمي ، وأنا أخرجتها مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِ الْمَشْرِكِينَ ، وقال جعفر : بنت عمي وخالتها أسماء بنت عُمَيْسٍ تحق . وقال زيد : بنت أخي . ففضى فيها رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - لخالتها ، وقال : « الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ » وقال لعلي : « أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ » . وفي حديث ابن عباس - رضى الله عنه - « وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَلِيُّ فَأَخِي وَصَاحِبِي » وقال لجعفر : « أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي » . وقال لزيد : « أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا » . وفي حديث ابن عباس - رضى الله عنه - « أَنْتَ مَوْلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ » .

(١) قالوا : أمامة ، أو عمارة ، أو سلمى ، أو فاطمة ، أو أمة الله ، أو عائشة ، أو يعلى . أقوال : سبعة وقال الحافظ : أمامة هو المشهور . وترجم به في الإصابة ، وعزاه لأبي جعفر بن حبيب وابن الكلبي والخطيب في المبهات ، وصحاح الواقدي عمارة ، وابن السكن فاطمة (شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٤٩) .

قال محمد بن عمر : فَلَمَّا قَضَىٰ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لجعفر قام جعفر فَحَجَلَ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم - : « ما هذا يا جعفر » ؟ قَالَ : يا رسولَ الله ، كان النجاشي إِذَا أَرْضَى أَحَدًا قام فحجَلَ .

قال ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - ثم أَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ذى الحجة .

وكان عِدَّةُ الْمُسْلِمِينَ سِوَى النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ أَلْفَيْنِ .

قال ابن هشام - رحمه الله - تعالى - : فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تعالى - فيما حَدَّثَنِي أَبُو عبيدة : ﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ^(١) ﴾ يعني خيبر .

تَنْبِيْهَاتٌ

الاول : يقال لهذه العمرة عمرَةُ الْقِصَاصِ . قال السُّهَيْلِيُّ - رحمه الله - تعالى - وهذا الاسمُ أَوَّلِيٌّ بِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ^(٢) ﴾ ورواه عبد بن حُمَيْدٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، وَبِهِ جَزَمَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ فِي مَغَازِيهِ وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيهَا كَمَا تَقْدُمُ .

ويقال لها : عمرَةُ الْقَضَاءِ ، وَاخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَّتِهَا بِذَلِكَ ، فَقَالَ السُّهَيْلِيُّ : لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَاضِيٌ قُرَيْشًا عَلَيْهَا . لِأَنَّهُ قَضَى الْعُمْرَةَ الَّتِي صُدَّ عَنْ الْبَيْتِ فِيهَا ؛ فَإِنِهَا لَمْ تَكُنْ فَسَدَتْ بِصَدِّهِمْ لَهُ عَنِ الْبَيْتِ ، بَلْ كَانَتْ عُمْرَةً تَامَةً

(١) سورة الفتح آية ٢٧ .

(٢) سورة البقرة آية ١٩٤ .

متقبلة ، حَتَّى إِذَا هُمْ يَخْلُقُوا سُحُبًا مِنْهَا بِالْحَلِّ أَحْتَمِلَتِهَا الرِّيحُ فَأَلْقَتْهَا بِالْحَرَمِ ، فَهِيَ مَعْدُودَةٌ فِي عُمَرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زَادَ الْقَاضِي^(١) : فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الصُّلح ، ولذلك يقال لها عُدْرَةُ الْقَضِيَّةِ .

قال أهل اللغة : قَاضٍ فُلَانٌ فُلَانًا : عَاهَدَهُ ، وَقَاضَاهُ : عَاوَضَهُ ، فَيَحْتَمِلُ تَسْمِيَتَهَا بِالْأَمْرَيْنِ ، وَيَرْجِعُ الثَّانِي تَسْمِيَتَهَا قِصَاصًا .

وقال آخرون : بل كانت قَضَاءً عَنْ الْعِمْرَةِ الْأُولَى ، وَعَدَّةً عِمْرَةً الْحَدِيثِيَّةِ فِي الْعَمْرِ لِثَبُوتِ الْأَجْرِ فِيهَا لَا لِأَنَّهَا كَمُلَتْ ، وَهَذَا خِلَافٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِخْتِلَافِ فِي وَجُوبِ ٢٢٥ ط الْقَضَاءِ عَلَى مَنْ أَعْتَمَرَ فَضْدًا عَنِ الْبَيْتِ . فقال الجمهور / : يجب عليه الْهَدْيُ ، وَلَا قَضَاءٌ عَلَيْهِ .

وعن الإمام أَبِي حَنِيفَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - عَكْسَهُ ، وَعَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدُ رَوَايَةً : أَنَّهُ لَا يُلْزَمُهُ هَدْيٌ وَلَا قَضَاءٌ وَأُخْرَى أَنَّهُ يُلْزَمُهُ الْهَدْيُ وَالْقَضَاءُ ، وَيَبَيِّنُ حُجُجَ كُلِّ لَيْسَ مِنْ غَرَضِنَا .

وقال ابن إسحاق : تُسَمَّى أَيْضًا عِمْرَةُ الصُّلْحِ اهـ .

فَتَحْصُلُ مِنْ أَسْمَائِهَا أَرْبَعَةٌ : الْقَضَاءُ ، وَالْقَضِيَّةُ ، وَالْقِصَاصُ وَالصُّلْحُ .

الثَّانِي : وَجْهًا كَوْنُ هَذِهِ الْعِمْرَةِ غَزْوَةً بِأَنَّ مُوسَى بْنَ عَقِبَةَ ذَكَرَ فِي الْمَغَازِي عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَرَجَ مُسْتَعِدًّا بِالسَّلَاحِ وَالْمُقَاتَلَةِ خَشْيَةً أَنْ يَقَعَ مِنْ قَرِيشٍ غَدْرٌ ، وَلَا يُلْزَمُ مِنْ إِطْلَاقِ الْغَزْوَةِ وَقَوَعِ الْمُقَاتَلَةِ .

وقال ابن الأثير - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي الْجَامِعِ : هَذِهِ الْعِمْرَةُ لَيْسَتْ مِنَ الْغَزَوَاتِ ، وَذَكَرَهَا الْبُخَارِيُّ فِي الْغَزَوَاتِ حَيْثُ تَضَمَّنَتْ ذِكْرَ الْمَصَالِحَةِ مَعَ الْمَشْرُكِينَ .

الثَّالِث : قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَوْلُهُ : « نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ » إِلَى آخِرِ الْأَبْيَاتِ لِعِمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ فِي غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ ، قَالَ السُّهَيْلِيُّ : يَعْنِي يَوْمَ صَفِّينَ .

(١) أَيْ الْقَاضِي عِيَّاضُ (شرح المواهب ٢ : ٢٥٣) .

قال ابن هشام : والدليل على ذلك أَنَّ ابن رَوَاحَةَ إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيل ، وإنَّمَا يقاتِلُ على التأويل من أَقَرَّ بالتنزيل . قال في البداية : وفيما قاله ابن هشام نظر ، فإنَّ البَيْهَقِيَّ رَوَى من غَيْرِ وَجْهِ عن عبد الرزاق عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن أَنَسٍ قال : لما دَخَلَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - مكة في عُمْرَةِ الْقَضَاءِ مَشَى عبد الله بن رَوَاحَةَ بين يديه وفي روايةٍ وهو آخذ بغرزه وهو يقول الأبيات السابقة . ورواه عن يزيد بن أسلم - كما سبق - وقد تابع ابن إسحاق على ذلك ابن عُقْبَةَ وغيره ، وقال الحافظ - رحمه الله تعالى - إذا ثبتت الرواية فلا مانع من إطلاق ذلك ، فإنَّ التقدير على رأى ابن هشام : نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ أَيْ حَتَّى تَدْعُنَا إِلَى ذَلِكَ التَّأْوِيلِ ، ويجوز أن يكون التقدير : نحن ضربناكم على تأويل ما فهمنا منه حتى تدخلوا فيما دخلنا فيه ، وإذا كان ذلك محتملاً ، وثبتت الرواية سقط الاعتراض . نعم الرواية التي جَاءَ فيها .

« فَالْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ » يظهر أنه قول عمار ، ويبعد أن يكون من قول ابن رَوَاحَةَ ، لأنَّه لم يقع في عُمْرَةِ الْقَضَاءِ ضَرْبٌ وَلَا قِتَالٌ ، وَصَحِيحُ الرِّوَايَةِ .

« نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ . كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ .

يُشِيرُ بِكُلِّ مَنْهَمَا إِلَى مَا مَضَى ، ولا مانع من أن يتمثل عمارُ بنُ ياسر بهذا الرجز ويقول : هذه اللفظة ، ومعنى قوله : « نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ » أَيْ الْآنَ ، وجاز تسكين الباء لِضُرُورَةِ الشَّعْرِ ، بل هي لغة قُرَيْءٍ بها في المشهور .

الرابع : قال الحافظ أبو عيسى التِّرْمِذِيُّ - رحمه الله - تعالى - بعد أن ذكر رجز ابن رَوَاحَةَ ، ثم قال : وفي غير هذا الحديث أَنَّ هذه الْقِصَّةَ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، وهو الأصح ، لأنَّ عبد الله بن رَوَاحَةَ قُتِلَ بِمَوْتِهِ ، وكانت عمرة الْقَضَاءِ بعد ذلك ، قال الحافظ - رحمه الله - وهو ذهول شديد ، وَغَلَطُ مُردود ، وَمَا أَدْرَى كَيْفَ وَقَعَ التِّرْمِذِيُّ فِي ذَلِكَ ، ومع أَنَّ فِي قِصَّةِ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ اخْتِصَامَ جَعْفَرٍ وَأَخِيهِ عَلِيٍّ ، وزيد بن حارثة في بَنَاتِ حَمْزَةَ ، أَيْ كَمَا سَبَقَ / وَجَعْفَرُ قُتِلَ هُوَ وَزَيْدٌ وَابْنُ رَوَاحَةَ فِي مَوْطِنٍ وَاحِدٍ ، ٢٢٦ و

فكيف يَخْفَى على الترمذى مثل هذا . ثم وجدت عند بعضهم أن الذى عند الترمذى من حديث أنس : أَنَّ ذلك كان فى فتح مكة . فإن كان كذلك أتجه اعتراض الترمذى ، لكن الموجود بخط الكروخى راوى الترمذى على ما تقدم . قلت : وكذلك رأيت فى عِدَّة نسخ من جامع الترمذى .

الخامس : مجئ سهيل ، وَحُوَيْطِبَ يَطْلُبَانِ رَحِيلَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نصف النهار ، الظاهر أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دخل فى أوائل النهار ، فلم تكمل الثلاث إلا فى مثل ذلك الوقت من النهار الرابع الذى دخل فيه بالتلفيق ، وكان مجيئهم فى أول النهار قريب مجئ ذلك الوقت .

السادس : « قول أبنه حمزة يا عم : كَأَنَّا خَاطَبْتَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بذلك إجلالا ، وإلَّا فهو ابن عمها ، أو بالنسبة إلى كون حمزة - وإن كان عمه من النسب - فهو أخوه من الرضاعة .

وكانت خُصُومَةُ عَلِيٍّ وجعفر ، وزيد فى أبنه حمزة بعد أن قَدِمُوا المدينة ، كما صح ذلك من حديث عَلِيٍّ عند أحمد ، والحاكم .

السابع : أقر النبىُّ - صلى الله عليه وسلم - عَلِيًّا على أخذها من مكة مع اشتراط المشركين ألا يخرج بأحدٍ من أهلها أراد الخروجَ ، لأنهم لم يَطْلُبُوهَا ، وأيضاً فإنَّ النِّسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ لم يَدْخُلْنَ فى ذلك ، لكن إنَّما نزل القرآن بعد رجوعهم إلى المدينة .

الثامن : فى بيان غريب ما سبق :

التَّهْلُكَةُ : الهلاك ، وهو من نواذر المصادر .

المِشْقَص - بكسر الميم ، وسكون الشين المعجمة ، وفتح القاق ؛ سهم فيه نصل عريض ، والجمع مشاقص .

تقليد الهدى : أى تعلق بعنق البعير قطعة من جلدٍ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ هَدَى فيكفُّ النَّاسُ عنه .

ذو الحُلَيْفَةِ - بضم الحاء المهملة تصغير الحَلْفَةِ بفتحات ، واحد الحَلْفَاء ؛ وهو النبات المعروف .

هَاجَهُ : حركه ؛ الَهَيَجُ - بفتح الهاء ، والتحتية ، وبالجيم : الحرب .
مَرَّ الظَّهْرَان : تقدم الكلام عليه غير مَرَّة .

* * *

شرح غريب ذكر خروجه - صلى الله عليه وسلم - من المدينة

قوله الْفُرْعُ - بضم الفاء ، والراء ، وبالعين المهملة : عمل واسع من أعمال المدينة .
البيداء : فى الأصل المفازة ، وهنا الشرف الذى قُدَّام ذى الحليفة إلى جهة مكة .
يَأْجَجُ - بتحتية ، فهمزة ساكنة ، فجيمين ؛ الأولى مفتوحة - وقد تكسر : واد قريب من مكة .

أَنْصَابُ الْحَرَم : الأعلام على حدوده .

الْعَجْفُ ، وزان التَّعَب : الضعف .

حَسَوْنَا - بحاء فسین مهملتين مفتوحتين ، فواو ساكنة ، فنون : شربنا .

الْحَنْقُ - بفتح الحاء المهملة ، والنون وبالقاف : الغيظ^(١)

النفاسة - يقال نَفَسَ الشئُ بالكسر نفاسَةً : حسده عليه ولم يره أهلاً له .

ذى طَوًى - بتثليث الطاء : وادٍ بقرب مكة ، يصرف ولا يصرف .

القصواء : كحمراء .

محدقين : محيطين .

توشح السيف : ألقى طرف علاقته على منكبه الأيمن من تحت يده اليسرى ،
ويأخذ طرفه الذى ألقاه على منكبه الأيسر من تحت يده اليمنى ، ثم يعقددهما على صدره .

(١) وفى اللسان : الغيظ الذى يلزم الإنسان .

الثَّيِّبَةُ : كل عقبة مَسْلُوكَةٍ .

الْحَجُونُ - بفتح الحاء المهملة ، وضم الجيم ، وبالواو ، والنون : جبل بمكة .

ط ٢٢٦ . الْهَامُ . جمع هامة / . وهى الرأس .

وَهَنَتُهُمُ الْحُمَى أضعفتهم .

اضطبع بشوبه : جعل وسط الثوب تحت الإبط اليمنى ، وطرفه على الكتف اليسرى .

العضد - بفتح العين المهملة . وضم الضاد المعجمة وتسكن ، وبفتح العين ، وكسر الضاد . وبضمهما . وبضم العين وسكون الضاد : خمس لغات ، وهى مؤنثة عند أهل تهامة ، وتذكر عند بنى تميم : وهى ما بين المرفق والكُتِف .

رَمَلَ فى ضوافه - بالراء هروى .

الأشواط - بالشين المعجمة جمع شوط : وهو الجرى إلى الغاية ، وهى هنا من الحجر إلى الحجر .

جلدهم - بفتح الجيم واللام : قوتهم وصبرهم .

وَأَرَاه : ستره .

أَبَقى عليه : رفق [به وأشفق]^(١) عليه .

قُعَيْقَعَان - بقافين . الأولى مضمومة ، بعد كل منهما عين مهملة وبعد الأولى تحتية : جبل بمكة .

نقز - بالثاف والزاي : وثب .

الظُّبَى - جمع ظبي : حيوان معروف .

(١) الإضافة عن شرح المواهب ٢ : ٢٥٨ .

الْمِخْجَنُ - بكسر الميم ، وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم : عصا مقنعة الرأس يلتقط بها الراكب ما سقط منه .

يشتدون : يعدون .

المروة : جبل معروف بمكة .

الْفِجَاجُ - بكسر الفاء جمع فج ، وبالفتح : هو الطريق الواسع .

نَنْشُدُكَ الله : نذكرك به ونستعطفك ، أو نسألك به ، مُقْسِمِينَ عليك .

الْأَبْطَح : كل مسيل فيه دقاق الحصى ، والمراد هنا مكان معروف بمكة .

سَرَف - بفتح السين المهملة وكسر الراء ، وبالفاء : ما بين التَّعْنِيمِ وَبَطْنِ مَرْو ، وهو إلى التَّعْنِيمِ أَقْرَب .

حَجَلٌ - بحاءٍ مهملة ، فجيم ، فلام مفتوحات : رفع رجلًا وقفز على الأخرى من الفرح ، وقد يكون بِالرَّجْلَيْنِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَفَزَ ، وَقِيلَ الْحَجَلُ : المَشْيُ المَقِيدُ .

الباب السابع والعشرون

في غزوة الفتح الأعظم الذي أعزّ الله تعالى به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين^(١)

وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء ، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وأبتهاجاً ، وكان في شهر رَمَضان سنة ثمان . قال ابن عباس - رضى الله عنهما - غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غزوة الفتح في رمضان .

قال الزهري : وسمعتُ سعيدَ بن المسيّب يقول مثل ذلك ، رواه البخارى .

* * *

ذكر الأسباب الموجبة للمسير الى مكة

كانت خُزَاعَةُ في الجاهلية أصابوا رجلاً من بني الحَضْرَمِيِّ واسمه مَالِك بن عَبَّاد ، وحِلْفُ الحَضْرَمِيِّ يومئذٍ إلى الأسود بن رَزَن ، خرج تاجراً ، فلما توسّط أرض خُزَاعَةَ عَدَوْا عليه فقتلوه وأخذوا ماله فمَرَّ رَجُلٌ من خُزَاعَةَ على بني الدَّيْل بعد ذلك فقتلوه ، فوقعَت الحربُ بينهم ، فمَرَّ بنو الأسود بن رَزَن . وهم ذُؤَيْب ، وسُلَمَى ، وكُلْثُوم و ٢٢٧ على خُزَاعَةَ فقتلوهم بعرفة عند أَنْصَابِ الحَرَم ، وكان قومُ الأسودِ مَنْخَرٌ^(٢) بني / كنانة يُودَوْنَ في الجاهلية دِيَتَيْنِ لفضلهم في بني بكر ، ونُودَى دية ، فبينما بنو بَكْرٍ وخُزَاعَةَ على ذلك بُعِثَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فَحُجَّزَ بالإسلام بينهم ، وتشاغل الناس به - وهم على ما هم عليه من العداوة في أنفسهم - فلما كان صَلْحُ الحُدَيْبِيَّة بين رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وبين قريش ، ووقع الشَّرْطُ « ومن أَحَبَّ أَنْ يدخلَ في عَقْدِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فليدخل ، ومن أَرَادَ أَنْ يدخلَ في عَقْدِ قريش

(١) انظر شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٨٨ ، ونهاية الأرب للتويرى ١٧ : ٢٨٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير

٣ : ٥٢٦ ، والمغازي للواقدي ٢ : ٧٨٠ . وسيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣٨٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٨١ .

(٢) وابن كثير وهم مفخر بني كنانة ٣ / ٨٢٥ .

فليدخل « فدخلت خزاعة في عقد رسول - صلى الله عليه وسلم - وكانت خزاعة حلفاء عبد المطلب بن هاشم ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذلك عارفاً ، ولقد جاءته خزاعة يومئذ بكتاب^(١) عبد المطلب فقرأه عليه أبي بن كعب - رضى الله عنه - وهو : « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، هَذَا حِلْفُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ لَخَزَاعَةَ ، إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ سَرَوَاتُهُمْ وَأَهْلُ الرَّأْيِ ، غَائِبُهُمْ مُقَرَّرٌ بِمَا قَاضَى عَلَيْهِ شَاهِدُهُمْ ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ عَهْدَ اللَّهِ وَعَقُودَهُ ، وَمَا لَا يُنْسَى أَبَدًا ، الْيَدُ وَاحِدَةٌ ، وَالنَّصْرُ وَاحِدٌ مَا أَشْرَفَ ثَبِيرٌ ، وَثَبِتَ حِرَاءَ مَكَانِهِ وَمَا بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً ، وَلَا يَزْدَادُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا تَجَدُّدًا أَبَدًا الدَّهْرِ سَرْمَدًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « مَا أَعْرِفُنِي بِخُلُقِكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا أَسْلَمْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحِلْفِ ! فَكُلُّ حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَا يَزِيدُهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً وَلَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ . »

نكر نقض قريش العهد

لما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية ، كلمت بنو نضلة وبنو بكر أشراف قريش أن يعينوهم بالرجال والسلاح على عدوهم من خزاعة ، وذكرهم القتلى الذين أصابت خزاعة منهم ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثار أولئك النفر الذين أصابوا منهم في بني الأسود بن رزن ، وناشدوهم بأرحامهم ، وأخبروهم بدخولهم في عقدهم وعدم الإسلام ، ودخول خزاعة في عقد محمد وعهده ، فوجدوا القوم إلى ذلك سراعاً ، إلا أن أبا سفيان بن حرب لم يشاور في ذلك ولم يعلم ، ويقال إنهم ذكروه فبئ ذلك ، فأعانوا بالسلاح والكرّاع والرجال ، ودسّوا ذلك سراً لئلا تحذر خزاعة ، وخزاعة آمنون غارون لحال المودة ، ولما حجز الإسلام بينهم .

ثم اتعدت قريش وبنو بكر وبنو نضلة الوتير^(٢) ،^(٣) وهو موضع أسفل مكة ، وهو ماء لخزاعة^(٣) فوافوا للميعاد فيهم رجال من قريش من كبارهم متنكبون ؛

(١) انظر كتاب عبد المطلب لخزاعة في شرح المواهب ٢ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٢) الوتير : هو الورد الأبيض سمى به الماء (شرح المواهب ٢ : ٢٨٩) .

(٣) ما بين الرقين إضافة عن المغازي للواقدي ٢ : ٧٨٣ ونهاية الأرب للنويري ١٧ : ٢٨٦ ، وشرح المواهب

صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وحويطب^(١) بن عبد العزى ، وشيبة بن عثمان - وأسلموا بعد ذلك - ومكرز بن حفص ، وأجلبوا معهم أرقاءهم ، ورأس بنى بكر نوفل بن معاوية الدثلي^(٢) - وأسلم بعد ذلك - فبيتوا خزاعة ليلاً وهم غارون آمنون - وعامتهم صبياناً ونساءً وضِعْفَاءُ الرجال - فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا إلى أنصاب الحرم ، ٢٢٧ ط فقال أصحاب نوفل بن / معاوية له : يا نوفل إلهك إلهك قد دخلت الحرم ! فقال : كلمة عظيمة ، لا إله لي اليوم ، يا بنى بكر ، لعمري إنكم لتسرقون الحاج في الحرم ، أفلا تدركون ثأركم من عدوكم ، ولا يتأخر أحد منكم بعد يومه عن ثأره ؟! فلما انتهت خزاعة إلى الحرم دخلت دارَ بديل بن ورقاء ، ودَارَ مولى لهم يقال له رافع - الخزاعيين ، وانتهوا بهم في عِمَايَةِ الصُّبْحِ ، ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون ، وأنه لا يبلغ هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصبحت خزاعة مُقْتَلِينَ على باب بديل ورافع .

وقال سهيل بن عمرو لنوفل بن الحرث : قد رأيت الذى صنعنا بك وبأصحابك وَمَنْ قَتَلْتَ مِنَ الْقَوْمِ ، وَأَنْتَ قَدْ حَصَدْتَهُمْ تَرِيدُ قَتْلَ مَنْ بَقِيَ ، وَهَذَا مَا لَا نَطَاوَعُكَ عَلَيْهِ ، فَاتْرَكْهُمْ فَتْرَكْهُمْ ، فَخَرَجُوا وَنَلِمْتَ قَرِيشَ ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا ، وَعَرَفُوا أَنَّ هَذَا الَّذِي صَنَعُوهُ نَقَضُ لِلذِّمَّةِ وَالْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجَاءَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ إِلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةَ ، وَإِلَى سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو وَعَكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ فَلَا مَوَدَّةَ بَيْنِهِمْ ، وَبِمَا صَنَعُوا مِنْ عَوْنِهِمْ بَنَى بَكْرٌ عَلَى خَزَاعَةَ - وَقَالُوا : إِنَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ مُدَّةٌ وَهَذَا نَقَضُهَا .

نكر إعلامه - صلى الله عليه وسلم - بما حصل لخزاعة يوم اصبوا

روى محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعائشة صبيحة كانت وقعة بنى نَفَاثَةَ وَخَزَاعَةَ بِالْوَتِيرِ : « يَا عَائِشَةُ : لَقَدْ حَدَّثَ

(١) حويطب كذا في الواقدى ٢ : ٧٨٣ وفي نهاية الأرب ١٧ : ٢٨٧ ، وسيرد في شرح غريب المفردات

« حويطب » بخاء معجمة مكسورة .

(٢) في المغازى للواقدي ٢ : ٧٨٣ « الدثلي » .

فِي خَزَاعَةَ أَمْرٌ^(١) » فقالت عائشة : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَرَى قُرَيْشًا تَجْتَرِي عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَقَدْ أَفْنَاهُمُ السَّيْفُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « يَنْقُضُونَ الْعَهْدَ لِأَمْرِ يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى » فقالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ « خَيْرَ » قال : « خَيْرٌ^(٢) »

وروى الطَّبْرَانِيُّ في الكبير والصغير عن مَيْمُونَةَ بنت الحارث - رضى الله عنهما - أن رسولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بات عندها ليلةً ، فقام ليتوضأ إلى الصَّلَاةِ ، فسمعتَه يقول في مُتَوَضِّئِهِ : « لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ - ثلاثاً - نُصِرْتَ نُصِرْتَ نُصِرْتَ - ثلاثاً - » فلما خرج ، قلتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سمعتُكَ تقول في متوضئِكَ « لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ - ثلاثاً - » - نُصِرْتَ نُصِرْتَ - ثلاثاً » ، كأنك تكلمُ إنساناً ، فهل كان معك أحد ؟ قال : « هَذَا رَاجِزُ بَنِي كَعْبٍ يَسْتَصْرِخُنِي ، وَيَزْعُمُ أَنَّ قُرَيْشًا أَعَانَتْ عَلَيْهِمْ بَكْرَ بْنَ وَاثِلٍ . » قالت ميمونة : فَأَقَمْنَا ثلاثاً ثم صَلَّى رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصبح بالناس فسمعتُ الرَّاجِزَ يَنشُدُ :

يَا رَبُّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حَلَفَ آبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا

فذكرت الرجز الآتي .

نكر قدوم عمرو بن سالم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يخبره بما وقع لهم /

و ٢٢٨

روى الطَّبْرَانِيُّ في الكبير والصغير عن ميمونة بنت الحارث ، وَالْبَزَارُ بسندٍ جيدٍ عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - وابنُ أَبِي شَيْبَةَ في المصنف عن عكرمة ، والبيهقي عن ابنِ إِسْحَاقَ ، ومحمدُ بن عمر عن شيوخه : أَنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ الْخُزَاعِيَّ خَرَجَ فِي أَرْبَعِينَ رَاكِبًا مِنْ خَزَاعَةَ يَسْتَنْصِرُونَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَخْبِرُونَهُ بِالَّذِي أَصَابَهُمْ ، وَمَا ظَاهَرَتْ عَلَيْهِمْ قُرَيْشٌ وَمَعَاوَنَتُهُمْ لَهُم بِالرِّجَالِ ، وَالسَّلَاحِ ، وَالْكَرَاعِ ، وَحُضُورِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَعَكْرَمَةَ ، وَمَنْ حَضَرَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَخْبَرُوهُ بِالْخَبَرِ وَرَسُولُ

(١) في المغازي للواقدي ٢ : ٧٨٨ « لقد جرت في أمر خزاعة » .

(٢) في المرجع السابق « قالت عائشة : خير أو شر يا رسول الله ؟ قال : خير »

الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد بين أظهر الناس ، ورأس خزاعة عمرو ابن سالم ، فلما فرغوا من قصصهم ، قام عمرو بن سالم فقال^(١) :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حَلَفَ أَبِيْنَا وَأَبِيهِ الْآتِلِدَا
قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَذْعُو أَحَدًا^(٢) وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
هُمْ بَيِّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدَا وَقَتَّلُونَا رُكْعًا وَسُجْدًا^(٣)
وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَا رُصْدَا فَانْصُرْ رَسُولَ اللَّهِ نَصْرًا أَيْدَا^(٤)
وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
أَنْ سِيَمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا فِي فَيْلَقِ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا

قرم لقرم من قروم أصيدا

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ » فما برح حتى مرت عاتنة^(٥) من السماء فرعدت ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ » .

وروى أبو يعلى بسند جيد عن عائشة - رضى الله عنهما - قالت : لقد رأيت

(١) انظر الشعر في السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ ، وسيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٩٠ وقد وردت القصيدة بروايات مختلفة .

(٢) في الأصول (أن ليس تدعو أحدا .) والمثبت عن المغازي للواقدي ٢ : ٧٨٩ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ .

(٣) في الأصول (. . . تلتوا القرآن ركعاً وسجداً . . .) والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ ونهاية الأرب ١٧ : ٢٨٨ .

(٤) سيأتى في شرح غريب المفردات أن المصنف اختار مكة « اعتدا » بدل « أيدأ » وجعل أيدا رواية مرجوحة وقد أثبتنا اتباعاً لنهاية الأرب . والسيرة النبوية لابن كثير ، وشرح المواهب وسيرة النبي لابن هشام .

(٥) العنانة : السحاب هامش السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ . وشرح المواهب ٢ : ٢٩٢

رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - غضب مما كان من شأن بني كعب غضباً لم أَرَهُ غضبه منذُ زمان . وقال : « لَا نَصْرَ لِيَّ اللهُ - تعالى - إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ » .

وروى محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - لما سمع ما أصاب خُزَاعَةَ ، قام - وهو يَجْرُ رِدَاءَهُ - وهو يقول : « لَأَنْصِرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ مِمَّا أَنْصُرُ مِنْهُ نَفْسِي » .

وروى عبد الرزاق وغيره عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - لما بلغه خبرُ خُزَاعَةَ قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَمْنَعَنَّهُمْ مِمَّا أَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسِي وَأَهْلِي وَبَيْتِي » .

قال ابن إسحاق وغيره : وقدم بذلك ورقاء الخزاعي في نفرٍ من قومه على رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فأخبروه بما حَصَلَ لهم .

قال ابن عقبة ، ومحمد بن عُمَر : إن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال لعمرُ بن سالم وأصحابه : « أَرْجِعُوا وَتَفَرَّقُوا فِي الْأَوْدِيَةِ » . فرجعوا / وتفرقوا ، وذهبت ط ٢٢٨ فرقةٌ إلى السَّاحِلِ بِعَارِضِ الطَّرِيقِ ، ولزم بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ في نفرٍ من قومه الطَّرِيقَ .

وروى محمد بن عمر عن مِخْجَنَ بْنِ وَهَبٍ قال : لم يَرُمْ بُدَيْلُ بْنُ^(١) وَرْقَاءَ مَكَّةَ مِنْ حِينَ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ حَتَّى لَقِيَهُ فِي الْفَتْحِ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ . قال محمد بن عمر وهذا أثبت .

وأخبر عمرو بن سالم ومن معه أن أنس ابن زعيم هجا رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فَأَهْدَرَ دَمَهُ .

(١) عبارة محمد بن عمر الواقدي - كما في شرح المواهب ٢ : ٢٩٢ « أن بدىلا لم يفارق مكة من الحديبية حتى لقيه في الفتح بمر الظهران » .

نكر ما قيل أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما بلغه خبر خزاعة
أرسل إلى قريش يخبرهم بين أمور ثلاثة

روى ابن عائذ عن ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما ، ومحمد بن عمر عن حزام
بن هشام الكعبي ومسد في مسنده بسند صحيح عن محمد بن عباد بن جعفر أحد ثقات
التابعين وأئمتهم - رحمهم الله تعالى - واللفظ لمحمد بن عمر ، قال حزام : إن قريشاً
ندمت على عون بنى نفاثة ، وقالوا : محمد غارينا ، فقال عبد الله بن أبي سرح - وهو
يومئذ عندهم حال رده عن الإسلام - وأسلم بعد ذلك - إن عندى رأياً ، إن محمداً
لن يغزوكم حتى يعذير إليكم ، ويخيركم في خصال كلها أهون عليكم من غزوه ، قالوا
ما هي ؟ قال : يرسل إليكم أن دوا^(١) قتلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلاً ، أو تبرءوا
من حلف من نقض الصلح وهم بنو نفاثة ، أو ينبذ إليكم على سواء ، فما عندكم
في هذه الخصال ؟ فقال القوم : آخر بما قال ابن أبي سرح - وقد كان به علماً - قال
سهيل بن عمرو : ما خلة أهون علينا من أن نبرأ من حلف بنى نفاثة . فقال شيبة
ابن عثمان البدرى^(٢) حفظت أحوالك ، وغضبت لهم . قال سهيل^(٣) : وأى قريش لم
تلد خزاعة ؟ قال شيبة : ولكن ندى قتلى خزاعة فهو أهون علينا ، وقال قرظة^(٤)
ابن عبد عمرو : لا والله لا يؤدون ولا نبرأ من حلف بنى نفاثة ، ولكننا ننبد إليه على
سواء . وقال أبو سفيان : ليس هذا بشئ ، وما الرأي إلا جحد هذا الأمر ؛ أن تكون
قريش دخلت في نقض عهد أو قطع مدة وإنه^(٥) قطع قوم بغير رضى منا ولا مشورة
فما علينا . قالوا : هذا الرأي لا رأى غيره .

وقال عبد الله بن عمر - رضى الله تعالى عنهما - : إن ركب خزاعة لما قدموا على
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخبروه خبرهم ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) دوا قتل خزاعة : ادفنوا ديتهم .

(٢) الإضافة للتوضيح عن المغازى للواقدي ٢ : ٧٨٧ .

(٣) سقط في الأصول والإثبات عن المرجع السابق .

(٤) في الأصول قريظة والمثبت عن الواقدي وشرح المواهب ٢ : ٢٩٢ .

(٥) كذا في الأصول . وفي المغازى للواقدي ٢ : ٧٨٨ « فإن قطعه قوم بغير هوى » .

وسلم - : « فمن تَهَمَّتْكُمْ وَظَنَّتْكُمْ ؟ » قالوا : بنو بكر ، قال : « أكلها ؟ » قالوا : لا ، ولكن بنو نَفَاثَةَ قَصْرَةَ ورأس القوم نَوَفْلُ بن معاوية النَفَاثِي . قال : « هَذَا بَطْنٌ مِنْ بَنِي بَكْرِ ، وَأَنَا بَاعِثٌ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَسَائِلُهُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَمُخَيَّرُهُمْ فِي خِصَالِ ثَلَاثٍ » ، فَبَعِثَ إِلَيْهِمْ ضَمْرَةَ - لَمْ يَسْمِ أَبَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ - يُخَيِّرُهُمْ بَيْنَ إِحْدَى خِلَالٍ ، بَيْنَ أَنْ يَدُلُّوا قَتْلَى خُرَاعَةَ أَوْ يَبْرِغُوا مِنْ حَلْفِ بَنِي نَفَاثَةَ ، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سِوَاءٍ . فَاتَاهُمْ ضَمْرَةُ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَانَاخَ رَاحِلَتَهُ / بَبَابِ الْمَسْجِدِ ، ٢٢٩ وَفَدَخَلَ وَقَرِيشٌ فِي أُنْدِيَّتِهَا ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَخْبَرَهُمْ بِالَّذِي أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِهِ فَقَالَ قَرْظَةُ ^(١) : بَنِي عَبْدِ عَمْرٍو الْأَعْمَى : أَمَا أَنْ نَدَى قَتْلَى خُرَاعَةَ فَإِنْ نَفَاثَةَ فِيهِمْ عُرَامٌ ^(٢) فَلَا نَدِيهِمْ حَتَّى لَا يَبْقَى لَنَا سَبْدٌ ^(٣) وَلَا لَبَدٌ ، وَأَمَا أَنْ نَتَبَرَّأَ مِنْ حِلْفِ نَفَاثَةَ فَإِنَّهُ لَيْسَ قَبِيلَةً مِنَ الْعَرَبِ تَحِجُّ هَذَا الْبَيْتَ أَشَدَّ تَعْظِيماً لَهُ مِنْ نَفَاثَةَ ، وَهُمْ حِلْفَاؤُنَا ، فَلَا نَبْرَأُ مِنْ حِلْفِهِمْ ، أَوْ لَا يَبْقَى ^(٤) لَنَا سَبْدٌ وَلَا لَبَدٌ ، وَلَكِنْ نَنْبِذُ إِلَيْهِ عَلَى سِوَاءٍ ، فَرَجَعَ ضَمْرَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ .

وندمت قريش على رد رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعثت أبا سفيان فذكر قصة مجيئه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما سيأتي .

* * *

نكر اخباره - صلى الله عليه وسلم - بان ابا سفيان سيقدم ليجدد العهد فكان كما اخبر

روى محمد بن عمر عن جرّام بن هشام عن أبيه - رحمهما الله - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لَكَاثُكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَ يَقُولُ : جَدَّدَ الْعَهْدَ وَزَدَ فِي الْهُدْنَةِ ^(٥) ، وَهُوَ رَاجِعٌ بِسُخْطِهِ » .

(١) في الأصول « قرنطة » وانظر التعليل قبل السابق .

(٢) العرام : الشدة والقوة والشراسة (النهاية في الغريب ٣ : ٨٩) .

(٣) السبد : الشعر . واللبد : الصوف (القاموس) .

(٤) كذا في الأصول - وفي المغازي للواقدي ٢ : ٧٨٧ « ما بقى لنا » .

(٥) كذا في المغازي للواقدي ٢ : ٧٩١ - وفي شرح المواهب ٢ : ٢٩٢ « المدة » وكذا في البداية والنهاية ٤ : ٢٨٠

وروى عبد الرزاق عن نعيم مولى ابن عباس ، وابن أبي شبة عن عكرمة ، ومحمد ابن عمر عن شيوخه ، واللفظ له : أن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي ربيعة مشيا إلى أبي سفيان بن حرب ، فقالا : هذا أمر لأبد له من أن يصلح ، والله لئن لم يصلح هذا الأمر لا يروحكم إلا محمد في أصحابه ، فقال أبو سفيان : قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وأفظعتها . وخفت من شرها ، قالوا : وما هي ؟ قال : رأت دماً أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة^(١) ملياً ، ثم كأن ذلك الدم لم يكن . فكره القوم الرؤيا .

وقال أبو سفيان : لما رأى ما رأى من الشر : هذا والله أمر لم أشهده ، ولم أغب عنه ، لا يحمل هذا إلا على ، ولا والله ما شوورت فيه ، ولا هويته حين بلغني ، والله ليغزونا محمد إن صدقني ظني ، وهو صادق ، وما بد من أن آتي محمداً فأكله أن يزيد في الهدنة ويجدد العهد . فقالت قريش : قد والله أصبت ، ونديمت قريش على ما صنعت من عون بني بكر على خزاعة ، وتخرجوا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يدعهم حتى يغزوهم . فخرج أبو سفيان ، وخرج معه مولى له على راحلتين ، فأسرع السير وهو يرى أنه أول من خرج من مكة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلقى بُدَيْلَ ابن ورقاء بعُسقان ، فأشفق أبو سفيان أن يكون بُدَيْل جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل كان اليقين عنده ، فقال للقوم : أخبرونا عن يشرب متى عهدكم بها ؟ قالوا : لا علم لنا بها ، فعلم أنهم كتموه ، فقال : أما معكم من تمر يشرب شيء تطعموناه ،^{ط ٢٢٩} فإن لتمر يشرب فضلا على تمر تهمامة ؟ قالوا : لا . فأبت نفسه / أن تُقره حتى قال : يا بُدَيْل : هل جئت محمداً ؟ قال : لا ما فعلت ، ولكن سرت في بلاد بني كعب وخزاعة من هذا الساحل في قتيل كان بينهم فأصلحت بينهم^(٢) . فقال أبو سفيان : إنك - والله - ما علمت برؤاى ، ثم قايلاًهم أبو سفيان حتى راح بُدَيْل وأصحابه ، فجاء

(١) الخندمة : جبل بمكة (معجم ما استمع ٣١٩) .

(٢) الإضافة عن المغازي للواقدي ٢ : ٧٩٢ .

أبو سفيان مِنْزَلَهُمْ فَفَتَّ أَبْعَارَ أَبَاعِرِهِمْ فوجد فيها نوى^(١) من تمر عجوة كأنها ألسنة الطير ، فقال أبو سفيان : أحلف بالله لقد جاء القوم محمداً .

وكان القوم لما كانت الواقعة خَرَجُوا من صُبْح ذلك اليوم فساروا ثلاثاً ، وخرجوا من ذلك اليوم فساروا إلى حيث لقيهم أبو سفيان ثلاثاً ، وكانت بنو بكرٍ قد حبست خُرَاعَةً في داري بُدَيْلٍ ورافع ثلاثة أيام يكلمون فيهم ، وأنتمرت قريش في أن يخرج أبو سفيان ، فأقام يومين . فهذه خمس بعد مقتل خُرَاعَةٍ ، وأقبل أبو سفيان حتى دخل المدينة ، فدخل على أبنته أم حبيبة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - فأراد أن يجلس على فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فطوته دونه . فقال : يا بُنَيَّةُ !! أرغبت بهذا الفراش عني أوبي عنه ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنت أمرؤ مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يا بُنَيَّةُ لقد أصابك بعدى شرٌ ، فقالت : بل هداني الله للإسلام . وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها ، كيف يسقط عنك الدخول في الإسلام ؟ وأنت تعبدُ حجراً لا يسمع ولا يبصر ؟ فقام من عندها ، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في المسجد ، فقال : يا محمد !! إنني كنت غائباً في صلح الحُدَيْبِيَّةِ فاشدد العهد ، وزدنا في المدة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « فَلِذَلِكَ جِئْتُ يَا أَبَا سُفْيَانَ ؟ » قال : نعم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « هَلْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ مَنْ حَدَّثَ ؟ » قال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحُدَيْبِيَّةِ لا نغير ولا نبدل ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « فَنَحْنُ عَلَى مُدَّتِنَا وَصُلْحِنَا يَوْمَ الحُدَيْبِيَّةِ لا نغير ولا نبدل » فأعاد أبو سفيان على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القول ، فلم يرد عليه شيئاً .

فذهب إلى أبي بكر - رضى الله عنه - فكلمه وقال : تُكَلِّمُ محمداً أو تجير أنت بين الناس ، فقال أبو بكر : جَوَارَى في جَوَارِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زاد ابنُ عُقْبَةَ : والله لو وجدتُ الذرَّ تقاتلكم لأعنتها عليكم .

(١) في الأصول « نوايتين » والحبت عن المرجع السابق . ويؤكد عود الضمير في « كأنها ألسنة الطير » .

فأتى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فكلمه بمثل ما كلّم به أبا بكر ، فقال :
 أنا أشفعُ لكم عند رسول الله - صلى الله عليه وسلّم !! فوالله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم
 ٢٣٠ و به ، ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله ، وما كان منه مثيناً فقطعه الله / ، وما كان
 منه مقطوعاً فلا وصله الله . فقال أبو سفيان جُوزيتَ من ذى رحمٍ شراً .

فأتى عثمان بن عفّان - رضى الله عنه - فقال إنّه ليس فى القوم أحدٌ أقربَ رحماً
 منك ، فرّد فى المدة ، وجَدّد العهد ؛ فإنّ صاحبك لا يرُدّه عليك أبداً ، فقال عثمان :
 جوارى فى جوار رسول الله - صلى الله عليه وسلّم .

فأتى علياً - رضى الله تعالى عنه - فقال : يا على إنك أمّس القوم بى رحماً ، وإنى
 جئتُ فى حاجةٍ فلا أرجع كما جئتُ خائباً ، فاشفع لى إلى محمد . فقال : وَيَحْكُ
 يَا أَبَا سُفْيَانَ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلّم - على أمرٍ ما نستطيعُ
 أن نكلمه فيه ، فأتى سعد بن عبّادة - رضى الله تعالى عنه - فقال : يا أبا ثابت أنت
 سيد هذه البحيرة فأجّر بين الناس ، وزدّ فى المدة ، فقال سعد : جوارى فى جوار رسول
 الله - صلى الله عليه وسلم - وما يجير أحدٌ على رسول الله - صلى الله عليه وسلّم -
 فأتى أشراف قريش والأنصار فكلهم يقول جوارى فى جوار رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 ما يجير أحدٌ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أيسَ ممّا عندهم ، دخل على
 فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - والحسن غلامٌ يدبُّ بين يديها فقال : يا بنت محمد ،
 هل لك أن تجيرى بين الناس ؟ فقالت : إنّما أنا امرأة ، وأبت عليه ، فقال : مَرِ
 أَبْنَكَ هذا - أى الحسن بن على - رضى الله عنهما - فيجير بين الناس ، فيكون سيّد
 العرب إلى آخر الدهر . قالت : والله ما بلغ أبنى ذلك أن يُجِيرَ بين الناس ، وما يجير
 أحدٌ على رسول الله - صلى الله عليه وسلّم .

فقال لعلّى : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدّت على فأنصحنى . قال :
 والله ما أعلم شيئاً يُغنى عنك شيئاً ، ولكنك سيّد بنى كنانة وقال : صدقت ، وأنا
 كذلك . قال : فقم فأجّر بين الناس ثم الحق بآرضك ، قال : أو ترى ذلك مُغْنِيّاً

عَنْ شَيْئاً؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ^(١) ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ لَكَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ وَلَا وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَنْ يَخْفِرُنِي أَحَدٌ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا حَنْظَلَةَ !! » ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ وَانْطَلَقَ .

وكان قد احتبس وطالت غيبته ، وكانت قريش قد اتهمته حين أبطأ أشدَّ التهمة ، قالوا : وَاللَّهِ إِنَّا نَرَاهُ قَدْ صَبَأَ ، وَاتَّبَعَ مُحَمَّدًا سِرًّا وَكَمَّ إِسْلَامَهُ .

فلما دخل على هند امرأته ليلاً ، قالت : لَقَدْ اخْتَبَسْتَ حَتَّى اتَّهَمَكَ قَوْمُكَ ، فَإِنْ كُنْتَ مَعَ الْإِقَامَةِ جِئْتَهُمْ بِنُجْحٍ^(٢) فَأَنْتَ الرَّجُلُ ، ثُمَّ دَنَا مِنْهَا فَجَلَسَ مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ^(٣) . فَقَالَتْ مَا صَنَعْتَ ؟ فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ ، وَقَالَ : لَمْ أَجِدْ إِلَّا مَا قَالَ لِي عَلِيٌّ ، فَضَرَبْتُ بَرَجْلَهَا فِي صَدْرِهِ وَقَالَتْ : قُبِّحَتْ مِنْ رَسُولِ قَوْمٍ ، فَمَا جِئْتُ بِخَيْرٍ .

فلما أصبح أبو سُفْيَانٍ حَلَقَ رَأْسَهُ عِنْدَ إِسَافٍ وَنَائِلَةٍ ، وَذَبَحَ لَهَا ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ بِالْدَمِ رُغُوسَهُمَا وَيَقُولُ : لَا أَفَارِقُ عِبَادَتِكُمَا حَتَّى أَمُوتَ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ أَبِي ، إِبْرَاءُ لِقَرِيشٍ مِمَّا اتَّهَمُوهُ بِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَرِيشٌ ، قَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا : مَا وَرَاءُكَ ؟ هَلْ جِئْتَ بِكِتَابٍ مِنْ مُحَمَّدٍ أَوْ زِيَادَةٍ فِي مُدَّةٍ مَا نَأْمَنُ بِهِ أَنْ يَغْزُونَا مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَبِي عَلِيٌّ ، وَفِي لَفْظٍ : لَقَدْ كَلِمَتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَى شَيْئاً ، وَكَلِمَتُ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ خَيْراً ، ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَوَجَدْتُهُ أَدْنَى الْعَدُوِّ^(٤) ، وَقَدْ كَلِمْتُ عَلَيْهِ أَصْحَابَهُ ، فَمَا قَدَرْتُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ يَرْمُونَنِي بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَمَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَطْوَعَ لِمَلِكٍ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ لَهُ ، إِلَّا أَنْ عَلِيًّا لَمَّا ضَاقَتْ بِي الْأُمُورُ قَالَ : أَنْتَ سَيِّدُ بَنِي كِنَانَةَ ، فَأَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَنَادَيْتُ بِالْجَوَارِ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ « أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا حَنْظَلَةَ !! »

(١) وفي شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٩٣ « قال : لَا وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ » .

(٢) كَذَا فِي ت ، ط ، م . وفي ص « جِئْتَهُمْ بِشَيْءٍ » .

(٣) كَذَا فِي ت ، ط ، م . وفي ص « مِنْ أَمَتِهِ » .

(٤) وفي شرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٩٤ « أَعْدَى الْعَدُوِّ » وَكَذَلِكَ فِي السِّيرَةِ الْحَلَبِيَّةِ ٣ : ٨٦ .

لم يزدني . قالوا : رضيت بغير رضى ؛ وجئت بما لا يُغنى عَنَّا ولا عَنْكَ شيئاً ، ولعمُرُ الله ما جوارُكَ بجائِز ، وإنَّ إخْفَارَكَ عليهم هَيِّنٌ ، ما زاد^(١) عَلَى من أن لَعِبَ بك تلعباً . قال : والله ما وجدت غير ذلك . /

٤٦٥
٢٣١

فكر مشاورته — صلى الله عليه وسلم — أبا بكر وعمر — رضى الله عنهما —
في غزو قريش

روى ابن أبي شَيْبَةَ عن محمد بن الحنفِيَّة — رحمه الله — عن أبي مالك الأشْجَعِيِّ — رضى الله عنه — قال : خرج رسولُ الله — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — من بعض حجره فجلس عند بابها — وكان إذا جلس وَحْدَهُ لم يَأْتِهِ أَحَدٌ حتى يدعوه — ، فقال « اذْءُ لى أبا بكر » . فجاء فجلس أبو بكر بين يديه ، فناجاه طويلاً ، ثم أَمَرَهُ فجلس عن يمينه ، ثم قال : « اذْءُ لى عمر » فجاء فجلس إلى أبي بكر فناجاه طويلاً ، فرفع عُمَرُ صوته فقال : « يا رسول الله هُمُ رَأْسُ الْكُفْرِ ، هم الذين زَعَمُوا أَنَّكَ سَاحِرٌ ، وَأَنَّكَ كَاهِنٌ ، وَأَنَّكَ كَذَّابٌ ، وَأَنَّكَ مُفْتَرٍ » ، وَلَمْ يَدْعُ عُمَرُ شَيْئاً ، مَّا كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ يَقُولُونَهُ إِلَّا ذَكَرَهُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ ، فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ثُمَّ دَعَا النَّاسَ فَقَالَ : « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِمَثَلِ صَاحِبَيْكُمْ هَٰذَيْنِ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَلِيْنِ فِي اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدِّهْنِ اللَّيْنِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عُمَرَ ، فَقَالَ : « إِنَّ نُوحًا كَانَ أَشَدَّ فِي اللَّهِ مِنَ الْحَجَرِ ، وَإِنَّ الْأَمْرَ أَمْرُ عُمَرَ ، فَتَجَهَّزُوا وَتَعَاوَنُوا ، فَتَبِعُوا أَبَا بَكْرٍ فَقَالُوا : يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نَسْأَلَ عُمَرَ عَمَّا نَاجَاكَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ : قَالَ لى : « كَيْفَ تُأْمُرْنِى فِي غَزْوِ مَكَّةَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمُ قَوْمُكَ !! ، حَتَّى رَأَيْتُ أَنَّهُ سَيُطِيعُنِى ، ثُمَّ دَعَا عُمَرَ فَقَالَ عُمَرُ : هُمُ رَأْسُ الْكُفْرِ ، حَتَّى ذَكَرَ لَهُ كُلُّ سُوءٍ كَانُوا يَقُولُونَهُ ، وَأَيْمُ اللَّهِ وَأَيْمُ اللَّهِ لَا تَذِلُّ الْعَرَبَ حَتَّى تَذِلَّ أَهْلَ مَكَّةَ ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ بِالْجِهَادِ لِيُغْزَوْا مَكَّةَ .

(١) كذا فى ص . وفى ت ، ط ، م « مازاد على أن لعب بك » وفى شرح المواهب ٢ : ٢٩٤ « مازاد — أى على بن أبى

طالب » .

**نكر جهاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم / - واجابة دعائه بان لا تعلم
قريش بمسيره ، وامره بحفظ الطرق**

ذكر ابن عقبة ، وابن إسحاق ، ومحمد بن عمر - رحمهم الله تعالى - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكث بعد خروج أبي سفيان ما شاء الله أن يمكث ثم قال لعائشة : « جَهِّزِينَا وَأَخْفِي أَمْرَكَ » . وقال : « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يَرَوْنَا إِلَّا بَغْتَةً ، وَلَا يَسْمَعُونَنَا إِلَّا فَجْأَةً ^(١) » وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جماعة أن تقيم بالأنقاب ^(٢) ، وكان عمر بن الخطاب يطوفُ على الأنقاب ، فيمر بهم فيقول : لا تَدْعُوا أَحَدًا يمر بكم تُنْكِرُونَهُ إِلَّا رَدَدْتُمُوهُ ، وكانت الأنقاب مُسلمة - إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأل عنه .

**نكر كتاب حاطب بن أبي بلتعة ^(٣) - رضى الله عنه - الى قريش ليعلمهم
بغزو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إياهم ، وما وقع
في ذلك من الآيات**

روى الإمام أحمد ، والخمسة عن أبي رافع عن علي . وأبو يعلى ، والحاكم والضياء عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - والإمام أحمد ، وعبد بن حُمَيْد عن جابر ، وابن مردويه عن أنس - رضى الله عنهم - وابن مردويه عن سعيد بن جبير ، وابن إسحاق عن عُرْوَةَ ، وابن مردويه عن عبد الرحمن عن حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ ، ومحمد ابن عمر عن شيوخه - رحمهم الله تعالى : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لَمَّا أَجْمَعَ السَّيْرَ إِلَى مَكَّةَ ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ - رضى الله عنه - كتاباً إلى قريش يُخْبِرُهُم بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - من الأمر في المَسِيرِ

(١) في الأصول « إلا فلتة » والمثبت عن السيرة الحلبية « ٣ : ٨٦ ، والمغازى للواقدي ٢ : ٧٩٦ .

(٢) الأنقاب : الطرق ، كما في السيرة الحلبية ٣ : ٨٦ .

(٣) هو عمرو بن عبير النخعي ، حليف بني أسد ، اتفقوا على أنه شهد بدرًا . مات سنة ثلاثين من الهجرة (شرح

المواهب ٢ : ٢٩٤) .

إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، قال ابن إسحاق ، زعم محمد بن جعفر أنها من مُزَيْنَةَ - قال محمد بن عمر : يقال لها كُنُود ، قال ابن إسحاق : وزعم لي غير ابن جعفر : أنها سارة مَوْلَاةٌ لبعض بني المطلب ، وجعل لها جُعْلًا ، قال محمد بن عمر ديناراً ، وقيل عشرة دنانير ، على أن تبلغه أهل مكة ، وقال لها : أخفيه ما استطعت ، ولا تمرى على الطريق ؛ فإن عليه حَرَسًا ، فجعلته في رأسها ، ثم فتلت عليه قُرُونَهَا ، ثم خرجت به ؛ فسلكت غير نقب عن يسار المَحَجَّةِ في الفُلُوق^(١) حَتَّى لَقِيَت الطريق بالعقيق .

وذكر السَّهيلي - رحمه الله - تعالى - أنه قد قيل إنه كان في كتاب حاطب : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد توجه إليكم بجيش كالليل ، يسير كالسَّيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وَخَذَهُ لنصره الله تعالى عليكم ، فإنه منجزٌ له ما وعده فيكم ، فإن الله - تعالى - ناصره وولَّيه .

٢٣١ ط وفي تفسير ابن سلام أنه/ كان فيه : إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - قد نفر فإمّا إليكم ، وإمّا إلى غيركم ، فعليكم الحذر . انتهى .

وذكر ابن عقبة أن فيه : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد آذن بالغزو ، ولا أراه إلّا يريدكم ، وقد أَحْبَبْتُ ، أن يكون لي يدٌ بكتابي إليكم .

وأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث عليّ بن أبي طالب ، والزبير بن العوام - زاد أبو رافع : المِقْدَاد بن الأسود وفي رواية عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي : أبا مَرْثَد ، بدل المقداد ، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - « أدرك امرأة قد كتب معها حاطبٌ بكتابٍ إلى قريش ، يُحَذِّرُهُمْ ما قد أَجْمَعْنَا له في أمرهم ، ولفظ أبي رافع « انطلقوا حَتَّى تَأْتُوا روضة خاخ^(٢) » ،

(١) في الأصول « الملقوق » ويقول المصنف في شرح الغريب ص « لم أجده ذكرًا » (والمثبت عن المغازي للواقدي ٢ : ٧٩٩ والفلوق جمع فلق بمعنى الشق . يقال مررت بحرة فيها فلوق أى شقوق) الصحاح ٤ : ٥٤٤ ،
(٢) روضة خاخ . موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة (مراصد الاطلاع) وهو على بريد من المدينة (شرح المواهب ٢ : ٢٩٥) (وفي وفاء الوفا ٤ : ١١٩٨) « وقال الواقدي : روضة خاخ بقرب ذى الحليفة على بريد من المدينة ، وفي حديث علي بن أبي طالب . . . الخ وبين فيه أن المكان على قرب من اثني عشر ميلاً من المدينة وبقرب خاخ خليفة عبد الله ابن أبي أحمد . . . » .

فإن بها ظعينة معها كتاب « فخرجوا - وفي لفظٍ : فخرجنا ، حتَّى إذا كان بالخلِيقَةِ ، خليقة بنى أحمد^(١) »

وقال ابن عقبة : أدركاها ببطن ريم ، فاستنزلاها فالتمساه في رَحْلِها ، فلم يجداه شيئاً ، فقال لها على بن أبى طالب - رضى الله عنه - : إني أحلف بالله ما كذب رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وما كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنَكْشِفَنَّكِ ، فلما رأت الجدَّ ، قالت : أغرضاً . فحلَّت قُرُونَ رأسها ، فاستخرجت الكتابَ منها ، فدفعته إليه فأتى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا حاطباً ، فقال : « يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ قال : يا رسول الله . إني والله لمؤمن بالله ورسوله ؛ ما غيَّرتُ ، ولا بدَّلْتُ ، ولكنى كنت امرأً ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولدٌ وأهل ، فصانعتهم عليهم - .

ولفظ أبى رافع - فقال : يا رسول الله لا تعجل على ، إني كنت امرأً مُلْصَقاً فى قريش ، ولم أَكُنْ من أنْفُسِهِمْ ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أموالهم بها وأهليهم بمكة ، ولم يكن لى قرابة ، فأحببت إذ فاتنى ذلك من بنيهم أن أتخذ فيهم يدًا أحصى بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كُفْراً بعد إسلام . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُم » . فقال عمر لحاطب : قاتلك الله !! ترى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأخذ بالأنقاب وتكتب إلى قريش تحذرهم ؟ دعنى يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أضرب عنقه ؛ فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ما يُدْرِيكَ يا عمر أن الله عز وجل أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال : « اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » فَأَعْرِوْرَقْتَ عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم ، حين سمعه يقول فى أهل بدر ما قال .

(١) هى خليقة عبد الله بن أحمد بن جحش ، وهى أرض بنواحي المدينة يدفع فيها سيل المقيق بعد خروجه إلى النعم والتقاءه بوادى ريم ، وبها مزارع وقصور ونخيل ، ويقال إنها على اثنى عشر ميلاً من المدينة ، (وفاء الوفا : ٤ : ١٢٠٢) .

٢٣٢ وأنزل الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ » أى كفار مكة « أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ » توصلون « إِلَيْهِمْ » قصد/النبى غزوه الذى أسره إليكم - وورى بخبره « بِالْمَوَدَّةِ » بينكم وبينهم « وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ » دين الإسلام والقرآن « يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ » من مكة بتضييقهم عليكم لأجل « أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا » للجهاد « فِي سَبِيلِي وَأَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي » وجواب الشرط دل عليه ما قبله : أى فلا تتخذوهم أولياء « تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ » أى إسرار خبر النبى إليهم « فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ » أخطأ طريق الهدى ، والسواء فى الأصل : الوَسْطُ « إِنْ يَتَّقِفُواكُمْ » يظفروا بكم « يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ » بالقتل والضرب « وَاللَّيْنَتَهُمْ بِالسُّوءِ » بالسب ، والشم « وَوَدُّوا » تمنوا « لَوْ تَكْفُرُونَ . لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ » قراباتكم « وَلَا أَوْلَادُكُمْ » المشركون ، الذين لأجلهم أسرتهم الخبر من العذاب فى الآخرة « يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ » بالبناء للمفعول والفاعل « بَيْنَكُمْ » وبينهم فتكونون فى الجنة ، وهم فى جملة الكفار فى النار « وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (١) .

نكر إجماع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسير الى مكة

قال ابن عقبة ، وابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وغيرهم : لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ ، بَعَثَ أَبَا قَتَادَةَ بْنَ رَبِيعٍ إِلَى بَطْنِ إِضْمَ ؛ لِيُظَنَّ الظَّانُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَوَجَّهَ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَأَنْ لَا تَذْهَبَ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ وَأَبَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَسِيرَ إِلَى قَرِيْشٍ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ يَقُولُ لَهُمْ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَحْضِرْ رَمَضَانَ بِالْمَدِينَةِ » وَبَعَثَ رُسُلًا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ حَتَّى قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) سورة المتحنة الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

وقال حسان بن ثابت - رضى الله عنه تعالى - يُحَرِّضُ النَّاسَ وَيَذْكُرُ مُصَابَ^(١)
رجال خزاعة :

عَنَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِبَطْحَاءِ مَكَّةَ رَجَالُ بَنِي كَعْبٍ تُحَزُّ رِقَابُهَا
بِأَيْدِي رَجَالٍ لَمْ يَسْأَلُوا سِيُوفَهُمْ وَقَتَلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنِّ ثِيَابُهَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَالَنَ نَضْرَتِي سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو حَرْهَا وَعِقَابُهَا
فَلَا تَأْمَنُهَا يَا ابْنَ أُمِّ مُجَالِدٍ إِذَا احْتَلَبْتَ صِرْفًا وَأَعْصَلَ نَابُهَا
وَلَا تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سِيُوفَنَا لَهَا وَقْعَةٌ بِأَلْهَوَتْ يُفْتَحُ بِأَبُهَا

قال ابن إسحاق : وقول حسان - رضى الله عنه / : بِأَيْدِي رَجَالٍ لَمْ يَسْأَلُوا سِيُوفَهُمْ : ٢٣٢ ظ
يعنى قريشاً ، وابن أُمِّ مُجَالِدٍ ؛ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ .

واستخلف رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - على المدينة أبا رُهمَ كُلثُومَ بنَ حُصَيْنِ
الغفارى ، ويقال ابن أُمِّ مَكْتُومٍ ، وذكره ابن سعد ، والبَلَاذُرى ، والأَوَّلُ هو الصحيح ،
وقد رواه الإمام أحمد والطبرانى بسندٍ حسنٍ عن ابن عباس - رضى الله عنهما .

* * *

نكر خروجه - صلى الله عليه وسلم - من المدينة قاصدا مكة

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - خرج رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم -
يوم الأربعاء بعد العصر [لعرس خلون]^(٢) من رمضان ، ونادى مناديه : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ
فَلْيَصُمْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفْطِرَ فَلْيُفْطِرْ » وصام رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - فما
حَلَّ عُقْدَةٌ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى الصُّلُصْلِ^(٣) ، وخرج في المهاجرين والأنصار ، وطوائف من
العرب ، وقادوا الخيل ، وأمتطوا الإبل ، وقدم رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم -

(١) وانظر الشعر في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣٩٨ ، وشرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢٩٤ ، والبداية والنهاية لابن
كثير ٤ : ٢٨٣ .

(٢) الإضافة عن الواقدي ٢ : ٨٠١ .

(٣) الصلصل : موضع على سبعة أميال من المدينة ، وهو جبل معروف اليوم في أثناء البيداء على يمين المتجه إلى مكة شرق
عظم إلى القبلة (وفاء الوفا ٢ : ٣٣٦ ط الآداب) .

أمامه الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي مَائَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْبَيْدَاءَ قَالَ فِيهَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ : « إِنِّي لَأَرَى السَّحَابَ يُسْتَهْلُ بِنَصْرِ بْنِ كَعْبٍ » .

وَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْعَرَجَ ^(١) وَهُوَ صَائِمٌ ، صَبَّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ مِنَ الْعَطَشِ - كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ - وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي الْإِكْلِيلِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْعَرَجِ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ مِنَ الْحَرِّ وَهُوَ صَائِمٌ » ، وَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الْعَرَجِ - وَكَانَ فِيهَا بَيْنَ الْعَرَجِ وَالطَّلُوبِ ^(٢) - نَظَرَ إِلَى كَلْبَةٍ تَهْرُ عَنْ أَوْلَادِهَا ، وَهَنَّ حَوْطًا يَرْضَعْنَهَا ، فَأَمَرَ جَمِيلُ بْنُ سَرَّاقَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنْ يَقُومَ حِذَاءَهَا ؛ لَا يَعْضُ لَهَا أَحَدٌ مِنَ الْجَيْشِ ، وَلَا لِأَوْلَادِهَا ^(٣) .

وَقَدِمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَائَةِ جَرِيدَةٍ ^(٤) تَكُونُ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا كَانُوا بَيْنَ الْعَرَجِ وَالطَّلُوبِ أَتَوْا بَعْثَيْنِ مِنْ هَوَازِنَ ، فَاسْتَخْبِرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبِرَهُ أَنَّ هَوَازِنَ تَجْمَعُ لَهُ فَقَالَ : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَنْ يَحْبِسَهُ لَيْلًا يَذْهَبُ فَيَحْذَرُ النَّاسَ ، وَلَمَّا بَلَغَ قُدَيْدًا ^(٥) لَقِيَتْهُ سُلَيْمٌ هُنَاكَ ، فَعَقَدَ الْأَلْوِيَةَ وَالرَّايَاتَ ، وَدَفَعَهَا إِلَى الْقَبَائِلِ ^(٦)

(١) العرج : قرية جامعة على ثلاثين ميلاً من المدينة (وفاء الوفا : ٤ : ١٢٦٣) .

(٢) الطلوب : ماء في الطريق بين المدينة ومكة (معجم ما استمعتم ٤٥٤) .

(٣) وفي شرح المواهب ٢ : ٣٠٢ « روى البيهقي عن ابن شهاب : أن أبا بكر قال : يارسول الله أراني في المنام وأراك دنونا من مكة فخرجت إلينا كلبة تهر ، فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فإذا هي تشخب لبناً . فقال صلى الله عليه وسلم : ذهب كلهم وأقبل درهم ، وهم سيأوون بأرحامهم ، وإنكم لاقون بعضهم فإن أبا سفيان فلا تقتلوه » وستردي في السياق فيما بعد .

(٤) وعبرة الواقدي في المغازي ٢ : ٨٠٤ « تقدمت أمامه جريدة من خيل طليعة تكون أمام المسلمين » .

(٥) قديد : قرية جامعة بين مكة والمدينة ، كثيرة المياه (وفاء الوفا : ٤ : ١٢٨٧ - شرح المواهب ٢ : ٢٩٩) .

(٦) دفع لبنى سليم لواء وراية ، وبني غفار راية ، وأسلم لواءين ، وبني كعب راية ، ومزينة ثلاثة ألوية ، وجهينة أربعة ألوية ، وبني بكر لواء ، وأشجع لواءين (شرح المواهب ٢ : ٣٠٢ - السيرة الحلبية ٣ : ٩٠) .

وروى محمد بن عمر عن يزيد بن أسلم ، وأبي الحويرث - رحمهما الله تعالى -
 أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - لما أنتهى إلى قُدَيْدٍ قيل له : يا رسول الله
 هل لك في بيض النساء ، وأدم / الإبل ؟ بنى مُذَلِّج ، فقال : - صَلَّى الله عليه وسلم - : « ٢٢٣ و
 » إن الله عزَّ وجلَّ حرَّمهنَّ عَلَى بَصَلَةِ الرَّحْمِ . وفي لفظٍ « ببر الوالد ، ووكرهم في
 لَبَاتِ الإبل » .

وقدم العباس على رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - مُسْلِمًا . قال ابن هشام :
 لقيه بالجُحْفَةِ^(١) فأرسل ثقله إلى المدينة ، وسار مع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم .
 قال البلاذري : وقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم : « هَجَرْتُكَ يَا عَمُّ آخِرُ هِجْرَةٍ ،
 كما أَنَّ نُبُوتِي آخِرُ نُبُوءَةٍ » وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن أبي
 أمية بن المغيرة لَقِيَاهُ بِنَقَبِ الْعُقَابِ^(٢) ، وستأتي قصة إسلامهما في ترجمتهما .

ذكر فطره - صلى الله عليه وسلم - وأمره به

روى مسلم ، والترمذى عن جابر ، والشيخان ، وأبو داود ، والنسائي ، والطحاوى
 عن ابن عباس - رضى الله عنهم - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - خرج من المدينة
 في غزوة الفتح في رمضان يصوم ويصومون ، حتى بلغ الكُدَيْدِ بين عُسْفَانَ وقُدَيْدٍ ، وفي
 رواية بين عُسْفَانَ وأَمَجِ^(٣) ، وفي حديث جابر : كُرَاعُ الغَمِيمِ ، بلغه أَنَّ النَّاسَ
 شَقَّ عَلَيْهِمُ الصِّيَامَ ، وقيل له : إنما ينظرون فيما فعلتَ ، فلما أَسْتَوَى على راحلته بعد
 العصر دعا بإناء من لبن ، أو ماء ، وجزم جابر بأنه ماء . وكذا ابن عباس ، وفي رواية :
 فوضعه على راحلته ليرأهُ النَّاسُ ، فشرب فأفطر ، فناوله رجلًا إلى جنبه فَشَرِبَ

(١) الجحفة : أحد المواقيت ، قرية كانت كبيرة ذات منبر على نحو خمس مراحل ، وثلاث مراحل من المدينة وعلى
 نحو أربع مراحل ونصف من مكة ، وكانت أولًا تسمى « مهبة » (وفاء الوفا ٤ : ١١٧٤) .
 (٢) نقب العقاب . ويقال نيق العقاب : موضع قرب الجحفة (وفاء الوفا ٤ : ١٣٢٥ - شرح المواهب ٢ : ٣٠١ -
 سيرة النبي لابن هشام ٤ : ١٤) .
 (٣) أمج : بلد من أعراض المدينة ، وقيل واد من حرة بنى سليم يصب في البحر بعد خليص بجهة مكة بميلين . وبعده
 بميل وادى الأزرق (وفاء الوفا ٤ : ١١٣٠) .

فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ : إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ صَامٌ ، فَقَالَ : « أُولَئِكَ الْعُصَاةُ ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ » .
فَلَمْ يَزَلْ مَفْطَرًا حَتَّى أَنْسَلَخَ الشَّهْرَ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَحْنُ صِيَامٌ ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ » وَكَانَتْ رَخْصَةٌ ؛ فَمِنَّا مَنْ صَامَ ، وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ ، فَقَالَ : « إِنَّكُمْ مَصْبِحُوا عَدُوِّكُمْ ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ ، فَافْطَرُوا » فَكَانَتْ عَزِيمَةً ، فَافْطَرْنَا .

نَكَرَ نَزُولَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَرِّ الظَّهْرَانِ

قَالُوا : وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْمُسْلِمُونَ مَرَّ الظَّهْرَانِ عِشَاءً ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يوقِدُوا عَشْرَةَ آلَافِ نَارٍ ، وَجَعَلَ عَلَى الْحَرَسِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ عُرْوَةُ كَمَا عِنْدَ ابْنِ عَائِدٍ ، وَبِهِ جُزْمُ ابْنِ عَقِبَةَ وَابْنِ إِسْحَاقَ ، وَمُحَمَّدُ ابْنُ عَمْرِو بْنِ وَغَيْرِهِمْ ، وَعُمَيَّةُ الْأَنْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ يَبْلُغْهُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ عَنْ مَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ ، وَهُمْ مُغْتَمُونَ لَمَّا يَخَافُونَ مِنْ غَزْوِهِ إِيَّاهُمْ ، فَبَعَثُوا أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ .

وَرَوَى إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ ، وَالْحَاكِمُ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : مَضَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَامَ الْفَتْحِ حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ / مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ عُيِّنَتِ الْأَنْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ فَلَا يَأْتِيهِمْ خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ صَانِعٌ .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عُرْوَةَ قَالَ : لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَامَ الْفَتْحِ بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ، فَخَرَجَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ يَتَحَسَّسُ الْأَنْبَارَ . وَقَالَتْ قُرَيْشٌ : لِأَبِي سَفْيَانَ : إِنْ لَقِيتَ مُحَمَّدًا فَخُذْ لَنَا مِنْهُ أَمَانًا ، فَخَرَجَ هُوَ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، فَلَقِيَا بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ ، فَاسْتَبَعَاهُ ، فَخَرَجَ مَعَهُمَا يَتَحَسَّسُونَ الْأَنْبَارَ ، وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ

خَبِرًا ، أو يسمعون به ، فلما بَلَغُوا الْأَرَكَ من مَرِّ الظَّهْرَانِ ، وذلك عَشِيًّا رَأَوْا الْعَسْكَرَ وَالْقِيَابَ وَالنَّيْرَانَ كَأَنَّهُا نَيْرَانُ عُرْفَةٍ^(١) ، وسمعوا صهيل الخيل ، ورُغَاءَ الْإِبِلِ ، فَأَفْزَعَهُمْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا . قال عروة كما في الصحيح - : فقال بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ : هؤلاء بنو كعب - وفي رواية بنو عمرو : يعنى بها خزاعة - حَمَشَتْهَا^(٢) الحرب . فقال أَبُو سُفْيَانٍ : بنو عمرو أَقْلُ من ذلك .

نكر المنام الذى رآه أبو بكر الصديق - رضى الله عنه

روى البيهقي عن ابن شهاب - رضى الله تعالى عنه - أن أبا بكر قال : يا رسول الله !! أُرَانِي فِي الْمَنَامِ وَأُرَاكَ دَنَوْنَا مِنْ مَكَّةَ ، فَخَرَجْتُ إِلَيْنَا كَلْبَةً تَهَرَّ ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهَا اسْتَلَقْتُ عَلَى ظَهَرِهَا ، فَإِذَا هِيَ تَشْخُبُ لَبْنًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ذَهَبَ كَلْبُهُمْ وَأَقْبَلَ دَرَاهِمُ ، وَهُمْ سَيَأْوُونَ بِأَرْحَامِهِمْ وَإِنَّكُمْ لَأَقُونَ بَعْضُهُمْ فَإِنْ لَقِيتُمْ أَبَا سُفْيَانَ فَلَا تَقْتُلُوهُ .

نكر إعلامه - صلى الله عليه وسلم - بالليل بان أبا سفيان في الأراك وأمره بأخذه

روى الطبراني عن أَبِي لَيْلَى - رضى الله عنه - قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَرِّ الظَّهْرَانِ ، فَقَالَ : « إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بِالْأَرَكَ فَخُذُوهُ » فَدَخَلْنَا ، فَأَخَذْنَاهُ .

قال ابن عُقْبَةَ : فبينما هم ؛ يعنى أبا سُفْيَانَ ، وحكيم بن حزام ، وبُديلاً بن ورقاء كذلك لم يَشْعُرُوا حَتَّى أَخَذَهُمْ نَفَرٌ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْثَهُمْ عُيُونًا لَهُ ، فَأَخَذُوا بِخُطْمِ أَبْعَرْتَهُمْ فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالُوا : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابُهُ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : هَلْ سَمِعْتُمْ بِمِثْلِ هَذَا الْجَيْشِ ، نَزَلُوا عَلَى أَكْبَادِ قَوْمٍ لَمْ يَعْلَمُوا بِهِمْ .

(١) نيران عرفة : إشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة (شرح المواهب ٢ : ٣٠٣) .
(٢) كذا في الأصول - وجاء في شرح الغريب : خشتها : بالخاء والميم والشين ، وفي شرح المواهب ٢ : ٣٠٣ ، « جاشت بهم الحرب » . وفي السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٤٧ « حمشتها الحرب » بالخاء المهملة والشين المعجمة أى أحرقتها ، وقيل بالشين المهملة : أى اشتدت عليها . من الحاسة وهى الشدة - وكذلك في السيرة الحلبية ٣ : ٩١ .

وروى ابن أبي شَيْبَةَ عن أَبِي سَلَمَةَ ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حَاطِب -
 - رحمهما الله تعالى - قالا : أَخَذَ أَبُو سَفِيَّانٍ وَأَصْحَابُهُ [وكان] ^(١) حَرَسُ رَسُولِ اللَّهِ
 - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -
 تلك الليلة على الحرس ، فجاءوا بهم إليه ، فقالوا : جئناك بنفِرٍ أَخَذْنَاهُمْ مِنْ أَهْلِ
 مَكَّةَ ، فقال عمر وهو يضحك إليهم : والله لو جئتموني بِأَبِي سَفِيَّانٍ مَا زِدْتُمْ . قالوا :
 قد والله آتيناك بِأَبِي سَفِيَّانٍ . فقال : احبسوه فحبسوه حتى أصبح . فغدا به على رسول
 الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقال : ابن عقبة : لما دخل الحرس بِأَبِي سَفِيَّانٍ وصاحبيه ،
 لقيهم العباس بن عبد المطلب ، فأجارهم .

وروى ابن أبي شَيْبَةَ عن عكرمة : أن أبا سَفِيَّانٍ لما أخذه الحرس قال : دُلُونِي عَلَى
 الْعَبَّاسِ ، فَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَخْبِرَهُ الْخَبَرَ ، وذهب به إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وروى إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْه - بسندٍ صحيح عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن
 رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما نزل مرَّ الظهران ، رَقَّتْ نَفْسُ الْعَبَّاسِ لِأَهْلِ مَكَّةَ
 فقال : واصباحَ قريش ، والله لئن دخلها رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنَوَةٌ
 قبل أن يأتوه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنَوَةٌ ، [إنه] ^(٢) لهلاك قريش إلى آخر
 الدهر ، قال العباس : فَأَخَذْتُ بَغْلَةً رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الشَّهْبَاءَ
 فركبْتُها ، وقلتُ : أَلْتَمَسَ حَطَابًا ، أو صاحبَ لبن ، أو ذا حاجة يَأْتِي مَكَّةَ فيخبرهم
 بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها
 عليهم عَنَوَةٌ ، فوالله إننى لنى الأراك أَلْتَمَسَ مَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَ أَبِي سَفِيَّانٍ ،
 وَبُدِّلَ بَن وَرَقَاءَ ، وهما يتراجعا ، وأبو سَفِيَّانٍ يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا
 قط ولا عسكرا ! فقال بُدَيْلُ بْنُ وَرَقَاءَ : هذه والله خُرَاعَةٌ خَمَشَتْهَا الْحَرْبُ ، فقال أَبُو سَفِيَّانٍ :
 خُرَاعَةٌ أَقْلُ وَأَذَلُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانُهَا وَعَسْكَرُهَا ، قال العباس : فَعَرَفْتُ صَوْتَ
 أَبِي سَفِيَّانٍ ، فقلتُ : يا أبا حَنْظَلَةَ ، فعرف صوتي ، فقال : لَبَّيْكَ يَا أبا الْفَضْلِ ،

(١) الإضافة عن شرح المواهب ٢ : ٣٠٤ .

(٢) الإضافة عن سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٠٢ .

مالك فذاك أبي وأُمِّي !! وعرف صوتي ، فقلتُ : وَيْلَكَ !! هذا رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - في عشرةِ آلاف [فقال] (١) واصْبَاحَ قريشِ واللهِ بِأبي أنت وأُمِّي فما تأمرني ، هل من حيلة ؟ قلت : نعم ، اركب عَجَزَ هذه البغلة ، فَأَذْهَبْ بك إلى رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - فاستأمنه لك ، فإنه واللهِ إن ظَفِرَ بك دُونَ رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - لَتُقْتَلََنَّ ، فركب خلفي ، ورجع صاحباه - كذا في حديث ابن عباس وعند ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر : أنهما رجعا - وذكر ابن عُقْبَةَ ، ومحمد بن عمر في موضعٍ آخر : أنهما لم يرجعا ، وأنَّ العباسَ قَدِمَ بهم إلى رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - انتهى .

قال العباسُ : فجئتُ بِأبي سفيان ، كُلَّمَا مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلةَ رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - وأنا عليها قالوا : عَمَّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فلما رآني ، قام ، فقال : مَنْ هذا ؟ قلتُ : العباس ، فذهب ينظر ، فرأى أبا سفيان خلفي ، فقال : أي عدوِّ الله !! الحمدُ لله الَّذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يَشْتَدُّ نَحْوَ رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - وركضتُ البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجلَ البطيء ، فاجتمعنا على باب قُبَّةِ رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - فأقتحمتُ عن البغلة فدخلتُ على رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - / - ودخل عمر على أثرى ، فقال عمر : يا رسول الله !! هذا أبو سفيان قد [أمكن الله منه ط ٢٣٤ بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلاضرب عنقه ، قال قلت : يا رسول الله إني قد] (٢) أجرته ، ثم التزمتُ رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - فأخذت برأسه ، فقلتُ : والله لا يُناجيه اللَّيْلَةُ دوني رجلٌ . فلما أكثر عمر في شأنه ، فقلتُ : مَهْلًا يا عمر ، فوالله لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلتَ هذا ، ولكنك قد عَرَفْتَ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ بني عبد مناف ؛ فقال : مَهْلًا يا عباس ، وفي لفظٍ يا أبا الفضل ، فوالله لإسلامك يومَ أسلمتَ

(١) الإضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٤٧ .

(٢) سقط في الأصول والإثبات عن سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٠٣ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٩١ .

كان أحبَّ إلى من إسلام الخطَّاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفتُ أن إسلامكَ كان أحبَّ إلى رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - من إسلام الخطَّاب لو أسلم .

وذكر ابنُ عقبة ، ومحمدُ بن عمر في موضع آخر : قال العباس ، فقلتُ : يا رسولَ الله !! أبو سُفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُدَيْل بن ورقاء قد أجزتُهُم ، وهم يدخلون عليك ، فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم « أَدْخِلُهُمْ » فدخلوا عليه ، فمكثوا عنده عامَّة اللَّيْلِ يَسْتَحْضِرُهُمْ^(١) رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ودعاهم إلى الإسلام ، فقالوا : نشهد أن لا إله إلا الله ، فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - : « إشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله ، فشهد بُدَيْل ، وحكيم بن حزام ، وقال : أبو سُفيان : ما أعلم ذلك ، والله إنَّ في النَّفْس من هذا لشيءٌ بعد ، فأرجئها .

وعند أبي شيبة عن أبي سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب : أنه قيل لحكيم ابن حزام : بَايِعْ ، فقال : أبايحك ولا أجزَّ إلا قائِماً . فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - « أَمَا مِنْ قَبْلِنَا فَلَنْ^(٢) تَجِرَّ إِلَّا قَائِماً » . انتهى .

وقيل لأبي سُفيان ذلك ، فقال : كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْأَلَاتِ وَالْعُزَّى ؟ فقال عمرُ بنُ الخطاب - وهو خارجُ القُبَّة : إخرأ عليها ، أما والله لو كنت خارج القبة ما قُلتها ، فقال أبو سُفيان : مَنْ هذا ؟ قالوا : عمر بن^(٣) الخطاب قال العباس : فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - : « اذهب به يَاعَبَّاسُ إِلَى رَحْلِكَ ، فإذا أصبحتُ فاتني به » قال : فذهبت به إلى رحلي .

وعند ابن عقبة ، ومحمد بن عمر : فلما أَدَّنَ الصُّبْحُ أَدَّنَ العسكرُ كلهم : أي أجابوا المؤذن - ففزع أبو سُفيان من أذانهم ، فقال : ما يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ ؟ قال العباس ، فقلتُ : الصَّلَاة . قال : كم يُصلون ؟ قلتُ : خَمْسَ صَلَّاتٍ في اليوم واللَّيْلَة ، ثم رآهم

(١) أي عن أهل مكة (المغازي للواقدي ٢ : ٨١٧) .

(٢) كذا في ت ، ط ، م . وفي ص « فلا تجر » .

(٣) وفي رواية عبد بن حميد فقال أبو سُفيان : ويحك يا عمر ، إنك رجل فاحش ، دعني مع الذين هم غيايا أكلم

(شرح المواهب ٢ : ٢٣١) .

يَتَلَقُّونَ وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ مَلَكًا قَطُّ
كَالْيَوْمِ لَا مَلِكَ كَسَرَى وَلَا قَيْصَرَ ، قَالَ الْعَبَّاسُ : فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصُّبْحَ غَدَوْتُ بِهِ . وَعِنْدَ ابْنِ عَقْبَةَ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو : أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ
سَأَلَ الْعَبَّاسَ فِي دُخُولِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ
عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، وَيَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ : فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَامَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى
/ طَهُورِهِمْ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَا أَبَا الْفَضْلِ !! مَا لِلنَّاسِ أَمْرًا فِي بَشْيءٍ ؟ قَالَ : ٢٣٥
لَا وَلَكِنَّهُمْ قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ ، فَأَمَرَهُ الْعَبَّاسُ فَتَوَضَّأَ ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصَّلَاةَ كَبَّرَ وَكَبَّرَ
النَّاسُ ، ثُمَّ رَكَعَ ، فَرَكَعُوا ، ثُمَّ رَفَعَ ، فَرَفَعُوا ، ثُمَّ سَجَدَ فَسَجَدُوا ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ :
مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ طَاعَةً ، قَوْمَ جَمْعِهِمْ مِنْ هُنَا وَهُنَا ، وَلَا فَارِسَ الْأَكَارِمِ ، وَلَا الرُّومِ
ذَاتَ الْقُرُونِ بِأَطْوَعِ مِنْهُمْ لَهُ ، يَا أَبَا الْفَضْلِ أَصْبَحَ ابْنُ أَخِيكَ وَاللَّهُ عَظِيمُ الْمُلْكِ ،
فَقَالَ الْعَبَّاسُ : إِنَّهُ لَيْسَ بِمِلْكِكَ ، وَلَكِنَّهَا النُّبُوَّةُ ، قَالَ : أَوْ ذَاكَ . قَالَ الْعَبَّاسُ : فَلَمَّا فَرَغَ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « يَا أَبَا سُفْيَانَ ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ ! » قَالَ : بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي !! مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَعْظَمَ عَفْوَكَ ! إِنَّهُ لَوْ كَانَ
مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا بَعْدَ ، لَقَدْ اسْتَنْصَرْتُ إِلَهِي ، وَاسْتَنْصَرْتُ إِلَهَكَ ، فَوَاللَّهِ
مَا لَقِيتُكَ مِنْ مَرَّةٍ ، إِلَّا نُصِرْتَ عَلَيَّ ، فَلَوْ كَانَ إِلَهِي مُحِقًّا وَإِلَهُكَ مُبْطِلًا لَقَدْ غَلِبْتُكَ ،
فَقَالَ : « وَيَحْكُ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ » قَالَ : بَابِي
أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَعْظَمَ عَفْوَكَ ! أَمَّا هَذِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْئًا
حَتَّى الْآنَ ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : وَيَحْكُ ! أَسْلِمَ قَبْلَ أَنْ تُضْرِبَ عُنُقَكَ فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ ،
فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . وَظَاهَرَ كَلَامَ ابْنِ عَقْبَةَ
وَمُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو فِي مَكَانٍ آخَرَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْزُضَ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . قَالَ : قَالَ أَبُو سُفْيَانَ ، وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتَ بِأَوْبَاشِ النَّاسِ مِنْ يُعْرِفُ وَمَنْ لَا يُعْرِفُ إِلَى أَهْلِكَ وَعَشِيرَتِكَ !
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « أَنْتُمْ أَظْلَمُ وَأَفْجَرُ ؛ قَدْ غَدَرْتُمْ بِعَهْدِ الْحُدَيْبِيَّةِ ،
وَظَاهَرْتُمْ عَلَيَّ بَنِي كَعْبٍ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فِي حَرَمِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَأَمْنِهِ » ، فَقَالَ حَكِيمُ

وأبو سفيان : صدقت يا رسول الله : ثم قالوا : يا رسول الله !! لو كنت جعلت جِدِّكَ ومكيدتك هَوَازِن ، فهم أَبْعَدُ رَحْمًا ، وأشدَّ عداوة لك ؟ فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - : « إِنِّي لَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَ لِي ذَلِكَ كُلَّهُ . فتَح مكة ، وإِعْزَاز الإسلام بها . ، وهَزِيمَة هَوَازِن ، وَغَنِيمَة أَمْوَالِهِمْ وَذَرَائِهِمْ ؛ فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ - تعالى - فِي ذَلِكَ » .

قال ابن عقبة : قال أبو سفيان ، وحكيم بن حزام : يا رسول الله ادْعُ النَّاسَ بِالْأَمَانِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اعْتَزَلْتُ قَرِيْشٌ وَكَفَّتْ أَيْدِيهَا آمَنُونَ هَمْ ؟ فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - « نَعَمْ » قال العباس ، قلتُ : يا رسول الله !! قد عرفت أبا سفيان وجه الشرف والفخر ، فَأَجْعَلْ لَهُ شَيْئًا .

وعند ابن أبي شيبة عن أبي سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن : أن أبا بكر قال : ٢٣٥ يا رسول الله / إن أبا سفيان رجلٌ يحبُّ السَّمَاعَ ؛ يَغْنِي الشَّرْفَ - انتهى . فقال « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ » فقال : وما تَسَعُّ دارى ؟ زاد ابن عقبة « وَمَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فَهُوَ آمِنٌ » ودار أبي سفيان بأعلى مكة ، ودار حكيم بأ أسفلها « وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ » فقال أبو سفيان : وما يسع المسجد ؟ قال : « وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ » فقال أبو سفيان : هذه واسعة .

نكر ارادة ابى سفيان ، وحكيم بن حزام الانصراف الى قومهما ليعلماهم بذلك ووقوفهما ليرى جنود الله تبارك وتعالى

قال ابن عقبة : لما توجهوا ذاهبين ، قال العباس : يا رسول الله إني لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن إسلامه فارده حتى يفقهه ، ويرى جنود الله - تعالى - معك .

وروى ابن أبي شيبة عن أبي سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب : أن أبا سفيان لما وُلِّيَ ، قال أبو بكر : يا رسول الله ، لو أمرت بأبي سفيان فحبس على الطريق ؟

وقال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر : إن أبا سفيان لما ذهب لينصرف ، قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - لِلْعَبَّاسِ : « اخْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي » . قال ابن عقبة ،

ومحمد بن عمر : فأدركه العباس فحبسه ، فقال أبو سفيان أغدراً يا بني هاشم ؟ فقال العباس : إن أهل النبوة لا يغدرُونَ . ولفظ ابن عقبة : إِنَّا لَسَنَّا بغدر ، ولكن^(١) أصبح حتى تنظر جنود الله ، وإلى ما أعد الله للمشركين ، قال ابن عقبة فحبسهم بالمضيّق دون الأراك إلى مكة حتى أصبحوا .

وروى ابن عساكر عن عطاء قال : لا أحسبه إلا رفعه إلى ابن عباس - رضى الله - تعالى - عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة قُربه من مكة في غزوة الفتح « إِنَّ بِمَكَّةَ لَأَرْبَعَةَ نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَرْبَابُ بِهِمْ عَنِ الشُّرْكِ ، وَأَرْغَبُ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ » قيل : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : « عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو » .

* * *

ذكر تعبئة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه رضوان الله عليهم

ومرورهم بأبى سفيان ، وما وقع في ذلك من الآيات

قال ابن عقبة - رحمه الله تعالى - وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منادياً يُنادى ؛ لتصبح كل قبيلة قد أرحلت ، ووقفت مع صاحبها عند رايته ، وتظهر ما معها من الأداة والعدة . فأصبح الناس على ظهر ، وقَدَّم بين يديه الكتائب . قالوا : وَمَرَّتُ الْقَبَائِلُ عَلَى قَادَتِهَا . والكتائبُ على راياتها .

قال محمد بن عمر : وكان أول من قَدَّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالد ابن الوليد / في بني سليم - بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وسكون التحتية ، وهم ألف ، ويقال : ٢٣٦ و تسعمائة ، ومعهم لواءان وراية ، يحمل أحد اللوأمين العباس بن مرداس بكسر الميم ، والآخر يحمله خُفَاف - بخاء معجمة مضمومة - بن نُدْبَة - بنون مضمومة ، فдал مهملة - ويحمل الراية الحجاج بن علاط - بعين مضمومة فطاء مهملتين ، فلما مروا بأبى سفيان ، كبروا ثلاث تكبيرات ، ثم مضوا ، فقال أبو سفيان : يا عباس !! من

(١) وفي شرح المواهب ٢ : ٣٠٤ « ولكن لي إليك حاجة فتصبح فتنتظر » .

هؤلاء ؟ فقال : هذا خالد بن الوليد ، قال : الغلام ؟ قال : نعم قال : ومن معه ؟
قال : بنو سليم ، قال : مالي وبني سليم !

ثم مرَّ على أثره الزبير بن العوام في خمسمائة من المهاجرين وأفناء العرب ، ومعه
راية سوداء . فلما مروا ببني سُفْيَان كَبُرُوا ثلاثاً ، فقال أبو سُفْيَان : مَنْ هؤلاء ؟ قال :
هذا الزبير بن العوام ، قال : أبني أختك ؟ قال : نعم ، ثم مرَّت بنو غِفَار - بكسر
الغين المعجمة - في ثلاثمائة ، يحمل رايتهم أبو ذرٌّ ، ويقال : إيماء - بكسر الهمزة ،
وفتحها ، وسكون التحتية ؛ ممدود مصروف ، وقد يقصر مع الفتح - بن رَحْصَة -
بحاء ، فضاد معجمة مفتوحات ، وأجاز ابن الأثير : سكون الحاء ، واقتصر النووى
على الفتح ، وقال السهيلي : بضم الراء - فلماً حاذوه ، كَبُرُوا ثلاثاً ، فقال أبو سُفْيَان
مَنْ هؤلاء ؟ قال : بنو غِفَار ، قال : مالي ولبنى غِفَار ؟ ثم مرت أسلم في أربعمائة ،
فيهما لواءان يحمل أحدهما بُرَيْدَة - بلفظ تصغير البرد - بن الحُصَيْب - بضم الحاء ،
وفتح الصاد المهملتين ، فتحْتِية فموحدة - والآخر ناجية - بالنون ، والجيم - بن
الأعجم^(١) ، فلما حاذوه كَبُرُوا ثلاثاً ، فقال : من هؤلاء ؟ قال العباس : أسلم ، قال :
مالي ولأسلم ؟ ثم مرت بنو كَعْب بن عمرو في خمسمائة ، يحمل رايتهم بُسْر - بضم
الموحدة ، وسكون السين المهملة - بن سفيان فلما حاذوه ، كَبُرُوا ثلاثاً ، فقال : مَنْ
هؤلاء ؟ قال العباس : بنو عمرو بن كعب بن عمرو ، إخوة أسلم ، قال : نعم ، هؤلاء
حلفاء محمد ، ثم 'مرت مُزَيْنَة - بضم الميم ، وفتح الزاي ، في ألفٍ فيها ثلاثة ألوية
ومائة فرس ، يحمل ألويتها النعمان بن مُقَرِّن - بضم الميم ، وسكون القاف ، [وبالراء]^(٢)
والنون ، وعبد الله بن عمرو بن عوف ، وبلال بن الحارث ، فلما حاذوه كَبُرُوا ثلاثاً ،
قال : من هؤلاء ؟ قال : العباس : مُزَيْنَة ، قال : مالي ولمزينة ؟ قد جاءتني تقعقع
من شواهقها ، ثم مرَّت جُهَيْنَة - بضم الجيم ، وفتح الهاء وسكون التحتية ، وبالنون -
في ثمانمائة ، فيها أربعة ألوية ، يحملها أبو رَوْعة - بفتح الراء ، وسكون الواو - معبد

(١) انظر ترجمته في الإصابة ٣ : ٥١١

(٢) إضافة يقتضيا السياق .

ابن خالد ، وسويد بن صخر ، ورافع بن مكيث - بفتح الميم ، وكسر الكاف ، وبالمثلثة - وعبد الله بن بدر - بالموحدة - فلما حاذوه كبروا ثلاثاً ، فقال مَنْ هؤلاء ؟ قال : جُهَيْنَةَ ، قال : مالى ولجُهَيْنَةَ ؟ ثم مَرَّتْ كِنَانَةَ - بكسر الكاف - بنو ليث وضَمْرَةَ ، وسعد بن بكر في مائتين ، يحمل / لواءهم أبو واقد - بالقاف - اللَّيْثُ ، فلما حاذوه ٢٣٦ ط كبروا ثلاثاً ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قال العباس : بَنُو بَكْر ، قال : نعم ، أهل شُؤْمٍ والله ! هؤلاء الَّذِينَ غَزَا مُحَمَّدٌ بِسَبَبِهِمْ ، قال العباس : قد خَارَ اللَّهُ - تعالى - لكم في غَزْوِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَتَاكُمْ أَمْنُكُمْ ، ودخلتم في الإسلام كافة^(١) ، ثم مَرَّتْ أَشْجَع - بالشين المعجمة ، والجيم - وهم آخر من مَرَّ ، وهم ثلاثمائة معهم لواءان ، يحمل أحدهما معقل - بالعين المهملة ، والقاف - ابن سنان ، والآخر : نعيم بن مسعود . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً قال أَبُو سُفْيَان : من هؤلاء ؟ قال العباس : هؤلاء أَشْجَع ، قال أَبُو سُفْيَان : هؤلاء كَانُوا أَشَدَّ الْعَرَبِ عَلَى مُحَمَّدٍ ، قال العباس وأدخل اللَّهُ - تعالى - الإسلام في قلوبهم ، فهذا فضلُ من اللَّهِ ، ثم قال أَبُو سُفْيَان : أَبَعُدُ مَا مَضَى مُحَمَّدٌ ؟ فقال العباس : لا ، لم يمض بعد ، لو أَتَيْتُ الْكِتَابَةَ الَّتِي فِيهَا مُحَمَّدٌ رَأَيْتُ فِيهَا الْحَدِيدَ وَالْخَيْلَ وَالرِّجَالَ ، وما ليس لأَحَدٍ بِهِ طَاقَةٌ ، قال : ومن له بهؤلاء طَاقَةٌ ؟ وجعل النَّاسُ يَمْزُونَ ، كل ذلك يقولُ أَبُو سُفْيَان ما مَرَّ مُحَمَّدٌ ؟ فيقولُ العباس : لا ، حَتَّى طَلَعَتْ كَتِيبَةُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْخَضْرَاءُ^(٢) الَّتِي فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، وفيها الرِّايَاتُ وَالْأَلْوِيَةُ ، مع كُلِّ بَطْنٍ مِنْ بُطُونِ الْأَنْصَارِ لَوَاءٌ وَرَايَةٌ ، وهم في الحديد لا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ ، وَلِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِيهَا زَجَلٌ^(٣) بِصَوْتِ عَالٍ وَهُوَ يَزْعُمُهَا وَيَقُولُ : رَوِيداً [حَتَّى] ^(٤) يَلْحَقَ أَوْلَكُمْ آخِرَكُمْ - يقال : كَانَ فِي تِلْكَ الْكِتَابَةِ أَلْفَا دَارِعَ ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَايَتَهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، فَهُوَ

(١) زاد الواقدي في المغازي ٢ : ٨٢٥ « وحدثني عبد الله بن عامر عن أبي عمرة بن حابس قال : مرت بنو ليث وحدها وهم مائتان وخمسون ، يحمل لواءها الصعب بن جثامة ، فلما مروا كبروا ثلاثاً . فقال : من هؤلاء ؟ قال : بنو ليث . »

(٢) سميت الخضراء للبسهم الحديد . والعرب تطلق الخضرة على السواد كما تطلق السواد على الخضرة (السيرة الحلبية

٣ : ٩٤) .

(٣) الزجل : التطريب (اللسان) .

(٤) إضافة عن السيرة الحلبية ٣ : ٩٤ .

أمام الكتيبة ، فلما مرَّ سعدُ بـرايةِ رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - نادى أبا سفيان فقال : اليومُ يومُ الملحمة^(١) ، اليومُ تُستَحْلُ الحُرمة^(٢) اليومُ أذلُّ الله قريشا قال أبو سفيان : يا عباس ، حبذا يومُ الذِّمار^(٣) . فمرت القبائلُ ، وطلع رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وهو على ناقته القُصْوَاء . قال محمد بن عمر : بينَ أبي بكر الصديق ، وأسيد بن الحضير ، - وهو يحدثهما - فقال العباس : هذا رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم . وفي الصحيح عن عُرْوَةَ أَنَّ كتيبة الأنصارِ جاءت مع سعد بن عُبادة ، ومعه الرّاية ، قال : ولم يَرِ مثلها ، ثم جاءت كتيبةٌ هي أقلُّ الكتائب ، فيهم رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وأصحابه ، وراية رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - مع الزُّبير ، قال في العيون : كذا وقع عند جميع الرّواة . ورواه الحُمَيْدِيُّ في كتابه : هي أجلُّ الكتائب ، وهو الأظهر انتهى .

فقال أبو سفيان : لقد أَصْبَحَ مُلْكُ ابن أخيك اليوم عظيما . قال العباس : قلت : يا أبا سفيان إنها النُّبوءة ، قال : فنعم إذا .

وروى الطبراني عن العباس - رضى الله عنه - قال : لَمَّا بعث رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - قلتُ لأبي سفيان بن حرب : أسلم بنا ، قال : لا والله حتّى أرى الخيل تطلعُ من كدّاء ، قال العباس : قلتُ ما هذا ؟ قال شيء طلع بقلبي ، لأنَّ الله لا يطلع خيلا هناك أبدا ، قال العباس : فلما طلع رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - من هناك ذكّرتُ أبا سفيان به فذكره .

(١) الملحمة : قال الحافظ : بالحاء المهملة - أى يوم حرب لا يوجد منه مخلص ، أو يوم القتل ، ويقال : لحم فلانا إذا قتله (شرح المواهب ٢ : ٣٠٥) .
(٢) الحرمة : المقصود بها الكعبة (المرجع السابق ٢ : ٣٠٦) .
(٣) يوم الذمار : أى تمى أن تكون له قوة فيحمى قومه ويدفع عنهم ، وقيل المعنى : حبذا يوم الغضب للحرىم والأهل والا نصار لهم لمن قدر عليه ، وقيل معناه : هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحاجتى لقربك للمصطفى وجه لك وإقباله عليك (شرح المواهب ٢ : ٣٠٦) .

فلما مرَّ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - بآئى سفيان ، قال : يا رسول الله أمرت بقتل قومك !؟ أَلَمْ تَعْلَمْ ما قال سعدُ بنُ عبادة قال : « ما قال » قال : كذا وكذا ، وإني أَنشدك الله في قومك ، فَأَنْتَ أَبَرُّ الناس ، وَأَوْصل الناس ، وأرحم الناس ، فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - « كَذَبَ سَعْدُ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، اليوم يوم المرحمة ، اليوم يوم يُعْظَم الله فيه الكعبة ، اليوم يوم تُكْسَى فيه الكعبة ، اليوم يوم أعز الله فيه قريشا » .

وعند ابن إسحاق : أَنَّ سَعْدًا لما قال ما قال ، سمعه رَجُلٌ مِنَ المهاجرين ، قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله ما نَأْمَنُ أَنْ يكون له في قريش صَوْلَةٌ : وأستبعد ذلك الحافظ من عمر هنا لكونه كان معروفًا بشدة البأس عليهم .

وعند محمد بن عمر : أَنَّ عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، قالا ذلك لرسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - .

وقال ضِرَارُ - بضادٍ معجمة - بن الخطاب الفهرى - فيما ذكره محمد بن عمر ، وأبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى - شعرًا يستعطف^(١) رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - على أهل مكة حين سمع قول سعد ، قال أبو الربيع وهو من أجود شعر قاله .

وعند ابن إسحاق وعند ابن عساكر من طريق أبي الزبير عن جابر - رضى الله عنه - أَنَّ امرأة من قريش عارضت رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - بهذا الشعر ، فكَأَنَّ ضِرَارًا أرسل به المرأة ليكون أبلغ في أنعطاف رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - على قريش^(٢) :

يا نبيَّ الهدى إليك لَجَا حى قريش وَلَاتَ حِينَ لَجَاء^(٣)
حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ السَّعَةُ الْأَزْ ضِى وَعَادَاهُم إِلَهَ السَّمَاءِ

(١) كذا في ت ، ط ، م - وفي ص « يستعطف » .

(٢) وهذا القول الذى ذهب إليه ابن إسحاق وابن عساكر موافق لما في شرح المواهب ٢ : ٣٠٦ .

(٣) انظر القصيدة في شرح المواهب ٢ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

والتفت حلقنا البطان على القوم
 إن سعداً يريد قاصمة الظه
 خزرجي لو يستطيع من الغي
 وغر الصدر لا يهمل بشيء
 قد تلظى على البطاح وجاءت
 إذ ينادي بذل حتى قریش^(١)
 فلئن أقحم اللواء ونادى
 ثم ثابت إليه من بهم الخز
 لتكونن بالبطاح قریش
 / فانهينه فإنه أسد الأنس
 إنه مطرق يريد لنا الأمن
 م وتودوا بالصيلم الصلحاء
 ر بأهل الحجون والبطحاء
 ظ رمانا بالنسر والعواء^(٢)
 غير سفك الدما وسبي النساء
 عنه هند بالسوءة السوءاء
 وابن حرب بذاً من الشهداء
 يا حماة الأدبار^(٣) أهل اللواء
 رج والأوس أنجم الهيجا
 فقة القاع في أكف الإماء
 د لدى الغاب والغ في الدماء^(٤)
 ر سكوتا كالحية الصماء

ط ٢٣٧

فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى سعد ، فنزع اللواء من يده ، وجعله
 إلى ابنه قيس بن سعد ، ورأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن اللواء لم يخرج
 من يد سعد ، حتى صار إلى ابنه .

قال محمد بن عمر : فأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمرة من رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم - فأرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - بعمامته ، فدفع اللواء إلى ابنه
 قيس ، ويقال : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر علياً فأخذ الراية ، فذهب
 بها إلى مكة حتى غرزاها عند الركن .

(١) في الأصول « خزرجي لا يستطيع من البغض رمانا بالنسر والعواء »

والثابت عن شرح المواهب ٢ : ٣٠٦ وسيرة ابن كثير ٣ : ٥٦٠ وشرح المواهب ٢ : ٣٠٧ .

(٢) في الأصول : إذ ينادي يا ذل حتى قریش والثابت عن المرجع السابق

(٣) كذا في الأصول . وفي السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦٠ . (. : يا حماة اللواء أهل اللواء)

(٤) في السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٥٦٠

فانهينه فإنه الأسد الأوس - سود واليخ والغ في الدماء

قال أبو عمر - رحمه الله تعالى - : قد رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أعطى الراية للزبير إذ نزعها من سعد .

وروى أبو يعلى عن الزبير - رضي الله تعالى عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَفَعَهَا إِلَيْهِ فدخل بلوإيين ، وبه جزم موسى بن عقبة .

قال الحافظ : والذي^(١) يظهر في الجمع أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أرسل علياً لينزعها ، وَأَن يدخل بها . ثم خَشِيَ تَغْيِيرَ خَاطِرِ سَعْد ، فَأَمَرَ بِدَفْعِهَا لِابْنِهِ قَيْس ، ثم إِنَّ سَعْدًا خَشِيَ أَن يَقَعَ مِنْ ابْنِهِ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فسأل رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَن يأخذها ، فحينئذٍ أخذها الزبير ، ويؤيد ذلك ما رواه البزار بسند على شرط البخاري عن أَنَس - رضي الله عنه - قال : كان قَيْسٌ فِي مَقْدَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ ، فكلَّم سعدُ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَن يصرفه عن المَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ مَخَافَةَ أَن يَقْدَمَ عَلَى شَيْءٍ فصرفه عن ذلك . انتهى .

وروى ابن أبي شيبَةَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، وَيَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ ، وَالطَّبْرَانِي عَنْ عُروَةَ : أَنَّ الْعَبَّاسَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !! لَوْ أَذْنَتُ لِي فَأَتَيْتَهُمْ . أَي أَهْلَ مَكَّةَ - فدعوتهم فَأَمَنْتَهُمْ ، فركبَ الْعَبَّاسُ بَغْلَةً رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الشهباء ، وانطلق ، فقال رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي ، رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي ، فَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُّوْ أَبِيهِ - » إِنِّي أَخَافُ أَن تَفْعَلَ بِهِ قُرَيْشٌ مَا فَعَلْتَ ثَقِيفٌ بِعُروَةَ ابن مسعود ؛ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ - تعالى - فَقَتَلُوهُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَكِبُوهَا مِنْهُ لَأَضْرَمَنَّاهَا عَلَيْهِمْ نَارًا » فكره عَبَّاسُ الرجوع ، وقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ تُرْجِعَ أَبَا سَفِيَانَ رَاغِبًا فِي قِلَّةِ النَّاسِ ، فَيَكْفُرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ فَقَالَ « احْبِسْهُ » فَحَبَسَهُ ، فَذَكَرَ عَرْضَ الْقَبَائِلِ

(١) وقد ورد في المواهب اللدنية وعليها شرح الزرقاني ٢ : ٣٠٧ « فهذه ثلاثة أقوال فيمن دفعت إليه الراية التي نزع من سعد . والذي يظهر في الجمع - كما قال الحافظ - أن علياً أرسل لينزعها ويدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها إلى ابنه قيس . ثم إن سعداً خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير » ويستمر السياق على ما هنا في المتن .

ومرورها بآبي سفيان ، وفيه فقال أبو سفيان : امض يا عباس . فانطلق العباس حتى دخل مكة فقال : يا أهل مكة !! أسلموا تسلموا قد استبطنتم بأشهب بازل . انتهى .

٢٢٨ و في حديث عروة عند الطبراني/ : وكفهم الله عز وجل - عن العباس - انتهى . قال العباس ، فقلت لأبي سفيان بن حرب : أنج ويحك - فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخرج أبو سفيان ، فتقدم الناس كلهم حتى دخل مكة من كداء فصرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، أسلموا تسلموا ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قالوا : قاتلك الله ! وما تغني دارك ؟! قال : ومن أغلق بابي فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فقامت إليه هند بنت عتبة زوجته ، فأخذت بشاربه ، وقالت : أقتلوا الحميت^(١) الدسم الأحمس ، قبح من طليعة قوم . فقال أبو سفيان : ويلكم ! لا تغرئكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به .

نكر من امر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقتله يوم الفتح ،
ولا يدخل فيما عقد من الأمان^(٢)

هم عبد العزى ابن خطل - بفتح الخاء المعجمة ، والطاء المهملة ، وآخره لام وكان قد أسلم ، وسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الله وهاجر إلى المدينة ، وبعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ساعياً ، وبعث معه رجلاً من خزاعة ، وكان يصنع له طعامه ويخدمه فنزلاً في مجمع - والمجمع حيث تجتمع الأعراب يؤدون فيه الصدقة - فأمره أن يصنع له طعاماً ، ونام نصف النهار ، واستيقظ ، والخزاعي نائم ، ولم يصنع له شيئاً ، فعلى عليه فضربه فقتله ، وارتد عن الإسلام ، وهرب إلى مكة ، وكان يقول الشعر يهجو به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان له قينتان ، وكانتا فاسقتين ، فيأمرهما ابن خطل أن يغنيا بهجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

(١) الحميت : زق السنن - والدسم : الكثير الودك . والأحمس : الذي لاخير عنده (نهاية الأرب ١٧ : ٣٠٢) ، وشرح المواهب ٢ : ٣١٣ ، وستررد المعاني في شرح الغريب .
(٢) وانظر شرح المواهب ٢ : ٣١٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦٣ ، ونهاية الأرب للنويري ١٧ : ٣١٧ والمغازي للواقدي ٢ : ٨٢٦ ، وسيرة النبي لابن هشام بشرح الروض الأنف ٢ : ٢٧٣ .

وعن [أنس^(١)] قال : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مكة يومَ الفتح على رأسه المغفر ، فلما نزعهُ إِبْجَاءُ رَجُلٌ فَقَالَ : ابنُ خَطَلٍ متعلِّقٌ بِأَسْتَارِ الكعبة ، فقال رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اقْتُلُوهُ » رواه الإمام مالك والشيخان .

قال محمد بن عمر : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى ذِي طُوًى ، أَقْبَلَ ابْنُ خَطَلٍ مِنْ أَعْلَى مكة مُدْجِجًا فِي الحديدِ على فرسٍ وبِيده قناة ، فَمَرَّ ببَنَاتِ سعيد بن العاصِ فقال لهن : أَمَا وَاللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا مُحَمَّدٌ حَتَّى تُرِينَ ضَرْبًا كَأَفْوَاهِ^(٢) المِزَادِ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الخَنْدَمَةِ ، فَرَأَى خَيْلَ اللَّهِ ، وَرَأَى الْقِتَالَ فَدْخَلَهُ رُغْبٌ ، حَتَّى مَا يَسْتَمْسِكُ مِنَ الرَّعْدَةِ ، فَرَجَعَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الكعبة ، فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ ، وَطَرَحَ سِلَاحَهُ وَأَتَى الْبَيْتَ فَدَخَلَ تَحْتَ أَسْتَارِهِ ، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كَعْبٍ سِلَاحَهُ وَأَذْرَكَ فَرَسَهُ عَائِرًا فَاسْتَوَى عَلَيْهِ ، وَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْحَجُّونَ .

وعبد الله بن سعد / بن أَبِي سَرْحٍ - بفتح السَّيْنِ ، وإِسْكَانِ الرَّاءِ ، وبالحاء المهملات - ٢٢٨ ط
كَانَ أَسْلَمَ ، ثُمَّ ارْتَدَ ، فَشَفَعَ فِيهِ عُثْمَانُ يَوْمَ الْفَتْحِ ، فَحَقَّنَ دَمَهُ ، وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَبِلَ إِسْلَامَهُ ، وَحَسَّنَ إِسْلَامَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَوَلَّاهُ عَمْرُ بْنُ بَغَضٍ أَعْمَالَهُ ، ثُمَّ وَلَّاهُ عُثْمَانُ ، وَمَاتَ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ ، أَوْ بَعْدَ انْقِضَائِهَا ، وَكَانَ أَحَدَ النُّجَبَاءِ الْكَرَمَاءِ الْعُقَلَاءِ مِنْ قَرِيشٍ ، وَكَانَ فَارِسَ بَنِي عَامِرٍ بِنِ لَوْيَ الْمَقْدِمِ فِيهِمْ ، وَسَيَّأَتِي خَبْرَهُ مَبْسُوطًا فِي أَبْوَابِ كِتَابِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وعكرمة بن أبي جهل ، أسلم فقبِلَ إسلامه .

(١) سقط في الأصول ، والإثبات عن شرح المواهب ٢ : ٣٢١ ؛ فإن هذا الخبر من حديث مالك عن ابن شهاب عن أنس رضي الله عنه .

(٢) الكلمة غير واضحة في الأصول ، والإثبات عن المغازي للواقدي ٢ : ٨٢٧ . وشرح محققه الميزاد بقوله الميزاد جمع مزادة وهي الراوية . قال أبو عبيد : لا تكون إلا من جلدتين تفأم بجلد ثالث بينهما لتتسع (الصحاح ٤٧٩) وفي وفاء الوفا ٤ : ١٣٠٢ « المِزَادُ - بالفتح وذال معجمة وآخره مهمل من ذاده ، إذا طرده ، اسم أظم لبني حرام من بني سلمة فربي مسجد الفتح به سميت الناحية ، عنده مزرعة تسمى المِزَادُ ، قال كعب بن مالك يوم الخندق : -

من سره ضرب يرعبل بمضه بعضاً كمعمعة الإناء المحرق
فليأت مأسدة تسل سيونها بين المِزَادِ وبين جزع الخندق

والْحَوِيرِثُ - بالتصغير - بن نُقَيْدِر بضم النون ، وفتح القاف ، وسكون التَّحْتِيَةِ ، فـدال مهملة ، فراء مهملة ، كان يُؤَذِي رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - ونَحَسَ بزينت بنت رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلم - لما هاجرت إلى المدينة ، فأهدر دمه . فبينما هو في منزله قد أغلق عليه بابه ، فسأل عنه علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - فقليل هو بالبادية ، فأخبر الحويرث أنه يُطَلَّب ، فتَنَحَّى عَليُّ عن بابه ، فخرج الحويرث يريد أن يَهْرَبَ من بَيْتٍ إلى آخر ، فَتَلَقَّاهُ عَليُّ ، فَضْرَبَ عنقه .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة ، وأم كلثوم بنتي رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - مِنْ مَكَّةَ يُريدُ بهما المدينة ، فنَحَسَ بِهِمَا الحويرثُ فرمى بهما الأرض .

قال البلاذري - رحمه الله تعالى - وكان يُعْظِمُ القولَ في رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - وينشدُ الهجاءَ فيه ، ويكثرُ أذاه وهو بمكة .

ومِقْيَسُ . بيم ، فقاف ، فسين مهملة - بنُ صُبَّابة ، بصادٍ مهملة ، وموحدتين ، الأولى خفيفة - ، كان أسلم ، ثم أتى على رجلٍ من الأنصار فقتله ، وكان الأنصارى قتل أخاه هشامًا خطأ في غزوة ذي قرد ، ظَنَّهُ مِنَ العدوِّ ، فجاءَ مِقْيَسُ ، فأخذ الدِّيةَ ، ثم قَتَلَ الأنصارى ، ثم ارتد ، فقتله نُمَيْلَةُ - تصغير نملة - بن عبد الله يوم الفتح .

وهَبَّار - بفتح الهاء ، وتشديد الموحدة بن الأسود ، أسلم ، وكان قَبْلَ ذَلِكَ شديدَ الأذى للمسلمين ، وعرضَ لزينب بنت رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - لَمَّا هاجرت فنَحَسَ بها ، فإسقطت ، ولم يزل ذلك المرضُ بها حتى ماتت ، فَلَمَّا كان يومُ الفتح ، وبلغه أَنَّ رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - أَهْدَرَ دَمَهُ ، فَأَعْلَنَ بالإسلام ، فقبله منه رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - وَعَقَا عنه .

والْحَوِيرِثُ بن الطلائع الخزاعي ، قتله علي - رضى الله عنه - ذكره أبو معشر .

وكعب بن زهير ، وجاءَ بعدَ ذلك فأسلم ، ومَدَحَ . ذكره الحاكم .

ووخشي بن حرب ، وتقدم شأنه في غزوة أحد ، فهرب إلى الطائف ، فلما أسلم أهلها جاء فأسلم .

وسارة مولاة عمرو بن^(١) هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت مَعْنِيَةً نَوَاحَةً بمكة ، وكانت قَدِمَتْ على رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قبل الفتح ، وَطَلَبَتْ منه الصَّلَاةُ / وشكت الحاجة ، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - « ما كان في غنائك ٢٣٩ و ما يُغْنِيكَ ؟ » فقالت : إِنَّ قُرَيْشًا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء ، فوصلها رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وأوفر لها بغيراً طعاماً ، فرجعت إلى قريش . وكان ابنُ خَطَلٍ يُلْقِي عليها هِجَاءَ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فتغنى به . وهى التى وَجَدَ معها كتابُ حَاطِبِ ابنِ أَبِي بَلْتَعَةَ ، فَأَسْلَمَتْ وعاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب

وهند بنت عُتْبَةَ امرأةُ أَبِي سَفْيَانَ بن حرب ، وهى التى شَقَّتْ عن كَيْدِ حَمْزَةَ ابن عبد المطلب عم رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فَأَسْلَمَتْ ، فَعَفَا عنها :

وأرنب مولاة ابن خَطَلٍ ، وقينتان لابن خَطَلٍ ، كانتا تغنيان بهجوى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - اسم إحداهما فَرْتَنَى - بفتح الفاء ، وسكون الراء وفتح الفوقية ، فنون ، فألف تأنيث مقصورة ، والأخرى قَرِيبَةٌ - ضد بعيدة ، ويقال : هى أرنب السابقة ، فاستؤمن لإحداهما فَأَسْلَمَتْ ، وقتلت الأخرى ، وذكر عن ابن إسحاق أَن فَرْتَنَى هى التى أسلمت ، وَأَن قَرِيبَةَ قتلت .

وأم سعد قتلت فيما ذكره ابنُ إسحاق ، ويحتمل كما قال الحافظ - رحمه الله - تعالى - أَن تكون أرنب ، وأم سعد القينتان . واختلف في اسميهما باعتبار الكنية واللقب .

(١) جاء في شرح المواهب ٢ : ٣١٤ « وسارة مولاة لبعض بنى المطلب بن هاشم بن عبد مناف - كذا وقع بإيهام البعض عند ابن إسحاق ، ويقال في تعيين هذا البعض كانت مولاة عمرو بن صبيح بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وهى التى وجد معها كتاب حاطب » وقيل كانت مولاة العباس وانظر السيرة الحلبية ٣ : ١٠٧ .

نكر دخوله - صلى الله عليه وسلم - مكة وارسال طائفة من اصحابه
امامه وارادة بعض المشركين صدهم عن دخولهم ، وقتل المسلمين لهم

قال ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - وغيره : لَمَّا ذَهَبَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ مَا عَينَ جُنُودَ اللَّهِ - تعالى - تَمَرَّ عَلَيْهِ ، فَأَنْتَهَى الْمُسْلِمُونَ إِلَى ذِي طَوًى ، فَوَقَفُوا يَنْتَظِرُونَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى تَلَاَحَقَ النَّاسُ ، وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضِرَاءَ ، وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصَوَاءَ ، مُعْتَجِرًا بِشِقِّ بُرْدِ حَبْرَةَ حَمْرَاءَ .

وعن أنس - رضى الله عنه - قال : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسْتَشْرَفَهُ النَّاسُ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى رَحْلِهِ مَتَخَشُّعًا ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ قَوًى ، وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَى مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قال : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَئِذٍ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءَ ، وَرَابِتُهُ سُودَاءَ ، وَلَوْاؤُهُ أَسْوَدٌ حَتَّى وَقَفَ بِذِي طَوًى ، وَتَوَسَّطَ النَّاسُ ، وَإِنَّ عُثْمُونَ^(١) لَيَمَسُّ وَاسِطَةَ رَحْلِهِ ، أَوْ يَقْرُبُ مِنْهَا تَوَاضِعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ رَأَى مَا رَأَى مِنْ فَتْحِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَثْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ » قَالَ : وَجَعَلْتُ الْخَيْلُ تَمْجِعُ بِذِي طَوًى فِي كُلِّ وَجْهِ ، ثُمَّ ثَابِتٌ وَسَكَنَتْ حِينَ تَوَسَّطَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَوَاهُ مُحَمَّدُ ابْنُ عَمْرٍ .

وعن أنس - رضى الله تعالى عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَخَلَ مَكَّةَ ٢٢٩ ظ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءَ بَغِيرَ / إِحْرَامٍ ، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَمُسْلِمٌ ، وَالْأَرْبَعَةُ .

وعن عمرو بن حريث - رضى الله عنه قال : كَانَتْنِي أَنْظُرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءَ خَرْقَانِيَّةٌ^(٢) ، وَقَدْ أَرَخِي طَرَفَهَا

(١) العثون : الهمة (شرح المواهب ٢ : ٣٣٠) .

(٢) كذا في الأصول بالخاء : نسبة إلى خرقان قرية من قرى همدان (ياقوت) وبالحاء المهملة كما في شرح المواهب

٢ : ٣١٩ - نسبة إلى الخرقة بالضم ثم الفتح . ناحية بيمان (ياقوت) .

بين كنفه ، رواه مسلم ، وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح من كداء من أعلى مكة ، رواه البخارى ، والبيهقى .

وعن جابر - رضى الله عنه - قال : كان لواء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم دخل مكة أبيض ، رواه الأربعة .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : كان لواء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح أبيض ، ورايته سوداء تُسمى العقاب ، وكانت قطعة مرط مُرَحَل ، رواه ابن إسحاق .

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : لما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة عام الفتح ، رأى النساء يَلْطَمْنَ وُجُوهَ الْخَيْلِ بِالْخُمُرِ ، فتبسم إلى أبى بكر ، فقال : « يا أبا بكر كيف قال حسان » فأنشده أبو بكر ، قول حسان - رضى الله عنهما :

علمت بُنْيَتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تشير النَّقْعَ مِنْ كَفِيٍّ (١) كداه
ينازعن الْأَعْنَةَ مُسْرَجَاتٍ يُلْطَمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النساء

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ادخلوها من حيث قال حسان » .

وفى الصحيح وغيره عن عروة : « أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر الزبير ابن العوام أن يَدْخُلَ مِنْ كَدَاءٍ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ ، وأن يغرز رايته بِالْحَجُونِ ، ولا يبرح حَتَّى يَأْتِيَهُ » . وفى الصحيح أيضاً عن العباس أنه قال للزبير بن العوام : يا أبا عبد الله هَاهُنَا أَمْرُكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ تَرْكَزَ الرَايَةَ ؟ قال : نعم .

(١) كذا فى الأصول : وفى ديوان حسان بن ثابت ص ١٢ ط السعادة :

عندنا غيلنا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تشير النَّقْعَ موعدها كداه
ومطلع القصيدة :

عفت ذات الأصابع فالجواء إل عذراء مزها خلا

قال : وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خَالِدَ بْنَ الْوَلِيد - وكان على الْمُجَنَّبَةِ
الْيَمْنَى ، وفيها أَسْلَمَ ، وَسَلِّمَ ، وَغَفَّار ، وَمُزَيْنَةَ ، وَجُهَيْنَةَ ، وَقَبَائِلَ مِنَ الْعَرَب - أَنْ
يَدْخُلُوا مِنَ اللَّيْطِ ، وَهُوَ أَسْفَلُ مَكَّةَ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَغْرَزَ رَايَتَهُ عِنْدَ أَذَى الْبُيُوتِ^(١)

وأمر^(٢) أبا عبيدة بن الجراح - رضى الله عنه - على الحُسْر^(٣) ، كما عند الإمام أحمد .

وفي صحيح مسلم عن [عبد الله بن رباح^(٤)] أَنَّ أبا عبيدة كان على الْبَيَازَةِ^(٥) ، يعنى
الرجالة .

وعند ابن إسحاق وعبد الله بن أَبِي نَجِيح أَنَّ أبا عبيدة بن الجراح أَقْبَلَ بِالصَّفِّ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَنْصَبُ لِمَكَّةَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

قَالُوا : وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمْرَاءَهُ أَنْ يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ ، وَلَا
يَقَاتِلُوا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّ
صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ وَعِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ ، وَسُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو ، - وَأَسْلَمُوا بَعْدَ ذَلِكَ -
دَعَوْا إِلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجَمَعُوا أَنْاسًا بِالْخَنْدَمَةِ وَضَوْى إِلَيْهِمْ
نَاسٌ مِنْ قَرِيشَ ، وَنَاسٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ ، وَهَذَيْلٌ ، وَلَبَسُوا السِّلَاحَ ، يُقَسِّمُونَ بِاللَّهِ
٢٤٠ و لَا يَدْخُلُهَا مُحَمَّدٌ عَنُودًا أَبَدًا ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ يَقَالُ لَهُ جِمَاشُ^(٦) / - بِكسر
الجيم وتخفيف الميم - وبالشين المعجمة - بن قَيْسٍ بن خَالِدٍ لَمَّا سَمِعَ بِدُخُولِ رَسُولِ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَعَلَ يُضْلِحُ سِلَاحَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : لِمَنْ تُعِدُّ هَذَا ؟

(١) بعد هذا بياض في ت ، ط ، م بمقدار خمس كلمات . أما في ص فلا يوجد أى بياض ٢ : ٢٠٦ والكلام متصل كما ترى .

(٢) كذا في الأصول . وفي شرح المواهب ٢ : ٣١٧ « وبعث أبا عبيدة الخ » .

(٣) الحسر : الذين بغير سلاح أولا دروع لهم (شرح المواهب) ٢ : ٣١٧ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٩٧ .

(٤) بياض في الأصول ، والمثبت عن صحيح مسلم ٣ : ١٤٠٧ تحقيق عبد الباقي .

(٥) البياذقة : كلمة فارسية معربة تعنى الرجالة (شرح المواهب ٢ : ٣١٧) .

(٦) جماش - كذا هنا وهو يخالف ماسيرد في شرح الغريب ص حيث جاء « حماس بكسر الحاء المهملة وتخفيف

الميم وبعد الألف سين مهملة » ويصح الأخير ما ورد في المغازى للواقى ٢ : ٨٢٧ ، ونهاية الأرب للتويرى ١٧ : ٣٠٦ ،
والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٩٦ .

قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء . قال : والله
إني لأرجو أن أخدمك بعضهم فإنك محتاجة إليه . قالت : ويلك : لا تفعل ، ولا تقاتل
محمدًا والله ليضلن عنك رأيك ، لو قد رأيت محمدًا ، وأصحابه ، قال ستري ثم
قال :

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَالِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّةٌ
وَذُو غَرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّةِ

ثم شهد الخندمة مع صفوان ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة ، فلما دخل خالد بن
الوليد من حيث أمره رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وجد الجمع المذكور ، فمنعوه
الدخول ، وشهروا له السلاح ، ورموه بالنبل ، وقالوا : لا تدخلها عنوة ، فصاح في
أصحابه فقاتلهم ، وقتل منهم أربعة وعشرون رجلاً من قريش ، وأربعة من هذيل .

وقال ابن إسحاق : أصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ،
وأنهزموا أقبح الانهزام ، حتى قتلوا بالحزورة ، وهم مؤتون في كل وجه ، وأنطلقت
طائفة منهم فوق رؤوس الجبال ، وأتبعهم المسلمون .

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - وجعل خالد - رضي الله عنه - يتمثل بهذه
الآبيات :

إِذَا مَا رَسُولُ اللَّهِ فِينَا رَأَيْتَهُ كُلُّجَةٍ بَحْرٍ نَالَ فِيهَا سَرِيرُهَا
إِذَا مَا ارْتَدَيْنَا الْفَارِسِيَّةَ فَوْقَهَا رُدَيْنِيَّةٌ^(١) يَهْدِي الْأَصْمَّ خَرِيرُهَا
رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِينَا مُحَمَّداً طَا نَاصِراً عَزَّتْ وَعَزَّ نَصِيرُهَا

قال ابن هشام : وكان شعار المهاجرين من أصحاب رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم -
يوم فتح مكة وحنين والطائف : يا بني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بني عبد الله ،
وشعار الأوس : يا بني عبيد الله .

(١) الردينية : القناة والرحم الرديني . زعموا أنه منسوب لامرأة السهموي وتسمى ردينة ، وكانا يقومان القناة بخط

هجر (الصحاح ٢١٢٢)

وجعل أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام يصيحان : يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم ؟! مَنْ دَخَلَ داره فهو آمن ، وَمَنْ وَضَعَ السِّلَاحَ فهو آمن ، فجعل الناس يقتحمون الدور وَيَغْلِقُونَ عليهم ، ويطرحون السِّلَاحَ في الطُّرُق حَتَّى يأخذه المسلمون ، ورجع حماس^(١) مُنْهَزِمًا حَتَّى انتهى إلى بيته ، فَدَقَّهُ ، ففتحت له أُمُّهُ ، فدخل وقد ذهب روحه ، فقالت له : أين الخادم الذي وَعَدْتَنِي ؟ ما زلتُ منتظرةً لك منذ اليوم - تسخر منه - فقال : دَعِيَ هذا عنك ، وأغلق على بابي ، ثم قال :

إِنَّكَ لَوْ شِهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرِمَةُ
وَأَبُو يَزِيدٍ كَالْعَجُوزِ الْمُؤْتَمَةِ وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُجُمَةٍ ضَرْبًا فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا الْغَمْغَمَةُ / ط ٢٤٠
لَهُمْ نَهَيْتُ خَلْفَنَا وَهَمَّهُمَ لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أَذْنِي كَلِمَةً^(٢)

وأقبل الزبير - رضى الله عنه - بمن معه من المسلمين حتى انتهى إلى الحَجُّون عند منزل رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ولم يُقْتَل من المسلمين إِلَّا رَجُلَانِ من أصحاب الزبير ، أَخْطَأَ الطَّرِيقَ فسلكا غيره فَقَتِلَا ، وهما كُرْزُ بن جابر^(٣) الفِهْرِيُّ ، وَحُبَيْش^(٤) - بحاء مهملة مضمومة ، فموحَّدة مفتوحة ، فتحية ساكنة فشين معجمة - بن خالد بن ربيعة بن الأشعر - بشين معجمة ، وعين مهملة - الكعبي - رضى الله عنهما - ومضى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فدخل مكة من أَدَاخِرِ^(٥) ، فلما ظهر على أَدَاخِرِ ، نظر إلى البارقة مع فَضْضِ المشركين ، فقال : « مَا هَذِهِ الْبَارِقَةُ ؟! أَلَمْ أَنَّهُ عَنِ الْقِتَالِ ؟ »

(١) أنظر التعليق في الصفحة السابقة . فقد ورد أنه « جهاش » بشين معجمة .

(٢) لم تنطق في اللوم أدنى كلمة . كذا في الأصول وفي السيرة الحلبية ٢ : ٢١٨ ط سنة ١٣٤٩ هـ « لا تنطق » .

(٣) هو كُرْزُ بن جابر بن حسن بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيان بن محارب بن فهر بن مالك القرشي الفهري أسلم بعد الهجرة ، وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش الذي بمثه في أثر العرينين الذين قتلوا راعيه . (الاستيماخ في أسماء الأصحاب ٣ : ٢٩٢ ، ٢٩٣) .

(٤) هو حبش بن خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن حبش بن حرام بن كعب بن عمرو الخزاعي ، يكنى أبا صخر ، وهو أخو أم معبد (الإصابة ١ : ٣٠٩) .

(٥) أَدَاخِرِ : ثنية بين مكة والمدينة « شرح المواهب ٢ : ٣١٠ ، ويقال موضع قرب مكة ينسب إليه نبت أَدَاخِرِ (وفاء الوفاء : ١١٢٣) .

قالوا : يا رسول الله ، خالد بن الوليد قُوتل ولو لم يُقاتل ما قاتل ، وما كان يا رسول الله ليعصيك ، وَلَا يخالف أمرك ، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - « قضاء الله خير » .

وروى الطبراني عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - خطب ، فقال : « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ ^(١) » الحديث ، ف قيل : هذا خالد يقتل ، فقال : « قُمْ يَا فَلَانُ فَقُلْ لَهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَيْهِ مِنَ الْقَتْلِ » فأتاه الرجل ، فقال له : إن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - يقول لك ، أقتل من قَدَرْتُ عليه ، فقتل سبعين ، فَأَتَى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فذَكَرَ له ذلك ، فَأَرْسَلَ إِلَى خَالِدٍ « أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ الْقَتْلِ ؟ ! » فقال : جاعني فلان فأمرني أن أقتل من قَدَرْتُ عليه ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ « أَلَمْ أَمُرْكَ أَنْ تُنْذِرَ خَالِدًا ؟ » قال : : أردتَ أمراً فأَرَادَ اللهُ أمراً ، فكان أمرُ الله فوقَ أمرِكَ ، وما استطعت إلا الذي كان ، فَسَكَتَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ما رَدَّ عليه ^(٢) .

وروى الإمام أحمد ، ومسلم ، والبيهقي ، وغيرهم عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَبَشَّتْ قَرِيشٌ أَوْبَاشًا لَهَا وَأَتْبَاعًا ، فَقَالُوا : نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ ، فَإِنْ كَانَ لَهُمْ شَيْءٌ كُنَّا مَعَهُمْ ، وَإِنْ أَصِيبُوا أُعْطِينَا الَّذِي سُئِلْنَا فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ » قلتُ : لبيك ، قال : « اهْتِفْ يَا أَنْصَارَ ، وَلَا يَأْتِيَنِي إِلَّا أَنْصَارِي » قال : فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ ، فَأَتَوْهُ ، فَقَالَ : « انْظُرُوا قَرِيشًا وَأَوْبَاشَهُمْ فَأَخْضَلُوهُمْ حَصْدًا » ثم قال بيديه إحداهما عَلَى الأُخْرَى ، فَأَنْطَلَقْنَا فَمَا أَحَدٌ يُوَجِّهُ إِلَيْنَا شَيْئًا ، وَمَا مِنَّا أَحَدٌ يَرِيدُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا أَخَذَهُ ، فَجَاءَ أَبُو سَفْيَانَ

(١) ونص الحديث « أبا الناس ، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة ، فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ، أو يعصد بها شجرة ، فإن أحد ترخص فيها لقتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أحلت لي ساعة من نهار ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب » شرح المواهب ٢ : ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٢) قيل : وهذا الرجل أنصاري فيحتمل أنه تأول ، ويحتمل أنه سبق إلى سمعه ما أمر به خالدًا كما قد يرشد إلى كل من الاحتمالين قوله : « وأراد الله أمراً » الخ (شرح المواهب ٢ : ٣١١) .

ابن حربٍ فقال : يا رسولَ الله - أُبَيِّدَت خَضْرَاءُ قَرِيشَ ، لَا قُرَيْشَ بعدَ اليومَ . فقال رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَلْقَى السَّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ » فَأَلْقَى النَّاسُ سِلَاحَهُمْ .

وروى محمد بن عمر عن جابر - رضى الله عنه - قال : كنت ممن لَزِمَ رسولَ الله ٢٤١ و - صَلَّى / الله عليه وسلم - فدخلتُ معه يومَ الفتحِ فَلَمَّا أَشْرَفَ رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - من أَذَاخِرَ ، ورأى بيوتَ مَكَّةَ ، وقفَ عليها فَحَمَدَ اللهَ - وَأَذِنَى عليه ، ونظرَ إلى موضعِ قُبَّتِهِ فقال : هَذَا مَنْزِلُنَا يَا جَابِرُ حَيْثُ تَقَاسَمْتُ^(١) قُرَيْشٌ عَلَيْنَا فِي كُفْرِهَا « قال جابر : فذكرتُ حديثاً كنتُ سمعته منه قبل ذلك بالمدينة ، « مَنْزِلُنَا إِذَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا مَكَّةَ فِي خَيْفٍ^(٢) بَنَى كِنَانَةً حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ » .

ذكر قراءته - صلى الله عليه وسلم - سورتي الفتح والنصر في يومه

عن عبد الله بن مُغَفَّلٍ - بضم الميم ، وفتح الغين المعجمة ، والفاء المشددة ، وباللَّام - رضى الله تعالى عنه - قال : رأيتُ رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - يومَ فتحِ مَكَّةَ على ناقته ، وهو يقرأُ سورةَ الفتحِ ، يُرْجِعُ صَوْتَهُ بِالْقِرَاءَةِ ، قال معاويةُ بنُ قُرَّةَ : لولا أن يجتمع الناسُ حَوْلِي لَرَجَعْتُ كَمَا رَجَعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُغَفَّلٍ يحكى قراءةَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - قال شعبة : فقلتُ لمعاويةَ : كيف كان ترجيعه ؟ قال : ثلاثَ مرَّاتٍ ، رواه البخارى في التفسير وفضائل القرآن والمغازى والتوحيد ، ومسلم في الصلاة ، والنسائى ، والحاكم .

وروى الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : قال رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - يومَ الفتحِ « هَذَا مَا وَعَدَنِي رَبِّي » ثم قرأ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ^(٣) ﴾

(١) المراد تحالف قريش وكنانة على بن هاشم وبنى المطلب ألا يناكحهم ولا يبايعهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (السيرة الحلبية ٣ : ٩٨ ، شرح المواهب ٢ : ٣٢٦) .
(٢) الخيف : هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء (شرح المواهب ٢ : ٣٢٥) .
(٣) سورة النصر آية ١ .

نكر منزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح

وروى محمد بن عمر عن أبي جعفر - رحمه الله تعالى - قال : كان أبو رافع قد ضَرَبَ لرسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قُبَّةً بِالْحَجُّونَ مِنْ أَدَمَ ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - حَتَّى آتَتْهُ إِلَى الْقُبَّةِ ، وَمَعَهُ أُمُّ سَلَمَةَ ، وَمَيْمُونَةُ زَوْجَتَاهُ .

وروى البخاري وغيره عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أُنَى تَنْزِلُ غَدًا ؟ تَنْزِلُ فِي دَارِكَ ؟ قَالَ : « وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ أَوْ دَارٍ » وَكَانَ عَقِيلٌ وَرَثَ أَبَا طَالِبٍ هُوَ وَأَخُوهُ طَالِبٌ ، وَلَمْ يَرِثْهُ جَعْفَرٌ وَلَا عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - لِأَنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمِينَ ، وَكَانَ عَقِيلٌ وَطَالِبٌ كَافَرَيْنِ - أَسْلَمَ عَقِيلٌ بَعْدَ .

وروى البخاري ، والإمام أحمد عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « مَنْزِلُنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا فَتَحَ اللَّهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ » يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُحَصَّبُ ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ تَحَالَفَتَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ أَنَّ لَا يَنَافِكُوهُمْ وَلَا يُبَايِعُوهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وروى محمد بن عمر عن أبي رافع / - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قِيلَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَلَا تَنْزِلُ مَنْزِلَكَ مِنَ الشَّعْبِ ؟ فَقَالَ : « وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلًا ؟ » وَكَانَ عَقِيلٌ قَدْ بَاعَ مَنْزِلَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَنْزِلَ إِخْوَتِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ بِمَكَّةَ ، فَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَانْزِلْ فِي بَعْضِ بَيْوتِ مَكَّةَ غَيْرِ مَنَازِلِكَ ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ : « لَا أَدْخُلُ الْبُيُوتَ » وَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُضْطَرِبًا بِالْحَجُّونَ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتًا ، وَكَانَ يَأْتِي الْمَسْجِدَ لِكُلِّ صَلَاةٍ مِنَ الْحَجُّونَ .

**ذكر اغتساله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح وصلاته وقت الضحى
شكرا لله تعالى**

عن أم هانئ^(١) - رضى الله عنها - قالت : لما كان عام يوم الفتح فرأى رجلان من بنى مخزوم فأجرتهما ، قالت : فدخل عليّ عليّ فقال : أقتلها ، قالت : فلما سمعته يقول ذلك أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بأعلى مكة ، فلما رآني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رحّب وقال : « مَا جَاءَ بِكَ يَا أُمُّ هَانِئُ » ، قالت : قلت يا رسول الله ، كُنْتُ أَمْنْتُ رَجُلَيْنِ^(٢) مِنْ أَحْمَائِي ، فَأَرَادَ عَلِيٌّ قَتْلَهُمَا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ » ، ثم قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى غُسله فسَترته فاطمة ، ثم أَخَذَ ثَوْبًا فَالْتَحَفَ بِهِ ، ثم صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثَمَانِ رَكَعَاتٍ سُبْحَةَ الضُّحَى ، رواه مسلم والبيهقي .

وعنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ اغْتَسَلَ فِي بَيْتِهَا ، وَصَلَّى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ ، قَالَتْ : لَمْ أَرَهُ صَلَّى صَلَاةً أَخْفَ مِنْهَا ، غَيْرَ أَنَّهُ يَتِمُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا . رواه البخاري والبيهقي .

**فَكَرَّرَ ابليسُ وَحُزْنَهُ وَكَيْدَ الْجِنِّ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وزجرهم عنه ودعاء نائلة بالويل**

روى أبو يعلى ، وأبو نعيم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَّةَ رَنَّ ابليسُ رَنَّةً فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ ذُرِّيَّتُهُ ، فَقَالَ : إِيَّاسُوا أَنْ تَرُدُّوْا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ إِلَى الشُّرْكِ بَعْدَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَلَكِنْ أَفْشُوا فِيهَا - يَعْنِي مَكَّةَ - النَّوْحَ وَالشُّعْرَ .

(١) هي بنت أبي طالب الهاشمية قيل اسمها فاختة ، وقيل هند ، وقيل فاطمة . أسلمت عام الهجرة ولها صحبة ولها أحاديث وماتت في خلافة معاوية وروى لها السبعة (شرح المواهب ٢ : ٣٢٦) .

(٢) الرجلان هما : الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي أبو عبد الرحمن المكي . شقيق أبو جهل . من مسلمة الفتح . استشهد في خلافة عمر ، وروى له ابن ماجه . والثاني : هو زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي أخو أم سلمة أم المؤمنين - ذكر في المؤلفات قلوبهم . وقال عنه ابن إسحاق : كان من قام في نقض الصحيفة ، وأسلم وحسن إسلامه كما قال ابن هشام عبد الملك ، وقيل الثاني هو عبد الله بن أبي ربيعة . وقيل أنهما : الحارث وهيرة بن أبي وهب - وليس بشيء لأن هيرة هرب عند الفتح . وقيل الثاني جمعة بن هيرة ، وفيه أنه كان صغير السن فلا يكون مقاتلا عام الفتح . (شرح المواهب ٢ : ٣٢٧) .

وروى ابن أبي شيبة عن مكحول - رحمه الله - أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم -
 نَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ تَلَقَّتهُ الْجَنُّ يرمونه بالشرر ، فقال جبريلُ - صَلَّى الله عليه وسلم -
 تَعَوَّذْ يا محمد بهؤلاء الكلمات : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يَجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ
 وَلَا فَاجِرٌ ، مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ مَا بُثَّ فِي الْأَرْضِ ،
 وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمِنْ شَرِّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُقُ إِلَّا بِخَيْرٍ
 يَا رَحْمَنُ » .

وروى البيهقي عن ابن أبيزى - بفتح الهمزة ، وسكون الموحدة / وبالزاي ، وألف ٢٤٢ و
 تَأْنِيثُ مَقْصُورَةٌ - رحمه الله تعالى - قال : لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم -
 مَكَّةَ جَاءَتْ عَجُوزٌ حَبَشِيَّةٌ شَمْطَاءٌ تَخْمِشُ وَجْهَهَا ، وَتَدْعُو بِالْوَيْلِ ، فَقَالَ : « تِلْكَ
 نَائِلَةٌ ، أَيْسَتْ أَنْ تُعْبَدَ بِبَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدًا » .

* * *

ذكر إسلام أبي قحافة عثمان بن عامر والد أبي بكر الصديق -

رضى الله عنهما^(١)

روى الإمام أحمد ، والطبراني برجالٍ ثقات ، ومحمد بن عمر ، والبيهقي عن أسماء
 بنتِ أبي بكر الصديق - رضى الله عنهما - قالت : لما كان عام الفتح ، ونزل رسولُ
 الله - صَلَّى الله عليه وسلم - بذي طوى ، قال أبو قحافة لابنِ له - قال الْبَلَاذُرِيُّ -
 - اسمها أسماء ، قال محمد بن عمر تسمى : قَرِيبَةً - ضِدَّ بَعِيدَةٍ ، كَانَتْ مِنْ أَصْغَرِ
 وَلَدِهِ : يَا بَنِيَّةَ ، أَشْرَفِي بِي عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ - وَقَدْ كُفَّ بَصْرُهُ - فَأَشْرَفْتُ بِهِ عَلَيْهِ ،
 فَقَالَ : أَيْ بُنِيَّةَ !! مَاذَا تَرِينَ ؟ « قَالَتْ : أَرَى سَوَادًا مُجْتَمِعًا كَثِيرًا ، وَأَرَى رَجُلًا
 يَشْتَدُّ بَيْنَ ذَلِكَ السَّوَادِ مُقْبِلًا وَمُذْبِرًا ، فَقَالَ : ذَلِكَ الرَّجُلُ الْوَازِعُ ، ثُمَّ قَالَ : مَاذَا
 تَرِينَ ؟ قَالَتْ : أَرَى السَّوَادَ قَدْ أَنْتَشَرَ وَتَفَرَّقَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِذْ أَنْتَشَرَتِ الْخَيْلُ ، فَأَسْرَعِي
 بِي إِلَى بَيْتِي ، فَخَرَجْتُ سَرِيعًا حَتَّى إِذَا هَبَطْتُ بِهِ الْأَبْطَحَ لَقِيَتْهَا الْخَيْلُ ، وَفِي عُنُقِهَا
 طَوْقٌ لَهَا مِنْ وَرَقٍ ، فَاقْتَلَعَهُ إِنْسَانٌ مِنْ عُنُقِهَا ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم -

(١) أنظر إسلام أبي قحافة في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٠٥ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٠٢ ، والمغازي للواقدي

٢ : ٨٢٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٥٧ ، ونهاية الأرب للتويري ١٧ : ٣١٠ .

وسلم - المسجد ، خرج أبو بكر بأبيه - رضى الله عنهما - يقوده ، وكان رأس أبي قحافة ثغامة ، فلما رآه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه ، فأجلسه بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمسح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صدره ، وقال : أسلم تسلم ، فأسلم ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال : أنشدكم بالله والإسلام طوق أختي - فوالله ما جاء^(١) به أحد ، ثم قال الثالثة فما جاء به أحد ، فقال : يا أختي ، احتسبي طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل .

وروى البيهقي بسند جيد قوى قال : أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر : أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أخذ بيد أبي قحافة ، فأتى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما وقف به على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : غيروه ولا تقربوه سوادا .

قال ابن وهب : وأخبرني عمر بن محمد عن زيد بن أسلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هنا أبا بكر بإسلام أبيه .

وروى الإمام أحمد ، وابن حبان عن أنس - رضى الله عنه - قال : جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة يحمله حتى ط^{٢٤٢} وضعه بين يديه فقال لأبي بكر / : « لو أقررت الشيخ في بيته لآتيناه » - تكرمة لأبي بكر - فأسلم ورأسه ولحيته كالثغامة ، فقال غيروهما قال قتادة هو أول مخضوب في الإسلام . وروى مسلم عن جابر قال : أتى بأبي قحافة عام الفتح ورأسه ولحيته مثل الثغامة؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : غيروا هذا بشيء وجنبوه السواد قال البلاذري : ورعى بعض المسلمين أبا قحافة فشجّه ، وأخذت قِلادة أسماء ابنته ، فأدركه أبو بكر وهو يستدعى ، فمسح الدم عن وجهه انتهى .

(١) كذا في ت ، ط ، م . وفي ص « فأجابه أحد » .

قالوا : وجاء خالد بن الوليد إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فقال له :
« لِمَ قَاتَلْتَ ، وَقَدْ نَهَيْتَ عَنِ الْقِتَالِ » ؟ قال : هم يارسول الله يَدْعُونَا بِالْقِتَالِ ، وَرَشَقُونَا
بِالنَّبْلِ ، وَوَضَعُوا فِينَا السِّلَاحَ ، وَقَدْ كَفَفْتُ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَقَدْ دَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ،
وَأَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ، فَأَبَوْا ، حَتَّى إِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا قَاتَلْتَهُمْ فَظَفَرْنَا اللَّهُ
- تعالى - عليهم ، فَهَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
« كُفَّ عَنِ الطَّلَبِ » قال : قد فعلت : فقال رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
« قِضَاءُ اللَّهِ خَيْرٌ » ثم قال رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُفُّوا السِّلَاحَ إِلَّا خِرَازِعَةَ
عَنْ بَنِي بَكْرِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ، فَخَبَطَوْهُمْ سَاعَةً ، وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي أُحِلَّتْ لِرَسُولِ اللَّهِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ .

ذكر دخوله - صلى الله عليه وسلم - المسجد وطوافه وما وقع

في ذلك من الآيات

قالوا : مكث رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في منزله ساعة من النَّهَارِ حَتَّى أَطْمَأَنَّ النَّاسُ ،
فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ دَعَا بِرَاحِلَتِهِ الْقِصْوَاءَ ، فَأُذِنَتْ إِلَى بَابِ قُبَّتِهِ ، وَعَادَ لِلْبَيْتِ السِّلَاحَ
وَالْمَغْفَرَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَدْ خَفَ النَّاسُ بِهِ ، فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَالْخَيْلَ تَمَجَّجَ بَيْنَ الْخُدُمَةِ
إِلَى الْحِجُونَ ، وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وإلى جنبه أبو بكر الصديق يسير
معه يحادثه ، فَمَرَّ بَيْنَاتِ أَبِي أُحَيْحَةَ وَقَدْ نَشَرْنَ شُعُورَهُنَّ - يَلْطَمْنَ وُجُوهَ الْخَيْلِ بِالْخُمُرِ ،
فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَتَبَسَّمَ وَذَكَرَ بَيْتَ حَسَانَ بْنِ ثَابِتٍ ،
فَأَنشَدَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتٍ

يُلْطَمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ^(١)

فلما انتهى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الكعبة فرآها ومعه المسلمون تقدَّم
على راحلته ، واستلم الركن بمُخْجَنِهِ ، وكبر ، فكَبَّرَ المسلمون بتكبيره ، فرَجَعُوا التَّكْبِيرَ

(١) وفي شرح المواهب ٢ : ٣٠٩ فتييم إلى أبي بكر وقال : يا أبا بكر كيف قال حسان . فأنشده قوله :

عدمت بنيتي إن لم تروها تثير النقع موعدها كداه
ينازعن الأعنة مرجعات يلطمهن بالخمر النساء

والبيت المذكور يختلف في طوره الأول عن المذكور في شرح المواهب وعن السابق ذكره في ص ٣٤٣ .

حَتَّى أَرْتَجَّتْ مَكَّةَ تَكْبِيرًا حَتَّى جَبَلِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ أَنْ اسْكُتُوا - والمشركون فوق الجبال ينظرون - وَطَافَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَيْتِ ، آخِذًا بِزِمَامِ النَّاقَةِ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ .

٢٤٣ وروى أبو نعيم ، والبيهقي من طريق / عبد الله بن دينار ، وأبو نعيم من طريق نافع كلاهما عن ابن عمر - رضي الله عنهما - وأبو نعيم والبيهقي من طريق سعيد بن جبير وابن اسحاق والبيهقي وأبو نعيم ، وابن مندة ، ومحمد بن همر عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دخل مكة يوم فتح مكة ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً مَرَصَّةً بِالرِّصَاصِ ، وكان هُبْلُ أعظمها وهو وجاه الكعبة ، وإساف ونائلة حيث ينحرون ويدبحون الذبائح ، وفي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَوْسٌ وقد أخذ بِسِيَةِ القوس ، فجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا مَرَّ بِصَنْمٍ مِنْهَا يُشِيرُ إِلَيْهِ وَيَطْعَنُ فِي عَيْنِهِ ويقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ^(١) ﴾ فَمَا يُشِيرُ إِلَى صَنْمٍ إِلَّا سَقَطَ لَوْجُهُ . وفي لفظٍ لقفاه ، من غير أن يَمَسَّهُ . وفي ذلك يقول تميم بن أسد الخزاعي :

فَقَبِي الْأَصْنَامَ مُعْتَبِرٌ وَعِلْمٌ

لِمَنْ يَرْجُو الثَّوَابَ أَوْ الْعِقَابَا

قال أئمة المغازي - رحمهم الله تعالى - : فطاف رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبعةً على راحلته يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ بِمِخْجَنِهِ كُلِّ طَوَافٍ ، فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته .

وعند ابن أبي شيبه عن ابن عمر ، قال : فما وجدنا مَنَاحًا في المسجد حَتَّى أَنْزَلَ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ ، ثُمَّ خَرَجَ بِهَا ، قَالُوا : وَجَاءَ مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَضْلَةَ - بالنون ، والضاد المعجمة - فَأَخْرَجَ الرَّاحِلَةَ فَأَنَاحَهَا بِالْوَادِي ، ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى الْمَقَامِ - وَهُوَ لَاصِقٌ بِالْكَعْبَةِ ، والدَّرْعُ عَلَيْهِ وَالْمِغْفَرُ وَعِمَامَتُهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، فَصَلَّى

(١) سورة الإسراء آية ٨١ .

ركعتين ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها وقال : « لَوْلَا أَنْ تُغْلِبَ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ^(١) لَنَزَعْتُ مِنْهَا دَلْوًا » ، فنزع له العباس بن عبد المطلب - ويقال الحرث بن عبد المطلب - دلوًا ، فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوء رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - يصبونه على وجوههم ؛ والمشركون ينظرون إليهم ويتعجبون ويقولون : ما رأينا ملكًا قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به .

وأمر بهكل فكسر وهو واقف عليه ، فقال الزبير بن العوام لأبي سفيان بن حرب : يا أباسفيان قد كسر هبل ، أما إنك قد كنت منه يوم أحد في غرور حين تزعم أنه أنعم ، فقال أبو سفيان : دع عنك هذا يا بن العوام ؛ فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ماكان ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ناحية من المسجد والناس حوله . وعن أبي هريرة رضي الله عنه - قال : كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يوم الفتح قاعدًا ، وأبو بكر قائم على رأس رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - بالسيف . رواه البزار .

ذكر اكله - صلى الله عليه وسلم - عند أم هانئ رضي الله عنها (٢)

روى الطبراني عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - قال لَأُمِّ هَانِئٍ يَوْمَ الْفَتْحِ : هَلْ عِنْدَكَ / مِنْ طَعَامٍ نَأْكُلُهُ ؟ : قالت : ليس عندي إِلَّا كِسْرٌ يَابِسَةٌ ، وَإِنِّي لَأَسْتَحِي أَنْ ، أَقْدِمَهَا إِلَيْكَ . فقال : « هَلُمِّي بِهِنَّ » فكسرن في ماء ، وجاءت بملح ، فقال : « هَلْ مِنْ أَدَمٍ » ؟ فقالت : ما عندي يا رسول الله إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ ، فقال : هَلُمِّيهِ ، فَصَبَّهُ عَلَى الطَّعَامِ وَأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ حَمِدَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ : « نِعَمَ الْأُدُمُ الْخَلُّ ، يَا مُمَّ هَانِئُ لَا يَفْقَرُ بَيْتٌ مِنْ أَدَمٍ فِيهِ خَلٌّ »

ذكر اطلاعه - صلى الله عليه وسلم - على ما هم به

فضالة بن عمر بن الملوح

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أَنَّ فَضَالََةَ بْنَ عُمَيْرٍ بْنِ الْمُلُوحِ اللَّيْثِيَّ أَرَادَ قَتْلَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - وهو يطوف بالبيت - عام الفتح - فلما دنا منه

(١) أى يغلبهم الناس على وظيفتهم ، وهى النزاع من زمزم (السيرة الخلبية ٣ : ١٠١) .

(٢) ورد هذا العنوان فى ت ، ط ، م قبل « ذكر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ما هم به فضالة الخ » وفى ص ورد بعد العنوان المذكور .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَفْضَالَةٌ ؟ قال : نعم . قال : « مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ ؟ » قال : لاشي ، كُنْتُ أَذْكَرُ اللَّهَ ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : « اسْتَغْفِرِ اللَّهَ » . ثم وضع يده على صدره فسكن ، وكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلِقَ شيء أحبَّ إليَّ منه ، ورجع فضالة إلى أهله ، قال : فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث ، فقال لا . وانبعث فضالة يقول :

قالت هَلُمَّ إلى الحديث - فقلت لا
يأبى عَلَى اللَّهِ وَالْإِسْلَامُ
إِذْ^(١) مَا رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَ قَبِيلَهُ
بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكْسَرُ الْأَصْنَامُ
لَرَأَيْتَ دِينَ اللَّهِ أَضْحَى بَيْنًا
وَالشُّرْكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ

ذكره أبو عمر في الدرر ، ولم يذكره في الاستيعاب ، وهو على شرطه ، وذكره القاضى في الشفاء بنحوه .

* * *

**ذكر الآية في رفعه - صلى الله عليه وسلم - على بن أبى طالب
رضى الله عنه - لالقاء صنم قريش**

روى ابن أبي شيبة ، والحاكم عن على - رضى الله عنه - قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى بي الكعبة ، فقال : « اجلس » فجلستُ بجانب الكعبة ، فصعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على منكبي فقال : « انهض » فنهضت ، فلما رأى ضعفى تحته قال : « اجلس » فجلست ، ثم قال : « يا على ، اصعد على منكبي » ففعلت ، فلما نهض بي خيل إلى لو شئت نلتُ أفق السماء ، فصعدتُ فوق الكعبة ، ٢٤٤ و وتنحى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « أَلْقِ صَنَمَهُمْ / الْأَكْبَرُ » وكان من

(١) كذا في الأصول ، وفي شرح المواهب ٢ : ٢٢٤ « لو ما رأيت محمداً وقبيله . . . » .

نحاس مَوْتِدٍ بِأَوْتَادٍ مِنْ حَدِيدٍ إِلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَالِجُهُ » ويقول لى : « إِيَّاهُ » « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » . فلم أَزَلْ أَعَالِجُهُ حَتَّى اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ

* * *

ذكر طلبه - صلى الله عليه وسلم - المفتاح من عثمان بن طلحة رضى الله عنه

روى محمد بن عمر عن عبد الله بن عمر ، وابن أبي شيبه عن أبي هريرة - رضى الله عنهما - ومحمد بن عمر عن علقمة بن أبي وقاص الليثي - رحمه الله تعالى - ومحمد ابن عمر عن شيوخه يزيد بعضهم على بعض ، قال عبد الله : كان عثمان قد قدم على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالمدينة مُسَلِّمًا مع خالد بن الوليد ، وعمر بن العاص قبل الفتح ، فلَمَّا فرغ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طوافه أرسل بلالًا إلى عثمان ابن طلحة يأتيه بمفتاح الكعبة ، فجاء بلال إلى عثمان ، فقال : إن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يأمرُك أن تأتى بالمفتاح ، فقال : نعم هو عند أمي سُلَافَةَ^(١) ، فرجع بلال إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأخبره أنه قال نعم ، وأن المفتاح عند أمه ، فبعث إليها رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رسولاً فجاء ، فقالت : لا ، واللأت والعزى ، لا أدفعه إليك أبداً ، فقال عثمان يا رسول الله أرسلنى أخلصه لك منها ، فأرسله ، فقال : يا أمه ادفعى إلى المفتاح ، فإن رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد أرسل إلى ، وأمرنى أن آتية به ، فقالت أمه : لا . واللأت والعزى لا أدفعه إليك أبداً . فقال : لا لات ولا عزى إنه قد جاء أمرٌ غير ما كُنَّا عليه ، وإنك إن لم تفعلِ قُتِلْتُ أنا وأخى فأنْت قَتَلْتِنَا ، فوالله لتدفعينه أو لياتين غيرى فيأخذه منك ، فأدخلته في حُجْرَتِهَا ، وقالت : أى رجل يدخل يده ههنا ؟ .

قال الزهرى فيما رواه عبد الرزاق ، والطبرانى : فأبْطَأَ عثمان ورسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قائمٌ ينتظره حَتَّى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق ، ويقول : « مَا يَحْسِبُهُ »

(١) هي سُلَافَةُ بنت سعيد الانصارية الأوسية ، أسلمت بعد عثمان (شرح المواهب ٢ : ٢٣٨) « وفى المغازى للواقدي

٨٣٣ : ٢ سُلَافَةُ بنت شيبه »

فَيَسْتَعِي إِلَيْهِ رَجُلٌ » انتهى . فبينما هما على ذلك وهو يكلمها إذ سمعت صوت أبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - فى الدار ، وَعُمَرُ رافعٌ صوته حين أبطأ عثمان ... يا عثمان أخرج ، فقالت أمه : يا بنى خذ المفتاح ، فإن تأخذه أنت أحب إلّى من أن يأخذه تيم وعدى ، فأخذه عثمان ، فخرج يمشى به حتّى إذا كان قريباً من وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عثر عثمان فسقط منه المفتاح ، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المفتاح فحنى عليه بثوبه .

وروى الفاكهى عن ابن عمر : أن بنى أبى طلحة كانوا يقولون : لا يفتح الكعبة إلّا هم ، فتناول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المفتاح ، ففتح الكعبة بيده .

٢٤٤ ظ وروى ابن أبى شيبه بسندٍ جيّدٍ عن أبى السفر - رحمه الله تعالى - قال / : لما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة دعا شيبَةَ بن عثمان بالمفتاح - مفتاح الكعبة - فتلكأ ، فقال لعمر : قُمْ فاذْهَبْ مَعَهُ فَإِنْ جَاءَ بِهِ وَإِلَّا فَاجْلِدْ رَأْسَهُ ^(١) . فجاء به فأجّاله ^(٢) فى حجره .

ذكر امره - صلى الله عليه وسلم - بإزالة الصور عن البيت قبل دخوله إياه

روى أبو داود ، وابن سعد ، ومحمد بن عمر ، واللفظ له : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر عمر بن الخطاب - وهو بالبطحاء - أن يأتى الكعبة فيمحو كلّ صورةٍ فيها ، فلم يدخلها حتّى مُحِيتِ الصُّور ، وكان عمر قد ترك صورة إبراهيم فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى صورة إبراهيم ، فقال يا عمر : « أَلَمْ أَمُرْكَ أَلَّا تَدْعَ فِيهَا صُورَةً ؟ » ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ، جَعَلُوهُ شَيْخًا يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ . ثم رأى صورة مريم ، فقال : « امسحوا ما فيها من الصُّور ، قَاتَلَ اللَّهُ قَوْمًا يُصَوِّرُونَ مَا لَا يَخْلُقُونَ » . وروى البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وابن أبى شيبه عن عكرمة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أبى أن يَدْخُلَ البيت وفيه الآلهة يعنى الأصنام ،

(١) كذا فى الأصول ، وفى شرح المواهب ٢ : ٣٣٩ « فأخله رأسه » .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى شرح المواهب ٢ : ٣٣٩ « فوضه فى حجره » .

فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ صُورَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الْأَزْلَامُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « قَاتَلَهُمُ اللَّهُ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهِمَا قَطُّ » . زَادَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ : ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ قَبْلَ وَمَحَابِهِ صُورَهُمَا .

وعند ابن أبي شيبة عن ابن عمر : أَنَّ الْمُسْلِمِينَ تَجَرَّدُوا فِي الْأَزْرِ وَأَخَذُوا الدَّلَاءَ ، وَانْجَرُوا عَلَى زَمَزَمٍ يَغْسِلُونَ الْكَعْبَةَ ظَهْرَهَا وَبَطْنَهَا ، فَلَمْ يَدْعُوا أَثَرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا مَحَوْهُ وَغَسَلُوهُ .

* * *

فَكَرَّ دُخُولَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْبَيْتَ وَصَلَاتِهِ فِيهِ

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي الصَّلَاةِ ، وَمُسْلِمٌ فِي الْحَجِّ ، عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ بْنِ أَنَسٍ ، وَالْبُخَارِيُّ فِي الصَّلَاةِ وَالْمَغَازِي عَنْ جُوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ ، وَالْبُخَارِيُّ فِي الصَّلَاةِ ، وَمُسْلِمٌ فِي الْحَجِّ عَنْ يُونُسَ ابْنَ يَزِيدَ عَنْ أَبِيوبَ ، وَالْبُخَارِيُّ فِي الصَّلَاةِ وَالْمَغَازِي عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ، وَالْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي عَنْ فُلَيْحِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَمُسْلِمٌ فِي الْحَجِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، وَمُسْلِمٌ فِي الْحَجِّ ، وَالنَّسَائِيُّ فِي الصَّلَاةِ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْحَرِثِ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ ، وَابْنِ عَوَانَةَ ، وَابْنِ مَاجَةَ فِي الْحَجِّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةٍ كُلُّهُمْ عَنْ نَافِعٍ ، وَالْبُخَارِيُّ فِي الْحَجِّ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، وَفِي كِتَابِ الصَّلَاةِ عَنْ مُجَاهِدٍ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، وَابْنِ دِينَارٍ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي الشَّعَثَاءِ كُلُّهُمْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عَمْرٍ ، وَالْبُخَارِيُّ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ الطُّحَاوِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَابْنِ قَانَعٍ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ / وَمُسَافِعٍ بْنِ شَيْبَةَ عَنْ أَبِيهِ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ ٢٤٥ وَالطُّحَاوِيُّ مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّجَّاجِ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالْأَزْرَقِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَالطَّبْرَانِيُّ بِرِجَالِ الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَفْوَانَ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالطُّحَاوِيُّ ، وَابْنُ قَانَعٍ بِسَنَدٍ حَسَنٍ ، وَأَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ . وَالْبَزَارُ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَالْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - قَالَ يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَقْبَلَ يَوْمَ الْفَتْحِ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ عَلَى رَاكِلَتِهِ ، زَادَ فُلَيْحٌ : الْقَصَوَاءَ - وَهُوَ مُرْدِفٌ

أسامة ، ومعه بلال ، وعثمان بن طلحة ، حتى أناخ في المسجد . ولفظ فُلِّحَ : عند البيت . وقال لعثمان : انتنى بالمفتاح ؛ قال أيوب : فذهب إلى أمه . فأبى أن تعطيه المفتاح فقال : والله لَتُعْطِيَنَّهُ أَوْ لَأُخْرِجَنَّ هَذَا السَّيْفَ مِنْ صُلْبِي ، فلما رأت ذلك أعطته إياه ، فجاء به ، ففتح عثمان له الباب ، ثم اتفقوا ، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأسامة وبلال^(١) وعثمان بن طلحة وقال ابن عوف - كما عند النسائي - والفضل بن عباس ، ولأحمد نحوه عن ابن عباس - بعد أن ذكر الثلاثة الأول - ولم يدخلها أحد معهم ، زاد مسلم فأغلقوا عليهم الباب .

وعند محمد بن عمر عن شيوخه : فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالكعبة فأغلق . ولفظ الإمام مالك : فأغلقها عليه ، وفي رواية ابن عوف : فأجاف عليهم عثمان الباب . زاد حسان بن عطية : من داخل .

وفي حديث صفية بنت شيبة عند ابن إسحاق ، فوجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في البيت حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ، ثم طرحها .

وفي حديث جابر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما دخل البيت رأى فيه تمثال إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، وقد جعلوا في يد إبراهيم الأزرار يستقسم بها ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ، لَقَدْ عَلِمُوا مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ » . ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِزَعْفَرَانَ فَلَطَخَهُ بِتِلْكَ التَّمَائِيلِ .

وعند ابن أبي شيبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، ويحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب - رحمهما الله تعالى - قالا : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما دخل الكعبة كبر في زواياها وأرجائها ، وحمد الله تعالى ، ثم صلى ركعتين بين أسطوانتين ، قال يونس : فمكث نهاراً طويلاً ، ولفظ فُلِّحَ : زماناً طويلاً ، ولفظ جويرية : فأطال ، ولفظ ابن عوف : فمكث فيها ملياً ، ولفظ أيوب : فمكث فيها ساعة . وفي رواية ابن

(١) سقط في الأصول . والإثبات عن شرح المواهب ٢ : ٣٤١ .

أبي مليكة عن نافع : فوجدتُ شيئاً فذهبتُ ثم جئتُ سريعاً فوجدتُ النبي - صَلَّى الله عليه وسلم - خارجاً ، ولفظ سالم : فلما فتحوا الباب وكنت أول واليخ ، وفي رواية فليح : فتبادر الناس الدُّخول فسبَقَتْهُمْ . وفي رواية أيوب : وكنت رجلاً شاباً قوياً فبادرتُ الناس فبدرتهم ، وفي رواية ابن عوف : فرقيتُ الدرجة / فدخلتُ البيت ، وفي ٢٤٥ ظ رواية مجاهد ، وابن أبي مليكة عن ابن عمر : وأجد بلالاً قائماً بين البابين . وفي رواية سالم : فلقيت بلالاً فسألته : زاد مالك فقلت : ما صنع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وفي رواية سالم . هل صلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فيه ؟ قال : نعم . وفي رواية مجاهد ، وابن أبي مليكة : فقلتُ هل صلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ، في الكعبة ؟ قال : نعم ، وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن عن ابن عمر : أنه سأل بلالاً ، وأسامة وفي رواية أبي الشعثاء عن ابن عمر قال : أخبرني أسامة بن زيد أنه رأى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - صلى فيه ههنا . وفي رواية خالد بن الحرث عن ابن عوف عن مسلم ، والنسائي عن ابن عمر : فرقيتُ الدرجة فدخلتُ البيت ، فقلتُ أين صلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ؟ قالوا : ههنا . وفي رواية جويرية . ويونس ، وجمهور أصحاب نافع : فسألْتُ بلالاً : أين - صَلَّى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ؟ قال : بين العمودين اليمانيين - ولفظُ جويرية : المُقَدَّمين - وفي رواية مالك : جعل عموداً عن يمينه ، وعموداً عن يساره . وفي رواية : عموداً عن يمينه وعمودين عن يساره ، وجعل ثلاثة أعمدة وراءه ، وفي رواية عنه : عموداً عن يساره ، وعمودين عن يمينه . قال البيهقي : وهو الصحيح ، وفي رواية فليح : صَلَّى بين ذينك العمودين المُقَدَّمين من السطر وكان البيت على ستة أعمدة سطرين . صلى بين العمودين من السطر المقدم ، وجعل باب البيت خَلْفَ ظَهْرِهِ ، وعند المكان الذي صَلَّى فيه مَرْمَرَةٌ حمراء ، وفي رواية موسى بن عقبة عند البخاري ، ومالك في رواية ابن قاسم عن النسائي عن نافع : أن بين موقف رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وبين الجدار نحو ثلاثة أذرع . وفي رواية ابن مهدي^(١) عند

(١) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حبان ، أبو سعيد البصري اللؤلؤي الحافظ ، روى عن شعبة ومالك والسيافين والحمادين وخلق . وعن خلائق منهم ابن وهب وابن المبارك وقال : كان أعلم الناس ، والإمام أحمد وقال : إذا حدث ابن مهدي عن رجل فهو حجة . مات بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة عن ثلاث وستين سنة (شرح المواهب ٢ : ٢٤٤) .

أبي داود ، وابن وهب عند الدارقطني في الغزوات - كلاهما عن مالك ، وهشام ، بن سعد عن أبي عوانة عن نافع : صَلَّى رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - وبينه وبين الجدار ثلاثة أذرع .

قال الحافظ أبو الفضل العراقي - رحمه الله تعالى - مُلَخَّصًا من طرق الأحاديث - : أن مُصَلِّي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم من البيت أن الدَّخِلَ مِنَ الباب يسيرُ تلقاء وجهه حين يدخل إلى أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع أو ذراعين أو ما بينهما لاختلاف الطُّرُق . قال : وَلَا ينبغي أن يجعل بينه وبين الجدار أقل من ثلاثة أذرع ، فإن كان الواقع أنه ثلاثة أذرع فقد صَادَفَ مُصَلَّاهُ ، وإن كان ذراعين فقد وقع وَجْهُ المُصَلِّي وذراعه^(١) في مكان قَدَحَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا أولى من المتقدم .

نكر قدر صلاته - صلى الله عليه وسلم - في الكعبة

٢٤٦ و في رواية يحيى بن سعيد / عند الشيخين . وفي رواية أبي نعيم الفضل بين ذكين عند البخاري والنسائي ، ورواية أبي عاصم الضحاك بن مخلد عند ابن خزيمة ، ورواية عمر بن علي عند الإسماعيلي ، ورواية عبد الله بن نمير عند الإمام أحمد ، كلهم عن سيف^(٢) ابن أبي سليمان عن مُجَاهِد عن ابن عمر : أنه قال : سَأَلْتُ بِلَالًا ، أَصَلَّى النَّبِيَّ - صَلَّى الله عليه وسلم - في الكعبة ؟ فقال : نعم : ركعتين . وتابع سيفًا عن مُجَاهِد خَصِيفٌ عند الإمام أحمد ، وتابع مجاهدًا عن ابن عمر ابن أبي مليكة عند الإمام أحمد والنسائي وعمر بن دينار عند الإمام أحمد ، وفي حديث جابر : دخل رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - البيتَ يومَ الفتح ، فصلّى فيه ركعتين ، ورواه الإمام أحمد برجال الصَّحِيح ، والطَّبْرَانِي عن عثمان بن طلحة . ورواه الإمام أحمد ، والأَزْرَقِي^(٣) عن عبد الله بن الزبير وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِي بِسَنَدٍ جَيِّدٍ ، وابن قانع وأبو جعفر الطَّحَاوِيُّ من طريقين عن عثمان .

(١) وفي شرح المواهب ٢ : ٣٤٤ « أو تقع ركبتاه أو يده أو وجهه إن كان أقل من ثلاثة أذرع » .

(٢) كذا في الأصول ، وهو سيف بن سليمان الخزوي - مولاهم - المكي تزيل البصرة ، يروي عن مجاهد ، توفي

سنة ١٥١ هـ . ويقول الخزرجي في الخلاصة : وصوابه يوسف (الخلاصة للخزرجي ١٣٦) .

(٣) الأزرق : هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو الفسافي . أبو الوليد الأزرق وقد نسب إلى جده الأزرق وله كتاب أخبار مكة (شرح المواهب ٢ : ٣٤٤) .

ورواه الطَّبْرَانِيُّ بِرَجَالٍ الصَّحِيحِ ، والبزار عن عبد الرَّحْمَنِ بن صَفْوَانَ - رضى الله عنه - قال : لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَّةَ انْطَلَقْتُ فَوَافَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَرَجَ مِنَ الْكَعْبَةِ ، وَأَصْحَابُهُ قَدْ اسْتَلَمُوا الْبَيْتَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الْحَطِيمِ ، وَقَدْ وَضَعُوا خُدُودَهُمْ عَلَى الْبَيْتِ وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَطَهُمْ ، فَسَأَلْتُ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، فَقُلْتُ : كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ دَخَلَ الْكَعْبَةَ ؟ قَالَ : صَلَّى رَكَعَتَيْنِ . وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّحَاوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضى الله عنه - والبزار عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَنْسَ بْنِ مَالِكٍ ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ - وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ فُلَيْحٍ^(١) وَأَيُّوبُ عَنْ نَافِعٍ ، وَأَبُو الشَّعْثَاءِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : وَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُ أَى بِلَالٍ ، كَمْ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي رِوَايَةِ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ أَسَامَةَ وَبِلَالَ وَعُثْمَانَ بْنِ شَيْبَةَ دَخَلُوا مَعَهُ . فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؟ قَالُوا : هَهُنَا ، وَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُمْ كَمْ صَلَّى ، وَسَيَأْتِي الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ فِي التَّنْبِيهَاتِ .

* * *

ذَكَرَ خُرُوجَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْبَيْتِ وَصَلَاتِهِ قَبْلَ الْكَعْبَةِ

رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ^(٢) الْكَعْبَةِ ، وَقَالَ : « هَذِهِ الْقِبْلَةُ » .

قال محمد بن عمر : ثم خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من البيت والمفتاح في يده ، وخالد بن الوليد يذبُّ النَّاسَ / عن الباب حتى خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -^{٢٤٦} ثم روى عن بَرَّةَ بِنْتِ أَبِي تَجْرَةَ^(٣) بفتح الفوقية ، وكسر الجيم ، وبالراء - رضى الله عنها - قالت : نظرتُ رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وفي يده المفتاح ثم جعله في كفه .

(١) بياض في ت ، ط ، م بمقدار كلمتين ، وهو فليح بن سليمان الأسلمي أو الخزاعي ، أبو يحيى المدني ، واسمه عبد الملك . يروى عن ابن المسيب والزهرى ونافع ، توفي سنة ١٦٨ هـ (الخلاصة للخزجي) ، أما في ص فالسياق مضطرب وليس فيها بياض .

(٢) قبل : ضبطه الحافظ بضم القاف والموحدة ، وقد تسكن : أى مقابلة ، أو مستقبلك منه ، وهو وجه . وهذا موافق لقول ابن عمر عند الشيخين (شرح المواهب ٢ : ٣٤٤) وقد ضبط اللفظ في ص ٢ : ٢١١ بالشكل . بكسر القاف وفتح الباء .

(٣) كذا ضبطه الشافى ، وفي مغازى الواقدي ٢ : ٨٣٥ ضبطه بكسر التاء .

ذكر خطبته — صلى الله عليه وسلم — يوم الفتح

روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، والبُخاريّ في صحيحه عن مجاهد ، وابن أبي شيبة^(١) وابن إسحاق عن صفية بنت شيبة ، والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وابن أبي شيبة عن عبد الله ابن عُبيدة قالوا : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لما خرج من البيت استكف^(٢) له الناس ، وأشرف على الناس وقد ليط بهم حول الكعبة — وهم جلوس — قام على بابه فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده » ولفظ الإمام أحمد ، ومحمد ابن عمر : « الحمد لله الذي صدق وعده ، ثم اتفقوا » ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، يا معشر قريش ماذا تقولون ؟ ماذا تظنون ؟ قالوا : نقول خيرا ونظن خيرا ؛ نبي كريم ، وأخ كريم ، وابن أخ كريم ، وقد قدرت . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « فإنني أقول كما قال أخي يوسف : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾^(٣) » أذهبوا فأنتم الطلقاء » فخرجوا كأنما نُشروا من القبور فدخلوا في الإسلام ، ثم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ألا إن كل رباً في الجاهلية أو دم أو مائة أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين — وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وفي قتيل العصا والسوط والخطأ شبه العمدة الدية مغلظة مائة ناقة ؛ منها أربعون في بطونها أولادها ، ألا وإن الله تعالى — قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتكبرها بآبائها ، كلكم لآدم^(٤) وآدم من تراب » . ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل ليتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير^(٥) » « يا أيها الناس !! الناس رجلان ؛ فبرئ تقى كريم وكافر شقى هين على الله ، ألا إن الله — تعالى — حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، ووضع هذين الأخشبين ، فهى

(١) في ت ، ط ، م بياض بمقدار ثلاث كلمات ، أما في ص فلا بياض والكلام متصل كما أثبتنا .

(٢) استكف : اجتمع (السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦٩ هامش) .

(٣) سورة يوسف آية ٩٢ .

(٤) في ص « أولاد آدم » والمثبت عن بقية النسخ .

(٥) سورة الحجرات آية ١٣ .

حَرَامٌ بِحَرَامٍ^(١) اللهُ ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، وَلَنْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَتْ بَعْدِي ، لَمْ تَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ يُقَصِّرُهَا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ هَكَذَا - وَلَا يُنْفَرُ صِنْدُهَا ، وَلَا يُغَضَّدُ عِضَاهَا ، وَلَا تَحِلَّ لِقَطْعَتِهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ ، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا « فقال العباس ، وكان شيخاً مجرباً : إِلَّا الْإِذْخِرُ^(٢) يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَنَا مِنْهُ - لِلْقَيْنِ^(٣) وظهور البيوت ، فسكت رسولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ساعةً ثم قال : « إِلَّا الْإِذْخِرَ فَإِنَّهُ حَلَالٌ ، وَلَا وَصِيَّةٌ لِيُورَثَ ، وَإِنَّ الْوَلَدَ لِلْفِرَاشِ / وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ أَنْ تُنْطَى و ٢٤٧ مِنْ مَالِ زَوْجِهَا إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا ، وَالْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، وَالْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ ، وَالْمُسْلِمُونَ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَهُمْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ ، وَيَعْقِلُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَمُسْلِمُهُمْ عَلَى مُضْغِفِهِمْ وَمَشْرِيمِهِ^(٤) عَلَى قَاعِهِمْ ، وَلَا يَقْتُلُ مُسْلِمٌ بَكَافِرٍ ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ ، وَلَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، وَلَا جَلْبَ وَلَا جَنْبَ ، وَلَا تُؤْخَذُ صَدَقَاتُ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا فِي بُيُوتِهِمْ وَبِأَفْنِيَّتِهِمْ ، وَلَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا . وَالْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى ، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ، وَلَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ مَسِيرَةَ ثَلَاثٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحَرَمٍ ، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ ، وَبَعْدَ الصُّبْحِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ يَوْمِ الْأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ ، وَعَنْ لِبَسَتَيْنِ أَلَا يَحْتَبِي أَحَدَكُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ يُفْضِي بَعُورَتِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَلَا يَشْتَمِلُ^(٥) الصَّبَاءُ ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي قَدْ عَاهَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ : مَنْ عَاهَرَ بِامْرَأَةٍ لَا يَمْلِكُهَا - أَوْ أَمَةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ لَا يَمْلِكُهَا - ثُمَّ ادَّعَى وَلَدَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ ، وَلَا يَرِثُ وَلَا يَوْرَثُ وَلَا أَخَاكُمْ إِلَّا قَدْ عَرَفْتُمُوهَا ، يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كُفُّوا السَّلَاحَ إِلَّا خُرَاعَةً عَنْ بَنِي بَكْرٍ مِنْ ضُحْوَةِ نَهَارِ الْفَتْحِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْهُ - فَخَبَطُوهُمْ سَاعَةً - وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي أُحِلَّتْ لِرَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : « كُفُّوا السَّلَاحَ فَقَامَ أَبُو شَاةٍ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي الْمَغَازِي لِلْوَاقِدِيِّ ٢ : ٨٣٦ « بِحَرْمَةٍ » .

(٢) الْإِذْخِرُ : حَشِيشَةٌ طَلِيَّةٌ الرَّائِحَةُ تَسْقِفُ بِهَا الْبُيُوتُ فَوْقَ الْحَشْبِ (اللسان) .

(٣) رَوَايَةُ الْوَاقِدِيِّ لِلْمَغَازِي ٢ : ٨٣٦ « الْقَبْرِ وَظُهُورِ الْبُيُوتِ » .

(٤) فِي الْمَرْجِعِ السَّابِقِ « مِيسَرَتِهِمْ » .

(٥) فِي الْمَرْجِعِ السَّابِقِ ٢ : ٨٣٧ « لَا يَحْتَبِ » « وَلَا يَشْتَمِلُ »

وَالِاحْتِبَاءُ هُوَ أَنْ يَضُمَّ الْإِنْسَانُ رِجْلَيْهِ إِلَى بَطْنِهِ بِثَوْبٍ يَجْمَعُهُمَا بِهِ مَعَ ظَهْرِهِ وَيَشْدُو عَلَيْهِ . (اللسان) .

فقال : اكتب لي يارسول الله ، فقال « اكتبوا لأبي شاة » ، أقول قولِي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم » .

قال الزهري - فيما رواه عبد الرزاق ، والطبراني : ثم نزل - ونزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه المفتاح ، فتنحى ناحيةً من المسجد ، فجلس عند السقاية .

قال شيوخُ محمد بن عمر : وكان - صلى الله عليه وسلم - قد قبض مفتاح السقاية من العباس ، ومفتاح البيت من عثمان .

وروى ابنُ أبي شيبَةَ عن عبد الله بن عبيدة : أنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - بعدَ خُطْبته عدَلَ إلى جانب المسجدِ فأتىَ بدلوٍ من ماءٍ زَمَزَمَ ، فغَسَلَ منها وَجْهَهُ مَا يَقَعُ مِنْهُ قطرةٌ إلا في يدِ إنسانٍ إن كانت قدَرٌ ما يحسوها حساًها وإلا مسح جلده . والمشركون ينظرون فقالوا : ما رأينا ملكاً قط أعظم من اليوم . ولا قوماً أحق من القوم .

ذكر تصديق النبي - صلى الله عليه وسلم - لعثمان بن طلحة قبل الهجرة بأن المفتاح سيصير بيده - صلى الله عليه وسلم - يضعه حيث شاء ونزل قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى

أهلها » (١)

روى ابن سعد عن إبراهيم بن محمد العبدري عن أبيه ، محمد بن عمر عن شيوخه ، قالوا : قال عثمان بن طلحة : لَقِيَنِي رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بِمَكَّةَ قَبْلَ الهجرة ، فدَعَانِي إلى الإسلامِ فقلتُ : يا محمد العجبُ لك حيثُ تطمَعُ أن أتبعَكَ ، ٢٤٧ ظ وقد خالفتَ دينَ قومِكَ / وجئتَ بدينٍ مُحدثٍ ، وكنا نفتحُ الكعبةَ في الجاهليةِ الاثنَين والخميس ، فأقبلَ يوماً يريدُ أن يدخلَ الكعبةَ مع الناسِ فأغلظتُ عليه ونِلْتُ منه ، فَحَلَمَ عَنِّي ، ثم قالَ : « يا عثمان لعلَّكَ سَتَرِي هذا المفتاحَ يوماً بيدي أضعُهُ حيثُ شئتُ » فقلتُ : لقد هَلَكْتَ قُرَيْشٌ وذلت . قال : « بل عَمِرْتَ يومئذٍ وعزَّت » ، ودخلَ الكعبةَ ، فوقعتْ كلمتهُ مِنِّي موقعاً فظننتُ أن الأمرَ سيصيرُ كما قال ، فأردت الإسلامَ

(١) سورة النساء آية ٥٨ .

فإذا قومي يزبرونني^(١) زبراً شديداً ، فلما كان يوم الفتح قال لي يا عثمان : « إئت بالفتاح » فأتيته به . فأخذه مني ، ثم دفعه إليّ وقال : « خذوها^(٢) خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا مما وصل إليكم من هذا البيت بالمعروف » فلما وليت ناداني ، فرجعت إليه ، فقال : « ألم يكن الذي قلت لك ؟ فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة » لعلك ستري هذا الفتح يوماً بيدي أضعه حيث شئت » فقلت : بلى . أشهد أنك رسول الله ، فقام علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال : يا رسول الله - اجتمع لنا الحجابة مع السقاية - صلى الله عليك وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أين عثمان بن طلحة ؟ فدعا فقال : « هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برٍ ووفاء » قالوا : وأعطاه المفتاح ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مضطجع بشوبه عليه ، وقال « غيبوه . إن الله تعالى رضى لكم بها في الجاهلية والإسلام » .

وروى الفاكهي^(٣) عن جبير بن مطعم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما ناول عثمان المفتاح قال له « غيبه » قال الزهري : فلذلك يُغيب المفتاح .

وروى ابن عائذ ، وابن أبي شيبّة من مرسل عبد الرحمن بن سابط : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة ، فقال : « خذوها خالدة مخلدة ، إني لم أدفعها إليكم ، ولكن الله - تعالى - دفعها إليكم ، ولا ينزعها منكم إلا ظالم » .

وروى ابن عائذ أيضاً ، والأزرقي عن ابن جريج - رحمه الله - تعالى - أن علياً - رضى الله عنه - قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : اجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا^(٤) ﴾ فدعا عثمان فقال : « خذوها يا بني شيبّة خالدة مخلدة » . وفي لفظ : « تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم » .

(١) يزبرونني : يقال زبر الرجل انهره وزجره ومنعه (اللسان)

(٢) خذوها : أي سدانة البيت (شرح المواهب ٢ : ٣٩٩) .

(٣) هو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي المكي توفي بعد سنة ٢٧٢ هـ . وقد حقق كثيراً من كتابه « أخبار مكة » سماحة الشيخ عبد الملك بن دهيش في ستة مجلدات طبع مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة .

(٤) سورة النساء آية ٥٨ .

وروى الأزرقي عن جابر ومجاهد قال : نزلت هذه الآية « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة . قبض رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - مفتاح الكعبة ودخل في الكعبة يوم الفتح ، فخرج رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وهو يتلو هذه الآية ، فدعا عثمان ، فدفع إليه المفتاح ، وقال - صَلَّى الله عليه وسلم - « خذوها يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ بِأَمَانَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ » .

وقال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - مِنَ الْكَعْبَةِ خَرَجَ وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ ، مَا سَمِعْتُهُ يَتْلُوهَا قَبْلَ ذَلِكَ .

وروى أيضاً نحوه عن سعيد بن المسيب قال : دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - مفتاح الكعبة إلى عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ يوم الفتح ، وقال : « خُذُوهَا يَا بَنِي طَلْحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَظْلِمُكُمُوهَا إِلَّا كَافِرٌ » .

وروى عبد الرزاق والطبراني عن الزهري : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ قَالَ عَلِيٌّ : « إِنَّا أُعْطِينَا النُّبُوَّةَ وَالسَّقَايَةَ ، وَالْحِجَابَةَ ، مَا قَوْمٌ بِأَعْظَمَ نَصِيباً مِنَّا . فَكَّرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - مَقَالَتَهُ ، ثُمَّ دَعَا عُثْمَانَ ابْنَ طَلْحَةَ فَدَفَعَ الْمِفْتَاحَ إِلَيْهِ وَقَالَ : « غَيِّبُوهُ » .

وقال عبد الرزاق عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - قال لعلي يومئذٍ حين كلمه في المفتاح : « إِنَّمَا أُعْطِيتُكُمْ مَا تُرْزَعُونَ ، وَلَمْ أُعْطِكُمْ مَا تُرْزَعُونَ » يقول : « أُعْطِيتُكُمْ السَّقَايَةَ لِأَنَّكُمْ تَغْرُمُونَ فِيهَا ، وَلَمْ أُعْطِكُمْ الْبَيْتَ » . قال عبد الرزاق : أَيْ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مِنْ هَدْيِهِ .

وروى عبد الرزاق عن ابن أبي مليكة : أَنَّ الْعَبَّاسَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : يَا نَبِيَّ اللَّهِ !! اجْمَعْ لَنَا الْحِجَابَةَ مَعَ السَّقَايَةِ ، وَنَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : « ادْعُوا لِي عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ ، فَدَعِيَ لَهُ فَدَفَعَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمِفْتَاحَ ، وَسَرَّ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

الله عليه وسلم - أول من ستر عليه ، ثم قال : « خُذُوها يَا بَنِي طَلْحَةَ لَا يَنْتَزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ » .

ذكر صلاته - صلى الله عليه وسلم - ركعتين في قبل الكعبة

عن السائب بن يزيد - رضى الله عنه - قال : حضرتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يومَ الفتح صلى في قبل الكعبة ، فخلع نعليه فوضعهما^(١) عن يساره ، ثم استفتح سورة المؤمنين ، فلما جاء ذكر موسى أو عيسى أخذته سعدة فركع . رواه ابن أبي شيبَةَ في المصنف .

ذكر اطلاعه - صلى الله عليه وسلم - على مآقاته الانصار - رضى الله عنهم بينهم لما امن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريشا

روى أبو داود الطيالسي ، وابن أبي شيبَةَ ، والإمام أحمد ، ومسلم عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - لَمَّا فرغ / من طَوَافِهِ ، أَتَى ٢٤٨ الصَّفَا فَعَلَا مِنْهُ حَتَّى يَرَى الْبَيْتَ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ، وَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ - تعالى - ويذكره . وَيَدْعُو مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُو . وَالْأَنْصَارُ تَحْتَهُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَمَّا الرَّجُلُ فَأَذْرَكْتَهُ رَغْبَةً فِي قَرِيْبَتِهِ ، وَرَأْفَةً بِعَشِيرَتِهِ - قال أبو هريرة - رضى الله عنه - وَجَاءَ الْوَحْيُ - وَكَانَ إِذَا جَاءَ لَمْ يَخْفَ عَلَيْنَا : فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - حَتَّى يُقْضَى فَلَمَّا قُضِيَ الْوَحْيُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ » قَالُوا : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « قُلْتُمْ أَمَّا الرَّجُلُ فَأَذْرَكْتَهُ رَغْبَةً فِي قَرِيْبَتِهِ ، وَرَأْفَةً فِي عَشِيرَتِهِ » قَالُوا : قَدْ قُلْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَمَا أَسْمَى إِذْنًا !! كَلَّا ، إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ ، الْمَحِيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ » فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ ، يَقُولُونَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضَّنَّ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « فَإِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَغْلِبَانَكُمْ وَيَصُدُّقَانِيكُمْ » .

(١) في (ص) « فجعلها من يماره » والمثبت عن بقية النسخ .

نكر اطلاقه - صلى الله عليه وسلم - على ما هم به ابو سفيان وما اسره
لهند بنت عتبة

روى ابن سعد عن أبي إسحاق السبيعي - رحمه الله تعالى - والحاكم في الإكليل ،
والبيهقي عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قالوا : رأى أبو سفيان رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - يمشى والناس يطئون عقبه ، فقال بينه وبين نفسه : لو عاودتُ
هذا الرجل القتال ، وجمعتُ له جمعاً ؟ فجاء رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - حتى
ضرب بيده في صدره فقال : « إِذَنْ يُخْزِيكَ اللَّهُ » فقال : أتوبُ إلى الله - تعالى - وأستغفرُ الله
مما تفوهتُ به ، ما أيقنتُ أنك نبي حتى الساعة ، إني كنت لأحدث نفسي بذلك .

وروى محمد بن يحيى الذهلي - بالذال المعجمة ، واللام في كتابه - جمع حديث
الزهرى - عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - قال : لما دخل رسولُ الله - صلى
الله عليه وسلم - مكة ليلة الفتح ، لم يزالوا في تكبيرٍ وتهليلٍ وطوافٍ بالبيت حتى أصبحوا
فقال أبو سفيان لهند : أترين هذا من الله ؟ قالت : نعم هذا من الله قال : ثم أصبح
فغدا أبو سفيان إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -
وسلم - قُلْتَ لِهِنْدَ أترين هذا من الله ؟ ؟ قالت^(١) : نعم هذا من الله « فقال أبو سفيان :
أشهدُ أنك عبدُ الله ورسوله ، والذي يُخلفُ به ما سمعَ قولى هذا أحد من الناس إلا الله
عز وجل وهند .

وروى ابن سعد ، والحاثر بن أبي أسامة ، وابن عساكر عن عبد الله بن أبي بكر
ابن حزم - رحمه الله تعالى - قال : خرج رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو سفيان
٢٤٩ و جالسٌ في المسجد / فقال أبو سفيان : ما أدرى بما يغلبنا محمد ؟ فاتاه رسولُ الله - صلى
الله عليه وسلم - فضربَ صدره وقال : « بالله - تعالى - نغلبك » فقال أبو سفيان :
أشهدُ أنك رسولُ الله .

(١) سقط في الأصول والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٧٧ .

وروى العَقِيلِي وابن عساكر عن ابن عباس - رضى الله تعالى - عنهما - قال : لقي رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - أبا سفيان بن حرب في الطَّوَّاف فقال : « يَا أَبَا سُفْيَانَ هَلْ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ هِنْدٍ كَذًا وَكَذَا ؟ » فقال أبو سفيان : فَشَتَّ عَلَى هِنْدٍ سِرِّي ، لَأَفْعَلَنَّ بِهَا وَلَأَفْعَلَنَّ ، فلما فرغ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - من طوافه لحق بأبي سفيان فقال : « يَا أَبَا سُفْيَانَ ، لَا تُكَلِّمْ هِنْدًا فَإِنَّهَا لَمْ تُفَشِّرْ مِنْ سِرِّكَ شَيْئًا » فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم .

ذكر مبايعته - صلى الله عليه وسلم - الناس على الإسلام

روى الإمام أحمد ، والبيهقي عن الأسود بن خلف - رضى الله تعالى عنه - أنه رأى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - يُبَايِعُ النَّاسَ يوم الفتح . قال : جلس عند قَرْنٍ مَسْقَلَةٍ^(١) ، فبايع الناس على الإسلام فجاءه الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، فبايعهم على الإيمان بالله - تعالى - وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله .

وقال الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير - رحمه الله تعالى - : اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - على الإسلام ، فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا ، وعمر بن الخطاب أسفل من مجلس رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فاخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة ، امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة خوفاً من رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - أن يُخبرها بما كان من صنيعها بحمزة ، فهي تخاف أن يأخذها بحدثها ذلك ، فلما دَنَيْنَ من رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال : « بَايَعَنِي عَلَى أَلَّا تُشْرِكُنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا » فرفعت هند رأسها وقالت : والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال^(٢) فقال : « وَلَا تَسْرِقْنَ » فقالت : والله إني كنت أصبتُ من مال أبي سفيان

(١) في الأصول « مسقلة » وهي مسقلة ، ويقال مصقلة .. هو قرن بقيت منه بقية بأعلى مكة في دبر دار سمرة عند موقف الغنم بين شعب ابن عامر وحرف في دار رابعة في أصله ، ومصقلة رجل كان يسكنه في الجاهلية (أخبار مكة للأزرقي ٢٧٠/٢ ، معالم مكة لليلاني ٢٧٣ .

(٢) جاء في السيرة الحلبية ٣ : ١١١ « ومعنى ذلك أنه كان صل الله عليه وسلم يبايع الرجال على الإسلام وعلى الجهاد فقط .

الهنّة بعد الهنّة ، وما كنت أدرى أكان ذلك حلالاً أم لا ؟ فقال أبو سفيان : - وكان شاهداً لما تقول - أمّا ما أصبّت فيما مضى فأنّت منه في حلّ - عفا الله عنك - ثم قال : « وَلَا تَزْنِينَ » فقالت : يا رسول الله : أو تزني الحرة ؟ ! ثم قال : « وَلَا تَقْتُلَنَّ أَوْلَادَكُنَّ » قالت : قد ربّيتناهم صِغاراً وقتلهم كباراً ، فأنّت وهم أعلم ، فضحك^(١) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعمر ، ثم قال : « وَلَا تَأْتِينَ بِيَهُتَانِ يَفْتَرِيَنَّهُ بَيْنَ أَيْدِيكَنِ / وَأَرْجُلِكُنِ » فقالت : والله إنّ إتيان البهتان لقبيح وكبعض التجاوز أمثل ، ثم قال : « وَلَا تَعْصِينَ » فقالت : في معروف فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لعمر : « بَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » فبايعهن عمر ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يُصَافِحُ النِّسَاءَ ولا يمس^(٢) جِلْدَ امرأة لم يحلها الله - تعالى - له أو ذات مَحْرَمٍ وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت لا والله ما مسّت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط وفي رواية ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة .

نكر امره - صلى الله عليه وسلم - بتكسير الاصنام

قالوا : ونادى منادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره .

نكر اذان بلال - رضى الله عنه - فوق الكعبة يوم الفتح وما وقع في ذلك من الآيات^(٣)

روى أبو يعلى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وابن هشام عن بعض أهل العلم ، والبيهقي عن ابن إسحاق ، وعن عروة ، وابن أبي شيبه عن أبي سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، والأزرقي عن ابن أبي مليكة ، ومحمد بن عمر عن شيوخه - رحمهم الله تعالى - أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمّا حانت الظهر أمر - بلالاً - أن يؤذّن بالظهر يومئذٍ فوق الكعبة ليغيظ بذلك المشركين ، وقرئش فوق رؤوس الجبال ،

(١) وفي المرجع السابق « فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلق وتبسم صلى الله عليه وسلم » .

(٢) كذا في ت ، ط ، م وفي ص ٢ : ٢١٤ « ولا يمس إلا امرأة أحلها الله له » .

(٣) في ص ٢ : ٢١٤ « ذكر اذان بلال رضى الله عنه يوم الفتح على ظهر الكعبة وما وقع في ذلك من الآيات » .

وقد فرّ جماعةٌ من وجوههم وتغيّبوا ، وأبو سفيان بن حرب ، وعتّاب - ولفظُ ابنِ أبي شَيْبَةَ : خالد بن أسيد^(١) ، والحارث بن هشام - جلوسُ بفساءِ الكعبة - وأسلموا بعد ذلك . فقال عتّاب - أو خالد^(٢) - بن أسيد : لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون يسمع هذا ، فيسمع ما يغيظه ، وقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه محق لا تتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمتُ لأخبرتُ عني هذه الحصا^(٣) ، وقال بعضُ بني سعيد بن العاص ، لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة . وقال الحكم بن أبي العاص : هذا والله الحدثُ العظيم أن يصيحَ عبدُ بني جُمَح على بَنِيَّة أبي طلحة . وقال الحارث بن هشام : إن يكن الله - تعالى - يكرهه فسيغيّره ، وفي رواية : أن سهيل بن عمرو . قال مثلُ قولِ الحارث ، فأتى جبريلُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره خبرهم ، فخرج عليهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال « قد علمتُ الذي قلتم » فقال الحارث وعتّاب : نشهدُ إنك رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ما اطلع على هذا أحدٌ كان معنا فنقولُ أَخْبَرَكَ .

ذكر امره/- صلى الله عليه وسلم بتجديد أنصاب الحرم يوم الفتح

روى الأزرقي عن محمد بن الأسود ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : أولُ مَنْ نَصَبَ أنصابَ الحرم إبراهيم ، كان جبريلُ - صلى الله عليه وسلم - يدلُّه على مواضعها ، فلم تُحرَّك حتى كان إسماعيل - صلى الله عليه وسلم - فجدها ، ثم لم تُحرَّك حتى كان قُصَيُّ بن كلاب فجدها ، ثم لم تحرك حتى كان يوم الفتح فَبَعَثَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - تميم بن أسد الخُزَاعِيَّ فجدد أنصاب الحرم .

ذكر اسلام السائب بن عبد الله المخزومي - رضى الله عنه

و ٢٥٠

روى ابن أبي شَيْبَةَ ، والإمام أحمد عن مجاهد عن السائب : أنه كان شارك رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قبل الإسلام في التجارة ، فلما كان يوم الفتح أتاه فقال :

(١) في شرح المواهب ٢ : ٣٤٦ عتاب وخالد إنا أسيد .

(٢) في المغازي للواقدي ٢ : ٨٤٦ « الحصا » .

« مَرْحَبًا بِأَخِي وَشَرِيكِي ، كَانَ لَا يُدَارَى وَلَا يُمَارَى ، يَسَائِب !! قَدْ كُنْتَ تَعْمَلُ أَعْمَالًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا تُتَقَبَّلُ مِنْكَ وَهِيَ الْيَوْمَ تُتَقَبَّلُ مِنْكَ » وَكَانَ ذَا سَلَفٍ وَخُلَّةٍ .

وروى الإمام أحمد عن مجاهد عن السائب بن عبد الله قال : جيء بي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة فجعل عثمان وغيره يُثْنُونَ عَلَىَّ ، فقال رسول الله : « لَا تَعْلَمُونِي بِهِ ، كَانَ صَاحِبِي » .

نكر اسلام الحارث بن هشام - رضى الله عنه

روى محمد بن عمر عن الحارث بن هشام قال : لما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة ، دخلت أنا وعبد الله بن أبي ربيعة دار أم هانئ ، فذكر حديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أجاز جِوَارَ أم هانئ ، قال : فَأَنْطَلَقْنَا ، فَأَقَمْنَا يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى مَنَازِلِنَا ، فَجَلَسْنَا بِأَفْنِيتِهَا لَا يَعْزِضُ لَنَا أَحَدٌ ، وَكُنَّا نَخَافُ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَجَالِسٌ فِي مَلَأَةِ مَوْرَسَةٍ^(١) عَلَى بَابِي مَا شَعَرْتُ إِلَّا بِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَإِذَا مَعَهُ عِدَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَسَلَّمَ وَمَضَى ، وَجَعَلْتُ أَسْتَحْيِي أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَذْكَرُ رُؤْيَاهُ إِيَّايَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ أَذْكَرُ بِرَّهِ وَرَحْمَتَهُ وَصِلَتَهُ فَأَلْقَاهُ وَهُوَ دَاخِلُ الْمَسْجِدِ ، فَلَقِينِي بِالْبِشْرِ ، فَوَقَفَ حَتَّى جِئْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَشَهِدْتُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ ، مَا كَانَ مِثْلَكَ يَجْهَلُ الْإِسْلَامَ قَالَ الْحَارِثُ : فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ الْإِسْلَامِ جُهِلَ .

نكر اسلام سهيل بن عمرو - رضى الله عنه

روى محمد بن عمر - رحمه الله - عن سهيل بن عمرو قال / : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَّةَ وَظَهَرَ ، اقْتَحَمْتُ بَيْتِي وَأَغْلَقْتُ بَابِي عَلَىَّ ، وَأَرْسَلْتُ إِلَى ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ أَنْ أَطْلُبَ لِي جِوَارًا مِنْ مُحَمَّدٍ فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ أُقْتَلَ ، فَذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !! أَبَى تَوْمَنُهُ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، هُوَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ فَلْيَظْهَرْ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِمَنْ حَوْلَهُ : « مَنْ

(١) فِي الْمَغَازِي لِلْوَاقِدِيِّ ٢ : ٨٣١ فِي الْمَلَأَةِ الْمَرْعَفَةِ وَالْمَلَأَةِ الْمَوْرَسَةُ هِيَ الْمَصْبُوغَةُ بِالْوَرَسِ وَهُوَ نَبَاتٌ أَصْفَرٌ يَصْبَعُ .
بِهِ (النهاية : ١٧٣) .

لَقِيَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَلَا يُحَدِّثُ إِلَيْهِ النَّظَرَ فَلَمَعَمْرَى إِنَّ سُهَيْلًا لَهُ عَقْلٌ وَشَرَفٌ ، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ جَهْلَ الْإِسْلَامَ ، وَلَقَدْ رَأَى مَا كَانَ يُوضَعُ فِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُ لَهُ « فَخَرَجَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى أَبِيهِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ سُهَيْلُ : كَانَ وَاللَّهِ بَرًّا صَغِيرًا ، بَرًّا كَبِيرًا ، فَكَانَ سُهَيْلُ يُقْبِلُ وَيُذِيرُ آمَنًا وَخَرَجَ إِلَى حَنِينٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ حَتَّى أَسْلَمَ بِالْجِعْرَانَةِ .

نَكَرَ إِسْلَامَ عُتْبَةَ وَمَعْتَبَ وَلَدَيْ أَبِي لَهَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

رَوَى ابْنُ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَّةَ فِي الْفَتْحِ قَالَ لِي : « أَيْنَ ابْنَا أَخِيكَ عُتْبَةُ وَمَعْتَبُ ابْنَتِي أَبِي لَهَبٍ . لَا أَرَاهُمَا » ؟ قُلْتُ : تَنْحِيًا فِيمَنْ تَنْحَى مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ ، قَالَ : « ائْتِنِي بِهِمَا » فَرَكِبْتُ إِلَيْهِمَا بِعُرْنَةٍ فَاتَيْتُ بِهِمَا ، فَدَعَاهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَا وَبَايَعَا ، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخَذَ بِأَيْدِيهِمَا وَانْطَلَقَ بِهِمَا حَتَّى أَتَى الْمَلْتَزِمَ ، فَدَعَا مَسَاعَةً ثُمَّ أَنْصَرَفَ وَالسُّرُورُ يُرَى فِي وَجْهِهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ سَرَّكَ اللَّهُ إِنَّي أَرَى السُّرُورَ فِي وَجْهِكَ ، فَقَالَ : « إِنِّي اسْتَوْهَبْتُ ابْنَتِي عَمِّي هَذَيْنِ مِنْ رَبِّي فَوَهَبَهُمَا لِي » .

نَكَرَ إِسْلَامَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو عَنْ شَيْخِهِ قَالَ : هَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى نَجْرَانَ ، فَأَرْسَلَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَبْيَاتًا يَرِيدُهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ :

لَا تَعْدَمَنَّ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُغْضُهُ نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَدٌ^(١) لَيْمٍ
بَلَيْتَ قَنَاتِكَ فِي الْحُرُوبِ فَأَلْفَيْتَ خَوَارَةَ^(٢) جَوْفَاءَ ذَاتِ وُصُومٍ
غَضَبُ الْإِلَهِ عَلَى الزُّبَيْرِ وَابْنِهِ وَعَذَابُ سُوءٍ فِي الْحَيَاةِ مُقِيمٍ

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ فَقَطْ فَلَمَّا جَاءَ ابْنُ الزُّبَيْرِ شَعْرُ حَسَّانَ ، خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى

(١) وَرَدَ هَذَا الشَّعْرُ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ كَثِيرٍ ٣ : ٥٨٥ وَفِي الْمَغَازِي لِلْوَاقدِي ٢ : ٨٤٧ .

(٢) فِي الْمَغَازِي لِلْوَاقدِي ٢ : ٨٤٨ « خَانَةَ » وَفِي الْفَرْقِ بِالضَّعِيفَةِ .

٢٥١ و الله عليه وسلم - قال : « هذا ابنُ الزُّبَيْرِ ، ومعه وجه فيه نور الإسلام فلَمَّا / وقف على رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال السَّلَامُ عليك يا رَسولَ الله ، أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وأنك عبده ورسولُه ، الحمد لله الَّذي هَدَانِي للإِسْلَام ، لقد عَادَيْتُكَ ، وَأَجَلَبْتُ عَلَيْكَ وركبتُ الفَرَسَ والبَعِيرَ ، ومشيتُ على قَدَمَيَّ في عَدَوَاتِكَ ، ثم هربتُ منك إلى نَجْرَان ، وأنا أريدُ أن لا أُقِرَّ بالإِسْلَام أبداً ، ثم أَرَادَنِي^(١) الله منه بخير ، وألقاه في قلبي ، وَحَبَبَهُ إِلَيَّ . وذكرتُ ما كنتُ فيه من الضَّلالة واتباع ما لا ينبغي من حَجَرٍ يُذْبَحُ له وَيُعْبَدُ ، لا يَذَرِي مَنْ عبده ، ولا مَنْ لَا يَعْبُدُهُ . قال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلإِسْلَام ، إِنَّ الإِسْلَامَ يُجِبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ »

وقال عبد الله حين أسلم :

يارسول المليك إن لسانى	راتق ما فتقت إذ أنا بُورُ
إذ أبارى الشيطان في ستن الغي	ومن ممال ميله مَثْبُورُ
آمن اللخسم والعظام لربى	ثم قلبى الشهيد أنت النذيرُ
إننى عنك زاجر ثم حيا	من لوى وكلهم مغرورُ

وقال عبد الله أيضا حين أسلم^(٢) :

منع الرقاد بلابل وهُمومُ	والليل مُتَعَلِّجُ الرواقِ بهم
مما أتانى أن أحمدا لأمنى	فيه فبت كائننى محمومُ
ياخير من حملت على أوصالها	عيرانة سرح اليدين غشومُ
إنى لمعتذر إليك من الذى	أسديت إذ أنا فى الضلالِ أهيمُ
أيام تأمرنى بأغوى خطية	سهم وتأمرنى بها مخزومُ

(١) فى المغازى للواقدي ٢ : ٨٤٨ « أراد بى الله منه بخير » .

(٢) قال ابن كثير فى السيرة النبوية ٣ : ٥٨٦ « قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له ، قلت : كان عبد الله بن الزبيرى المسمى من أكبر أعداء الإسلام ومن الشعراء الذين استعملوا قوام فى هجاء المسلمين ثم من الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذب عنه » وأنظر أيضاً سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٨٧٦ تحقيق محيى الدين .

وَأَمَدُ أَسْبَابِ الرَّدَى وَيَقُودُنِي أَمْرُ الْوُشَاةِ وَأَمْرُهُمْ مَشُومُ
فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَلْبِي وَمُخْطِئُ هَذِهِ مَخْرُومُ
مَضَتْ الْعَدَاوَةُ فَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا وَدَعَتْ أَوَاصِرَ بَيْنِنَا وَحُلُومُ
فَاغْفِرْ فِدَى لَكَ وَالِدَايَ كِلَاهُمَا زَلَلِي فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمٍ ^(١) الْمَلِيكِ عَلَامَةٌ نُورٌ أَعْرَ وَخَاتَمٌ مَخْتُومُ
أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بُرْهَانُهُ شَرَفًا وَبُرْهَانُ الْإِلَهِ عَظِيمُ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دِينَكَ صَادِقُ حَقٌّ وَأَنَّكَ فِي الْعِبَادِ جِيمُ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُضْطَفِّي مُسْتَقْبَلُ فِي الصَّالِحِينَ كَرِيمُ
قَرَمٌ عَلَا بُنْيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ فَرَعٌ تَمَكَّنَ فِي الدَّرَى وَأُرُومُ

* * *

نكر اسلام عكرمة - رضى الله عنه - بن ابي جهل

روى محمد بن عمر عن شيوخه - رحمه الله تعالى - وإيَّاهم : أن عكرمة - رضى الله عنه - قال : بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَذَرَ دِيَّ يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَكُنْتُ فِي جَمْعٍ مِنْ قُرَيْشٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ - وَقَدْ ضَوَى إِلَيَّ مَنْ ضَوَى - فَلَقِينَا هُنَاكَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَأَوْقَعَ بِنَا ، فَهَرَبْتُ مِنْهُ أُرِيدُ / وَاللَّهُ - أَنْ أُلْقِيَ نَفْسِي فِي الْبَحْرِ ، ٢٥١ ط وَأَمُوتُ تَائِهًا فِي الْبِلَادِ قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى الشَّعْبَةِ ، وَكَانَتْ زَوْجَتِي أُمَّ حَكِيمَ بِنْتَ الْحَارِثِ أُمْرَأَةً لَهَا عَقْلٌ ، وَكَانَتْ قَدْ اتَّبَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَدَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ ابْنَ عَمِّي قَدْ هَرَبَ يُلْقِي نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ فَأَمْنَهُ .

وروى ابنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ - رضى الله تعالى عنه ، وَابِیْهَتِي عَنْ عُرْوَةَ - رحمه الله تعالى : أَنَّ عِكْرِمَةَ رَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ رِيحٌ عَاصِفٌ ، فَنادى عِكْرِمَةُ اللَّاتَ وَالْعَزَى ، فَقَالَ أَهْلُ السَّفِينَةِ : أَخْلَصُوا فَإِنْ أَلْتَكُم لَا تُغْنِي

(١) في نهاية الأدب للتويرى ١٧ - ٢١٢ من سمة المليك .

عَنْكُمْ شَيْئاً ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنْجِنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ لَا يُنْجِنِي
فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ ، اللَّهُمَّ لَكَ عَهْدٌ إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِ (١) مُحَمَّدًا حَتَّى
أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ ، فَلَا جِدْنُهُ عَفْوَاً غَفُوراً كَرِيماً ، فَجَاءَ وَأَسْلَمَ .

وروى البيهقي عن الزهري ، ومحمد بن عمر عن شيوخه : أَنَّ أُمَّ حَكِيمٍ (٢) امْرَأَةً
عِكْرِمَةَ بِنَ أَبِي جَهْلٍ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ : قَدْ ذَهَبَ
عِكْرِمَةُ عَنْكَ إِلَى الْيَمَنِ ، وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ ، فَأَمْنُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « هُوَ آمَنَ » فَخَرَجَتْ أُمُّ حَكِيمٍ فِي طَلَبِهِ ، وَمَعَهَا غِلَامٌ لَهَا رَوْيٌ ، فَرَاوَدَهَا
عَنْ نَفْسِهَا فَجَعَلَتْ تَمْنِيهِ حَتَّى قَلِمَتْ بِهِ عَلَى حَيٍّ مِنْ عَكَ (٣) فَاسْتَعَانَتْهُمْ (٤) عَلَيْهِ ، فَأَوْثَقُوهُ
رِبَاطاً ، وَأَدْرَكَتْ عِكْرِمَةُ وَقَدْ انْتَهَى إِلَى الْبَحْرِ ، فَرَكِبَ سَفِينَةً ، فَجَعَلَ نَوْتٌ يَقُولُ لَهُ :
أَخْلِصْ أَخْلِصْ ، قَالَ : أَى شَيْءٍ أَقُولُ ؟ قَالَ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ عِكْرِمَةُ : مَا هَرَبْتُ
إِلَّا مِنْ هَذَا ، وَإِنْ هَذَا أَمْرٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ حَتَّى النَّوَاتِي !! مَا الدِّينُ إِلَّا مَا جَاءَ
بِهِ مُحَمَّدٌ ، وَغَيَّرَ اللَّهُ قَلْبِي ، وَجَاءَنِي أُمُّ حَكِيمٍ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ، فَجَعَلَتْ تُلَيِّحُ إِلَيَّ
وَتَقُولُ : يَا ابْنَ عَمٍّ ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَبَرِّ النَّاسِ ، وَأَوْصَلَ النَّاسِ ، وَخَيْرِ النَّاسِ ،
لَا تَهْلِكُ نَفْسُكَ ، فَوْقَ لَهَا حَتَّى أَدْرِكَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنِّي قَدْ اسْتَأْمَنْتُ لَكَ رَسُولَ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَمَّا نَكَ ، فَرَجَعَ مَعَهَا وَقَالَتْ : مَا لَقِيْتَهُ مِنْ غِلَامِكَ الرَّوْمِي
وَأَخْبَرْتَهُ خَبْرَهُ فَقَتَلَهُ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ لَمْ يُسْلِمَ ،

فَلَمَّا وَافَى مَكَّةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « يَأْتِيَكُمْ عِكْرِمَةُ بِنَ أَبِي جَهْلٍ
مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا فَلَا تَسُبُّوا آبَاءَهُ ، فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ [وَلَا يَبْلُغُ الْمَيِّتُ (٥)] فَجَعَلَ

(١) كَذَا بِالْأَصُولِ .

(٢) فِي الْأَصُولِ أُمُّ الْحَكَمِ وَمِثْلُهُ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ لِابْنِ هِشَامٍ ٤ : ٤١٨ وَالمُثَبَّتُ عَنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ٣ : ٢٦٦ وَأَسَدُ
الْغَابَةِ ٥ : ٥٧٧ وَهِيَ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمَخِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ الْخَزْرُمِيَّةِ وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ
الْوَلِيدِ أُمْتُ خَالِدٍ .

(٣) عَكَ : مَخْلَافٌ مِنْ مَخَالِيفِ مَكَّةَ التَّهَامِيَّةِ (مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ الْبَكْرِيُّ ص ٢٢٣) .

(٤) فِي الْمَغَازِي لِلْوَقْدِيِّ ٢ : ٨٥١ « فَاسْتَعَانَتْهُمْ عَلَيْهِ » .

(٥) الْإِصَاقَةُ عَنْ الْمَغَازِي لِلْوَقْدِيِّ ٢ : ٨٥١ .

عِكْرَمَةُ يَطْلُبُ أَمْرَاتِهِ يُجَامِعُهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ وَتَقُولُ : أَنْتَ كَافِرٌ وَأَنَا مُسْلِمَةٌ ، فَقَالَ : إِنَّ أَمْرًا مَنَعَكَ مِنِّي لِأَمْرٍ كَبِيرٍ ، قَالَ ابْنُ عَقْبَةَ وَالزَّهْرِيُّ فِيمَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَعُرْوَةُ وَغَيْرُهُمَا : فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِكْرَمَةَ وَتَبَّ إِلَيْهِ - وَمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رِذَاءٌ فَرَحًا بِعِكْرَمَةَ ، ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَوْقَ عِكْرَمَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ مُتَنَقِّبَةً^(١) ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ !! إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرَتْنِي أَنَّكَ أَمْنَتْنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - / « صَدَقْتَ فَأَنْتَ آمِنٌ » قَالَ عِكْرَمَةُ : ٢٥٢ د
فَالَاَمْ تَدْعُو يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : « أَذْعُو إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَفْعَلَ وَتَفْعَلَ » حَتَّى عَدَّ خِصَالَ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ عِكْرَمَةُ : وَاللَّهِ مَا دَعَوْتَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ وَأَمْرٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ ، قَدْ كُنْتُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُونَا - إِلَى مَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ - وَأَنْتَ أَصْدَقُنَا حَدِيثًا ، وَأَبْرَأُنَا بَرًّا ، ثُمَّ قَالَ عِكْرَمَةُ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : عَلِّمْنِي خَيْرَ شَيْءٍ أَقُولُهُ . قَالَ : « تَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » ، قَالَ عِكْرَمَةُ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « تَقُولُ : « أَشْهَدُ اللَّهُ وَأَشْهَدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّي مُسْلِمٌ مُجَاهِدٌ مُهَاجِرٌ » ، فَقَالَ عِكْرَمَةُ ذَلِكَ .

نَكَرَ إِسْلَامَ صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ الزُّهْرِيِّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ شَيْبَةَ عَنْ قَالُوا : خَرَجَ صَفْوَانُ بْنُ أُمِيَّةٍ يَرِيدُ جِلَّةَ لِيَرْكَبَ مِنْهَا إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ - إِنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمِيَّةٍ سَيِّدُ قَوْمِي وَقَدْ خَرَجَ هَارِبًا مِنْكَ ، لِيَقْدِفَ نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ ، فَأَمَنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ - قَالَ : « هُوَ آمِنٌ » فَخَرَجَ عُمَيْرُ حَتَّى أَدْرَكَهُ - وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ الْبَحْرَ - وَقَالَ صَفْوَانُ لِفُغْلَامِهِ يَسَارُ - وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ - وَيَنْحَكُ !! أَنْظِرْ مَنْ تَرَى ؟ قَالَ : هَذَا عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ ، قَالَ صَفْوَانُ : مَا أَصْنَعُ بِعُمَيْرِ ابْنِ وَهَبٍ ، وَاللَّهِ مَا جَاءَ إِلَّا يَرِيدُ قَتْلِي قَدْ ظَاهَرَ عَلَيَّ مُحَمَّدًا ، فَلَحَقَهُ فَقَالَ : يَا أَبَا وَهَبٍ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَفِي الْمَغَازِي لِلْوَاقِدِيِّ ٢ : ٨٥٢ « مُتَنَقِّبَةٌ »

جُعِلَتْ فِدَاكَ ، جِئْتُ مِنْ عِنْدِ أَكْبَرِ النَّاسِ ، وَأَوْصَلِي النَّاسِ ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي اللَّهُ اللَّهُ
 فِي نَفْسِكَ أَنْ تَهْلِكَهَا ، هَذَا أَمَانٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ جِئْتُكَ بِهِ . قَالَ :
 وَيَحُكُّ أَغْرَبَ عَنِّي فَلَا تَكَلِّمْنِي . قَالَ : أَيُّ صَفْوَانَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي . أَفْضَلُ النَّاسِ وَأَكْبَرُ
 النَّاسِ وَخَيْرُ النَّاسِ ابْنُ عَمِّكَ ، عِزُّهُ عِزُّكَ ، وَشَرَفُهُ شَرَفُكَ وَمُلْكُهُ مُلْكُكَ ، قَالَ : إِنِّي
 أَخَافُهُ عَلَى نَفْسِي . قَالَ : هُوَ أَحْلَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْرَمُ ، قَالَ : وَلَا أَرْجِعُ مَعَكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي
 بِعَلَامَةٍ أَعْرِفُهَا ، فَقَالَ : امْكُثْ مَكَانَكَ حَتَّى آتِيكَ بِهِ ، فَرَجَعَ عُثَيْرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
 - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : إِنَّ صَفْوَانَ أَبِي أَنْ يَأْتِسَ لِي حَتَّى يَرَى مِنْكَ أَمَارَةً
 يَعْرِفُهَا ، فَتَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِمَامَتَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، وَهِيَ الْبُرْدُ الَّذِي
 دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعْتَجِرًا بِهِ بُرْدَ حَبْرَةَ ، فَرَجَعَ مَعَهُ صَفْوَانُ
 حَتَّى آتَاهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يُصَلِّي بِالْمُسْلِمِينَ الْعَصْرَ فِي الْمَسْجِدِ ،
 فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَاحَ صَفْوَانُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ عُثَيْرَ بْنَ
 وَهَبٍ جَاءَنِي بِبُرْدِكَ ، وَزَعَمَ أَنَّكَ دَعَوْتَنِي إِلَى الْقُلُومِ عَلَيْكَ ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَإِلَّا
 سِيرْتَنِي شَهْرَيْنِ . فَقَالَ : « انْزِلْ أَبَا وَهَبٍ » قَالَ : لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُبَيِّنَ لِي . قَالَ : « بَلْ لَكَ
 تَسْيِيرٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ » فَتَزَلَ صَفْوَانُ ، وَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى
 هَوَازِنَ وَفَرَّقَ غَنَائِمَهَا فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَفْوَانَ يَنْظُرُ إِلَى شَيْعِ
 مَلَانَ نَعْمًا وَشَاءَ وَرَعَاءَ ، فَأَدَامَ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَرْمُقُهُ
 فَقَالَ : « يَا أَبَا وَهَبٍ يَعْجَبُكَ هَذَا الشَّعْبُ ؟ » قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : « هُوَ لَكَ وَمَا فِيهِ »
 فَقَبَضَ صَفْوَانُ مَا فِي الشَّعْبِ ، وَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : مَا طَابَتْ نَفْسُ أَحَدٍ بِمِثْلِ هَذَا إِلَّا
 نَفْسُ نَبِيٍّ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ

نكر اسلام هند بنت عتبة وما وقع في ذلك من الايات رضى الله عنها

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قالت هند بنت عتبة : يا رسول الله ما كان
 على ظهر الأرض خباء - أو قالت من أهل خباء - أريد أن يذلوا من أهل خيالك ، ثم ما أصبح
 اليوم على ظهر الأرض خباء أو قالت من أهل خباء أحب إلي من أن يعزوا من أهل
 خباء أو قالت : خيالك ، رواه الشيخان .

وروى محمد بن عمر عن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - قال : سمعت مولاة لمروان بن الحكم تقول : سمعت هنداً بنت عتبة بن ربيعة تقول وهي تذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتقول : أنا عَادَيْتُهُ كُلَّ الْعَدَاوَةِ ، وفعلتُ يومَ أُحُدٍ ما فعلتُ من المثلى بعمه وأصحابه ، وكُلَّمَا سَيرت قريشُ مسيرةً فأنَا معها بنفسي أَوْ مُعِينَةً لقريش ، حتَّى أَن كنت لأَعِينُ كُلَّ مَنْ غَزَا إِلَى محمد ، حتَّى تجردتُ مِنْ ثِيَابِي ، فرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ ثلاثَ لَيَالٍ وَلَاءَ بعد فتح مكة ، رأيتُ كأنِّي فِي ظِلْمَةٍ لَا أَبْصِرُ سَهْلاً وَلَا جَبَلاً ، وأرى تِلْكَ الظُّلْمَةَ انفرجتْ عَلَيَّ بضوء كأنه الشمس ، وإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يَدْعُونِي ، ثُمَّ رأيتُ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ ، كأنِّي على طريقٍ يَدْعُونِي ، وَإِذَا هُبُلٌ عَنْ يَمِينِي يَدْعُونِي ، وَإِذَا إِسَافٌ عَنْ شِمَالِي يَدْعُونِي ، وإذا بِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ : « هَلُمِّي إِلَى الطَّرِيقِ » ، ثُمَّ رأيتُ اللَّيْلَةَ الثَّالِثَةَ كأنِّي واقفةٌ على شفيرِ جَهَنَّمَ ، يُرِيدُونَ أَن يَدْفَعُونِي فِيهَا ، وَإِذَا بهيل يقول أدخلوها^(١) فَالتَفْتُ فَانْظُرُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ورائي آخِذٌ بِثِيَابِي ، فتباعدتُ مِنْ شَفِيرِ النَّارِ فَلَا أرى النَّارَ ، ففزعتُ فقلت : ما هذا ، وقد تبين لي ، فغدوتُ مِنْ سَاعَتِي إِلَى صَمٍ فِي بَيْتٍ كُنَّا نَجْعَلُ عَلَيْهِ منديلاً ، فأخذتُ قدوماً فجعلتُ أَفْلُذُهُ وَأَقُولُ : طَالَمَا كُنَّا مِنْكَ فِي غُرُورٍ ، وَأَسْلَمْتُ .

وروى أيضاً عن عبد الله بن الزبير - رضى الله عنهما - أَنَّ هِنْدًا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو بالْأَبْطَحِ ، فَأَسْلَمَتْ ، وَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ الدِّينَ الَّذِي اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ لَتَمْسُنِي رَحْمَتُكَ يَا مُحَمَّد ، إني امرأةٌ مُؤْمِنَةٌ بِاللَّهِ ، مُصَدِّقَةٌ بِهِ ثُمَّ كَشَفَتْ عَنْ نِقَابِهَا ، فَقَالَتْ : أَنَا هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى ٢٥٣ وَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « مَرْحَبًا بِكَ » فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِباءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَن يَذُلُّوا مِنْ خِبَائِكَ ، وَلَقَدْ أَصْبَحْتُ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ أَهْلُ خِباءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَعْزُوا مِنْ خِبَائِكَ .

وروى أيضاً عن أَبِي حُصَيْنٍ الهُلَيْيِّ قَالَ : لَمَّا أَسْلَمَتْ هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ ، أَرْسَلَتْ

(١) فِي (ص) ٢ : ٢١٧ « ادخل » .

إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهديّة - وهو بالأبطح - مع مَوْلَاةٍ لَهَا بَجْدَتَيْنِ مَرْضُوفَيْنِ وَقَدْ^(١) ، فانتَهت الجاريةُ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : إِنَّ مَوْلَاتِي أُرْسِلَتْ إِلَيْكَ هَذِهِ الْهَدِيَّةُ ، وَهِيَ تَعْتَذِرُ إِلَيْكَ وَتَقُولُ : إِنَّ غَنَمَنَا الْيَوْمَ قَلِيلَةٌ الْوَالِدَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي غَنَمِكُمْ وَأَكْثَرُ وَالدَّهْنُ » وَكَانَتْ الْمَوْلَاةُ تَقُولُ : لَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ كَثْرَةِ غَنَمِنَا وَوَالِدَتِهَا مَا لَمْ نَكُنْ نَرَى قَبْلَ وَلَا قَرِيبًا ، فَتَقُولُ هُنْدُ : هَذَا بَدْعَاءُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ تَقُولُ : لَقَدْ كُنْتُ أَرَى فِي النَّوْمِ أَنِّي فِي الشَّمْسِ أَبَدًا قَائِمَةٌ وَالظِّلُّ مِنِّي قَرِيبٌ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَيْتُ كَأَنِّي دَخَلْتُ الظِّلَّ .

نكر سبب خطبته - صلى الله عليه وسلم - ثاني يوم الفتح وتعظيمه حرمة مكة

رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ الزَّهْرِيِّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ شُعْبَةَ ، قَالُوا : خَرَجَ غَزَى مِنْ هُذَيْلٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِيهِمْ جُنَيْدُ بْنُ الْأَدْلَعِ^(٢) الْهَذَلِيُّ يَرِيدُونَ حَيَّ أَحْمَرَ بَأْسًا مِنْ أَسْلَمَ - وَكَانَ أَحْمَرُ بَأْسًا رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ شُجَاعًا لَا يُرَامُ ، وَكَانَ لَا يَنَامُ فِي حَيْهٍ إِلَّا يَنَامُ خَارِجًا مِنْ حَاضِرِهِ ، وَكَانَ إِذَا نَامَ غَطَّ غَطِيظًا مُنْكَرًا لَا يَخْفَى مَكَانَهُ ، وَكَانَ الْحَاضِرُ إِذَا أَتَاهُمْ فَزَعُ صَرَخُوا : يَا أَحْمَرَ بَأْسًا . فَيَثُورُ مِثْلَ الْأَسَدِ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ ذَلِكَ الْغَزَى مِنْ هُذَيْلٍ قَالَ لَهُمْ جُنَيْدُ بْنُ الْأَدْلَعِ : إِنْ كَانَ أَحْمَرُ بَأْسًا قَدْ قُتِلَ فِي الْحَاضِرِ فَلَيْسَ إِلَيْهِمْ سَبِيلٌ ، وَإِنَّ لَهُ غَطِيظًا لَا يَخْفَى ، فَدَعُونِي أَسْمَعَ . فَتَسْمَعُ الْحَسَّ فَسَمِعَهُ ، فَأَتَاهُ حَتَّى وَجَدَهُ نَائِمًا فَقَتَلَهُ ، وَضَعَ السَّيْفَ عَلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ثُمَّ حَمَلُوهُ عَلَى الْحَيِّ فَصَاحَ الْحَيُّ يَا أَحْمَرَ بَأْسًا ، فَلَا شَيْءَ لِأَحْمَرَ بَأْسًا ، قَدْ قُتِلَ - فَنَالُوا مِنَ الْحَيِّ حَاجَتَهُمْ ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَتَشَاغَلَ النَّاسُ بِالْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْفَتْحِ بِيَوْمٍ

(١) القُد جلد السخلة (القاموس المحيط) . وانظر أساس البلاغة - ق د د .

(٢) كذا في الأصول وفي البداية والنهاية ٤ : ٣٠٥ الأثوغ وفي السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٨٠ « الأكوخ » وفي السيرة الحلبية ٣ : ١١٨ « الأفرع » وهو جندب بن الأدلع الهزلي . قال ابن اسحاق والواقدي قتله خراش بن أمية يوم الفتح بذحل كان بينهما في الجاهلية ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم خزاعة أن يدوه . وحكى الطبري عن ابن اسحق القصة وسماه جندب مصفرا .

(الإصابة لابن حجر ١ : ٢٤٩)

دَخَلَ جُنَيْدُ بْنُ الْأَدَلْعِ الْهَذْلَى مَكَّةَ يَرْتَادُ وَيَنْظُرُ وَالنَّاسُ آمِنُونَ ، فَرَأَاهُ جُنْدُبُ بْنُ الْأَعْجَمِ الْأَسْلَمِيُّ فَقَالَ : جُنَيْدُ بْنُ الْأَدَلْعِ قَاتِلُ أَحْمَرَ بِأَسَا ؟ قَالَ : نَعَمْ فَمَهْ ، فَخَرَجَ جُنْدُبُ يَسْتَجِيشُ عَلَيْهِ حَيَّهْ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِيَ خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْكَعْبِيَّ فَأَخْبَرَهُ .
 فَاشْتَمَلَ خِرَاشُ / عَلَى السَّيْفِ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ - وَالنَّاسُ حَوْلَهُ ، وَهُوَ يَحْدِثُهُمْ عَنْ قَتْلِ ٢٥٢ ط
 أَحْمَرَ بِأَسَا فَبَيْنَمَا هُم مُّجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ إِذْ أَقْبَلَ خِرَاشُ بْنُ أُمَيَّةَ فَقَالَ : هَكَذَا عَنِ الرَّجُلِ . فَوَاللَّهِ مَا ظَنَّ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهُ يُفَرِّجُ النَّاسَ عَنْهُ لِيَنْصَرِفُوا ، فَانْفَرَجُوا فَحَمَلَ عَلَيْهِ خِرَاشُ بْنُ أُمَيَّةَ بِالسَّيْفِ فَطَعَنَهُ بِهِ فِي بَطْنِهِ وَابْنُ الْأَدَلْعِ مُسْتَنْدٍ إِلَى جِدَارٍ مِنْ جُدُرِ مَكَّةَ ، فَجَعَلَتْ حَشَوَتُهُ تَسِيلُ مِنْ بَطْنِهِ ، وَإِنْ عَيْنِيهِ لَتُرْنَقَانٍ^(١) فِي رَأْسِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : فَعَلْتُمُوهَا يَا مَعْشَرَ خُرَاعَةَ ؟ فَانْجَعَفَ فَوْقَ فَمَات . فَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِذَلِكَ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ خُرَاعَةَ » اِرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْقَتْلِ ، فَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ ، لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلًا لِأَدِينَتِهِ ، إِنَّ خِرَاشًا لَقَتَّالٌ - يَعِيبُهُ بِذَلِكَ . لَوْ كُنْتُ قَاتِلًا مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ لَقَتَلْتُ خِرَاشًا .

وروى الشيخان والترمذي عن ابن شريح خويلد بن عمرو العدوي ، والشيخان عن ابن عباس ، وابن منيع بسند صحيح ، وابن أبي عمرو . والإمام أحمد ، والبيهقي عن ابن عمر ، وابن أبي شيبة ، والشيخان عن أبي هريرة - رضى الله عنهم - وابن أبي شيبة عن الزهري ، وابن إسحاق عن بعض أهل العلم ، ومحمد بن عمر عن شيوخه ، قالوا : لَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ عَدَّتْ خُرَاعَةُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ هَذِيلٍ فَقَتَلُوهُ - وَهُوَ مُشْرِكٌ - فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَطِيبًا بَعْدَ الظُّهْرِ ، وَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ .

وعند ابن أبي شيبة عن أبي هريرة : أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَيَوْمَ خَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَوَضَعَ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ ،

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَسَيَأْتِي تَرْجُمَاتُ فِي غَرِيبِ الْمَفْرَدَاتِ وَفِي الْمَغَازِي لِلْوَاكِلِيِّ ٢ : ٨٤٤ « لِتَرْقَانِ فِي رَأْسِهِ » .

فَهِيَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْتَفِيكَ فِيهَا دَمًا وَلَا يَغْضَدَ فِيهَا شَجَرًا ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ مِمَّنْ قَبْلِي ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ يَكُونُ بَعْدِي ، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةُ غَضَبًا عَلَى أَهْلِهَا - أَلَا قَدْ رَجَعَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ ، فَمَنْ قَالَ لَكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ قَاتَلَ فِيهَا فَقُولُوا لَهُ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَمْ يَحِلَّهَا لَكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ أَعْدَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ مَنْ قَتَلَ فِي الْحَرَمِ ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ ، أَوْ قَتَلَ بِذُحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ ^(١) ، يَا مَعْشَرَ خُرَاعَةَ أَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْقَتْلِ فَقَدْ وَاللَّهِ كَثُرَ إِنْ نَفَعَ ، فَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلًا لِأَدِينَهُ ، فَمَنْ قُتِلَ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِنْ شَاءُوا فَدَيْتُهُ كَامِلَةٌ ، وَإِنْ شَاءُوا فَقَتَلَهُ ^(٢) ثُمَّ وَدَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي قَتَلْتَهُ خُرَاعَةً . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : مائة ناقة . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَبَلَّغَنِي ٢٥٤ رَ أَنَّهُ أَوَّلُ قَتِيلٍ وَدَاهُ / رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

نكر قوله - صلى الله عليه وسلم - في قريش انها لا تقتل صبورا

روى مسلم عن عبد الله بن مطيع بن الأسود عن أبيه - رضى الله عنه - قال : سمعتُ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - يقولُ يومَ فتحِ مكة : « لَا يُقْتَلُ قُرَيْشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(٣) » .

وروى محمد بن عمر عن أبي حُصَيْن الهذلي قال : لما قُتِلَ النَفَرُ الَّذِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِقَتْلِهِمْ سُمِعَ النَّوْحُ عَلَيْهِمْ بِمَكَّةَ ، وَجَاءَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : فِدَاكَ ابْنِي وَأُمِّي الْبَقِيَّةُ فِي قَوْمِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لَا يُقْتَلُ قُرَيْشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ الْيَوْمِ » قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو : يَعْنِي عَلَى الْكُفْرِ ^(٤) .

(١) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر ، وقيل هو الدواة والحقد ، ويجمع أيضاً على أذحال . (اللسان) .
(٢) كذا في الأصول وفي المغازي للواقدي ٢ : ٨٤٤ والسيرة الحلبية ٣ : ١١٨ والبداية والنهاية ٤ : ٣٠٦ « إن شاموا فدم قاتله وإن شاموا فمقتله » .
(٣) صحيح مسلم ٣ : ١٤٠٩ تحقيق فؤاد عبد الباقي .
(٤) المغازي للواقدي ٢ : ٨٦٢ .

وروى أيضاً عن الحارث بن البرصاء - رضى الله عنه - قال : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لا تُغزَى قُرَيْشٌ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى الْكُفْرِ ^(١) » .

نكر استسلافه - صلى الله عليه وسلم - مالا وتفريقه على المحتاجين من كان معه

روى محمد بن عمر عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي قال : أرسل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح ، فاستسلف من عبد الله ابن أبي ربيعة بن المغيرة أربعين ألفَ درهم ، فأعطاه ، فلما فتح الله تعالى هوازن ، وغنمه أموالها ردها ، وقال : « إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ وَالْأَدَاءُ » ، وقال : « بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَالِكَ وَوَلَدِكَ ^(٢) » .

وروى أيضاً عن أبي حُصَيْن الهذلي قال : استقرض رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - من ثلاثة نفرٍ من قريش ، من صفوان بن أمية خمسين ألفَ درهم فأقرضه . ومن عبد الله ابن أبي ربيعة أربعين ألفَ درهم ، ومن حُوَيْطِب بن عبد العزى أربعين ألفَ درهم ، فكانت ثلاثين ومائة ألف درهم ، فَتَسَمَّهَا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه من أهل الضَّعْف ، قال أبو حُصَيْن ، فأخبرني رجالٌ من بني كِنانة كانوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الفتح أنه قَسَمَ فيهم دراهم فيصيب الرجلُ خمسين درهماً أو أقل أو أكثر من ذلك ^(٣) .

نكر نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن ثمن الخمر والخنزير وعن الميتة وبعض فتاويه وأحكامه

روى ابن أبي شَيْبَةَ عن جابر - رضى الله عنه / قال : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْخَنَازِيرِ وَالْمَيْتَةِ » .

(١) المرجع السابق ٢ : ٨٦٢ .

(٢) المغازي للواقدي ٢ : ٨٦٣ .

وَالْأَضْنَامُ « فقال رجلٌ : يا رسولَ الله !! مَا تَرَى فِي شُحُومِ المَيْتَةِ فَلِأَنَّهُ يَدُهْنُ بِهَا السَّفَنُ وَالْجُلُودُ ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا ؟ قال : « قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ ؛ إِنَّ اللهَ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا أَخَذُوهَا فَجَمَدُوهَا ثُمَّ بَاعُوهَا وَأَكَلُوا ثَمَنَهَا ^(١) » .

وروى ابنُ أَبِي شَيْبَةَ عن عبد الرحمن بن الأزهر - رضى الله عنه - قال : رأيت رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - عامَ الفتح - وأنا غلامٌ شاب - ينزل عند منزل خالد ابن الوليد ، وأتني بِشَارِبٍ فَأَمَرَهُمْ فَضَرَبُوهُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ ضَرَبَ بِالسُّوْطِ ، وبِالنَّعْلِ ، وبِالْعَصَا وَحَثَا رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - التُّرَابَ ^(٢) .

وروى الشَّيْخَانِ عن عائشة أَنَّ هِنْدًا بِنْتَ عُتْبَةَ سَأَلَتْ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - يَوْمَ الفتح قالت : يا رسولَ الله إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِيكٌ ، فَهَلْ مِنْ حَرَجٍ أَنْ أُطْعِمَ مِنَ الذِّى لَهُ عِيَالُنَا ؟ فقال لها : « لَا عَلَيْكَ أَنْ تُطْعِمِيهِمْ بِالْمَعْرُوفِ ^(٣) » .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : كَانَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَهْدَ إِلَى أَخِيهِ سَعْدٍ أَنْ يَقْبِضَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ وَلِيدَةَ زَمْعَةَ ، وقال عُتْبَةُ : إِنَّهُ ابْنِي ، فَلَمَّا قَدِمَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - مَكَّةَ فِي الفتح رَأَى سَعْدُ الْغُلَامَ فَعَرَفَهُ بِالشَّبهِ فَاحْتَضَنَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ : ابْنُ أَخِي وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - وَأَقْبَلَ مَعَهُ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ ، فقال سعدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ : هَذَا ابْنُ أَخِي عَهْدَ إِلَى أَنَّهُ ابْنُهُ ، فقال عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ : يا رسولَ الله ، هَذَا أَخِي ، هَذَا ابْنُ زَمْعَةَ وَلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ ، فنظر رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - إِلَى ابْنِ وَلِيدَةَ زَمْعَةَ فَإِذَا هُوَ أَشَبُّ النَّاسِ بِعُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - « هُوَ » - « هُوَ » - أَيْ الْوَلَدُ « لَكَ هُوَ أَخُوكَ يَا عَبْدُ ابْنِ زَمْعَةَ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وَلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ ، الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ ، وَاحْتَجَبِي مِنْهُ يَا سَوْدَةَ ، لِمَا رَأَى مِنْ شَبهِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ بِالْوَلَدِ . رواه البخاري ^(٤) .

(١) مسند احمد ٣ : ٣٢٤ ط الميمنية وبهامشه منتخب كنز العمال .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ٣١٩ ، ٣٢٠ من رواية عبد الرحمن بن الأزهر .

(٣) إرشاد الساري ٦ : ١٧١ .

(٤) إرشاد الساري ٦ : ٣٩٨ .

وعن عروة بن الزبير عن عائشة - رضى الله عنها - : أَنَّ امرأةً سُرقت في عهدِ رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - في غزوةِ الفتح ، فقالوا : مَنْ يُكَلِّمُ فيها رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ؟ فقيل : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيدٍ حبَّ رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ؟ ففرَّعَ قومُها إلى أسامة بن زيدٍ يستشفعون به إلى رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - فلما كلَّمه أسامةُ فيها تَلَوْنَ وَجْهَ رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - فقال : « أَتَكَلِّمُنِي » وفي لفظٍ « أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله ؟ ! » قال أسامة : يا رسولَ الله إستغفر لي فلما كان العشيُّ قامَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - خطيباً ٢٥٥ و فأتاني على الله - تعالى - بما هو أهله ، ثم قال : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ » وفي لفظٍ « هلك بنو إسرائيل » وفي لفظٍ « الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ وَفِي لَفْظٍ الْوَضِيعُ قَطَعُوهُ » وفي لفظٍ : أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » ثم أمر رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - بتلك المرأة في رواية النسائي « قم يا بلال ، فخذ بيدها فاقطعها » فحُسِنَتْ تَوْبَتُهَا بعد ذلك ، وتزوَّجَتْ رجلاً من بني سليم ، قالت عائشة : فَكَانَتْ تَأْتِينِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رواه الإمام أحمد والشيخان^(١) والنسائي والبيهقي .

فكر من نذر ان فتح الله تعالى مكة على رسوله ان يصلوا ببيت المقدس

عن جابر - رضى الله عنه - أَنَّ رجلاً قال يومَ الفتح ، إِنِّي نَذَرْتُ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ مَكَّةَ أَنْ أَصِلَّ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « صَلِّ هَهُنَا » فَسَأَلَهُ فَقَالَ : « صَلِّ هَهُنَا » فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : شَأْنُكَ إِذَنْ ، رواه الإمام أحمد^(٢) ، وأبو داود بإسناد صحيح والحاكم وقال : على شرط مسلم ، والإمام أحمد وأبو داود . وفي رواية عن

(٢) إرشاد السارى ٩ : ٤٠٠ .

(٢) مستند الإمام أحمد ٣ : ٣٩٣ ط الميمنية .

بعض الصحابة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لَوْ صَلَّيْتَ هَهُنَا لَقَضَى عَنْكَ ذَلِكَ كُلَّ صَلَاةٍ فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ » .

ذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - لا تغزى مكة بعد اليوم

عن الحارث بن مالك - رضى الله عنه - قال : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقولُ يومَ فتحِ مكَّة : « لَا تُغْزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح . قال العلماء : معنى قوله : « لَا تُغْزَى » يعنى على الكُفْر^(١) .

ذكر إرساله - صلى الله عليه وسلم - السرايا لهدم الأصنام التي حول مكة ، والآفارة على من لم يسلم

روى محمد بن عمر عن عبيد بن عمير - رحمه الله تعالى - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في يوم فتح مكة : لم تحل لنا غنائم مكة . وروى أيضاً عن يعقوب بن عتبة قال : لم يغنم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة شيئاً ، وكان يبعثُ السرايا خارجةً من الحرم ، وعرفة ، والحل ، فيغنمون ويرجعون إليه ، قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد لهدم العُزَّى ، وخالد بن سعيد بن العاص قبل عُرْنَةَ ، وهشام بن العاص قبل يَلَمْلَمَ ، وسعد بن زيد الأشهلي إلى مناة ، وغيرهم ، وسيأتى بيان ذلك مبسوطاً في السرايا - إن شاء الله تعالى

/ ذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - لا هجرة بعد الفتح

ظ ٢٥٥

وذلك أن مكَّة شرفها الله تعالى كانت قبلَ الفتح دَارَ حَرْبٍ ، وكانت الهجرة منها واجبةً إلى المدينة ، فلما فُتِحَتْ مكَّة صارت دَارَ إِسْلَامٍ ، فانقطعت الهجرة منها .

(١) هذا الحديث من رواية الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد وسفيان بن عيينة ويزيد بن عبيد كلهم عن زكريا عن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن الحارث بن مالك بن البرصاء الخزاعي ، ورواه الترمذى عن بندار عن يحيى بن سعيد القطان . وقال ابن كثير : فإن كان نهياً فلا إشكال وإن كان نفياً فقال البيهقي معناه على كفر أهلها (السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٨١) .

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح فتح مكة : « لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَاَنْفِرُوا » رواه الشيخان^(١) .

وعن عطاء بن أبي رباح - رحمه الله تعالى - قال : زرت عائشة - رضى الله عنها - مع عبيد بن عمير الليثي ، وهي مجاورة بثبير فسأها عن الهجرة فقالت : « لَا هِجْرَةَ الْيَوْمَ ، كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَنْهُ ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِسْلَامَ ، فَاْلْمُؤْمِنُ يَعْبُدُ رَبَّهُ حَيْثُ كَانَ ؛ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ » . رواه الشيخان^(٢) .

وعن يعلى بن صفوان بن أمية - رضى الله عنهما - قال : جئتُ بِأَبِي يَوْمَ الْفَتْحِ ، فقلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايِعْ أَبِي عَلَى الْهِجْرَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « بَلْ أَبَايَعُهُ عَلَى الْجِهَادِ ، فَقَدْ انْقَضَتِ الْهِجْرَةُ » . رواه الإمام أحمد^(٣) والنسائي .

وروى ابن أبي أسامة عن مجاهد - مُرْسَلًا . قال : جاء يعلى بن صفوان بن أمية - رضى الله عنهما - بعد الفتح فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ - اجْعَلْ لِأَبِي نَصِيبًا فِي الْهِجْرَةِ ، فقال : « لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْيَوْمِ » فَأَتَى الْعَبَّاسَ فَقَالَ : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، أَلَسْتَ قَدْ عَرَفْتَ بِلَانِي ؟ قَالَ : بَلَى ، وَمَاذَا ؟ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَبِي لِإِبَايَعِهِ عَلَى الْهِجْرَةِ فَأَبَى ، فَقَامَ الْعَبَّاسُ مَعَهُ فِي قَيْظٍ مَا عَلَيْهِ رِداء ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَتَاكَ يَعْلى بِأَبِيهِ لِتَبَايَعِهِ عَلَى الْهِجْرَةِ فَلَمْ تَفْعَلْ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَا هِجْرَةَ الْيَوْمَ » قَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِتَبَايَعِهِ ، فَمَدَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدَهُ فَبَايَعَهُ فَقَالَ : « قَدْ أَبْرَزْتُ عَمِّي وَلَا هِجْرَةَ » .

(١) صحيح مسلم ٣ : ١٤٨٨ .

(٢) إرشاد السارى ٦ : ٤٠٠ .

(٣) مستند الإمام أحمد ٦ : ٤٦٦ .

نكر قدر اقامته - صلى الله عليه وسلم - بمكة

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة تسعة عشر يوماً يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ^(١) ، « وفي لفظ^(٢) » أَقَمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بمكة تسعة عشر نقصر الصلاة » رواه البخارى . وأبو داود ، وعنده سبعة عشر بتقديم السنين على الموحدة وعن عمران بن حصين - رضى الله عنهما - قال : ٢٥٦ غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - / الفتح ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُصَلِّي إِلَّا رَكَعَتَيْنِ . رواه أبو داود .

وعن أنس - رضى الله عنه - قال : « أَقَمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عشرة نقصر الصلاة » . رواه البخارى فى باب مُقَامِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - بِمَكَّةَ زمان الفتح^(٣)

وعن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَقَامَ بِمَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ خَمْسَ عَشْرَةَ يَقْصُرُ الصَّلَاةَ » رواه أبو داود مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَالتَّسَائِي مِنْ طَرِيقِ عِرَاقِ بْنِ مَالِكٍ كِلَاهُمَا عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَصَحَّحَهُ الْحَافِظُ .

* * *

نكر اخباره - صلى الله عليه وسلم - ذا الجوشن^(٤) بانه سيظهر على قريش

روى ابن سعد عن ابن إسحاق السبيعي - رحمه الله تعالى - قال : قَدِمَ ذُو الْجَوْشَنِ الْكَلَابِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ لَهُ : « مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْإِسْلَامِ ؟ »

(١) رواه البخارى من طريق عاصم عن عكرمة عن ابن عباس (شرح المواهب ٢ : ٣٤٦) .

(٢) أى فى رواية أخرى عن ابن عباس (المرجع السابق) .

(٣) رواه البخارى فى أبواب التقصير . وقال الحافظ ابن حجر . ولا معارضة بينها أى حديث البخارى الذى رواه عن ابن عباس وحديثه هذا عن أنس . فحديث ابن عباس فى فتح مكة وحديث أنس فى حجة الوداع (شرح المواهب ٢ : ٣٤٧) (٤) ورد فى هامش (ت) « اسمه أوس بن الأعور ، وقيل شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية - روى عنه أبو اسحاق السبيعي ، وقيل إن أبا اسحاق لم يسمع منه وإنما سمع حديثه من ابنه شمر بن ذى الجوشن عن أبيه ، وذكر ابن المبارك عن يونس بن أبى اسحاق عن أبيه عن ذى الجوشن قال : وكان اسمه شرحبيل وسمى ذا الجوشن من أجل صدره كان ناتئاً - الاستيعاب » .

قال : رَأَيْتُ قَوْمَكَ كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ وَقَاتَلُوكَ ، فَانْظُرْ ، فَإِنْ ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ آمَنْتُ بِكَ وَاتَّبَعْتُكَ ، وَإِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكَ لَمْ أَتَّبِعْكَ ، فقال لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « يَا ذَا الْجَوْشَنِ لَعَلَّكَ إِنْ بَقِيتَ قَلِيلًا أَنْ تَرَى ظُهُورِي عَلَيْهِمْ » قال فوالله إني لبصريه^(١) إِذْ قَدِمَ عَلَيْنَا رَاكِبٌ مِنْ قَبْلِ مَكَّةَ ، فَقُلْنَا مَا الْخَبَرُ ؟ قال : ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَكَانَ ذُو الْجَوْشَنِ يَتَوَجَّعُ عَلَى تَرْكِهِ الْإِسْلَامَ حِينَ دَعَاهُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُلْتُ : وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

نكر بعض ما قيل من الشعر في فتح مكة - زادها الله تعالى شرفاً

قال / حسان بن ثابت - رضي الله عنه - في غزوة الحُدَيْبِيَّةِ مشيراً إلى الفتح ، وبعضها ٢٥٦ ط في الجاهلية ، كما ورد ذلك عنه ، وهو ما أسقطته منها في وصف الخمر^(٢) :

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءِ إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلَاءَ
دِيَارٍ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفَرٌ تُعْقِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَسَاءُ

إلى أن قال :

عَلِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدَهَا كَدَاءَ
يُنَازِعْنَ الْأَعْنَةَ مُضْغِيَّاتٍ عَلَى أَكْثَافِهَا الْأَسْلُ الْظَّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّسَرَاتٍ يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النَّسَاءُ
فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا أَعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَأَنْكَشَفَ الْغَطَاءُ
وَالْأَفَاضِيرُ لِيَجْلَادَ يَسُومُ يُعِينُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدِّيسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

(١) ضرية : قرية سميت باسم بئر يقال لها ضرية ، وقيل سميت بضرية بنت نزار وقيل صقع واسع ينجد ينسب إليه حتى ضرية ، وقيل هي على عشرة أيام من مكة . (وفاء الوفا ٣ : ١٠٩٢ تحقيق محي الدين) .

(٢) وانظر القصيدة في ديوان حسان بن ثابت تحقيق د . سيد حنن ص ٧١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٢١ ، السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٨٧ - ويلاحظ أن هناك اختلافاً كثيراً في ألفاظ هذه الأبيات وترتيبها لاداعي الذكر هنا .

وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا
 شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صِدْقُوهُ
 وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا
 لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ
 فَتَحَكِّمُوا بِالْقَوَائِي مَنْ هَجَانَا
 أَلَا أُبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي
 بَأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَّتْكَ عَبْدًا
 هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتَ عَنْهُ
 أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ
 هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا
 أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ
 فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدِي وَعِزِّي
 فَسَوْفَ يَجْجِيكُمْ عَنْهُ حُسَامٌ
 لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ

وقال كعب بن مالك - رضى الله عنه (١) - :

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلُّ إِرَبٍ
 نُخَبِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ
 فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
 وَنَنْتَزِعُ الْعُرُوسَ يَبْطُنِ وَجْجٌ
 وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرْعَانُ حَبِلٍ
 وَخَيْرٌ لَمْ أَجْمَلْنَا السُّيُوفَا
 قَوَاطِعُهُنَّ دَوَسًا أَوْ ثَقِيفَا
 بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أَلُوفَا
 وَتَضِيحُ دَارِكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
 يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفًا

(١) قال ابن هشام في سيرة النبي ٢ : ٤٦٨ : أن كعب بن مالك قال هذه القصيدة حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى الطائف وذلك بعد أن فرغ من حنين ، وانظر القصيدة أيضاً في السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٥٢ والمغازي للواقدي ٢ : ٨٠٢ . ويلاحظ الاختلاف بين ألفاظ الروايات .

إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ
 بِأَيْدِيهِمْ قَوَاصِبُ مُرَهَقَاتُ
 كَأَمْثَالِ الْعَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا
 تَخَالُ جَدِيَّةُ الْأَبْطَالِ فِيهَا
 أَجَدُّهُمْ أَلْيَسَ لَهُمْ نَصِيحُ
 يُخْبِرُهُمْ بَأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا
 وَأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَخْفِ
 رَيْسِهِمُ النَّبِيِّ وَكَانَ صُلْبًا
 رَشِيدَ الْأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ
 نَطِيعُ نَبِيِّنَا وَنَطِيعُ رَبِّنَا
 فَإِنْ تَلَقَّوْا إِلَيْنَا السَّلَامَ نَقْبَلْ
 وَإِنْ تَابَوْا نُجَاهِدْكُمْ وَنَضِيرْ
 نُجَالِدُ مَا يَفِينَا أَوْ تُنْيِيْوَا
 نُجَالِدُ لَا نُبَالِي مَنْ لَقِينَا
 / وَكَمْ مِنْ مَغْشَرٍ أَلْبُوا عَلَيْنَا
 أَتَوْنَا لَا يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءُ
 بِكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَفِيْلٍ
 لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى
 وَتُنْسَى اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَوُدُّ
 فَأَمْسَوْا قَدْ أَقْرُوا وَأَطْمَأَنَّنُوا

لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا^(١) رَجِيْفًا
 يُزْرَنُ الْمِصْطَلِبِينَ بِهَا الْخُوفَا
 قُبُورُ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيْفًا
 غَدَاةُ الزَّخْفِ جَادِيًّا مَلُوفًا
 مِنَ الْأَقْوَامِ كَانَ بَنًا عَرِيْفًا
 عِتَاقُ الْخَيْلِ وَالنُّجَبِ الطُّرُوفَا
 يُحِيطُ بِسُورِ حِضْنِهِمْ صُفُوفَا
 نَقَى الْقَلْبَ مُضْطَبِّرًا عَزُوفًا
 وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزَقًا خَفِيْفًا
 هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بَنًا رَهْوفًا
 وَنَجَعَلَكُمْ لَنَا عَضُدًا وَرِيْفًا
 وَلَا بَلَكُ أَمْرُنَا رَعِيْشًا ضَعِيْفًا
 إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانًا مُضِيْفًا
 أَأَهْلَكُنَا التِّلَادَ أَمْ الطَّرِيْفَا
 صَمِيمَ الْجَنَمِ مِنْهُمْ وَالْحَلِيْفَا
 فَجَدَعْنَا السَّمَاعَ وَالْأَنْوَفَا
 نَسُوقُهُمْ بِهَا سَوْقًا عَنِيْفًا
 يَقُومُ الدِّينُ مُعْتَدِلًا حَنِيْفًا
 وَنَسْلُبُهَا الْقَلَالِدَ وَالشُّنُوفَا
 وَمَنْ لَا يَمْتَنِعُ يَقْبَلُ خُوفَا

(١) كذا في ط، ص، وفي ت، م « أناخ به » .

وقال أنس بن زُنيَم الدَّيْلِي - رضى الله عنه - : يعتذر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما كان قال فيه عمرو بن سالم الخزاعى - رضى الله عنه (١) :

أَأَنْتَ الَّذِي تُهْدِي مَعَدًّا بِأَمْرِهِ	بَلِ اللَّهِ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهَدُ
وَمَاحَمَلْتَ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا	أَبْرًا وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
أَحَثُّ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْبَغَ نَائِلًا	إِذَا رَاحَ كَالسِّيفِ الصَّقِيلِ الْمُهَنْدِ
وَأَكْسَى لِبُرْدِ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ	وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمُتَجَرِّدِ
تَعْلَمُ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ مَدْرَكِي	وَأَنْ وَعِيدَ امْنِكَ كَالْأَخَذِ بِالْيَدِ
تَعْلَمُ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ قَادِرٌ	عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مَثْمِينٍ وَمُنْجِدِ
تَعْلَمُ بَأَنَّ الرَّكْبَ رَكْبَ عُوثِي	هُمْ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلِفُونَ كُلَّ مَوْعِدِ
وَنَبَوْا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي هَجَوْتُهُ	فَلَا حَمَلْتُ سَوْطِي إِلَى إِذَا يَدِي
سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ وَيْلٌ أَمْ فِتْنَةٍ	أُصِيبُوا بِنَحْسٍ لَا يَطْلُقُ وَأَسْعَدِ
أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ	كِفَاءً فَعَزَّتْ عِبْرَتِي وَتَبَلَّدِي
وَأَنَّكَ قَدْ أَخْفَرْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيًا	بِعَبْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةِ مَهْودِ
ذُؤِيبٌ وَكُلْتُمُوسٌ وَسَلَمَى تَتَابَعُوا	جَمِيعًا فَإِلَّا تَذَمَّرَ الْعَيْنُ أَكْمَدِ
وَسَلَمَى وَسَلَمَى لَيْسَ حَتَّى كَمِثْلِهِ	وَلِإِخْوَتِهِ أَوْ هَلْ مُلُوكٌ كَأَعْبَدِ
فَأَنَّنِي لَا ذَنْبًا فَتَقْتُ وَلَا دَمًا	هَرَقْتُ تَبَيَّنَ عَالِمَ الْحَقِّ وَاقْصَدِ

ويرحم الله تعالى الإمام أبا محمد عبد الله بن أبي زكرياء الشقراطيسى (٢) حيث قال :

وَيَوْمُ مَكَّةَ إِذْ أَشْرَفْتَ فِي أُمِّمٍ	تَضَيَّقُ عَنْهَا فِعْجَاجُ الْوَعْثِ وَالسَّهْلِ
خَوَافِقِ ضَاقَ ذَرْعُ الْخَافِقَيْنِ بِهَا	فِي قَاتِمٍ مِنْ عَجَاجِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ
وَجَحْفَلِ قُذْفِ الْأَرْجَاءِ ذِي لَجَبٍ	عَرَمَرَمَ كَرْهَاءِ السَّيْلِ مُنْسَحِلِ
وَأَنْتَ صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ تَقَدُّمُهُمْ	فِي بَهْوٍ إِشْرَاقِ نُورٍ مِنْكَ مُكْتَمِلِ

(١) وانظر القصيدة في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٢٢ ، والمغازي للواقدي ٢ : ٧٩٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٨٩ . ويلاحظ اختلاف بعض ألفاظ الروايات .
(٢) هو أبو محمد بن عبد الله بن أبي زكريا يحيى بن علي الشقراطيسى نسبة إلى شقراطسة : بلدة من بلاد الجريد الإفريقية . (شرح المواهب ٢ : ٣٢٨) . وانظر القصيدة هناك .

يُنِيرُ فَوْقَ أَعْرَ الْوَجْهِ مُنْتَجِبٌ
يَسْمُو أَمَامَ جُنُودِ اللَّهِ مُرْتَدِيًا
خَشَعَتْ تَحْتَ بَهَاءِ الْعِزِّ حِينِ سَمَتْ
وَقَدْ تَبَاشَرَ أَمْلَاكُ السَّمَاءِ بِمَا
/وَالْأَرْضُ تَرْجُفُ مِنْ زَهْوٍ مِنْ فَرَقِ
وَالخَيْلُ تَخْتَالُ زَهْوًا فِي أَعْنَتِهَا
لَوْلَا الَّذِي خَطَّتِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَدْرِ
أَهْلٍ ذَهْلَانُ بِالتَّهْلِيلِ مِنْ طَرَبِ
الْمَلِكِ لِلَّهِ هَذَا عِزٌّ مَنْ عَقِدَتْ
شَعَبَتْ صَدْعَ قُرَيْشٍ بَعْدَمَا قَذَفَتْ
قَالُوا مُحَمَّدٌ قَدْ زَادَتْ كَتَائِبُهُ
قَوِيلُ مَكَّةَ مِنْ آثَارِ وَطْأَتِهِ
فَجَذَتْ عَفْوًا بِفَضْلِ الْعَفْوِ مِنْكَ وَلَمْ
أَضْرِبْتَ بِالصَّفْحِ صَفْحًا عَنْ طَوَائِلِهِمْ
رَحِمْتَ وَاشِيعَ أَرْحَامِ أُنَيْحَ لَهَا
عَادُوا بِظُلِّ كَرِيمِ الْعَفْوِ ذِي لَطْفٍ
أَزَكَّى الْخَلِيقَةِ أَخْلَاقًا وَأَطْهَرَهَا
زَانَ الْخُشُوعِ وَقَارَ مِنْهُ فِي خَفَرٍ
وَطُفَتْ بِالْبَيْتِ مَحْبُورًا وَطَافَ بِهِ
وَالْكُفْرُ فِي ظُلُمَاتِ الرَّجْسِ مُرْتَكِسٌ
حَجَزَتْ بِالْأَمْنِ أَقْطَارَ الْحِجَازِ مَعَا
وَحَلَّ أَمْنٌ وَيُؤْمِنُ مِنْكَ فِي يَمَنِ

مُتَوَجِّحٌ بِعَزِيزِ النَّصْرِ مُقْتَبِلُ
ثَوْبَ الْوَقَارِ لِأَمْرِ اللَّهِ مُمْتَثِلُ
بِكَ الْمَهَابَةِ فِعْلَ الْخَاضِعِ الْوَجِلُ
مُلْكَتْ إِذْ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الْأَمَلِ
وَالجَوُّ يَزْهَرُ لِإِشْرَاقٍ مِنَ الْجَدَلِ
وَالْعَيْسُ تَنْثَالُ زَهْوًا فِي ثِنَى الْجَدُلِ
وَسَابِقٌ مِنْ قَضَاءِ غَيْرِ ذِي حَوْلِ
وَذَابَ يَذْبُلُ تَهْلِيلًا مِنَ الذُّبُلِ
لَهُ النُّبُوَّةُ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي الْأَزَلِ
بِهِمْ شُعُوبُ شِعَابِ السَّهْلِ وَالْقُلُلِ
كَالْأَسَدِ تَزَارُ فِي أَنْيَابِهَا الْعُصْلُ
وَوَيْلُ أُمِّ قُرَيْشٍ مِنْ جَوَى الْهَبْلِ
تُلْمِمْ وَلَا بِأَلَمِ اللَّوْمِ وَالْعَدَلِ
طَوَّلَا أَطَالَ مَقِيلَ النَّوْمِ فِي الْمَقِيلِ
تَحْتَ الْوَشِيحِ نَشِيحُ الرُّوعِ وَالْوَجَلِ
مُبَارَكِ الْوَجْهِ بِالتَّوْفِيقِ مُشْتَمِلِ
وَأَكْرَمُ النَّاسِ صَفْحًا عَنْ ذَوَى الزَّلَلِ
أَرَقَّ مِنْ خَفَرِ الْعَذْرَاءِ فِي الْكِلَالِ
مَنْ كَانَ عَنْهُ قُبَيْلَ الْفَتْحِ فِي شُغْلِ
ثَاوٍ بِمَنْزِلَةِ الْبَهْمُوتِ مِنْ زُحَلِ
وَمِلَتْ بِالْخَوْفِ عَنْ خَيْفٍ وَعَنْ مَلَلِ
لَمَّا أَجَابَتْ إِلَى الْإِيمَانِ عَنْ عَجَلِ

وَأَصْبَحَ الدِّينُ قَدْ حُفَّتْ جَوَانِبُهُ بِعِزَّةِ النَّصْرِ وَاسْتَوَلَى عَلَى الْمَلِكِ
 قَدْ طَاعَ مُنْحَرِفٌ مِنْهُمْ لِمُعْتَرِفٍ وَأَنْقَادَ مُنْعَدِلٍ مِنْهُمْ لِمُعْتَدِلٍ
 أَحْبَبَ بِخُلَّةِ أَهْلِ الْحَقِّ فِي الْخِلَالِ وَعِزُّ دَوْلَتِهِ الْغَرَاءُ فِي الدُّوَلِ
 أَمْ الْيَمَامَةُ يَوْمٌ مِنْهُ مُضْطَلَمٌ وَحَلَّ بِالشَّامِ سُؤْمٌ غَيْرُ مُرْتَحِلٍ
 تَفَرَّقَتْ مِنْهُ أَعْرَافُ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَتْرُكْ مِنَ التُّرْكِ عَظْمًا غَيْرَ مُنْتَثِلِ
 لَمْ يَبْقَ لِلْفُرْسِ لَيْثٌ غَيْرُ مُفْتَرِسٍ وَلَا مِنَ الْجَيْشِ جَيْشٌ غَيْرُ مُنْجَفِلِ
 وَلَا مِنَ الصِّينِ سُورٌ غَيْرُ مُبْتَدِلٍ وَلَا مِنَ الرُّومِ مَرْمَى غَيْرُ مُنْتَضِلٍ^(١)
 وَلَا مِنَ النَّوْبِ جَدْمٌ غَيْرُ مُنْجَدِمٍ وَلَا مِنَ الزَّوْجِ جَزْلٌ غَيْرُ مُنْجَدِلِ
 وَنِيلَ بِالسَّيْفِ سَيْفُ الْبَحْرِ وَاتَّصَلَتْ دَعْوَى الْجُنُودِ فَكُلُّ بِالْجِهَادِ صَلِي
 وَسُلُّ بِالْغَرْبِ غَرْبُ السَّيْفِ إِذْ شَرِقَتْ بِالشَّرْقِ قَبْلُ صُدُورِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
 وَعَادَ كُلُّ عَدُوٍّ عَزَّ جَانِبُهُمْ قَدْ عَادَ مِنْكَ بَيْدَلٌ غَيْرُ مُبْتَدَلِ
 أَضْفَى مِنَ الثَّلَجِ إِشْرَاقًا مَذَاقَتُهُ أَخْلَى مِنَ اللَّبَنِ الْمَضْرُوبِ فِي الْعَسَلِ^(٢)

تَنْبِيْهَاتٌ

الاول : لا خلاف أن هذه الغزوة كانت في رمضان ، كما في الصحيح ، وغيره ،
 وعن ابن عباس قال : ابن شهاب كما عند البيهقي من طريق عقيل : لا أدري أخرج
 ٢٥٨ و في شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان / بعد ما دخل ؟ ورواه البيهقي من طريق
 ابن أبي حفصة عن الزهري بإسناد صحيح . قال : صبح رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - مكة ثلاث عشرة خلت من رمضان .

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال : خرجنا
 مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان ، وهذا

(١) في (ص) ٢ : ٢٢١ « منفصل » .

(٢) في (ص) ٢ : ٢٢١ « المضروب بالعسل » والمثبت عن بقية النسخ .

يُدْفَعُ التَّرَدُّدُ الْمَاضِي^(١) ، وَيُعَيَّنُ يَوْمَ الْخُرُوجِ ، وَقَوْلُ الزَّهْرِيِّ يُعَيِّنُ يَوْمَ الدُّخُولِ ، وَيُعْطَى أَنَّهُ أَقَامَ فِي الطَّرِيقِ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا^(٢) .

قال الحافظ : وَأَمَّا مَا قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ أَنَّهُ خَرَجَ لِعَشْرِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ فَلَيْسَ بِقَوِيٍّ لِمُخَالَفَتِهِ مَا هُوَ أَصَحُّ مِنْهُ ، قُلْتُ : قَدْ وَافَقَ الْوَاقِدِيُّ عَلَى ذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ ، وَرَوَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَافِعٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ أَنَّهُ دَخَلَ لِسِتِّ عَشْرَةٍ ، وَلِأَحْمَدَ لثَمَانِي عَشْرَةٍ ، وَفِي أُخْرَى لثِنْتِي عَشْرَةٍ ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَاتَيْنِ بِحَمَلٍ إِحْدَاهُمَا عَلَى مَا مَضَى وَالْأُخْرَى عَلَى مَا بَقِيَ ، وَالَّذِي فِي الْمَغَازِي : دَخَلَ لَتِسْعِ عَشْرَةٍ مَضَتْ وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْإِخْتِلَافِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ .

وَوَقَعَ فِي أُخْرَى : بِالْشُّكِّ فِي تِسْعِ عَشْرَةٍ أَوْ سَبْعِ عَشْرَةٍ وَرَوَى يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ^(٣) عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ مُشَابِخِهِ : أَنَّ الْفَتْحَ كَانَ فِي عِشْرِينَ^(٤) مِنْ رَمَضَانَ ؛ فَإِنْ ثَبَتَ حُمِلَ عَلَى أَنَّ مُرَادَهُ أَنَّهُ وَقَعَ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْأَخِيرَ .

الثَّانِي : اخْتَلَفَتْ الرُّوَايَاتُ فِيمَنْ أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِيَأْتِيَ بِكِتَابِ حَاطِبٍ : فَقِي رَوَايَةُ أَبِي رَافِعٍ^(٥) عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ . وَفِي رَوَايَةِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَبَا مَرْثَدَ الْغَنَوِيَّ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، قَالَ الْحَافِظُ : فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الثَّلَاثَةُ كَانُوا مَعَهُ ، وَذَكَرَ أَحَدُ الرَّاوِيَيْنِ عَنْهُ مَا لَمْ يَذْكُرْ الْآخَرُ ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي يَظْهَرُ ؛ أَنَّهُ كَانَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا آخَرٌ تَبِعَهُ لَهُ .

الثَّالِثُ : جَزَمَ ابْنُ إِسْحَاقَ بِأَنَّ جَمِيعَ مَنْ شَهِدَ الْفَتْحَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَشْرَةَ آلَافٍ . وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٦) فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُرْوَةَ ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَافِعٍ عَنْ طَرِيقٍ آخَرَ بِسَنَدٍ

(١) أَيْ يَدْفَعُ مَا عِنْدَ الْبَيْتِ مِنْ طَرِيقٍ عَقِيلٍ الْمُتَضَمِّنِ التَّرَدُّدَ بَيْنَ الْخُرُوجِ فِي شَعْبَانَ أَوْ الْخُرُوجِ فِي رَمَضَانَ ، وَانْظُرْ إِرْشَادَ السَّارِي شَرْحَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ٦ : ٣٨٨ .

(٢) وَانْظُرْ فَتْحَ الْبَارِي ٨ : ٢ فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ كُلُّ مَا هُنَا عَنْ هَذَا الْخِلَافِ مِنْ أَوَّلِ التَّنْبِيهِ إِلَى آخِرِهِ .

(٣) كَذَا بِالْأَصُولِ وَفِي فَتْحِ الْبَارِي ٨ : ٣ « مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ مُشَابِخِهِمْ » .

(٤) فِي الْمَرْجِعِ السَّابِقِ « فِي عَشْرِ بَقِيَّةٍ مِنْ رَمَضَانَ » .

(٥) أَيْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ كَمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ . (شَرْحُ الْمَوَاهِبِ ٢ : ٢٩٤) .

(٦) أَنْظُرْ إِرْشَادَ السَّارِي ٦ : ٣٨٨ .

صحيح عن ابن عباس ، وقال عُرْوَة أيضاً والزهرى وابن عقبة كانوا اثني عشر ألفاً^(١) ،
وجُمِعَ بآن العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة . ثم تلاحق الألفان^(٢)

الرابع : وقع في الصحيح من رواية مَعْمَر عن الزهرى عن عُبَيْد الله بن عبد الله بن
٢٥٨ ظ عُتْبَة بن مسعود عن ابن عباس « وذلك على رأس ثمان سنين ونصف مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ
الله - صَلَّى الله عليه وسلم - المدينة » قَالَ الحافظ^(٣) : وهو وَهْمٌ ، والصَّواب على رأسِ
سَبْعِ سِنِينَ ونصف ، وإنما وَقَعَ الوَهْمُ مِنْ كَوْنِ غزوة الفتح كَانَتْ في سنة ثمان ، من
أثناء ربيع الأول إلى أثناء رمضان نصف سنة سواء ، والتحرير أنها سبع سنين ونصف
ويمكن توجيهُ رواية مَعْمَر : بأنه بناء على التَّأريخِ بِأَوَّلِ السَّنة من المحرم ، فإذا دخل
من السَّنة الثانية شهران أو ثلاثة أُطلقَ عليها سنة مجازاً ؛ مِنْ تسمية البَغْضِ باسمِ
الْكُلِّ ، ويقعُ ذلك في آخر ربيع الأول . وَمِنْ ثَمَّ إلى رمضان نصف سنة سواء ، ويقالُ :
كانَ آخر شعبان تِلْكَ السَّنة آخر سبع سنين ونصف^(٤) ، أو أن رأس الثمان كان أول
ربيع الأول وما بعده نصف سنة .

الخامس : ورد أَنَّهُ - صَلَّى الله عليه وسلم - أَفْطَرَ بالكديد ، وفي روايةٍ بغيره كما
سبق في القصة ؛ والْكُلُّ في سفرة واحدة ، فيجوزُ أَنْ يَكُونَ فطرُهُ - صَلَّى الله عليه وسلم -
في أَحَدِ هذه المواضع حقيقة إما كديد ، وإما كُرَاعِ الغَيمِ ، وإما عُسْفَانَ ، وإما قُدَيْدَ ،
وأضيف إلى الآخر تَجَوَّزاً لِقُرْبِهِ منه ، ويجوزُ أَنْ يَكُونَ قد وقع منه - صَلَّى الله عليه
وسلم - الفعلُ في المواضع الأربعة ، والفطرُ في موضعٍ منها ، لكن لم يره جميعُ النَّاسِ
فيه ؛ لكثرتهم ، وكرَّره ليتساوى النَّاسُ في رؤية الفعل ، فأخبر كل عن رؤية عينٍ وأخبر
كل عن محلِّ رؤيته .

(١) المرجع السابق ٦ : ٣٨٨ ، وفتح البارى ٨ : ٣ .

(٢) أنظر فتح البارى ٨ : ٣ فقد ورد فيه كل ما جاء في هذا التنبيه .

(٣) الإضافة عن فتح البارى ٨ : ٣ .

(٤) جاء بعد هذا في فتح البارى ٨ : ٣ من أول ربيع الأول فلما دخل رمضان دخل سنة أخرى ، وأول السنة يصدق
عليه أنه رأسها فيصح أنه رأس ثمان سنين ونصف .

السادس: وقع في الصحيح^(١) : ثم جاءت كتيبة ، وهي أقلّ الكتاب ؛ أي عدداً فيهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال القاضي - رحمه الله تعالى - : كذا لجميع رواية الصحيح بالقاف ، وقد وقع في الجمع لِلْحَمِيدِي « أَجَلٌ » بالجم بدل القاف - من الجلالة ، قال القاضي : وهو أظهر انتهى .

وكل منهما ظاهرٌ لا خفاء فيه ولا ريب كما في مصابيح الجامع للدمايني : أن المراد قلة العدد لا^(٢) الاحتقار ، هذا ما لا يُظَنُّ بِمُسْلِمٍ اعتقاده وتوهمه ؛ فهو وجه لا محيد عنه ، ولا ضير فيه بهذا الاعتبار . والتّصريحُ بأنّ النبيّ - صلى الله عليه وسلم - كان في هذه الكتيبة التي هي أقلّ عدداً مما سواها من الكتاب قاضٍ بجلالة قدرها ، وعظم شأنها ، ورُجْحَانِها على كلّ شيء سواها ، ولو كان ملء الأرض بل وأضعاف ذلك^(٣) .

السابع: وقع في الصحيح^(٤) عن عروة قال : وأمر النبيّ - صلى الله عليه وسلم - يومئذٍ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كذا - أي بالمد - ودخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أسفل مكة من كذا ؛ أي بالقصر . وهذا مخالفٌ للأحاديث الصحيحة . ففي الصحيح وغيره أنّ خالد بن الوليد دخل من أسفل مكة ، ودخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أعلاها ، وبه جزم ابن عقبة ، وابن إسحاق وغيرهما .

الثامن: / الحكمة في نزول النبيّ - صلى الله عليه وسلم - بخيْف بني كِنانة الذي تقاسموا فيه على الشّرك ؛ أي تحالفوا عليه من إخراج النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وبني هاشم إلى شعب أبي طالب ، وحصرُوا بني هاشم وبني المطلب فيه ، كما تقدّم ذلك في أبواب البعثة ، ليتذكّر ما كان فيه من الشّدة فيشكر الله - تعالى - على ما أنعم عليه من الفتح العظيم ، وتمكّنه من دخول مكة ظاهراً على رغم من سعى في إخراجهِ

(١) أنظر إرشاد الساري ٦ : ٣٩١ فقد ورد فيه كل ما جاء في هذا التنبيه .

(٢) في (مر) « ليس للاحتقار » والمثبت عن بقية النسخ وهو موافق لما جاء في إرشاد الساري ٦ : ٣٩١ .

(٣) أضاف إرشاد الساري ٦ : ٣٩١ بعد ذلك « قال هذا الذي يعم من نفس القاضي في هذا المثل » .

(٤) أنظر إرشاد الساري ٦ : ٣٩١ : فتح الباري ٨ : ٨ فقد عرض الخلاف بأوضح مما هنا .

منها ، ومبالغة في الصّبح عن الذين أساءوا ، ومقابلتهم بالَمَن والإحسان ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء .

التاسع : قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِنَّمَا أَنْكَرَ الْعَبَّاسُ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ ذِكْرَ الْمُلْكِ مَجْرَدًا مِنَ التَّبَوُّةِ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ دَخُولِهِ الْإِسْلَامَ ، وَإِلَّا فَجَائِزٌ أَنْ يُسَمَّى مِثْلَ هَذَا مُلْكًا وَإِنْ كَانَ لِنَبِيِّ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي دَاوُدَ ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ ^(١) وَقَالَ سُلَيْمَانَ ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ ^(٢) غَيْرَ أَنَّ الْكَرَاهَةَ أَظْهَرَ فِي تَسْمِيَةِ حَالِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُلْكًا ، لَمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خُبِرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا ، أَوْ نَبِيًّا مُلْكًا ، فَالْتَفَتَ إِلَى جَبْرِيلَ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ تَوَاضَعَ ، فَقَالَ : بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا ، أَشْبَحَ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا . وَإِنْكَارُ الْعَبَّاسِ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ يَقْوَى هَذَا الْمَعْنَى ، وَأَمْرُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ [بَعْدَهُ] ^(٣) أَيْضًا يَكْرَهُ أَنْ يُسَمَّى مُلْكًا ، لِقَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « تَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ ، ثُمَّ تَكُونُ أُمَرَاءُ ، ثُمَّ يَكُونُ مُلُوكٌ ، ثُمَّ يَكُونُ جَبَابِرَةٌ » .

العاشر : السَّاعَةُ الَّتِي أَحْلَى لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْقَتْلَ فِيهَا بِمَكَّةَ مِنْ صَبِيحَةِ يَوْمِ الْفَتْحِ إِلَى الْعَصْرِ كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا .

الحادي عشر : لَا مُخَالَفَةَ بَيْنَ حَدِيثِ نَزُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْمَحْضَبِ ، وَبَيْنَ حَدِيثِ أُمِّ هَانِئٍ ، أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَزَلَ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِئٍ ، لِأَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يُقِمْ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِئٍ وَإِنَّمَا نَزَلَ بِهِ حَتَّى اغْتَسَلَ وَصَلَّى ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَيْثُ ضُرِبَتْ خِيَمَتُهُ عِنْدَ شُعْبِ أَبِي طَالِبٍ ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي حَصَرَتْ فِيهِ قُرَيْشُ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ .

(١) سورة ص آية ٢٠ .

(٢) سورة ص آية ٣٥ .

(٣) الإضافة عن شرح المواهب ٢ : ٣٢٠ .

الثاني عشر: اختُلفَ في قاتل ابن خَطَل ، روى ابنُ أبي شَيْبَةَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عُثْمَانَ النُّهْدِيِّ : أَنَّ أَبَا بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيَّ قَتَلَ ابْنَ خَطَل ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ مَعَ إِسْرَالِهِ ، وَلَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرْزَةَ نَفْسِهِ . وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ . قَالَ الْحَافِظُ : وَهُوَ أَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي تَعْيِينِ قَاتِلِهِ ، وَبِهِ جَزَمَ الْبَلَاذُرِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ . وَتُحْمَلُ بَقِيَّةُ الرُّوَايَاتِ عَلَى أَنَّهُمْ ابْتَدَرُوا قَتْلَهُ ؛ فَكَانَ الْمُبَاشِرَ لَهُ مِنْهُمْ أَبُو بَرْزَةَ ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ شَارِكُهُ فِيهِ ؛ فَقَدْ جَزَمَ ابْنُ هِشَامٍ / بَأَنَّ [سَعِيدٌ ^(١)] بَنَ حُرَيْثٍ [وَأَبَا بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيَّ اشْتَرَكَا فِي ٢٥٩ ظ قَتْلِهِ ، وَقَدْ قِيلَ : قَتَلَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ . وَقِيلَ شَرِيكَ بْنُ عَبْدِ الْعَجْلَانِ ^(٢)] .

الثالث عشر: وَقَعَ فِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِءٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ : أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اغْتَسَلَ فِي بَيْتِهَا ، وَفِي حَدِيثِهَا عِنْدَ مُسْلِمٍ : أَنَّهَا ذَهَبَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَوَجَدَتْهُ يَغْتَسِلُ ، وَفَاطِمَةُ تَسْتَرُهُ ، وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ ذَلِكَ تَكَرَّرَ مِنْهُ ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ عَنْ أُمِّ هَانِءٍ وَفِيهِ : أَنَّ أَبَا ذَرٍّ سَتَرَهُ لَمَّا اغْتَسَلَ ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِي بَيْتِهَا بِأَعْلَى مَكَّةَ وَكَانَتْ هِيَ فِي بَيْتٍ آخَرَ بِمَكَّةَ ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ [فَوَجَدَتْهُ ^(٣)] يَغْتَسِلُ ، فَيَصْحُحُ الْقَوْلَانِ ، وَأَمَّا الْمُسْتَسْتَرُ فَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا سَتَرَهُ فِي ابْتِدَاءِ الْغُسْلِ ، وَالْآخَرُ فِي أَثْنَائِهِ .

الرابع عشر: قَالَ السُّهَيْلِيُّ : وَلَا يَجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ أَى صَلَاةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِءٍ فِي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ ؛ وَهِيَ صَلَاةُ الْفَتْحِ ، تُعْرَفُ بِذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَكَانَ الْأَمْرَاءُ يُصَلُّونَهَا إِذَا فَتَحُوا بِلَدًا . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ : صَلَّى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ حِينَ افْتَتَحَ الْمَدَائِنَ ثَمَانِ رَكَعَاتٍ فِي إِيوَانِ كِسْرَى ، قَالَ : وَهِيَ ثَمَانُ رَكَعَاتٍ لَا يَفْصَلُ بَيْنَهَا ، وَلَا تَصَلِّي بِإِمَامٍ ، قَالَ السُّهَيْلِيُّ : وَلَا يَجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ ^(٤) .

(١) بَيَاضٌ فِي الْأَصُولِ وَالْإِثْبَاتِ عَنْ فَتْحِ الْبَارِي ٨ : ١٣ ، وَسِيرَةُ النَّبِيِّ لِابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٤١٠ .

(٢) وَانْظُرْ فِي شَأْنِ هَذَا التَّنْبِيهِ مَا جَاءَ فِي فَتْحِ الْبَارِي ٨ : ١٣ وَشَرْحُ الْمَوَاهِبِ ٢ : ٣٢٢ .

(٣) الْإِضَافَةُ عَنْ شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ٣٢٦ .

(٤) وَانْظُرْ حَدِيثَ أُمِّ هَانِءٍ وَمَا قَالَهُ السُّهَيْلِيُّ فِي أَمْرِ هَذِهِ الصَّلَاةِ فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ٣٢٦ - وَفِي فَتْحِ الْبَارِي ٨ : ١٦ .

وإِرشَادُ السَّارِي ٦ : ٣٩٥ .

الخامس عشر: وقع في رواية العلاء بن عبد الرحمن عن ابن عمر : أَنَّهُ سَأَلَ أُسَامَةَ
وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي الشَّعْثَاءِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : أَخْبَرَنِي أُسَامَةُ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
صَلَّى فِيهِ هَهُنَا ، وَفِي رِوَايَةِ خَالِدِ بْنِ حَارِثٍ عَنْ ابْنِ عَوْفٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ : فَقُلْتُ :
أَيْنَ صَلَّى ؟ فَقَالُوا ؛ هَهُنَا . قَالَ الْحَافِظُ : فَإِنْ كَانَ مُحْفُوظًا حُمِلَ عَلَى أَنَّهُ ابْتَدَأَ بِلَا لًا
بِالسُّوَالِ ، ثُمَّ أَرَادَ زِيَادَةَ الِاسْتِثْبَاتِ فِي مَكَانِ الصَّلَاةِ ، فَسَأَلَ أُسَامَةَ ، وَعُثْمَانَ أَيْضًا .
وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ رِوَايَةُ ابْنِ عَوْفٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ : « وَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُمْ كَمْ صَلَّى » بِصِيغَةِ الْجَمْعِ
قَالَ الْحَافِظُ : وَهَذَا أَوْلَى مِنْ جَزْمِ الْقَاضِي بِوَهْمِ الرِّوَايَةِ الَّتِي عِنْدَ مُسْلِمٍ ، وَكَأَنَّهُ
لَمْ يَقِفْ عَلَى بَقِيَّةِ الرِّوَايَاتِ (١) .

السادس عشر: قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ غَلَطَ فِي قَوْلِهِ رَكَعَتَيْنِ
[لِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ : نَسِيتُ (٢)] وَأَنَّ الْوَهْمَ دَخَلَ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِ الرِّكَعَتَيْنِ بَعْدَ خُرُوجِهِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « [وَالْمَغْلُطُ] هُوَ الْغَالِطُ ، وَكَلَامُهُ مُرَدُّودٌ ؛ فَإِنَّ يَحْيَى ذَكَرَ
الرَّكَعَتَيْنِ قَبْلَ وَبَعْدَ ، فَلَمْ يَهَمْ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ ، وَلَمْ يَنْفَرِدْ [يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ (٣)]
بِذَلِكَ حَتَّى يَغْلُطَ ، بَلْ تَابَعَهُ مَنْ سَبَقَ ذِكْرَهُمْ فِي الْقِصَّةِ ، وَالْعَجَبُ مِنَ الْإِقْدَامِ / عَلَى تَغْلِيظِ
جِبَالٍ مِنَ الْجِبَالِ الْحَفِظَ بِقَوْلٍ مِنْ خَفَى عَلَيْهِ وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ، فَقَالَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ،
وَلَوْ سَكَتَ لَسَلِمَ .

٢٦٤
٩٥٩

السابع عشر: قَالَ الْحَافِظُ (٤) : رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - جَمَعَ بَيْنَ / رِوَايَتِي فَلِيحَ ، وَأَيُّوبَ ،
وَابْنَ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ : « نَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَ بِلَا لًا » وَفِي لَفْظٍ : « أَسْأَلُهُمْ
كَمْ صَلَّى » وَبَيْنَ رِوَايَةٍ غَيْرِ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ رَكَعَتَانِ
بِاحْتِمَالِ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ اعْتَمَدَ فِي قَوْلِهِ فِي رِوَايَةِ مُجَاهِدٍ ، وَابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ وَغَيْرِهِمَا عَنْهُ
رَكَعَتَيْنِ عَلَى الْقَدْرِ الْمُتَحَقِّقِ ، وَذَلِكَ أَنَّ بِلَا لًا أَثْبَتَ لَهُ أَنَّهُ صَلَّى ، وَلَمْ يَنْقُلْ أَنَّ النَّبِيَّ

٢٦٥

(١) أَنْظَرِ فَتْحَ الْبَارِي ٣ : ٣٧٢ فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ كُلُّ مَا جَاءَ فِي هَذَا التَّنْبِيهِ .
(٢) بَيَاضٌ فِي ت ، ط ، م وَالثَّبْتُ عَنْ شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ٣٤٢ - أَمَّا فِي ص فَالْعِبَارَةُ كَمَا يَلِ : (غَلَطَ فِي قَوْلِهِ
رَكَعَتَيْنِ وَأَنَّ الْوَهْمَ دَخَلَ عَلَيْهِ) دُونَ وَجُودِ أَيِّ بَيَاضٍ ؟
(٣) الْإِضَافَةُ عَنْ شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ٢ : ٣٤٢ .
(٤) وَأَنْظَرِ فَتْحَ الْبَارِي ١ : ٤١٩ فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ أَكْثَرُ مَا فِي هَذَا التَّنْبِيهِ .

- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تنفل في النهار بأقل من ركعتين ، وكانت الركعتان متحققاً وقوعهما ، لِمَا عُرِفَ بالاستقراء مِنْ عَادَتِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعلى هذا فقوله : ركعتين مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَمْرٍ ، لَا مِنْ كَلَامِ بِلَالٍ ، قال الحافظ : ووجدتُ ما يؤيدُ هذا ، ويستفادُ منه جمعُ آخر بين الحديثين ، وهو ما أخرجه عمرُ بْنُ شُبَّةٍ في كتاب مَكَّةَ من طريقِ عبد العزيز بن أبي داود عن نافع عن ابن عمر في هذا الحديث : « فاستقبلني بلالٌ فقلتُ : ما صنع رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ههنا ؟ فأشار بيده أَنْ صَلَّى ركعتين بالسَّبَاةِ والوُسْطَى » ، فعلى هذا فيحملُ قوله : « نسيتُ أَنْ أسأله كم صَلَّى على أَنه لم يسأله لفظاً ولم يجبه لفظاً وإنما استفاد منه صلاة ركعتين بإشارته لا بنطقه ، وأما قوله في رواية أخرى : ونسيت أَنْ أسأله كم صلى » فيحمل على أَنْ مراده أَنه لم يتحقق هل زَادَ على ركعتين أو لا ؟ ، وقال شيخُه الحافظ أبو الفضل العراقي : فيحملُ أَنْ ابن عمر وإن كَانَ سَمِعَ من بلال أَنَّهُ صَلَّى ركعتين لَمْ يَكْتَفِ بذلك في أَنه لم يُصَلِّ غيرهما ؛ لِأَنَّ مَنْ صَلَّى أَرْبَعاً أو أَكْثَرَ ، يَصْدُقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ صَلَّى ركعتين على القولِ بِأَنَّ مفهومَ الْعَدَدِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ كَمَا هُوَ الْمَرْجُوعُ فِي الْأَصُولِ ، فلعلَّ الذي نسي أَنْ يسأل عنه بلالاً في أَنَّهُ هل زاد على ركعتين بشيءٍ أَمْ لَا ؟ . قال الحافظ ابنُ حجر : وأما قولُ بعض المتأخرين : يجمع بين الحديثين بِأَنَّ ابن عمر سأل بلالاً ، ثم لقيه مرةً أخرى ، فسأله ، ففيه نَظَرٌ مِنْ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّ الذي يَظْهَرُ أَنَّ الْقِصَّةَ وهو سؤال ابن عمر عن صَلَاتِهِ في الْكَعْبَةِ لَمْ يَتَعَدَّدْ ؛ لِأَنَّهُ أَتَى فِي السُّؤَالِ بِالْفَاءِ الْمُعَقَّبَةِ فِي الرَّوَايَتَيْنِ معاً ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ السُّؤَالَ عَنْ ذَلِكَ كَانَ وَاحِداً فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . ثانيهما أَنَّ راوِي قول ابن عمر « نسيت » هو نافع مولاه ، ويبعدُ مع طُولِ مُلَازِمَتِهِ له إِلَى وقت موته أَنْ يستمرَّ على حكاية النسيان ، ولا يتعرض لحكاية التذکر لقدر صَلَاتِهِ - وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

الثامن عشر : قال الحافظ : لا يعارضُ إثباتَ أُسَامَةَ في رواية ابن عمر عنه أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَّى في البيت ما رواه ابنُ عَبَّاسٍ عن أُسَامَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يُصَلِّ في البيت لِإمكان الجمع بينهما ، لِأَنَّ أُسَامَةَ حينَ ^(١) أثبتها

(١) في (ص) ٢ : ٢٢٣ ، شرح المواهب ٢ : ٢٤٥ (حيث) والمثبت عن ت ، ط ، م .

أَعْتَمَدَ فِي ذَلِكَ عَلَى غَيْرِهِ ، وَحَيْثُ نَفَاها أَرَادَ مَا فِي عِلْمِهِ بِكَوْنِهِ لَمْ يَرَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ صَلَّى ، وَقَالَ الْحَافِظُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : تَعَارَضَتِ الرَّوَايَةُ عَنْ أُسَامَةَ فِي ذَلِكَ ٢٦٠ ط فَتَتَرَجَّحُ / رَوَايَةُ بِلَالٍ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ مُثَبَّتٌ وَغَيْرُهُ نَاقِلٌ ، وَمِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ لَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ فِي الْإِثْبَاتِ ، وَأَخْتَلَفَ عَلَى مَنْ نَفَى ^(١) .

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ : يَجْمَعُ بَيْنَ إِثْبَاتِ بِلَالٍ ، وَنَفْيِ أُسَامَةَ بِأَنَّهُمْ لَمَّا دَخَلُوا الْكَعْبَةَ اشْتَغَلُوا بِالدُّعَاءِ ، فَرَأَى أُسَامَةُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدْعُو ، فَاشْتَغَلَ أُسَامَةُ بِالدُّعَاءِ فِي نَاحِيَةٍ ، وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي نَاحِيَةٍ ، ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَأَاهُ بِلَالٌ لِقُرْبِهِ مِنْهُ وَلَمْ يَرَهُ أُسَامَةُ لِبُعْدِهِ مِنْهُ وَاشْتَغَالِهِ بِالدُّعَاءِ ، وَلِأَنَّ بَاغِلَاقَ الْبَابِ تَكُونُ ظِلْمَةً مَعَ احْتِمَالِ أَنْ يَحْجِبَهُ بَعْضُ الْأَعْمَدَةِ ، فَنفَاها عَمَلًا بظنه .

وَقَالَ الْإِمَامُ الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أُسَامَةُ غَابَ عَنْهُ بَعْدَ دَخُولِهِ لِحَاجَةِ ^(٢) فَلَمْ يَشْهَدْ صَلَاتِهِ - انْتَهَى . وَيَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ عَنْ ابْنِ أَبِي ذُؤَيْبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْرَانَ عَنْ عُمَيْرِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أُسَامَةَ قَالَ : « دَخَلْتُ مَعَ ^(٣) النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْكَعْبَةِ فَرَأَى صُورًا ، فَدَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ ، فَاتَّيْتُهُ بِهِ ، فَضَرَبَ بِهِ الصُّورَ » ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فَلَعَلَهُ [اسْتَصْحَبَ النَّفْيَ ^(٤)] بِسُرْعَةِ عَوْدِهِ انْتَهَى قُلْتُ : هُوَ مُفَرَّعٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ وَقَعَتْ عَامَ الْفَتْحِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ رَوَى عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ فِي كِتَابِ مَكَّةَ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ بَلْدَيْمَةَ بِالْمَوْحِدَةِ ، وَزَنَ عَظِيمَةُ التَّابَعِيُّ ، قَالَ : « دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْكَعْبَةَ . وَدَخَلَ مَعَهُ بِلَالٌ ، وَجَلَسَ أُسَامَةُ عَلَى الْبَابِ ، فَلَمَّا خَرَجَ وَجَدَ أُسَامَةَ قَدْ احْتَبَى ، فَأَخَذَ بِحَبِوْتِهِ ^(٥) »

(١) وانظر فتح الباري ٣ : ٣٧٥ فقد أورد كل ما جاء في هذا التنبيه .

(٢) جاء في شرح المواهب ٢ : ٣٤٥ « غاب أسامة لأمر نذبه - حثه ووجهه - إليه ، وهو أن يأتي بماء يمحو به الصور التي كانت في الكعبة ، فأثبت بلال الصلاة لرؤيته ونفاها أسامة لعدم رؤيته لها » .

(٣) في (ص) ٢ : ٢٢٣ « على النبي » وفي فتح الباري ٣ : ٣٧٥ « على رسول الله » .

(٤) (بياض في الأصول بمقدار كلمتين والمثبت عن فتح الباري ٣ : ٣٧٥ وشرح المواهب ٢ : ٣٤٥ .

(٥) في ت ، ط ، م « بحبوته » والمثبت عن (ص) ٢ : ٢٢٣ ، وفتح الباري ٣ : ٣٧٥ .

فحلها . الحديث فاعله احتجى فاستراح فنعس ، فلم يشاهد صلاته ، فلما سئل عنها نفاها مستصحباً للنبي ، لقصر زمن احتبائه ، وفي كل ذلك إنما نفي رؤيته ، لا ما في نفس الأمر . وبعض العلماء حمل الصلاة المُثَبَّتة على اللُّغَوِيَّة ، والمنفِيَّة على الشَّرْعِيَّة ، ويردُّ هذا الحمل ما تقدَّم في بعض طُرُقهِ الصَّحِيحَةِ : أَنَّهُ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، فَظَهَرَ أَنَّ المرادَ الشَّرْعِيَّةَ لا مجرد الدَّعاء . وقال المهلب^(١) شارح البخارى : يحتملُ أن يكون دخول البيت وقع مرَّتين . صَلَّى في إحداهما ولم يُصَلِّ في الأُخرى ، وقال ابنُ حِبَّانَ : الأَشْبَهُ عِنْدِي في الجَمْع ؛ أن يجعلَ الخبران في وقعتين ؛ فيقال : لَمَّا دخل الكعبة في الفَتْح صَلَّى فيها على ما رواه ابنُ عمر عن بلال ، ويجعلُ نبي ابن عباس الصَّلَاة في الكعبة في حجَّتِهِ الَّتِي حَجَّ فِيهَا ؛ لأنَّ ابنَ عباسٍ نفاها وأَسَنَدَ ذلك إلى أُسامَةَ وأخيه الفضل ، وابن عمر أثبتها ، وأَسَنَدَ ذلك إلى أُسامَةَ ، وإلى بلال وأُسامَةَ أيضاً ، فإذا حمل الخبر على ما وصفنا بطل التعارض . قال الحافظ : وهو جمع حسنٌ لكن تعقُّبَهُ النووي بأنَّه لا خلاف / أَنَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دخل يوم الفتح لا في ١٦١ و حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، ويشهدُ له ما رواه الأزرقي^(٢) عن سُفيان بن عُيَيْنَةَ عن غير واحدٍ من أهل العلم : أَنَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إنما دخل الكعبة مرةً واحدةً عامَ الفتح ، ثم حَجَّ فلم يَدْخُلْهَا ، وإذا كان الأمرُ كذلك فلا يمتنعُ أن يكونَ دخلها عامَ الفتح مرَّتين ويكونُ المراد بالوَحْدَةِ الَّتِي في خبر ابنِ عُيَيْنَةَ وَحْدَةُ السَّفَرِ لَا الدَّخُولَ ، وقد وقع عند الدَّارَقُطَنِيِّ من طريق ضعيفة ما يشهد لهذا الجمع . قلتُ : قال الدَّارَقُطَنِيُّ في سُنَنِهِ : واعتمد القاضي عز الدين بن جماعة ذلك . واستدلَّ له أيضاً بأنَّ الإمامَ أحمد قال في مسنده : حدثنا هشيم قال : أخبرنا عبد الملك عن عطاء ، قال : قال أُسامَةُ بن زيد : دخلتُ مع النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْبَيْتَ فَجَلَسَ فَحَمِدَ اللهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَهَلَّلَهُ وَكَبَّرَهُ ، وخرج ولم يُصَلِّ ، ثم دخلتُ معه في اليومِ الثَّانِي ، فقامَ ، ودعا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ ،

(١) هو المهلب بن أحمد بن أسيد الأسدي القمي - أبو القاسم بن أبي صفرة فقيه محدث من أهل المرية ، سمع بقرطبة من أبي محمد الأصيل ورحل إلى الشرق ، وروى عن أبي ذر الهروي ، وعلي بن فهد ، وعلي بن محمد القزويني وغيرهم . ومن آثاره شرح الجامع لصحيح البخاري توفي سنة ٤٣٥ هـ وقيل ٤٣٣ . (معجم المؤلفين لكحالة ١٣ : ٢٢) .

(٢) أي في كتاب أخبار مكة . (فتح الباري ٣ : ٣٧٦) .

ثمَّ خرج فصلَّى ركعتين خارجَ البيت مستقبل وجهِ الكعبة ، ثم انصرف ، فقال : « هَذِهِ ^(١) الْقِبْلَةُ » ورواه أحمد بن منيع . قلتُ : لم أقفُ على هذا الحديث في مجمع الزوائد للهيثمي ، ولا في إتحاف المهرة للأبوصيري ؛ لَا فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ ، وَلَا فِي كِتَابِ الْحَجِّ فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَالَّذِي فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : دَخَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْكَعْبَةَ ، فَصَلَّى بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجَ وَصَلَّى بَيْنَ الْبَابِ وَبَيْنَ الْحِجْرِ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : « هَذِهِ الْقِبْلَةُ » ثُمَّ دَخَلَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَامَ يَدْعُو وَلَمْ يُصَلِّ . رواه الطبراني في الكبير ، قال الهيثمي : فيه أبو مريم ، روى عن صغار التابعين ، ولم أعرفه ، وبقيَّة رجاله مُوثَقُونَ ، وفي بعضهم كلامٌ .

وروى الأزرقي عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن أبيه قال : بلغني أَنَّ الْفَضْلَ ابْنَ عَبَّاسٍ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَئِذٍ - أَيَّ يَوْمِ الْفَتْحِ - فَقَالَ : لَمْ أَرَهُ صَلَّى فِيهَا ، قَالَ أَبِي : وَذَلِكَ فِيمَا بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسْتَعَانَهُ فِي حَاجَةٍ فَجَاءَ وَقَدْ صَلَّى وَلَمْ يَرَهُ . قَالَ عَبْدُ الْمَجِيدِ : قَالَ أَبِي ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ بَعَثَهُ فَجَاءَ بِذُنُوبٍ ^(٢) مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ يَطْمُسُ بِهِ الصُّورَ الَّتِي فِي الْكَعْبَةِ ؛ فَلِذَلِكَ لَمْ يَرَهُ صَلَّى . قُلْتُ : وَأَيْضًا أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَرْسَلَهُ وَأَسَامَةَ فِي ذَلِكَ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي أُسَامَةَ - وَأَعْتَمَدَ الْإِمَامُ تَقِيُّ الدِّينِ الْفَاسِيُّ ^(٣) فِي تَارِيخِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَجُوبَةِ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ أُسَامَةَ ، وَتَعَقَّبَ مَا سِوَاهُ بِكَلَامِ نَفِيسٍ جَدًّا فَرَاغَهُ فَإِنَّكَ لَا تَجِدُهُ فِي غَيْرِ كِتَابِهِ ، وَذَكَرَهُ هُنَا لَيْسَ مِنْ غَرَضِنَا .

٢٦١ ظ **القاسع عشر : تقدَّم أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ / - صَلَّى فِي الْكَعْبَةِ ، وَأَنَّهُ جَعَلَ عَمُودَيْنِ**

(١) الإشارة إلى الكعبة . (شرح المواهب ٢ : ٣٤٥) .

(٢) الذنوب : الدلو فيها ماء ، وقيل الدلو التي يكون الماء دون ملئها أو قريباً منه ، وقيل هي الدلو المملوء ، ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب . (اللسان) .

(٣) هو محمد بن أحمد بن علي - تقي الدين أبو الطيب المسكي الحنفي - مؤرخ عالم بالأصول ، حافظ للحديث ، أصله من فاس ومولده وموته بمكة ، دخل اليمن والشام ومصر مراراً ، وولى قضاء المالكية بمكة مدة - وكان أعشى يمل تصانيفه على من يكتب له ، ثم عمى سنة ٨٢٨ هـ قال المقرئ كان بحر علم لم يخلف في الحجاز بعده مثله ، من كتبه المقدّمات في تاريخ الجبل الأمين ، وغيره من الكتب وتوفى ٨٣٢ . (الأعلام للزركلي ٦ : ٢٢٧) .

عن يساره وعموداً عن يمينه^(١) وثلاثة أعمدة ورائه ، وفي رواية جعل عموداً عن يساره وعمودين عن يمينه وفي أخرى^(٢) عموداً عن يساره وعموداً عن يمينه وفي رواية بين العمودين اليمانيين^(٣) ، وفي أخرى بين العمودين تلقاء وجهه ، وبين العمودين المقدمين^(٤) ، قال المحب الطبري في الأحكام الكبرى : وهذا يؤيد رواية من روى أنه جعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره لأن الباب قريب من الحجر الأسود ، جانح إلى جهة اليمين ، ويفتح في جهة المشرق فإذا دخل منه وصلى تلقاء وجهه بين العمودين المقدمين اليمانيين والبيت يومئذ على ستة أعمدة فقد جعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره ، وثلاثة أعمدة ورائه ، وصلى إلى جهة المغرب ، وقوله اليمانيين قد يشكل فإنها ثلاثة صف^(٥) وجعل اثنين منها يمانيين ليس بأولى من جعلهما شاميين ، والجواب : أنه إنما جعل اثنين منهما يمانيين لأن مقرر الثلاثة بصفة يمانى وبصفة شامى ، فمن وقف بين المتمحض يمانيا وبين المشترك بين اليمن والشام جاز أن يقال فيه وقف بين اليمانيين باعتبار ما نسب منه إلى اليمن تجوزاً ومن وقف بين المتمحض شاميا وبين المشترك جاز أن يقال فيه : وقف بين الشاميين لما ذكرناه ، أو تقول لما وقف بينهما كان هو إلى جهة اليمن أقرب ، فأطلق عليهما يمانيين اعتباراً به ، والأول أظهر ، ولا تضاد بين هذا وبين قوله عموداً عن يمينه وعموداً عن يساره ، فإن من ضرورة جعل عمودين عن يمينه أن يكون عموداً عن يمينه والآخر مسكوتاً عنه ، وليس في اللفظ ما ينفيه ، وقال الحافظ^(٦) : ليس بين رواية : جعل عموداً عن يمينه وعموداً عن يساره مخالفة ، لكن قوله في رواية مالك : وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة مشكل ؛ لأنه يشعر بكون ما عن

(١) هي رواية لمسلم عن يحيى بن يحيى النيسابوري عن مالك . (شرح المواهب ٢ : ٢٤٣) .

(٢) هي رواية إسماعيل بن أبي أويس عن مالك الأصمعي الملقب ، وجزم بترجيحها البيهقي ووافقه عليها عبد الرحمن بن القاسم والقنبر وأبو مصعب ومحمد بن الحسن الشيباني وأبو حذافة السهمي والإمام الشافعي .

(المرجع السابق ، فتح الباري ١ : ٤٧٨) .

(٣) هي إحدى روايات البخاري من رواية الزهري عن سالم عن أبيه .

(المرجع السابق)

(٤) هي رواية جوهريّة عن نافع المروية في البخاري بلفظ «صل بين العمودين المقدمين» (المرجع السابق)

(٥) كذا في الأصول وفي ابن حجر (فتح الباري) أيضاً وهي وصف بالمصدر على أنها : مصفوفة .

(٦) وانظر فتح الباري ١ : ٤٧٧ فقد ورد فيه أكثر ما في هذا التنجيه .

يمينه أو يساره كان اثنين ، ويُمكنُ الجمعُ بين الروایتين بأنَّه حيثُ ثنَّى أشار إلى ما كان عليه البيتُ في زمنِ النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وحيثُ أفرد أشار إلى ما صار إليه بعد ذلك ، ويرشد إلى ذلك قوله : وكان البيتُ يومئذٍ ؛ لأنَّ فيه إشعاراً بأنَّه تغيَّرَ عَنْ هَيْئَتِهِ الْأُولَى . قال الكرمانى : لفظُ الْعَمُودِ جنسٌ يشملُ الواحدَ والاثنين فهو مُجْمَلٌ بَيْنَتَهُ رِوَايَةُ « وَعَمُودَيْنِ » وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ : لم تَكُنْ الْأَعْمَدَةُ الثَّلَاثَةُ على سمتٍ واحدٍ ، بل اثنان على سَمْتٍ ، والثالثُ على غير سمتهما ، ولفظُ الْمُقَدِّمَيْنِ [فى الحديث السابق^(١)] مُشْعِرٌ به قال الحافظ : ويؤيده رواية مجاهد [عن ابن عمر^(١)] عند البخارى فى باب « وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » ، « فَإِنْ فِيهَا بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عَنْ يَسَارِ الدَّاخلِ » وهو صريح فى أنه كان هناك عمودان على اليسار ، وأنَّه صَلَّى بينهما ، فيحتمل ٢٦٢ ر أنه كان ثمَّ عمودٌ آخر عن اليمين ، لكنَّه بعيد أو على غير سَمْتِ العمودين / فَيَصِحُّ قَوْلُ مَنْ قَالَ : جعلَ عن يمينه عَمُودَيْنِ ، وقولُ مَنْ قَالَ : جعلَ عموداً عن يمينه ، وجوزَ الكرمانى احتمالاً آخر ، وهو أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ أَعْمَدَةٍ مُصَطَفَّةٍ ، فصلَّى إلى جنبِ الْأَوْسَطِ فمن قال : جعلَ عموداً عن يمينه وعموداً عن يساره لم يعتبر الَّذِي صَلَّى إلى جنبه ، ومن قال : عمودَيْنِ اعتبره وجمع بعضُ المتأخِّرين باحتمال تعدُّد الواقعة ؛ وهو بعيدٌ لاتِّحادٍ مخرج الحديث ، وقد جزم البيهقى بترجيح رواية أنه جعلَ عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره . وقال المحبُّ الطبرى فى صفوة القرى إنه الأظهر .

العشرون : لَا خِلَافَ فى دخوله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - الكعبةَ يَوْمَ الْفَتْحِ ، وتقدَّم فى التنبيه الثامن عشر : أَنَّهُ دَخَلَ فى ثَانِى الْفَتْحِ ، وذكر بعضهم أَنَّهُ دَخَلَهَا فى عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ ، والصَّحِيحُ خلافه ؛ فقد قال البخارى عن عبد الله بن أبى أوفى - رضى الله عنه - أَنَّهُ لم يَدْخُلَهَا ، وذكر بعضهم أَنَّهُ دَخَلَهَا فى عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ وحجَّة الوداع ، وسيأتى هناك تحقيق ذلك إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى .

الحادى والعشرون : اخْتَلِفَ فى قدر إقامته - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - بمكة كما تقدَّم

(١) الإضافة عن فتح البارى ١ : ٤٧٨ .

في القصة ، وجمع الإمام البيهقي بين هذا الاختلاف بأن مَنْ قال تسع عشرة^(١) عدَّ يوم الدُّخُول والخُرُوج ، وَمَنْ قال سبع عشرة^(٢) حذفهما ، ومن قال ثمانى عشرة^(٣) عدَّ أحدهما . وأما رواية خمس^(٤) عشرة فضعفها النَّوَوِيُّ في الخُلَاصَة . قال الحافظ^(٥) : وليس بجيد لأنَّ رواها ثِقَات ، ولم ينفرد بها ابن إسحاق كما تقدم بيانه في القصة ، وإذا ثبت أنَّها صحيحة فَلَتُحْمَلْ على أن الراوى ظنَّ أنَّ الأصل سبع عشرة فحذف منها يومى الدُّخُول والخُرُوج ، فذكر أنَّها خمسة عشر ، واقتضى ذلك أن رواية تسع عشرة ، أرجح الروايات ، ويرجحها أيضاً أنَّها أكثر الروايات الصَّحيحة ، قال الحافظ^(٦) : وحديث أنسٍ لا يعارض حديث ابن عبَّاس أى السَّابِق في آخر القصة ؛ لأنَّ حديث ابن عبَّاس في الفتح وحديث أنسٍ كان في حَجَّةِ الوداع ، وبسط الكلام على بيان ذلك ، وقال في موضع آخر : الذى أعتقده أنَّ حديث أنسٍ إنّما هو في حَجَّةِ الوداع فإنها هي السفرة الَّتِي أقام فيها بمكَّة عشرة أيام ؛ لأنَّه دخل اليوم الرَّابِع وخرج اليوم الرَّابِع عشر ، ثُمَّ قال الحافظ : ولعلَّ البخارى أدخله في هذا الباب إشارةً إلى ما ذكَّرتُ ، ولم يفصح بذلك تشحيذاً للأذهان ، ووقع في رواية الإسماعيلي : فأقام بها عشراً يقصرُ الصَّلَاةَ حتَّى رجع إلى المدينة ، وكذا هو في باب قَصْرِ الصَّلَاة عند البخارى ، وهو يُؤيِّد ما ذكرته ؛ فإنَّ مدَّة إقامتهم / في سَفَرَةٍ ٢٦٢ ط الفتح حتَّى رجعوا إلى المدينة أكثر من ثمانين يوماً .

الثانى والعشرون : في بيان غريب ما سبق .

الأُطْنَاب : جمع طُنْب - بضم الطاء المهملة والنون حَبْل الخِباء - بكسر الخاء المعجمة أى الخيمة .

(١) هي رواية البخارى من طريق عاصم عن عكرمة عن ابن عباس . (شرح المواهب ٢ : ٣٤٧) .

(٢) هي رواية أبى داود . (المرجع السابق)

(٣) هي رواية الترمذى ورواية أبى داود من حديث عمران بن حصين (المرجع السابق) .

(٤) هي رواية أبى داود من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن عبد الله بن عباس .

(المرجع السابق ٢ : ٣٤٦)

(٥ ، ٦) انظر فتح البارى ٧ : ١٧ وكذلك ارشاد السارى ٦ ، ٣٩٧ .

الجَوَزاء - بفتح الجيم وسكون الواو ، وبالألف واللام : نجم يُقالُ إنها تَترُضُ في جَوَزِ السماء ، أى وسطها .

الأفواج والأفوايج - جمع فَوْج : الجماعة من الناس .
الابتهاجُ : السرور .

خُزَاعَة - بضم الخاء المعجمة وتخفيف الزاى وعين مهملة .

الدُّنل - بكسر الدال المهملة ، وسكون الهمزة^(١) وتسهيل .

رَزَن - براء تفتح وتكسر - كما ذكره صاحب المحكم والباهر - فزاي ساكنة ، وتفتح ، كما فى الإملاء ، فنون .

ذَوَيْب : تصغيرُ ذنب .

سَلَمَى - بفتح السين المهملة .

كُلْثُوم - بضم الكاف ، وسكون اللام ، وبالألف واللام .

أَنصَابُ الحَرَم - بالتون ، والصاد المهملة : حجارةٌ تُجعلُ علامات بينَ الحِلِّ والحَرَم .

مَنْخَرُ بنى كنانة - بنون ، فحاء معجمة ، فراء : أى المتقدمون منهم : لأن الأنف هو المتقدم من الوجه .

كِنانَة - بكسر الكاف .

يُودُونَ - بضمُّ التَّحْتِيَّةِ ، وبالمهملة : من الدِّيَةِ .

بُنُو بَكْر - بفتح الموحدة ، وسكون الكاف .

حَجَزَ الإسلامُ : منع .

(١) قال الزرقانى : ففى قول الشافى كسر الدال وسكون الهمزة وتسهيل نظر لأن الذين قالوا بكسر الدال إنما قالوا : بعدما تحته لاهمة ، والذين قالوا همزة إنما قالوا بكسرها والدال مضومة . وانظر شرح المواهب ٢ : ٢٨٩ .

(٢) فى متن الخبر ص ٣٠٤ « فحجز بالإسلام » .

الحُدَيْبِيَّة : تقدّم الكلام عليها في غزوتها .

الحُفَاء : جمع حليف ، وهو المُخَالف على النصرة .

السَّرَوَات - بفتحات : جمع السَّراة ، كذلك جمع سري - وهو الرئيس .

ما أشرق : أى مدّة إشراقه .

ثَبِير - بشاء مثلثة ، فموحدة ، فتحتية ، وزن عظيم : جبل بمكة .

جِرَاء - بكسر الحاء المهملة : تقدّم الكلام عليه في المبعث .

السَّرْمَد : الدائم .

الجِلْفُ - بكسر الحاء المهملة ، وسكون اللّام ، والمخالفة : المؤامرة والمناصرة بالحلف على ذلك .

شرح غريب فكر نقض قریش المهد

قوله : «بَنَى نُفَاثَةً» : بنون مضمومة ، ففاء مخففة ، فالف ، فشاء مثلثة .

النَّارُ - بالثاء المثلثة : طلبُ دم القَتيل .

نَاشَلُوهُمْ بِأَرْحَامِهِمْ : ذَكَرُوهُمْ وَسَلَّوْهُمْ بِهَا .

الْكِرَاع - بضم الكاف ، وبالراء ، والعين المهملة : جماعة الخيل خاصّة .

الْوَتِير : بفتح الواو ، وكسر الفوقية ، وسكون التّحتية ، وآخره راء : اسمُ موضع أو ماء في ديار خَزَاعَة .

حُوَيْطِب - بضم الحاء المهملة ، وفتح الواو ، وسكون التّحتية ، وكسر الطاء المهملة ، وبالموحدة .

مِكْرَز - بكسر الميم ، وحكى ابنُ الأثير فتحها ، وسكون الكاف ، وكسر الراء وآخره زاي .

أَجْلِبُوا : أَسْتَعَانُوا .

بَيْتُوهُمْ : قَصَدُوهُمْ لَيْلًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمُوا فَأَخَذُوهُمْ بَغْتَةً .

إِهْلَكَ إِهْلَكَ - بِنَصْبِهِمَا بِفَعْلٍ مَحْذُوفٍ ؛ أَيْ اتَّقِ .

عَمَايَةَ الصَّبْحِ : بَقِيَّةُ ظِلْمَةِ اللَّيْلِ .

شرح غريب ذكر اعلامه - صلى الله عليه وسلم - بما حصل لخزاعة (١)

أُتْرَى - بَفَتْحِ أَوَّلِهِ ، وَضَمِّ ثَانِيهِ : أَيْ أَتَظُنُّ .

تَجْتَرَى عَلَيْهِ : تَسْرِعُ بِالْهَجُومِ عَلَيْهِ / مِنْ غَيْرِ تَرَوُ .

٢٦٢ و

خَيْرٌ : خَيْرٌ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ ؛ أَيْ هُوَ خَيْرٌ .

الْمُتَوَضِّعُ - بِمِيمٍ مَضْمُومَةٍ ، فَمَثْنَاءُ فَوْقِيَّةٍ ، فَهَمْزَةٌ فُضَّادٌ مَعْجَمَةٌ مَفْتُوحَاتٌ : مَكَانُ

الْوَضُوءِ .

لَبَّيْكَ : يَأْتِي الْكَلَامَ عَلَيْهِ مَبْسُوطًا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ .

الرَّاجِزُ : قَائِلُ الرَّجْزِ ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الشَّعْرِ .

بَنُو كَعْبِ بْنِ عَمْرِ : بَطْنٌ مِنْ خِزَاعَةٍ .

اسْتَصْرَخْنِي (٢) : اسْتَعَاثْنِي .

وَاثِلٌ - بِكَسْرِ التَّحْتِيَّةِ .

شرح غريب ذكر قدوم عمرو بن سالم

ظَاهَرَتْ : عَاوَنْتْ .

بَيْنَ ظَهْرِي النَّاسِ : أَيْ بَيْنَهُمْ .

عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ : يَجُوزُ فِي عَمْرِو الضَّمِّ ، وَفِي ابْنِ الْفَتْحِ ، وَيَجُوزُ فَتْحُهُمَا وَضَمُّهُمَا .

(١) العنوان في ص ٢ : ٢٢٥ « إطلاعه صلى الله عليه وسلم بما حصل لخزاعة » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) في المخطوطات « يستصرخني ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

نَاشِدٌ : طَالِبٌ وَمُذَكِّرٌ .

الْأَتْلَدَا - بفتح أوله ، وسكون الفوقيه ، وفتح اللام وبالدال المهملة : التقديم .
وُلْدًا - بضم الواو ، وسكون اللام : أى وَلَدًا وذلك أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة ،
وكذلك أم فَصَى .

ثُمْتُ : حرف عطف ، أدخل عليه تاء التانيث .

أَسْلَمْنَا - قال السهيلي : من السَّلَم ، لأنهم لم يكونوا أسلموا بعد ، وقال غيره :
إنه قال : رُكْعًا وَسُجْدًا فدلَّ على أنه كان فيهم من صَلَّى فَقُتِلَ ، وقال غيره : إنَّ قوله
بعد « وَقَتَّلُونَا رُكْعًا وَسُجْدًا » ينافية إلاَّ أن يُحْمَلَ ذلك على المجاز ، وقال بعضهم :
مراده بقوله : « رُكْعًا وَسُجْدًا » أنهم حلفاء الذين يركعون ويسجدون ، قال الحافظ
في الإصابة : ولا يخفى بعده .

لَسْتُ - بفتح الفوقية على الخطاب ، وبالضَّم ، ووجهه ظاهر .

بَيْتُونَا : أَخَذُونَا بَيَاتًا ؛ أى ليلًا ونحن غافلون .

هُجْدًا - بضم الهاء ، وتشديد الجيم المفتوحة : جمع هاجد ، وهو النَّائِم هنا .

كَدَاءٌ - بفتح الكاف وبالد : الشنية التى بأعلى مكة .

الرَّصَدُ : الطالبُ المراقب .

عَتِدًا^(١) - بعين مهملة مفتوحة ، ففوقية مكسورة ، فدال مهملة : والعتيد الشيء الحاضر المهيأ ،
ويحتمل أن يكون من القوة ، ويروى نصرًا أبدًا من التأييد .

تَجَرَّدًا - من رواه بحاءٍ مهملة أراد : غضب ، ومن رواه بالجيم أراد شمرًا ونهيًا

لحربهم .

(١) العتد والعتيد : يقال شيء عتيد : معد حاضر . وفرس عتد وعتد بفتح التاء وكسرهما : شديد تام الخلق سريع الوثبة
معد للجري ليس فيه اضطراب ولا رخاوة وقيل هو العتيد الحاضر المعد للركوب . (اللسان)

ميم - بكسر السين المهملة ، وسكون التَّحتية ، وبالميم ، وبالباء للمفعول .

خَسَفًا - بفتح الخاء المعجمة ، وضمها ، وسكون السين المهملة ، وبالفاء : يقال سمته خَسَفًا إِذَا أُولِيته ذُلًّا ، ويقال كلفته مشقة .

تَرَبَّدًا - بفوقية - مفتوحة ، فراء فموحدة - يقال اَرَبَدَّ وَجْهُهُ : أى تَغَيَّرَ إِلَى الغُبْرَةِ .

الفَيْلَقِي - بفاء مفتوحة ، فتحتية ساكنة ، فلام مفتوحة ، فقاف : العسكر الكثير .

مُزَبَّدًا^(١) - بيم مضمومة ، فزاي ساكنة ، فموحدة مفتوحة ، فمهملة .

الْقَرَم - بفتح القاف : السَّيِّد ، وأصله الفَحْل من الإبل الذى أقرم ؛ أى تَرَكَ من الرُّكُوب والعَمَلِ وَوَدَّعَ^(٢) للفحلة .

الأَصْبَدَ : الذى يرفع رأسه كثيراً ، ومنه قيل للملك أَصْبَدَ ، وأصله البعير يكونُ به داء فى رأسه يرفعه ، وقيل إِنَّمَا قيل للملك أَصْبَدَ ؛ لأنه لا يلتفتُ يميناً وشمالاً .

مَابَرَحَ : ما زال .

عنانة : واحدة العنان - بفتح العين المهملة ، ونونين بينهما ألف ، وهو السَّحَاب . تستهل : [تبشر]^(٣) .

بُدَيْل - بضمُّ الموحدة ، وفتح الدال ، وسكون التَّحتية ، وبالألف .

مرّ - بفتح الميم ، وتشديد الراء .

الظَّهْرَان - بفتح الظاء المعجمة المشالة ، وسكون الهاء ، بلفظِ تثنية ظهر ؛ اسم أَضْيَفَ إليه مرّ : اسم مكان قرب مكة .

(١) (السان) .

(١) المزبد : يقال بحر مزبد أى مائج بالزبد .

(٢) أى يعلق له الودع ، وانظر ماسبق

(٣) يياض بالأصول المثبت يقتضيه السياق .

شرح غريب نكر ما قيل — ان رسول الله —
صلى الله عليه وسلم — لما بلغه خبر خزاعة

تَهْمَتُكُمْ : مَنْ تَتَّهِمُونَهُ .

ظَنَنْتُكُمْ : مَنْ تَظُنُّونَ ، وهو بمعنى ما قبله .

قُضِرَ - بضم القاف ، وسكون الصاد المهملة : أى خاصة .

تَنَبَّدَ إِلَيْهِ عَلَى سَوَاءٍ : نطرحُ عهدَه وننقضه .

الْأَنْدِيَّةُ : جمعُ نادٍ وهو متحدثُ القوم .

قَرَطَ - بفتح القاف ، والراء ، والطاء المعجمة المشالة .

فِيهِمْ غُرَامٌ - بضم العين المهملة : الشِدَّةُ والقُوَّةُ والشَّرَاسَةُ ؛ يقالُ رجلٌ عارمٌ خَبِيثٌ

شَرِيرٌ .

السَّبْدُ - بسين ، فموحدة مفتوحتين ، فدالٌ مهملة : الشعر .

اللَّبْدُ - بفتح اللام والموحدة : أى الصُّوف ، أى ما يبقى لنا شيء .

شرح غريب ذكر اخبار رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بان ابا سفيان
سيقدم

قوله : الهُدْنَةُ : الصلح .

يَرُوْعُكُمْ : يفرعكم .

الحَجُّونَ - بحاء مفتوحة مهملة ، فجيم : العِجْلُ المُشْرِفُ على مقبرة مكة .

الْحَنْدَلَمَةُ - بفتح الحاء المعجمة ، وسكون النون ، وفتح الدال المهملة : جبل بمكة .

مَلِيًّا^(١) : زماناً .

تَحَرَّجُوا : وقعوا فى الحرج ، وهو الضيق ، وفى لفظٍ : رَهَبُوا - بكسر الهاء ، خافوا .

(اللسان)

(١) مليا : أى مدة العيش أو الزمان الطويل .

عُشْفَان : بعين مضمومة ، فسين ساكنة ، مهملتين ، ففاء ونون .

تُمُور : جمع تَمْر .

تِهَامَة - بالكسر .

قايِلهم : اسم فاعل من قال ، قَيْلا ومَقَيْلا ، وقِيلولة : نام القَائِلَة ، وهى الظهيرة .

انثمرت قريش : أمر بعضهم بعضاً .

أُم حَبِيبَة : زوج النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تأتى فى تراجع الأزواج - رضى الله عنهن .

مُشْرِكٌ نجس : أى نجس الاعتقاد ، لَا أَنَّهُ نجس العَيْن .

الذَّرُّ : النمل الصَّغَار ، وليس قول عمر : فوالله لو لم أجد إلاَّ الذَّرَّ لقاتلتكم عليه^(١) بكذب وإن كان الذَّرُّ لا يقاتل به لَّأنه جَرَى فى كلامهم كالمثل .

أَخْلَقَهُ اللهُ - بالقاف : أبلاه ومُحَقَّه .

الْمُتَيْنُ : القَوَى .

أَمَسَّ القوم بى رَحِمًا : أقربهم رحماً .

البحيرة : من أسماء المدينة ؛ تقدم بيانه فيها .

وَيَنْحُ : كلمة تَرَحُّمٌ وتَوَجَّعٌ ، تُقَالُ لمن وقع فى هلكة لا يستحقها ، وقد يقال بمعنى التَّعَجُّبِ والمَدْحِ ، وهو منصوبٌ على المصدر .

أَجَزَ بين الناس - بفتح الهمزة ، وكسر الجيم ، وسكون الرَّاء : من الإجارة .

يَدِبُّ بكسر الدال المهملة ، وتشديد الموحدة : يمشى على هينة .

أَوْ تَرَى - بتحريك الواو على الاستفهام ، ويجوزُ فتحُ الفوقية وضمها .

(١) كذا فى الأصول وهى فى سياق المتن ص « فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به » .

يَخْفِرُنِي - بالخاء المُعْجَمَة ، والفاء : يَنْقُضُ عَهْدِي .

النَجِج : الفوز بالمطلوب .

إِسَاف - بكسر الهمزة ونائلة : أَيْ أَسَاءَ صَنَمَيْن .

أَبْي : أَيْ ائْتَنَعَ .

أَذْنَى الْعَدُو : أَقْرَبُ أَعْدَائِنَا عداوة .

لَعَمْرُ اللَّهِ - بفتح اللام والعين ، وضمُّ الرَّاءِ : بقاء الله تعالى .

الحُجْر : جمع حُجْرَة وهى البيت .

شرح غريب نكر جهاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكتاب حاطب

الجِهَاز - بفتح الجيم وكسرها .

بَغْتَةً : فجأة ؛ تقولُ بَغْتَةً الأَمْرُ ، وَفَجَأَهُ إِذَا جَاءَهُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ .

الْأَنْقَابُ - جمع نقب : الطريق .

مسلمة : سالمة لا خرسَ فيها .

المَحْجَّة : الطَّرِيقُ المُسْلُوك .

الفلوق - كذا ذكره محمد بن عمر ولم أرَ له ذكرا فى مختصر معجم البلدان ، ولا فى

النهاية ، والصحاح^(١) ، وتاريخ المدينة ، ومعجم البكرى .

العقيق : واد من أودية المدينة .

أَبُو مَرْثَد - بفتح الميم ، والثاء المثلثة ، وسكون الرَّاءِ بينهما .

(١) الفلوق : هكذا قال المصنف ولكن ورد فى الصحاح ص ١٥٤٤ « والفلوق جمع فلق وهو الشق ، يقال مررت بحرة فيها فلوق أى شقوق » والمعنى يوافق السياق وفى اللسان وقال أبو حنيفة قال أبو خيرة أو غيره من الأعراب الفالقة بالهاء تكون وسط الجبال تنبت الشجر وتنزل ويبى فيها المال فى الليلة القرة فجعل الفالق من جلد الأرض وفى حديث الدجال فأشرق على فلق من أفلاق الحرة - الفلق بالتحريك المطمئن من الأرض بين ربوتين .
ويؤيده ما جاء فى المغازى للواقى ٢ : ٧٩٩ .

رَوْضَةُ خَاخ - بخاخين مُعْجَمَتَيْنِ بينهما ألف : على بريد من المدينة ، وصحفه أبو عوانة كما في الصحيح فقال : حاج بحاء مهملة وجيم ، ووهم في ذلك .

الظَّعِينَةُ : الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن ، والجمعُ الظُّعُنُ بضمّتين وتسكن [العين]^(١) وظعائن . والظعينة : المرأة ما دامت في الهودج ، وكل بعير يُوطَأُ للنساء ظعينة ، وقال في النهاية : الظعينةُ المرأةُ في الهودج ، ثم قيل للمرأة بلا هودج وللهودج بلا امرأة .

الخَلِيقَةُ - بالقاف كسفينة : منزلٌ على أنثى عشر ميلاً من المدينة .

بطن رِثْم - بكسر الراء ، وسكون التَّحْتِية ، بالهمز وتركه : واد بالمدينة .

الجدّ - بكسر الجيم ، وتشديد الدال المهملة : ضد الهزل .

قُرُونُ رَأْسِهَا : صفائر شعر رأسها ، وفي روايةٍ عِقَاصِهَا - بكسر العين المهملة ، وبالقاف والصاد المهملة المكسورة : وهو الخيطُ الَّذِي يعتقَصُ به أطراف اللُّوَانِبِ ، والشَّعْرُ المَضْفُورُ ، وفي روايةٍ : أخرجه من حُجَزَتِهَا - بضمّ الحاء المهملة ، وسكون الجيم ، وفتح الزاي : وهو معقد الإزار ، قال في النور : وأيضاً إن الكتاب كان في صَفَائِرِهَا وجعلت الصفائر في حُجَزَتِهَا .

المُلَصَّق - بضم الميم وفتح الصاد المهملة : الرَّجُلُ المقيم في الحَيِّ والحليف لهم .
اغرورَقت عيناه : أمتلأتَا دموعاً .

شرح غريب شعر حسان

قوله عناني [أهنئي]^(١)

بطحاء مكة : ما بين الأخشبيين .

تَحَزَّرَ رِقَابَهَا - بضم الفوقية وفتح الحاء المهملة ، وبالزاي .

لم تُجَنِّ - بالجيم والنون / والبناء للمفعول : أى لم تُسْتَر ، يريد أنهم قُتِلُوا ولم يُدْفَنُوا . ٢٦٤ ظ

(١) يياض بالأصول والمثبت يقتضيه السياق لأن المصنف يمرض اللفظ ثم يعقبه بضبطه أو يشرح معناه .

ألا : حرف تنبيه واستفتاح .

ليت شعري : ليتنى أعلم . أو ليتَ عِلْمى ، هل يكونَ كذا .

حَرَها - بحاء مهملة مفتوحة فراء جمع للحرّة بفتح الحاء : وهى الأرض ذات حجارة سود نخرة كالحرار ، والحرّات ، والحرّين والأحرّين .

وعِقَابُها - بعين مهملة مكسورة فقاء فالف فموحدة : جمع عَقَبَة ؛ وهى مرقى صعبة من الجبال .

ابن أمّ مجالد : عِكْرَمَةُ بنُ أبى جهل .

أُخْتُلَيْتَ - بسكون الحاء المهملة ، وَضَمُّ الفوقية ، وكسر اللّام .

الصُّرْف - بكسر الصّاد المهملة : اللبن الخالص هنا .

أَغْصَلَ - بعين مهملة فصاد مهملة مفتوحة فلام : أعوج ، والعَصَل اعوجاج الأسنان .

النَّاب - بنون ، فالف فموحدة : السِّنُّ خلفُ الرباعية ، مؤنث .

أبو رُفْم - بضمّ الراء ، وسكون الهاء .

كُلْثُوم - بضمّ الكاف ، وسكون اللّام .

حُصَيْن - بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين فى كل الأسماء إلا حُصَيْن بن المنذر

ابن سنان فإنه بالصاد المعجمة ، وهو فرد ، والكنى بفتح الحاء وكسر الصاد .

شرح غريب فكر خروجه - صلى الله عليه وسلم - من المدينة

قوله - فما حل عقدة [أى ما استراح ^(١)]

الصلُّل - بصادين مهملتين - مضمومتين ، وسكون اللّام الأولى بينهما : جبل

معروف فى أثناء البيداء ، وهو الشرف الذى قُدّام ذى الحُلَيْفة .

(١) يياض بالأصول والمثبت عن شرح المواهب ٢ : ٣٠٠ .

يستهل بنَصْر بنى كعب : قبيلة .

العَرَج - بفتح العين ، وسكون الراء المهملتين ، وبالجيم : قرية جامعة قريب مكة على نحو ثلاث [مراحل]^(١) من المدينة بطريق مكة .

الطَّلُوب - بفتح الطاء المهملة : اسم ماء .

تَهْرُ : هريز الكلبِ صوته ، وهو دونَ النَّبَاحِ .

الجَرِيدَةُ : جماعة من الخيل جردت من سائرها^(٢) .

العَيْنُ : الجاسوس .

قُدَيْدٌ - بلفظ التَّصْغِير : قرية جامعة قريب مكة .

وَكَزَهم - بفتح الواو ، وسكون الكاف وبالزاي : طعنهم .

الحُجْفَةُ - بضم الجيم - وسكون الحاء المهملة : قرية كبيرة على خَمْسِ مراحل وثلاث مرحلة من المدينة .

* * *

شرح غريب ذكر فطره - صلى الله عليه وسلم - وأمره به

الكَدِيد - بفتح الكاف ، وكسر الدال المهملة الأولى ، بعدها تحتية فдал مهمة : موضع بين مكة والمدينة بين منزلي أمج وعُسقَان ، وهو اسم ماء ، وهو أقربُ إلى مكة من عُسقَان .

عُسقَان - بضم العين ، وسكون السين المهملتين ، وبفاء ونون ، قرية جامعة على ثلاث مراحل من مكة .

أَمَج بفتح الهزة والميم وبالجيم المخففة : اسم وادٍ .

كُرَاع الغَديم - بضم الكاف [من كراع] وفتح الغين المعجمة [من الغميم] موضع بين رابغ والجُحفة يضاف إليه كُرَاع : وهو جبل أسود بطرف الحرّة .

(١) الإضافة عن المرجع السابق .

(٢) ويقال الجريدة جماعة من الفرسان خرجت مخفة متجردة من أثقالها . ويقال هي التي لا رجالة فيها . (التاج) .

عزيمة : أمرٌ واجبٌ حقٌ .

شرح غريب ذكر نزوله — صلى الله عليه وسلم — بمر الظهران

عَمِيَّتَ الْأَخْبَارَ — بفتح العين وكسر الميم ، ويجوز ضم العين وكسر الميم المشددة / . ٢٦٥ و
يتحسب الأخبار : يتعرفها .

الْأَرَكَ — بفتح الهمزة : شجر معروف .

خَمَشَتْهَا — الحرب — بالخاء المعجمة ، والجيم ، والشين المعجمتين المفتوحات : أحرقَتْها
وهيَّجَتْها ، ومن رَوَاهُ بِالْحَاءِ ، وَالسَّيْنُ الْمَهْمَلَتَيْنِ ، فمعناه : اشتدَّتْ عليها ، من الحماسة
وهي الشدة والشجاعة .

شرح غريب ذكر منام أبى بكر — رضى الله عنه

تَشْخُبُ : تدر وتسيل .

كَلْبُهُمْ — بفتح الكاف واللام : شِدَّتُهُمْ .

دَرُهُمْ — بفتح الدال المهملة : لَبَنُهُمْ .

شرح غريب ذكر اعلام — صلى الله عليه وسلم — بان ابا سفيان فى الاراك
وارادة ابى سفيان الانصراف

خَطَّمُ الْجَبَلِ — بفتح الخاء المعجمة ، وسكون الطاء المهملة ، والعقبة ، شئٌ يخرجُ منه
ويَضِيقُ معه الطريق ، وفي روايةٍ فى الصَّحِيحِ : حَطَمَ — بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ — الْخَيْلَ — بِالْخَاءِ
المعجمة والتحتية : وهو موضعٌ ضيقٌ تتزاحمُ الخيلُ فيه حتى يحطم بعضهم بعضا .

وَأَصْبَحَ قُرَيْشٌ : منادى مستغاث : يقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه

الْعَنُودُ — بفتح العين المهملة أخذُ الشئِ قَهْرًا .

الشهباء : البيضاء .

حَطَّاباً بِحَاءٍ فِطَاءٍ مُشَدَّدَةٍ مُهْمَلَتَيْنِ .

يَشْتَدُّ : يَعدُو .

أَفْتَحَمْتُ : رَمَيْتُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ .

أَجَرْتُهُ - بِالرَّاءِ : أَمَنْتُهُ ، فَهُوَ فِي أَمَانِي .

لَا يُنَاجِيهِ : لَا يُسَارُهُ .

مَهْلًا : يُقَالُ لِلْمَفْرَدِ وَالْمَثْنَى وَالْجَمْعِ ، يَعْنِي أَمَهْل .

أَرْحَمَهَا : أَتْرَكَهَا .

أَلَمْ يَأْنِ : يَقْرُبُ .

الْأَوْبَاشُ مِنَ النَّاسِ : الْأَخْلَاطُ .

الرَّحْلُ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ : الْمَنْزِلُ وَالْمَأْوَى .

أَفْرَخَ لِرَوْعَتِي بِالْفَاءِ وَالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ : أَذْهَبَ لَخَوْفِي .

أَرَبَأُ بِهِمْ عَنِ الشُّرْكِ : أَنْزَعَهُ مَقَامَهُمْ وَأَرْفَعَهُ عَنِ الْإِقَامَةِ عَلَى الشُّرْكِ .

* * *

شرح غريب فكر تعبئة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أصحابه
ومن أمر بقتله

أَرْحَلْتُ : أَعَدْتُ رَحْلَهَا .

الْأَدَاةُ : الْآلَةُ .

الْكَتَائِبُ : جَمْعُ كَتِيبَةٍ وَهِيَ الطَّائِفَةُ مِنَ الْجَيْشِ الْمُجْتَمِعَةِ .

الْقَادَاتُ : جَمْعُ قَائِدٍ : وَهُوَ أَمِيرُ الْجَيْشِ .

عَلَى أَثَرِهِ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ ، وَبِفَتْحِهِمَا .

أَفْنَاءُ الْعَرَبِ : جَمْعُ فِتْنٍ ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ مِمَّنْ هُوَ ^(١) .

(١) وَالْأَفْنَاءُ : أَى الْأَخْلَاطُ وَرَجُلٌ مِنْ أَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ أَى لَا يَدْرِي مِنْ أَى الْقَبَائِلِ هُوَ . وَقِيلَ إِنَّمَا يَقَالُ قَوْمٌ مِنْ أَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ وَلَا يَقَالُ رَجُلٌ وَلَيْسَ لِلْأَفْنَاءِ وَاحِدٌ ، وَيَقَالُ هُوَ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ مَنْ هُوَ . (اللسان)

الكتيبةُ الخضراءُ : سُمِّيَتْ بذلك لغلبةِ الحديدِ على أهلها ، شَبَّهَ السَّوَادُ بِالْخُضْرَةِ ،
والعربُ تطلقُ الخضرةَ على السَّوَادِ .

سَنَابِكُ الْخَيْلِ : طرفُ حوافرها .

الْحَدَقُ : الْعُيُونُ .

لُعْمَرٍ فِيهَا زَجَلٌ : صوتٌ رفيعٌ عالٌ .

يَزَعُهَا - بِالزَّأى ، يُقَالُ : وَزَعَهُ يَزَعُهُ وَزَعًا فَهُوَ وَازِعٌ : وَهُوَ الَّذِي يَكُفُّ النَّاسَ
وَيَحْمِلُ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ ^(١) .

رُوَيْدًا : إِسْمُ فَعْلٍ أَمْرٌ ، بِمَعْنَى أَمَهْلٍ .

اليومُ يومٌ : بَرَفَعِ الْيَوْمِينَ ، وَنَصَبِ الْأَوَّلَ وَرَفَعِ الثَّانِي .

الْمَلْحَمَةُ : الْحَرْبُ وَمَوْضِعُ الْقِتَالِ ، وَالْجَمْعُ / مَلَا حِمٌّ ، مَأْخُوذٌ مِنْ اشْتِبَاكِ النَّاسِ ٢٦٥ ط
وَأَخْتِلَاطِهِمْ فِيهَا كَاشْتِبَاكِ لُحْمَةِ الثَّوْبِ بِالسُّدَى ، وَقِيلَ هِيَ مِنَ اللَّحْمِ لِكَثْرَةِ لَحُومِ الْقَتْلِ
فِيهَا .

تُسْتَحَلُّ - بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ . الْحَرَمَةُ - بِالرَّفْعِ نَائِبُ الْفَاعِلِ .

حَبْدًا - بِحَاءٍ مَهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ ، فَمَوْحِدَةٍ ، فَذَالٌ مَعْجَمَةٌ ، :أَيُّ هُوَ حَبِيبٌ ، جَعَلَ
« حَبٌّ » وَ « ذَا » كَثْنِيٍّ وَاحِدٌ ، وَهُوَ اسْمٌ ، وَمَا بَعْدَهُ مَرْفُوعٌ بِهِ ، وَلَزِمَ « ذَا » « حَبٌّ » .
الْدِّمَارُ - بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ الْمَكْسُورَةِ ، وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ ، وَبِالرَّاءِ : الْهَلَاكُ أَوْ حِينَ الْغَضَبِ
لِلْحَرِيمِ وَالْأَهْلِ ، يَعْنِي الْإِنْتِصَارَ لِمَنْ بِمَكَّةَ ، قَالَهُ غَلْبَةً وَمَحْجُزًا ، وَقِيلَ : أَرَادَ حَبْدًا
يَوْمٌ يَلْزِمُكَ فِيهِ حِفْظِي وَحِمَايَتِي مِنَ الْمَكْرُودِ .

الْقَضَوَاءُ - كَحَمَرَاءِ

(١) والوازع في الحرب الموكل بالصفوف ، يزع من تقدم منهم بغير إذنه . وفي الحديث إن إبليس رأى جبريل عليه السلام يوم بدر يزع الملائكة أي يرتبهم ويصفهم للحرب ، والوازع الحابس للعسكر الموكل بالصفوف يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر والجمع وزعة ووزاع (السان) .

أَنشُدْكَ اللهُ - بفتح الهمزة ، وضمَّ الشين المعجمة - سَأَلْتُكَ وَأَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِهِ .
كذب سعد : أَخْطَأَ .

المرحمة : الرقة والتَّعَطُّف .

صَوْلَةٌ - بفتح الصَّادِ المهملة ، وسكون الواو : أى حملة .

شرح غريب شعر ضرار بن الخطاب - رضى الله عنه

لجأً إليه بالهمز وتركه للوزن .

لأت حين لجاء : أى ليس الوقت وقت لجاء .

سعة الأرض - بفتح السَّين .

حلقتا : تثنية حلقة .

البطان - بكسر الموحدة - للقتب : الجِزَامُ الَّذِى يُجْعَلُ تَحْتَ بَطْنِ البعير ، يقال

الْتَقَتْ حَلَقَتَا البطان للأمر إِذَا أَشْتَدَّ .

نُودُوا - بالبناء للمفعول .

الصَّيْلَم - بصادٍ مهملةٍ مفتوحة ، فتحية ساكنة ، فلام مفتوحة : الدَّاهِيَةُ .

الصَّلْعَاء - بصادٍ مهملةٍ مفتوحة ، فلام ساكنة ، فعين مهملة ممدودة ، قال فى التور :

كَأَنَّهُ عَطَفَ الصَّلْعَاءُ عَلَى الصَّيْلَم ، وحذف حرف العطف للنَّظْم ، وهو جائزٌ فى غير
النَّظْم أيضاً .

قاصِمةُ الظَّهر : كاستره .

الحَجَّون - بفتح الحاء المهملة ، وضمَّ الجيم المخففة : الجبل المشرف على مقبرة

مكة .

البَطْحَاء : الأبطح .

النَّسْر - بفتح النون : النجم المعروف ، وهما نَسْران ؛ النَّسْرُ الطَّائر ، والنَّسْرُ الواقع
العواء - بعينٍ مهملةٍ مفتوحة ، فواو مشددة ، ويقالُ بالعدوة من منازل القمر ، وهى
خمسة أنجم يقال لها ورك الأسد ، ومن مدّها^(١) فهى عنده من عويت الشيء إذا لويت
طرفه .

وقال السَّهَيْلُ : والأصحُّ فى معناها أن العواء من العوة ؛ وهى الدَّبر ، وكأنَّهم أسموها
بذلك لأنها دبر الأسد من البروج .

وَعَرُّ الصُّدر - بفتح الواو وكسر الغين المعجمة ، وبالراء : إسم فاعل ، ، والوغة :
شدة توقد الحر .

لا يَهُم - بفتح التحتية وضم الهاء .

تَلْظَى : أصله تَتَلْظَى : تلهب .

جاءت : أَخْبَرَتْ .

هند : هى بنت عُتْبَة .

بالسَّوَةِ السَّوَاء ، بالخلة القبيحة .

ابن حرب : هو أبو سُفْيَان بن حرب .

أَقْعَمَ اللِّوَاء : الإقحام ؛ لإرسال فى عجلة .

يا حُمَاةَ الأَذْبَار : جمع دُبُر ، والمراد به هُنا الظَّهر .

ثَابَتٌ - بشاء مثناة وبعد الألف موحدة ففوقية ساكنة : أى رَجَعَتْ .

البُهِم - بضم الموحدة ، وفتح / الهاء ، قال أبو عبيدة البُهِمة بالضم : الفارس ٢٦٦ و
الَّذى لا يُنْزَى من أين يُؤْتى من شِدَّةِ بأسه ، والجمع بُهَم ، ويُقالُ أيضاً للجيش بُهِمة^(٢)

(١) هو قول القائل (شرح المواهب ٢ : ٣٠٧) .

(٢) وفى شرح المواهب ٢ : ٣٠٧ « ويقال لجيش بهم » وانظر تاج العروس ٨ : ٢٠٧ وأساس البلاغة ١ : ٧١ .

الهِجَاء - بالمد وتقصر : الحرب .

الفِقْعَةُ - بفاء مَكْسُورَةٍ ، فِقَاف ، فعين مهملة مفتوحة ، جمع فَقْع - بكسر الفاء وفتحها وسكون القاف ضربٌ من الكمأة ، وهى البيضاء الرُّخْوَة ، يشبه به الرجل الذليل يقال هو فَقْع بقرقر^(١) ؛ لأنَّ الدَّوَاب تنجله^(٢) بأرجلها .

الْفَاقُ : المكانُ الواسعُ المستوى فى وطاة من الأرض .

الإِمَاء : جمعُ أمة ؛ وهى خلافُ الحرَّة .

إِنْهَيْتُهُ : فعل أمر من نَهَى أَكَّد بالتَّوْن .

الْأَسَد - بضمُّ الهمزة وسكون المهملة جمع أسد بفتح الهمزة والمهملة .

لدى : بمعنى عند .

الْغَاب ، والغابات : جمعُ غابة ؛ وهى هُنا أَجَمَةُ الأسد .

وَالِغٌ - بالغين المعجمة : إسم فاعل من وَلَغَ فى الإِنَاء .

الْحِيَّةُ الصَّمَاء : التى لا تُسَمِع .

صَنُوْ أَبِيهِ ، الصَّنُوْ : المِثْلُ .

أَمَّا وَالله - بفتح الهمزة ، وتخفيف الميم .

ركبوا منه : [أى فعلوها معه]^(٣) .

لاضرمنها عليهم نارا : أشعلها عليهم .

أَسْتَبْطَنْتُمْ : يقال أَسْتَبْطَنَ الوادى وتَبَطَّنَه : دخل بطنه .

(١) القَرقر : الأرض المنخفضة . (التاج)

(٢) فى م تنقله والمثبت عن بقية النسخ ، والمعنى تضربه بمقدم أرجلها ، وقيل كثيره . (التاج)

(٣) بياض بمقدار كلمتين فى الأصول والمثبت يقتضيه السياق .

أَشْهَبَ بَازِل : أى رُمُوا بِأَمْرٍ صَغْبٍ شَدِيدٍ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ يُقَالُ يَوْمٌ أَشْهَبَ وَسَنَةٌ شَهْبَاءٌ ، وَجَيْشٌ أَشْهَبٌ : أى قَوًى شَدِيدٌ ، وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِي الشَّدَّةِ وَالْكَرَاهَةِ ، وَجَعَلَهُ بَازِلًا لِأَنَّهُ بَزُولُ الْبَعِيرِ نَهَابَتُهُ فِي الشَّدَّةِ وَالْقُوَّةِ .

النَّجَاءُ : السَّرْعَةُ ، يُقَالُ هُوَ يَنْجُو نَجَاءً إِذَا أَسْرَعَ .

قَبِيلٌ - بِكَسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ : أى طَاقَةٌ وَإِنَّمَا عَطَفَهَا عَلَيْهِ لِتَغَايِيرِ اللَّفْظِ .

قَاتَلَهُ اللَّهُ : أى قَتَلَهُ وَلَعَنَهُ ، أَوْ عَادَاهُ ، وَقَدْ تَرَدَّدَ بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ مِنَ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِهِمْ : تَرَبَّتْ يَدَاهُ ، وَلَا يَرَادُ بِهَا وَقُوعُ الشَّيْءِ .

الْحَمِيَّةُ - بَفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ ، وَكُسْرِ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ التُّحْتِيَّةِ ، وَبِالْفَوْقِيَّةِ - وَهِيَ فِي الْأَصْلِ الْمَتِينُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْمَرَادُ هُنَا : زَقَّ السَّمْنِ . [بِالسَّيْنِ وَالْمِيمِ] ^(١) ، مَتْنٌ بِالرَّبِّ وَلَا يُسْعَرُ عَلَيْهِ ، شَبَهَتْهُ بِنَحْيِ السَّمْنِ فِي لَوْنِهِ وَسَمْنِهِ .

الدُّسِيمُ - بِدَالٍ فَسَيْنٌ مَكْسُورَةٌ مَهْمَلَتَيْنِ : الْكَثِيرُ الْوَدَّكَ .

الْأَحْمَسُ ^(٢) : الشُّجَاعُ .

قُبْحٌ : الْقُبْحُ : ضِدُّ الْحُسْنِ ، وَقَدْ قُبْحَ قَبَاحَةٌ فَهُوَ قَبِيحٌ ، وَيُقَالُ قُبْحَهُ اللَّهُ ؛ أى نَحَاهُ عَنِ الْخَيْرِ ، فَيَجُوزُ فِي لَفْظِ الْكَثْرَةِ قُبْحٌ - بَفَتْحِ الْقَافِ ، وَضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ ، وَقُبْحٌ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ .

الطَّلِيْعَةُ : الَّذِي يَحْرُسُ الْقَوْمَ .

(١) يَبَاضُ فِي الْأَصُولِ بِمَقْدَارِ كَلِمَةٍ وَالْمَثْبُوتُ عَنِ التَّاجِ - ح م ت .

(٢) الْأَحْمَسُ : بِجَاهِ وَسَيْنٍ مَهْمَلَتَيْنِ ، قَالَ فِي الرُّوضِ : أى الَّذِي لِأَخِيرِ عِنْدِهِ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ عَامُ أَحْمَسٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ

مَطَرٌ . وَفِي النِّهَايَةِ الدُّسَمُ الْأَحْمَسُ أى الْأَسْوَدُ الدُّنَى (شرح المواب ٢ : ٣١٣) .

شرح غريب ذكر من أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقتله يوم الفتح
وشرح غريب ذكر دخوله - صلى الله عليه وسلم - مكة وأين نزل

الساعي هنا : الذى يأخذُ الزكاة ، وفى رواية مصدقاً - بفتح الصاد وتشديد الدال مع كسرهما ، ويجوزُ إسكانُ الصادِ مع كسر الدال المخففة .

القَيْنَة - بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة فنون فتاء تأنيث : الأمة غنت أو لم تغن ،
٢٦٦ ط والماشطة ، وكثيراً ما يطلق على المغنية من الإماء / .

المَغْفَر - بكسر الميم ، وسكون الغين المعجمة ، وفتح الفاء ، وبالراء : زردٌ ينسجُ
منه الدروع على قدر الرأس ، يلبسُ تحت القلنسوة .

ذو طُوًى - بثلاث الطاء المهملة ، والفتح أشهر : واد بمكة ، مقصورٌ مُنُونٌ ، وقد
يُمدّ ، يصرف ولا يصرف .

المُدَجِّج - بضم الميم ، وفتح الدال المُهملة والجيم الأولى المشددة .

شاك فى السلاح تدجج فى شكته وحذفى سلاحه .

القنأة : الرمح .

الأقواء : جمع فوه : وهو القم .

المَزَاد - بفتح الميم ، والمزائد جمع مزادة ، وهى شطرُ الراوية .

الخَنْدَمَة - بفتح الخاء المعجمة ، وسكون النون ، وفتح الدال المهملة ، فميم فتاء
تأنيث : اسم جبل بمكة .

الرعدة - بكسر الراء .

فرس عاير - بعين مهملة فتحتية : ذاهب .

معتجراً^(١) ؛ الاعتجار : التعمم بغير ذؤابة^(١) .

(١) وفى (ص) ومعتجراً بميم فتاء فوقية والاعتجار التعمم بغير ذؤابة « والمثبت عن بقية النسخ .

شقة برد : نَضْفُهُ .

حَبْرَة - بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة^(١) : ضربٌ من ثياب اليمن .

استشرفه النَّاسُ ، قال في الصَّحاح : استشرفتَ الشَّيْءَ : رفعتَ نظركَ لتَنظرَ إليه ، وبسَطْتَ كفَكَ فوق حاجبك كالَّذي يستظلُّ من الشَّمْسِ .

العُنُون - بضم العين المهملة والنون وبينهما ثاء مثلثة ساكنة : اللَّحِيَّة .

واسطة الرَّحْلِ : مقدمته .

تَمَعَج^(٢) : [تسير في كل اتجاه] .

ثَابِتٌ - بشاءً مثلثةً فالْف ، فموحدة ففوقية : رجعت .

عِمَامَة خَرْقَانِيَّة - بفتح الخاء المعجمة وضمُّها ، وسكون الراء ، وبالقفاف ، وكسر النُّون ، وتشديد التحتية ، قال في النُّهَيْة : كَأَنَّهُ لَوَاها ثُمَّ كَوَّرَهَا كما يفعلُه أَهلُ الرِّسَاتِقِ^(٣) ، ورُويت بالحاء المهملة .

المِرْطُ - بكسر الميم ، وسُكُونُ الرَّاء ، وبالطاء المهملة : كساءٌ من صوف ، أو خز ، أو كتان ، والجمع مُروط .

مُرْحَلٌ^(٤) - بضم الميم ، وفتح الراء والحاء المهملة المشددة : ضربٌ من بُرود اليمن ، عليه تصاوير رحل وما أَشْبَهَهُ ، وفي التكملة هو الموشى بالرحال ، كما أَنَّ المسَهْمُ الموشى تشبيهاً بالسَّهام .

تُشِير : ترفع .

(١) وفي النهاية ١ : ٣٢٨ ط الحلبي يقال برد حبير وبرد حبرة بوزن عنبة على الوصف والإضافة ، وهو برديمان ، والجمع حبر وحبرات .

(٢) في الأصول « تعج » والمثبت عما سبق ص ٣٤٢ وعن التاج واللسان . وما بعدها بياض بمقدار ثلاث كلمات والمثبت عن التاج واللسان .

(٣) الرساتق : جمع رستاق للسواد أو القرية وهو معرب (أقرب الموارد ، التاج) .

(٤) كذا في الأصول بالحاء المهملة ، وفي رواية ابن هشام مرجل بالجميم أى فيه صور رجال . (السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٥) .

النَّعْم : الغَبَار .

الْأَعْنَةُ : جمعُ عَنَان - بكسر العين وهو سير اللُّجَام .

مُسْرَجَاتٍ - بيمٍ مضمومة ، فسين مهملة فراء فجيم : مشدودٌ عليها السَّرَج^(١) .

الخُمَر - بضمَّ الخاء المعجمة ، وبالرَّاء : جمع خمار ، وهو ثوبٌ تُغَطَّى به المرأةُ رأسَهَا ، والخُمَرُ - بفتح الخاء المعجمة ، والميم : ما وارك من شجر .

مُجَنَّبَةُ الجيش - بيمٍ مضمومة فجيم مفتوحة : فنون مكسورة مشددة فموحدة فهاء : وهي التي تكون في الميمنة والميسرة وهما مُجَنَّبَتَان ، وقيل : هي الكتيبة تأخذُ إحدى ناحيتي الطريق ، والأوَّلُ أصح .

سَلِيم - بضمَّ السَّيْنِ المهملة .

غِفَار - بكسر الغين المعجمة .

مُزَيَّنَةٌ - بضمَّ الميم ، وفتح الزَّاي ، وسكون التَّحتية ، وبالثُّنُون .

اللَّبِيط - بكسر اللَّامِ الثَّانية ، وسكون التَّحتية ، وآخره طاء مهملة .

٢٦٧ و الحُسْر - بضمَّ الحاء ، وفتح السَّيْنِ المشددة المهملتين وآخره راء : وهم / الذين لَا دِرْعَ عليهم .

الْبَيَازَقَةُ بفتح الموحدة ، وتخفيف التَّحتية ، وبعد الألف ذال معجمة ، فقفاف ، فتاء تأنيث : وفُسْرٌ بِالرَّجَالَةِ ، وهي لَفْظَةٌ فارسيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ .

أقبل بالصَّفِّ من المسلمين^(٢)

يَنْصَبُ - بفتح التَّحتية ، وسكُونُ الثُّنُونِ ، وفتح الصَّادِ المهملة ، وتشديد الموحدة .

عَنَوَةٌ : يقالُ عَنَا عَنوة : أخذ الشيءَ قهراً وصلحاً ، والمرادُ هنا الأوَّل .

(١) في ص ٢ : ٢٢٨ عليها سرجها ، والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) بياض بمقدار كلمة في ت ، ط ، م ولعلها الجيش .

ضَوَى إِلِيهِ : آوَى إِلِيهِ وانضم .

هَذِيل - بضمّ الهاء ، وفتح الدال المعجمة ، وسكون التّحتية ، وباللّام .

الدليل - بكسر الدال المهملة ، وسكون التّحتية .

فَمَالِي عِلَّة^(١)

وَأَلَّة - بفتح الهمزة ، وتشديد اللّام المفتوحة ، فتاء تأنيث : الحَرْبَةُ الَّتِي فِي نَصْلِهَا عَرَض ، وَجَمَعَهَا أَلَّ - بفتح الهمزة ، وتشديد اللّام ، والأَلَّ^(٢) كجفنة وجفان .

ذُو غِرَارَيْنِ بَغِينِ مَعْجَمَةٍ مَكْسُورَةٍ ، وَرَاعَيْنِ بَيْنَهُمَا أَلْف : شَفَرَتَا السَّيْفِ وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ حَدٌّ فَحَدُّهُ غِرَارُهُ ، وَالْجَمْعُ أَغْرَةٌ .

السَّلَّةُ - بكسر السين المهملة ، وتشديد اللّام المفتوحة فتاء تأنيث : الْحَالَةُ مِنَ السَّيْفِ وَمَنْ أَرَادَ الْمَصْدَرَ فَتَح . قَالَ فِي الصَّحَاح : أَتَيْنَاهُمْ عِنْدَ السَّلَّةِ ؛ أَيْ عِنْدَ إِسْلَالِ السُّيُوفِ .

الْحَزْرُورَةُ : بِحَاءِ مَهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ فَزَاي سَاكِنَةٌ فَوَاوُ مَفْتُوحَةٌ فَرَاء : كَانَتْ سَوْقًا بِمَكَّةَ وَأَدْخَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ لَمَّا زِيدَ فِيهِ .

لُجَّةُ الْبَحْرِ - بضمّ اللّام وتشديد الجيم : مَعْظَمُهُ ، وَمِنْهُ بَحْرُ لُجِّيٍّ ، وَاسِعُ اللَّجَّةِ .

نَالَ^(٣)

الْفَارِسِيَّةُ^(٤)

(١) بياض بمقدار كلمتين في ت ، ط ، م ولعل المراد « بكسر العين وفتح اللام المشددة أوفال سبب أتعلل به » .
(٢) وفي التاج « والأل جمع آلة يحذف آخره للحربة العريضة النصل ، سميت بذلك لبريقها ولعانها .. وفروق بعضهم بين الألة والحربة فقال الألة كلها حديد والحربة بعضها خشب وبعضها حديد . والإلال ككتاب جمع آلة كجفنة وجفان .

(٣) بياض في الأصول بمقدار كلمة .

(٤) بياض في الأصول بمقدار كلمتين . ولعل المراد الزرد السايع الفارسي .

الشُّعَار - بكتّاب : العلامة في الحرب .

جِمَاس - بكسر الحاء المهملة ، وتخفيف الميم ، وبعد الألف سين مهملة .

إنك - بكسر الكاف ، خطاب المؤنث .

بويزيد : حذف همزته تخفيفاً ؛ لضرورة الشُّعْر ، وأراد به سُهَيْل ابن عمرو^(١) .

المُؤْتَمَةُ - بيم ، فواو ، ففوقية مفتوحة : التي قُتِلَ زوجها وبقي لها أيتام ، ومن رواه بكسر الفوقية : أراد لها أيتام ، يقال منه أَيْتَمَتْ فهي مُؤْتَمَةٌ .

الجُمُجُمَةُ : الرأس .

تُسَمَّعُ - بالبناء للمفعول . وفي كثيرٍ من النُّسخ تَسْمَعِي .

الغَمْغَمَةُ - بغينين معجمتين مفتوحتين بعد كل واحدة ميم ، الأولى ساكنة ، والثانية مفتوحة : أصواتٌ غير مفهومة من اختلاطها . قاله في الرُّوض ، وقال في الإملاء هي أصواتُ الأبطال في الحرب .

النَّهَيْتُ - بفتح النون ، وكسر الهاء ، وسكون التحتية ففوقية : نوعٌ من صياح الأسد كالزَّئِير إلا أنه دونه .

هَمْهَمَةٌ : صوتٌ في الصَّدر .

كُرْزٌ - بكافٍ مضمومةٍ ، فراءٍ ساكنةٍ فزاي .

الفِهْرَى - بكسر الفاء ، وسكون الهاء .

الْبَارَقَةُ : لَمَعَانُ السُّيُوفِ .

فضض المشركين - بفاءٍ وضادَّين مُعْجَمَتَيْنِ : كلٌ مُتَفَرِّقٌ ومُنْتَشِرٌ .

فَأَنَّى - رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذَكَرَ له بينائهما للمفعول .

(١) وكان خطيب قريش كما في الروض الأنف ٢ : ٢٧٣ .

وبشت : بفتح الواو وبالموحدة المشددة وبالشين المعجمة : جمعت الأوباش والجموع
من قبائل شتى .

اهتِف : صَحَّ والهاتف الصائح .

٢٦٧ ظ

المناوشة في القتال : تَدَانَى الفريقين وأخذ بعضهم بعضا / .

أَخْضُدُوهُمْ - بهزة وصل ، فَإِنْ أَبْتَدَأْتَ ضَمَنْتَ ، وبالحاء والصاد المهملتين : أى
أَقْتُلُوهُمْ وبِالْغَا فِي أَسْتُصَالِهِمْ .

أُبِيدَتْ - بالبناء للمفعول : أَهْلِكْتَ ، وفي رواية أُبِيحَتْ - بالبناء للمفعول أى أُنْتَهَبَتْ
وَتَمَّ هَلَاكُهَا ، والإباحة كالنَّهْب وما لا يُرَدُّ عنه .

خَضْرَاءُ قَرِيش - بخاء مفتوحة فساد ساكنة معجمتين وبالد : جماعتهم وأشخاصهم
والعربُ تَكْنَى بالسَّوَادِ عن الخُضْرَةِ ، وبِالْخُضْرَةِ عن السَّوَادِ ومنه سَوَادُ الْعِرَاقِ .

لا قَرِيْشَ بعد اليوم :^(١)

تَقَاسَمُوا : تحالفوا .

الْخَيْفُ : ما انحدر من غَلْظِ الْجَبَلِ وارتفع عن مسيل الماء .

كِنَانَفَ بكسر الكاف ، ونونين .

رَجَعَ صَوْتُهُ - بفتح الرَّاءِ ، والجيم المشددة : رَدَّدَهُ فِي الْقِرَاءَةِ ، قال

مُضْطَرِباً بِالْحَبْجُونِ : مقبها به .

* * *

شرح غريب ذكر اغتساله - صلى الله عليه وسلم - ورن ابليس

واسلام أبى قحافة وغريب خطبته - صلى الله عليه وسلم

سُبْحَةُ الضحى - بضم السين المهملة ، وسكون الموحدة ، وبالحاء المهملة : من التسبيح

كالسحرة من التسخير ، وأكثر استعمالها في التطوع من الذكر والصلاة .

(١) يباين في الأصول بمقدار ثلاث كلمات ، وفي شرح المواهب ٢ : ٣١٧ وهذا صريح في أنهم اغتسلوا فيهم القتل
بكثرة فهو مؤيد لرواية الطبراني أن خالداً قتل منهم سبعين .

الرَّئَة - بفتح الرَّاءِ والنُّونِ : الصوت بحزن .

النُّوح - بفتح النُّون ، وواو ساكنة ، فحاء مهملة : البكاء .

الشَّرَر - بشينٍ معجمةٍ مفتوحة فراءين أولاهما مفتوحة : ما تطاير من النار .

التَّامَّات : الكاملات فلا يدخلهنَّ نقصٌ ولا عيب ، وقيل : النافعات الشَّافيات .

لَا يُجَاوِزُهُنَّ - بمثناة تحتية مضمومة ، ثم جيم وزاي ، لا يخلفهن ويتخطَّاهن .

الْبَرُّ - بفتح الموحدة ، والبار : الصادق أو التَّقَى ، وهو خلافُ الفاجر ، وجمع الأول أبرار ، والثاني بررة .

الطَّارِق : الَّذِي يَأْتِي لَيْلًا .

حَبَشِيَّةٌ : منسوبة إلى الحبشة .

شَمْطَاء : خالط سوادَ شعرها بياض .

خَمَشَتِ الْمَرْأَةُ وَجْهَهَا بِظَفَرِهَا خَمَشًا من باب ضَرَبَ : جرحت ظاهر البشرة ، ثم أطلق الخَمَش على الأثر ، والجمع خُمُوش مثل فلس وفلوس .

الْوَيْلُ : كلمةٌ تقال لمن وقع في هلكة أو بليَّة لا يُتَرَحَّمُ عليه .

إِسَافٌ بكسر الهمزة ، ونائلة - بنون فآلف ، فهمزة على صورة الباء : اسماء صنميين .

قَعْفَافَةٌ - بضمُّ القاف ، وبالحاء المهملة ، والفاء : عثمان بن عامر والد أبي بكر الصديق - رضى الله تعالى عنهما .

أَشْرَفِي بِي ؛ اِرْتَفَعِي بِي .

الْوَازِعُ - بالزَّاي : الَّذِي يَكُفُّ الْجَيْشَ ، أى يقدم بعضه على بعض ؛ يقال وزعته عن كذا إذا كففته عنه .

الطُّوقُ هُنَا : القِلَادَةُ .

الْوَرَق - بفتح الواو ، وكسر الرَّاء ، الفضة .

الْغَامَةُ - بئاء مثلثة مفتوحة ، فغين معجمة : شجرة إذا يبست أبيضت أغصانها
يشبه بها الشيب .

٢٦٨ و

أَنشَدُ الله رجلاً : أذكّره به وأستعطفه أو أسأله به مُقسماً / .

أُخِيَّة : تصغير أخت .

لِمَ قَاتَلْت : ما الاستفهامية دخلت عليها اللام الجارة فحذفت ألفها .

رَشَقُونَا : رمونا .

وَضَعُوا فِينَا السَّلَاح : حطوه .

خَبَطُوهُمْ - بخاء معجمة فموحدة . فطاء مهملة : ضربوهم ضرباً شديداً .

أَبُو أُحِيحَةَ - بمهملتين - مصغر .

الْجِيَادُ - بجيم مكسورة ، فتحنية مفتوحة ، فالف ، فдал مهملة ؛ جمع جيد :

ضد الردىء .

مُتَمَطِّرَات - بضم الميم ، وفتح الفوقية ، وكسر الطاء المهملة المشددة ، وبالراء ،
يقال : تَمَطَّرَ به فرسه : إذا جرى وأسرع ، وجاءت الخيل مُتَمَطَّرَةً ؛ أى سبق بعضها
بعضاً .

المحجن - بيم مكسورة ، فحاء مهملة ساكنة ، فجم مفتوحة فنون ؛ وهى عصاً

مقنعة^(١) الرأس كالصولجان .

أَرْتَجَّتْ مَكَّة : اضطرب أهلها .

الرَّصَاصُ - بفتح الراء ، والمفرد رصاصة .

هُبْل - بضم الهاء وفتح الموحدة ، وباللام .

(١) كذا فى ت ، ص. وفى ط ، م « مكسرة الرأس »

وَجَاه - بواو مكسورة فجيم : مقابل .

أَخَذَ - بِمَدِّ الهمزة ، وكسر الخاء ، وبالدال المعجمتين : اسم فاعل .

سِيَّة الْقَوْس - بكسر السين المهملة ، وفتح التحتية المخففة : وهو ما عطف من طرف القوس .

يطعن - بضم العين وفتحها .

الاسْتِلاَمُ : افتعالٌ من السَّلام ، كَانَهُ حَيَّاهُ بذلك ، وقيل : هو أفتعالٌ من السَّلام بكسر السين ؛ وهى الحِجَارَةُ ، ومعناه : لسه .

الحَجَر - بفتح الحاء والعجم .

المُلَوَّح بضم الميم وفتح اللام ، وتشديد الواو المفتوحة ، فحاء مهملة .

إِيهِ إِيهِ (١)

يَسْتَقْسِمُ : يضربُ .

بالْأَزْلَام ، جمع زُلْم - بضم الزاى ، ويقالُ : بفتحها ؛ وهو السَّهم .

حَمَامَةٌ مِنْ عَيْدَان - بفتح العين المهملة ، وسكون التحتية ؛ جمع عَيْدَانَةٌ ؛ وهى النَّخْلَةُ الطَّوِيلَةُ .

سَطْرَيْن بسين مهملة ، ووقع فى رواية السهيلي بالشين المعجمة ، وخطأه القاضى .

قوله : وعند المكان الذى صلى فيه مَرْمَرَةٌ - بسكون الراء بَيْنَ الميمين المفتوحين ، واحدة المَرْمَر ، وهو جنسٌ من الرُّخَام لطيفٌ نفيسٌ معروف ، وكان ذلك فى زمن النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ غُيِّرَ بِنَاءُ الْبَيْتِ بَعْدُ فى زَمَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ كما تقدَّم .

بَرَّة - بموحدة مفتوحة ، فراء مشددة فمثناة فوقية .

* * *

(١) يباين فى الأصول بمقدار كلمتين ، وإليه اسم فعل الاستزادة من حديث أو فعل .

شرح غريب ذكر خطبته - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح

أستكف له الناس - بفتح أوله ، وسكون السين المهملة ، وفتح الكاف ، وبالفاء :
أى استجمع ، من الكافة ، وهى الجماعة ، وقد يجوز أن يكون أستكف هنا بمعنى
نظروا إليه ، وحدقوا أبصارهم فيه ، كالأذى ينظر فى الشمس ، من قولهم : استكف بالشئ
إذا وضعت كفك على حاجبك ونظرت إليه ، وقد يجوز أن يكون استكف هذا بمعنى
استمد ؛ قاله فى الإملاء .

« وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث » قال السهيلي ، وابن حزم ، والبلاذرى :
كان لربيعة بن الحارث / ابنا مسترضعا فى بنى سعد بن ليث فقتلته هذيل فى الجاهلية ، ٢٦٩
فأهدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دمه فى فتح مكة وسماه البلاذرى ، والزبير
ابن بكار ، وابن حزم وغيرهم : آدم ، وقيل : اسمه ثمام ، وقيل إياس .

الأحزاب : وهم الذين تحزبوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالخذق
من قريش وغيرهم .

لا تثريب : لا تعنيف ولا لوم .

الطلاق - بطاء مهملة مضمومة ، فلام مفتوحة ففاف : الذين خلى سبيلهم .
مأثرة - بهمزة ساكنة فثاء مثلثة مفتوحة^(١) : الخصلة المحمودة التى تؤثر ويتحدث
بها .

سدانة البيت - بكسر السين ، وبالدال المفتوحة المهملتين ، وبعد الألف نون :
خلفته .

النخوة : العظمة والكبر .

لا يعصد - بالعين المهملة ، والضاد : لا يقطع .

(١) كذا فى الأصول والمشهور بضم التاء المثلثة .

عِصَاهَا ، العِصَاهُ ككتاب شَجَرُ الشُّوكِ كَالطَّلَحِ^(١) وَالْعَوَسَجِ^(٢) .

ولا يُخْتَلَى - بضم التحتية وسكون الخاء المعجمة : لا يقطع .

الخلَى - بالقصر : الرُّطْبُ من الحشيش ، الواحدة خلالة .

وَكَانَ شَيْخاً مُجَرَّباً - بضم الميم ، وفتح الجيم والراء : أى جربته الأمور وأحكمته .

الإِذْخِرَ - بكسر الهمزة وسكون الذال ، وكسر الخاء المعجمتين : نباتٌ معروف ذِكْيٌ إذا جَفَّ ابْيَضَّ .

القَيْنَ - بفتح القاف ، وسكون التحتية ، وبالنون : الحداد ، ويطلقُ على كلِّ صانع ، والجمع قِيُون ، مثلُ عين وعيون .

وَلِلْعَامِرِ الْحَجَرِ : أى إنما ثبت الولد لصاحب الفراش وهو الزوج ، وللعامر الخيبة ولا يثبت له نسب ، وهو كما يقال : وله التراب ؛ أى الخيبة ؛ لأنَّ بعضَ العرب كان يُثبت النسب من الزاني ، فأبطله الشرع .

لَا جَلَبَ - بفتح الجيم واللام ، وبالموحدة ، فُسِّرَ بأنَّ رَبَّ الماشية لا يُكَلِّفُ جَلَبَهَا إلى البلد ليأخذ السَّاعَى منها الزَّكَاةَ ، بل تُؤْخَذُ زكاتها عند المياه .

ولا جَنَبَ - بفتح الجيم والنون ، وبالموحدة : أى إذا كانت الماشية فى الأفنية فتتركُ فيها ولا تخرج إلى المرعى ، فيخرجُ السَّاعَى لِأَخْذِ الزَّكَاةِ لما فيه من المشقة . فأمر بالرفق من الجانبين .

الأَفْنِيَّةُ : جمع فِنَاءٍ ككتاب : الوصيد ، وهو سعةٌ أمام البيت ، وقيل : ما امتدَّ من جوانبه .

اشْتَمَالُ الصَّمَاءِ : أى يُجَلَّلُ جسده كله بكساءٍ أو إزارٍ لا يرفعُ شيئاً من جوانبه .

(١) الطلح شجر عظام من شجر العِصَاهُ ترعاه الإبل (المعجم الوسيط) وهى أعظم العِصَاهُ شوكة وأصلها عوداً وأجودها صفراً (السان) .

(٢) الموسج شجر من شجر الشوك له ثمر أحمر كأنه خرز العقيق وهو كثير الشوك .

أَخَالِكُمْ : أَظْنَكُمْ .

خَالِدَةً : دَائِمَةً لَكُمْ .

تَالِدَةً - بالفوقية كصاحبة ، والتَالِدُ : القديم ، قال المحبُّ الطَّبْرِيُّ - رحمه الله تعالى - : إِنَّهَا لَكُمْ مِنْ أَوَّلٍ وَمِنْ آخِرٍ ، وَتَكُونُ تَالِدَةً لِتَبَاعاً لَخَالِدَةٍ بِمَعْنَاهُ .

مُضْطَبِعٌ بِثُوبِهِ : اسمُ فاعِلٍ مِنَ الْأَضْطِبَاعِ : وَهُوَ أَنْ يَدْخُلَ ثُوبُهُ مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ الْيَمْنَى وَيَلْقِيهِ عَلَى عَاتِقِهِ الْأَيْسَرِ ، وَيَتَعَدَّى بِالْبَاءِ ، فَيَقَالُ : اضْطَبَعَ بِثُوبِهِ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَالْاضْطِبَاعُ وَالتَّوَشُّعُ وَالتَّابُّطُ / سَوَاءٌ .

٢٦٩
٢

أَمَّا الرَّجُلُ - بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ .

يُقْضَى - بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ، وَكَذَلِكَ قُضِيَ ، وَالْوَحْيُ ، نَائِبٌ لِلْفَاعِلِ .

الضَّنَّ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِكَسْرِ الضَّادِ الْمَعْجَمَةِ السَّاقِطَةِ ، وَتَشْدِيدِ النَّونِ ؛ أَيْ بُخْلًا بِهِ ، وَشُحًّا أَنْ يُشَارِكَنَّا فِيهِ أَحَدٌ غَيْرِنَا .

يَطْثُونُ عَقْبَهُ : يَتَّبِعُونَهُ ، وَمَوْطَأُ الْعَقَبِ : سُلْطَانُ يُتَّبَعُ .

تَفَوَّهَتْ : تَلَفَّظَتْ .

قَرْنٌ - بِقَافٍ مَفْتُوحَةٍ ، فَرَاءٌ سَاكِنَةٌ ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ : الْجَبَلُ الصَّغِيرُ .

الْمُسْفَلَةُ^(١) - بِمِيمٍ مَفْتُوحَةٍ فَسِينٌ مَهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ فَفَاءٌ ، فَلَامٌ مَفْتُوحَتَيْنِ : مَوْضِعٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ .
يُوضَعُ فِيهِ : يُسْرَعُ .

الْجَعِرَّانَةُ - لَا خِلَافَ فِي كَسْرِ الْجِيمِ ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ يَكْسِرُونَ عَيْنَهُ ، وَأَهْلُ الْأَدَبِ يَسْكُنُونَ الْعَيْنَ وَيَخَفِّقُونَ الرَّاءَ

قَالَ فِي الْمَرَاوِدِ : وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمَا لَغَتَانِ ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدَنِيِّ : أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَثْقُلُونَ الْجَعِرَّانَةَ ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ يَخَفِّقُونَهَا ، وَهِيَ مَنْزِلٌ بَيْنَ الطَّائِفِ وَمَكَّةَ ، وَهِيَ إِلَيْهَا أَقْرَبُ .

عُرْنَةٌ - بَضْمِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَبِالنُّونِ : وَادٍ قَرِيبُ عُرْفَاتٍ .

(١) صَوَابُهُ قَرْنٌ مَسْفَلَةٌ وَيُقَالُ مَسْفَلَةٌ : قَرْنٌ بَقِيَتْ مِنْهُ بَقِيَّةٌ بِأَعْلَى مَكَّةَ . وَانْظُرْ أَخْبَارَ مَكَّةَ لِلْأَزْرَقِيِّ ٢/ ٢٧٠ ، ٢٧١ وَمَسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ٣ : ٤١٥ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ١ : ٨٤ ، وَانْظُرْ مَا سَبَقَ ص ٣٧١ .

شرح غريب ذكر إسلام عبد الله بن الزُّبَيْرِ - رضى الله عنه

[الزُّبَيْرِ]^(١) هو بزاي ، فموحدة مكسورتين ، فعين مهملة ساكنة ، فألف مقصورة^(٢)

لا تَعْدُ بفتح الفوقية وسكون العين المهملة .

من حرف جر ، وفي رواية لا تَعْدُ مَنْ مِنَ الْعَلَمِ ، أَكْذُ بِالنُّونِ . ورجلاً - عليها - مفعول .

نَجْرَان - بنون مفتوحة ، فجيم ساكنة ، فألف فنون : مدينة باليمن .

الْأَخَذَ - بالحاء المهملة ، والذال المعجمة : القليل المنقطع ، ومن رواه بالجيم والذال المهملة : فهو منقطع أيضاً . وقد يجوزُ أَنْ يَكُونَ معناه في عَيْشٍ لَيْمٍ جداً .

بليت من البلى وهو الْعَلَمُ^(٣) والقدم .

الْقَنَاءُ : الرمح .

خَوَارَ - بخاء معجمة مفتوحة ، فواو مشددة فراء : ضعيفة .

جوفاء - بجيم مفتوحة فواو ساكنة ففاء فألف فهمز . : واسعة .

ذَاتُ وُصُومٍ - بواو مضمومة فصاد مهملة فواو فميم : فتور وكسل وتَوَانُ أَجْلَبَ عليه : جمع ما قدر عليه من جنده .

يَجِبُ ما قبله : يَقْطَعُهُ وَيَمْحَاهُ .

لسانِي رَاتِقٍ : سَادٌ ، تقولُ : رَتَقْتُ الشَّيْءَ إِذَا سَدَدْتُهُ .

ما فتقت : أحدثتُ من ذنب ، فكلُّ لَئِمٍ فَتَقٌ وتمزيق ، وكلُّ تَوْبَةٍ رَتَقٌ

البُور - بالموحدة : الهلاك .

(١) الإضافة يقتضيها السياق .

(٢) وأيضاً بكسر الزاي وفتح الباء والراء وانظر التاج وكذلك ترجمته في أسد الغابة ٣ : ١٩٥ .

(٣) يياض في الأصول بمقدار ثلاثة كلمات ولعل المراد ما أثبت .

أَبَارَى : أَعَارَضَ ، وَأَجَارَى .

سَنَّ الغَيَّ : طَرَفَهُ .

الْمُتَّبِرُ : الْهَالِكُ .

الْبَلَابِلُ : الْوَسَاوِسُ .

الْهُمُومُ : الْأَحْزَانُ .

مُعْتَلِجٌ : مُضْطَرَبٌ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا .

الرَّوَاقُ : طَائِفَةٌ مِنَ اللَّيْلِ ، وَأَرْوَاقُهُ : أَثْنَاءُ ظُلُمَتِهِ ،

الْبَهِيمُ : الَّذِي لَا ضِيَاءَ فِيهِ .

عَيْرَانَةٌ : نَاقَةٌ تَشْبَهُ الْعَيْرَ فِي شِدَّتِهِ وَنَشَاطِهِ وَالْعَيْرُ - بَفَتْحِ الْعَيْنِ : حِمَارُ الْوَحْشِ .

غُشُومٌ - بَغِينٍ ، فَشِينٌ مَعْجَمَةٌ : ظُلُومٌ ، يَعْنِي أَنَّ مَشْيَهَا فِيهِ خَفَاءٌ ، وَمَنْ رَوَاهُ رُسُومٌ ، فَمَعْنَاهُ : أَنَّهَا تَرَسَّمُ الْأَرْضَ وَتَوَثَّرُ فِيهَا مِنْ شِدَّةِ وَطْئِهَا ، وَالرَّسْمُ : ضَرْبٌ مِنْ سِيرِ اللَّيْلِ .

أَسْدَيْتُ : صَنَعْتُ وَحَكَيْتُ ، يَعْنِي مَا قَالَهُ مِنَ الشَّعْرِ قَبْلَ إِسْلَامِهِ .

أَهِيْمٌ : أَذْهَبَ عَلَى وَجْهِ مُتَحِيرًا .

أَغْوَى-بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةُ .

خُطَّةٌ - بَضْمٌ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةُ ، وَبَطَاءٌ مَهْمَلَةٌ : أَيْ بَاشَرُ أَمْرٍ وَأَقْبَحُهُ .

سَهْمٌ - بَفَتْحِ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَسَكُونِ الْهَاءِ .

مَخْزُومٌ - بِالْخَاءِ وَالزَّيِّ الْمَعْجَمَتَيْنِ .

أَسْبَابُ الرَّدَى : طُرُقُ الْهَلَاكِ .

الْوُشَاةُ - بَضْمُ الْوَاوِ : جَمْعُ وَاشٍ وَهُوَ النَّمَامُ .

الْأَوَاصِرُ : قرابة الرَّحْم من النَّاس .

الْحُلُوم - بضم الحاء المهملة ، واللام : العقول .

فَدَى - بكسر الفاء ، وتفتح ، قال فى الصحاح : إِذَا كُسِرَ يُمَدُّ وَيَقْصَرُ ، وَإِذَا فَتَحَ فَهُوَ مَقْصُورٌ انْتَهَى وَالْمُقَادَاةُ : أَنْ تَدْفَعَ رَجُلًا وَتَأْخُذَ رَجُلًا ، فَالْفِدَاءُ أَنْ تَشْرِيَهُ أَوْ تَنْقُذَهُ بِمَالٍ ، وَفَدَيْتَهُ بِأَنْبَى وَأَمَى كَأَنَّكَ اشْتَرَيْتَهُ وَخَلَصْتَهُ بِهِمَا ، إِذَا لَمْ يَكُنْ أَسِيرًا ، فَإِنْ كَانَ أَسِيرًا مَمْلُوكًا قُلْتَ : فَادَيْتَهُ ، وَالْمَرَادُ بِالْفِدَاءِ هُنَا التَّعْظِيمُ ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُفْدَى إِلَّا مِنْ يُعَظَّمُهُ . فَيَذِلُّ نَفْسَهُ ، وَمَنْ يَعْزُّ عَلَيْهِ بِهِ .

زَلَلِي : خطيئتي .

عَلَمَ - بفتح العين واللام ..

الجسيم : العظيم .

الْقَرَمَ - بفتح القاف ، وسكون الراء : السَّيِّدُ ، وَأَصْلُهُ الْفَحْلُ مِنَ الْإِبِلِ

الذُّرَى - بضمُّ الذال المعجمة : الأعلى .

الأروم : الأصول .

* * *

شرح غريب نكر اسلام عِكْرَمَة وصفوان بن أمية وهند بنت عتبة

ضَوَى إِلَيْهِ بِفَتْحِ الضَّادِ الْمَعْجَمَةِ : مَالٍ

الشُّعْبِيَّةُ - بِالشُّينِ الْمَعْجَمَةِ ، وَالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ تَصْغِيرُ شُعْبَةٍ : مَرَفَأُ السَّفِينِ بِجِدَةٍ (١) .

وَالْمَرَفَأُ - بِمِيمٍ فَرَاءٌ فَهَمْزٌ : الْمَوْضِعُ الَّذِي تَشَدُّ فِيهِ السُّفُنُ .

عَكَ - بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الْكَافِ : حَتَّى مُنْسَوْبٌ إِلَى عَكَ بْنِ عُذْنَانَ - بضم

العين ، وسكون الدال المهملتين ، وبالثاء المثلثة ابن عبد الله بن الأزْد .

تليح بمثناة فوقية فلام فمثناة تحتية فحاء مهملة : تبصر ، يقال لحته أبصرته ،

وَالِاسْتِلَاحُ التَّبَصُّرُ .

(١) كذا بالأصول : والصواب أن الشعبية كانت مرفأ قبل التحول إلى جدة في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة

٢٦ هـ - ومحل الشعبية على مرحلتين من جدة على طريق اليمن .

(أخبار مكة ١ : ١٥٧ ، ٢ : ١٣١) .

النُّوتِيُّ : المَلَّاحُ الَّذِي يَدْبِرُ أَمْرَ السَّفِينَةِ فِي الْبَحْرِ . /

أَغْرَبَ - بَغِينٍ مَعْجَمَةٌ : أَبْعَدَ .

الاعْتِجَارُ بِالْعِمَامَةِ : وَهُوَ أَنْ يَلْفَهَا عَلَى رَأْسِهِ ، وَيَرُدُّ طَرَفَهَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَا يَعْمَلُ مِنْهَا شَيْئاً تَحْتَ ذَقْنِهِ .

أَمَنَهُ - بَمَدِّ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الْمِيمِ الْمَخْفُفَةِ .

سَيْرُهُ شَهْرَيْنِ - بَفَتْحِ السَّيْنِ وَالتَّحْتِيَةِ الْمَشْدُودَةِ^(١) .

شَفِيرُ النَّارِ : جَانِبُهَا .

الْقُدُومُ - بِقَافٍ مَفْتُوحَةٍ ، فَدَالٍ مَضْمُومَةٍ تَخْفَفُ وَتَشْدُدُ هُنَا : آلَةُ النُّجَارِ .

أَفْلَذَهُ - بِهَمْزَةٍ مَضْمُومَةٍ فَفَاءً سَاكِنَةً فَلَامٍ فَدَالٍ مَعْجَمَةٍ : أَقْطَعَهُ .

مَرْضُوقَيْنِ - بِيَمٍ فَرَاءٍ [فُضَادٌ]^(٢) فَوَاوٍ فَفَاءً مَفْتُوحَةٍ : مَشْوِيَيْنِ عَلَى الرُّضْفِ وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ .

قَدَّ - بِقَافٍ مَفْتُوحَةٍ فَدَالٍ مَهْمَلَةٍ : جَلَدَ السَّخْلَةَ .

* * *

شرح غريب نكر خطبته - صلى الله عليه وسلم - ثاني يوم الفتح

قوله غَزَى - بَغِينٍ فَزَايَ مَعْجَمَتَيْنِ ، وَتَشْدِيدِ التَّحْتِيَةِ : جَمَاعَةُ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَغْزُونَ .

جُنَيْدُ بْنُ الْأَدْلَعِ .

هُذَيْلٌ - بِضَمِّ الْهَاءِ وَفَتْحِ الذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ التَّحْتِيَةِ ، وَبِالْلامِ .

الْفُطَيْطُ : مَا يَسْمَعُ مِنْ صَوْتِ الْآدَمِيِّينَ إِذَا نَامُوا ، وَهُوَ صَوْتُ مِنَ الْحَلْقِ .

(١) شرح المصنف بعد هذا لفظي تستجيش وحشوته ولما كان مكانهما في العنوان التالي فقد نقلنا إلى هناك .

(٢) إضافة يقتضيا السياق .

الْحَاضِر : القومُ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ عَلَى الْمَاءِ .

فَمَهْ : ما الاستفهامية أبدلت ألفها هاءً في الوقف ، والمعنى فما تريدون أن تصنعوا .

يَسْتَجِيشُ^(١) . [عليه : بمشاة فسين مهملة فمشاة فوقية فجيم فتحية : أقبل إليهم يطلب سكون الجأش - بهمز وقد لا يهمز . وهو رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع وتنفس الإنسان]^(١)

هكذا عن الرجل : هي هنا اسم سُمِّيَ به الفعلُ ، ومعناه : تنحوا عن الرجل ، وعن متعلقة بما في هكذا من معنى الفعل .

الحشوة - بالحاء المهملة المفتوحة : ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها تسيل [تخرج]^(٢) .

تزنقان - بفوقية فزاي فنون ففاف : أي قربتا أن تنغلقا ، يقالُ زنقت الشمس إذا دنت للغروب وزنقه النعاس إذا ابتدأه قبل أن تنغلق عينه انجحف - بنون فجيم فعين مهملة ففاء : سقط سقوطاً ثقیلاً .

* * *

شرح غريب قصيدة حسان بن ثابت - رضى الله عنه

عَفَتْ : درست وتغيرت .

ذات الأصابع ، والجواء - بكسر الجيم ، وتخفيف الواو ، وعذراء بفتح العين المهملة ، وسكون الذال وراء وبالمد : الثلاثة مواضع بالشام ، والأخيرة قرية بقرب دمشق^(٣) .

مَنْزُلُهَا خَلَاءٌ : فارغ .

(١ ، ١) ما بين الرقین منقول إلى هنا لمناسبته .

(٢) بياض في الأصول بمقدار كلمة ولعل المراد ما أثبتته .

(٣) وجاء في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٢١ كان الجواء منزل الحارث بن أبي شمر الغساني وكان حسان كثيراً ما يفد

على ملوك غسان بالشام يمدحهم ، كذلك يذكر هذه المنازل .

الحَسَّاس - بحاء مفتوحة فسين فحاء فالف فسين مهملات : حَيٌّ من بني أسد .

قَفَر - بفتح القاف ، وسكون الفاء ، وبالراء : المَفَاذَةُ الَّتِي لَا نَبْتَ فِيهَا وَلَا مَاءَ .

تُعْقِبُهَا - بضمُّ الفوقية ، وفتح العين المهملة ، وكسر الفاء المشددة : تغيُّرها .

الرَّوَامِس - بالراء والسين المهملتين : الرِّياح الَّتِي تُرْمَسُ الآثار ؛ أَيْ تغطيها وتستترها .

السَّاء - هنا - المطر .

تُثِيرُ - بضم الفوقية وكسر التاء المثناة ، وسكون التَّحتية وبالراء : ترفع .

النَّقْع - بفتح النون وإسكان القاف وبالعين المهملة : الغبار .

كَدَاء - بفتح الكاف والمد .

الْأَعْنَةُ : جمع عَنَان - بكسر العين المهملة : وهو سير اللجام .

مُضْغِيَّات : مُسْتَمْعَات .

الْأَسْل - بفتح الهززة والسين المهملة : الرَّمَّاح .

الظَّمَاء - بكسر الظاء المعجمة المُشَالَّة وبالد : العطاش .

الْجِيَادُ - هنا : الخيل .

مُتَمَطَّرَات - بطاء مهملة مكسورة مشددة مصونات أو مسرعات يسبق بعضهن بعضا .

يلطمهن : يضربهن بالخمُر - بضمُّ الخاء المعجمة ، والميم ، جمع خمار .

إِمَّا - بكسر الهززة ، وتشديد الميم ، أصله إن الشرطية وما زائده .

تُغَرِّضُوا - حذف النون للجازم .

الْجِلَادُ - بكسر الجيم : الضَّرْبُ بِالسُّيُوفِ ونحوها في القتال .

لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ - بكسر الكاف وبالد : أى مثلاً .

وقال الله قد أرسلت عبداً : أى قال الله - تعالى - معناه ، وليس هذا اللفظ في القرآن وكذا وقال الله قد سِيرْتُ جُنُداً .

الْبَلَاءُ : الاختبار .

عُرِضَتْهَا - بضمَّ العين المهملة ، وسكون الرَّاء وبالفُضاد المعجمة - اللقاء : عادتْها تعرض للقاء عدوها .

نَحْكُمُ بِالْقَوَائِي مَنْ هَجَانَا - بضمَّ النُّون ، وفتحها : أى نردُّ ونَقْدَع ، من حَكْمَةِ الدَّابَّةِ بفتح المهملة وسكون الكاف وهو لجامها ، والمعنى : نغهمهم ونخزيهم فتكون قوافينا كالحكَمَاتِ للدُّوَاب .

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب - قيل أسلم في السَّفر ، وهذا مما يُقَوِّى أَنَّ بعض هذه القصيدة قالها قبل السفر للفتح .

مُقَلَّغَةً - بغينين معجمتين ، الأولى مفتوحة ، والثانية مفتوحة أيضاً^(١) وبعد كل منهما لام الأولى ساكنة والثانية مفتوحة وهى الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد .
بَرَحَ : زال .

الجفاء : الإعراض والتباعد .

بَرَأً - بفتح الموحدة والراء : وهو الكثير الخير .

الْحَنِيفُ : المسلم ، وسُمِّيَ بذلك لأنه مَالٌ عن الباطل إلى الحق ، وَالْحَنَفُ : الميل .

الشَّيْمَةُ - بكسر الشَّين المعجمة ، وسكون التحتية : الخُلُقُ بضم الخاء المعجمة ، واللام وتسكن .

الكفو - بتثنية الكَاف : المثلُّ والتنظير .

(١) في الأصول : الثانية ساكنة ، وهو خطأ والمثبت يقتضيه المقام .

فشركما لخيركما الفداء : هذا نصف بيت قالته العرب ، وهو من باب قوله - صَلَّى
الله عليه وسلّم - شرّ صفوف الرجال آخرها ، يريدُ نقصانَ حَظِّهم عن حَظِّ الصَّفِّ الأوَّل ،
ولا يجوز أن يريد صَلَّى اللهُ عليه وسلّم - التفضيل في الشر . قال سيبويه - رحمه الله
- تعالى - تقول مرّرت برجل شر منك إذا نقص عن أن يكون مثله .

صارم : قاطع .

لا عيب - بالتحية والموحدة - وهو الظاهر - ويروى بالفوقية أى لا لَوَمَ فيه .

الدَّلاء - بكسر الدال المهملة : جمع دَلَو بفتحها .

تنبيه : وقع في صحيح مسلم في مناقب حسان رضى الله تعالى عنه في هذه القصيدة
أبيات

أولها : هجوتَ محمداً إلى آخره ، وثانيهما : هجوتَ محمداً بَرّاً تقيّاً ، وثالثها :
فإن أبى ووالدنى وعرضى ، ورابعها : ثكلتُ بنيى إن لم تروها تثير النقع غايتها
كداء ، وخامسها : يُبارين الأعنة مصعدات كذا في مسلم ، وفي السيرة مُضغيات ، وسادسها
تظل جياندا إلى آخره ، وسابعها : فإن أعرضتم إلى آخره ، وثامنها : وإلا فاصبرُ والضراب
يَوْمٍ وتاسعها : قد أرسلت عبداً وقال الله يقول الحق ليس به خفاء / .
٢/٢٧١

وعاشرها : وقال الله قد سَيرتُ جنداً ، وحادى عشرها : تلاقى كل يوم من معدّ ،
وثانى عشرها : فمن يهجو ، وثالث عشرها : وجبريلُ رسول الله فينا .

* * *

شرح غريب أبيات أنس بن زنيم - رضى الله عنه

وأبوه [زنيم]^(١) بضم الزاى ، وفتح النون وسكون التحتية .

النية - بكسر الدال المعجمة : العهد :

أَحَثَّ بالحاء المهملة ، والثاء المثناة : أسرع / .

ظ ٤٤٨

(١) الإضافة يقتضيا السياق .

أُسْبَغَ - بالسّين المهملة والموحدة والغين المعجمة : أكمل .
النَّائِلُ : العطاء .

المُهَنْدُ : : السيف المطبوع من حديد الهند .

الْخَالُ - بالخاء المعجمة : ضرب من برود اليمن ، سُمِيَ بالخال الذى بمعنى الخيلاء
قبل ابتذاله : [أى بلاه]^(١)

السابق - هنا - الفرس .

المتجرد - بكسر الراء : اسم فاعل . الذى يتجرد من الخيل فيسبقها .

تَعَلَّمَ - بفتحات واللام مشددة : بمعنى إعلم .

الوعيد : التهديد .

الصِرم - بكسر الصاد المهملة وسكون الراء وبالميم : البيوت المجتمعة .

المُتَّهَمُونَ : الذين يسكنون بتهامة ، وهو ما انخفض من أرض الحجاز .

الْمُنْجَد : من سكن بنجد ، وهو ما ارتفع من الأرض .

عَوَيْمَر : تصغير عمرو ، وهو بن سالم كذا فى النور .

الْمُخْلِفُو كُلِّ مَوْعِدٍ - بجر كل بإضافة اسم الفاعل إليها ، ويجوز نصبها فى لغة .

نَبَّؤُوا - بنونٍ فموحدة مشددة : أخبروا .

الطَّلَقَ - بفتح الطاء ، وسكون اللام : الأيام السعيدة ، يقال يومٌ طلقٌ إذا لم يكن

فيه بَرْدٌ ولا حَرٌّ ولا شيء يؤذى ، وكذلك ليلة طلق .

عزت : اشتدت .

العَبْرَةُ - بفتح العين المهملة : الدُّمْعَةُ .

التَّبَلُّدُ : التحير . تبلى : تصبرى . أخفرت : نقضت العهد

أَكْمَدَ : من الكمد وهو الحزن .

(١) يياض فى الأصول بمقدار كلمتين والمثبت يقتضيه السياق .

فَتَقَّتْ - بفاء ففوقية ففاف : أحدثت ، أو خرجت .

* * *

شرح غريب ابيات الشقراطيسي - رحمه الله تعالى

وهو بشين معجمة ففاف ساكنة فراء مفتوحة فطاء فسين مهملات فتحتية .

يوم مكة - جوَّز الإمام أبو شامة - رحمه الله تعالى نصبَ يومَ ورَفَعَه وجره .

إِذْ : ظرفُ زمانٍ بدل من يوم .

أَشْرَفَتْ / علوت عليها وظهرت على أخذها .

الأمم : جمع أمة ؛ وهى جماعة الحيوان على الإطلاق ، وَمِنْ الزَّمان وغير ذلك .

تضييق - بالفوقية والتحتية .

الفِجَاج - جمع فجٍّ : الطريق الواسع بين جبلين .

الوَعْثُ - بواوٍ مفتوحة ، فعين مهملة ساكنة ، فشاء مُثَلَّثَةٌ : المكان الواسع .

الدَّهَسُ - بدال مهملة ، فهاء مفتوحتين فسين مهملة : مَا لَانَ مِنَ الْأَرْضِ وَسَهْلٌ ، ولم يبلغْ أَنْ يَكُونَ رَمْلًا تَغِيبُ فِيهِ الْأَقْدَامُ وَيَشْقُ عَلَى مَنْ مَشَى فِيهِ .

السَّهْلُ - بسكون الهاء - وفتحها ضرورة - وفى بعض النُّسخ بضمَّتَيْنِ ؛ جمع سَهْلٍ وهو ما لان من الأرض ، والمعنى أَنَّ جميع الطُّرُق تضيِّقُ عن ذلك الجيش .

الْخَوَافِقُ - بالصَّرفِ لِلضَّرورةِ ، وبِالْجَرِّ بدل من أمم ؛ أى أشرفت فى أمم خوافق ، يقالُ خَفَقَتِ الرَّايَةُ تَخْفِقُ وَتَخْفُقُ - بكسر الفاء وَضَمُّهَا خَفَقًا وَخَفَقَانًا ، وكذلك القلبُ إِذَا اضْطربَ ، ويجوز أن تكون خوافق صفة لأمم لا بدل ؛ وَصَفَهَا بِالْمُفْرِدِ بعد أن وَصَفَهَا بِالْجُمْلَةِ ، من قولهم خَفَقَ الْأَرْضَ بِنَعْلِهِ خَفَقًا وهو صوت النَّعْلِ ، وكلُّ ضَرْبٍ بِشْيٍ عَرِيضٍ خَفِقَ وَمِنْهُ خَفَقَهُ بِالسَّيْفِ ، وخَفِقَ فِي الْبِلَادِ خُفُوقًا : ذهب ، وخَفِقَ الْبَرْقُ خَفَقًا : لَمَعَ ، وخَفَقَتِ الرِّيحُ خَفَقَانًا : وهو خَفَقَهَا أَى دَوَّى جَرِيهَا ، وَخَفَقَ الطَّائِرُ ؛ أَى طار ؛ وَصَفَ تِلْكَ الْأُمَمَ بِسُرْعَةِ الطَّيْرِ^(١) والسير ولمعان الحديد ، وصوت وقع الحوافر ، وما يناسبُ ذلك مما يليقُ بِالْمَعْنَى المقصود المستنبط من هذه

(١) فى (ص) بسرعة السير .

الألفاظ . فى اللّغة ، وفى بعض النسخ خوافى بالرفع جَعَلَهَا مبتدأ على تقدير لما خوافى
يعنى رايات ، أو خبراً أى هى خوافى ، يعنى الأُمم ، ويجوز أن يكونَ التّقدير فى ذاتِ
خوافى وحذف المضاف ، وكذا يجوزُ أن يكونَ التّقديرُ على إعراب خوافى بالجـر
أى ذوى خوافى ؛ فمهما قدرنا حذف مضاف ، أو قلّنا هى مبتدأ أو جررنا ها على البدل ،
فالمرادُ بخوافى الرّايات ، وإن جررناها صفة لأُمم أو قلّنا : التّقدير هى خوافى
فالحقيق للأُمم لا الرايات .

ضاقَ : ضعف .

ذَرَعُ الْخَافِقَيْنِ : وسعهما .

الْخَافِقَانِ : أفقا المشرق والمغرب ؛ لأنّ اللّيل والنّهار يخفقان فيهما .

الْقَاتِمُ : الْمُغْبِرُ وَالْقَتَامُ : الغبار .

العَجَاجُ - بالعين المهملة وجيمين : الغبار .

الجَحْفَلُ - بالجـرّ : وهو الجيش العظيم ، قال فى المحكم : ولا يكون الجيش جَحْفَلًا
حتّى تكون فيه خيل .

قَذَفَ بفتح القاف والذال المعجمة ، وبضمهما : أى مُتباعداً .

الأرجاء : النّواحي والأطراف .

اللّجَبُ : الصّوت والجلبة .

الْعَرَمَرَمُ : الكثير .

زُهَاءُ السَّيْلِ - بضم الزّاي : قدره .

الْمُنْسَحِلُ - بضمّ الميم ، وسكون النّون ، وفتح السين ، والحاء المهملتين : وهو
الماضى فى سيره ، المسرع فيه . يتبع بعضه بعضاً كأنه جار .

البّهوُ : البناءُ العالى كالإيوان ونحوه ؛ شبه النور ، الذى يغشاه - صلى الله عليه
وسلم ببهو أحاط به .

مُكْتَمِلُ بضم الميم : تام .

ينير - بضم التحتية - أى النور المذكور ينير أى يضيء « أغر الوجه : أبيضه
منتجب : متخير من أصل نجيب أى كريم.

الْمُتَوَّجُ : الذى لبس التاج وهو الإكليل الذى تلبسه الملوك ، وهو شبه عصابة
تُزِينُ بالجواهر ، وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه أبدأ متوج بعزة النصر .
مُقْتَبِل - بضم الميم ، وسكون القاف ، وفتح الفوقية ، وكسر الموحدة : من أقتبل أمره
أى استأنفه ، وأقتبل الخطبة أى ارتجلها ، والأقتبال : الاستئناف .

يَسْمُو - بالتحتيّة : يعلو .

أَمَامَ : قُدَّامَ .

جُنُودَ : جمع جنود .

مُرْتَدِيًّا : حال من الضمير فى يسمو .

٢٧٢
٢

ثَوْبَ الْوَقَارِ : مفعول مرتدياً على إسقاط / الخافض، والوقار العظمة .

مِثْلَ : أى منتهج على مثاله ، يقال : امثل فلان الأمر إذا فعله على المثل الذى
رسم له .

خَشَعَتْ : خَضَعَتْ - حساً ومعنى .

البهاء : الحسن .

سَمَتْ : ارتفعت .

الْمَهَابَةُ : الهيبة ، فكلاهما مصدر هابه ، ومعناها الإجلال والمخافة .

الْوَجَلُ : الخائف ، جمع الناظم بينهما لاختلاف اللفظ تأكيداً للمعنى ، أى فعلت
فى زمان نهاية عزك ما يفعله الخائف الوجل .

تَبَاشَرَ الْقَوْمُ : بَشَرَ بعضهم بعضاً فرحاً .

أَمْلَاكَ : جمع مَلَكٍ مثل حَمَلٍ وَأَحْمَالٍ .

مُلْكْتُ - بضم الميم ، وكسر اللام المشددة ، وفى بعض النسخ بفتحهما من غير تشديد ،
وكلاهما واضح .

نَلَتْ : حصلت [غاية الأمل]^(١) : مطلوبك .

تَرْجُفُ : تهتز .

الزَّهْوُ : الخفةُ من الطَّرب ، يقالُ : زَهَاهُ الشَّيْءُ ازدهاء : إذا استخفه ، والزَّهْوُ أيضاً : الكِبَرُ ؛ وليس مراداً هنا .

الْفَرْقُ : الفرع ، يقالُ آهتزت الأرضُ فرحاً بهذا الجيش وفرقاً من صَوْلته ؛ أى كادت تهتزُّ كما قال تعالى : ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾^(٢) أى كادت تبلغ .

الْجَوَّ : ما تحت السَّماء من الهواء .

يَزْهَرُ : يضيء .

الإِشْرَاقُ : الإضاءة .

الْجَذَلُ - بفتح الجيم ، والذَّال المعجمة : السُّرور والفرح .

تَعْتَالُ : تتبختر في مشيتها .

زَهَواً : كبيراً وإعجاباً ، وهذا غيرُ معنى الزَّهْوِ السابق ، فليس بتكرار .

الْبَيْئُسُ - بكسر العين : الإبلُ في ألوانِهَا عَيْسٌ - بفتح العين والتحتية ، وهو بياضٌ مخالطٌ بحمرة .

تَنْثَالُ - بفوقية مفتوحة فنون ساكنة فثاء مثلثة ولام : أى تَنْصَبُ من كلِّ جهة ، يقالُ تَنَاثَلَ النَّاسُ إليه إذا أَنْصَبُوا .

رَهَواً بالرَّاء : أى ذات رَهْوٍ ، وهو السَّيْرُ السَّهْلُ .

ثِنْيٌ - بكسر الثاءِ المثلثة ، وفتح النون ، كأنَّه جمع ثِنْيٍ ، لأنَّ كلَّ أحدٍ له ثِنْيٌ إلاَّ أَنَّ هذا الجمع غير مسموع ، وفي بعض النسخ بضمِّ المثلثة وكسرها كحِلْيٍ وحُلَى .

(١) إضافة عن شرح المواهب ٢ : ٢٢٩ .

(٢) سورة الأحزاب آية ١٠ .

الجُدُلُ - بضم الجيم ، والدال المهملة : جمعُ جَدِيل ، وهو الزَّمامُ المجدُول ؛ أى المصفُور المحكم القَتْل ، والزَّمام ما كان فى الأنفِ ، والخطام غيره ، وثْنِي الجُدُل ما أثْنِي منها على أعناق هذه الإبل ؛ أى انعطف وانطوى^(١)

الجَوَلُ - بكسرِ الحاءِ المهملة ، وفتحِ الواو : التَّحَوُّل ، وهو الانتقالُ والتَّغْيِير .

أَهْلٌ - بفتحِ الحاءِ والميمِ مشدَّدة : أى رفعِ صَوْتِه

تَهْلَانُ - بشاءٍ مثْلثةٍ : جبل .

التَّهْلِيلُ : مصدرٌ هَلَّلَ إِذَا قَالَ : لا إلهَ إِلاَّ اللهُ .

ذاب - بفتحِ الدَّالِ المعجمة .

يَذْبُلُ - بفتحِ التَّحِيَّةِ ، وسكونِ الدَّالِ المعجمة وضمِّ الموحدة وباللَّام : جبل .

التَّهْلِيلُ - هُنَا : الجُبْنُ والفَزَعُ ، يقالُ هَلَّ الرَّجُلُ عن الشَّيْءِ إِذَا فَزَعَهُ^(٢) منه فرقاً وجُبْنًا .

الذُّبْلُ - بضمِ الدَّالِ المُعْجَمَةِ ، والموحَّدة : الرِّيحُ النَّوَائِلُ الَّتِي لَمْ تَقْطَعْ مِنْ مَنَابِتِهَا حَتَّى ذَبَلَتْ أَى جَفَتْ وَيَبَسَتْ ، وَإِذَا قَطَعَتْ كَذَلِكَ كَانَتْ أَجُودَ ، وَأَصْلُهُ لَوْلَا الْقَدَرُ الَّذِي خَطَّتْهُ الْأَقْلَامُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، وَلَمَّا سَبَقَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ فِيهِ الَّذِي لَا يَتَحَوَّلُ أَنَّ الْجَمَادَ لَا يَنْطِقُ وَلَا يَعْقِلُ لَرَفَعَ تَهْلَانُ صَوْتَهُ فَهَلَّلَ اللَّهُ - تَعَالَى - مِنَ الطَّرَبِ ، وَلَذَابُ يَذْبُلُ مِنَ الْجَزَعِ وَالْفَرَقِ .

عَقِدَتْ : بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ .

الْأَزَلُ - بفتحِ أَوَّلِهِ وَالزَّأى : الْقِدَمُ بِكسرِ الْقَافِ .

شَعَبَتْ - بفتحِ الشَّيْنِ المعجمة ، والعينِ المهملة ، وسكونِ الموحدة ، وفتحِ الفوقية : أَى جَمَعَتْ وَأَصْلَحَتْ .

(١) وفى شرح المواهب ٢ : ٣٣٠ « والتوى » .

(٢) فى (ص) ٢ : ٢٣٠ « إِذَا كُلُّ عَنَتِهِ » .

الصَّدْعُ : الشَّقُّ .

قَذَفَتْ : رَمَتْ .

شُعُوب : اسم عَلَم على المنبئة لا ينصرف ؛ لأنه مشتق من شعب إذا تفرق ، لأنها تَفَرَّقُ الجماعات .

شِعَابُ السهل ؛ جمع شعب : الطريق في الجبل . -

السَّهْلُ : خلاف الجبل ، وهو ما سهل ولان من الأرض .

الْقُلُلُ : جمع قُلَّة ، وهى أعلى الجبل ، وقُلَّة كلُّ شئ أعلاه .

زَادَتْ : من الزيادة .

الْكُتَّاب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الخيل .

الزئير - بالهمز : صوت الأسد فى صدره .

العُصْل - بعين فصاد مهملتين : جمع أَغْصَلَ ، وهو النَّاب الشديد المُعَوَّج .

وَيْلٌ : كلمة يُعَبَّرُ بها عن المكروه ويدعى بها فيه .

آثار وطلته : مصدر وَطِىءَ بقدمه يَطَأُ وَطْأً ووطأة للمرة من ذلك ، ويعبر بها أيضاً عن موضع القدم ، وعن الأخذ والوقعة ؛ فالمنى على الأول : من آثار وطاته الأرض ، وعلى الثانى من آثار نكايته .

الجوى - بفتح الجيم ، فى الأصل فساد الجوف ، ثم سمي كل ما بطن من حزن أو هوى ، أو همَّ جوى .

الْهَبْلُ بفتح الهاء ، والموحدة : التُّكُل ؛ مصدر هبلته أمه ؛ أى ثكلته^(١) .

جُذِتَ عَفْوَاً - يقالُ أعطانى فلانُ كذا عَفْوَاً ؛ أى سهلاً من غيرِ عناء ولا كَدٍّ فى السؤال والعَفْوَ : التَّجَاوُزُ عن الذَّنْب ، وترك العقوبة^(٢) .

ولم تُلِمِمْ من أَلَمْتِ بالشئِ إِذَا دنوتَ منه ونلتَ منه نيلاً يسيراً .

(١) فى (ص) ٢ : ٢٣٠ « إذا فقدته » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) أضاف شرح المواهب ٢ : ٣٣٠ بعد ذلك « بشرط القدرة على العقاب » .

الْأَلِيمُ : الموجد .

اللَّوْمُ وَالْعَدْلُ - بفتح الدال المعجمة وسكونها مُتَقَارِبَانِ ، فلَمَّا اختلفَ اللَّفْظُ حَسُنَ التكرير - يعنى أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يقابل أهل مكة - ولم يغزِهم ، بل عَفَا عنهم وصفح .

أَضْرَبْتُ : أَعْرَضْتُ وتركت .

بِالصَّفْحِ : بالعفو .

صَفْحًا : أى إعراضاً .

الطَّوَائِلُ : جمع طَائِلَةٍ ، أى عداوة ؛ أى أَعْرَضْتُ عن نتاج طوائلهم وهى جنائيتهم عليه صَلَّى الله عليه وسلم .

طَوَلَا - بفتح الطاء : الْمَنَ وَالْإِنْعَامُ وَالتَّفَضُّلُ .

الْمَقِيلُ فى الْأَصْلِ مصدر قَالَ يَقِيلُ قَوْلًا وَمُقِيلًا وَقِيلُولَةً : إِذَا نَامَ فى الظَّهِيرَةِ أو استراح ، وَإِنْ لم يَتِمَّ ، وَأَسْتَعَارَ ذَلِكَ هُنَا لِلنَّوْمِ ، وجعل له مقيلًا فى أعينهم ، وكفى بذلك عن لُبْثِهِ وَأَسْتَقْرَارِهِ بسبب العفو عنهم والصَّفْحِ ، وكان قبل ذلك نافرين عنهم بسبب الخوف من القتل والغم من الطرد .

المُقَلَّ - بضم الميم ، وفتح القاف ، جمع مُقْلَةٌ ؛ وهى شحمة العين التى تجمع السَّوَادَ والبَيَاضَ .

وَأَشَجَّ الْأَرْحَامَ - بشينٍ معجمة مكسورة ، فجيم : مختلطها ومشتبكها ، من قولهم وشجت العروق والأغصان أى اشتبكت وتداخلتْ وَأَلْتَقَتْ وَشَجًّا ووشيجا .

أُتِيحَ - بضمَّ أَوَّلِهِ وكسر الفوقية ، وسكونِ التَّحْتِيَةِ / وبالحاء المهملة : قُدِّرَ $\frac{٢٧٣}{٧}$ وَقُيِّضَ .

الْوَشِيحُ - بفتح الواو ، وكسرِ الشَّيْنِ المعجمة ، وسكونِ التَّحْتِيَةِ ، وبجيم ، ما نبت

من القنا والقُصْب^(١) مُلْتَقًا ، وقيل : سُمِّيَتْ بذلك لأنها تنبت عروقتها تحت الأرض ،
وقيل : هي عامة الرِّماح .

النَّشِيجُ - بفتح النُّونِ وكسر الشَّينِ المعجمة ، وسكونِ التَّحْتِيَّةِ ، وبجيم : بكاءٌ
يخالطه شقيق وتوجع .

الرَّوْعُ : الفرع ، والوَجَلُ : الخوف - وهما مُتَقَارِبَانِ أو مترادفان ، عطف أحدهما
على الآخر لَمَّا اختلف اللَّفظان ؛ ومعنى البيت : إِنَّ القومَ الَّذِينَ رحمتهم فأمنتهم
قربَتْهم شديدةُ الاتِّصال بك^(٢) .

عَاذُوا - بذالٍ معجمة : لجثوا بالجيم .

اللَّطَفُ - بفتح اللَّام - والطَّاءُ المهملة ، والفاء : اسمٌ لِمَا يبر به ، يقال : أَلْفَطَهُ
بكذا ؛ أى بَرَّه به ، أى لجثوا مما كانوا فيه من حَرِّ الخوف ، والغمِّ إلى ظِلِّ عَفْوِ
رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

أَزَكَّى : أكثر وأوسع وأطهر .
الخليقة : الخلائق .

أَخْلَاقًا : جمع خُلُقٍ - بضمَّ الخاء المعجمة ، واللَّام : وهى السَّجِيَّةُ .

الزَّلُّ : التَّنَحُّيُّ عن الحق .
زَانَ - من الزَّيْنَةِ .

الخُشُوعُ : الخضوع .

الْوَقَارُ : الحِلْمُ والرَّزَانَةُ .

الخَفَرُ - بفتح الخاء المعجمة ، والفاء : شدة الحياء .

الْعُدْرَاءُ : اليكِر .

(١) القصب كذا فى ت ، م - فى ط ، ص « القصب » وجاء فى اللسان « الوشيج شجر الرماح ، وقيل هو ماينبت
من القنا والقصب مترصاً ، وفى المحكم ملتفاً دخل بعضه بعضاً » .

(٢) أضاف شرح المواهب ٢ : ٣٣١ (فراعيت القرابة وأزلت عنهم البكاء والحزن لخوفهم من سطوة جيشك الذى
نزل بهم فاشتد روعهم ووجلهم) .

الْكِلْلُ - بكسر الكاف : جمع كِلَّة : وهى الصَّومعة ؛ وهى السُّتر الرقيق يُخاط كالبيت .

مَحْبُورًا : مسروراً منعماً .

فى شُغْلٍ - بضم الشَّين والغين المعجمتين : ممنوعٌ من الوصول إليه .

الْخِزْيُ : الهوانُ والذلُّ ، ويُروى الرَّجْسُ - وهو القَلْدُرُ - موضع الخزى .

الرُّكْسُ : ردُّ الشَّيْء مقلوباً ، ويُروى منتكس ؛ أى منقلب .

ثَاوٍ بِثَاءٍ مَثْلَثَةٍ : مقيم .

الْبَهْمُوتُ : الحوت الذى عليه قرار الأرض .

زُحَلٌ : نجمٌ معروف .

حَجَزَتْ : منعت .

الْأَقْطَارُ : النَّواحى ، واحدها قُطْرٌ - بضم القاف .

الحِجَازُ : أرض خاصة فى جزيرة العرب حاجز بين نجد وتهامة .

مَعًا : ظرفٌ لَازِمٌ الإِضَافَةُ ؛ بمعنى المُصَاحَبَةِ ، وموضعها نَصْبٌ على الحال ، ولَمَّا أن قطعت عن الإِضَافَةِ نُوتَتْ تنوين العِوَضِ .

مِلْتَ بالخوف : أى أملتُه ونَحِيتَه ، وفى نسخة بالْحَيْفِ وهو الجور والظلم ، والأوَّلُ أحسن لمقابلة الأمن ويجانس الخيف بالخاء المعجمة : وهو ما أنحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ومنه خيف منى الذى فيه مسجد الخيف ، وخيف بنى كنانة الذى نزل فيه رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عام حجة الوداع ، وهو الأبطح .

مَلَلٌ - بفتح الميم واللام الأولى : موضعٌ بين مكَّةَ والمدينة على سبعة عشر ميلاً من المدينة .

حَلٌ - بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام : نزل .

اليمن - بضمُّ التحتية : البركة .

الْيَمَن - بفتح التحتية : الإقليم المعروف .

حُقَّتْ جَوَانِبُهُ - بالبناء للمفعول ، يقال حَفُّوا حَوْلَهُ ، يَحُقُّونَ حَفًّا : أى طَافُوا بِهِ وأَسْتَدَارُوا .

الْمِلَلُ - بكسر الميم ، وفتح اللام الأولى : الأديان واحداها مِلَّة .

أَطَاع : أنقاد .

الْمُنْحَرِفُ : المائل عن دين الحق ، وهو هُنَا الإسلام .

الْمُتَعَرِّفُ : المقر بالشئ .

الْمُنْعَدِلُ - بضم أوله ، وسكون النون ، وفتح العين المهملة وكسر الدال المهملة ، وباللام : الناكب عن طريق الهدى .

المعتدل - بوزنه لكن بعد العين مثناة فوقية ، وهو المستقيم على طريق الهدى .

أَخْبِبُ - بحاء مهملة وموحدين .

الْخَلَّةُ - بضم الخاء المعجمة : المودة والصداقة ، وجمعها خلل - أى ما أحبها من خلة إلينا .

وعز دولته ؛ أى أحبب بعز دولته ؛ أى ما أحبها عزة .

الدَّوْلَةُ - بفتح الدال المهملة : بمعنى الإدالة وهى الغلبة .

الغراء : البيضاء الشريفة .

الدَّوْلُ - بضم الدال : جمع دولة .

الباب الثامن والعشرون

في غزوة حنين^(١)

وتسمى أيضاً غزوة هوازن^(٢) ، لأنهم الذين أتوا لِقِتَالِ رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - قال محمد بن عمر الأسلمي : حدثني ابن أبي الزناد عن أبيه : أقامت هوازن سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم في العرب تجمعهم - انتهى .

قال أئمة المغازي : لما فتح رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - مكة مشَتْ أشرافُ هوازن ، وثقيف بعضها إلى بعض ، وأشفقوا أن يغزوهم رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وقالوا : قد فرغ لنا فلا ناهية له . فحشدوا وبغوا وقالوا : والله إن محمداً لاقى قوماً لا يُحسنون القتال فأَجْمِعُوا أمركم ، فسيروا في الناس وسيروا إليه قبل أن يسير إليكم ، فأجمعت هوازن أمرها ، وجمعتها مالك بن عوف ابن سعد بن ربيعة النَّصْرِي^(٣) بالصاد المهملة - وأسلم بعد ذلك ، وهو - يوم حنين - ابن ثلاثين سنة ، فأجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ونصر وجشم كلها ، وسعد ابن بكر ، وناس من بني هلال ، وهم قليل . قال محمد بن عمر : لا يبلغون مائة ، ولم يشهدوا من قيس عيلان - أى بالعين المهملة - إلا هؤلاء ، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، مشى فيها ابن أبي براء فنهاها عن الحضور وقال : والله لو ناوأ محمداً من بين^(٤) المشرق والمغرب لظهر عليهم .

(١) وانظر شرح المواهب للزرقاني ٣ : ٥ ، وسيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٣٧ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٢١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦١١ ، والمغازي للواقدي ٣ : ٨٨٥ .

(٢) وتسمى أيضاً غزوة أوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة . (شرح المواهب ٣ : ٥) .

(٣) ويقال مالك بن عبد الله : والمشهور ابن عوف بن سعد بن يربوع بن وائلة - بمثابة عند أبي عمرو وتحتيه عند ابن سعد - ابن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن النصري ، بالصاد المهملة نسبة إلى جده الأعلى نصر المذكور . (شرح المواهب ٣ : ٥) .

(٤) في الأصول « ما بين المشرق والمغرب » والمثبت عن المغازي للواقدي ٣ : ٨٨٦ .

وكان في جُشَم دُرَيْد^(١) بن الصَّمَّة وهو يومئذ ابن ستين ومائة . ويقال عشرين ومائة سنة ، وهو شيخ كبيرٌ قد عَمِيَ ، ليس فيه شيء إلاَّ التَّيْمَن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً قد / ذُكِرَ بالشَّجَاعَةِ والفُروسيَّة وله عشرون سنة ، فلَمَّا عَزَمَتْ هَوَازِنُ على حربِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَأَلَتْ دُرَيْدًا الرِّيَاسَةَ عليها فقال : وما ذاك وقد عَمِيَ بصرى وما أَسْتَمْسِكُ^(٢) على ظهر الفرس ، ولكن أَحْضَرُ معكم لَأَنْ أُشِيرَ عليكم برأى على أَنْ لا أُخَالَفَ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ أَنِّي أُخَالَفُ أَقَمْتُ ولم أَخْرَجْ قالوا : لا نُخَالَفُكَ ، وجاءه مالك بن عوف ، وكان جماع أمر الناس إليه ، فقالوا له : لا نُخَالَفُكَ في أمرٍ تراه .

فقال له دُرَيْد : يا مالك إنك تُقَاتِلُ رَجُلًا كَرِيمًا ، قد أَوْطَأَ العربَ ، وخافته العجمُ وَمَنْ بِالشَّامِ ، وأجلى يهودَ الحجاز ، إِمَّا قَتْلًا وإِمَّا خُرُوجًا على ذُلٍّ وَصَغَارٍ ، ويومئذ هذا الَّذِي تَلَقَى فيه محمداً له ما بعده .

قال مالِكُ : إني لأَطْمَعُ أَنْ تَرَى غداً ما يسرك .

قال دُرَيْد : منزلى حيثُ ترى ، فإذا جَمَعَتِ النَّاسُ صرْتُ إليك ، فلما خَرَجَ من عنده طَوَى عنه أَنْ يَسِيرَ بِالظُّننِ والأَمْوَالِ مع الناس .

فلما أَجْمَعَ مالِكُ المَسِيرَ بالناسِ إلى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمَرَ النَّاسَ فخرجوا-معهم أموالهم ونساؤهم وأبنائهم-ثم أَنتَهَى إلى أَوْطَاسٍ ، فعسكر به ، وجعلت الأَمْدَادُ تَأْتِي إلى جِهَتِهِ^(٣) ، وأقبل دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ في شجار له يُقَادُّ به من الكبر ، فلما نزل الشيخ لمس الأرض بيده وقال : بَأَى وادٍ أَنْتُمْ ؟ قالوا : بأَوْطَاسٍ . قال : نعم مجالُ الخيل ، لا حَزَنٌ ضَرِسُ^(٤) ، ولا سَهْلٌ دَهْسٍ . مالى أَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّغِيرِ ، ورُعَاءَ البعير ، ونُهَاقَ الحَمِيرِ ، وبُعَارَ الشَّاءِ وخُورَ البقر ؟ قالوا : ساقى مالِكُ مع

(١) هو دريد بن الصمة واسم الصمة فيما ذكر أبو عمرو معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقمة ، وقيل علقمة بن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . واختلف في اسم دريد وانظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني المجلد التاسع ط بيروت .

(٢) كذا في (ط) وفي بقية النسخ « ما ذاك في ما أبصر » .

(٣) في (ص) ٢ : ٢٢٣ « وجعلت الأمداد تأتيه من كل جهة » .

(٤) كذا الضبط في المغازي للواقدي ٣ : ٨٨٧ ولكن المصنف ضبط اللفظين في شرح الغريب بإسكان الراء والهاء .

الناس أبنائهم ونساءهم وأموالهم . فقال دريد : قد شرط لي ألا يخالفني فقد خالفني فأتانا أرجع إلى أهلي وتارك ما هنا . قيل : أفتلقى مالكا فتكلمه ؟ فدعى له مالك ، فقال : يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك . وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام . مالي أسمع بكاء الصغير ورغاء البعير ونهاق الحمير وبيعار الشاء وخوار البقر ! قال : قد سقت مع الناس أبنائهم ونساءهم وأموالهم . قال : ولم قال : أردت أن أجعل خلف كل إنسان أهله وماله يُقاتل عنهم . فأنقض^(١) به دُرَيْدُ وقال : راعي ضأن والله ، ما له وللحرب . وصفق دُرَيْدُ بإحدى يديه على الأخرى تعجباً وقال : هل يردُّ المهزمُ شيءٌ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة ، بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ، فأرفع الأموال والنساء والذراري إلى عليا قومهم ، ومُمتنع بلادهم ، ثم ألقِ القوم على مُتون الخيل والرجال بين أصفاف الخيل أو متقدمة درية^(٢) أمام الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألقاك ذلك ، وقد أحرزت أهلك ومالك . فقال مالك بن عوف : والله لا أفعل ولا أُغيرُ أمراً صنعته ، إنك قد كبرت وكبر علمك ، أو قال عقلك . وجعل يضحك مما يشير به دُرَيْدُ ، فغضب دُرَيْدُ وقال : هذا أيضاً يا معشر هوازن ، والله ما هذا لكم برأى ، إن هذا فاضحكم في عورتكم ، وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم ، فأنصرفوا وأتركوه ، فسئل مالك سيفه ثم نكسه ، ثم قال : يا معشر هوازن !! والله لتطيعنني أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري - وكره أن يكون للدريد فيها ذكر أو رأى - فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : والله - لئن عصينا مالكا ليقتلن نفسه وهو شاب ، ونبقى مع دُرَيْدُ وهو شيخ كبير لا قتال معه ، فأجمعوا رأيكم مع مالك . فلما رأى دُرَيْدُ أنهم قد خالفوه قال :

يا ليتني فيها جذع أخبُ فيها وأضع
أفودُ وطفاء الزممع كأنها شاة صددع

(١) ناقض به أي زجره كما تزجر الدابة وهو أن يلصق اللسان بالحنك الأعلى ويصوت به . (السيرة الحلبية ٢ : ٢٣٠)
وفي المغازي للواقدي ٣ : ٨٨٨ « فأنقض بيده » وشرحها المحقق بقوله أي صفق بإحدى يديه على الأخرى حتى يسمع لها نقيض أي صوت - النهاية ٤ : ١٧١ .

(٢) « درية » كذا في الأصول وسترده كذلك في شرح الغريب . ولعلها تسجيل للدريئة من الدرء وهو الدفع .

قال ابن هشام : أنشدني غير واحد من أهل العلم :

ثم قال دُرَيْدٌ : ليتني فيها جذع يا معشر هَوَازِنَ ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : ما شهدها منهم أحد . قال : غاب الحدُّ والجِدُّ ، لو كانَ يومَ عَلَاءٍ وِرْفَعَةٍ ، وفي لفظٍ : لو كانَ ذِكْرًا وشرفًا ما تخلفُوا عنه ، يا معشر هَوَازِنَ ارجِعُوا وأفعلوا ما فعل هُوَلَاءُ ، فأبوا عليه ، قال : فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر ، قال : ذانك الجذعان من بني عامر لا ينفعان ولا يضُرَّان . قال مالكٌ لدُرَيْدٍ : هل من رأى غير هذا فيما قد حضر من أمر القوم ؟ قال دُرَيْدٌ : نعم تجعلُ كمينًا ، يكونون لك ٤٨٦ ت عوناً / ، إن حملَ القومُ عليك جاءهمُ الكمينُ من خلفهم ، وكررتَ أنت بمن معك ، وإن كانت الحملةُ لك لم يُفْلِتْ من القوم أحدٌ . فذلك حينَ أمر مالك أصحابه أن يكونوا كمينًا في الشَّعَابِ وبطون الأودية ، فحملُوا الحملةَ الأولى التي أنهزم فيها رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - قال دُرَيْدٌ : مَنْ مُقَدِّمَةُ أصحابِ محمد ؟ قالوا : بني سليم ، قال : هذه عادةُ لهم غير مُسْتَنَكِرَةٍ ، فليت بعيرى يُنَحِّيَ من سنن خيلهم ، فنَحِّيَ ، بعيره مؤلِّيًا من حيث جاء .

* * *

نكر استعماله - صلى الله عليه وسلم - عتاب بن أسيد أميراً على مكة
ومعاذ بن جبل - رضى الله عنهما - مُعَلِّمًا لأهلها /

٢٧٥
ت

قالوا : لما بلغَ رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - خبرُ هَوَازِنَ وما عزموا عليه أراد التَّوجُّهَ لقتالهم ، وأستخلفَ عَتَّابَ بنَ أسيد أميراً على أهل مكة ، ومُعَاذَ بنَ جَبَلٍ يعلمهم السننَ والفقه ، وكانَ عُمَرُ عَتَّابَ إذ ذاك قريباً من عشرين سنة .

* * *

نكر استعارته - صلى الله عليه وسلم - أَدْرَعًا من صفوان بن أمية

روى ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - وعن عمرو بن شعيب وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم والزهري : أن رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - لما أجمع السير إلى هَوَازِنَ ذَكَرَ له أن عند صفوان بن أمية أَدْرَعًا وسلاحاً ، فأرسل إليه - وهو يومئذ مشرك - فقال : « يَا أَبَا أُمِيَّةَ أَعِزَّنَا سِلَاحَكَ هَذَا نَلْقَى فِيهِ عَدُونَنَا » فقال صفوان : أغضب يا محمد ؟ قال : « لَا بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ

حَتَّى نَرُدَّهَا إِلَيْكَ» قال : ليس بهذا بأس . فَأَعْطَى لَهُ مِائَةَ دِرْعٍ بِمَا يَكْفِيهِمَا مِنَ السِّلَاحِ ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَكْفِيَهُمْ حَمَلَهَا ، فَحَمَلَهَا إِلَى أُوْطَاسٍ . وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أُمِّةِ بْنِ صَفْوَانَ ، وَسَيَّاقِي فِي أَبْوَابِ مَعَامِلَاتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيُقَالُ إِنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسْتَعَارَ مِنْهُ أَرْبَعَمِائَةَ دِرْعٍ بِمَا يَصْلَحُهَا .

قال السُّهَيْلِيُّ : وَاسْتَعَارَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ مِنْ نَوْفَلِ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ثَلَاثَةَ آلَافِ رُمْحٍ ، فَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رِمَاحِكَ هَذِهِ تَقْصِفُ ظَهْرَ الْمُشْرِكِينَ .

* * *

نَكَرَ أَرْسَالَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَدَرْدٍ لِيَكْشِفَ خَيْرَ الْقَوْمِ

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ بْنِ بَكِيرٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - وَعَمْرُو بْنُ شَعِيبٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَمْرُو بْنِ حَزْمٍ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا سَمِعَ بِخَبَرِ هَوَازِنَ بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَدَرْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْقَوْمِ فَيَقِيمَ فِيهِمْ ، وَقَالَ : « إِعْلَمْ لَنَا عِلْمَهُمْ »^(١) فَاتَّاهُمْ فَدَخَلَ فِيهِمْ فَأَقَامَ فِيهِمْ يَوْمًا وَلَيْلَةً أَوْ يَوْمَيْنِ ، حَتَّى سَمِعَ وَعِلْمَ مَا قَدْ أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَمِعَ مِنْ مَالِكٍ ، وَأَمَرَ هَوَازِنَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ .

وَعِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى خَبَاءِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ فَيَجِدُ عِنْدَهُ رُؤْسَاءَ هَوَازِنَ ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يُقَاتِلْ قَوْمًا قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَلْقَى قَوْمًا أَغْمَارًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَيُظْهِرُ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا كَانَ السَّحَرُ فَصَفُّوا مُوَاشِيَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ مِنْ وَرَائِكُمْ ، ثُمَّ صُفُّوا ، ثُمَّ تَكُونُ الْحَمْلَةُ مِنْكُمْ ، وَاكْسَرُوا جِفُونَ سَيُوفِكُمْ فَتَلْقَوْنَهُ بَعَثَرِينَ أَلْفَ سَيْفٍ مَكْسُورَةٍ الْجِفُونَ ، وَأَحْمَلُوا حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْغَلْبَةَ لِمَنْ حَمَلَ أَوَّلًا . انْتَهَى .

ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ « أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي حَدَرْدٍ ؟ » فَقَالَ :

(١) فِي (ص) ٢ : ٢٣٤ « إِعْلَمْ لَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ » وَالتَّتِيتُ عَنْ بَقِيَةِ النُّسخِ .

عمر : كذب . فقال ابن أبي حنزة : والله لئن كذبتني يا عمر لرُبما كذبت بالحق .
فقال عمر : ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حنزة ؟ فقال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - قد « كُنْتَ ضَالًّا فَهَذَاكَ الله » .

* * *

نكر خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للقاء هوازن

روى البخارى عن أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال حين أراد حنيناً « مَنْزِلُنَا غَدًا - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ . وَفِي رَوَايَةٍ قَالَ : مَنْزِلُنَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى إِذَا فَتَحَ اللهُ الْخَيْفَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ » .

قال جماعة من أئمة المغازى : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في اثني عشر ألفاً من المسلمين ؛ عشرة آلاف من المدينة وألفين من أهل مكة .

وروى أبو الشيخ عن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الألباني - رحمه الله تعالى - قال : كان مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربعة آلاف من الأنصار ، وألف من جهينة وألف من مزينة . وألف من أسلم . وألف من غفار ، وألف من أشجع ، وألف من المهاجرين وغيرهم ، فكان معه عشرة آلاف ، وخرج باثني عشر ألفاً ، وعلى قول عروة والزهرى وابن علقمة يكون جميع الجيش الذين سار بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربعة عشر ألفاً ، لأنهم قالوا : إنه قَدِمَ مكة باثني عشر ألفاً ، وأضيف إليهم ألفان من الطلقاء .

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - غدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم السبت لست خلون من شوال .

وقال ابن إسحاق لخمس ، وبه قال عروة ، واختاره ابن جرير ، وروى عن ابن مسعود

قال ابن علقمة ، ومحمد بن عمر - رحمهم الله تعالى - ثم بعد فتح مكة خرج رسول

صلى الله عليه وسلم / لحنين وكان أهل حنين وفى رواية أهل مكة يظنون حين دنا منهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه مبادر بهوازن ، وصنع الله لرسوله أحسن من ذلك ؛ فتح له مكة وأقر بها عينه وكبت بها عدوه ، فلما خرج إلى حنين

٢٧٦
ت

خرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً - ركبناً ومشاة حتى خرج معه النساء يمشين على غير دينٍ نَظَّاراً ينظرون ويرجون الغنائم ، ولا يكرهون أن تكونَ الصدمة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم .

وكان معه أبو سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما ، وجعل أبو سفيان بن حرب كلما سقط تُرْسٌ أو سَيْفٌ أو متاع من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أن أعطينيه أحمله حتى أؤقرَ بعيره .

قال محمد بن عمر : وخرج رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وزوجته أم سلمة وميمونة فضربتَ لهما قبة .

* * *

نكر قول بعض من أسلم ، وهو حديث عهد بالجاهلية - اجعل لنا ذات أنواط

روى ابن إسحاق ، والترمذى - وصححه - والنسائى وابن أبي حاتم عن أبي قتادة الحارث بن مالك - رضى الله عنه - قال : خَرَجْنَا مع رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى حُنين - ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية فسيرنا معه إلى حُنين ، وكانت لكفار قريش ومَن سواهم مِنَ العرب شجرةٌ عظيمة ، وعند الحاكم في الإكليل سِدْرَةٌ خضراء - يُقال لها « ذاتُ أنواط » - يأتونها كل سنة ، فيعلّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوماً ، فرأينا ونحن نسير مع رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - سِدْرَةَ خضراء عظيمة ، فتنادينا من جنابِ الطريق : يا رسولَ الله ، اجعلْ لنا « ذاتَ أنواط » كما لهم « ذاتُ أنواط » فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - « الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، قلتم - والذي نفسى بيده - كما قال قومُ موسى لموسى ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١﴾ » إنها لسننٌ ، لترْكبن سننَ مَنْ كَانَ قبلكم حَذَوُ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ .

(١) سورة الأعراف آية ١٣٨ .

نكر الآية في قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لما قيل له
ان هوازن قد اقبلت

عن سهل بن الحنظلية — رضى الله عنه — إنهم ساروا مع رسول الله — صلى الله عليه — يوم حنين فأطنبوا في السير حتى إذا كان عشية حضرت صلاة الظهر عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فجاء رجل فارس فقال : يا رسول الله ، إني أنطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا ^(١) هوازن قد جاءت عن بكرة أبيهم يظعنهم ونعيمهم وشائهم ، اجتمعوا ، فتبسم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقال : « تِلْكَ غَنِيمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » . ثم قال : « مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ ؟ » قال أنس بن أبي مرثد : أنا يا رسول الله ، قال : « فَارْكَبْ » فركب فرساً له ، وجاء إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « اسْتَقْبِلْ هَذَا الشَّعْبَ حَتَّى تَكُونَ فِي أَعْلَاهُ وَلَا نُغْرَنَ مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَةَ » . فلما أصبحنا خرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى مُصَلَّاهُ فركع ركعتين ثم قال : « هَلْ أَحْسَنْتُمْ فَارِسَكُمْ ؟ » قالوا : يا رسول الله ما أحسنناه ، فثوب بالصلاة فجعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يُصَلِّي وهو يَلْتَفِتُ إلى الشَّعْبِ ، حتى إذا قضى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صلاته قال : « أَبَشِّرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ فَارِسُكُمْ » فجعل ينظر إلى خلال الشجر في الشَّعْبِ ، وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال إنني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشَّعْبِ حيث أمرني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحداً ، فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « هَلْ نَزَلَتِ اللَّيْلَةُ ؟ » قال : لا إلا مُصَلِّياً ، أو قاضى حاجة ، فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « قَدْ أُوجِبْتَ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْمَلَ بَعْدَهَا » رواه أبو داود والنسائي .

(١) في السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٣٢٥ فإذا أنا بهوازن .

فكر شعر عباس بن مرداس — رضى الله عنه — ناصحا لهوازن

أَبْلَغُ هَوَازِنَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا مِنْى رِسَالَةٍ نُصَحَ فِيهِ تَبْيَانُ
إِنِّى أَظُنُّ رَسُولَ اللَّهِ صَابِحَكُمْ جَيْشًا لَهُ فِي فِضَاءِ الْأَرْضِ أَرْكَانُ
فِيهِمْ سُلَيْمٌ أَخُوكُمْ غَيْرَ تَارِكِكُمْ وَالْمُسْلِمُونَ عِبَادُ اللَّهِ غَسَّانُ
وَفِي عِضَادَتِهِ الْيُمْنَى بَنُو أَسَدٍ وَالْأَجْرَبَانُ بَنُو عَبَسٍ وَذُبْيَانُ
تَكَادُ تَرْجُفُ مِنْهُ الْأَرْضُ تَرْهَبُهُ وَفِي مُقَدِّمِهِ أَوْسٌ وَعُثْمَانُ

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان قبيلتا^(١) مُزَيْنَةَ .

* * *

فكر الآية في حفظه — صلى الله عليه وسلم — ممن اراد الفتك به

روى محمد بن عمر عن شيوخته قالوا : قال أبو بُرْدَةَ — بضمُّ الموحدة ، وسكون
الرَّاء وبالذال المهملة — بن نِيَارٍ — رضى الله عنه — لَمَّا كُنَّا بِأَوْطَاسٍ نَزَلْنَا تَحْتَ شَجَرَةٍ
وَنَظَرْنَا إِلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — تَحْتَهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ
وَقَوْسَهُ ، وَكُنْتُ أَقْرَبُ أَصْحَابِي إِلَيْهِ ، فَمَا رَاعَنِي^(٢) إِلَّا صَوْتُهُ : يَا أَبَا بُرْدَةَ ، فَقُلْتُ :
لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَقْبَلْتُ سَرِيعًا فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — جَالِسٌ
وَعِنْدَهُ رَجُلٌ جَالِسٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ جَاءَنِي
وَأَنَا نَائِمٌ ، فَسَلَّ سَيْفِي ، وَقَامَ بِهِ عَلَى رَأْسِي ، فَأَنْتَبَهْتُ وَهُوَ يَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ مِنْ يَمْنَعُكَ
مَنْى ؟ فَقُلْتُ : اللَّهُ تَعَالَى ، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ : فَسَلَّتُ سَيْفِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — :
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : شَمُّ^(٣) سَيْفِكَ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَعْنِي أَضْرِبُ عَنْقَ عَدُوِّ اللَّهِ ،
فَإِنَّهُ مِنْ عَيُونِ الْمُشْرِكِينَ . فَقَالَ لِي : « اسْكُتْ يَا أَبَا بُرْدَةَ » . قَالَ : فَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ
اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — شَيْئًا وَلَا عَاقِبَهُ . قَالَ : فَجَعَلْتُ أَصْبَحُ بِهِ فِي الْعُسْكَرِ لِأَشْهُرِهِ^(٤)
لِلنَّاسِ فَيَقْتُلُهُ قَاتِلٌ بَغِيرِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَأَمَّا أَنَا فَقَدْ كَفَّنِي

(١) فى ص ٢ : ٢٣٥ قبيلتا « والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) فى المغازى للواقدي ٣ : ٨٩١ « فا أنزعنى » .

(٣) شم سيفك أى أغدده (الصحيح)

(٤) فى المغازى للواقدي ٣ : ٨٩٢ « ليشهده الناس »

رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - عن قتله ، فجعل النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - يقول : « يا أبا بَرْدَة كَفَّ عن الرجل . فرجعت إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ، فقال : يا أبا بردة إِنَّ اللهَ مَا يَعْجَى وَحَافِظِي حَتَّى يُظْهَرَ دِينُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ »^(١) .

نكر الآية التي حصلت لجواسيس المشركين في هذه الغزوة

روى أبو نعيم والبيهقي من طريق ابن إسحاق قال : حَدَّثَنِي أُمِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ابْنِ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ أَنَّهُ حَدَّثَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ انْتَهَى إِلَى حُنَيْنٍ مَسَاءً^(٢) لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ لَعَشْرِ خُلُوفٍ مِنْ شَوَالٍ ، وَبَعَثَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ هَوَازِنَ يَنْظُرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فِي الْعَسْكَرِ فَرَجَعُوا إِلَيْهِ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُمْ ، فَقَالَ : وَيْلَكُمْ مَا شَأْنُكُمْ ، فَقَالُوا : رَأَيْنَا رَجَالًا بَيْضًا عَلَى خَيْلٍ بُلُقَى ، فَوَاللَّهِ مَا تَمَاسَكْنَا أَنْ أَصَابَنَا مَا تَرَى ، وَاللَّهِ مَا نُقَاتِلُ أَهْلَ الْأَرْضِ ، إِنْ نَقَاتِلُ إِلَّا أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَإِنْ أَطَعْنَا رَجَعْتَ بِقَوْمِكَ ، فَإِنَّ النَّاسَ إِنْ رَأَوْا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْنَا أَصَابَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَنَا . فَقَالَ : أَفْ لَكُمْ ، أَنْتُمْ أَجِبْنَ أَهْلَ الْعَسْكَرِ . فَجَبَسَهُمْ عَنْدهُ فَرَقًا أَنْ يَشِيعَ ذَلِكَ الرَّعْبُ فِي الْعَسْكَرِ ، وَقَالَ : دُلُونِي عَلَى رَجُلٍ شَجَاعٍ . فَأَجْمَعُوا لَهُ عَلَى رَجُلٍ ، فَخَرَجَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ قَدْ أَصَابَهُ كَنْحُو مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ رَجَالًا بَيْضًا عَلَى خَيْلٍ بُلُقَى ، مَا يُطَاقُ النَّظَرُ إِلَيْهِمْ ، فَوَاللَّهِ مَا تَمَاسَكْتَ أَنْ أَصَابَنِي مَا تَرَى ، فَلَمْ يُثْنِ ذَلِكَ مَالِكًا عَنْ وَجْهِهِ ، وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو نَحْوَهُ عَنْ شَيْوَخِهِ .

نكر تعبئة المشركين عسكرهم

قال شيوخ محمد بن عمر : لما كان ثلثا^(٣) الليل عمَدَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ إِلَى أَصْحَابِهِ فَعَبَّأَهُمْ فِي وَادِي حُنَيْنٍ ، وَهُوَ وَادٍ أَجْوَفُ خُطُوطِ ذُو شَعَابٍ وَمُضَابِقٍ ، وَفَرَّقَ النَّاسَ فِيهَا ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابِهِ حِمْلَةً وَاحِدَةً .

(١) ورد في هامش (ت) « وتقدم في غزوة ذات الرقاع قصة شبيهة لهذه ، والظاهر أنها لغير هذه » .

(٢) في (ص) : ٢ : ٢٣٥ عشية ليلة « والمثبت عن بقية النسخ .

(٣) عبارة ابن عمر الواقدي في المغازي ٣ : ٨٩٥ « لما كان من الليل » .

وعباً رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - أصحابه وصفهم صُفُوفاً في السَّحَر ، ووضع
الألوية والرَّايَات في أهلها ، ولبس درعين والمغفر والبيضة ، وركب بغلته البيضاء ،
وأستقبل الصفوف ، وطاف عليهما بعضهما خلف بعض ينحدرون ، فحضهم على القتال
وبشَّروهم بالفتح إن صدقوا وصبروا ، وقَدَّم خالدَ بنَ الوليد في بني سُليَم وأهل مكة ،
وجعل ميمنةً وميسرةً وقلبا ؛ كان رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم فيه

ذكر اعجاب المسلمين كثرتهم يوم حنين

روى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن الربيع بن أنس قال : قال رجلُ يوم
حُنين : لن نُغلب من قلة ، فشق ذلك على رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وكانت
الهزيمة .

وروى ابن المنذر عن الحسن قال : لما اجتمع أهلُ مكة وأهلُ المدينة قالوا : الآن
نُقَاتِلُ حين اجتمعنا ، فكره رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ما قالوا مما أعجبهم
من كثرتهم ، فالتقوا فهزموا حتى ما يقوم أحد على أحد .

وروى أبو الشيخ والحاكم - وصححه - وابن مردويه والبخاري عن أنس - رضى
الله عنه - قال : لما اجتمع يوم حنين أهل مكة وأهلُ المدينة أعجبتهُم كثرتهم فقال
القوم : اليوم والله نقاتل ، ولفظُ البخاري ؛ فقال غلامٌ من الأنصار يومَ حُنين لن نُغلبَ
اليوم من قلة . فما هو إلا أن لقينا عدونا فانهزم القوم ، وولوا مُدبرين .

وروى محمد بن عمر عن ابن شهاب الزهري ، قال رجلٌ من أصحاب رسولِ الله
- صَلَّى الله عليه وسلم - لو لقينا بني شيبان ما بالينا ، ولا يغلبنا اليوم أحدٌ من قلة .
قال ابن إسحاق : حدثني بعضُ أهل مكة : أنَّ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال
حين فصل من مكة إلى حُنين ، ورأى كثرةَ مَنْ معه من جنودِ الله تعالى : « لن نُغلبَ
اليوم من قلة » ، كذا في هذه الرواية .

والصَّحيح أنَّ قاتِل ذلك غير النبي - صَلَّى الله عليه وسلم - كما سبق .

قال ابن إسحاق / : وزعم بعضُ الناس أنَّ رجلا من بني بكر قالها .

وروى محمد بن عمر عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - أَنَّ أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ
اللهُ عنه - قال : يا رسول الله لن نُغْلِبَ اليومَ من قلة كذا في هذه الرواية ، وبذلك جزم
ابنُ عبد البر .

قال ابنُ عقبة : ولَمَّا أصبحَ القومُ ونظَرَ بعضهم إلى بعض ، أشرف أبو سفيان ،
وأبْنُه معاوية ، وصفوان ابن أمية ، وحكيم بن جزام على تلٍّ ينظرون لمن تكون الدائرة

* * *

ذكر كيفية الواقعة وما كان من أول الأمر من فرار أكثر المسلمين عن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - ثم كانت العاقبة للمتقين، وما وقع في ذلك من الآيات

قال ابن سعد : أشهد رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - إلى حُنَيْنٍ مساءً لَيْلَةَ
الثلاثاء لعشرٍ لِيَالٍ خَلَوْنَ من شوال .

روى ابنُ إسحاق ، والإمام أحمد وابن حبان عن جابر بن عبد الله ، والإمام أحمد
من طريقين ، وأبو يَعْلَى . ومحمد بن عمر عن أنس ابن مالك - رضى الله تعالى عنهما -
لَمَّا أَستقبلْنَا وادِي حُنَيْنٍ انحدرنا في وادٍ أجوفٍ خُطُوطٌ له مضائق وشعاب ، وإنما
ننحدرُ فيه انحداراً ، وفي عَمَايَةِ الصُّبْحِ ، وقد كان القوم سبقونا إلى الوادى فمكثوا
في شِعَابِهِ وَأَجْنَابِهِ ومضايقه وتَهَيَّئُوا ، فوالله ما راعنا ونحن مُنْحَطُّونَ إِلَّا الكَتَائِبُ
قد شَدُّوا علينا شَدَّةَ رجلٍ واحد ، وكانوا رماة .

قال أنس - رضى الله عنه - استقبلنا من هوازن شيء ، لَا وَاللَّهِ ما رَأَيْتُ مثله في
ذلك الزَّمان قط ، من كثرة ^(١) السَّوَادِ ، قد ساقوا نساءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وأموالهم ثم صفوا
صفوفاً ، فجعلوا النِّسَاءَ فوق الإبل وراء صفوف الرجال ، ثم جاءوا بالإبل والبقر
والغنم ، فجعلوها وراء ذلك لثلاً يفرِّوا بزعمهم ، فلما رأينا ذلك السَّوَادَ حسبناه رجالاً
كلهم ، فلَمَّا انحدرْنَا في الوادى ، فَبَيْنَا نحنُ في غَبِشِ الصُّبْحِ إنْ شعرنا إِلَّا بالكِتَائِبِ
قد خرجت علينا من مضيق الوادى وشعبه ، فحملوا حملة رجل واحد ، فَأَنكَشَفَتْ أَوَائِلُ

(١) في (ص) ٢ : ٢٣٦ « من الكثرة والسواد » وفي المغازي للواقدي ٣ : ٨٩٧ « من السواد والكثرة » .

الخيـل - خيـلُ بني سليم - مُؤَلِّيـة وتبعهم أهل مكة وتبعهم النَّاسُ منهزمين مَا يَلُوتُونَ على شئء وارتفع النقع فما منا أَحَدٌ يُبصر كَفَّهُ .

وقال جابر : وَأَنحَازُ رَسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ - ذات اليمين ، ثم قال ^(١) : « أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمَّ إِلَى أَنَا رَسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ - أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » ^(١) .

قال : فلا شئء، وحملت الإبل بعضها على بعض ، فأنطلق النَّاسُ .

وذكر كثيرٌ من أهل المغازی : أَن المسلمين لما نزلوا وادى حُنَيْنٍ تقدمهم كثير ممن لا خبرة لهم بالحرب ، وغالبهم من شبَّان أهل مكَّة ، فخرجت عليهم الكتائب من كل جهة ، فحملوا حملة رجلٍ واحد والمسلمون غارون ، فَرَّ مَنْ فَرَّ ، وبلغ أقصى هزيمتهم مكَّة ، ثم كَرُّوا بَعْدَ .

وفي الصحيح عن البراء بن عازب - رضى الله عنهما - قال : عَجِلَ سِرْعَانُ ^(٢) القَوْمِ - وفي لفظة : شبَّان أصحاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ - ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح ، فَإِنَّا لَمَّا حملنا على المشركين انكشفوا ، فاقبل الناس على الغنائم ، وكانت هَوَازُنُ رُمَاةٍ فَاسْتَقْبَلَتْنَا بِالسِّهَامِ كَأَنَّمَا رِجْلُ جَرَادٍ ، لا يكادُ يسقطُ لهم سَهْمٌ - انتهى .

قال : وكان رجل على جملٍ له أحمر ، بيده رايةٌ سوداء على رمح طويل أمام هَوَازِنَ ، وهَوَازِنُ خلفه ، إِذَا أَذْرَكَ طَعَنَ برمحه ، وَإِنْ فَاتَهُ النَّاسُ ، رفع رُمَحَهَ لمن وراءه فاتبعوه . فبينما هو كذلك إِذْ هَوَى له عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، ورجلٌ من الأنصار يُريدانه ، فَاتَّاهَ عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ من خلفه فضربَ عرقوبَيَ الجمل ، فوقع على عَجْزِهِ ، ووَثَبَ الأنصارى على الرَّجُلِ فضربه ضربةً أَطَنَّ قَدَمَهَ بنصف ساقه ، فَانْجَعَفَ عَنْ رحله ، واجتلد النَّاسُ ، فوالله مَا رَجَعَتْ راجعةُ النَّاسِ من هزيمتهم حتى وجدوا الأَسْرَى مُكْتَفِينَ عِنْدَ رسولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ .

(١-١) وفي (ص) ٢ : ٢٣٦ « إلى أيها الناس هلم إلى أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) السرعان : سرعان القوم أوائلهم المستبقون إلى الأمر . وسرعان الخيل أوائلها . (اللسان) .

قال ابن إسحاق : لما أنهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من جُفَاةِ أهل مكة الهزيمةَ تكلمَ منهم رجال بما في أنفسهم من الضغن . قال أبو سفيان بن حرب وكان إسلامه - بَعْدُ - مَذْخُولًا : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإنَّ الأَزالام لمعه في كنانته ، وصرخ جبلةُ بن الحنبل - وقال ابن هشام : كَلَدَةُ بن الحنبل - وأسلم بعد ذلك ، وهو مع أخيه لأمه صفوان بن أمية ، وصفوانُ مشرك في المدة التي جعل له رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : ألا بطلَ السَّحَرُ اليوم !! فقال له صفوان : اسكتَ فضَّ اللهُ فاك ! والله أن يرُبِّني رجلٌ من قريش أحبَّ إلى من أن يرُبِّني رجلٌ من هَوَازِن .

وروى محمد بن عمر عن أبي بشير - ككريم - المازني - رضى الله عنهم - قال : لما كان يومُ حُيَيْنَ صَلَّيْنَا الصُّبْحَ ، ثم رجعنا على تعبئةٍ من رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فما شعرنا - وقد كاد حاجِبُ الشَّمْسِ أن يطلع ، وقد طلع - إلا بمقدمتنا قد كَرَّت علينا ، قد أنهزموا ، فأختلطتْ صُوفُنَا ، وأنهزمتنا مع المقدمة ، وأكر ، وأنا يومئذٍ غُلَامٌ شابٌّ ، وقد علمت أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - متقدِّمٌ فجعلتُ أقول : يالْأَنْصَارُ ، بآئٍ وأُمِّي ، عن رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - تولُّون ؟ وأكرُّ في وُجُوهِ المنهزمين . ليس لي همَّةٌ إِلَّا النَّظَرُ^(١) إلى سَلَامَةِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - حتى صرت إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يصيح : « يالْأَنْصَارُ » فَدَنَوْتُ من دَابَّتِهِ ، والتفتُ من ورائها ، وإِذَا الْأَنْصَارُ قد كَرُّوا كَرَّةً رجل واحد ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - واقفٌ على دَابَّتِهِ في وُجُوهِ الْعَدُوِّ ، ومضت الْأَنْصَارُ أَمَامَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - يُقَاتِلُونَ ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - سائرٌ معهم يفرِّجُونَ الْعَدُوَّ عنه ، حتَّى طردناهم فرسخًا ، وتفرَّقوا في الشَّعَابِ ، حتَّى فُلُّوا من بين أيدينا ، فرجع رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى منزله وقُبَّتِهِ ، وقد ضَرَبَتْ له - وَالْأَسْرَى مَكْتَفُونَ حوله ، وإِذَا نَفَرٌ حَوْلَ قُبَّتِهِ ، وفي قبته زوجاته أم سلمة وميمونة ، حولها النَّفَرُ الَّذِينَ يَحْرُسُونَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - وهم عباد بن بشر ، وأبو نائلة ، ومحمد بن مسلمة .

(١) في (ص) ٢ : ٢٣٦ « في سلامة » والمثبت عن بقية النسخ .

قال ابن عقبة : ومَرَّ رجلٌ من قريش بصفوان بن أمية فقال : أبشِرْ بهزيمة محمد وأصحابه ، فوالله لا يجبرونها^(١) أبداً . فقال صفوان : أتُبشِّرُنِي بظهور الأعراب ؟ فوالله لرَبٍّ من قريش أحبُّ إليَّ من رَبٍّ من الأعراب ، وغضب صفوان لذلك ، وبعث صفوان غلاماً له فقال : اسمع لمن الشَّعَارُ فجاءه فقال : سمعتهم يقولون : يا بني عبد الرحمن يا بني عبيد الله ، يا بني عبد الله ، فقال : ظَهَرَ محمدٌ وكان ذلك شِعَارَهُم في الحرب .

وروى محمد بن عمر عن أبي قتادة - رضى الله عنه - قال : مضى سرعان الناس من المنهزمين ، حتى دخلوا مكة ، ساروا يوماً وليلة - يُخبرون أهل مكة بهزيمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعتاب - ابن أسيد بوزن أمير - على مكة ومعه مُعَاذُ بن جَبَل ، فجاءهم أمرٌ غمهم ، وسُرَّ بذلك قومٌ من أهل مكة وأظهروا الشَّماتة ، وقال قائل منهم : ترجع العرب إلى دين آبائِها ، وقد قُتِلَ محمد وتفرَّق أصحابه ، فتكلم عتابُ بن أسيد يومئذ فقال : إِنْ قُتِلَ محمد ، فَإِنَّ دِينَ الله قائم - والذي يعبدُه محمد حتى لا يموت ، فما أمسوا من ذلك اليوم حتى جاء الخبرُ أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - أَوْقَعَ بهَوازَن ، فَسَرَّ عتابُ بنُ أسيد ، ومُعَاذُ بن جَبَل ، وكَبَتَ اللهُ - تعالى - مَنْ هُنَاكَ مِمَّنْ كان يَسُرُّه خلافُ ذلك .

فرجع المنهزمون إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلاحقوه بأوطاس وقد رحل منها إلى الطائف .

ذكر ارادة شيبة بن عثمان - قبل أن يسلم - الفتنك برسول الله - صلى الله عليه وسلم لما رآه في نفر قليل ، وما وقع في ذلك من الآيات^(٢)

روى ابنُ سعد وابنُ عساكر عن عبد الملك بن عبيد ، وأبو القاسم البغوي ، والطبراني ، والبيهقي ، وأبو نعيم ، وابن عساكر عن عكرمة - رحمهم الله تعالى - قالوا : قال شيبة : لما كان عام الفتح دخل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - مكة عَنُوةً ، وغزا حُنيناً ، قلتُ أسير مع قريش إلى هَوازِن ، فعسى إِنْ أختلطوا أَنْ أُصِيبَ من محمد غِرَّةٌ ،

(١) كذا في الأصول وفي البداية والنهاية ٤ : ٣٣٠ والمغازي للواقدي ٣ : ٩١٠ « يجتبرونها ، ويجتبرها » .

(٢) وانظر سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٤٤ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٢٨ ، والمغازي للواقدي ٣ : ٩٠٩ ، والبداية

والنهاية ٤ : ٣٣٣ .

وتذكّرتُ أبي وقتلَهُ حمزةُ ، وعمي وقتلَهُ عليُّ بن أبي طالب ، فقلتُ : اليوم أدرك ثأري من محمد ، وأكون أنا الذي قمت بشارٍ قريش كلها ، وأقول : لو لم يبقَ من العرب والعجم أحدٌ إلا أتبع محمدًا ما تبعته أبداً ، فكننت مرصداً لما خرجتُ له ، لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوةً ، فلما اختلطَ الناس ، اقتحم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عن بغلته ، وأصلتُ السيفَ ، ودنوتُ منه ، أريدُ ما أريد - وفي رواية فلما أنهزم أصحابه جثته من عن^(١) يمينه فإذا العباس قائم عليه درع بيضاء ، فقلت : عمه لن يخذله ، فجثته من عن يساره ، فإذا بابي سُفيان بن الحارث فقلت : ابن عمه لن يخذله ، فجثته من خلفه ، فلم يبقَ إلا أن أسوره سورةً بالسيف إذا رُفِعَ إليّ فيما بيني وبينه شواظٌ من نار كأنه برقٌ . فخفت أن يتمحشني فوضعتُ يدي على بصرى ، خوفاً عليه ، ومشيتُ القهقري ، وعلمت أنه ممنوع . فالتفتُ إليّ وقال : « يا شيبُ أذنُ مني » فدنوتُ منه ، فوضع يده على صدرِي وقال : « اللهم أذهبْ عنه الشيطان » . فرفعتُ إليه رأسي وهو أحب إليّ من سمعي وبصرى وقلبي ، ثم قال : « يَا شَيْبَةُ قَاتِلِ الْكُفَّارَ » قال : فتقدّمتُ بين يديه أُحِبُّ - والله - أن أقيه بنفسى كلَّ شيء^(٢) ، فلما انهزمت هوازنُ رجّع إلى منزله ودخلت عليه فقال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَادَ بِكَ خَيْرًا مِمَّا أَرَدْتَ » ثم حدثني بما هممت به - صلى الله عليه وسلم .

* * *

**نكر ارادة النصير بن الحارث الفتك برسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وما وقع في ذلك من الآيات**

قال محمد بن عمر : حدثنا إبراهيم بن محمد بن شَرْحَبِيل العَبْدَرِي عن أبيه قال : كان النصير من أحلم قريش . وكان يقول : الحمدُ لله الذي أكرمنا بالإسلام ومنّ علينا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولم نمت على ما مات عليه الآباء ، فذكر حديثاً طويلاً ، ثم قال : خرجتُ مع قومٍ من قريش ، هم على دينهم - بعدُ - أبو سفيان ابن حرب ، وصفوان بن أمية ، وسُهَيْل بن عمرو ، ونحن نريد أن كانت دبرة على محمد أن نُغيّر عليه فيمن يُغيّر ، فلما تراءت الفِئتان ونحن في حيز المشركين حملت

(١) في (ص) ٢ : ٢٣٧ « من على يمينه » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) في المغازي للواقدي ٣ : ٩١٠ « بنفسى وبكل شيء » .

٢٨٠
٢ هوازن حملة واحدة ، ظَنَنَّا أَنَّ المسلمين / لا يجبرونها أبداً ، ونحن معهم وأنا أريد بمحمد ما أريد . وعمدتُ له فإذا هو في وُجُوهُ المشركين واقفٌ على بغلةٍ شهباءٍ حولها رجالٌ بيضُ الوجوه ، فأقبلتُ عامداً إليه ، فصاحوا بي : إليك ، فَأَرْعِبَ فُوَادِي وَأَرْعِدَتِ جوارحي . قلتُ : هذا مثل يوم بدر ؛ إِنَّ الرَّجُلَ لَعَلَى حَقٍّ ، وإِنَّه لمعصوم ، وأدخل الله تعالى في قلبي الإسلام وغيره عما كنتُ أهم به ، فما كان حلبَ ناقة حتى كَرَّ أصحابُ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - كَرَّةً صادقة ، وتنادت الأنصار بينها : الكَرَّة بعد الفَرَّة : يا للخزرج ، يا للخزرج ، فحطمونا / حطاماً ، فرقوا شملنا ، وتشتت أمرنا ، ٤٩٤ ت وهممة كل رجلٍ نفسه فتنجيت في غُبرَات الناس حتى هبطتُ بعض أودية أوطاس فكمنتُ في خَمَر شجرة لا يَهْتَدِي إِلَى أَحَدٍ إِلَّا أَنْ يَدُلَّهُ اللهُ - تعالى - عليّ ، فمكثتُ فيه أياماً وما يُفَارِقُنِي الرَّعْبُ مِمَّا رَأَيْتُ ، ومضى رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - إلى الطائف ، فأقام ما أقام ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْجِعْرَانَةِ ، فقلتُ : لو صرتُ إلى الجِعْرَانَةِ ، فقاربتُ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ودخلتُ فيما دخل فيه المسلمون ، فما بقي أحدٌ فقد رَأَيْتُ عِبراً ، وقد ضربَ الإسلامُ بجرانه ، ولم يبقَ أحدٌ ، ودانت العربُ والعجمُ لمحمدٍ - صَلَّى الله عليه وسلَّم - فَعَزَّ مُحَمَّدٌ لَنَا عِزٌّ ، وشرُّهُ لَنَا شَرَفٌ ، فوالله إنني لعلی ما أنا عليه إن شعرتُ إِلَّا برسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - يلقاني بالجعرانة كَنَّةً لَكِنَّةً فقال : « النصير ؟ » قلتُ : « لَبَّيْكَ ، فقال : « هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا أَرَدْتَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِمَّا حَالَ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ » فأقبلتُ إليه سريعاً ، فقال : « قد آن لك أن تُبصر ما أنت فيه توضع . قلتُ : قد أرى أن لو كان مع الله - تعالى - إلهاً غيره لقد أغنى شيئاً ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنتك رسولُ الله . قال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - : « اللَّهُمَّ زِدْهُ ثَبَاتاً » قال النصير : فوالله الذي بعثه بالحقِّ لكَانَ قَلْبِي حَجَرِ ثَبَاتَا فِي الدِّينِ وَبَصِيرَةً فِي الْحَقِّ ، وذكر الحديث .

نكر ثبات رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ورميه الكفار ، ونزوله عن بغلته ، ودعائه ربه سبحانه وتعالى ، وما وقع في ذلك من الآيات

روى ابنُ إسحاق ، والإمام أحمد عن جابر بن عبد الله ، وابن إسحاق ، وعبد الرزاق ، ومسلم عن العباس عم رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - قال العباس : شهدتُ

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم حُنين ، فلزمتُ أنا وأبو سُفيان بن الحارث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم نفارقه ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - على بغلة له شهباء ، قال عبدُ الرزاق : وربما قال معمر : بيضاء ، أهداها له فروة بن نَفْثة الجذامي ، قال (١) فلما التقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون مدبرين ، فطفق رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يركضُ بغلته قِبَلَ الكُفَّار ، وأنا آخذٌ بلجامِ بغلة رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ، وفي رواية : أَكْفُهَا أَنْ لَا تُسْرِعَ ، وهو لا يَأْلُو ما أَسْرَعَ نَحْوَ المشركين ، وأبو سُفيان ابن الحارث آخذٌ ، بركاب رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وفي رواية بخرزه ، وفي رواية بثفره (٢) ، فالتفت رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أبي سُفيان بن الحارث وهو مُقَنَّعٌ في الحديد ، فقال : « مَنْ هَذَا » فقال : ابنُ عمك يا رسولَ الله ، وفي حديث البراء : وأبو سُفيان بن عمه يقود به ، قال ابن عقبة - رحمه الله تعالى : وقام رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في الرُّكابين ، وهو (٣) على البغلة ، فرفع يديه إلى الله - تعالى - يدعو يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ مَا وَعَدْتَنِي .. اللَّهُمَّ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْنَا » انتهى .

قال العباس : فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - « يا عَبَّاس !! نَادِ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، يَا أَصْحَابَ السُّمُرَةِ ، يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ » .

قال العباس - وكنت رجلاً صيتاً - فقلت بأعلى صوتي : أين الأنصار ، أين أصحاب السُّمُرَةِ ، أين أصحاب سورة البقرة ، قال : والله لكأنما عطفتم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها .

وفي حديث عُثْمَانَ بن شَيْبَةَ عند أبي القاسم البغوي ، والبيهقي « يا عَبَّاس ، اصْرُخَ بِالْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَبِالْأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا » قال : فما شبهت عطفة الأنصار على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إِلَّا عطفة الإبل على أولادها . حتى تُترك رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - كأنه في حَرَجَةٍ (٤) ، فلرمَّاح الأنصار كانت

(١) أي العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الثفر : هو السير في مؤخرة السرج . (القاموس المحيط) .

(٣) في (ص) : ٢ : ٢٣٧ « وموجها البغلة » والمثبت عن بقية النسخ .

(٤) الحرجة : شجر ملتف كالغيضة . (شرح المواهب : ٣ : ١٢)

أخوف عندى على رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - من رِمَاح الكُفَّار - انتهى . فقالوا : يا لَبَيْكَ يا لَبَيْكَ يا لَبَيْكَ . قال : فيذهبُ الرجلُ يُثْنِي بغيره ولا يقدرُ على ذلك ؛ أى لكثرة الأعراب المنهزمين - كما ذكره أبو عمر بن عبد البر - فيأخذ دِرْعَه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وتُرْسَه ويقتحم عن بغيره ، فيخْلِ سبيلَه ، فيؤمُّ الصوتَ حتَّى ينتهى إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - حتَّى إذا اجتمع منهم مائة ، استقبلوا النَّاسَ فأقتتلواهم والكُفَّار ، والدَّعوةُ في الأنصار يا معشر الأنصار ، ثم قصرت الدَّعوةُ على بنى الحارث بن الخزرج ، وكانوا صُبراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - في ركابه ، فنظر إلى مُجْتَلِدِهِمْ وهم يَجْتَلِدُونَ / وهو على بغلته كالمُتَطاول عليها إلى قتالهم ، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - : « هَذَا حِينَ حَمَى^(١) الوطيس ، ثم أخذ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - حصيات فرمى بهنَّ وُجُوهُ الكُفَّار ، ثم قال : « انْهَزِمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ » فذهبتُ أنظرُ فإذا القتالُ على هيئته فيما أرى ، فوالله ما هو إلَّا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وأمرهم مُدْبِرًا ، فوالله ما رَجَعَ النَّاسُ إلَّا وأَسَارَى عند رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - مُكْتَفُونَ ، قتل الله - تعالى - منهم من قتل ، وأنهم منهم من أنهم ، وأفاء الله تعالى على رسوله أموالهم ونساءهم وأبنائهم .

وروى ابن سعد ، وابن أبي شيبة ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والبخارى في معجمه ، والطبرانى وابن مردويه ، والبيهقى برجال ثقات عن أبي عبد الرحمن بن يزيد الفهرى - يقال اسمه كرز - رضى الله تعالى عنه - قال : كنت مع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - في حُنَيْنٍ في يومٍ قاتظ شديد الحرِّ ، فنزلنا تحت ظلال السُّمُرِ^(٢) ، فلمَّا زالت الشمس لبستُ لأمتي ، وركبت فرسى فأتيتُ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - وهو في فُسطاطه ، فقلتُ : السَّلامُ عَلَيْكَ يا رسولَ الله ورحمته ، الرواح قد حان ، الرواحُ يا رسولَ الله ، قال : « أَجَلٌ » ثم قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - : « يَا بَلَالُ » فثار من تحت سُمُرَةٍ كَأَنَّ ظِلَّهُ ظِلُّ طائر ، فقال : لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وأنا فداؤك . قال :

(١) في المغازى للواقدي ٣ : ٨٩٩ « الآن حمى الوطيس » .

(٢) في (ص) ٢ : ٢٣٨ « الشجر » والمثبت عن بقية النسخ .

« أَسْرِجْ لِي فَرَسِي » فَأَتَاهُ بِسَرْجٍ دَفَّتَاهُ مِنْ لَيْفٍ لَيْسَ فِيهِمَا أَشْرٌ وَلَا بَطَرٌ ، فَرَكِبَ فَرَسَهُ ، ثُمَّ سَرَرْنَا يَوْمَنَا ، فَلَقِينَا الْعَلُوَّ ، وَتَشَامَتِ الْخِيْلَانُ ، فَقَاتَلْنَاهُمْ فَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ مَدْبِرِينَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(١) ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : « يَا عِبَادَ اللَّهِ . أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » فَأَقْتَحَمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ فَرَسِهِ ، وَحَدَّثَنِي مَنْ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنِّي أَنَّهُ أَخَذَ ٤٩٦ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ فَحَنَّاها / فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ ، وَقَالَ : « شَاهَتِ الْوُجُوهُ » قَالَ يَعْلَى بْنُ^(٢) عَطَاءٍ : وَأَخْبَرَنَا آبَاؤُهُمْ عَنْ آبَائِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا : مَا بَقِيَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَمْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ وَقَمُهُ مِنَ التُّرَابِ ، وَسَمِعْنَا صَلَاصَةً مِنَ السَّمَاءِ كَمَرِّ الْحَدِيدِ عَلَى الطَّسْتِ ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى وَالتَّطْبِرَانِيُّ بِرِجَالٍ ثِقَاتٍ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَخَذَ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَفًّا مِنْ حَصَى أَبْيَضَ فَرَمَى بِهِ وَقَالَ : « هُزِمُوا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ » وَكَانَ عَلَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ النَّاسِ قِتَالًا بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَالتَّطْبِرَانِيُّ عَنْ عِكْرَمَةَ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - قَالَا : لَمَّا أَهْزَمَ الْمُسْلِمُونَ بِحُنَيْنٍ وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءَ - وَكَانَ أَسْمَاهَا دُلْدُلٌ - فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « دُلْدُلُ الْبَدْيِ » فَأَلْزَقَتْ بَطْنَهَا بِالْأَرْضِ ، فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ فَرَمَى بِهَا فِي وَجُوهِهِمْ وَقَالَ : « حَمٌّ لَا يُنْصَرُونَ » فَأَنْهَزَمَ الْقَوْمُ ، وَمَا رَمَيْنَا بِهِمْ وَلَا طَعَنَّا بِرَمْحٍ ، كَذَا فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ اسْمُهَا دُلْدُلٌ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ دُلْدُلَ أَهْدَاهَا الْمُقَوْقِسُ فَهِيَ غَيْرُ الَّتِي أَهْدَاهَا فِرْوَةُ بْنُ نَفَاثَةَ .

وَرَوَى أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ ، وَابْنُ أَبِي عَسَاكِرٍ عَنْ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ : [يَا عَبَّاسُ نَاوِلْنِي مِنَ الْحَصْبَاءِ] قَالَ : وَأَفْقَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - الْبَغْلَةَ كَلَامَهُ ، فَانْخَفَضَتْ بِهِ حَتَّى

(١) وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مَدْبِرِينَ) التَّوْبَةُ ٢٥ . .

(٢) وَهُوَ يَعْلَى بْنُ عَطَاءٍ الْعَامِرِيُّ وَيُقَالُ لِلْيَشِيِّ الطَّائِفِي الثَّقَةِ تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٠ هـ أَوْ بَعْدَهَا وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ وَالْأَرْبُوعَةُ . (شَرْحُ الْمَوَاهِبِ ٣ : ١٤) .

كَادَ بَطْنُهَا يَمْسُ الْأَرْضَ ، فَتَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَطْحَاءِ فَحَثَا فِي وُجُوهِهِمْ وَقَالَ : « شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، هُمْ لَا يُنْصَرُونَ » .

وَرَوَى عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي مُسْنَدِهِ ، وَالْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَامِرِ السَّوَّائِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ شَهِدَ حُنَيْنًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ أَسْلَمَ - قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ حُنَيْنٍ قَبْضَةً مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ وَقَالَ : « ارْجِعُوا ، شَاهَتِ الْوُجُوهُ » قَالَ : فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَلْقَى أَخَاهُ إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو الْقَذَى فِي عَيْنَيْهِ وَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالطَّبْرَانِيُّ ، وَالْحَاكِمُ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ ، وَالْبَيْهَقِيُّ بِرِجَالٍ ثِقَاتٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ حُنَيْنٍ ، فَوَلَّى النَّاسُ عَنْهُ ، وَبَقِيَتْ مَعَهُ فِي ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَقَمْنَا عَلَى أَقْدَامِنَا وَلَمْ نُوَلِّهِمُ الدُّبُرَ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى بَغْلَتِهِ لَمْ يَمِضْ قُدُمًا ، فَحَادَثَتْ بِهِ بَغْلَتُهُ فَمَالَ عَنِ السَّرَجِ ، فَقُلْتُ لَهُ ارْتَفِعْ رَفْعَكَ اللَّهُ . فَقَالَ : « نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ تُرَابٍ » فَنَاولَتْهُ ، فَضَرَبَ وَجُوهُهُمْ فَأَمْتَلَأَتْ أَعْيُنُهُمْ تُرَابًا ، ثُمَّ قَالَ : « أَيْنَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ؟ » قُلْتُ : هُمْ أَوْلَاءُ ، قَالَ : « اهْتِفِ بِهِمْ » فَهَتَفَتْ بِهِمْ ، فَجَاءُوا وَسَيُوفُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ كَأَنَّهُمْ ^(١) الشُّهُبُ ، وَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ أَدْبَارَهُمْ .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالْحَاكِمُ ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَاءَتْ هَوَازُنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ بِالنِّسَاءِ / وَالصَّبِيَّانَ وَالْإِبِلَ وَالْغَنَمَ فَجَعَلُوهُمْ صُفُوفًا ؛ لِيَكْثُرُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَلْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ ، فَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُذْبِرِينَ - كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - وَبَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَحْدَهُ / فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « يَا عِبَادَ اللَّهِ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » ٤٩٧ ت وَنَادَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نِدَاءً لَمْ يَخْلُطْ بَيْنَهُمَا كَلَامًا ، فَأَلْتَفَتَ عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » فَقَالُوا : « لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

(١) فِي الْأَصُولِ كَانَهُمْ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتَهُ .

نَحْنُ مَعَكَ » ثم التفت عن يساره فقال : يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله ، فقالوا :
 ليبيك يا رسول الله نحن معك. فهزم الله تعالى المشركين ، ولم يضرب بسيف ، ولم يطعن
 برمح .

وروى ابن سعد وابن أبي شيبة ، والبخارى ، وابن مردويه ، والبيهقي من طُرُق
 عن أبي إسحاق السَّبَّيْنِي - رحمه الله تعالى - قال : جاء رجلٌ من قيسٍ إلى البراء بن
 عازبٍ - رضى الله عنهما - فقال : أَكُنْتُمْ وَلَيْتُمْ ؟ وفى رواية : أَوْلَيْتَ ؟ وفى أخرى :
 أَوْلَيْتُمْ مع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - وفى أخرى : أَفَرَرْتُمْ يومَ حُنَيْنٍ يا أبا عمار؟
 فقال : أشهدُ على رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - أَنَّهُ ما وُلَّى ، وفى رواية : لا والله
 ما وُلَّى رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - يومَ حُنَيْنٍ دُبْرَهُ ، ولكنه خرج بِشُبَّانٍ أَصْحَابِهِ
 وهم حَسَرٌ ليس عليهم سِلَاحٌ أو كثير سلاح ، فلقوا قَوْمًا رُمَاةً لا يكاد يسقطُ لهم سهم
 فلما لقيناهم وَحَمَلْنَا عليهم أَنهزموا ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ على الغنائم ، فَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ
 كَأَنَّهُا رِجْلٌ جَرَادٌ لا يكادون يخطئون ، وأقبلوا هناك إلى رسولِ الله - صَلَّى الله عليه
 وسلَّم - ورسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - على بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ ، وأبو سُفْيَانُ بن الحارث
 يقودُ به ، فنزلَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ودعا وأستنفر ، وقال - صَلَّى الله
 عليه وسلَّم - : « أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ نَصْرَكَ » .

قال البراء : وكنا إذا أَحْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَقَى برسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وإن
 الشجاعَ منا الذى يُحَاذِيهِ : يعنى النَّبِيَّ - صَلَّى الله عليه وسلَّم .

وروى البخارى ، ومسلم ، والبيهقي عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - قال :
 غزونا مع رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - حُنَيْنًا . فلما واجهنا العدو تقدمتُ فَأَعْلُو
 ثَنِيَّةً فَاسْتَقْبَلَنِي رجلٌ من المشركين فَأَرَمِيهِ ، بسهم ، وتوارى عَنِّي فما دريتُ ما صنع ،
 ثم نظرتُ إلى القوم فإذا هم طلعوا من ثَنِيَّةٍ أُخْرَى ، فَالْتَقَوْا هُمْ وَأَصْحَابُ رَسُولِ^(١)
 الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فوَلَّى أَصْحَابُ رَسُولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - فَارْجِعَ
 منهزما . وعلى بُرْدَتَانِ مَوْتَرَا بِإِحْدَاهُمَا مَرْتَدِيَا بِالْأُخْرَى ، فَاسْتَطَلَقَ إِزَارِي ، فجمعتُهما

(١) فى (ص) ٢ : ٢٣٩ « النبى » والمثبت عن بقية النسخ .

جميعاً ، ومررتُ برسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وأنا منهزم - وهو على بغلته الشهباء ، فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - : « لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فِرْعَا » فلما غشوا رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - نَزَلَ عن بغلته ثم قبض قبضةً من تُرَابٍ من الْأَرْض ، ثم إنه أَسْتَقْبَلَ به وجوهَهُمْ ، وقال : « شَاهَتِ الْوُجُوهُ » فما خَلَّى اللهُ تعالى منهم إنساناً إِلَّا مَلَأَ عَيْنِيهِ تُرَاباً من تلك القبضة ، فوَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَقَسَمَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - غَنَائِمَهُمْ بين المسلمين .

وروى أبو الشَّيْخ عن عِكْرَمَةَ - رحمه الله تعالى - قال : لَمَّا كَانَ يومَ حُنَيْنٍ وَلىَ المسلمونَ ، وَثَبَتَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فقال : « أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ » ثلاث مرات ، وَلِىَ جنبه عُمَةُ العَبَّاس - الحديث .

وروى ابن سعد ، والبخارى في التاريخ ، والحاكم ، والبيهقي عن عياض ابن الحارث - رضى الله عنه - قال : أَخَذَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - كَفًّا من حَصْبَاءٍ / فرمى ٤٩٨ تَ بِهَا وَجُوْهَنَا فَانْهَزَمْنَا .

وروى البخارى في التاريخ ، والبيهقي في الدلائل عن عمرو بن سفيان - رضى الله عنه - قال : قَبَضَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - يَوْمَ حُنَيْنٍ قبضةً من الحصباء فرمى بها وَجُوْهَنَا فَانْهَزَمْنَا ، فما خُيِّلَ إلينا إِلَّا أَنَّ كُلَّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ فَارَسَ يَطْلُبُنَا . وروى ابن عساكر عن الحارث بن زَيْد مثله .

وروى أبْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، والإمام أحمد - برجالِ الصَّحِيح - عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : كَانَ من دُعَاءِ النَّبِيِّ - صَلَّى الله عليه وسلم - يومَ حُنَيْنٍ : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَاءَ لَا تُعْبَدُ بَعْدَ الْيَوْمِ » .

وذكر محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - قال : كَانَ من دُعَاءِ رَسُوْلِ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - حينَ أَنْكَشَفَ عنه النَّاسُ ولم يَبْقَ معه إِلَّا المائَةُ الصَّابِرَةُ « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ » فقال له جبريل : « لَقَدْ لَقِنتَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي لَقِنَ اللهُ - تَعَالَى - مُوسَى يَوْمَ فَلَاقِيَ الْبَحْرَ ، وَكَانَ الْبَحْرُ أَمَامَهُ وَفِرْعَوْنُ خَلْفَهُ » ،

نكر ما قيل ان الملائكة قاتلت يوم حنين والرعب الذى حصل للمشركين

روى ابن ابي حاتم عن السدى الكبير - رحمه الله تعالى - فى قول الله عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ ^(١) قال : هم الملائكة ﴿ وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٢) قال : قتلهم بالسيف . وروى أيضاً عن سعيد بن جبير - رحمه الله تعالى - قال : فى يوم حنين / أمدَّ الله - تعالى - رسوله - صلى الله عليه وسلم - بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمِينَ ، ويومئذ سميَّ الله تعالى الأنصار مؤمنين قال : « ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ^(٣) » .

وروى ابن إسحاق ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، والبيهقى عن جبير ابن مطعم - رضى الله عنه - قال : رأيت قبل هزيمة القوم - والناس يقتتلون - مثل الجباد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بين القوم ، فنظرت فإذا نمل أسود مبعوث قد ملأ الوادى ، لم أشك أنها الملائكة ، ولم يكن إلا هزيمة القوم .

وروى محمد بن عمر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن عن شيوخ من قومه من الأنصار ، قالوا : رأينا يومئذ كالبجد السود هوت من السماء ركماً ، فنظرنا فإذا رمل مبعوث ، فكنا ننفضه عن ثيابنا ، فكان نصر الله - تعالى - أيدينا به .

وروى مُسَدَّد فى مسنده ، والبيهقى . وابن عساكر عن عبد الرحمن مولى أم بُرثن قال : حدثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال : لما ألتقينا نحن وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يقوموا لنا حلب شاة أن كبيناهم ^(٤) ، فبينما نحن نسوقهم فى أدبارهم إذ ألتقينا ^(٥) بصاحب البغلة - وفى رواية - إذ غشينا ، فإذا هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فَتَلَقَّيْنَاهُ عنده ، وفى رواية : إذا بيننا وبينه رجال بيض حسان الوجوه قالوا لنا : شأهت الوجوه ، ارجعوا ، فرجعنا - وكانت إياها ^(٦) .

(١) سورة التوبة آية ٢٦ .

(٢) فى ت ، م « كفيئناهم » والمثبت عن النسختين الآخرين وسيرد كالمثبت بشرح المفردات .

(٣) فى (ص) ٢ : ٢٣٩ « إذ التقينا صاحب البغلة » وفى شرح المواهب ٣ : ١٥ « إذ انتبنا إلى صاحب » .

(٤) وكانت إياها : أى الهزيمة . (شرح المواهب ٣ : ١٥)

وروى ابن مردويه ، والبيهقي ، وابن عساكر عن مُضْعَب بن شِيبَةَ بن عثمان الْحَجَبِيِّ عن أبيه - رضى الله عنه - قال : خرجتُ مع رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - يومَ حُنَيْنٍ ، والله ما خرجتُ إسلاماً ، ولكن خرجتُ أنفأ^(١) أن تظهر هَوَازُنُ على قُريشٍ ، فإني لواقفٌ مع رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - إذ قلتُ : يا رسولَ الله إني لأرى خَيْلاً بُلْقاً ، قال : « يَا شَيْبَةُ إِنَّهُ لَا يَرَاهَا إِلَّا كَافِرٌ » فضرب بيده في صدرى وقال : « اللَّهُمَّ اهْدِ شَيْبَةَ » / فعل ذلك ثلاث مرات - فوالله ما رفع رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - عليه ٤٩٩ ت وسلّم - الثالثة حتى ما كان أَحَدٌ من خلقِ الله تعالى أَحَبَّ إِلَيَّ منه ، فالتقى المسلمون فَقَتِلَ مَنْ قُتِلَ . ثم أقبل رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - وعمرُ أخذ باللُجَامِ ، والعبَّاسُ أَخَذُ بِالثُّفَرِ ، فنادى العباسُ : أَيْنَ المهاجرون ، أَيْنَ أصحابِ سورَةِ الْبَقَرَةِ - بصوت عالٍ - هذا رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - فأقبلَ المسلمون والنبيُّ - صَلَّى الله عليه وسلّم - يقول : « أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ » فجالدوهم بالسُّيُوفِ ، فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - : « الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ » .

وروى عبدُ بنُ حُمَيْدٍ ، والبيهقي عن يزيد بن عامر السُّوَّائِي - رضى الله عنه - وكان حضر يومئذٍ ، فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحَصَاةَ فيرمي بها في الطُّسْتِ فيطِنُ فيقول : أَنُ كُنَّا نَجِدُ في أجوافنا مثلَ هذا .

روى محمد بن عمر عن مالك بن أوس بن الحدثان قال : حدثني عِدَّةٌ من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون : « لقد رَمَى رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - تلك الرَّمِيَةَ من الحصى فما مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا يَشْكُو القلدي في عينيه ، ولقد كنا نجدُ في صدورنا خفقانا كوقع الحصى في الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان ، ولقد رأينا يومئذٍ رجالاً بيضاً ، على خيل بُلُقٍ ، عليهم عمام حُمْرٌ ، قد أَرْخَوْهَا بين أكثافهم ، بين السماء والأرض كئائب كئائب ما يَلْبِقُونَ^(٢) شيئا ، ولا نستطيع أن نتأملهم من الرُّعْبِ منهم .

وروى أيضاً عن ربيعة بن أبزى قال : حدثني نَفَرٌ من قومي ، حضروا يومئذٍ قالوا :

(١) في شرح المواهب ٣ : ١٥ « إئتفاء أن تظهر » وفي البداية والنهاية ٤ : ٣٣٣ « ولكن آيت أن تظهر هوازن

على قريش » .

(٢) في (ص) ٢ : ٢٣٩ « ما يلبقون شيئاً » والمثبت عن بقية النسخ ، وما ورد في شرح الغريب من المفردات .

كُنَّا لَهُمْ فِي الْمَضَائِقِ وَالشُّعَابِ ، ثُمَّ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمَلَةً ، رَكِبْنَا أَكْتَافَهُمْ حَتَّى أَنْتَهَيْنَا إِلَى صَاحِبِ بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ ، وَحَوْلَهُ رِجَالٌ بَيَاضُ حِسَانِ الْوُجُوهِ ، فَقَالُوا لَنَا : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ارْجِعُوا . فَأَنْهَزَمْنَا ، وَرَكِبَ الْمُسْلِمُونَ أَكْتَافَنَا ، وَكَانَتْ إِيَّاهَا ، وَجَعَلْنَا نَلْتَفِتُ وَإِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَكْلُونَنَا فَتَفَرَّقَتْ جَمَاعَتُنَا فِي كُلِّ وَجْهٍ ، وَجَعَلْتُ الرُّعْدَةُ تَسْتَخِفُّنَا حَتَّى لَحَقْنَا بِعَلْيَاءِ بِلَادِنَا ، فَإِنْ كُنَّا لِيُحْكِيَ عَنَّا الْكَلَامُ مَا نَذَرُ بِهِ ، لِمَا كَانَ بَنًا مِنَ الرُّعْبِ ، وَقَدَفَ اللَّهُ - تَعَالَى - الْإِسْلَامَ فِي قُلُوبِنَا .

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ شَيْوْخٍ مِنْ ثَقِيفٍ أَسْلَمُوا بَعْدَ مَا كَانُوا حَضَرُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ قَالُوا : مَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي طَلَبِنَا - فِيمَا نَرَى - وَنَحْنُ مُوَلُّونَ حَتَّى إِنْ الرَّجُلُ لِيَدْخُلَ مِنَّا حَصْنَ الطَّائِفِ وَإِنَّهُ لَيَبْظُنُّ أَنَّهُ عَلَى أَثَرِهِ مِنْ رُعْبِ الْهَزِيمَةِ .

نَكَرَ مِنْ ثَبِتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ حُنَيْنٍ

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَقَدْ حَرَزْتُ مِنْ بَقِيٍّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ أَدْبَرَ النَّاسُ ، فَقُلْتُ : مِائَةَ وَاحِدٍ .

وَرَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ ابْنِ عُمرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : لَقَدْ رَأَيْنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَإِنْ الْفُتَيْتَيْنِ لِمَوْلَيْتَانِ ، وَمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِائَةَ رَجُلٍ .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالْحَاكِمُ ، وَالطَّبْرَانِيُّ ، وَالْبَيْهَقِيُّ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ ، بِرِجَالِ ثِقَاتٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ حُنَيْنٍ فَوَلَّى النَّاسُ وَثَبْتُ مَعَهُ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَنَكَضْنَا عَلَى أَعْقَابِنَا نَحْوًا مِنْ ثَمَانِينَ

٢٨٤ قَدَمَا ، وَلَمْ نُوَلِّهِمُ الدُّبُرَ إِلَى آخِرِهِ ، وَتَقَدَّمَ . /

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ يَقَالُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا انْكَشَفَ النَّاسُ عَنْهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ - قَالَ لِحَارِثَةَ « يَا حَارِثَةُ ، كَمْ تَرَى النَّاسَ الَّذِينَ ثَبَّتُوا » قَالَ : فَمَا التَفْتُ وَرَأَيْتُ تَحَرُّجًا ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، فَحَزَرْتَهُمْ مِائَةَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !! هُمْ مِائَةَ فَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُمْ مِائَةَ حَتَّى كَانَ يَوْمٌ مَرَرْتُ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يُنَاجِي جِبْرِيلَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ : « يَا مُحَمَّدُ مَنْ

هَذَا ؟ » قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ » فَقَالَ جَبْرِيلُ :
هُوَ أَحَدُ الْمِائَةِ الصَّابِرَةِ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، لَوْ سَلَّمْ لَرَدَّدْتُ عَلَيْهِ ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَارِثَةَ ، قَالَ : « مَا كُنْتُ أَظُنُّهُ إِلَّا دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ واقفاً مَعَكَ » .

وروى ابن أبي شيبَةَ عن الحكم بن عُتَيْبَةَ - بلفظ تصغير عَتَبَةَ الباب - رحمه الله
تعالى - قال : لَمَّا فَرَّ النَّاسُ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَعَلَ يَقُولُ :
« أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ »

فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا أَرْبَعَةٌ ، ثَلَاثَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، وَرَجُلٌ مِنْ غَيْرِهِمْ ؛ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،
وَالْعَبَّاسُ وَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ أَخَذَ بِالْعَنَانِ ، وَابْنُ مَسْعُودٍ مِنْ جَانِبِهِ
الْأَيْسَرِ ، قَالَ : فَلَيْسَ يُقْبَلُ أَحَدٌ إِلَّا قُتِلَ ، وَالْمَشْرُكُونَ حَوْلَهُ صَرَخُوا ، فَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ
عَمُّهُ الْعَبَّاسُ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَخُوهُ رَبِيعَةُ أَبْنَاءُ عَمِّ رَسُولِ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَجَعْفَرُ بْنُ
أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ وَقُتِمَ بْنِ الْعَبَّاسِ - قَالَ فِي الزَّهَرِ : وَفِيهِ نَظَرٌ ؛ لِأَنَّ الْمُؤَرِّخِينَ
قَاطِبَةً فِيمَا أَعْلَمَ عَدُوَّهُ فَيَمْنُ تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ صَغِيرٌ ، فَكَيْفَ
شَهِدَ حَنِينًا !! وَعُتْبَةُ وَمُعْتَبُ ابْنَا أَبِي هُبَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ،
وَنَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعُقَيْلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَأَخُوهُ لَأْمَةُ أَيْمَنُ بْنُ أُمِّ
أَيْمَنٍ ، وَقُتَيْلُ يَوْمُئِذٍ ، وَمِنْ الْمُهَاجِرِينَ : أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَوَى الْبَزَّازُ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - ضَرَبَ كُلُّ مِنْهُمْ
يَوْمَئِذٍ بَضْعَةً عَشْرَ ضَرْبَةٍ - وَابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمِنْ الْأَنْصَارِ : أَبُو دُجَانَةَ ،
وَحَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ - قَدْ ذَكَرَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو - وَسَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ ، وَأَبُو بَشِيرٍ -
كَمَا فِي حَدِيثِهِ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو - وَأُسَيْدُ بْنُ الْخَضِيرِ ، وَمِنْ أَهْلِ مَكَّةَ : شَيْبَةُ بْنُ
عُمَانَ الْحَجَبِيُّ - كَمَا تَقَدَّمَ - وَمِنْ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ : أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،
وَأُمُّ عِمَارَةَ نَسِيبَةَ بِنْتُ كَعْبٍ ، وَأُمُّ الْحَارِثِ جَدَّةُ عِمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ - بَفَتْحِ الْغَيْنِ ، وَكَسْرِ
الزَّيِّ الْمَعْجَمَتَيْنِ - وَأُمُّ سَلِيطَ بِنْتُ عُبَيْدٍ - قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو : يَقَالُ إِنَّ الْمِائَةَ الصَّابِرَةَ
يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَسِتَّةٌ وَسِتُّونَ مِنَ الْأَنْصَارِ .

نكر ثبات ام سليم بنت ملحان ، وام عماره

نَسِيبَة - بفتح النون ، وكسر السين المهملة ، وسكون التَّحتية ، وبالموحدة : بنت كعب - رضى الله تعالى عنها . قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر : أنَّ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - رأى أُمَّ سُلَيْمٍ بنتَ مِلْحَانَ ، وكانت مع زوجها أبي طلحة ، وهى حامل بعبد الله بن أبي طلحة ، وقد خشيت أن يَغُرَّ بها^(١) الجمل ، فأذنت رأسه منها ، وأدخلت يدها في خِزَامِهِ^(٢) مع الخطام ، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم : « أُمُّ سُلَيْمٍ » ؟ قالت : نَعَمْ يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقْتُلُ الْمُنْهَزِمِينَ عَنْكَ كَمَا تَقْتُلُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ ، فَإِنَّهُمْ لِيَذَلِكَ أَهْلٌ » فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - : « أَوْيَكْفِيَّ اللَّهُ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ » .

وعند محمد بن عمر : « قَدْ كَفَى اللَّهُ تَعَالَى عَافِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْسَعٌ » .

وروى ابن أبي شيبة ، والإمام أحمد ، ومسلم عن أنس - رضى الله عنه - قال : اتخذت أُمُّ سُلَيْمٍ خِنْجَرًا أَيَّامَ حُنَيْنٍ ، فكان معها ، فلقى أبو طلحة أُمَّ سُلَيْمٍ ومعها الخِنْجَرُ ، فقال أبو طلحة : ما هذا ؟ قالت : إِنَّ دَنَا مِنِّي بَعْضُ الْمَشْرِكِينَ أُبْعِجُ بِهِ بَطْنَهُ ، فقال أبو طلحة : أما تسمعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ما تقول أُمُّ سُلَيْمٍ ؟ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - فقالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْتُلْ مَنْ يَعلُونَا مِنَ الطُّلُقَاءِ ؛ انْهَزَمُوا عَنْكَ . فقال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ » .

وروى محمد بن عمر عن عماره بن غَزِيَّة قال : قالت أُمُّ عماره : لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَالنَّاسُ مُنْهَزِمُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ ، وَكُنَّا أَرْبَعَ نِسَاءَ ، فِي يَدَيَّ سَيْفٌ لِي صَارِمٌ ، وَأُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ قَدْ حَزَمْتَهُ عَلَى وَسْطِهَا ، وَإِنَّهَا يَوْمَئِذٍ حَامِلٌ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَأُمُّ سُلَيْمٍ ، وَأُمُّ الْحَارِثِ .

قال شيوخُ محمد بن عمر : فجعلت أُمُّ عماره تصيح يا للأنصار : أية عادة هذه .

(١) كذا في الأصول ، وفي سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٤٦ « أن يغرها الجمل » بمعنى يقلبها الجمل .

(٢) الخزام : بكسر الخاء المعجمة حلقة تصنع من شعر وتجعل في أنف البعير (السان) .

مالككم والفرار ؟ ! قالت : وأنظر إلى رجلٍ من هَوازِنٍ على جملٍ أَوْزَقٍ [معه لواء]^(١) يوضع جملة في [أثر]^(٢) المسلمين ، فَأَعْتَرَضُ له فَأَضْرِبُ عِرْقَوبَ الجمل . فوقع على عجزه وأشد عليه ، ولم أزل أضربه حتَّى أثْبَتُهُ ، وأخذت سيفاً له . ورسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قائمٌ ، مُضِلَّتُ السيفَ بيده ، قد طرح غِمْدَهُ يُنادى : « يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ » فكَرَّ الْأَنْصَارُ ، ووقفتُ هَوازِنُ قَدَرِ حَلْبٍ نَاقَةٍ فَتُوح ، ثم كانت إِيَّاهَا ، فَوَالله ما رأيتُ هزيمةً قط كانت مثلها / ، قد ذهبوا في كُلِّ وَجْهٍ ، فرجع إلى أبنائي جميعاً : خُبَيْبٌ وَعَبْدُ اللهِ أَبْنَاءُ زَيْدٍ بِأَسَارَى مُكْتَفَيْنِ ، فَأَقُومُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَيْظِ فَأَضْرِبُ عَنْقَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وجعل الناسُ يَأْتُونَ بِالْأَسَارَى فَرَأَيْتُ فِي بَنِي مَازِنٍ وَبَنِي النَّجَارِ ثَلَاثِينَ أَسِيرًا ، وكان المسلمون بلغ أقصى هزيمتهم مكة ، ثم كَرُّوا بَعْدُ وَتَرَجَعُوا ، فَأَسْهَمَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جميعاً ، وكانت أُمُّ الْحَارِثِ الْأَنْصَارِيَّةُ آخِذَةً بِخِطَامِ جَمَلِ الْحَارِثِ زَوْجِهَا ، وكان يسمى الْمِجْسَارَ فَقَالَتْ : يَا حَارِ أَتَتَرَكُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالنَّاسُ يَوَلُّونَ مُنْهَزِمِينَ ؟ ! وهى لَا تُفَارِقُهُ ، قالت : فمر على عمر بن الخطاب فقلتُ : يا عمر ما هذا ؟ قال : أَمَرَ اللهُ تَعَالَى .

نكر انهزام المشركين

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - لما نادى رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْأَنْصَارَ كَرُّوا رَاجِعِينَ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ : يَا بَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، يَا بَنِي عَبْدِ اللهِ ، يَا بَنِي عُبَيْدِ اللهِ ، يَا خَيْلَ اللهِ . وكان رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد سَمَّى خَيْلَهُ خَيْلَ اللهِ ، وجعل شعارَ المهاجرين : بَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وجعل شعارَ الْأَوْسِ : بَنِي عُبَيْدِ اللهِ ، وشعارَ الْخَزْرَجِ : بَنِي عَبْدِ اللهِ .

روى محمد بن عمر عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة / : أَنَّ سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ ٥٠٢ ت جعل يصيح يومئذ : يَا لَلْخَزْرَجِ ثَلَاثًا ، وَأُسَيْدُ بْنُ الْخُضَيْرِ يصيح : يَا لَلْأَوْسِ - ثَلَاثًا فَنَابُؤُوا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ كَأَنَّهُمُ النَّحْلُ تَأْوَى إِلَى يَعْسُوبِهَا ، قال أهل المغازي فحقن المسلمون

(١) وفي المغازي للواقدي ٣ : ٩٠٤ « من جاوز بعيري فاقتله » .

(٢) الإضافة عن المغازي للواقدي ٣ : ٩٠٣ .

على المشركين فقتلوهم حتى أسرع^(١) القتل في ذراري المشركين . فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « ما بال أقوام بلغ بهم القتل حتى بلغ الذرية ! ألا لا تقتل الذرية ، ألا لا تقتل الذرية » ثلاثا - فقال أسيدُ بنُ الحضير : يا رسول الله ، أليس إنما هم أولادُ المشركين ؟ فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « أليس خيارُكم أولادُ المُشركين ! كُلُّ نَسَمَةٍ تُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُغْرَبَ عَنْهَا لِسَانُهَا ، فَأَبَوَاهَا يَهُودَانِيهَا أَوْ يُنَصِّرَانِيهَا » .

قال محمد بن عمر : قال شيوخ ثقيف ، ما زال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في طلبنا ، فيما نرى - ونحن مولون حتى إنَّ الرَّجُلَ مِنَّا ليدخلُ حِصْنَ الطَّائِفِ وإنه ليظن أنه على أثره ؛ من رغبِ الهزيمة .

قال أنسُ بنُ مالكٍ كما رواه الإمام أحمد : كان في المشركين رجلٌ يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا ، فلما رأى ذلك رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - نزل ، فهزمهم الله - تعالى - فولوا ، فقام رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - حين رأى الفتح ؛ فجعل يُجاءُ بهم أسارى رجلٌ رجلٌ ، فيبَايعونه على الإسلام ، فقال رجلٌ من أصحابِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - إنَّ على نذراً لئن جىءَ بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربنَّ عنقه فسكت رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وجىءَ بالرجل فلما رأى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يا نبيَّ الله تبتُّ إلى الله ، فأمسك رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عن مبايعته ليوفى الآخذُ بنذره ، وجعل ينظرُ إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ليأمره بقتله ، وهابَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلمَ الرجلَ لا يصنعُ شيئاً بايعه ، فقال : يا رسولَ الله نذري ؟ قال : « لَمْ أَمْسِكْ عَنْهُ إِلَّا لِتُوفَى بِنَذْرِكَ » فقال : يا رسولَ الله ألا أومأتُ إلى فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : إنه ليسَ لِنبيي أن يُومىءَ .

قالوا : وهزم الله تعالى أعداءه من كلِّ ناحية ، وأتبعهم المسلمون يقتلونهم ، وغنمهم الله - تعالى - نساءهم وذُراريهم وأموالهم ، وفرَّ مالكُ بنُ عوفٍ حتى بلغَ حِصْنَ

(١) في رواية ابن عمر الواقدي في المغازي ٣ : ٩٠٥ « حتى أسرع المسلمون في قتل الذرية » .

الطائف . هو وأناس من أشراف قومه ، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله - تعالى - رسوله وإعزاز دينه .

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله تعالى المشركين من أهل حنين ، وأمكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم ، قالت امرأة من المسلمين - رضى الله عنها - وعنهم :
قَدْ غَلَبَتْ خَيْلُ اللَّهِ خَيْلَ اللَّاتِ وَاللَّهُ أَحَقُّ بِالثَّبَاتِ^(١)

ويروى : وخيله أحق بالثبات .

زاد محمد بن عمر :

إِنْ لَنَا مَاءٌ حَنِينَ فَعَلَوْهُ^(٢) إِنْ تَشْرَبُوا مِنْهُ فَلَنْ تَعْلَوْهُ

هذا رسول الله لن تغلوه

ورجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من جهة المشركين بعد أن هزمهم إلى العسكر ، وأمر أن يقتل كل من قدر عليه ، وثأب من أنهزم من المسلمين .

روى البزار بسند رجاله ثقات عن أنس - رضى الله تعالى عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم حنين : « اجزؤهم جزراً » وأوماً بيده إلى الحلق .

قال محمد بن عمر : وذكر للنبي - صلى الله عليه وسلم - أن رجلاً كان بحنين ٥٠٣ تقاتل قتلاً شديداً ، حتى أشدَّت به الجراح ، قال : « إنه من أهل النار » فارتاب بعض الناس من ذلك ، ووقع في قلوب بعضهم ما الله تعالى به أعلم ، فلما آذته جراحته ، أخذ مشقصاً من كنانته فانتحر به ، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلالاً [أن]^(٣) ينادى : أَلَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ .

(١) في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٤٩ . . وخيله أحق بالثبات .

(٢) كذا في الأصول وفي المغازي للواقدي ٣ : ٩١٢ « وقالت امرأة من خزاعة يوم حنين :
إِنْ مَاءٌ حَنِينَ لَنَا فَعَلَوْهُ إِنْ تَشْرَبُوا مِنْهُ فَلَنْ تَعْلَوْهُ

هذا رسول الله لن يعلوه

(٣) إضافة عن المرجع السابق ٣ : ٩١٧ .

قال محمد بن عمر : وأمر رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - بطلب العدوِّ وقال لـخيله: إن قدرتم^(١) على «بَجَادٍ»^(٢) رجل من بني سعد [بن بكر]^(٣) فلا يفلتن منكم . وقد كان أحدث حدثاً عظيماً ، كان قد أتاه رجلٌ مسلم فأخذه فقطعه عُضْواً عُضْواً ثم حرَّقه بالنار ، وكان قد عرف جُرمه فهرب فأخذته الخيلُ فضموه إلى الشياء بنت الحارث بن عبد العزى ، أخت رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - من الرضاعة ، وأنجبوها^(٤) في السِّياق ، فتعبت الشِّيماء بتعبهم ، فجعلت تقولُ : إني والله أختُ صاحبكم ، فلا يُصدِّقونها ، وأخذها طائفةٌ من الأنصار ، وكانوا أشدَّ النَّاسِ على هوازن - فأتوا بها إلى رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - فقالتُ : يا محمد !! إني أُختك . فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - : « وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ ؟ فَأَرْتَهُ عَضَّةً بِإِنْهَامِهَا ، وقالت : عَضَّةٌ عَضَضْتَنِيهَا وَأَنَا مُتَوَرِّكُكَ بَوَادِي السِّرَرِ^(٥) ونحنُ يومئذٍ نرعى البَهِمَ ، وأبوك أبي ، وأُمك أُمي ، وقد نازعتك الثدى ، وتذكَّرُ يا رسولَ الله جِلَابِي لكَ عِزْرَ أَبِيكَ أَطْلَالُ ، فعرفَ رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - العَلَامَةَ ، فوثب قائماً ، فبسطَ رداءه ، ثُمَّ قال : « إجلِيسِي عَلَيَّ » ورحَّبَ بها ، ودمعت عيناؤه ، وسأَلَهَا عن أُمِّه وأَبِيهِ^(٦) ، فَأخبرته بموتها فقال : « إِنْ أَحْبَبْتَ فَأَقِينِي عِنْدَنَا مُحَبَّةً مُكْرَمَةً ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكَ وَصَلْتِكَ وَرَجَعْتَ إِلَى قَوْمِكَ » - قالت : بل أرجعُ إلى قومي - فأسلمت ، فَأَعْطَاهَا رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - ثلاثة أعبد وجارية وأمر لها ببعير أو بعيرين^(٧) وقال لها : « ارجعي إلى الجِعرانة تكونين مع قومك ، فأنا أَمْضِي إلى الطائف » فرجعت إلى الجِعرانة ، ووافاه رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - بالجِعرانة فَأَعْطَاهَا نِعْماً وشَاءَ ، ولَمَّا بَقِيَ من أَهْلِ بَيْتِهَا ، وكَلِمَتِهِ فِي بَجَادٍ أَنْ يَهَبَ لها ويعفو عنه ففعل - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) انظر قصة «حجاد» مع قصته والشياء» في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٥٨ .

(٣) إضافة عن المرجع السابق ٢ : ٤٥٨ .

(٤) ورواية ابن اسحاق «سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٥٨» «فغنوا عليها في السياق» ، وكذا في الواقدي ٣ : ٩١٣ .

(٥) في الأصول «السرى» وضبطت في شرح الفريبي بضم السين وكسرهما والمثبت عن الواقدي ٣ : ٩١٣ تصويماً عن طبقات ابن سعد ٤ : ٦٩ - وهو واد على أربعة أميال من مكة ، (ياقوت معجم البلدان) .

(٦) كذا في النسخ ماعداً (ص) ففيها «عن أمها وأبيها» ٢ : ٢٤١ .

(٧) وعند ابن اسحاق ٢ : ٤٥٨ «فزعمت بنو سعد أنه صلى الله عليه وسلم أعطاها غلاماً له يقال له «مكحول» وجارية

فزوجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلها بقية » .

فكر قتل دريد بن الصمة (١)

قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وغيرهما : لما هَزَمَ اللهُ - تعالى - هَوَازَنَ أَتُوا للطائف ومعه مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة بنو غيرة^(٢) من ثقيف ، فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيلاً تتبع من سلك نخلة ولم تتبع من سلك الثنايا ، وأدرك ربيعة بن ربيعة بن ربيعة بن ثعلبة من بني سليم^(٣) دُرَيْدَ بن الصمة ، فأخذ بخطام جملة ، وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه في شجار^(٤) له ، فإذا هو رجل ، فأناخ به وهو شيخ كبير ، ابن ستين ومائة سنة ، فإذا هو دُرَيْدٌ ولا يعرفه الغلام ، فقال له دُرَيْدٌ : ما تريد ؟ قال : أقتلك . قال : وما تريد إلى المرتعش الكبير الفاني ؟ قال الفتى : ما أريد إلا ذاك ، قال له دُرَيْدٌ : من أنت ؟ قال : أنا ربيعة ابن ربيعة السلمي ، قال : فضربه فلم يغن شيئاً ، فقال دُرَيْدٌ : بشس ما سلحتك أمك ، خذ سيفي من وراء الرحل في الشجار ، فاضرب به وارفع عن العظم واخفض عن الدماغ^(٥) ، فإني كذلك كنت أقتل الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْدَ بن الصمة ، فرب يوم قد منعت فيه نساءك . فزعمت بنو سليم أن ربيعة [لما]^(٦) / ضربه فوق تكشف للموت فإذا عجانه^(٧) وبطون فخذيه مثل القيرطاس ٥٠٤ من ركب الخيل ، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إيأه ، قالت : والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً في غداة واحدة ، وجز ناصية أبيك ، فقال الفتى : لم أشعر .

ووقف مالك بن عوف على ثنية من الثنايا ، وشبان أصحابه ، فقال : قفوا حتى يمضي ضعفاؤكم وتلتئم إخوانكم . فبصر بهم الزبير بن العوام - رضى الله عنه - فحمل

(١) انظر الخبر في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٥٣ والسيرة الحلبية ٣ : ١٢٩ والبدية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٣٧ .

(٢) كذا في الأصول . وفي مغازي الواقدي ٣ : ٩١٤ « بنوعزة » .

(٣) ويقال له : ابن الدغنة ، وهي أمه فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لدغة فيما قاله ابن هشام (سيرة النبي لابن هشام

٢ : ٤٥٣ - البدية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٣٧) .

(٤) الشجار : المودج (هامش الواقدي ٣ : ٩١٤) .

(٥) وفي الواقدي ٣ : ٩١٥ « وارفع عن الطعام واخفض عن الدماغ » .

(٦) إضافة يقتضها السياق .

(٧) المجان : الدبر وقيل ما بين القبل والدبر . (هامش الواقدي ٣ : ٩١٥ وانظر شرح الغريب) .

عليهم حتى أهبطهم من الثنية ، وهرب مالك بن عوف ، فتحصن في قصرٍ بليّة^(١) ، ويقال دخل حصن ثقيف .

نكر من استشهد^(٢) بحنين

أَيَمَنَ بنُ عُبيد الله بن زيد الخزرجي وابن أم أيمن ، وسُرَاقَةُ بن الحارث الأنصاري ، ورُقَيْمُ بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذَانَ ، وأبو عامر الأشعري [أصيب]^(٣) بأوطاس ، كما سيأتي في السرايا ، ويزيد بن زمعة بن الأسود جمع به فرسٌ يقال له الجناح فقتل . واستحرَّ القتلُ من ثقيف في بني مالك ، فقتلَ منهم سبعون رجلاً تحت رايتهُم ، فيهم عُثْمَانُ بن عبد الله بن الحارث ، وكانت رايتهُم مع ذِي الْخِمَارِ^(٤) ، فلما قتل أخذها عُثْمَانُ بن عبد الله ، فقاتل حتى قُتِلَ ، ولَمَّا بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتله ، قال : « أَبْعَدَهُ اللهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُبْغِضُ قُرَيْشًا . »

وروى البيهقي عن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال : قُتِلَ من أهل الطائف يوم حُنَيْنٍ مثل مَنْ قُتِلَ يَوْمَ بدر .

نكر عيادته - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد رضى الله عنه - من جرح اصابه

وروى عبد الرزاق ، وأبن عساكر عن عبد الرحمن بن أزهر - رضى الله عنه - قال : كان خالد بن الوليد جُرحَ يوم حُنَيْنٍ ، وكانَ على خيلِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فجرحَ يومئذ ، فلقد رأيتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ما هزمَ اللهُ تعالى الكفارَ ، وَرَجَعَ المسلمونَ إلى رِحَالِهِمْ - يَمْشِي في المسلمين ويقول : « مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى رَحْلِ خَالِدِ بنِ الوليد ؟ » فَأَتَيْتُ بشاربَ فَأَمَرَ مَنْ عِنْدَهُ فَضْرَبُوهُ بما كان في أيديهم ، وَحَنَّا عليه التراب .

(١) لية : من نواحي الطائف (معجم البلدان ٧ : ٣٤٨) .

(٢) انظر من استشهد من المسلمين يوم حنين في السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٤٥٩ ، والمغازي للواقدي ٣ : ٩٢٢ .

(٣) الإضافة عن المغازي للواقدي ٣ : ٩٢٢ .

(٤) هو عوف بن الربيع كما في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٥٠ هامش . وفي شرح الغريب اسمه سبيع بن أبي الحارث ابن مالك لم يعلم له إسلام .

قال عبد الرحمن : فمَشَيْتُ ، أو قال : سَعَيْتُ بين يدي رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - وأنا غلامٌ محتلمٌ ، أقولُ : من يدل على رحل خالد ، حتَّى دُلِّلْنَا عليه ، فإذا خالد مستندٌ إلى موخِّرة رحله ، فأتاه رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فنظر إلى جُرحه ، فتفل فيه فبرأ - رضى الله تعالى عنه - .

نكر بركة يده - صلى الله عليه وسلم - في براء جرح عائذ بن عمرو - رضى الله عنه

روى الحاكم ، وأبو نعيم ، وأبن عساكر عن عائذ بن عمرو - رضى الله عنه - قال : أصابتني رميةٌ يوم حُنَيْنٍ في جبهتي ، فسال الدَّم عن وجهي وصدري ، فسَلَتَ النبيُّ - صَلَّى الله عليه وسلم - الدَّم بيده عن وجهي وصدري إلى ثُنْدُوتِي ، ثم دعا لى . قال حشرجُ والدُ عبد الله : فرأينا أثرَ يَدِ رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - إلى مُنتهى ما مسح من صدره ، فإذا غُرَّةٌ سابلة كغُرَّةِ الفرس .

نكر بركة يده - صلى الله عليه وسلم - في الماء بخنين

روى أبو نعيم عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - قال : غزونا مع رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - هوازن فأصابنا جهدٌ شديد ، فدعا بنظفة من ماء في إداوة ، فأمر بها فصبت في قدح فجعلنا نَطْهَرُ به حتَّى تَطْهَرْنَا جميعاً .

نكر نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن قتل النساء يوم حنين^(١)

روى الإمام أحمد ، وأبو داود عن رَبَاح بن ربيع - رضى الله عنه / - أنه خرج مع ٥٠٠ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فمرَّ رَبَاحُ وأصحابُ رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - على امرأةٍ مقتولةٍ مما أصابت المقدمة ، فوقفوا ينظرون إليها ، يعنى ويعجبون من خلقها - حتَّى لحقهم رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - على راحلته ، فأنفرجوا عنها . فوقف عليها رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم -

(١) وانظر ذلك أيضاً في البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٣٧ .

وسلم - فقال : « مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ » فقال لأحدهم : « الْحَقُّ خَالِدًا وَقُلْ لَهُ لَا تَقْتُلْ ذُرِّيَّةً وَلَا عَسِيفًا .

* * *

نكر قوله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين أنا ابن العواتك
روى الطَّبْرَانِيُّ عن سَيَابَةَ^(١) بن عاصم السُّلَمِي - رضى الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال يوم حنين : « أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ »^(٢)

* * *

نكر قوله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين من قتل كافرا فله سلبه
روى ابنُ أَبِي شَيْبَةَ ، والإمامُ أَحْمَدُ ، وابنُ حِبَّانٍ عن أَنَسٍ - رضى الله عنه - قال :
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا^(٣) فَلَهُ سَلْبُهُ » قال : فقتل أبو طلحة
يومئذٍ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم .

وقال أبو قتادة : يا رسول الله إِنِّي ضَرَبْتُ رَجُلًا عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ ، وعليه درع
فَأُجْهِضْتُ عَنْهُ فَانْظُرْ فِي أَخْذِهَا ، فقام رجلٌ قال محمد بن عمر : اسمه أسود بن خُزَاعِي
الْأَسْلَمِي ، حليف بني سلمة - كذا قال وفي الصحيح كما سيأتي : أَنَّهُ قَرَشِي ، فقال :
يا رسول الله : أَنَا أَخَذْتُهَا فَأَرْضَاهُ مِنْهَا وَأَعْطَيْتُهَا ، قال : وكان رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فقال عمر : وَاللَّهِ لَا يَسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ ، أَوْ سَكَتَ ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فقال عمر : وَاللَّهِ لَا يَغْنِيهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَيُعْطِيكَهَا ، فقال
رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقَ عُمَرُ » .

وروى الشيخان ، وأبو داود ، والترمذى ، وأبنُ ماجة عن أَبِي قَتَادَةَ الْحَارِثِ بْنِ رَبِيعٍ
- رضى الله تعالى عنه - قال : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَامَ حُنَيْنٍ ،

(١) وكذا في الأصول وفي السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٢٢ « عن شيابة » عن عاصم السلمي « وشيابة هو ابن سوار الفزارى أبو عمرو المدائني .

(٢) في هامش « ت » قال هشيم أحد رواة « وسئل عن العواتك فقال : أمهات كفء له من قيس . قال أبو عمرو يعنى جدات لأبائهم وأجداده .

(٣) ورواية الإمام أحمد في البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٢٧ « من قتل كافراً فله سلبه » ويتفق ابن اسحاق في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٤٨ مع الأصل .

فلما ألتقينا كانت للمسلمين جولة . فرأيتُ رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين . وفي رواية نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يَحْزِلُهُ^(١) فضربته مِنْ ورائه على جبل عاتقه بالسيف فقطعتُ الدرع ، وأقبل على فضمّني ضمةً ، وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت ، فأرسلني ، فلحقْتُ - وفي رواية - فلقيت عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - في الناس الذين لم يَهْزَمُوا ، فقلتُ : ما بال الناس ؟ قال : أمر الله تعالى ، فرجعوا وجلس رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ » فقمتُ فقلتُ : مَنْ يشهد لي ؟ ثم جلستُ ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - مثله . فقمتُ فقلتُ : مَنْ يَشْهَدُ لي ؟ ثم جلستُ ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - مثله ، فقال : « مَا لَكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ ؟ » فأخبرته .

وذكر محمد بن عمر : أَنَّ عبد الله بن أنيس شهد له فقال رجلٌ : صَدَقَ سَلْبُهُ عندي فَأَرْضِيهِ مِنِّي - أو قال مِنْيَه - فقال أبوبكر : لا هال الله إذا ، لا تعدد إلى أسدٍ من أسدٍ الله تعالى يقاتل عن الله - تعالى - ورسوله فيعطيك سلبه ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « صدق فأعطه إياه فأعطانيه ، وعند محمد ابن عمر فقال لي حاطب بن أبي بلتعة : يا أبا قتادة ، أتبيع السلاح ؟ فبعته بسبع / أواقٍ ، فابتعت به مَخْرَفًا ، وفي رواية : ٥٠٦ خِرَافًا في بنى سَلَمَةَ ، فإنه لأَوَّلُ مَالٍ تَأْتَلْتُهُ ، وفي رواية : اعتقته - في الإسلام ، زاد محمد / بن عمر يقال له الرُّدَيْنِيُّ^(٢) قال في البداية في الرواية السابقة عن أنس : $\frac{٢٨٨}{٧}$ إن عمر قال ذلك ، وهو مُسْتَغْرَبٌ ، والمشهور أن قاتل ذلك أبو بكر كما في حديث أبي قتادة ، وقال الحافظ : الراجح أن الذي قال ذلك أبو بكر كما رواه أبو قتادة ، وهو صاحب القصة ، فهو أتقن لما وقع فيها من غيره ، قال : فلعل عمر قال ذلك متابعاً لأبي بكر ومساعدةً له ، وموافقةً ، فأشْتَبِهَ على الراوى .

(١) وانظر رواية ابن اسحاق في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٤٨ ، ورواية البخارى في البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٣٩ ففيها تفصيل .
(٢) في المغازى للواقدي ٣ : ٩٠٩ « فاشترت مخرفاً في بنى سلمة يقال له الرديني » والمخرف هو الحائط من النخل - النهاية ١ : ٢٨٩ .

قال العلماء : لو لم يكن من فضيلة أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - إلا هذا [لكفى] ^(١) فإنه بشاقب علمه ، وشدة صرامته ، وقوة إنصافه ، وصحة توفيقه ، وصدق تحقيقه بادر إلى القول بالحق ، فزجر ، وأفتى ، وحكم ، وأمضى ، وأخبر في الشريعة عن المصطفى بحضرته وبين يديه ، وبما صدقه فيه وأجراه على قوله .

وروى البخارى عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - قال : غزونا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هوازن فبينما نحن نتضحى مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ جاء رجل على جملي أحمر ، فأناخه ، ثم انتزع طلقا من حقه فقيده به الجمل ، ثم تقدم فتغدى مع القوم وجعل ينظر وفيما ضعفة ورقة من الظهر ، وبعضنا مُشاة ، إذ خرج يشتد فأتى الجمل فأطلق قيده ، ثم أناخه ثم قعد عليه فاشتد به الجمل واتبعه رجل من أسلم من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ناقة ورقاء ، وفي رواية : أتى عين من المشركين إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في سفر ، فجلس عند أصحابه يتحدث . انتهى . ثم انفتل ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - : « اطلبوه واقتلوه » قال سلمة : وخرجتُ أشتد فكننتُ عند ورك الناقة ، ثم تقدمت حتى كنتُ عند ورك الجمل ، ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل ، فأناخته ، فلما وضع ركبته على الأرض ، اخترطت سيفي فضربتُ رأس الرجل فنذر ، ثم جئتُ بالجمل أقوده عليه رحله وسلاحه ، فاستقبلني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس معه ، فقال : « مَنْ قَتَلَ الرَّجُلَ » ؟ قالوا : ابن الأكوع ، قال : « لَهُ سَلْبُهُ أَجْمَعُ » .

* * *

فكر جمع غنائم حنين

لما أنهزم القومُ أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالغنائم أن تُجمع ، ونادى مناديه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغفل ، وجعل الناس غنائمهم في موضع حيث ^(٢) استعمل عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

(١) إضافة يقتضيا السياق .

(٢) كذا في الأصول ، وفي المغازي للواقدي ٣ : ٩١٨ « حتى استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها » .

وروى الحاكم بسند صحيح عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - قال : أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومَ حُنينٍ وبرّةً من بعير ، ثم قال : « يا أيُّها الناس ، إنّه لا يَحِلُّ لى مِمّا أفاء الله - تعالى - عَلَيْكُمْ قَدَرٌ هذه إلاّ الخُمُسُ ، والخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُولَ فَإِنَّهُ عَارٌ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وذكر الحديث .

وكان عقيل بن أبى طالب دخل على زوجته^(١) وسيفه ملطّخٌ بدم ، فقالت : إِنِّى علمتُ أَنَّكَ قاتلتَ اليومَ المشركين ، فماذا أَصَبْتَ من غَنائِمِهِمْ ؟ فقال : هذه الإبرة ، تخيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، ثم خرج فسمع مُنادِي رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - يقولُ : من أَصابَ شيئاً من المَغْنَمِ فليردّه ، فرجع عقيل إلى امرأته وقال : والله ما أرى إِبْرَتَكَ إلاّ قد ذهبت منك ، فأخذها فألقاها فى المغانم .

وجاء رجل^(٢) بِكُبَّةٍ من شعر فقال : يا رسولَ الله أَضْرَبُ بهذه برذعة لى : فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « أَمَّا ما كَانَ لى وَلِبَتى عَبْدُ المطلب / فَهُوَ لَكَ » . ٥٠٧

وأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس يوم حنين فى قبائلهم يدعوهم وأنّه ترك قبيلة من القبائل وجدوا فى برذعة رجلٍ منهم عِقْدًا من جَزَعٍ غُلُولًا ، فأتاهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فكَبَّرَ عليهم ، كما يُكَبَّرُ على الميت .

وأصابَ المسلمون يومئذِ السَّبايا ، فكانوا يكرهون أن يَقْعُوا عليهنَّ ولهنَّ أزواجٌ فسألوا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾^(٣) وقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ : « لا توطأ حاملٌ من السَّبْيِ حتى تَضَع ، ولا غير ذات حمل حتى تحيض » .

(١) وهى فاطمة بنت شيبه بن ربيعة (البداية والنهاية لابن كثير ٢ : ٤٩٢) وفى المغازى للواقدي ٣ : ٩١٨ : فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة .

(٢) فى سيرة النبی لابن هشام ٢ : ٤٩٢ « فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط » والكبة : ما جمع من غزل (لسان العرب) .

(٣) سورة النساء آية ٢٤ .

ولَمَّا جُمِعَت الغنائم أَمَرَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ تَنحَدِرَ إِلَى الجُعْرَانَةِ ،
فَوَقَفَ بِهَا إِلَى أَنْ أَنْصَرَفَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ حِصَارِ الطَّائِفِ .

قال ابن سعد وتبعه في العيون : كان السبي ستة آلاف رأس ، والإبل أربعة وعشرين
ألف بعير ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية فضة .

وروى الطبراني عن بُدَيْلٍ - بموحدة مضمومة فดาล مهملة فتحتيه ساكنة فلام ، بن
وَرَقَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - : أَنَّ رسولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمَرَ أَنْ تَحْبَسَ
السَّبَايَا والأَمْوَالُ بِالْجُعْرَانَةِ حَتَّى يَقْدَمَ فَحَبِسَتْ .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - على الغنائم مسعود بن
عمرو الغفاري ، وروى عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب قال : سبي رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - يومئذ ستة آلاف سبي بين امرأة و غلام ، فجعل عليهم رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - أبا سفيان بن حرب . وقال البلاذري : بُدَيْلُ بْنُ وَرَقَاءَ الْخَزَاعِي - وَاللَّهُ
تَعَالَى أَعْلَمُ .

* * *

**ذكر صلاته - صلى الله عليه وسلم - الظهر بحنين وحكومته بين عُيَيْنَةَ بن
حصن والأقرع بن حابس في دم عامر بن الأضبط الأشجعي الذي قتله
مُحَلَّمُ بْنُ جَنَامَةَ كَمَا سَيَأْتِي**

نقل محمد بن إسحاق ، ومحمد بن عمر عن شيوخي قالوا : صلى رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - الظهر يوماً بَحْنَيْنِ ثُمَّ تَنَحَّى إِلَى شَجَرَةٍ فَجَلَسَ إِلَيْهَا ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُيَيْنَةُ
ابْنُ حِصْنٍ يَطْلُبُ بَدْمَ عَامِرِ بْنِ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيِّ وَهُوَ يَوْمئِذٍ سَيِّدُ قَيْسٍ وَمَعَهُ الْأَقْرَعُ
ابْنُ حَابِسٍ يَدْفَعُ عَنْ مُحَلَّمِ بْنِ جَنَامَةَ لِمَكَانِهِ مِنْ خِنْدِفٍ فَاتَّخَصَمَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعُيَيْنَةُ يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَا أَدْعُهُ حَتَّى أُدْخِلَ عَلَى نِسَائِهِ
مِنَ الْحَرْبِ وَالْحُزْنِ مَا أُدْخِلَ عَلَى نِسَائِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « تَأْخُذُ
الدِّيَةَ ؟ » فَأَبَى عُيَيْنَةُ حَتَّى أَرْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَكَثُرَ اللَّغَطُ ، إِلَى أَنْ قَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي

ليث يُقال له مُكَيَّل - قصير مجتمع عَلَيْهِ شِكَّةٌ^(١) كاملة ودرقة^(٢) في يده فقال : يا رسول الله ، إننى لم أجد لما فعل هذا شبهاً في غُرَّةِ الإسلام إلا غنماً وردت فَرْمِيَّ أَوَّلُهَا فَنفَر آخرها . فاسنن اليوم وغيره غدا^(٣) فرفع رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - يده [وقال]^(٤) « تَقْبِلُونِ الدِّيَّةَ خَمْسِينَ فِي قَوْرِنَا هَذَا ، وَخَمْسِينَ إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ » فلم يزل رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - [بالقوم]^(٥) حَتَّى قَبِلُوا الدِّيَّةَ وفي رواية : فقام الأقرع ابنُ حابس فقال : يا معشر قُرَيْش ، سَأَلَكُمْ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - قتيلاً تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه ، أَفَأَمْنْتُمْ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْكُمْ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - فيغضب الله - تعالى عليكم - لغضبه ، أو يلعنكم رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - فيلعنكم الله تعالى بلعنته / ، والله لتسلمنه إلى رسولِ الله صَلَّى الله عليه ٥٠٨ وسلَّم - أو لياتين بخمسين من بني ليث كلهم يشهدون أَنَّ القَتِيلَ مَا جُلِّيَ قَطُّ فَلَأُبْطِلَنَّ دَمَهُ . فلما قال ذلك [قبلوها]^(٥) . ومحلَّمُ القاتل في طرف الناس ، فلم يزالوا يُؤْزَوْنَهُ ويقولون : إئت رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - يستغفر لك ، فقام محلَّم وهو رجل ضَرْبٌ طويل آدم محمر بالحناء عليه حُلَّةٌ قد كان تهيأَ فيها للقتل للقصاص ، فجلس بينَ يَدَيِ رَسُولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - وَعَيْنَاهُ تدمعان ، فقال : يا رسولَ الله ، قد كان من الأمر الذي بلغك وإني أتوبُ إلى الله ، فاستغفر لي ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم - « مَا اسْمُكَ » ؟ قال : أنا مُحَلَّمُ بن جُثَامَةَ . فقال « أَقْتَلْتَهُ بِسِلَاحِكَ فِي غُرَّةِ الإسلام ؟ ! اللهم لا تغفر لمحلَّم بصوت عالٍ يُنْفِذُ بِهِ^(٦) النَّاسَ ، قال فعاد مُحَلَّمُ فقال : يا رسولَ الله ، قد كان الذي بلغك ، وإني أتوبُ إلى الله فاستغفر لي ، فعاد رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لمقاتلته بصوت عالٍ ، يُنْفِذُ بِهِ النَّاسَ « اللَّهُمَّ لَا تَغْفِرْ لِمُحَلَّمِ بن جُثَامَةَ » حَتَّى كَانَتْ الثَّالِثَةُ ،

(١) الشكة : السلاح (الصحاح) .

(٢) الدرقة : الترس (محبط المحيط) .

(٣) وفي المغازي للواقدي ٣ : ٩٢٠ « فرميت أولها فنفرت آخرها ، فاسنن اليوم وغير غدا » وجاء في التعليق بالهامش « أى اعمل بسننك التى سننتها فى القصاص . ثم بعد ذلك إذا شئت أن تغير فغير . (النهاية ٢ : ١٨٦) .

(٤) سقط فى الأصول والإثبات عن المغازي للواقدي ٣ : ٩٢٠ .

(٥) بياض الأصول ، والإثبات عن المغازي للواقدي ٣ : ٩٢٠ .

(٦) فى المغازي للواقدي ٣ : ٩٢٠ « يتفقد به الناس » والمثبت فى كل الأصول ، وشرح الغريب .

فعادَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لمقاتته ، ثم قال له رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم « قُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ » فقام من بين يَدَيَّ رَسُولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - وهو يتلقَّى دَمْعَهُ بِفَضْلِ رِدَائِهِ ، فكانَ ضمرة السلمي يحدث - وقد كان حضر ذلك اليوم - قال : كنا نتحدث فيما بيننا أن رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - حرَّك شفتيه بالاستغفار له ، ولكنه أراد أن يُعلم الناسَ قَدْرَ الدَّمِّ عِنْدَ الله تعالى .

نكر البشير الذي قدم المدينة بهزيمة هوازن

روى محمد بن عمر عن داود بن الحصين قاله : كان بشير رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - إلى أهل المدينة بفتح الله - تعالى - عليه وهزيمة هوازن ، نهيك بن أوس الأشهل ، فخرجَ في ذلك اليوم مُنْسِيًّا ، فأخذ في أوطاس حتى خرج على غَمْرَةٍ ، فإذا الناس يقولون هُزِمَ محمد هزيمة لم يهزم هزيمةً مثلها قط ، وظهر مالك بن عوف على عسكره ، قال : فقلت : الباطل يقولون ، والله لقد ظَفَرَ الله - تعالى - رسولَه صَلَّى الله عليه وسلَّم وغنمه نساءَهُم وأبنائَهُم . قال : فلم أزل أطاُ الخبر حتى انقطع بمعدن بني سُلَيْمٍ أو قريباً منها ، فقدمتُ المدينة وقد سرتُ من أوّل أوطاس ثلاث ليال وما كنت أُمسى على راحلتي أكثر مما كنت أركبها فلما انتهيتُ إلى المصلّى ناديت : أبشروا يا مَعْشَرَ المسلمين بسلامة رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - والمسلمين ، ولقد ظَفَرَهُ الله - تعالى - بهوازن ، وأوقع بهم ، فسبى نساءَهُم ، وغنمَ أموالَهُم ، وتركت الغنائم في يديه تجمع ، فاجتمع الناسُ يحمدون الله - تعالى - على سَلَامَةِ رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - والمسلمين ، ثم انتهيت إلى بيوت أزواج النّبي - صَلَّى الله عليه وسلَّم - فأخبرتَن ، فحمدن الله - تعالى - على ذلك .

قال وكانت الهزيمة الأولى التي هزم المسلمون ذهبت في كلِّ وجه حتى أكذب الله - تعالى -

حديثهم .

نكر ما أنزل الله تبارك وتعالى في شأن هذه الغزوة

قال الله عز وجل يُذَكِّرُ الْمُؤْمِنِينَ فَضْلَهُ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانَهُ لَهُمْ ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ ﴾ (١) للحرب ﴿ كَثِيرَةً ﴾ كبدَرٍ وَقَرِيطَةً وَالنَّضِيرِ ﴿ وَ ﴾ اذْكَرَ ﴿ يَوْمَ حُتَيْنَ ﴾ وإد بين مكة

(١) الآيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ من سورة التوبة .

والطائف ، أى يوم قتالكم فيه هوازن ، وذلك فى شوال سنة ثمان ﴿ إِذْ ﴾ بدل من يوم ،
 ﴿ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ / - فقلتم : لن نُغْلِبَ اليومَ مِنْ قِلَّةِ ، وكانوا إثنى عشر ألفاً ، والكفار
 أربعة آلاف - كذا جزم به غير واحد ، وجزم الحافظ وغيره بأنهم كانوا ضعف عدد
 المسلمين ، وأكثر من ذلك كما سيأتى ، فعلى هذا كان المشركون أربعة وعشرين ألفاً ،
 ﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ ما مصدرية أى مع رحبها
 أى سعتها . فلم تجدوا مكاناً تطمثون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ ﴾
 منهزمين وثبت النبي - صلى الله عليه وسلم - على بغلته البيضاء ، وليس معه غير العباس ،
 وأبوسفيان أخذ بركابه ، ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ ﴾ طمأنينته ﴿ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فردوا
 إلى النبي لما ناداهم العباس بإذنه وقتلوا ﴿ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴾ ملائكة ﴿ وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
 بالقتل والأسر ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴿ مِنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ ﴾
 ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ذكر ما قيل فى هذه الغزوة من الشعر

قال عباس بن مرداس السلمى يذكر قارب بن الأسود وفرازة من بنى أبيه، وذا الخمار
 وحبسه^(١) قومه للموت .

وَسَوْفَ إِخَالُ يَأْتِيهِ الْخَيْرُ ^(٢)	أَلَا مَنْ مُبْلَغُ غَيْلَانَ عَنِ
وَقَوْلَا غَيْرَ قَوْلِكُمَا يَسِيرُ	وَعُرْوَةَ إِنَّمَا أَهْلَى جَوَابًا
لِرَبِّ لَا يَضِلُّ وَلَا يَجُورُ	بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ رَسُولٍ
فَكُلْ فَتَنِي يُخَايِرُهُ مَخِيرُ	وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى
بِسُجٍّ إِذَا تُقَسِّمَتِ الْأُمُورُ	وَيُسْئِسُ الْأَمْرُ أَمْرَ بَنِي قَسِيٍّ
أَمِيرُ الدَّوَائِرِ قَدْ تَلَوَّرُ	أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
جَنُودَ اللَّهِ ضَاحِيَّةٌ تَسِيرُ	فَجِئْنَا أَسَدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ
عَلَى حَنْقٍ نَسْكَادُ لَهُ نَظِيرُ	تَسُومُ الْجَمْعَ جَمَعَ بَنِي قَسِيٍّ

(١) فى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٣٥ « وحبسه نفسه وقومه للموت » وانظر أيضاً سيرة النبي لابن هشام

٤٥١ : ٢ .

(٢) وردت القصيدة فى المرجعين السابقين .

وَأَفْسِمُ لَكُمْ هُمُ مَكْتُونَا لَسِرْنَا
فَكُنَّا أَسَدَ لَيْسَةٍ ثُمَّ حَتَّى
وَيَوْمٌ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ
مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيْسُومُ
قَتَلْنَا فِي الْغُبَارِ بَنِي حُطَيْطٍ
وَلَمْ تَسْكُ ذُو الْخِمَارِ رَيْسَ قَوْمٍ
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ الْمَنَآيَا
فَأَفَلْتَ مِنْ نَجَا مِنْهُمْ حَرِيضًا
وَلَا يُغْنِي الْأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي
أَمَانَتُهُمْ وَحَانَ وَمَلَّكُوهُ
بَنُو عَوْفٍ تَمِيسُجُ بِهِمْ جِيَادُ
فَلَوْلَا قَارِبُ وَبَنُو أَبِيهِ
وَلَكِنَّ الرِّيَاسَةَ عُمُومُوهَا
أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَهُمْ جُلُودُ
فَإِنْ يَهْلُتُوا إِلَى الْإِسْلَامِ يُلْفُوا^(١)
وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا فَهُمْ أَذَانُ
كَمَا حَكَّتْ^(٢) بَنِي سَعْدِ وَحَرْبُ
كَأَنَّ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ
فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ
كَأَنَّ الْقَوْمَ إِذْ جَاءُوا إِلَيْنَا
/ وَقَالَ بَجِيرُ بْنُ زَهِيرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى :
لَوْلَا الْإِلَهِ وَعَبْدُهُ وَلَيْسْتُمْ
بِالْجِزْعِ يَوْمَ حَيَالِنَا أَقْرَانُنَا

٥١٠ ت

إِلَيْهِمْ بِالْجَنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا
أَبْخَنَاهَا وَأَسَلَمْتُ النُّصُورُ
فَأَقْلَعَ وَالِدُهَا بِهِ تَمُورُ
وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمُ ذُكُورُ
عَلَى رَايَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورُ
لَهُمْ عَقْلٌ يُعَاقِبُ أَوْ نَكِيرُ
وَقَدْ بَانَتَ لِمَبْصَرِهَا الْأُمُورُ
وَقَتَّلَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرُ
وَلَا الْغَلِقُ الصُّرِيرَةُ الْخُصُورُ
أُمُورُهُمْ وَأَفَلَتِ الصُّقُورُ
أَهْلِينَ لَهَا الْفَصَافِصُ وَالشَّعِيرُ
تُقَسِّمَتِ الْمَزَارِعُ وَالْقُصُورُ
عَلَى يُنْسِنِ أَشَارَ بِهِ الْمُشِيرُ
وَأَحْسَلَامُ إِلَى عِزِّ تَصِيرُ
أُنُوفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّيِيرُ
بِحَرْبِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
بِرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةِ عَنَقْفِيرُ
إِلَى الْإِسْلَامِ ضَائِنَةُ تَخُورُ
وَقَدْ بَرِئْتَ مِنَ التَّرَةِ^(٣) الصُّلُورُ
مِنَ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السَّلَامِ عُورُ

حِينَ اسْتَخَفَّ الرَّغْبُ كُلَّ جَبَانٍ
وَسَوَابِحُ يَكْبُونُ لِلْأَذْقَانِ

(١) في ت ، م « يفتوا » .

(٢) في البداية والنهاية لابن كثير « حكمت » .

(٣) في المرجع السابق « الإحن » .

من بين ساع ثوبه في كفّه
والله أكرمنا وأظهر ديننا
والله أهلّكهم وفرق شملهم
وأذلهم بعبادة الشيطان

«قال ابن هشام^(١) ويروى فيها بعض الرواة» .

إذ قام عم نبيكم ووليّه
أين الذين هم أجابوا ربهم
يدعون يا لكعبة الإيمان
يوم العريض وبيعة الرضوان

«وقال عباس بن مرداس :

فإني والسوابح يسوم جمع
لقد أحببت ما لقيت ثقيف
هم رأس العلو من أهل نجد
هزمنا الجمع جمع بني قسي
وصرمنا من هلال غادرتهم
ولولاقين جمع بني كلاب
ركضنا الخيل فيهم بين بس^(٢)
بني لجب رسول الله فيهم

«وقال عباس بن مرداس أيضاً» .

يا خاتم النبأ إنك مرسل
إن الإله بني عليك محبة
إن الذين وفوا بما عاهدتهم
بالحق كل هدى السبيل هداك^(٥)
في خلقه ومحمداً سماً
جند بعثت عليهم الضحاکا

(١) سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٦٠ .

(٢) وردت القصيدة في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٦٠ والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٠ .

(٣) البس : بفتح الباء : الجهد والطلب أو الزجر - وبضم الباء : جبل قرب ذات عرق وأرض لبى نصر بن معاوية ،

وبيت لطفان - وانظر القاموس المحيط .

(٤) تنحط : النحيط هو الزفير ، وداء في صدور الخيل والإبل . والنحط صوت الخيل من النقل والإعياض كالنحيط

(القاموس المحيط) .

(٥) وردت القصيدة في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٦١ والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤١ .

/ رَجُلًا بِهِ دَرَبُ السَّلَاحِ كَمَا نَهَ
يَغْشَى ذَوَى النَّسَبِ الْقَرِيبِ وَإِنَّمَا
أُنْبِيكَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَكْرَهُ
طَوَّلا يُعَانِقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً
[يَغْشَى بِهِ هَامَ الْكِمَاةِ وَلَوْ تَرَى
وَبَنُو سُلَيْمٍ مُغْنِقُونَ أَمَامَهُ
يَمْشُونَ تَحْتَ لِوَائِهِ وَكَأَنَّهُمْ
مَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قَرَابَةً
هَذِي مَشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا

«قال عباس بن مرداس أيضاً :

عَفَا مِجْدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمَتَالِغُ
دِيَارُ لَنَا يَا جُمْلُ إِذْ جُلُّ عَيْشِنَا
حُبِّيَّةُ آلُوتٍ بِهَا غَرْبَةُ النَّوَى
فَإِنْ تَبَتَّغَى الْكُفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ
دَعَانَا إِلَيْهِ خَيْرٌ وَفِدٍ عَلِمْتَهُمْ
فَجِئْنَا بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمْ
نَبَايَعُهُ بِالْأَخْشَبِينَ وَإِنَّمَا
فَجُسْنَا مَعَ الْمَهْدِيِّ مَكَّةَ عَنْوَةً
عَلَانِيَةً وَالْخَيْلُ يَغْشَى مُتُونَهَا
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازُنُ
صَبْرُنَا مَعَ الضُّحَّاكِ لَا يَسْتَفِرُّنَا
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْفِقُ قَوْقُنَا
عَشِيَّةَ ضَحَّاكِ بْنِ سَفْيَانَ مُعْتَصِصِ
نَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَحِينَا وَلَوْ نَرَى

لَمَّا تَكَنَّفَهُ الْعَدُوُّ يِرَاكَا
يَبْغِي رَضَى الرَّحْمَنِ ثُمَّ رَضَاكَ
تَحْتَ الْعِجَاجَةِ يَذْمُغُ الْإِشْرَاكَ
يَفْرَى الْجَمَاجِمَ صَارِمًا بَتَاكَ
منه الذى عاينت كان شفاكاً]
ضَرْبًا وَطَعْنَا فِي الْعَدُوِّ دِرَاكَا
أَسْدُ الْعَرِينِ أَرْدَنَ ثُمَّ عِرَاكَ
إِلَّا بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ وَهَوَاكَ
مَعْرُوفَةً وَوَلِيْنَا مَوْلَاكَ

فَمَطْلَى أَرِيكَ قَدْ خَلَا فَالْمَصَانِعُ^(١)
رَحَىٌّ وَصَرْفُ الدَّهْرِ لِلْحَىِّ جَامِعُ
لَيْتَنِي فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ
فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ
خَزِيمَةِ وَالْمَزَارُ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
لَبْسُوسٍ لَهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ رَائِعُ
يَدُ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ نَبَايَعُ
بِأَسْيَافِنَا وَالنَّقْعُ كَابٍ وَسَاطِعُ
حَمِيمٌ وَأَنْ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ
إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالنَّفُوسِ الْأَضَالِعُ
قِرَاعُ الْأَعَادِي مِنْهُمْ وَالْوَقَائِعُ
لِسَوَاءٍ كَخَذَرُوفِ السَّحَابَةِ لَامِعُ
بِسَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَوْتُ كَانِعُ
مَصَالَا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ نَتَابِعُ

(١) وردت القصيدة في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٦٣ واللبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٤١ .

وَلَكِنَّ دِينَ اللَّهِ دِيسَن مُحَمَّد
أَقَام بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ أَمَرَنَا

«وقال عباس بن مرداس أيضاً» :

/ ما بال عينك فيها عائر سهر
عين تأوبها من شجوها أرق
كأنه نظم در عند ناظمة
يا بعد منزل من ترجو مودته
دع ما تقدم من عهد الشباب فقد
واذكر بلاء سليم في موطنها
قوم هموا نصرؤا الرحمن واتبعوا
لا / يغرسون فسيل النخل وسطهم
إلا سوايح كالعقبان مقربة
تدعى كفاف وعوف في جوانبها
الضاربون جنود الشرك ضاحية
حتى رفعنا وقتلهم كأنهم
ونحن يوم حنين كان مشهدنا
إذ نركب الموت مخضراً بطائنه
تحت اللواء مسع الضحك يقدمنا
في مازي من مجر الحرب كلكتها
وقد صبرنا بأوطاس أسنتنا
حتى تأوب أقوام منازلهم
فما تری معشراً قلوا ولا كثروا

رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهَلْدَى وَالشَّرَائِعُ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمُّهُ اللَّهُ دَافِعُ

٥١١ ت

مِثْلُ الْحِمَاظَةِ أَغْضَى فَوْقَهَا الشُّفْرُ (١)
فَالْمَاءُ يَغْمُرُهَا طَوْرًا وَيَنْحَدِرُ
تَقَطَّعَ السُّلُوكُ مِنْهُ فَهُوَ مُبْتَرِ (٢)
وَمَنْ أَتَى دُونَهُ الصُّمَّانُ فَالْحَفَرُ
وَلَى الشَّبَابُ وَزَارَ الشَّيْبُ وَالزَّرْعُ
وَفِي سُلَيْمٍ لِأَهْلِ الْفَخْرِ مُفْتَحَرُ
دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ
وَلَا تَخَاوُرُ فِي مَشْتَاهُمُ الْبَقَرُ
فِي دَارَةِ حَوْلَهَا الْأَخْطَارُ وَالْعَكْرُ
وَحَى ذُكْوَانِ لَا مِيلُ وَلَا ضَجْرُ
بِطْنِ مَكَّةَ وَالْأَرْوَاحُ تُبْتَدِرُ
نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْقَعِرُ
لِلدَّيْنِ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ مُسْلَخَرُ
وَالْخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعُ كَدِرُ
كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْخَدِرُ
تَكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لِلَّهِ تَنْصُرُ مَنْ شِئْنَا وَنَنْتَصِرُ
لِسُؤْلَا الْمَلِكِ وَلَوْ لَا نَحْنُ مَا صَدَرُوا
إِلَّا قَدْ أَصْبَحَ مِنَّا فِيهِمْ أَثَرُ

ط ٢٩١

(١) وردت القصيدة في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٦٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٣ .

(٢) في «ص» «منتثر» وكذلك في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام ، والبداية والنهاية لابن كثير . والمثبت عن بقية

النسخ ويؤكد ما يأتي في شرح الغريب .

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوِي بِهِ
إِذَا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطِيَّ وَمَنْ مَشَى
إِنَّا وَفَيْنَا بِالَّذِي عَاهَدْتَنَا
إِذْ سَأَلَ مِنْ أَفْنَاءِ بُهْثَةٍ كُلِّهَا
حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَيَلْقَا
مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سُلَيْمٍ فَوْقَهُ
يُرْوَى الْقَنَاءَ إِذَا تَجَاسَرَ فِي الْوَعَى
يَغْشَى الْكُتَيْبَةَ مُعَلِّمًا وَبِكْفِهِ
وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا
كَانُوا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ دَرِيئَةً
نَمْضِي وَيَحْرُسُنَا إِلَهُ بِحِفْظِهِ
وَلَقَدْ حُسِنَا بِالْمَنَاقِبِ مَخِيسًا
وَعِدَاةَ أَوْطَاسٍ شَدَدْنَا شِدَّةً
تَدْعُو هَوَازِنُ بِالْإِخَاوَةِ بَيْنَنَا
حَتَّى تَرَكْنَا جَمْعَهُمْ وَكَانَهُ

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ غَضَبٍ لَهُ
حَمَلْنَا [له] (٣) فِي عَامِلِ الرُّمَحِ رَايَةً
وَنَحْنُ خَضِبْنَاهَا دَمًا فَهُوَ لَوْنُهَا
وَكُنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ مِيْمَنَةً لَهُ

وَجَنَاءُ مُجْمَرَةِ الْمَنَاسِمِ عَرِيسٍ (١)
حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا أَطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ
فَوْقَ التُّرَابِ إِذَا تَعَدَّدُ الْأَنْفُسُ
وَالْخَيْلُ تُقَدِّعُ بِالْكُمَاةِ وَتُضْرَسُ
جَمْعُ تَظَلُّ بِهِ الْمَخَارِمُ تَرْجُسُ
شُهَبَاءَ يَقْدُمُهَا الْهَمَامُ الْأَشْوَسُ
بَيْضَاءُ مُحْكَمَةُ الدِّخَالِ وَقَوْنُسُ
وَتَخَالُهُ أَسَدًا إِذَا مَا يَعْرِيسُ
عُضْبُ يَقْدُ بِهِ وَلَدُنْ مِدْعُسُ
أَلْفُ أُمِدٍّ بِهَا الرَّسُولُ عَرَنْدُسُ
وَالشَّمْسُ يَوْمِيذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ
وَاللَّهُ لَيْسَ بِضَائِعَ مَنْ يَخْرُسُ
رَضِيَ إِلَهُ بِهِ فَنِعْمَ الْمَخِيسُ
كَفَتِ الْعَدُوَّ وَقِيلَ مِنْهَا : يَا حِسُوا
ثَلَاثِي تَمُدُّ بِهِ هَوَازِنُ أَيْبَسُ
عَسِيرُ تَعَاقِبِهِ السَّبَاعُ مُفَرَّسُ

بِأَلْفِ كَمِيٍّ لَا تُعَدُّ حَوَاسِرُهُ (٢)
يَزُودُ بِهَا فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ نَاصِرُهُ
غِدَاةَ حُنَيْنٍ يَوْمَ صَفْوَانُ شَاجِرُهُ
وَكَانَ لَنَا عَقْدُ اللِّوَاءِ وَشَاهِرُهُ

(١) وردت القصيدة في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٦٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٣ .

(٢) وردت القصيدة في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٦٨ .

(٣) الإضافة عن المرجع السابق .

وَكُنَّا لَهُ دُونَ الْجُنُودِ بِطَانَةً
دَعَانَا فَسَمَّانَا الشُّعَارُ مُقَدَّمًا
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ نَبِيٍّ مُحَمَّدًا

يُشَاوِرُنَا فِي أَمْرِهِ وَنُشَاوِرُهُ
وَكُنَّا لَهُ عَوْنًا عَلَى مَنْ يُنَاكِرُهُ
(وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ وَاللَّهُ نَاصِرُهُ) (١)

«وقال عباس بن مرداس أيضاً :

مَنْ مُبْلَغُ الْأَقْسَامِ أَنَّ مُحَمَّدًا
دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَخَلَدَهُ
سَرِينًا وَوَاعَدَنَا قُدَيْدًا مُحَمَّدًا
تَمَارَوْا بِنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا
عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دُرُوعَنَا
فَإِنْ سَرَاةَ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا
وَجُنْدٌ / مِنْ الْأَنْصَارِ لَا يَخَذُلُونَهُ
فَإِنْ تَكُ قَدْ أَمَرْتَ فِي الْقَوْمِ خَالِدًا
يَجُنْدُ هَدَاهُ اللَّهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ
خَلَفْتَ يَمِينَنَا بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ
وَقَالَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقَدَّمُوا
وَيَتَنَسَّا بِنَهْيِ الْمُسْتَلِيرِ وَلَمْ يَكُنْ
أَطْعَمَكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
يَضِلُّ الْحِصَانُ الْأَبْلَقُ الْوَرْدُ وَسَطُهُ
لَدُنْ غُلُوَّةٍ حَتَّى تَرَكَنَا عَشِيَّةً
سَمَوْنَا لَهُمْ وَرَدَّ الْقَطَا زَفَهُ ضَحَى
إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلِّ رَأَيْتَ طِمْرَةً
وَقَدْ أَخْرَزْتَ مِنْهَا هَوَازِنُ سَرَبَهَا

رَسُولَ الْإِلَهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَّمَا (٢)
فَأَصْبَحَ قَدْ وَفَى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا
يَوْمٌ بِنَا أَمْرًا مِنَ اللَّهِ مُحْكَمًا
مَعَ الْفَجْرِ فَنِيَانًا وَغَابًا مُقْسُومًا
وَرَجُلًا كُدْفَاعِ الْآتِي عَسْرَمَرَمًا
سُلَيْمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ مَنْ تَسَلَّمَا
أَطَاعُوا فَمَا يَغْضُونَهُ مَا تَسَكَّلَمَا
وَقَدَّمَتُهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا
تُصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
فَأَكْمَلْتَهَا أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ مُلْجَمًا
وَحُبٌّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ الْمُقَدَّمَا
بِنَا الْخَوْفُ إِلَّا رَغْبَةً وَتَحَزُّمًا
وَحَتَّى صَبَحْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَلْمَلَمَا
وَلَا يَطْمَئِنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسَوَّمَا
حُنَيْنًا وَقَدْ سَالَتْ دَوَامِعُهُ دَمًا
وَكُلُّ تَرَاهُ عَنْ أَحْيِهِ قَدْ اخْجَمَا
وَفَارِسَهَا يَهْوِي وَرُمَحًا مُحْطَمًا
وَحُبٌّ إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَنُخْرَمَا

٥١٢ ت

(١) سقط في الأصول والإثبات عن المرجع السابق .

(٢) وردت القصيدة في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٦٩ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٤ .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قال أهل المغازي : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى حُنَيْنٍ لَسْتُ خَلْتُ مِنْ شَوَالٍ ، وَقِيلَ : لِلْبَلَّتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ رَمَضَانَ ، وَجَمَعَ بَعْضُهُمْ بَأَنَّهُ بَدَأَ بِالْخُرُوجِ مِنْ أَوَاخِرِ رَمَضَانَ ، وَسَارَ سَادِسَ شَوَالٍ ، وَكَانَ وَصُولُهُ إِلَيْهَا فِي عَاشِرِهِ .

قال في زاد المعاد : كَانَ اللَّهُ - تَعَالَى - قَدْ دَعَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْوَعْدِ - أَنَّهُ إِذَا فَتَحَ مَكَّةَ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا ، وَدَانَتْ لَهُ الْعَرَبُ بِأَسْرَافِهَا ، فَلَمَّا تَمَّ لَهُ الْفَتْحُ الْمُبِينُ ، اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ - تَعَالَى - أَنْ أَمْسِكَ قُلُوبَ هَوَازِنَ وَمَنْ تَبِعَهَا ^{٢٩٢} عَنْ الْإِسْلَامِ وَأَنْ يَتَجَمَّعُوا وَيَتَأَهَّبُوا لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى / اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْمُسْلِمِينَ ، لِيُظْهِرَ أَمْرُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَتَمَامُ إِعْزَازِهِ ، لِرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَصْرُهُ لِدِينِهِ ، وَلِتَكُونَ غَنَائِمُهُمْ شُكْرًا لِأَهْلِ الْفَتْحِ ؛ لِيُظْهِرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَعِبَادُهُ وَقَهْرُهُ لِهَذِهِ الشُّوْكَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَمْ يَلْقَ الْمُسْلِمُونَ مِثْلَهَا ؛ فَلَا يَقَاوِمُهُمْ بَعْدُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ . وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ مِنَ الْحُكْمِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي تَلُوحُ لِلْمُسْلِمِينَ وَاقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ - تَعَالَى - أَنْ أَذَاقَ الْمُسْلِمِينَ أَوَّلًا مَرَارَةَ الْهَزِيمَةِ وَالْكِبُوءَةِ - مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَعُدَدِهِمْ وَقُوَّةِ شُوكَتِهِمْ - لِيُطَاطَأَ مِنْ رُغْوَسِ رَفْعَتِ الْفَتْحِ وَلَمْ تَدْخُلْ بِلَدِهِ وَحَرَمِهِ كَمَا دَخَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضْعًا رَأْسَهُ مُنْحَنِيًّا عَلَى فَرْسِهِ ، حَتَّى إِنْ ذُقْنَاهُ تَكَادَ أَنْ تَمَسَّ سِرْجَهُ تَوَاضِعًا لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَخُضُوعًا لِعَظَمَتِهِ ، وَاسْتِكَانَةً لِعِزَّتِهِ أَنْ أَحَلَّ لَهُ حَرَمَةَ بِلَدِهِ ، وَلَمْ يَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلِيُبَيِّنَ عِزَّ وَجَلَّ لِمَنْ قَالَ : لَنْ نُغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ أَنْ النَّصْرَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَنَّهُ مَنْ يَنْصُرْهُ فَلَا غَالِبَ لَهُ ، وَمَنْ يَخْذِلْهُ فَلَا نَاصِرَ لَهُ غَيْرَهُ ، وَأَنَّهُ - تَعَالَى - هُوَ الَّذِي تَوَلَّى نَصْرَ رَسُولِهِ وَدِينِهِ لَا كَثَرَتَكُمْ الَّتِي أَعْجَبَتْكُمْ ، فَإِنَّهَا لَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا فَوَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ فَلَمَّا انْكَسَرَتْ قُلُوبُهُمْ أَرْسَلَتْ إِلَيْهَا خَلَعَ الْجَبْرِ مَعَ مَزِيدٍ ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ ^(١) وَقَدْ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنْ

(١) من سورة التوبة آية ٢٦ .

خَلَعَ النَّصْرَ وجوائزه إنما تفضى على أهل الانكسار ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ، وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (١) .

الثاني : وافتتح الله - سبحانه وتعالى - غزو العرب بغزوة بدر ، وختم غزوهم بغزوة حنين ، ولهذا يُقَرَّنُ هاتين الغزاتين / بالذكر فيقال « بدر وحنين » وإن كان بينهما سبع سنين ٥١٣ هـ والملائكة قاتلت بأنفسها مع المسلمين بهاتين الغزاتين ، والنبي صلى الله عليه وسلم رعى وجوه المشركين بالحصا فيهما ، وبهاتين الغزاتين طفئت جمرة العرب لغزو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين ، فالأولى خوفتهم وكسرت من حلتهم . والثانية : استفرغت قواهم ، واستنفدت سهامهم ، وأذلت جمعهم ، حتى لم يجدوا بداً من الدخول في دين الله - تعالى - وجبر الله تبارك وتعالى أهل مكة بهذه الغزوة ، وفرحهم بما نالوا من النصر والمنعم . فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم ، وإن كان عين جبرهم وقهرهم تمام نعمته عليهم بما صرفه عنهم من شرٍّ من كان يُجاورهم من أشراف العرب من هوازن وثقيف ، بما أوقع بهم من الكسرة ، وبما قيض لهم من دخولهم في الإسلام ، ولولا / ذلك ما كان أهل مكة يطبقون مقاومة تلك القبائل مع شدتها . ومن تمام التوكل ٢٩٣ ت استعمال الأسباب التي نصبها الله سبحانه وتعالى لمسبباتها قدرا وشرعا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أكمل الخلق توكلًا ، فقد دخل مكة والبيضة على رأسه ، ولبس يوم حنين درعين ، وقد أنزل الله - سبحانه وتعالى ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٢) وكثير ممن لا تحقيق عنده يستشكل هذا ويتكاسى في الجواب ، تارة بأن هذا فعله - صلى الله عليه وسلم - تعليماً لأمته ، وتارة بأن هذا كان قبل نزول الآية !! لو تأمل أن ضمان الله - سبحانه وتعالى - له العصمة لا ينافي تعاطيه لأسبابها فإن هذا الضمان له من ربه - تبارك وتعالى - لا ينافي احتراسه من الناس ولا ينافيه (٣) ، كما أن إخبار الله - عز وجل - له بأنه يُظهره على الدين كله ويُعليه ، لا ينافي أمره بالقتال ،

(١) سورة القصص الآيتان ٥ ، ٦ .

(٢) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٣) كذا في الأصول ولعلها « ينافيه » .

وإعداد العدة والقوة ، ورباط الخيل ، والأخذ بالجد والحذر ، والاحتباس من عدوه ، ومحاربتة بأنواع الحرب ، والتورية ، فكان إذا أراد غزوة ورى غيرها ، وذلك لأنه إخبار من الله - تعالى - عن عاقبة حاله ومآله فما يتعاطاه من الأسباب التي جعلها الله - تعالى - بحكمته موجبة لِمَا وعده به من النصر والظفر ، وإظهار دينه وغلبته عدوه انتهى .

الثالث : اختلف العلماء في العارية هل تضمن إذا تلفت ، فقال الشافعي وغيره يضمن ، وقال أبو حنيفة وغيره : لا يضمن ، وفي بعض طرق الحديث « بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ ، وقد اختلفوا في هذا القيد وهو مضمونة ، أنه صفة مَوْضَعَةٍ أو مُقَيَّدَةٍ ، فمن قال بالأول قال : تضمن ، ومن قال مقيدة قال : لا إلا بشرط ، قاله في النور .

الرابع : تضمن قول السائل للبراء في الرواية الثانية : أَوْلَيْتُمْ مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي الثالثة أفررتُم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقول البراء رضى الله عنه - فأشهد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه لم يُولَ ، وقوله . في الرواية الثانية « لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يقر إثبات عدم الفرار . لكن لا على طريق التعميم ، وأراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بظاهر الرواية الثانية ، ويمكن الجمع بين الثانية والثالثة بحمل المعية على ما قبل الهزيمة فبادر إلى استثنائه ، ثم أوضح ذلك وختم حديثه بأنه لم يكن ٥١٤ ت أحد / يومئذ أشد من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويحتمل أن البراء فهم أن السائل ٢٩٣ ظ أشتبه عليه حديث سلمة بن الأكوع ، ومررتُ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - / مُنْهَزِمًا ، فلذلك حلف البراء أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يُولَ . ودل ذلك على أن مُنْهَزِمًا حال من سَلَمَ (١) ، ولهذا وقع في طريق أخرى (٢) « وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُنْهَزِمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ » فقال : لقد رأى ابن الأكوع فرعاً ، ويحتمل أن يكون السائل أخذ العموم من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ (٣) فبين البراء أنه من العموم الذي أريد به الخصوص .

(١) وانظر التخریج فی السيرة الحلیة ٣ : ١٢٤ .

(٢) وهی رواية مسلم من حديث عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه . وانظر البداية والنهاية

لابن كثير ٤ : ٣٣١ . (٣) سورة التوبة آية ٢٥ .

الخامس : يجمع بين قول أنس - رضى الله عنه - : بقی رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحده وبين الأخبار الدالة أنه بقی معه جماعة بأن المراد بقی وحده متقدماً مُقبلاً على العدو ، والذين ثبتوا كانوا وراءه ، أو الوحدة بالنسبة لمباشرة القتال ، وأبو سفيان بن الحارث وغيره كانوا يخدمونه في إمساك البغلة ، ونحو ذلك .

السادس : لا تخالف بين قول ابن عمر ، لم يبق مع النبي - صلى الله عليه وسلم - مائة رجل ، وبين قول ابن مسعود ، ثبت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانون من المهاجرين والأنصار فإن ابن عمر نفي أن يكونوا مائة ، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين .

وذكر النووي أن الذين ثبتوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اثنا عشر رجلاً ، ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب - رضى الله عنه - أن الذين ثبتوا معه كانوا عشرة فقط ، وذلك لقوله :

نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْحَرْبِ تِسْعَةً وَقَدْ فَرَّ مِنْ قَدَرٍ عَنْهُ فَأَقْشَعُوا
وَعَاشِرُنَا لَاقَى الْجَمَامَ بِنَفْسِهِ لِمَا مَسَّهُ فِي اللَّهِ لَا يَتَوَجَّعُ

قال الحافظ : ولعل هذا هو الأثبت ، ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فعُدَّ فيهم لم يَنْهَزِم .

السابع : البغلة البيضاء : وفي مُسلم عن سلمة بن الأكوع الشهباء التي كان عليها يومئذ أهداها له فروة - بفتح الفاء ، وسكون الراء ، وفتح الواو ، وبالهاء - ابن نفاثة - بنون مضمومة ، ففاء مخففة ، فألف ، ففاء مثناة - ووقع في بعض الروايات عند مُسلم فروة بن نعامه بالعين والميم ، والصحيح المعروف الأول ، ووقع عند ابن سعد وتبعه جماعة ممن أَلَفَ في المغازي أنه - صلى الله عليه وسلم - كان على بغلته دُلْدُل ، وفيه نظر ، لأنَّ دُلْدُل أهداها له المُقَوِّس . قال القطب : ويحتمل أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - ركب يومئذ كلاً من البغلتين ، وإلا فما في الصحيح أصح .

الثامن : قال العلماء : ركوبه - صلى الله عليه وسلم - البغلة يومئذ دلالة على النهاية في الشجاعة والثبات ، لأنَّ ركوبَ الفحولة مظنة الاستعداد للفرار / والتوكل ، وإذا كان ٢٩٤ ت

رَأْسُ الْجَيْشِ قَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى عَدَمِ الْفِرَارِ وَالْأَخْذِ بِأَسْبَابِ ذَلِكَ كَانَ ذَلِكَ أَدْعَى لَأَتْبَاعِهِ .

التاسع : وقع في الصحيح حديث البراء: وأبو سفيان ابن عمه يقودُ به ، وفي حديث العباس أنه كان آخذاً بلجام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو سفيان آخذٌ بركابه ، ويجمع بأن أبا سفيان كان آخذاً أولاً بزمام البغلة ، فلما ركضها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جهة الكفار خشي العباس وأخذ بلجام البغلة يكفها ، وأخذت أبو سفيان بالركاب وترك / اللجام للعباس إجلالاً له لأنه كان عمه .

العاشر : وقع في حديث ابن عبد الرحمن الفهرى - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أفتحم عن فرسه « فأخذ كفاً من تراب » انتهى قلت : وهى رواية شاذة ، والصحيح أنه - صلى الله عليه وسلم - كان حينئذ على بغلة .

الثالث عشر : فى قوله - صلى الله عليه وسلم - « أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ » إشارة إلى صفة النبوة يستحيل معها الكذب ، وكأنه - صلى الله عليه وسلم - قال : لأننا النبي ، والنبي لا يكذب ، فليست بكاذبٍ فيما أقول حتى أنهزم ، وأنا متيقن أن الذى وعدنى به الله من النصر حتى فلا يجوز على الفرار ، وقيل معنى قوله « لَا كَذِبُ » أى أنا النبي حقاً لا كذب فى ذلك .

الحادى عشر : قوله - صلى الله عليه وسلم - « أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ » بسكون الموحدة من كذب وهذا وإن وقع موزوناً لا يُسمى شِعْراً لأنه غير مقصود كما سيأتى بسط ذلك فى الخصائص .

الثانى عشر : انتسب - صلى الله عليه وسلم - إلى عبد المطلب دون أبيه عبد الله لشهرة عبد المطلب بين الناس لما رُزِقَ مِنْ نَبَاهَةِ الذَّكَرِ وَطُولِ الْعُمُرِ ، بخلاف عبد الله فإنه مات شاباً ولهذا كان كثيرٌ من العرب يدعونه ابن عبد المطلب كما فى حديث حماد فى الصحيح . وقيل لأنه كان اشتهر بين الناس أنه يخرج من ذرية عبد المطلب . رجل يدعو إلى الله ويهدى الله - تعالى - الخلق على يديه ، ويكون خاتم الأنبياء ، فانتسب ليتذكر ذلك من كان يعرفه ، وقد اشتهر ذلك بينهم ، وذكره سيفُ بن ذى يزن قديماً

لعبد المطلب قبل أن يتزوج عبد الله آمنة، وأراد - صَلَّى الله عليه وسلم - تنبيه أصحابه بأنه لا بُدَّ من ظهوره ، وإن العاقبة له لتقوى قلوبهم إذا عرفوا أنه - صَلَّى الله عليه وسلم - ثابت غير منهزم .

الرابع عشر : في إشهارة - صَلَّى الله عليه وسلم - نفسه الكريمة في الحرب غاية الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو .

الخامس عشر : في تقدمه - صَلَّى الله عليه وسلم - قبل الكفار نهاية الشجاعة ، وفي نزوله - صَلَّى الله عليه وسلم - عن البغلة حين غشوة مبالغة في الثبات والشجاعة والصبر ، وقيل : فعل ذلك مواساةً لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين .

السادس عشر : في حديث سلمة بن الأكوع وغيره « أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - نَزَلَ عن البَغْلَةِ ثُمَّ قَبِضَ قَبْضَةً من تُرَابٍ » إلخ . وفي حديث ابن مسعود أن رَسُولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال له حين أنهزم أصحابه « نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ تُرَابٍ » فناوله ، وفي حديث ابن عباس عن البراء أن علياً ناولَ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - التُّرَابَ فرمى به في وُجُوهِ الكُفَّارِ ، والجمع بين ذلك أنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى الله عليه وسلم - أولاً قال لصاحبه « نَاوِلْنِي » فناوله ، فرماهم ، ثم نزل عن البَغْلَةِ فأخذ بيده فرماهم أيضاً ، فيحتمل أن الحصى في إحدى المرتين وفي الأخرى التُّرَابَ ، وأنَّ كُلاًّ مِنْ ذِكْرٍ^(١) نَاوَلَهُ .

السابع عشر : في رَمِيهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - الكفارَ ، وقوله « انْهَزِمُوا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ » إلخ ، معجزتان ظاهرتان لرسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - إحداهما فَعْلِيَّةٌ ، والأخرى خبرية ، فإنه - صَلَّى الله عليه وسلم - أخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصى فولوا مدبرين . وفي رواية اسْتَقْبَلَ وُجُوهُهُمْ فقال « شَاهَتِ الْوُجُوهُ » . وهنا أيضاً معجزتان فعلية وخبرية .

الثامن عشر : في قول العباس : فوالله لكأن في عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة

البقر على أولادها . إلخ / دليل أن فرارهم لم يكن بعيداً .

١٦٥ ت

(١) ونُحِصَت السيرة الحلبية ٣ : ١٢٦ ذلك فقالت « قيل ناوله العباس ذلك ، وقيل ناوله علي ، وقيل ابن مسعود

رضي الله عنهم » .

التاسع عشر : في عَقْرِ عَلَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَعِيرَ حَامِلٍ رَايَةَ الْكُفَّارِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ عَقْرِ فَرَسِ الْعَدُوِّ وَمَرْكُوبِهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ عَوْنًا عَلَى قَتْلِهِ .

العشرون : في انتظارِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بقسمِ غَنَائِمِ هَوَازِنِ إِسْلَامِهِمْ جَوَازُ أَنْتَظَارِ الْإِمَامِ بِقِسْمِ الْغَنَائِمِ إِسْلَامِ الْكُفَّارِ وَدُخُولِهِمْ فِي الطَّاعَةِ فِيهِ وَرَدُّهُ عَلَيْهِمْ غَنَائِمُهُمْ وَمَتَاعُهُمْ .

الحادي والعشرون : اتفقوا على أنه لا يُقْبَلُ قول من ادَّعى السَّلبَ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ تشهد له . ونقل ابن عَظِيمَةَ عن أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ أَنَّ الْبَيِّنَةَ هُنَا شَاهِدٌ وَاحِدٌ يَكْتَفِي بِهِ .

الثاني والعشرون : قال في العيون أَخَذًا مِنَ الرَّوْضِ: فَرَارٌ مِنْ كَانَ مَعَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ حُنَيْنٍ قَدْ أَعْقَبَهُ رَجُوعُهُمْ إِلَيْهِ بِسُرْعَةٍ، وَقَتْلَهُمْ مَعَهُ حَتَّى كَانَ الْفَتْحُ ، وَفِي ذَلِكَ نَزَلَ ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾^(١) إِلَى قَوْلِهِ : (غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(١) كَمَا قَالَ فِيمَنْ تَوَلَّى يَوْمَ أُحُدٍ (وَلَقَدْ عَفَى اللَّهُ عَنْهُمْ) إِنْ اخْتَلَفَ الْحَالُ فِي الْوَقْعَتَيْنِ . وَقَالَ الْحَافِظُ : الْعُدُ لَمْ / أَنْهَزْ مِنْ غَيْرِ الْمُؤَلَّفَةِ أَنَّ الْعَدُوَّ كَانُوا ضَعْفَهُمْ فِي الْعَدَدِ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَذَا جَزَمَ فِي النُّورِ بِأَنَّ هَوَازِنَ كَانُوا أَضْعَافَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٢٩٥
٢

الثالث والعشرون : في بيان غريب ما سبق :

حُنَيْنٌ - بِحَاءٍ مَهْمَلَةٍ وَنُونٍ مُصَغَّرٍ : وَادٍ إِلَى جَنْبِ ذِي الْمَجَازِ قَرِيبٌ مِنَ الطَّائِفِ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ بَضْعَةُ عَشْرِ مِيلًا ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ سَمِيَ بِاسْمِ حُنَيْنِ بْنِ قَانِيَةَ ابْنِ مَهْلَائِيلَ . وَالْأَغْلَبُ عَلَيْهِ التَّذْكِيرُ ، لِأَنَّهُ اسْمُ مَاءٍ . وَرَبَّمَا أَنْشَأَهُ الْعَرَبُ ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ لِلْبُقْعَةِ . فَسُمِّيَتْ الْغَزْوَةُ بِاسْمِ مَكَانِهَا .

هَوَازِنٌ - بِفَتْحِ الْهَاءِ وَكَسْرِ الزَّيِّ ، قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْعَرَبِ ، فِيهَا عِدَّةُ بَطُونٍ ، وَهُوَ : أَزَنُ بْنُ مَنْصُورٍ بِنِ عَكْرَمَةَ بْنِ خَصْفَةَ - بِحَاءٍ مَعْجَمَةٍ فَصَادَ مَهْمَلَةٌ فَفَاءٌ مَفْتُوحَةٌ -

(١) سورة التوبة الآيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

ابن قيس عَيْلَان - بعينٍ مهملة - بن إلياس بن مُضر أبو الزُّناد - بكسر الزَّاي ، وبالنون ؛
وبالدَّال المهملة .

ثَقِيفٌ - بثناء مثْلثة بوزن أمير : اسمه قَيْسٌ - بفتح القَافِ وكسر السِّين المهملة
وتشديد الياء - بن مُنبه بن بكر بن هَوَازِن بن مَنْصُور بن عِكْرَمَة بن خَصَفَة - بفتح
الخاء المعجمة ، والصاد المهملة ، وبالفاء - ابن قيس عَيْلَان .

أَشْفَقُوا : خافوا .

لَا نَاهِيَةَ لَهُ : أى نهى : أى مانع .

حَشَلُوا : اجتمعوا .

أَجْمَعُوا أَمْرًا : أى عزموا عليه .

نَصْر - بفتح النون ، وسكون الصاد المهملة ، وبالراء : اسم قبيلة .

جُشَم - بضم الجيم وفتح الشين المعجمة : لا ينصرف للعلمية والعدل عن جَاشِم :
أبو قبيلة كبيرة ؛ وهو مُعاويةُ بنُ بكر بن هوازن بن قيس عَيْلَان - بفتح المهملة ؛
لقب قيس باسم عبد كان يملكه^(١) ، وقيل باسم فرس له

كعب وكلاب بن أبي براء - بفتح الموحدة وتخفيف الراء وبالد . وحكى القصر .

نَاوَاهُ : عَادَاهُ .

دُرَيْد - بضم الدَّال المهملة ، وفتح الرَّاء ، وسكون التحتية وبالدال المهملة .

الصُّمَة - بكسر الصَّادِ المهملة ، وتشديد الميم - واسمه ؛ الحارث بن بكر أو ابن
الحارث بن بكر بن علقمة بن معاوية بن بكر هوازن الجُشَمي - بضم الجيم وفتح

(١) فى ت ، م « يكفله » .

الشين - من بنى مِخْرَبَ - بكسر الميم وإسكان الحاء المهملة ثم راء مفتوحة ثم موحدة

٥١٧ ت يقال رجلٌ مِخْرَبٌ - بكسر الميم : صاحب حروب /

أَوْطَأَ الْعَرَبَ : علاهم وقهرهم .

أَجْلَى يَهُودَ : أخرجهم .

الذَّل - بضمُّ الذَّال المعجمة : الضعف والهوان .

الصَّغَارُ - بفتح الصَّاد المهملة : الضيم .

يومك هذا له ما بعده .

طَوَى عَنْهُ الْخَبَرَ : كتمه .

الظُّعْن - بضمُّ الظاء المعجمة المشالة ، والعين المهملة .

٢٩٥ ظ أَوْطَاسٌ - بفتح أوله وسكون الواو وبالطاء والسين المُهملتين : واد في ديار هوازن ،

والصحيح أنه غير وادى حُنَيْنٍ ، وسيأتي بيان ذلك في السَّرايا .

عَسْكَرٌ بِمَوْضِعٍ كَذَا : جمع عسكره به .

الْأَمْدَاد : جمع مَدَد بفتحيتين ، وهو الجيش .

الشُّجَار - بكسر الشَّين المعجمة وبالجيم والراء : مَرْكَبٌ مكشوف دون الهودج .

ويقال له شجر أيضاً .

مَجَالُ الْخَيْل - بفتح الميم ، وبالجيم المخففة ، وباللام .

الْحَزَن - بفتح الحاء المُهملة ، وسكون الزَّاي ، وبالنُّون : ما غلظ من الأرض

الضُّرس - بِكسر الضَّاد المعجمة ، وسكون الرَّاء ، وبالسَّين المهملة : الأكمة الخشنة ،

وفي الإملاء : هو الموضع فيه حجارة مُحدَّدة .

السهلُ : ضد الحزن .

دَهَس - بفتح الدَّال المهملة ، والهاء ، وبالسَّين المهملة . والدهاس مثل اللَّبَث واللِّبَاث :

المكانُ السَّهل اللَّيِّن الذي لا يبلغُ أَنْ يكونَ رَمَلاً وليس هو بتراب . ولا طين ، وفي

الإملاء : لَيِّن كثير التراب .

رُغَاءُ الْإِبِلِ - بضم الراء وبالفين المعجمة والمد : صوتها .

نُهَاقَ الْحَمِيرِ بضم النون وتخفيف الهاء وبالقاف : صوتها .

يُعَارُ الشَّاءُ - بضمَّ التَّحتية وبالعين المهملة المخففة وبالراء : صوتها .

خَوَارُ الْبَقَرِ - بضمَّ الخاء المعجمة ، وبالواو والراء : صوتها .

وَلِمَ - بفتح الميم : على الاستفهام .

فَأَنْقَضَ بِهِ - بفتح الهمزة ، وسكون النون ، وفتح القاف ، وبالصَّاد المعجمة السَّاقطة قال في الرُّوض : صَوَّتَ بلسانه من فيه ، من النقيض وهو الصَّوْت ، وقيل : الانقاض بالإصبع الوُسْطَى والإيهام كأنه يدفع بهما شيئاً ، وفي الإملاء ، أى زجره كما تزجر الدابة ، والانقاض للدابة أن تلتصق لسانك بحنكك الأعلى وتصوت به .

راعى ضَانٍ : يُجَهِّلُهُ بذلك .

فُضِّحَ - بالبناء للمفعول .

البيضة هنا - الجماعة ، وبيضة الثانية بالجر بدلاً من الأولى .

عُلِيََا - بضمَّ العين المهملة مقصور .

مُتَنِّعٌ - بضمَّ الميم الأولى ، وسكونِ الثانية وفتح الفوقية ، وكسر النون وبالعين المهملة .

الصُّبَاءُ^(١) - بضمَّ الصَّادِ المهملة ، وتشديد الموحدة ، قال في الإملاء : جمعُ صَبَاءٍ ؛ وهم المسلمون عندهم كانوا يسمونهم بهذا الاسم لأنهم صبثوا من دينهم أى خرجوا - وقال في النور : أى الَّذِينَ يشتَهون الحرب ويميلون إليها ، ويحبون التَّقَدُّمَ فيها والبراز ؛ قاله في النهاية .

المُتُونُ - جمع مَتْنٍ : الظَّهر .

بين أضعاف الخيل : بين أثنائها أو متقدمة دريئة .

(١) « الصباء » لم ترد هذه الكلمة في سياق الغزوة .

ألفاك ذلك - بالفاء أى وجدك أو صادفك ^(١) .

كَبَرَّ عَقْلُكَ - بكسر الموحدة : يشير إلى أنه قد خَرَفَ .

الْجَذْعُ - بفتح الجيم ، والدَّالِ المعجمة ، وبالعين : ما قبل الثَّنى ، والجمع جذعان وجذاع مثل جبل وجبال ، والأنثى جذعة ، والجمع جُذَعَات - بضم الجيم وكسرها : أى ياليتنى فى هذه الحرب جَذَعُ ؛ أى شاب .

الْخَبَبُ : ضربٌ من السَّير وهو خطأٌ فسيحٌ دون العَنق .

الْوَضْعُ : ضربٌ من السَّير وهو الإسراع ، قال الفراء : هو مثل الخَبَب .

الْوُطْفَاءُ بفتح / الواو وبطاء مهملة ساكنة وبالفاء والمد : الطويلة الشعر .

٢٩٦
٢

الزَّمْع - بفتح الزَّأى ، والميم ، وبالعين المهملة : الشعر الذى فوق مرتبط قيد الدَّابة ، يريدُ فرساً صفتها كذا ، وهو محمودٌ فى وصف الخيل .

الشَّاةُ - هنا الوُعْلُ - بفتح الواو ، وكسر العين المهملة ، وتُسَكَّن ، وباللام : ذكر
٥١٨ ت الأروى وهى الشَّاةُ الجبلية والجمع : وُعُول / مثل : فلس وفلوس ، والأنثى : وعلة
- بكسر العين ، وسكونها ، والجمع : وعَال ، مثل كلبَةٌ وكِلَاب .

صَدَعٌ - بفتح الصَّاد ، والدَّال ، وبالعين المهملات : وصفٌ للوعل ، وهو الوسط منها ، وليس بالعظيم ولا الصَّغير ، ولكنه وعْلٌ بين الوعلين .

الْحَدَّ - بفتح الحاء وبالدال المهملة : المنع .

الجِد - بجيم مكسورة : الشَّجاعة والجُرْأة .

يومَ عَلاء - بفتح العين المهملة وبالد - الرفعة ، وإنَّما عطفها عليه لاختلاف اللفظ .

ذانك : تشنية ذا اسم إشارة .

الجذعان : تشنية جذع ، يريدُ أنَّهما ضعيفان فى الحرب بمنزلة الجذع فى سنه

(١) حروف فى الأصول لا تقرأ ولعل الصواب ما أثبتته .

الكَمَيْنُ : الجيشُ المستخفى فى مَكْمَنٍ - بفتح الميمين - بحيث لا يُفْطَنُ به ثم ينهضُ على العدوِّ على غفلة منهم ، وجمعه كُمنَاء ، كأمير وأمرء ، يقال كَمَن كُمُونًا ، من باب قَعَدَ قُعُودًا : توارى واستخفى .

كُرٌّ - بفتح الكاف والراء المشددة : رجع .

الْحَمَلَةُ لَكَ : الغلبة .

لم يُفْلِتْ - بضمُّ التحتية وسكون الفاء .

مقدمة الجيش - بكسر الدال وقد تفتح : الجماعة تتقدمه .

بنو سُلَيْمٍ : بالتصغير

يُنَحَّى يُعْدَلُ به .

السَّنَن - بفتح السين المهملة والنون الأولى : الطريق .

* * *

شرح غريب استعماله - صلى الله عليه وسلم - عتاباً ، واستعارته من صفوان بن أمية اندعاً ، وبعثه عبد الله بن أبى حرد : وخروجه للقاء هوازن

عَتَاب - بفتح العين المهملة ، والفوقية المشددة ، وبالموحدة .

أَسِيد - بالسَّين والدَّالِ المهملتين وزن أمير .

أَجْمَعَ السَّيْرَ : عزم عليه .

ذَكَرَ له : بالبناء للمفعول .

أَعْرَنَّا - بفتح أوله .

أبو حَذَرْد - بمهمات كجعفر ، واسمه سلامة بن عمير .

الْخِيَاء - بكسر الخاء المعجمة ككتاب : واحدُ الأخبية من وَبَرٍ أو صوف ، ولا يكونُ

من شعر ، وهو على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو بيت .

الْأَغْمَارُ - بفتح أوله ، وبالغين المعجمة : جمع غمرٍ بضمَّتين وتسكن الميم :

وهو الرَّجُلُ الَّذِى لم يجربِ الأمور .

الجُفُون - بضم الجيم : جمع جَفْن - بفتح الجيم ، وهو هُنا غلافة السَّيف ، وقد يُجمع على أَجفان .

الخَيْف - بفتح الخاء المعجمة ، وسكون التحتية وبالفاء ، وهو في الأصل المُنْحَدَر من غلظ الجبل ، قد ارتفع عن مسيل الماء ، فليس شرفاً ولا حضيضاً .
كنانة - بكسر الكاف ، وبنونين مخففاً .

تَقَاسَمُوا : تحالفوا وتعاهدوا .

جُهَيْنَة - بالجيم : مُصَغَّر .

مُزِينَة : مصغر ، بالزَّاي والنُّون .

أَسْلَمَ - همزة مفتوحة ، فسین مهملة / ساكنة ، فلام مفتوحة ، فميم .

٢٩٦ ظ

غِفَار - بكسر الغين المعجمة وبالفاء .

أَشْجَع - بفتح أوله ، وبالشَّين المعجمة ، والعين المهملة : الجميع أسماء قبائل .

الطَّلَقَاء - بضم الطاء المهملة ، وفتح اللام : الذين أسلموا يوم فتح مكَّة من أهلها مِنْ غلبهم رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وأطلقهم أو خَلَّى سَبِيلَهُمْ .

دَنَا : قَرُبَ .

بَدَأَ بكذا : قدمه .

كَبَتَ اللهُ عَدُوَّكَ : أخزاه وأذلَّه وصرفه وغازله وأهلكه .

لم يغادر : لم يترك .

النُّظَّار - بضم النون : جمع ناظر .

الصَّدْمَة - بفتح الصاد المهملة .

أَوْقَرَ بَعِيرَهُ : حَمَلَهُ .

ذات أنواط : شجرة عظيمة قُرْبَ مكَّة ، كانت الجاهلية تأتيها كلُّ سنة تعظمها .

وتعلّقُ عليها سلاحها ويدبح عندها . يقالُ ناطُ الثَّيِّءِ ينوطه نوطاً علّقه ، وكل ما علّق من شيء فهو نوط - بفتح النون ، والجمع : أنواط ؛ وهى المعاليق .

يعكفونَ عَلَيْهَا : يلزمونها ويوظفونَ على خدمتها .

الحَذُو - بفتح الحاء المهملة ، وسكون الدال المعجمة : القُدْر - بفتح القاف / ، وسكون الدال .

القِدَّةُ بالقِدة - بكسر القاف فيها أخص من القِدِّ : وهو سير يُقَدُّ من جلد غير ٥١٩

مدبوغ .

أطنبوا السَّير : بالغوا فيه .

عن بَكْرَةٍ أَبِيهِمْ - بفتح الموحدة ، وسكون الكاف : هذه كلمةٌ للعرب يُريدون بها الكثرة وتوفّر العدَد ، وأنهم جاءوا جميعاً لم يتخلف منهم أحد ، وليس هناك بكرة فى الحقيقة ؛ وهى الَّتِى يُستقى عليها الماء ، فاستعيرت فى هذا الموضع .

أَبُو مَرثَد - بفتح الميم ، وسكون الرَّاء ، وبفتح الثاء المثناة ، وبالدال المهملة .

نَغَرَن - بضم النون وفتح الغين المعجمة والراء المشددة .

قَبِلَكَ - بكسر القاف ، وفتح الموحدة ، واللام : أى من جهتك .

ثَوَّبَ بِالصَّلَاةِ : التَّثْوِيبُ هُنَا إقامةُ الصَّلَاةِ ، والأَصْلُ فى التَّثْوِيبِ أَنْ يَجِئَ الرَّجُلُ مستصرخاً فيلوح بِثَوْبِهِ لِيُرَى وَيَشْتَهَرَ ، فَسُمِّيَ الدُّعَاءُ تَثْوِيباً لذلك ، وكلُّ داعٍ مُثَوَّبٌ ، وقيل إنّما سُمِيَ تَثْوِيباً من ثاب يثوبُ إذا رجع ، فهو رجوعٌ إلى الأمر بالمبادرة إلى الصلاة ؛ فإنَّ المؤذِّنَ إذا قال حيَّ على الصَّلَاةِ ، فقد دعاهم إليها ، فإذا قال بعده : الصَّلَاةُ خَيْرٌ من النَّوْمِ فقد رجع إلى كلام معناه المبادرة إليها .

خِلَالِ الشَّجَرِ : أى الفُرَجِ بينها .

أَوْجَبَتْ : أى عملت عملاً موجباً للجنة .

التَّبَيَّان : البيان .

سُليم - بضمَّ السَّيْنِ المهملة ، وفتح اللَّام ، وسكون التحتية .

غَسَّان - بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة ، قال النَّوَوِيُّ : المسموع في كتب [أهل]^(١) الحديث ورواياتهم غير منصرف وذكره ابن فارس في باب غسن ، وهذا تصريح بأنه يجوز صرفه .

العَضَادَةُ - بكسرِ العين المهملة ، وبالصَّاد المعجمة : جانب الشيء .

الأَجْرَبَان : سمامهم بذلك تشبيهاً بالأَجْرَب الذي يغرب^(٢) .

عَبَس - بفتح المهملة وسكون الموحدة : بطن من غطفان ومن الأزْد بن مراد .

ذُبْيَان - بضمَّ الذَّال المعجمة وكسرهما من زُبَيْت شفته أى ذبلت من العطش ، وهو إذا فعلان لا ينصرف للعلمية والزيادة .

شِم سيفك : أدخله في غمده .

عيون المشركين : جمع عين وهو الجاسوس ، يقال جسَّ الأخبار وتحسسها تتبعها لأنه يتبع الأخبار ويفحص عن بواطن الأمور ، ثم استعير لنظر العين .
وتفرقت أوصالهم : أى مفاصلهم جمع وصل بالكسر ، وهو كل عظم على حدة لا يكسر ولا يخلط به غيره .

الذعر : بضم الذال المعجمة : الخوف .

لم يُثْنِه الأمر : لم يرده .

وَادٍ أَجَوَف : متسع .

خَطُوط - بخاء مفتوحة فطاء مضمومة ، فواو ساكنة فطاء أخرى مهملة : منحدر .

أَوْعَزَ إِلَيْهِ بِالْعَيْنِ المهملة والزَّاي : تقدم إليه .

ربيع بن أنس بلفظ اسم الشهرة .

بَنُو شَيْبَانَ - بفتح الشَّيْنِ المعجمة ، وسكون التَّحتية ، وبالموحدة ، والنون : هو شيبان ابن ذهل ، قبيلة من بكر بن وائل .

(١) إضافة يقتضها السياق .

(٢) يغرب : أى يبعد ويتردد .

فَصَلَ مِنْ مَكَّةَ : خرج .

حِرَام - بالزأى والد حكيم ، وكذا كل مكى قرشى ، وحرام بالراء فى الأنصار .

شرح غريب ذكر كيفية الوقعة

مضايق - جمع مضيق .

عَمَايَةَ الصَّبح - بفتح العين المهملة وتخفيف الميم : بقية ظلمته .

شعابه - جمع شعب : وهو ما أنفرج بين الجبلين .

أجنابه : جوانبه .

رَاعَنَا : أفرعنا .

الكَتَائِبُ - بالفوقية جمع كتيبة : وهى الطائفة المجتمعة من الجيش

شدوا علينا : حملوا يقتلوننا .

سَوَادُ الْعَسْكَرِ : ما يشتمل عليه من الدواب والمضارب وغيرهما .

الغَبْشُ - بفتح الغين المعجمة ، وسكون الموحدة ، وبالمعجمة : ظلامه .

إن شعرنا : / ما علمنا .

٥٢٠ ت

انكشف الخيل وتبعهم الناس منهزمين هذا مجاز ، لم ينهزم كل الناس ، ولا نعرف فى موطن من المواطن أن كل الناس انهزموا .

ما يلوون على شئ : لا يبقون عليه .

النَّقْع - بفتح النون ، وسكون القاف : الغبار .

انحاز إلى كذا : تنحى إليه .

هَلُمَّ إلى : اسم فعل فى لغة الحجازيين فلا يَبْرُزُ فاعلها ، وفعل فى لغة تميم فيقولون هَلُمَّ وهلمى وهلموا وهلممن .

الشَّبَّان - بضم الشين : جمع شاب ، وهو سن قبل الكهولة .

سَرَعَانِ النَّاسِ - بفتح السين والراء : أَوَاتِلَهُمْ .

كَانَتْهَا رِجْلُ جَرَادٍ - بكسر الراء وسكون الجيم : الجماعة الكثيرة من الجراد خاصة ، وهو جمع على غير لفظ الواحد .

أَطَنَّ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ : قطعها ، يرادُ بذلك صوت القطع .
انْجَعَفَ : وقع .

اجْتَلَدَ النَّاسُ : تضاربوا بالسيوف .

الجُفَاءُ - جمع جَافٍ : وهو الغليظ الطبع ، والمرادُ هنا - والله أعلم - : من كان غليظاً على الإسلام . مَن لَمْ يَتِمَّكُنِ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ .

الضَّغْنُ - بكسر الضاد ، وإسكان الغين - المعجمتين - وبالنون - الضغينة بالفتح - وهما : الحقد .

الْأَزْلَامُ : القِدَاحُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، واحداً زَلَمٌ - بفتحات - عليها مكتوب الأمر والنهي ، إفعل ولا تفعل ، كان الرَّجُلُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَضَعُهَا فِي وَعَاءٍ لَهُ ، فَإِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَوْ زَوَاجًا أَوْ أَمْرًا مُهِمًّا أَدْخَلَ يَدَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهَا زَلَمًا ، فَإِنْ خَرَجَ الْأَمْرُ مَضَى لَشَأْنِهِ ، وَإِنْ خَرَجَ النَّهْيُ كَفَّ عَنْهُ فَلَمْ يَفْعَلْهُ .

الْكِنَانَةُ : جعبة السهام (١) .

جَبَلَةٌ : كذا عند ابن إسحق ، وهو تصحيف ، وصوابه كَلْدَةٌ - بفتح الكاف واللام - بن الحَنْبَلِ - بفتح الحاء المهملة وسكون النون وبالموحدة ، ويُقَالُ : ابن عبد الله ابن الحنبِل ، أسلم بعد ما قال بحنين ما قال .

فَضَّ اللَّهُ فَاهُ : أَسْقَطَ أَسْنَانَهُ ، وَالْفَضُّ : الْكُسْرُ بِالتَّفْرِقَةِ .

يُرَبُّنِي - بضم الراء : يَمْلِكُنِي وَيُدَبِّرُ أَمْرِي وَيَصِيرُ لِي رَبًّا ، أَيْ سَيِّدًا .

الْمَازِنِي - بكسر الزاي والنون .

(١) بياض بالأصل والمثبت يقتضيه السياق .

كَادَ : قُرْب .

حاجب الشمس : ناحيتها .

يَا لَلْأَنْصَارِ - بفتح اللام .

عَبَادَ - بفتح العين المهملة وبالموحدة المشددة .

بِشْرَ بكسر الموحدة ، وسكون المعجمة .

أَبُو نَائِلَةَ - بهمزة بعد الألف على صُورَةِ الياء .

لَا يَجْبِرُونَهَا : أَيْ : لَا مَجْبِرَ مِنْهَا^(١) .

الشُّعَارَ - بكسر الشين المعجمة ، وبالعين المهملة : العلامة التي كانوا يتعارفون بها .

٥٢٠ ت
٢٨٩ م

شرح غريب ذكر ارادة شيبة بن عثمان والنضير / بالتصغير بن الحرث(٢)

الفتك برسول الله - صلى الله عليه وسلم

الفتك : القتل على غفلة ، أو القتل مطمئنا مجاهرة .

عَنَوَةٌ - بعين مهملة مفتوحة ، فنون ساكنة ، فواو مفتوحة ، فتاء تأنِيث : قهراً
وغلبة .

الْمَرْصِدَ - بكسر الصاد المُهملة : اسم فاعل .

اِقْتَحَمَ عَنْ بَغْلَتِهِ : أَلْقَى نَفْسَهُ عَنْهَا .

أَصْلَتِ السَّيْفَ : سَلَهُ مِنْ غِمْدِهِ .

أُسْوَرُهُ - بفتح السين المهملة وكسر الواو المشددة : أَعْلَوْهُ .

سَوْرَةٌ - بفتح السين المهملة ، وسكون الواو ، وفتح الرَّاء ، وسورة الخمر وغيره : حَدَّثَهَا ،
والمجد : أَثَرُهُ وعلامته وارتفاعه ، والبرد : شِدَّتُهُ ، والسلطان : شِدَّتُهُ وأعتداده .

(١) بياض بالأصل والمثبت عن اللسان ، فسر بها يجتبرونها ، وفي البداية والنهاية ٤ : ٣٣٠ ومغازي الواقدي

٣ : ٩١٠ « يجتبرونها » .

(٢) ورد في هامش ورقة ٥٢٠ مقابل شيبة بن عثمان مايلي : « قال اسماعيل بن اسحاق ، قال نصر بن علي هو النضير -

بفتح النون ، وقال أبو حاتم يقال نضير ونضير بضم النون ؛ قيده الدار قطنى » .

الشواظ - بضم الشين المعجمة وكسرهما : اللهب الذى لا دخان فيه .

يَتَمَحَّشْنِي - بتحتية ففوقية مفتوحتين ، فميم مفتوحة ، فحاء مشددة وشين معجمة : يخرقنى .

مشيت القهقرى : المشى إلى خلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه .

يا شيب : منادى مُرْتَمٍ ، ويجوز فيه ضم الموحدة وفتحها .

شُرْخِيل - بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملة ، وكسر الموحدة ، وباللام .

٥٢١ ت / العبدرى ، بفتح العين المهملة ، وسكون الموحدة ، وآخره راء فياء نسب .

الدُّبْرَة - بفتح الدال المهملة وبالموحدة وتسكن : الهزيمة ، وهو أسم من الإِدْبَار .

الفَيْتَان - تثنية فَيْة بكسر الفاء وبالهمز : الفرقة من الناس وجمعها فثون وفثأت .

الحَيَز - بالحاء المهملة المفتوحة والتحتية الساكنة وبالزاي^(١) : الناحية .

عَمَدْتُ لَهُ : قصدت .

إِلَيْكَ إِلَيْكَ : اسم فعل بمعنى [إلزم أو انتبه]^(٢)

الرُّعْب : الفزع .

حَلَب نَاقَة : أى قدر ذلك .

ياللخزرج - بفتح اللام .

أرعدت جوارحى : ارتعشت .

غُبْرَات النَّاس بضم الغين المعجمة وفتح الموحدة المشددة : جمع غُبْر كذفر : وهو

جمع غابر ، وهو هنا بمعنى الباقي .

خَمَّر الشجر - بفتح الخاء المعجمة والميم وبالراء : ما وَاَرَاكَ منه .

(١) كذا فى ط ، م وفى ت « الحيز » ويخالفه ماورد من الضبط بالحروف وفى القاموس - ح وز - الحوزة : بهاء

الناحية - والحيز : السوق الشديد والرويد - ضده -

(٢) إضافة للتوضيح .

الجِعْرَانَة - بكسر الجيم وسكون العين - خَفَّفَ الأكثرُ الرَاءَ وشَدَّدَهَا غيرهم : موضع على سبعة أميال من مكة من جهة الطائف .

الْعَبْرُ - بكسر العين المهملة وفتح الموحدة جمع عَبْرَة بفتح أوله وكسر ثانيه : وهي الاعتبار والتفكر في عواقب الأمور .

لَقِيْتَهُ كَفَّةً كَفَّةً^(١) - بكسر الكاف فيهما ، أى كفاحاً ، وذلك إذا استقبلته مواجهة ، وهما أسبان جُعِلَاً واحداً وبُنِيَا على الفتح مثل خمسة عشر آن لك وحن : أى قرب فيه .
نَوَضَع : تسرع .

* * *

شرح غريب فكر ثبات رسول الله - صلى الله عليه وسلم

فَرَوَة : بلفظ اسم الملبوس .

نَفَاثَة - بضم النون وتخفيف الفاء وآخره ثاء مثلثة .

الْجُذَايِ بضم الجيم ، وبالذال المعجمة .

طَفِق : شرع .

قَبِلَ - بكسر القاف ، وفتح الموحدة : تلقاه أى جهته .

يَرْكُض : يسرع .

أَخَذَ - بمد أوله ، وكسر الخاء المعجمة .

الْحَكَمَة - بفتح الحاء المهملة ، والكاف ، والميم ، وبتاء تأنيث : حديدة في اللجام

تكون على أنف الفرس ، وحنكيه تمنعه من مخالفة راحبه .

شَجَرْتُهَا - بشين معجمة ؛ أى ضربتها بالحكمة حتى فتحت فاهها .

(١) وفي القاموس « كفة كفة لخمسة عشر ، وكفة لكفة ، وكفة عن كفة - على فك التركيب - أى كفاحاً كان لكفك مس كفه ، أو ذلك إذا لقيته فتحت من النهوض ومنعك » .

المُقَنَّع - بضم الميم وفتح القاف ، والنون المشددة ، وبالعين المهملة : الذى على رأسه البيضة .

أنشدك ما وعدتنى : أسألك ذلك .

لا يظهروا علينا : يغلّبونا .

أَصْحَابُ السَّمَرَةِ ، يشيرُ بذلك إلى أصحاب بيعة الحُدَيْبِيَّة ، لأنَّهم بايعوا تحت الشَّجَرَةِ ، وكانت سَمَرَةً .

يا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ : خُصَّتْ بالذكر حين الفرار لتضمنها ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(١) أو لتضمنها ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾^(٢) ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾^(٣) .

الْحَرَجَةُ - بفتح الحاء المهملة والراء ، وبالجم : مجتمع شجر ملتف كالغَيضة ، والجمع حرج وحراج .

يَثْنَى بغيره بفتح أوله : يدير رأسه صوبَ رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلم .

الدرع من الحديد : مؤنثة ، ولهذا قال فيقذفها ، أى يرميها .

يؤم الصوت : يقصده .

صَبْرٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ - بضم الصَّاد المهملة ، وتشديد الموحدة المفتوحة : أى أشداء أقوياء .

مُجْتَلَلِمٌ - بيم مضمومة ، فجيم ساكنة ، فمثناة فوقية ، فلام مفتوحة : موضعُ جِلَادِهِمْ ، أى ضرابهم .

الْمُتَطَاوِلُ : الذى مدَّ عُنُقَهُ لينظرُ إلى الشئ يبعد عنه .

(١) سورة البقرة آية ٢٤٩

(٢) سورة البقرة آية ٤٠ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٠٧ .

الْوَطِيسُ : هو شئ كالتنور يخبز فيه شبه شدة الحرب به ، وقيل : حجارة مدورة إذا حميت منعت الوطة عليها ، فُضِرَبَ مثلاً^(١) للأمر يشتد .

حَدَّهُمْ - بفتح الحاء : قوتهم .

كليلاً : ضعيفاً .

أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ أَمْوَالَهُمْ : غَنِمَهُ ذَلِكَ .

الفِهْرِي - بكسر الفاء ، وسكون الهاء .

كُرْز - بضم الكاف ، وسكون الراء ، وبالزاي .

قَائِظٌ : شديد الحر .

الْلَامَةُ : الدرع / .

الْفُسْطَاط - بضم الفاء وتكسر بيت من شعر :

حان الرواح : قُرْب .

أَجَلَ : كَنَعَم ، وزناً ومعنى .

دفتاه : دَفَّ الرَّجُلُ وَدَفَّتْهُ - بالفتح ، وتشديد الفاء جانب كور البعير وهو سرجه ؛ والدَّفَّ والدفة : الجانب من كل شئ .

الْأَشْرُ - بفتححتين : البطر وكفر النعمة وعدم شكرها . قال الراغب : الْأَشْرُ : أبلغ من البطر ، والبطر : أبلغ من الفرح ، فَإِنَّ الْفَرَحَ وَإِنْ كَانَ فِي أَغْلَبِ أَحْوَالِهِ مَذْمُومًا كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾^(٢) فقد يحمد تارة إذا كان على قدر ما يجب ، وفي الموضع الذي يجب قال تعالى : ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾^(٣) وذلك أن الفرح

(١) وفي شرح المواهب للزرقاني ٣ : ١٢ قال في الروض من وطست الشئ إذا كدرت وأثرت فيه . وهو كما قال جماعة : التنور يخبز فيه ، وقال ابن هشام : حجارة توقد العرب تحتها النار ويشوون فيها اللحم ، وفي الروض : الوطيس نقرة في حجر يوقد حوله النار فيطبخ فيه اللحم ، والوطيس التنور يضرب مثلاً - بعد نطقه عليه السلام به ؛ لأنه أول من قاله - لشدة الحرب الذي يشبه حر ألمها الحاصل فيها حر التنور الحاصل ملاقاته ، إذ ليس فيها حرارة حسية تشبه بحره .

(٢) سورة القصص آية ٧٦ .

(٣) سورة يونس آية ٥٨ .

قد يكون من سرور بحسب قضية العقل فليس بمكروه ، والأشْرُ لا يكون إلا فرحاً بحسب قضية الهوى .

تَسَامَتْ الْخَيْلَانُ : [تَبَلَدَتْ وَتَطَاوَلَتْ] ^(١)

حِثَّاهَا : أَلْقَاهَا

شَاهَتْ وَجُوهَهُمْ : تَشَوَّهَتْ وَقَبِيحَتْ ^(٢) .

الصَّلْصَلَةُ : صوت كل ذي صوت .

الطست : تقدّم الكلام عليه في الرضاع وفي الكلام على شق صدره الشريف فراجعه .

دُلْدُلٌ - بضم الدالين المهملتين ، وسكون اللام الأولى بينهما ، وسيأتي الكلام عليها في ذكر بغاله - صَلَّى الله عليه وسلّم .

حم : أشبعتُ الكلام على الحروف المقطعة في أوائل كتاب « القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العزيز » فراجعه .

السَّوَانِي - بضم السين المهملة ، وتخفيف الواو وبالهزّة بعد الألف .

القَدَى - بالقاف والذال المعجمة : ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو طين أو وسخ أو غير ذلك : جمع قذاة ، وجمع القَدَى أَقْدَاء .

اهتف بهم : صح وأدعهم .

الشهب : جمع شهاب .

السَّبِيْعِي - بفتح السين المهملة وكسر الموحدة ففتح السين فعين مهملة

حُسْر ^(٣) - بضم الحاء وفتح السين المهملتين وبالراء .

(١) إضافة للتوضيح عن القاموس .

(٢) وهى خبر بمعنى الدعاء ، أى اللهم قبح وجوههم ، ويحتمل أنه خبر لوثوقه بذلك (شرح المواهب للزرقاني ١٣ : ١) .

(٣) كذا ضبطه المصنف . ولعله خطأ لأن حاسر تجمع على حسر بفتح السين المشددة . وفي شرح الزرقاني ١٦ : ١ « حسر بضم الحاء وشد السين » وهم الرجال في الحرب أو الذين يحسرون عن وجوههم وروء وسهم ، أو يكونون لا درع عليهم ولا ييضر .

الثَّنيَّة : كلُّ عقبه مسلوكة .

رَاحِمَرَّ البَّاسُ - بكسرِ أوله ، وسكون الحاء المهملة ، وفتح الميم ، وتشديد الرَّاء : اشتدت الحرب .

غَشَوْهُ : ازدحموا عليه وكثروا .

شرح غريب ما قيل ان الملائكة قاتلت يوم حنين

قوله مُسَوِّمين : معلمين .

الْبِجَاد - بكسرِ الموحدة ، وتخفيف الجيم ، وبالدال المهملة : الكساء ، جمعه أبجد^(١) .
نَمَلٌ مَبْثُوثٌ : متفرق .

أَمْ بُرْثُنٌ - بضم الموحدة ، وسكون الراء ، وضمُّ الثاء المثناة ، وبالنون - وقيل بالميم كَبَبْنَاهُمْ : قلبناهم راجعين .

تَطِنٌ - بفوقية ، فطاء مهملة ، تُصَوِّت .

الخَفَقَان : الاضطراب والتحريك .

الطَّسَّاس^(٢) - جمع طَسَّت / وتقدم الكلام عليه في الكلام على شق صدره الشريف . ٢٩٩

الْكَنَائِب - جمع كَنَيْبَةٍ بفتح الكاف ، وكسر الفوقية : وهى الطائفةُ المجتمعَةُ من الجيش .

ما يليقون - بيائين تحتيين بينهما لام مكسورة فقاف ، يقال : لا يليق بك : لا يَغْلَق .

الرَّعْدَةُ - بالكسر : اسم من ارتعد إذا اضطرب .

(١) كذا في الأصول ، وفي شرح المواهب ٣ : ١٦ « بجد » .

(٢) الطساس : هذا اللفظ لم يرد في سياق الغزوة .

شرح غريب ذكر من ثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ

حَارِثَةُ بْنُ التُّعْمَانِ - بحاء مهملة ، فآلف ، فراء ، فمثلة .

نَكَّصَ عَلَى عَقِيهِ بنونٍ ، فكاف ، فصاد مهملة مفتوحات: رجع .

الحَكَمُ - بفتحتين .

عُتْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ - بضمَّ العين المهملة ، وسكون الفوقية ، وبالموحدة .

مُعْتَبٌ - أخوه بضمَّ الميم ، وفتح العين المهملة وكسر الفوقية المشددة وبالموحدة .

أَبُو دُجَانَةَ - بضمَّ الدال المهملة ، وبالجيم المخففة ، والنون .

أَبُو بَشِيرٍ الْمَازِنِيُّ كَأَمِيرٍ .

الْحُضَيْرِ - بضم الحاء المهملة ، وفتح^(١) الضاد المعجمة ، وسكون التحتية .

أُمُّ سُلَيْمٍ - بضمَّ أوله .

مِلْحَانَ - بكسر الميم ، وفتحها ، قال في المطالع : والأول أشهر ، وعليه اقتصر ابن الأثير والنووى .

نَسِيبَةُ كَكْرِيْمَةٍ وَقِيلَ / بالتصغير . ٥٢٣ ت

يُغْرِبُهَا^(٢) الجمل بالغين المعجمة .

الْخِزَامُ - بكسر الخاء المعجمة .

بُرَّةٌ - بضمَّ الموحدة ، وتخفيف الراء : حلقة من صفر ونحوه يشد في أنف الناقة ، يشد بها الزمام .

الْخِطَامُ - بكسر الخاء المعجمة : ما يقادُّ به الجمل .

الْخِنْجَرُ - بفتح الخاء المعجمة وكسرها: سكينٌ كبير .

(١) في الأصول « بكسر » ولعل الصواب ما أثبت .

(٢) كذا بالأصول وفي سيرة النبي لابن هشام ٣ : ٦٠ « يمزها الجمل » بالين والزاي وكذا في المغازي للواقدي

بَعَجَ بطنه : شَقَّه .

جَمَلُ أَوْزَق : فى لونه بياض إلى السَّواد ، أو يضرب لونه إلى الخضرة .

يُوضَعُ به جَمَلُهُ : يُسْرَع .

أَثَبَتْه : أَصابَ مَقْتَلَهُ .

مُصَلَّتُ السيف : مُخْرِجُهُ من غِمْدِهِ .

الغِمْدُ - بكسر الغين المعجمة : قِرَابُ السَّيف .

ناقَةٌ فَتُوح - بفتح الفاء ، وضمُّ الفوقية المخففة : واسعة الإحليل .

بنو مَازِنٍ - بكسر الزَّاي .

المجسار [اسم جمل زوج أم الحارث الأنصارية]^(١)

الشُّعار : العلامة فى الحرب .

صَعَصَعَةً بمهمات وفتح أوله ، وسكون ثانيه .

اليَعْسُوبُ - بفتح التحتية ، وسكون العين ، وضمُّ السين المهملتين . وبالموحدة :

ملك النحل .

النَّسَمَةُ - بفتححات : الإنسان^(٢) .

لن تَعْلُوهُ : لن تشربوا منه مرةً ثانية .

لن تغْلُوهُ : لن تغلبوه^(٣) .

ثاب - بالمثلثة : رجع .

أَجْزُرُوهُمْ : استأصِلُوهم .

(١) بياض بالأصول والإثبات عن ص ٤٨٧ .

(٢) ما بين الرقين كلمات لاتقرأ فى الأصول ، ولعل الصواب ما أثبتته ويؤيده ما ورد فى ص ٤٨٨ فى حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل نسمة تولد من قطرة » .

(٣) وانظر رواية الواقدي ٣ : ٩١٢ وقد أوردناه فى تعليقات ص ٤٨٩ .

المِشْقَصُ - بكسر الميم ، وسكون الشين المعجمة ، وفتح القاف : سهم فيه نصلٌ عريض .

الْكِنَانَةُ - بكسر الكاف : ما يُجعل فيه السهام .

بَجَاد - بفتح الموحدة وبالجيم والdal المهملة ، ولم أر له ذكراً في الصحابة وكأنه لم يُسلم .

الشَّيْمَاء : تقدّم الكلام عليها في الرضاع .

وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ - بكسر الكاف : خطاب المؤنث .

مُتَوَرِّكْتُكَ : أى جعلتك على وركى .

وَادَى السَّرَرَ - بكسر السين المهملة وبضمّها / وفتح الراء : على أربعة أميال من مكة^(١) . البهم - يفتح الموحدة .

أَطْلَالٌ يَفْتَحُ الطَّاءَ المهملة وباللام .

مُحِبَّةٌ - بضم الميم ، والموحدة المشددة اسم مفعول وكذا مُكْرَمَةٌ .

وَأَفَاهَا : [لحق بها]^(٢)

عَسَكُرُوا^(٣) بِأَوْطَاسٍ : اجتمعوا .

نَخْلَةٌ - بالخاء المعجمة : اسم موضع .

بَنُو غَيْرَةٍ - بكسر الغين المعجمة ، وفتح التحتية ، وبالراء : بطنٌ من ثقيف .

رَبِيعَةٌ - براءٌ ، فموحدة ، فمثناة ، فعين مهملة .

رُفِيعٌ بالتصغير .

أَهْبَانٌ - بضم أوله .

(١) وفي القاموس والسرر كسر د وعنب مكان قرب مكة كانت به شجرة سر تحتها سبعون نبياً أى قطعت سرهم .

(٢) بياض بالأصول والمثبت يقتضيه السياق .

(٣) من هنا يبدأ شرح غريب مقتل دريد بن الصمة .

العِجَانُ - بكسر العين المهملة ، وبالجيم ، والنون : ما بين الخصية وحلقة الدُّبُر .

الثَّنِيَّة : الطريق في الجبل .

لِيَّة - بكسر اللام ، وفتح التحتية المشددة : جبلٌ بالطائف ، كان به حصنُ مالك بن عوف
سُرَاقَةُ - بضم السين المهملة .

رُقَيْم - بضم الراء ، وفتح القاف .

لَوْدَان - بفتح اللام ، وسكون الواو ، وبالدال المعجمة .

زَمْعَة - بفتح الزاى والميم وبسكونها ، وبالعين المهملة .

جَمَحَ بِهِ فَرَسُهُ : استعصى عليه .

الْجَنَاحُ - بلفظ جناح الطائر .

اسْتَحَرَّ الْقَتْلُ : اشتدَّ وكثر . وهو استفعل من الحرَّ .

ذُو الْخِمَارِ : اسمه سبيع بن الحارث بن مالك لم يعلم له إسلام .

شرح غريب ذكر بركة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في براء جرح

عائذ بن عمرو وفي الماء ، ونهيه عن قتل النساء ، وقوله : انا بن العواتك

عائذ - بهزة بعد الألف ، فذال معجمة .

الثَّنْدَوَة - بالثاء المثناة ، وسكون النون ، وضم الدال المهملة ومن ضم الثاء : همز ،

ومن فتحها لم يهز كالثندى للمرأة .

حَشْرَج - بفتح الحاء المهملة ، وسكون الشين المعجمة ، وفتح الراء وبالجيم .

سَابِلَةٌ : مستطيلة عريضة .

غُرَّةُ الْفَرَسِ : بياض في جبهته فوق الدرهم .

النُّطْفَةُ - بضم النون : والمراد بها هنا الماء الصافي القليل .

الإداوة-بكسر أوله وبالدال المهملة : المطهرة .
 رَبَّاح - بفتح الراء ، وتخفيف الموحدة ، وبالحاء المهملة .
 رَبَّيع بفتح الراء .
 الْعَسِيفُ : الأجير لفظاً ومعنى ، وهو أيضاً المملوك .
 سَيَابَة - بفتح السين المهملة وتخفيف / التحتية وبالموحدة^(١) .

٥٢٤ ت

شرح غريب ذكر قوله - صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلاً فله سلبه
 السَّلْبُ - بفتح السين المهملة ، واللام : ما يُسَلَبُ ؛ أى ينزع .
 حَبْلُ الْعَاتِقِ : وهو الوريد ، والْعَاتِقُ : موضع الرِّداء من المنكب .
 أَجْهَضَتْ عَنْهُ : غيبت عنه وأزيلت .
 أَسْوَدُ بْنُ خَزَاعِي - بضم الخاء المعجمة .
 رِبْعِي - بكسر الراء .
 الْجَوْلَةُ : حركة فيها اختلاط .
 يَخْتِلُهُ - بفتح التحتية ، وسكون الخاء المعجمة ، وكسر الفوقية : يأخذه على غِرَّة .
 فَقَطَّعْتُ الدَّرْعَ : أى التى كان لابسها ، وخلصت الضربة إلى / يده فقطعتها .
 وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ : أى شدتها .
 أَرْسَلَنِي : أَطْلَقَنِي .
 أَمْرُ اللَّهِ : حُكْمُهُ وقضائِهِ .

٢٠٠

لَا هَا اللَّهُ - قال الجوهري : « هـ » للتنبيه ، وقد يقسم بها ، يقال : هـا الله ما فعلتُ
 كذا ، قال ابنُ مالك : فيه شاهدٌ على جَوَازِ الاستغناء عن واو القسم بحرف التنبيه ،

(١) كذا بالأصول وانظر التعليق ص ٤٩٤ .

قال : ولا يكون ذلك إلا مع الله ؛ أى لم يُسمع لَهَا الرَّحْمَنُ ، كما سُمِعَ لَا وَالرَّحْمَنُ ، قال : وفى النُّطْقِ بها أربعة أوجه ، أحدها : هَاللهُ بِاللَّامِ بعد الألف ، بغير إظهار شئ من الألفين ، ثانيها مثله ، لكن بإظهار ألفٍ واحدةٍ بغيرهمز ؛ ثالثها بثبوت الألفين وبهمزة قطع ، رابعها بحذف الألف وثُبُوتِ همزة القطع ، انتهى . والمشهورُ فى الرواية الثَّالِثُ ثم الأوَّلُ .

إِذَا - قال الحافظ أقوال كثير مِمَّنْ تكلَّم على هذا الحديث : أَنَّ الَّذِي وقع فيه بلفظ إِذَا خطأ ، وإنَّما هو ذَا تبعاً لأهلِ العربية ، ومن زعم أَنَّهُ ورد فى شئ من الرواياتِ خلافُ ذلك فلم يُصب ، بل يكون ذلك من إصلاح بعض من قلَّد أهل العربية ، قد ثَبَتَ فى جميع الرواياتِ الْمُعْتَمَدَةِ والأُصُولِ المحقَّقة من الصَّحِيحِينَ وغيرهما بكسر الألف ، ثم ذال معجمة منونة ، قال الطيبي : ثبت فى الرواياتِ « لَهَا اللهُ إِذَنْ » والحديث صحيح ، والمعنى صحيح ، وهو كقولك لمن قال لك : أَفْعَلُ كذا ؟ فقلتَ : لَا وَاللهُ إِذَنْ لَا أَفْعَلُ ، فالتقدير : وَاللهُ إِذَنْ لا يعمدُ إلى أسد .. إلخ . قال أبو العباس القُرْطُبِيُّ : الَّذِي يظهرُ لى أَنَّ الروايةَ المشهُورَةَ صوابٌ وليستَ بخطأ ؛ وذلك أَنَّ الكلامَ وقع على جوابٍ إحدَى الكلمتين للأخرى ، والهاء هى التى عُوضَ بها عن واو القسم ، وذلك أَنَّ العرب تقولُ فى القسم : اللهُ لَأَفْعَلَنَّ ، بمدِّ الهمزة وبقصرها ، فكأنَّهم عوضوا من الهمزة هاء فقالوا « هَاللهُ » لتقارب مخرجيهما ، وكذلك قالوا : « ها » بالمدِّ والقصر ، وتحقيقه أَنَّ الَّذِي مد مع الهاء كأنه نطق بهزتين أبدل من إحداهما ألفاً ، إستثقالاً لأَجْمَاعِهِمَا ، كما تقولُ : « اللهُ » . وَالَّذِي قصر كأنه نطق بهمزة واحدة كما تقول : « اللهُ » . وأما إِذَا فهى بلا شك حرفُ جوابٍ وتعليل ، وهى مثلُ الَّذِي وقَعَتْ فى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد سُئِلَ عن بيع الرطب بالتَّمَرِ فقال « أَيْنَقِصَّ الرُّطْبُ إِذَا جَفَّ » قالوا : نعم قال : « فَلَا إِذَنْ » فلو قال : فلا والله إِذَا كان مُساوياً لما وقع هنا - وهو قوله : « لَهَا اللهُ إِذَا » من كلِّ وجه ، لكنه لم يحتج هنا إلى الْقَسَمِ فتركه ، قال : فقد وضح تقديرُ الكلامِ ومناسِبَتُهُ واستقامَتُهُ معنىً ووضعاً من غيرِ حاجةٍ إلى تَكْلُفٍ بعيدٍ يخرج عن البلاغة ، ولا سيما من ارتكب وأبعد وأفسد ، فجعل « الهاء » للتنبية « وذا » للإشارة ، وفَصَلَ بينهما بالمُقْسَمِ به ، قال : وليس هذا

٣٠٠
٥٢٥ قياساً فيطرد / ، ولا فصيحاً فيحملُ عليه الكلام النبوي ، ولا مروياً / برواية ثابتة . قال :
وما وُجِدَ للعنري والمروى في مسلم « لا ها الله ذا » فإصلاحٌ مِمَّنْ اغترَّ بما حُكِيَ عن بعض
أهل العربية ، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ .

وقال أبو جعفر الغزنأطي نزبل حلب - رحمه الله تعالى - استرسل جماعة من
القُدَماء في هذا الإشكال إلى أن جعلوا المخلص من ذلك أن اتهموا الإثبات في
التصحيح فقالوا : الصواب « لا ها الله ذا » باسم الإشارة ، قال : ويا عجباً من قوم يَقْبَلُونَ
التشكيك على الروايات الثابتة . ويطلقون لها تأويلاً ، وجوابهم أن « ها الله » لا يستلزم
اسم الإشارة . كما قال ابن مالك ، وأما من جعل لا يعمد جواب فأرضه فهو سبب الغلط
وليس بصحيح ممن زعمه وإنما هو جواب شرطٍ مقدرٍ يدلُّ عليه قوله « إن صدَّق فأرضه »
فكأن « أبو بكر » قال : إذا صدَّق في أنه صاحب السلب إذاً لا يعمد إلى السلب
فيعطيك حقه ، فالجزاء على هذا صحيح لأنَّ صدِّقه سبب ألا يفْعَلَ ذلك ، قال : وهذا
واضح لا تكلف فيه ، قال الحافظ : فهو توجيهٌ حسن ، والذي قبله أقعد ويؤيده
كثرة وقوع هذه الجملة في كثير من الأحاديث . وسردها الحافظ ، وبسط الكلام على
هذا اللفظ هو والشيخ في شرح الموطأ ، فمن أراد الزيادة على ما هنا فليراجع كلامهما
رحمهما الله تعالى .

لا يعمد-بالتحتية للأكثر ، وللنووى بالنون : أى لا يقصد رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى رجلٍ كأنه أسد في الشجاعة يقاتلُ على دينِ الله ورسوله - فيأخذ حقه
ويعطيكه بغير طيبة من نفسه .

كلاً : حرف ردع وزجر .

أصيب^(١) - بمهمله ، ثم معجمة عند القابسي . وبمعجمة ثم مهمله عند أبي ذر ،
قال ابن التين : وصفه بالضعف والمهانة . والأصيب نوعٌ من الطير ، أو شبههُ بِنَبَاتٍ
ضعيفٍ يقال له الصيغا إذا طلع من الأرض يكون أول ما يلي الشمس منه أصفر ،
ذكر ذلك الخطابي ، وهذا على رواية القابسي ، وعلى الرواية الثانية تكون تصغير الضبع على

(١) لم يرد هذا اللفظ في سياق الغزوة .

غير قياس ، كأنه لما عظم أبو قتادة « بأنه أسد صغر خصمه وشبهه بالضبع لضعف
افتراسه ، وما يُوصف به من العجز ، وقال ابن مالك : أضييع - بمعجمة وعين مهملة -
تصغير أضييع ، ويكنى به عن الضعيف ،

ويدع - بالرفع والنصب والعزم أى يترك .

صَدَقَ : أى القائل .

فَأَعْطَاهُ - بصيغة الأمر ، يقول : اعترف بأن السلب عنده .

الْمَخْرَفُ - بفتح الميم ، والرَّاء ، وسكون الخاء المعجمة بينهما ، ويجوزُ كسر الراء ،
أى بستاناً سُمِّيَ بذلك لأنه يُخْتَرَفُ منه الثمر أى يُجْتَنَى ، وأما بكسر الميم فهو اسم
الآلة التى يُخْتَرَفُ بها .

فى روايةٍ خرافاً - بكسر الخاء : وهو الثمر الذى يُخْتَرَفُ أى يُجْتَنَى ، وأطلقه

على / البستان مجازاً فكأنه قال : بستان خراف . ١٣٠١

فى بنى سَلَمَةَ - بكسر اللام : بطنٌ من الأنصار ، وهم قومُ أبى قتادة .

تَأَثَّلَتْهُ بالفوقية والتاء المثلثة : أى تَأَصَّلَتْهُ ، وأثلة كل شئ أصله .

اعتقدته جعلته عقدة ، والأصل فيه من العقد لأن من ملك شيئاً عقد عليه .

نَتَضَحَّى معه : نأكلُ وقتَ الضحى .

انْتَزَعَ طَلْقاً : قيداً من جُلُودٍ .

من حَقَبِهِ - بفتح المهملة والقاف : جبلٌ يشدُّ به الرَّحْلُ إلى بطنِ البعير ممَّا يلى

فَيْلِهِ^(١) .

رقة من الظهر : ضعف .

ناقة ورقاء: فى لونها بياض إلى السواد ويَضْرِبُ لونها إلى الخضرة .

اخْتَرَطَ سَيْفَهُ : سلَّه منْ غِمْدِهِ ، / وهو أفتعل من الخروط .

٥٢٦ ت

(١) الثيل : وعاء قضيب البعير أو هو قضيبه . (القاموس) .

شرح غريب جمع غنائم حنين وحكومة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين عيينة والأفرع في دم عامر بن الأضبط الذى قتله محلم بن جثامة
الوَبْرَة من البعير - بفتح الواو والموحدة .

عُيْنَة - بضم العين المهملة وكسرها وفتح التحتية الأولى وسكون الثانية .

حِصْن - بكسر الحاء ، وسكون الصاد المهملتين ، وبالتون .

ابن الأَضْبَط - بوزن الأَحْمَر بالضاد المعجمة ، والموحدة ، والطاء المهملة .

مُحَلَّم - بضم الميم ، وفتح الحاء المهملة ، وكسر اللام المشددة ، وبالميم .

جَثَامَة - بفتح الجيم ، وتشديد الثاء المثلثة وبعد الألف ميم مفتوحة وتاء تانيث واسمه زيد بن قَيْس .

خِنْدِف - بكسر الخاء المعجمة وسكون النون ، وكسر الدال المهملة ، وبالفاء .

مُكَيْتِل - بضم الميم ، وفتح الكاف ، وسكون التحتية ، وكسر الفوقية ، واللام ،

ويروى بكسر الثاء المثلثة ، وباللام .

الشُّكَة - بكسر الشين المعجمة : السلاح .

والرَّجُلُ المجتمع : الذى بلغ أشده .

غُرَّة الإسلام بالغين المعجمة : أوله .

« قُورِنَا » بفتح الفاء وسكون الواو وبالراء هنا : الوقت الحاضر : الذى لا تأخير فيه ، ثم استعمل فى الحالة التى لا بُطء فيها .

يُوزُونُه - بالزَّاء يغرون ويهيجون .

ضَرَبُ - بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء ، وبالموحدة ، وهو هنا الخفيف اللحم

المشوق المستدق .

آدم - بالمد : أَسْمَر .

يُنْفِذُ بِهِ النَّاسُ - بالنون ، والفاء ، والدال المعجمة : يسمعهم .

الحُصَيْن - بضم الحاء ، وفتح الصاد المهملتين مصغر .

شرح غريب ذكر البشير الذى قدم المدينة بهزيمة هوازن

نَهِيك - ككريم - آخره كاف . - ٥٤ -

غَمْرَة - بَغِينٍ - معجمة مفتوحة ، فميم ساكنة : منهلٌ من مَنَاهِلِ طريق مكة ، يصل بين تهامة ونجد^(١) .

أَطَأَ الْخَبَرَ : أعلنه وأبينه .

مَعْدِنٌ - بفتح الميم ، وكسر الدال المهملة .

سُلَيْمٌ - بضم السين .

المُصَلَّى - بضم الميم ، وفتح الصاد المهملة ، واللام المشددة : موضع الصلاة ؛ وهو موضع مُصَلَّى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم في الأعياد خارج المدينة بالعقيق معروف .

ب ٣٠١

شرح غريب شعر العباس بن مرداس رضى الله عنه /

الرَّابِيةُ : المكان المرتفع .

إِخَالٌ - بالخاء المعجمة .

يُخَايِرُهُ : يقول أنا خير منه .

المَخِير - بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة : أى يُغْلِبُ في الخير .

قَسِيٌّ - بفتح القاف ، وكسر السين المهملة ، وتشديد التحتية : تقدم .

وَجَّ - بفتح الواو وتشديد الجيم : موضع بالطائف .

الغَابَات - جمع غَابَة .

ضَاحِيَة - بالضاد المعجمة ، والحاء المهملة : بارِزَة لا تخفى

نَوْمٌ : نقصد .

الحنق - بالحاء المهملة والنون : الغضب .

يغوروا - بالغين المعجمة : يذهبوا .

(١) وفي وفاء الوفا للسهودي ٤ : ١٢٧٨ « غمرة بالفتح ثم السكون . ما يغير الشيء ويحمله ، اسم موضع بطريق نجد أغراه النبي صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن ، وسماء ابن سعد « غمر مرزوق ، بغير هاء ، قال : وهو ماء لبني أسد .

لِيَّة - بكسر اللام تقدّم .

ثُمَّ - بفتح الثاء المثلثة .

النُّصُورُ - بضم النون ، والصّاد المهملة : يعنى بنى نصر .

تَمُور : تسيل .

وَيُرَوَّى قوله : بنى خطيط بالخاء المعجمة والحاء المهملة ، وبطاءَيْنِ مهملتين بينهما تحتية .

زُور - بضم الزّأى : مائلة .

سَنَنَ المنايا - بفتح السين والنون : طُرُقُها .

الجَرِيضُ - بفتح الجيم ، وكسر الرّاء ، وسكونِ التّحتية ، وبالصّاد المعجمة السّاقطة : المنخفق بِرِيقِهِ .

التَّوَانَى : الفترة ، والإبطاء والكسل .

الغَلَقُ - بفتح الغين المعجمة ، وكسر اللّام : الكثير الحرج كأنّه تنغلّق عليه أموره .

الصُّرَيْرَةُ - تصغير ضرورة : وهو الذّى لا يأتى النساء وهو فى الإسلام الذّى لم يحج .

الحَصُورُ - بفتح الحاء ، وضمّ الصّاد المهملتين : وهو هنا العَيى .

أَحَانَهُمْ : أهلكهم .

تميح : تمشى مشياً حسناً .

الفَصَافِصُ - بفتح الفاء ، وكسرِ الثّانية بعد كلّ صاد مهملة جمع فصفصة : وهو النَّبَاتُ الذّى تَأْكُلُهُ الدَّوَاب .

عُمُّوْهَا - بضمّ العين وكسر الميم الأولى : أَسْنَدَتْ إِلَيْهِمْ وَقَدَّمُوا لَهَا .

يُثْمَنُ بضم التّحتية وسكون الميم .

الجلود : الحظوظ .

أَنُوفُ النَّاسِ : المَقْدُمُونَ فِيهِمْ .

مَا سَمَرَ السَّمِيرُ : أَى أَهْلِهِ ، فَحَذَفَ الْمُضَافُ وَيَكُونُ فِيهِمْ السَّمِيرُ ، أَسْمَاءُ الْجَمَاعَةِ السَّمَارُ / .

٥٢٧ ت

غَزِيَّةٌ - بَفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ الزَّيِّ ، وَتَشْدِيدِ التَّحْتِيَةِ .

الْمُنْقَفِيرُ بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ النَّونِ ، وَفَتْحِ الْقَافِ ، وَكَسْرِ الْفَاءِ ، وَسُكُونِ التَّحْتِيَةِ ، وَبِالرَّاءِ : مِنْ أَسْمَاءِ الدَّاهِيَةِ .

شرح غريب قصيدة العباس بن مرداس - رضى الله عنه - العينية

عَفَا : دَرَسَ .

الْمَجْدَلُ - بِكَسْرِ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ الْجِيمِ ، وَفَتْحِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ ، وَبِاللَّامِ : وَهُوَ هَذَا بَلَدٌ طِيبٌ بِالْخَابُورِ إِلَى جَانِبِهِ ، عَلَيْهِ قَصْرٌ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ اسْمُ الْقَصْرِ ، وَيُقَالُ الْحَصْنُ ^(١) .

وَمُتَالِجٌ - بَضَمِّ الْمِيمِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ : جَبَلٌ بِنَجْدٍ ، وَبِنَاحِيَةِ الْبَحْرَيْنِ بَيْنَ السُّودَةِ وَالْإِحْسَاءِ ، وَقِيلَ : جَبَلٌ لَغْنَى ، وَقِيلَ : لَبْنَى عَبِيلَةَ ، وَقِيلَ : اسْمُ مَاءٍ فِي شَرْقِ الظُّهْرَانِ عِنْدَ الْفَوَارَةِ فِي جَبَلِ الْقَنَانِ ^(٢) .

الْمِطْلَى - بِكَسْرِ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ يُمد وَيَقْصُر : أَرْضٌ تُقْعَدُ ^(٣) الرَّجُلُ عَنْ الْمَشْيِ .

أَرِيكَ - بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَكَسْرِ الرَّاءِ ، وَسُكُونِ التَّحْتِيَةِ ، وَبِالْكَافِ : مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ غَنَى أَوْ ذُبْيَانٍ .

الْمَصَانِعُ / - بَفَتْحِ الْمِيمِ ، وَتَخْفِيفِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ ، وَبَعْدَ الْأَلْفِ نُونٌ ، فَعَيْنٌ مَهْمَلَةٌ : ١٣٠٢ مواضع . تُصْنَعُ لِلْمَاءِ ، تُشَبِّهُ الصَّهَارِيحَ .

(١) وفي وفاء الوفا ٤ : ١٢٩٩ « المجدل : أطم بمزرعة تقابل سقاية سليمان بن عبد الملك ، وقال ياقوت : هو بالفتح ثم السكون ، وفتح الدال المهمل : منزل لذيل .

(٢) متالع : ويقال متابع : جبل عن يمين أمرة ، بجى ضرية ، وقال ياقوت : متالع بضم الميم وكسر اللام ، ماء شرق الظهران عند الفوارة في جبل القنان ، والظهران جبل في أطراف القنان . وهو غير الوادى الذى قرب مكة . (وفاء الوفا ٤ : ١٢٩٩) .

(٣) كذا في الأصول . وفي الروض الأنف على السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٩٦ « تعقل الرجل » .

جُمْل - بجيم مضمومة ، فميم ساكنة ، فلام : اسم امرأة ، لا ينصرف للعلمية والتأنيث المعنوي .

جُلّ - بضم الجيم : معظم .

الرَّخِي : الواسع .

صَرَفَ الدَّهْر : تغيره .

حُبَيْبِيَّة - بضم الحاء المهملة ، وفتح الموحدة ، وسكون التَحْتَانِيَّة الأولى وكسر الموحدة ، وفتح التَحْتِيَّة المُشَدَّدة : منسوبة إلى بنى حُبَيْب بالتصغير ، وحبيبة منسوبة إلى بنى حَبِيب بوزن عَلِيمٌ وحُبَيْبِيَّة تصغير حبيبة ، وكلها روايات .
أَلَوْتُ : ذهبت^(١) .

غَرَبْتُ - بفتح الغين المعجمة ، وسكون الرَّاء ، وفتح الموحدة ، فتاء تأنيث : بُعِدْتُ .
النَّوَى : الفراق .

مَلُومَةٌ - من اللوم : وهو الْعِتَاب .

خُزَيْمَةٌ - بضم الخاء المعجمة وفتح الزَّاي ، وسكون التَحْتِيَّة - بن جُزْيٍ^(٢) بفتح الجيم وقيل بضمها وكسر الزاي ، وآخره بعد المد همزة ، أو تُسهل فتصير الياء مدغمة كذا ذكر الحافظ في التبصير .

وقال في الإصابة : إِنَّهُ بكسر الزَّاي . وقال في التَّقريب : بفتح الجيم ، وسكون الزَّاي ، بعدها همزة ، : صحابي .

والمَرَاد - بفتح الميم ، وتشديد الرَّاء ، وبعد الألف راء أخرى ابن^(٣) صحابي .

وواسع : صحابي أيضاً لم أقف على اسم أبيهما^(٤) ، الثلاثة سُلَيْمِيُّونَ . وفدوا إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٦٢ « أَلَوْتُهَا : غيرتها » .

(٢) وكان الدارقطني يقول فيه : جزي بكسر الجيم والزَّاي (الروض الأنف ٢ : ٢٩٦) .

(٣) بياض في الأصول بمقدار كلمة .

(٤) في الأصول « أبيه » ولعل الصواب ما أثبت .

لَبُوس - بفتح اللام ، وضم الموحدة المخففة .

رَائِع - بِرَاء ، وبعد الألف تحتية ، وبعين مهملة : معجب .

الْأَخْشَبَان - بِالْخَاء ، والشين المعجمتين فموحدة ، يُضَافَان مَرَّةً إِلَى مَكَّةَ ، وَمَرَّةً إِلَى مَنَى ، وَهُمَا وَاحِد ، أَحَدُهُمَا أَبُو قَبِيس ، وَالْآخَرُ قَعِيقَعَان ، وَيُقَالُ بِلِ الْجَبَلِ الْمَشْرِقِ الْأَحْمَرِ هُنَاكَ وَقَالَ . أَبْن وَهْب : الْأَخْشَبَان : الْجَبَلَانِ اللَّذَانِ تَحْتَ الْعُقْبَةِ بِمَنَى فَوْقَ الْمَسْجِدِ .

يَدَ اللَّهِ - منصوب على التعظيم .

نُبَايِع : نقدم عليه .

جُسْنَا : وَطِئْنَا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ ... فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ... ﴾ (١) : تَخَلَّلُوهَا فَطَلَبُوا مَا فِيهَا

عَنَوَةٌ - بفتح العين المهملة : قهرا .

النَّقْعُ - بفتح النون ، وسكون القاف ، وبالعين المهملة : الغبار .

كَابٍ - بالموحدة : مُرْتَفِع .

سَاطِع : متفرق .

عَلَانِيَةً - بعين مهملة مفتوحة فلام فالف فنون مكسورة فتحتية مفتوحة فتاء تَأْنِيث : أَى جَهْرًا مِنْ غَيْرِ اسْتِخْفَاء .

الخيَلِ مُبْتَدَأ . مُتَوَنِّهَا : مَفْعُولٌ مُقَدَّم ، وَالْفَاعِلُ : حَمِيم ، وَهُوَ هُنَا الْعَرَق ..

آن - بِمَدِّ الْهَمْزَةِ : الدَّمُ الْمُسَخَّنُ الْحَار .

نَاقِع - بِنُونٍ وَبَعْدَ الْأَلْفِ قَافٌ مَكْسُورَةٌ فَعَيْنٌ مَهْمَلَةٌ : طَرِي ، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : كَثِير .

الْأَضَالِيعُ - جَمْعُ ضِلْعٍ بِضَادٍ مَعْجَمَةٌ مَكْسُورَةٌ ، فَلَامٌ مَكْسُورَةٌ وَقَدْ تَسَكَّنَ تَخْفِيفًا / ٥٢٨ ح
فَعَيْنٌ مَهْمَلَةٌ يُسَمَّى بِذَلِكَ مِنَ الضِّلْعِ وَهُوَ الْاِغْوِجَاجُ .

(١) سورة الإسراء من الآية ٥ .

٣٠٢ الضحّاك بن سُفيان السلمى / وليس الكلبي كما ذكره ابن البرقي .
لَا يَسْتَفِرِّزُنَا : يستخفنا .

قِرَاعُ الْأَعَادَى - بقافٍ مكسورة فراء فالف فعين : ضَرَبُهُمْ .
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُدَّامَ .
يَخْفِقُ : يضطرب .

الْخُذْرُوفُ - بضم الخاء ، وسكون الذال المعجمة فراء مضمومة ، فواو ساكنة ،
ففاء : البرق اللامع المتقطع منها ، وقال أبو ذر : خُذْرُوفُ السحابة طرفها ، وأراد به
هنا السُرعة في تحرك هذا اللواء واضطرابه .

مُعْتَصٍ بِالسَّيْفِ - بيم مضمومة ، فعين مهملة ساكنة ، ففوقية مفتوحة ، فصاد
مهملة ، قال في الإملاء : أَى ضَارِبٍ ، يُقَالُ : اعتصوا بالسيوف إِذَا ضَارَبُوا بِهَا ، وفي
الصحاح : العصى مقصور مصدر قولك عَصَىَ - بالكسر - بالسيف يعصى : إِذَا ضَرَبَ ،
وفلان يعصى على عصى : أَى يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، وَيَعْتَصِي بِالسَّيْفِ : أَى يجعله عصى .

٣٠٢ كَانِعٍ - بنون مكسورة ، فعين مهملة : حاضر نازل / ، وفي الإملاء أنه يقال : كَنَعَ
به عند الموت إِذَا دَنَا .

نَذُودُ أَخَانَا مِنْ أَخِينَا : أَى يريد أنه من سليم ، وسليم من قيس كما أن هوازن
من قيس كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس ، والمعنى : نقاتلُ
إِخْوَتَنَا وَنَذُودُهُمْ ، أَى نمنعهم عن إِخْوَتَنَا من سليم .

وَلَوْ نَرَى : أَى حُكْمَ الدِّينِ .

مَصَالًا - بفتح الميم ، وبالصَّاد المهملة : من الصَّوْلَةِ .

لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ : يعنى هوازن .

نتابع بنونٍ ففوقية .

وَلَكِنَّ - بتشديد التَّوْنِ .

دين الله بالنصب - اسم لكن .

دين محمد بالرفع : خبرها .

حَمَّه الله - بفتح الحاء المهملة ، وتشديد الميم فهاء . حَمَّه : أى قصده ، يُقَال
حَمَمْتُ حَمَكُ ؛ أى قصدت قصدك .

٥٢٨
٢٠٢

شرح غريب قصيدة العباس / الرائية

قوله : الْعَائِرُ - بعين مهملة وبعد الألف تحتية وبالراء : وجع العين .
سَهْرُ - بكسر الهاء : اسم فاعل من السَّهَر ؛ وهو أمتناعُ النَّوْم ، وجعله سهرًا ، وإنما
السهر أمر جميل لأنه لم يفتر فكأنه قد سهر ولم ينم .
الْحَمَاطَة - بفتح الحاء وتخفيف الميم وبعد الألف طاء مهملة فتاء تأنيث : وهى
هنا بزة تكون فى جفن العين ، وقال فى الروض : هى من ورق الشجر ما فيه خشونة .
أَعْصَى - بالغين ، والضاد المعجمتين وزن أعطى .
الشُّفْرُ - بضم الشين المعجمة ، والفاء . قال فى الإملاء : جفون العين .
تَأَوَّبَهَا - بفوقية ، فهمزة مفتوحة ، فواو مشددة مفتوحة فموحدة . : جاءها مع
الليل .

الشَّجُو - بفتح الشين المعجمة ، وسكون الجيم وبالواو : الحُزْن .
الْأَرْقُ - بفتح الهمزة والراء والقاف : السهر ، وهو امتناع النوم .
والماء : المراد به هنا الدَّمْع .
يَغْمُرُهُ - بالغين المعجمة وضم الميم : يَغْطِيهِ .
طوراً : تارة .
السَّلْكُ - بكسر السين المهملة ، وسكون اللام ، وبالكاف : الخيط الذى ينظم فيه .
مُنْبَتِرٌ - بيم مضمومة ، فنون ساكنة فموحدة مفتوحة ففوقية مثناة : أى منقطع ،
ويروى منتثر - بالنون ففوقية فتاء مثناة / .

الصَّمان^(١) - بضم الصَّاد المهملة ، وتشديد الميم ، وبعد الألف نون : موضع إلى جنب أرض عالج ، أى بالعين المهملة ، فالألف ، فلام مكسورة فجيم : مكان بالبادية كثير الرَّمال .

الحَفَرُ - بفتح الحاء المهملة والفاء ، كما ذكره أبو عبيد البكرى ، والحازمى وخلائق : اسمٌ لِعِدَّةِ مواضع^(٢) والله أعلم أيُّها أراد العباس . وقول مَنْ قال يعنى به : حفر الذى بالكوفة أو بالبصرة ليس بِبَيِّنٍ لَّأنَّ العباس قال هذه القصيدة فى غَزْوَةِ حنين ، والبصرة والكوفة حَدَّثَتَا بعد النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بدهر .

٥٢٩ هـ الزَّعَرُ - بفتح الزاى والعين / : قلة الشَّعر ، وفى نسخة : الدَّعْر - بالذَّال المعجمة والعين المهملة المضمومتين : وهو الفزع .

البَلَاءُ - بفتح الموحدة : الصُّنْع .

سُلَيْمِ الأولى والثانية . - بضم السين المهملة وفتح اللام .

مُفْتَحَر - بالخاء المعجمة .

مُسْتَجِرٌ - بكسر الجيم^(٣) .

لَا يَغْرِسُونَ فَسِيلَ النَّخْلِ - بفتح الفاء وكسر السين المهملة ، فتحتية ساكنة ، فلام والجمع فسلات ، وهو الْوَدْيُ بفتح الواو ، وكسر الدال وتشديد التحتية : النَّخْل .

وسَطُهُمْ - بإسكان السين ، وإن جاز فيه الفتح من حيث اللُّغة ، لكنه ساكن لأجل الوزن مضموم الميم يُعَيِّرُ بذلك أهل المدينة الشريفة .

(١) الصمان : جبل أحمر ينقاد ثلاثة أيام وليس له ارتفاع يجاور الدهناء ، وقيل قرب رمل عالج - قاله ياقوت (وفاء الوفا للسهمودى ٤ : ١٢٥٤) .

(٢) وفى وفاء الوفا ٤ : ١١٩٢ « حفر بجانب الحفير الذى هو بين مكة والمدينة ، وقال ياقوت : الحفر بفتح الحاء وسكون الفاء من مياه على بطن واد يقال له مهزول - انتهى - والمعروف بالحفر اليوم منزل الأشراف من آل زيان وبه آبار ومزارع ، وليس هو الحفر المذكور فى حدود جزيرة العرب لأن ذاك محرك ، وهو بقرب البصرة » .

(٣) مستجير : أى مختلف ، والاشتجار الاختلاف وتداخل الحج بعضها إلى بعض (سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٦٦ هامش) .

ولا تَخَاوِر - بفوقية ، فحاء معجمة ، فالف ، فواو مفتوحة وبالراء من الخَوَار ، وهو أصوات البقر ، ويروى : يجاور بالميم والراء ، ويُحَاوِز بالحاء المهملة والزاي ، وصَوَّب في الإملاء الأول .

السَّوَابِح - بفتح السين المهملة وبعد الألف موحدة مكسورة : جمع سَابِح يقال : سَبَحَ الفرسُ في جريه فهو سَابِح .

العُقْبَان - جمع كثرة للعقاب ، وهو طائر من الجوارح ، ولفظه مؤنث

مُقَرَّب - بضم الميم ، وسكون القاف وفتح الراء وبالموحدة : الفرس الذي يُدْنَى ويُكْرَم ، والأنثى مقربة ولا تترك أن ترود^(١) وإنما يفعل ذلك بالإناث لئلا يقرعها فحل لثيم .

الدارة : أخص من الدار .

الأَخْطَار - جمع خِطَر - بكسر الخاء المعجمة وإسكان الطاء المهملة والراء : وهو القطيع من الإبل .

العَكَر - بفتح العين المهملة والكاف ، ويجوز إسكانها ، وهنا محركة لا غير للوزن : جمع عكرة : وهو القطيع الضَّخْمُ من الإبل ما بين الخمسين إلى المائة ، وقيل : الخمسون إلى الستين إلى السبعين ، وقيل إلى المائة ، وقيل ما فوق الخمسائة من الإبل ، يُقال : أعكر الرجلُ إذا كان عنده عكرة .

خُفَاف - بضم أوله ، وتخفيف الفاء - بن عُمَيْر بن الحارث بن رشيد السلمي المعروف بابن ندبة - بنون - وهي أمه ، كان من فرسان قيس وشعرائها المذكورين ، شهد حنيناً ، وثبت على إسلامه في الردة .

وعوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي شهد الفتح وكانت معه راية أشجع - رضى الله عنه .

(١) أى لا تترك أن تطلب الكلاء (اللسان) .

وحى ذَكْوَان - بفتح الذال المعجمة وسكون الكاف .

الميل : بكسر الميم وإسكان التحتية وباللام جمع أَمِيل : وهو الذى لا سلاح معه
الضُّجْر - بضم الضاد المعجمة والجيم ، جمع ضَجُور ، والضُّجْر : الحرج وسوء
الاحتمال .

الضاربون : جمع ضارب .

جُنُودَ - بالنُّصْب : مفعول اسم الفاعل .

صَّاحِيَة - بفتح الصَّاد المعجمة ، وبعد الألف حاء مهملة مكسورة ، فتحته فتاء
تَأْنِيث : منكشفة بارزة .

الظَّاهر بالطاء المعجمة المشالة : وهو من الأرض ما غلظ منها .

مُنْقَعِر : منقلع من أصله .

يَنْجَاب - بفتح النَّحْتِ وسكون النون وبالجيم والموحدة : ينكشف .

السَّاطع هنا : الغُبَار .

كلر : متغير إلى السَّوَاد .

تحت اللِّوَاء مع الضَّحَّاك ، يَقْدُمُنَا : كذا فى الرَّوَايَةِ ، وقال فى الإِملَاء ، ورواه
الخُشْنِي : تَحْتَ اللِّوَامِع . والضَّحَّاك هو ابن سُفْيَان السُّلَمِي^(١) .

الليث - بالثاء المثناة : من أسماء الأسد .

الخَلِيرُ : الدَّاخِلُ فى خِلْرِه ، والخَلِيرُ هنا : غابة الأسود .

(١) فى الروض الأنف ٢ : ٢٩٥ « الضحَّاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبى بكر بن كلاب الكلابى ، يكنى أباسميد
وكان يقوم على رأس النِّبى صلى الله عليه وسلم متوشحاً بالسيف ، وكان يمد وحده بمائة فارس ، وكانت بنو سليم يوم حنين
تسمائة فأمره عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره أنه قد تممهم به ألفاً . . وقال البرقى : ليس الضحَّاك بن سفيان
هذا بالكلابى إنما هو الضحَّاك بن سفيان السُّلَمِي ، وذكر من غير رواية البكاءى عن ابن اسحاق نسبة مرفوعاً إلى بهثة بن سليم
ولم يذكر أبو عمر فى الصحابة إلا الأول وهو الكلابى » .

المسَارِق - بهمزة ساكنة : بعد الميم ، والزَّأى المكسورة وبالقاف : موضع الحرب ، وأصله الضيق .

الْكَلْكَل - بفتح الكافين وإسكان اللام الأولى : الصُّدْر .
يَكَادُ : يَقْرُبُ .

تَأْفُلُ - بضم الفاء : تغرب .

تَأَوَّب - بتشديد الواو المفتوحة وبالموحدة : رجع .

منازلَهُمْ : بالنَّصْب .

إلا قد أَصْبَحَ بالنقل للوزن^(١) .

شرح غريب قصيدته السينية

٥٣٠

/ قوله : تَهْوَى به : تُسْرِع .

الْوَجَنَاء - غليظة الوجنات بارزتها ، وذلك يدلُّ على غور عينيها ، وهم يَصِفُونَ الإبل بغور العينين عند طول السَّفَاد ، ويقالُ في الوجنة من الآدميين رجال موجنة وامرأة موجنة ، ولا يُقال وجناء .

مُجَمَّرَةٌ : مجتمعة منضمة .

الْمَنَاسِم - جمع مَنَسِم ، بفتح الميم ، وسكون النون وكسر السين المهملة ، وهو مقدم طرف خف البعير .

العِرْمَس - بكسر العين المهملة ، وسكون الراء ، وكسر الميم وبالسَّين المهملة : الحجارة الصلبة ، تشبَّه بها الناقة الشديدة الجلدة ، وهى المراد هنا .

الْمَطْيُ - جمع مطية : البعير لأنه يُرْكَب مَطَاهُ أى ظهره .

تَقْدَع - بفتح الفوقية ، وسكون القاف ، وفتح الدال ، وبالعين المهملة : تكف .

الْكُمَاة - بضم الكاف : الشجعان واحلهم كُمَى .

(١) أى بنقل حركة همزة أصح إلى الدال فى قد .

تُضْرَس - بضم الفوقية ، وسكون الضاد المعجمة ، وفتح الراء ، وبالسین المهملة ،
قال فی الإملاء : تُجْرَح ، وقال فی الروض : تضربُ أطرافها باللجم ؛ يقال ضُرِسَ
أى أصيبت أضراسه ، كما تقول : رأس أى أصيبت رأسه .

سَالَ : ارتفع .

١/٣٠٤ الأَفْئَاء - كَأَحْمَال / : هنا أخلاط الناس .

بِهْئَة - بفتح الموحدة وسكون الهاء ، وبالثاء المثناة ، وبتاء التانيث : قبيلة
من سليم .

الْمَخَارِم - بالخاء المعجمة والراء : الطرق في الجبال ، واحداها مخرم .

تَرْجُس - بالجيم : تهتز وتتحرك .

الْفَيْلَق - بالفاء المفتوحة فالتحتية الساكنة ، فاللام ، فالقاف : الجيش .

شهباء : كثيرة السلاح .

الهُمَام - بضم الهاء : السيد .

الْأَشْوَس - بفتح أوله وسكون الشين المعجمة ، وفتح الواو ، وبالسین المهملة :
الذى ينظر بمؤخر عينيه متكبراً .

الْأَغْلَب : الشديد الغليظ .

مُحَكِّمَة : متقنة .

الدُّخَال - بكسر الدال المهملة وبالخاء المعجمة واللام : يعنى نسيج الدروع .

القَوْنَس - بفتح القاف ، وسكون الواو ، وفتح النون وبالسین المهملة : أعلى بيضة
الخوذة .

يُرْوَى - بضم التحتية ، وسكون الراء .

القناة - بالقاف والنون : الرمح .

الْوَعَى - بفتح الواو ، والغين المعجمة : الحرب .
تَعَالَهُ : تظنه .

العَضْبُ - بفتح العين المهملة ، وسكون الضاد المعجمة السَّاقطة وبالموحدة : السيف القاطع .
لَدُنْ - بفتح اللام وسكون الدال المهملة : اللَّيْن من كل شئ .
مِدْعَس : بكسر الميم وسكون الدال ، وفتح العين وبالسین المهملتين : الشديد من
الرماح الغليظ .

العَرْنَدُس - بفتح العين وبالسین المهملتين : [الأسد]^(١) الشديد .
دَرِيَّةٌ - من روى دريئة بالهمز فمعناه : مدافعة ، ومن رواه دَرِيَّةٌ بتشديد التحتية
فمعناه : تستر ، وفي الروض الدريَّة : الحلقة التي يتعلم عليها الرمي ، أى كانوا كالدرية
للرماح .

والشَّمْس يومئذٍ عليهم أشمس : يُريد لمعان الشمس في كُلِّ بيضة من بيضات
الحديد كأنها شمس ، وهو معنى صحيح وتشبيه مليح .
كفت : قلبت ومنعت .

الإِخَاوَةُ : [مصدر أخا وآخى ، والمعنى طلب اتخاذ الأخوة]^(١)
العَيْر - بفتح المهملة : حمار الوحش .

تَعَاقِبُه السباع : مُفَرَّس - بضم الميم ، وفتح الفاء ، والراء المشددة وبالسین المهملة :
تَعَتَوُرُ فَرَسَتَه السَّبَاعُ .

شرح غريب قصيدته الهائية

قوله : الحَوَاسِر : الجموع الذين لا درع عليهم ، ويقال : رجل حَاسِرٌ إذا لم يكن
عليه درع .

عامل الرَّمَح : أعلاه .

يَكْدُوْدُ - بالذال المعجمة ، وبعد الواو المهملة : يطرد .

(١) الإضافات بين الحواصر من اللسان .

حومة الموت : معظمه .

شَاجِرُهُ : مُخَاصِمُهُ وَمُخَالِطُهُ ، ويحتمل أن يكون شَاجِرُهُ هنا مُخَالِطُهُ بِالرُّمَحِ ، يقال شَجَرْتَهُ بِالرُّمَحِ إِذَا طَعَنْتَهُ بِهِ . وشَجَرْتُ الرُّمَاحَ إِذَا دَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ .

٥٣١ ت بَطَانَةُ الرَّجُلِ : مَنْ كَانَ حَاطًا / بِهِ مُطْلِعًا عَلَى سِرِّهِ .

الشُّعَارُ : مَا يَلِي جَسَدَ الْإِنْسَانِ مِنَ الثِّيَابِ ، فاستعاره هنا .

شرح / غريب قصيدته الميمية

٣٠٤ ب

قوله قُدِيدًا : تصغير قد ، اسم موضع .

تَمَارَوْا بَنًا : شَكُّوا فِينَا .

فتيان - جمع فتى .

الْغَاب بِالْمَعْجَمَةِ هُنَا : الرَّمَا ح .

دُفَاع - بضم الدال المهملة وتشديد الفاء .

الْأَتَى - بفتح أوله ، وكسر الفوقية ، وتشديد التحتية : السَّيْلُ يَأْتِي مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ .

الْجَرْمَرَم : الكثير الشديد .

سَرَاة : سائتهم .

تَسَلَّمَ - بتشديد اللام ، يريد في سليم من اعتزى أى انتهى إليهم من حلفائهم فتَسَلَّمَ بِذَلِكَ كَمَا تَقُولُ تَقْيَّسَ الرَّجُلَ إِذَا عَتَزَى إِلَى قَيْسٍ

وَحَبَّ إِلَيْنَا - بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة فعل ماض وأصله حَبَّبَ - بضم الموحدة ، ثم أَسَكَنْتُ وَأَدْغَمْتُ فِي الثَّانِيَةِ .

النَّهْيُ - بفتح النون ، وكسرها ، وسكون الهاء ، وآخره تحتية : الْغَدِيرُ مِنَ الْمَاءِ .

يَلَمَلَمًا - بفتح التحتية ، واللامين ، وسكون الميم بينهما : اسم موضع^(١) .
 الحِصَانُ - بكسر الحاء المهملة : الفرس العتيق ، ثم كُثِرَ حَتَّى سُمِّيَ بِهِ كُلُّ
 ذَكَرٍ مِنَ الْخَيْلِ .
 الْوَرْدُ - بلفظ المشموم ، ما بين الكميت والأشقر .
 يُسَوِّمًا - بضم التحتية وتشديد الواو : يعلم نفسه بعلامة يعرف بها .
 لَدُنْ : ظرف مكان بمعنى عند .
 غُنُوَّةٌ - بالنَّصْبِ والتَّنْوِينِ .
 دَوَافِعُهُ : مجارى السيول فيها .
 زَفَّهُ - بالزَّأى ، والفاء : ساقه سَوْقًا رَفِيقًا .
 قَدْ أَحْجَمًا - بحاءٍ مهملة ، فجيم : رجع وأنقَبَضَ . وأَحْجَمَ بِالْجِيمِ فَالْحَاءُ بِمَعْنَاهُ .
 الطَّيْرَةُ : الْفَرَسُ السَّرِيعَةُ الْوَثَابَةُ .
 مُحَطَّمٌ : مُكْسَرٌ .
 السَّرْبُ - بفتح السين وسكون الرَّاء : الْمَالُ الرَّاعِي .

(١) يَلَمَلَمُ ، أو اللَّلم : ميقات الحاج للقادم من جهة اليمن ، وهو جبل على مرحلتين من مكة . (هامش سيرة النبی لابن هشام)

الباب التاسع والعشرون

في غزوة الطائف^(١)

لَمَّا قَدِمَ فَلْ ثَقِيفِ الطَّائِفِ رَمَوْا حَصَنَهُمْ وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ مَدِينَتِهِمْ ، وَتَهَيَّأُوا لِلْقِتَالِ ، وَكَانُوا أَدْخَلُوا فِيهِ قَوْتَ سَنَةِ لَوْ حُصِرُوا، وَجَمَعُوا حِجَارَةً كَثِيرَةً ، وَأَعْدُوا سَكَّكَاءَ مِنَ الْحَدِيدِ، وَأَدْخَلُوا مَعَهُمْ قَوْمًا مِنَ الْعَرَبِ مِنْ عَقِيلٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَمَرُوا بِسَرْحِهِمْ أَنْ يَرْفَعَ فِي مَوْضِعٍ يَأْمَنُونَ فِيهِ ، وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَ يَدَيْهِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي أُلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الطَّائِفِ ، فَاتَى خَالِدُ الطَّائِفِ فَنَزَلَ نَاحِيَةَ مِنَ الْحِصْنِ، وَقَامَتْ ثَقِيفٌ عَلَى حِصْنِهَا بِالرَّجَالِ وَالسَّلَاحِ ، وَدَنَا خَالِدٌ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَارَ بِالْحِصْنِ مِنْ كَانَ مَتَنَحِيًا عَنْهُ، وَنَظَرَ إِلَى نَوَاحِيهِ ، ثُمَّ وَقَفَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْحِصْنِ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَنْزِلُ إِلَيَّ بَعْضُكُمْ أَكَلِمَةً وَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَرْجِعَ ، أَوْ أَجْعَلُوا لِي مِثْلَ مَا جَعَلْتُمْ لَكُمْ ، وَأَدْخِلْ عَلَيْكُمْ حَصَنَكُمْ أَكَلِمَتِي . قَالُوا : لَا يَنْزِلُ إِلَيْكَ رَجُلٌ مِنَّا وَلَا تَصِلُ إِلَيْنَا ، وَقَالُوا : يَا خَالِدُ إِنَّ صَاحِبَكُمْ لَمْ يَلْقَ قَوْمًا يُحْسِنُونَ قِتَالَهُ غَيْرَنَا . قَالَ : ٣٠٥ خَالِدُ : فَاسْمَعُوا / مِنْ قَوْلِي ، نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَهْلِ الْحِصْنِ وَالْقُوَّةِ بِيَثْرَبٍ وَخَيْبَرَ ، وَبَعَثَ رَجُلًا وَاحِدًا إِلَى فَدَكَ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ ، وَأَنَا أَحْدَرُكُمْ مِثْلَ يَوْمِ بَنِي قَرْيِظَةَ ، حَصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيَّامًا ، ثُمَّ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ سَبَى الدُّرِيَّةَ ، ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ فَأَفْتَتَحَهَا وَأَوْطَأَ هَوَازِنَ فِي جَمْعِهَا ، وَأَنْتُمْ فِي حِصْنٍ فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْأَرْضِ ، لَوْ تَرَكْتُمْ لِقَاتِلَكُمْ مَنْ ٣٠٦ حَوْلَكُمْ مِنْ / أَسْلَمَ . قَالُوا : لَا نَفَارِقُ دِينَنَا ، ثُمَّ رَجَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى مَنْزِلِهِ .

وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْدَ خَالِدٍ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى مَكَّةَ ، وَلَا بِهَا عَرَجَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا عَلَى غَزْوِ الطَّائِفِ قَبْلَ أَنْ يَقْسِمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَرَكَ السَّبْيَ بِالْجِعْرَانَةِ، وَمِلَتْ عُرْشَ مَكَّةَ مِنْهُمْ .

(١) وانظر هذه الغزوة في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٧٨ ، البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٥ ، والمغازي للواقدي ٣ : ٩٢٢ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٣١ وشرح المواهب للزرقاني ٣ : ٢٩ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٠٩ .

وكان مسيره في شوال سنة ثمان ، وقال شداد بن عارض الجُشَمِيُّ - رضى الله عنه -
في مسير رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - :

لَا تَنْصُرُوا اللَّاتِ إِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهَا وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ ؟
إِنَّ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسِّدِّ فَاشْتَعَلَتْ وَلَمْ تُقَاتِلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدْرُ
إِنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلَ بِسِلَادِكُمْ يَظْعَنُ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشْرُ

قال ابن إسحق - رحمه الله تعالى - فَسَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - يَغْنَى
مِنْ حُنَيْنٍ إِلَى الطَّائِفِ عَلَى نَخْلَةِ الْيَمَانِيَةِ^(١) ، ثُمَّ عَلَى قَرْنٍ^(٢) ثُمَّ عَلَى الْمَلِيحِ^(٣) ، ثُمَّ
عَلَى بُحْرَةٍ^(٤) الرُّغَاءِ مِنْ لِيَّةٍ ، فَأَبْتَنَى بِهَا مَسْجِدًا فَصَلَّى فِيهِ ، وَأَقَادَ يَوْمئِذٍ بِبُحْرَةٍ
الرُّغَاءِ حِينَ نَزَلَهَا بِدَمٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ دَمٍ أُقِيدَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ ، أَتَى بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي لَيْثٍ
قَتَلَ رَجُلًا مِنْ هُذَيْلٍ فَقَتَلَهُ بِهِ . وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - وَهُوَ بَلِيَّةٌ
بِحِصْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ فَهَدِمَ^(٥) . وَصَلَّى الظُّهْرَ بَلِيَّةً . ثُمَّ سَلَكَ فِي طَرِيقٍ يُقَالُ لَهَا
الضَّبِيقَةُ ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - وَسَأَلَ عَنْ أَسْمِهَا فَقِيلَ :
الضَّبِيقَةُ ؛ فَقَالَ : « بَلْ هِيَ الْيُسْرَى » فَخَرَجَ مِنْهَا عَلَى نَخْبٍ^(٦) حَتَّى نَزَلَ تَحْتَ سَدْرَةٍ
يُقَالُ لَهَا الصَّادِرَةُ^(٧) قَرِيبًا مِنْ مَالِ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ ، قَدْ تَمَنَّعَ فِيهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - : « إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ وَإِمَّا أَنْ نَحْرُقَ^(٨) عَلَيْكَ حَائِطَكَ »
فَأَبَى أَنْ يَخْرُجَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - بِإِحْرَاقِهِ .

(١) نخلة اليمانية : واد يصب فيه يدعان ، وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين . (ياقوت) .

(٢) قرن : قرية بينها وبين مكة واحد وخمسون ميلا . (ياقوت)

(٣) المليح : واد بالطائف (ياقوت)

(٤) بحرة الرغاء : موضع في لية من ديار نصر (معجم ما استعجم ص ١٤٠)

(٥) في المغازي للواقدي ٣ : ٩٢٤ ، ٩٢٥ « أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإحراقه ، فحرق من حين العصر إلى أن غابت الشمس » .

(٦) نخب واد بالطائف (المغازي للواقدي ٣ : ٩٢٥) .

(٧) في الأصول « نزل صادرة يقال لها السدرة » والمثبت عن سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٨٠ ، والسيرة النبوية لابن

كثير ٣ : ٦٥٥ والمغازي للواقدي ٣ : ٩٢٥ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١١٠ .

(٨) كذا في الأصول وفي المواهب اللدنية ٣ : ٣٠ ، والمغازي للواقدي ٣ : ٩٢٥ وسيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٨٠

« إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَحْرُبَ عَلَيْكَ حَائِطَكَ فَأَبَى أَنْ يَخْرُجَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بإخراجه » .

نكر اعلامه — صلى الله عليه وسلم — بقبر أبى رغال ، وما وقع في ذلك من الآيات

٣٠٥ ب روى ابن إسحق ، وأبو داود ، والبيهقي عن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهما — قال : سمعتُ رسولَ الله / صلى الله عليه وسلم — حين خرجنا معه إلى الطائف فَمَرَرْنَا بِقَبْرِ فَقَالَ رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — « هذا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ ، وَهُوَ أَبُو ثَقِيفٍ ، وَكَانَ مِنْ ثُمُودَ ، وَكَانَ بِهَذَا الْحَرَمِ يَدْفَعُ عَنْهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ أَصَابَتْهُ النَّقْمَةُ الَّتِي أَصَابَتْ قَوْمَهُ بِهَذَا الْمَكَانِ فَدْفِنَ فِيهِ ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ دُفِنَ مَعَ غُصْنٍ مِنْ ذَهَبٍ إِنْ أَنْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصْبَتْموه » . قال : فَأَبْتَدَرَهُ النَّاسُ فَتَبَشَّوْهُ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ الْغُصْنَ .

* * *

نكر محاصرته — صلى الله عليه وسلم — الطائف

قال ابن إسحق — رحمه الله تعالى — : ثم مضى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنَ الطَّائِفِ ، فَضْرَبَ عَسْكَرَهُ ، وَأَشْرَفَتْ ثَقِيفٌ عَلَى حَصْنِهِمْ — وَلَا مِثَالَ لَهُ فِي حَصُونِ الْعَرَبِ — وَأَقَامُوا رُمَاتِهِمْ ، وَهُمْ مِائَةُ رَامٍ ، فَرَمُوا بِالسَّهَامِ وَالْمَقَالِيعِ مَنْ بَعُدَ مِنْ حِصْنِهِمْ ، وَمَنْ دَخَلَ تَحْتَ الْحَصْنِ دَلُّوا عَلَيْهِ سِكَكَ الْحَدِيدِ مُحَمَّاةً بِالنَّارِ يَطِيرُ مِنْهَا الشَّرُّ ، فَرَمُوا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبِيلِ رَمِيًا شَدِيدًا ، كَأَنَّهُ رَجُلٌ جَرَادٌ حَتَّى أُصِيبَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِجِرَاحٍ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَارْتَفَعَ — صَلَّى الله عليه وسلم — إِلَى مَوْضِعٍ مَسْجُودِهِ الْيَوْمَ ، الَّذِي بَنَتْهُ ثَقِيفٌ بَعْدَ إِسْلَامِهَا ؛ بَنَاهُ أُمَيَّةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ وَهَبٍ [بن معتب بن مالك] ^(١) ، وَكَانَتْ فِيهِ سَارِيَةٌ لَا تَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ صَبِيحَةً كُلَّ يَوْمٍ ٥٣٣ هـ حَتَّى يُسْمَعَ لَهَا نَقِيضٌ ^(٢) أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ مَرَّاتٍ ، فَكَانُوا / يَرُونَ أَنَّ ذَلِكَ تَسْبِيحٌ ، وَكَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبُ ، فَضْرَبَ لهُمَا قُبَّتَيْنِ وَكَانَ يُصَلِّي بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ [طول] ^(٣) حِصَارِ الطَّائِفِ كُلَّهُ ، وَقَالَ عَمْرٍو بْنُ أُمَيَّةَ الثَّقَفِيِّ — وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْعَرَبِ أَدهى مِنْهُ — لَا يَخْرُجُ إِلَى مُحَمَّدٍ [أَحَدٌ] ^(٤) إِذَا دَعَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبَرَّازِ ، وَدَعَا يُقِيمُ مَا أَقَامَ ، وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَنَادَى : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فَلَمْ يَطْلُعْ

(١) الإضافة عن المغازي للواقدي ٣ : ٩٢٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٥٦ وشرح المواهب ٣ : ٣١ .

(٢) النقيض : الصوت . (المرجع السابق والصحيح) .

(٣) إضافة عن تاريخ الخميس ٢ : ١١٠ .

(٤) إضافة عن شرح المواهب ٣ : ٣٠ .

إليه أحد ، ثم عاد فلم ينزل إليه أحد ، ثم عادَ فَلَمْ ينزل إليه أحد ، فنادى عَبْدُ يا لَيْلُ : لا يَنْزِلُ إليك أحد ، وَلَكِنَّا نُقِيمُ في حِصْنِنَا ، خِبَانًا فيه ما يصلحنا سنين ، فإذا أَقَمْتُ حتى يذهب هذا الطعام خرجنا إليك بِأَسْيَافِنَا جميعاً حتى نموت عن آخرنا .

فقاتلهم رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - بالرمي [عليهم وهم يقاتلونَه بالرمي]^(١) من وراء الحصن ، فلم يخرج إليه أحد ، وكثرت الجراحات له من ثقيف بالنبل ، وقُتِلَ جَمَاعَةٌ من المسلمين .

نذكر بعثه - صلى الله عليه وسلم - منادياً ينادى : من نزل من العبيد فهو حر / ١٣٠٦

قال ابن إسحق في رواية يونس بن بكير : حدثني عبد الله بن المكرم الثقفي ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : نادى منادى رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - « أَيُّمَا عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حرٌّ » فخرج من الحصن بضعة عشر رجلاً : المنبِعث ، وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المنبِعث حين أسلم ، وكان عبداً لعثمان بن عامر بن مُعْتَب ، وكان جواداً رُومياً ، والأَزْرَق بن عُقْبَةَ ابن الأزرق وكان عبداً لكَلْدَةَ - بفتح الكاف وسكون^(٢) اللام ، وبالذال المهملة - الثقفي ثم صار حليفاً في بني أمية ، ووردان^(٣) وكان عبداً لعبد الله بن ربيعة الثقفي ، ويُحْنَس - بضم التَّحْنِيَةِ وفتح الحاء المهملة والنون المشددة وبالسین المهملة - النِّبَال وكان عبداً ليسار بن مالك الثقفي ، وأسلم سيده بعد ، فردَّ رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - إليه ولأعه ، وإبراهيم بن جابر ، وكان عبداً لخرشة - بفتح الخاء المعجمة والراء والشين المعجمة الثقفي ، ويسار ، وكان عبداً لعثمان بن عبد الله . وأبو بَكْرَةَ نُفَيْع - بضم النون وفتح الفاء وسكون التَّحْنِيَةِ - بن مَسْرُوح - بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء وبالحاء المهملة - وكان عبداً للحارث بن كَلْدَةَ ، وإنَّما كُنِيَ بِأَبِي بَكْرَةَ لَأَنَّهُ نَزَلَ في بَكْرَةَ من الحصن ، ونافع أبو السائب ، وكان عبداً لِغَيْلَانَ بن سلمة ، فأسلم غَيْلَانَ

(١) الإضافة عن المرجع السابق ٣ : ٣٠ .

(٢) كذا في الأصول - وفي القاموس المحيط كَلْدَةَ بفتحات .

(٣) كذا في الأصول وفي شرح المواهب ٣ : ٣٢ « وردانه » وضبط في المغازي للواقدي ٣ : ٩٣١ وردان بفتح

الواو .

بعد ، فردَّ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ولاءه إليه ، ونافع بن مسروح ، ومهرزوق غلام لعثمان بن عبد الله .

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - يوم الطائف « مَنْ خَرَجَ إِلَيْنَا مِنَ الْعَبِيدِ فَهُوَ حُرٌّ » فخرج عبيد^(١) من العبيد فيهم أبو بكر ، فأعتقهم رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم .

وروى الشيخان عن أبي عثمان النهدي قال : سمعتُ سعدا - وهو أولُ من رمى بسهمٍ في سبيل الله - وأبا بكر - وكان قد تَسَوَّرَ حصن الطائف قال^(٢) : سمعنا رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - يقول : « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام^(٣) » .

وفي روايةٍ نزل إلى النبي - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ثلاثة وعشرون من الطائف - فشق ذلك على أهل الطائف مشقةً شديدةً ، واغتاضوا على غلمانهم - فأعتقهم رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ودفع رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - كلَّ رجلٍ منهم إلى رجلٍ

٢٤٥ م / من المسلمين يمونه ويحمّله فكان أبو بكر إلى عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان الأزرق

إلى خالد بن سعيد بن العاص ، وكان وردان إلى أبان بن سعيد بن العاص ، وكان يُحنَسُ النبال إلى عثمان بن عفان ، وكان يسار بن مالك إلى سعد بن عباد ، وكان إبراهيم بن جابر إلى أسيد بن الحضير ، وأمرهم رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - أن يقرئوهم القرآن ، ويعلموهم السنن ، فلما أسلمت ثقيف تكلمت أشرافهم في هؤلاء المعتقين ، منهم الحارث بن كلدة يردونهم إلى الرق ، فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - « أولئك عتقاء الله ، لا سبيلَ إليهم »

ذكر رمية - صلى الله عليه وسلم - حصن الطائف بالمنجنيق

قال محمد بن عمر : قالوا : وشاور رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - أصحابه ، فقال له سلمانُ الفارسي - رضى الله عنه - : يا رسول الله أرى أن تنصب المنجنيق على حصنهم ، فإننا كنّا بأرض فارس ننصب المنجنيقات على الحصون . وتنصب

(١) في تاريخ الخميس ٢ : ١١١ « فخرج منهم بضع عشرة وأسلموا فيهم أبو بكر وعند مغطاي ثلاثة وعشرون عبداً وكذا في البخارى » .

(٢ - ٢) ماين الرقين وارد في هامش ت

علينا ، فَتُصِيبُ مِنْ عَدُونِنَا وَيُصِيبُ مِنَّا بِالْمَنْجْنِيقِ ، وإن لم يكن منجنيق طَالَ
الثَّوَاءُ ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَعَمَلَ مَنْجْنِيقًا بِيَدِهِ ، فَنَصَبَهُ عَلَى
حِصْنِ الطَّائِفِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْجْنِيقٍ رُمِيَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ .

وروى ابن سعد عن مكحول - رحمه الله تعالى - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
نَصَبَ الْمَنْجْنِيقَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَيُقَالُ : قَدِمَ بِهِ يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ
ابْنُ الْأَسَدِ وَبِدْبَابَتَيْنِ ، وَيُقَالُ : الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَيُقَالُ : خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ قَدِمَ
مِنْ جُرَشٍ بِمَنْجْنِيقٍ وَبِدْبَابَتَيْنِ ، وَنَشَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْحَسِكَ ،
شَقَتَيْنِ مِنْ حَسَكٍ^(١) مِنْ عِيدَانٍ حَوْلَ حِصْنِهِمْ ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ تَحْتِ الدَّبَابَةِ ،
وَهِيَ مِنْ جُلُودِ الْبَقَرِ . وَذَلِكَ الْيَوْمَ يُقَالُ لَهُ يَوْمُ الشَّدْحَةِ لِمَا شُدَّخَ فِيهِ مِنَ النَّاسِ ،
ثُمَّ زَحَفُوا بِهَا إِلَى جِدَارِ الْحِصْنِ لِيَحْفِرُوهُ ، فَأَرْسَلَتْ ثَقِيفٌ بِسَكِّكَ الْحَدِيدِ الْمُحْمَاةِ
بِالنَّارِ ، فَحَرَّقَتِ الدَّبَابَةَ ، فَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ تَحْتِهَا وَقَدْ أُصِيبَ مِنْهُمْ مَنْ أُصِيبَ ،
فَرَمَتْهُمْ ثَقِيفٌ بِالنَّبْلِ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ رِجَالٌ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
بِقَطْعِ أَعْنَابِهِمْ وَنَخِيلِهِمْ وَتَحْرِيقِهَا ، قَالَ عُرْوَةُ : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
كُلَّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقْطَعَ خَمْسَ [نَخْلَاتٍ وَخَمْسَ]^(٢) حَبَلَاتٍ ، فَقَطَعَ الْمُسْلِمُونَ
قَطْعًا ذَرِيعًا . فَنَادَتْ ثَقِيفٌ : لِمَ تَقْطَعُ أَمْوَالَنَا ؟ إِمَّا أَنْ تَأْخُذَهَا إِنْ ظَهَرَتْ عَلَيْنَا ،
وَإِمَّا أَنْ تَدْعَاهَا لِلرَّحِمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : فَإِنِّي أَدْعَاهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ .
فَتَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكَانَ رَجُلٌ يَقُومُ عَلَى الْحِصْنِ فَيَقُولُ : رُوحُوا رِعَاءَ الشَّاءِ رُوحُوا جَلَابِيبَ مُحَمَّدٍ
أَتَرُونَنَا نَبْتِشَ عَلَى أَحْبَلٍ^(٣) أَصَبْتُمُوهَا مِنْ كُرُومِنَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
« اللَّهُمَّ رَوْحُ مُرُوحَا إِلَى النَّارِ » / . قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَأَرْمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ ١٣٠٧
فِي نَحْرِهِ فَهَوَى مِنَ الْحِصْنِ مَيِّتًا ، فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ .

(١) الحسك : نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم ، ويعمل على مثاله شوكة أداة للحرب من حديد أو قصب فيلقى حول العسكر ،
ويسمى باسمه (القاموس المحيط) .

(٢) الإضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٥٦ ، وشرح المواهب ٣ : ٣١ - والحيلة - بفتح الحاء وضمها ،
وفتح الباء - هي الكرمة .

(٣) أحبل : جمع حيلة ، وهي الأصل أو القضيبة من شجر الأعناب (النهاية ١ : ١٩٨) .

ذكر استئذان عيينة بن حصن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
في اتيان اهل الطائف يدعوهم الى الاسلام ، وما وقع في ذلك من الآيات

روى أبو نعيم والبيهقي عن عُرْوَةَ بن الزبير — رحمه الله تعالى — قال استأذن عُيَيْنَةُ ابنُ حصن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يأتي أهل الطائف يُكَلِّمُهُمْ لَعَلَّ الله تعالى — أن يَهْدِيَهُمْ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَتَاهُمْ وَدَخَلَ فِي حِصْنِهِمْ ، وَقَالَ بَأَيِّ أَنْتُمْ تَمْسُكُوا بِمَكَانِكُمْ فَوَالله لَنَحْنُ بِأَذَلَّ مِنَ الْعَبِيدِ ، وَأَقْسَمَ بِاللَّهِ لَوْ حَدَّثَ بِهِ حَدَّثَ لِيَمْلِكَنَّ الْعَرَبُ عِزًّا وَمَنْعَةً ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ ، وَلَا يَتَكَاثَرُ عَلَيْكُمْ قَطْعُ هَذَا الشَّجَرِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَقَالَ لَهُ : « مَا قُلْتَ لَهُمْ يَا عُيَيْنَةُ ؟ » قَالَ : أَمَرْتُهُمْ بِالْإِسْلَامِ ، وَدَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ ، وَحَدَّثْتُهُمُ النَّارَ ، وَدَلَلْتُهُمْ عَلَى الْجَنَّةِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — « كَذَبْتَ ، بَلْ قُلْتَ لَهُمْ كَذَا وَكَذَا » وَفَصَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَقَالَ : صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ .

ذكر استئذان الامر وحنه — صلى الله عليه وسلم — على الرمي

قال : وعن عمرو بن عبسة^(١) — رضى الله عنه — حَاصِرُنَا قَصْرَ الطَّائِفِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : « مَنْ بَلَغَ بِهِمْ فَلَهُ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ » فَبَلَغَتْ يَوْمَئِذٍ سِتَّةَ عَشَرَ سَهْمًا ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : « مَنْ رَمَى بِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ عَدْلٌ مُحَرَّرٌ ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّمَا رَجُلٌ أَغْتَنَى رَجُلًا مُسْلِمًا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَاعِلُ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهِ وَقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ بِعَظْمٍ ، وَإِنَّمَا أَمْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ أَعْتَقَتْ أَمْرَأَةً مُسْلِمَةً فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلُ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا وَقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا فِي النَّارِ » رَوَاهُ يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ النَّسَائِيُّ^(٢) .

(١) هو ابن أبي نجيح السلمي (البداية والنهاية ٤ : ٣٤٩) .

(٢) في البداية والنهاية ٤ : ٣٤٩ « صححه النسائي من حديث قتادة .

نكر نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن دخول المخنثين على النساء^(١)

روى يونس بن بكير في زيادة المغازي ، والشيخان عن أم سلمة - رضى الله عنها -
قالت : كان عندي مُخَنَّث - وهو في عُرْفِ السَّلَف : الذى لَا هَمَّ له إلى النساء لا غير
ذلك . كما سيأتى :

/ فقال لعبد الله أخى : إن فتح الله عليكم الطائفَ غداً فَإِنِّى أَذُكُّكَ على ابنة غَيْلانَ ٣٠٧ ب
فإنَّها تُقْبِلُ بأَرْبَعٍ وتُدْبِرُ بِثَمَانٍ . فَسَمِعَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قوله . فقال :
« لَا أَرَى هَذَا يَعْلَمُ مَا هَا هُنَا لَا تُدْخِلُنَّ هَؤُلَاءِ عَلَيْكُنَّ » وكانوا يرونه من غير أولى
الزَّيْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ، قال ابن جُرَيْج : اسمه هَيْتٌ . قال ابن إسحق : كان مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم - مولى لخالته فَاخْتَتَمَ بنت عمرو بن عائذ مُخَنَّثٌ يُقَالُ له مَا تَع
يدخل على نساء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويكون في بيته وَلَا يَرَى رسولُ
الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - [أَنَّهُ] ^(٢) يَفْطِنُ لشيءٍ مِنْ أُمُورِ النِّسَاءِ مِمَّا يَفْطِنُ الرِّجَالُ
إِلَيْهِ ، وَلَا يَرَى أَن له في ذلك إرباً ، فسمعه وهو يقولُ لخالد بن الوليد : يا خالد
إن فتح رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - الطَّائِفَ فلا تُفْلِتَنَّ مِنْكَ بِأَدِيَةِ بنتِ غَيْلانَ ؛
فإنَّها تُقْبِلُ بأَرْبَعٍ وتُدْبِرُ بِثَمَانٍ . فقال رسولُ الله - / صَلَّى الله عليه وسلم - حين سمعَ هذا ٣٠٧ ب
منه « لَا أَرَى الخَبِيثَ يَفْطِنُ لِمَا أَسْمَعُ » ثم قال لنسائه « لَا تَدْخُلْنَهُ عَلَيْكُنَّ » فَحُجِبَ
عن بيت رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم .

* * *

نكر منام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الدال على عدم فتح الطائف

حينئذ واذنه بالرجوع واشتداد الرجوع على الناس قبل الفتح

قال ابن إسحق : وبلغنى أَنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال لِأَبِي بَكْرٍ :
« إِنِّى رَأَيْتُ أَنِّى أَهْدَيْتُ لى قَوْمَةً مَمْلُوءَةً زُبُداً فَفَقَرَهَا دِيكَ ، فَهَرَّاقَ مَا فِيهَا » فقال

(١) انظر الخبر في السيرة الحلبية ٣ : ١٣٣ « وقد جاء في ص ١٣٤ منها » كان المخنثون في زمانه صلى الله عليه وسلم
ثلاثة : هيت ، ومانع ، وهزم ، ومثل لهم ذلك لأنه كان في كلامهم لين وكانوا يختضبون بالحناء كخضاب النساء لا أنهم
يأتون بالفاحشة الكبرى .

(٢) إضافة عن السيرة النبوة لابن كثير ٣ : ٦٦١

٥٣٦ ت أبو بكر : ما أَظُنُّ أَنْ تُدْرِكَ مِنْهُمْ يَوْمَكَ هَذَا مَا تَرِيدُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « وَأَنَا لَا أَرَى ذَلِكَ » .

وروى محمد بن عمر عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : لَمَّا مضت خمس عشرة من حصار الطائف ، استشار رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - نوفلَ بن معاوية الديلي - رضى الله عنه - فقال : « يَا نَوْفَلُ مَا تَرَى فِي الْمَقَامِ عَلَيْهِمْ » قال : يا رسولَ الله ثعلبٌ في جُحْرٍ إِنْ أَقَمْتَ عَلَيْهِ أَخَذْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَضُرَكَ .

قال ابن إسحق : ثُمَّ إِنَّ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمِ السَّلْمِيَّةِ ، وَهِيَ امْرَأَةُ عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونَ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اعْطِنِي ، إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ الطَّائِفَ - حُلِيَّ بَادِيَّةَ بِنْتِ غِيلَانَ ، أَوْ حُلِيَّ الْفَارِغَةِ بِنْتِ عَقِيلٍ - وَكَانَتَا مِنْ أَحْلَى نِسَاءِ ثَقِيفٍ - فروى^(١) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَهَا : « وَإِنْ كَانَ لَمْ يُؤْذَنْ لَنَا فِي ثَقِيفٍ يَا خَوْلَةُ ؟ » فخرجت خولة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فدخل على رسولِ الله ١٣٠٨ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال / : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَدِيثُ حَدَّثْتَنِيهِ خَوْلَةُ ؟ « زَعَمْتُ أَنَّكَ قَتَلْتَهُ ؟ » قَالَ « قَدْ قَتَلْتَهُ » قَالَ أَوْ مَا أُذِنَ فِيهِمْ « قَالَ : « لَا » قَالَ : أَفَلَا أُؤْذِنُ النَّاسَ بِالرَّحِيلِ ؟ قَالَ : « بَلَى » فَأَذِنَ عُمَرُ بِالرَّحِيلِ .

وروى الشيخان عن ابن عمرو أو ابن عمر - رضى الله عنهم - قال : لَمَّا حَاصِرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الطَّائِفَ وَلَمْ يَنْلِ مِنْهُمْ شَيْئًا قَالَ « إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا : أَنْذِهِمْ وَلَا نَفْتَحْ ؟ وَفِي لَفْظٍ ، فَقَالُوا : لَا نَبْرَحُ أَوْ نَفْتَحُهَا ، فَقَالَ : « اغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ » فغَدُوا فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ ، فَقَالَ : « إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » قَالَ : فَأَعْجَبَهُمْ ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ عُرْوَةُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - كَمَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ - وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - النَّاسَ أَنْ لَا يُسَرِّحُوا ظَهْرَهُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ، ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابُهُ وَدَعَا حِينَ رَكِبَ قَافِلًا وَقَالَ : « اللَّهُمَّ اهْدِهِمْ وَانْكُفِّنَا مُؤْنَتَهُمْ » .

(١) كَذَا فِي ص ، ط ، وَفِي ت ، م « فَذَكَرَ » .

وروى الترمذى - وحسنه عن جابر - رضى الله عنه - قال : قال يا رسول الله أحرقتنا نارٌ ثقيف ، فادع الله - تعالى - عليهم فقال : « اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَأَتِ بِهِمْ » .

قال ابن إسحق فى رواية يونس وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، وعبد الله بن المكرم عمن أدركوا من أهل العلم : أَنَّ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - حاصر أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ، ثم انصرف عنهم ولم يؤذن فيهم ، فقدم وفدهم فى رمضان فأسلموا ، قلت : وسيأتى بيان ذلك فى الوفود إن شاء الله تعالى . قال ابن إسحاق فى رواية زياد : « وحاصرهم بضعاَ وعشرين ليلة ، وقيل : عشرين يوماً وقيل : بضعة عشرة ليلة ، قال ابن حزم : وهو الصحيح بلا شك .

وروى الإمام أحمد ، ومسلم عن أنس : أنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة . واستغربه فى البداية .

قال محمد بن عمر : فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - لأصحابه حين أرادوا أن يرتحلوا : « قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ عَبْدُهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَخْزَابَ وَحْدَهُ » فلما ارتحلوا واستقبلوا قال : قُولُوا آيُّونَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » .

ذكر من استشهد من المسلمين بالطائف وهم اثنا عشر رجلاً (١)

٥٣٧ ت

سعيد بن سعيد بن العاص بن / أمية

وعُرفُطَة - بضمُّ العين المهملة ، وسكونِ الرَّاءِ ، وضمُّ الفاء ، وبالطَّاءِ المهملة - ابن حُبَاب (٢) - بضمُّ الحاءِ المهملة ، وتخفيف الموحدة .

ويزيد بن زَمْعَة - بفتح الزَّاءِ - وسكونِ الميم - بن الأسود ، جمع به فرسه إلى حصن الطَّائِف فقتلوه .

(١) انظر أسماء من استشهد من المسلمين بالطائف فى سيرة النبی لابن هشام ٢ : ٤٨٦ ، والبدایة والنهاية لابن كثير

٤ : ٣٥١ ، وشرح المواهب للزرقانى ٣ : ٣٠ .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى المغازى للواقدي ٣ : ٩٣٨ ، وفى البدایة والنهاية ٤ : ٣٥١ وسيرة النبی لابن هشام

٢ : ٤٨٦ « بن جناب بجم ونون - وفى شرح المواهب ٣ : ٣٠ : أثبت الروایتين دون ترجيح لإحدهما .

وعبد الله بن أبي بكر الصديق - رضى الله عنهما - رُمى بسهم فلم يزل جريحا حتى
٣٠٨ ب مات بالمدينة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - / وهو غير شهيد عند الشافعية
لأنه توفى بعد انقضاء الحرب بمدة مديدة .

وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، رمى فى الحصن .
وعبد الله بن عامر بن ربيعة .

والسائب بن الحارث بن قيس السهمي ، وأخوه عبدُ الله [بن الحارث] (١)
أبن قيس .

وجُلَيْحَة - بضم الجيم ، وفتح اللام ، وسكون التَّحتية ، وبالحاء - المهمله ابن
عبد الله .

وثابت بن الجَدَع - بفتح الجيم والذال المعجمة وبالعين المهمله ، وأسمه ثعلبة
السلمي - بفتح السين ، واللام .

والحارث بن سهل بن أبي صَعَصَعَة .
والمنذر بن عبد الله بن نوفل .

وذكر فى العيون هنا : رُقَيْم بن ثابت بن ثعلبة مع ذكره له فيمن استشهد بحنين ،
تبع هناك ابن إسحق ، وهنا ابن سعد .

نكر مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم - من الطائف الى الجعرانة

قالوا : خرج رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - من الطائف فأخذ على دخنا (٢) ،
ثم على قرن المنازل (٣) ، ثم على نخلة ، ثم خرج إلى الجعرانة وهو على عشرة أميال
من مكة ، قال سراقَةُ بنُ جُعْشُم (٤) رضى الله عنه : لقيتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - وهو منحدر من الطائف إلى الجعرانة فتخلصت إليه - والنَّاسُ يَمْضُونَ أمامه

(١) إضافة تقتضيها السياق .

(٢) دخنا : من تخاليف الطائف (ياقوت ٤ : ٤٣ ، والمغازى للواقدي ٣ : ٩٣٩) .

(٣) قرن المنازل : جبيل قرب مكة يحرم منه حاج نجد (ياقوت ٨ : ١٦٣) .

(٤) انظر ترجمته وقصته حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة : فى أسد الغابة ٤ : ٣٦٤ .

أرسالاً - فوقفت في مقنّب^(١) من خيل الأنصار ، فجعلوا يقرعونني بالرّماح ويقولون : إليك إلبك ، ما أنت ؟ وأنكروني ، حتّى إذا دنوت وعرفت أنّ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - يسمعُ صوتي أخذت الكتاب الذي كتبه لي أبو بكر فجعلته بين إصبعين من أصابعي ، ثم رفعت يدي به وناديت : أنا سراقه بن جُعشم ، وهذا كتابي ، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - : « هَذَا يَوْمٌ وَفَاءٌ وَبِرٌّ ، اذْنُوهُ فَأُذِنْتُ مِنْهُ ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سَاقِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلّم - فِي غِرْزِهِ^(٢) كَأَنَّمَا الْجَمَارَةُ ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ سَلَمْتُ وَسُقْتُ الصَّدَقَةَ إِلَيْهِ ، وَمَا ذَكَرْتُ شَيْئًا أَسْأَلُهُ عَنْهُ إِلَّا أَنِّي قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ الضَّالَّةَ مِنَ الْإِبِلِ تَغْشَى حِيَاضِي وَقَدْ مَلَأْتُهَا لِإِبِلٍ هَلْ لِي مِنْ أَجْرِ إِنْ سَقَيْتُهَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلّم - / « نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ »^(٣) رواه قال محمد بن عمر : وقد كان رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - كَتَبَ لِسِرَاقَةَ كِتَابَ مُوَادَعَةٍ سَأَلَ سِرَاقَةَ إِيَّاهُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَكُتِبَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ ، أَوْ عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ ، وَتَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي أَبْوَابِ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وروى محمد بن عمر عن أَبِي رُحْمٍ الْغَفَارِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسِيرُ وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ ، وَعَلَى نَعْلَانِ غَلِيظَانِ ، إِذْ زَحَمَتُ نَاقَتِي نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - / وَيَقَعُ حَرْفُ نَعْلِي عَلَى سَاقِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَوْجَعَتْنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - / « أَوْجَعَتْنِي أَحْزَرَ رَجُلِكَ^(٤) » وَقَرَعَ رَجُلِي بِالسُّوْطِ فَأَخَذَنِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَمْرِي وَمَا تَأَخَّرَ ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزَلَ فِيَّ قِرَآنٌ لِعَظَمِ مَا صَنَعْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا بِالْجِعْرَانَةِ / خَرَجْتُ أَرعى الظَّهْرَ وَمَا هُوَ ٥٣٨ يَوْمِي ، فَرَقَا أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَرَسُولُ اللَّهِ يَطْلُبُنِي ، فَلَمَّا رَوَّحَتِ الرُّكَّابُ سَأَلْتُ : فَقِيلَ لِي طَلَبَكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ : إِحْدَاهُنِ وَاللَّهِ ، فَجِئْتُ وَأَنَا أَتَرَقَّبُ ، فَقَالَ « إِنَّكَ أَوْجَعَتْنِي بِرَجْلِكَ ، فَفَرَعْتُكَ بِالسُّوْطِ فَأَوْجَعْتُكَ ،

(١) المقنّب : ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل (الصحاح ٢٢٠٦) .

(٢) الغرز : ركاب الرجل ، وقيل : ركاب الرجل من جلود مخروزة (اللسان) .

(٣) بعد كلمة رواه علامة تأشير بالهامش ولم يذكر شيء . وكما ترى فلم يذكر الراوى .

(٤) كذا في المغازي للواقدي ٣ : ٩٣٩ ، و ط ، وفي ت « احذر رجلك » وفي ص وم « احذر رجلك » .

فَخَذَ هَذِهِ الْغَنَمَ عَوَضاً عَنْ ضَرْبِي^(١) » قَالَ أَبُو رَهْمٍ : فَرِضَاهُ عَنِّي كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

وقال ابن إسحاق في رواية سلمة : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ شُهَدَاءِ حَنِينَا قَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرُ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى نَاقَةٍ لِي وَفِي رِجْلِي نَعْلٌ غَلِيظَةٌ إِذْ زَحَمَتْ نَاقَتِي رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَقَعُ حَرْفُ نَعْلِي عَلَى سَاقِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَوَجَعَتْهُ فَقَرَعَ قَدَمِي بِالسُّوْطِ ، وَقَالَ : « أَوَجَعَتْنِي فَتَأَخَّرَ عَنِّي » فَأَنْصَرَفْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَلْتَمِسُنِي ، فَقُلْتُ : هَذَا وَاللَّهِ لِمَا كُنْتُ أَصَبْتُ مِنْ رِجْلِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْأَمْسِ ، قَالَ فَجِئْتُهُ وَأَنَا أَتَرَقَّبُ^(٢) فَقَالَ « إِنَّكَ أَصَبْتَ رِجْلِي بِالْأَمْسِ فَأَوَجَعَتْنِي فَقَرَعْتُ قَدَمَكَ بِالسُّوْطِ فَدَعَوْتُكَ لِأَعُوْضَكَ مِنْهَا » فَأَعْطَانِي ثَمَانِينَ نَعْجَةً بِالضَّرْبَةِ الَّتِي ضَرَبَنِي .

قال ابن إسحاق وغيره : وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْجِعْرَانَةَ فِيمَنْ مَعَهُ ، وَمَعَهُ سَبْعُ هَوَازِنَ سِتَّةَ آلَافٍ مِنَ الذَّرَّارِيِّ وَالنِّسَاءِ ، وَمِنْ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ مَا لَا نَدْرِي عِدَّتَهُ . وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، وَابْنُ سَعْدٍ ، أَنَّ السَّبْيَ كَانَ سِتَّةَ آلَافٍ رَأْسًا . وَالْإِبِلَ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ ، وَالْغَنَمَ لَا يُدْرِي عِدَّتُهَا وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ أَوْقِيَّةَ فِضَّةٍ ، فَاسْتَأْنَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالسَّبْيِ لِكَيْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ وَفَدَهُمْ .

قَدُومُ وَفْدِ هَوَازِنَ وَرَدِ السَّبْيِ إِلَيْهِمْ

قال ابن إسحاق في رواية يُونُسَ بْنِ بَكِيرٍ عَنْ^(٣) ابْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِحُنَيْنٍ ، فَلَمَّا أَصَابَ مِنْ هَوَازِنَ مَا أَصَابَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَسَبَايَاهُمْ أَدْرَكَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ بِالْجِعْرَانَةِ ، وَهُمْ أَرْبَعَةُ عَشَرَ رَجُلًا ، وَرَأْسُهُمْ

(١) كَذَا فِي ط ، ص ، وَفِي ت وَم « عَنْ ضَرْبِي » .

(٢) فِي الْأَصُولِ « وَأَنَا أَتَرَقَّبُ » . وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتَهُ .

(٣) وَفِي سِيرَةِ النَّبِيِّ لِابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٤٨٨ ، ٤٨٩ « قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، وَسَاقَ قِصَّةَ حُضُورِ وَفْدِ هَوَازِنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَفِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ٤ : ٣٥٢ « وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ بْنِ بَكِيرٍ عَنْهُ (أَيْ ابْنِ إِسْحَاقَ) قَالَ عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَاقَ الْحَدِيثَ - وَإِذْنُ فَا بْنِ عَمْرٍو هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

زُهَيْر بن صُرَد ، وفيهم أَبُو بُرْقَان عمّ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - من الرُّضَاعَةِ
وقد أسلموا - فقالوا : يا رسولَ الله إِنَّا أَصْلٌ وعشيرة ، وقد أَصابنا من البلاء ما لم
يَخْفَ عليك فامنن / علينا منَّ الله عليك .

ب ٣٠٩

وقام خطيبُهم زُهَيْر بن صُرَد فقال : : يا رسولَ الله إِن ما في الحظائر من السَّبايا
عمَّاتُك وخَالَاتُك وحواصِنُك اللّاتِي كن يكفلنك . ولو أَنَا مَلَحْنَا - وقيل : منحنا -
للحرث بن أَبِي شِمْر ، أو للنُّعْمان بن المنذر ثم أَصابنا منهما مثل الذي أَصابنا منك
رجونا عائدتَهما وعطفَهما ، وأنت يا رسولَ الله خيرُ المكفولين ، ثم أَنشأ يقول :
فذكر بعض الشعر الآتي :

أخبرنا الأئمة المسندون ، أبو فارس عبد العزيز ابن الحافظ عمر بن فهد الهاشمي
العلوي بقراءتي عليه بالمسجد الحرام ، وأبو الفتح جمال الدين بن الإمام أبو الفتح علاء
الدين القلقشندي . قرأه عليه وأنا أسمع بمنزله بحارة بهاء الدّين من القاهرة ، وأبو الفضل
عبد الرحيم بن الإمام محبّ الدين بن الأوجاق في إجازة خاصّة - الشّافعيون رحمهم
الله تعالى .

قال / الأول : أخبرنا المشايخ الأربعة قاضي القضاة شهاب الدّين أبو جعفر محمد ٥٣٩
ابن شهاب الدّين أحمد بن عمر بن الضيّاء القرشي الأموي الشهير بابن العجمي ،
وابن أمير الدّولة محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الغفور الحلبيّان ، وقاضي
المسلمين عز الدّين أبو محمد عبد الرحيم بن ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن
الفرات الحنفي ، والأصيلة أم محمد سارة بنت عمر بن عبد العزيز بن جماعة المصريّان
مكاتبة في كل منهم ، قالوا : أنبأنا مسندُ الدّنيا صلاح الدّين محمد بن أحمد بن
إبراهيم بن أبي عمر الصّالحي - زاد ابن الفرات وسارّة فقلا : والنجم أحمد ابن النجم
إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي عمر ، البهاء^(١) حسن بن أحمد بن هلال بن الهبل ،
وزين الدين أبو حفص عمر بن حسن بن يزيد بن أمية^(٢) المراغي ، وزاد ابن الفرات

(١) كذا في ص ، ط ، وفي ت وم « البدر حسن بن احمد . الخ » .

(٢) في ت « أميلة » .

فقال : وأم محمد ستُّ العرب ابنةُ محمد بن علي بن البخارى ، قالوا : أخبرنا رحالةُ الدنيا فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن البخارى ، قالت حفيدته : حضوراً - وقال الآخرون : إجازة ، قال في رواية حفيدته : أنبأنا أبو جعفر محمد ابن نصر الصيدلانى ، وقال في رواية الآخرين : أنبأنا أبو القاسم عبد الواحد بن القاسم الصيدلانى ، وأم هانىء عفيفة ابنة أحمد الأصبهانية ، وقال شيخنا الثانى : أخبرنا المسند الرحالة زين الدين أبو زيد عبد الرحمن القبابى إجازة مكاتبة وأم الحسن فاطمة ابنة الخليل بن أحمد وقريبتها أم أحمد عائشة بنت علي بن أحمد الحنبليتان - إجازة ، إن لم يكن سماعاً ، قالوا : أخبرنا أبو الحزم محمد بن محمد القلانسى قال الأولون^(١) إجازة ، وقالت الأخيرة قراءة وأنا حاضرة ، أنبأتنا المسندة / مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب قراءة عليها وأنا أسمع : أنبأنا أبو الفخر سعد^(٢) بن سعيد ابن رَوْح . وأبو سعد أحمد بن محمد بن أبي نصر ، وأم هانىء عفيفة بنت أحمد ابن عبد الله الفارقانى ، وأم حبيبة عائشة بنت معمر بن الفاخر ، - إجازة - وقال شيخنا الثالث أخبرنا شهابُ الواسطى - قراءةً عليه وأنا أسمع - قال : أخبرنا مسند الوقت ، الصدر أبو الفتح الميذوى عن أبي العباس أحمد بن عبد الدائم بن يحيى بن محمود أخبره - إن لم يكن سماعاً فإجازة - قالوا : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزدانية ، زاد يحيى بن محمود ومحمد بن أحمد بن المظفر - حضوراً - قالوا : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن المظفر ريدة الضبى قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبرانى قال : حدثنا عبيد الله بن رُمَاحس القيسى برمادة الرملة سنة أربع وسبعين ومائتين قال : حدثنا أبو عمر ، وزيد بن طارق ، وكان قد أتت عليه مائة وعشرون سنة قال : سمعت أبا جَرُولَ زُهَيْرَ بن صُرد الجُشَمى - رضى الله عنه - يقول : لما أسرنا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حُنين ويوم هوازن وذهب يُفَرِّقُ السَّبْيَ والشاء أتيته وأنشأت أقول هذا الشعر :

(١) فى ت « الأولان » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) فى ت ، م « أسعد بن سعيد » والمثبت عن بقية النسخ .

أَمُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمِ
أَمُنْ عَلَى بَيْضَةِ قَدِّ عَاقِهَا قَدْرُ
أَبَقْتُ لَنَا الدَّهْرَ هَتَّافًا عَلَى حَزَنِ
إِنْ لَمْ تَدَارِكْهَا^(٢) نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا
أَمُنْ عَلَى نَسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا
إِذَا أَنْتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ كُنْتَ تَرْضَعُهَا
لَا تَجْعَلُنَا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ
إِنَّا لَنَشْكُرُ لِلنَّعْمَا^(٤) إِذَا كُفِّرَتْ
فَأَلَيْسَ الْعَفْوُ مِنْ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهُ
يَا خَيْرَ مَنْ مَرَحَتْ كُفْمُ الْجِيَادِ بِهِ
إِنَّا نَوْمِلُ عَفْوًا مِنْكَ تُلْبِسُهُ
فَاعْفُ عَنَّا اللَّهُ عَمَا أَنْتَ رَاهِبُهُ
فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُهُ^(١)
مَشَتْ شَمْلُهَا فِي دَهْرِهَا غَيْرُ
عَلَى قُلُوبِهِمُ الْغَمَاءُ وَالْغَمَرُ
يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حُلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ
إِذْ فُوكَ مَمْلُوءَةٌ^(٣) مِنْ مَخْضِبِهَا الدَّرُ
وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ
وَأَسْتَبِقِ مَنَا فَإِنَّا مَعَشَرُ زُهَرُ
وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مُدْخَرُ
مِنْ أُمَهَاتِكَ إِنَّ الْعَفْوَ مُشْتَهَرُ
عِنْدَ الْهِيَاجِ إِذَا مَا أَسْتَوْقَدَ الشَّرُّ
هَادِي الْبَرِيَّةِ إِنْ تَعْفُو وَتَنْتَصِرُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظَّفَرُ

فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَذَا الشَّعْرَ قَالَ : « مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ » وَقَالَتْ قَرِيشٌ : مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ . هَذَا حَدِيثٌ جَيِّدٌ الْإِسْنَادُ عَالٍ جَدًّا ، رَوَاهُ الضَّيَّاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَرَجَّحَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ / أَنَّهُ ٣١٠ ب حَدِيثٌ حَسَنٌ . وَبَسَطَ الْكَلَامَ عَلَيْهِ فِي بُسْتَانِ الْمِيزَانِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « نِسَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ ؟ »

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ : فَقَالَ

(١) انظر هذا الشعر في السيرة الحلبية ٣ : ١٤٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٨ ، والمغازي للواقدي ٣ : ٩٥٠ .
(٢) في ت « إن لم تداركها » .
(٣) في ت « إذ فوك مملوءة من مخضبها الدور » .
(٤) في المغازي للواقدي ٣ : ٩٥١ « إنا لنشكر آلاء وإن كفرت » .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « فيمن ^(١) ترون ؟ وأحب الحديث إلى أصدقائه ، فاختاروا إحدى الطائفتين ، إما السبى ، وإما المال وقد كنت استأثنت بكم » وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غير راد عليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا ، ولا نتكلم في شاة ولا بعير ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أما ما كان لي وليني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالناس فأظهروا إسلامكم ، وقولوا : إنا إخوانكم في الدين ، وإنا نستشفع برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإني سأعطيكم ذلك ، وأسأل لكم الناس » وعلمهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التشهد ، وكيف يكلمون الناس . فلما صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالناس الظهر قاموا فاستأذنوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الكلام ، فأذن لهم ، فتكلم خطبائهم بما أمرهم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأصابوا القول فأبلغوا فيه ورغبوا إليهم في رد سبيهم ، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين فرغوا ليشفع لهم . وفي الصحيح عن المسور ومروان : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قام في المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين ، وإني قد رأيت أن أرد عليهم سبيهم ، فمن أحب أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول فيء يفيئته الله علينا فليفعل » فقال الناس قد طبنا ذلك يا رسول الله ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يَأْذَن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » فرجع الناس [فكلهم] ^(٢) عرفاؤهم .

(١) وفي البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥ ، من حديث البخارى بسنده المتصل إلى المسور بن مخرمة ومروان ابن الحكم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوا أن يرد إليهم أموالهم ونسائهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « معى من ترون ، وأحب الحديث إلى أصدقائه ، فاختاروا إحدى الطائفتين - الحديث » . وفي المغازى للواقدي ٣ : ٩٥١ « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الحديث أصدق - وعندي من ترون من المسلمين - فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ » والمثبت هنا مافى الأصول .

(٢) بياض بالأصول والمثبت عن البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥٤ .

قال/ ابن إسحاق : وقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - « أَمَا مَا كَانَ لِي وَلِيِّنِي ٥٤١ تَعَبِدَ الْمُطْلَبِ فَهُوَ لَكُمْ » فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لله ولرسوله ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله . فقال الأقرعُ بن حابس : أَمَا أَنَا / وبنو نعيمٍ فلا . وقال ١٢١١ عُبَيْدَةُ بْنُ حِصْنٍ : أَمَا أَنَا وبنو فزارةٍ فلا . وقال العباسُ بن مرداس : أَمَا أَنَا وبنو سُلَيْمٍ فلا . فقالت بنو سُلَيْمٍ : ما كان لنا فهو لرسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ، فقال العباسُ بن مرداس : وَهَتُمُونِي ، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُمْ شَيْءٌ فَطَابَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَرِدَهُ فَسَبِيلُ ذَلِكَ ، وَمَنْ أَمْسَكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضٍ مِنْ أَوَّلِ فَيُ يَقِيئُهُ اللَّهُ » فردَّ المسلمون إلى الناس نساءهم وأبناءهم ، ولم يتخلف منهم أحدٌ غير عُبَيْدَةَ بْنِ حِصْنٍ فَإِنَّهُ أَخَذَ عَجُوزًا فَأَبَى أَنْ يَرُدَّهَا كَمَا سِئِلَى .

قال محمد بن عمر ومحمد بن سعد : وكسى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - السبي قُبْطِيَّةً^(١) ، قال ابن عقبة كساهم ثياب المَعْقَدِ^(٢) .

ذكر دعائه - صلى الله عليه وسلم - على من أبى أن يرد شينا من السبي أن يخيس

روى أبو نعيم عن عطية السَّعْدِي - رضى الله عنه - أنه كان ممن كلَّم رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - في سَبْيِ هَوَازِنَ ، وكلَّم رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - أصحابه ، فردّوا عليهم سبيهم إلّا رجلاً واحداً ، فقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - : « اللَّهُمَّ أَخْسِ سَهْمَهُ » فكان يمرُّ بالجارية فيدع ذلك حتّى مرَّ بعجوز ، فقال آخذ هذه فإنها أمٌ حي فيفدونها عليه . فكَبَّرَ عطية^(٣) وقال : خذها ،

خذها والله ما فوها ببِـرَّارد ، ولا ثديها بناها -

ولا زوجها^(٤) بواجـد ، عجوز يا رسول الله ما لها أحد

(١) القبطية بضم القاف : ثوب أبيض من ثياب مصر منسوب للقبط (الحلية ٣ : ١٤٦) .

(٢) المقد : ضرب من برود هجر (النهاية في الغريب) .

(٣) كذا في الأصول ، وفي البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥٥ « فقال له زهير بن صرد : خذها عنك فوالله ما فوها ببارد . ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولادرها بموكد ، وإنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ولا نصفاً وثيرة » .

(٤) في السيرة الحلبية ٣ : ١٤٦ « ولا صاحبها بواجد ؛ أى بحزين » .

فلما رأى أنه لا يعرض لها أحد تركها .

وذكر ابن إسحاق^(١) ومحمد بن عمر واللفظ له : أَنَّ عُمَيْنَةَ بن حصن حين أبى أن يَرُدَّ حَظَّهُ^(٢) من السَّيِّ خَيْرُوه في ذلك ، فنظر إلى عجوزٍ كبيرة ، فقال : هذه أمّ الحَيِّ ، لعلهم أن يُغْلُوا فِدَاءَهَا ، فإنه عسى أن يكون لها في الحَيِّ نسب ، فجاء ابنها إلى عُمَيْنَةَ فقال : هل لك في مائة من الإبل ؟ فقال عُمَيْنَةَ : لا ، فرجع عنه وتركه ساعة. فقالت العجوز : ما أربك في ، بعد مائة ناقة ، اتركه فما أسرع أن يتركني بغير فداء ، فلما سمعها عُمَيْنَةُ قال : ما رأيتُ كالיום خُدعة ، قال : ثم مرَّ عليه أبْنُها فقال له عُمَيْنَةُ : هل لك في العجوز لما دعوتني إليه ؟ قال ابنها : لا أزيدك على خمسين . قال عيينة : لا أفعل . قال : فلبث ساعة ثم مر به أخرى وهو يعرض عنه فقال له عيينة : هل لك في العجوز بالَّذي بذلتَ لي ؟ قال الفتى : لا أزيدك على خمس وعشرين فريضةً هذا الَّذي أقوى عليه . قال عيينة : لا أفعل والله ، بعد مائة فريضة خمس وعشرون !! فلما تخوَّف عُمَيْنَةُ أن يتفرَّق الناس ويرتحلوا ، جاء عُمَيْنَةَ فقال : هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت ؟ فقال الفتى : هل لك في عشرين فريضةً أعطيكها ، قال عُمَيْنَةَ : والله لا أفعل ، قال الفتى : والله ما ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوها ببارد ، ولا صاحبها بواجد ، فأخذتها من بين من ترى ، قال عُمَيْنَةَ : خذها لا بَارِك الله لك فيها ، فقال الفتى : إنَّ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - قد كَسَا السَّيِّ فأخطأها من بينهم بالكسوة ، فهل أنت / كاسيها ثوباً ؟ فقال : لا والله ما ذلك لها عندي ، قال : لا وتفعل ، فما فارقه حتَّى أخذ منه سَمَل ثوب ، ثم ولى الفتى وهو يقول : والله إنَّك لغير بصيرٍ بالفرص .

ودوى البيهقي عن الإمام الشافعي - رضى الله عنه - أنه ردّها بلا شيء .

(١) وانظر قصة عينية هذه في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٩٠ .

(٢) كذا في ط ، ص ، وفي ت ، م « حقه » .

ذكر قسمته - صلى الله عليه وسلم - أموال هوازن بعد أن رد عليهم سبيهم

روى ابن إسحاق في رواية يونس عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمّا فرغ من ردّ سبايا هوازن ، ركب بغيره وتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فيثنا حتى اضطرّوه إلى شجرة فانتزعت رداءه ، فقال : « يا أيّها الناس ، ردّوا علىّ ردائي ، فواللّذي نفسي بيده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفتتموني بخيلاً ولا كذاباً » . ثم قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جنب بغيره ، فأخذ من سنّامه وبرّة فجعلها بين إصبعيه فقال : « أيّها الناس والله مالي من فيثكم ولا هذه البرّة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأذوا الخياط والمخيط وإياكم والغلول فإن الغلول عارٌ وشنارٌ على أهلِهِ يوم القيامة » فجاء رجلٌ من الأنصار بكبة خيط من خيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه البرّة لأخيط بها برذعة بغير لي دبر^(١) ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أمّا حقّي منها فهو لك » فقال الرجل : أمّا إذ بلغ الأمر فيها هذا فلا حاجة لي بها ، فرمى بها من يده .

وروى عبد الرزاق / في جامعه عن زيد بن أسلم عن أبيه : أن عقيل بن أبي طالب ١٣١٢ - رضى الله عنه - دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبه وسيفه ملطخ دماً ، فقال : دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك فدفعها إليها ، فسمع منادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أخذ شيئاً فليرده حتى الخياط والمخيط ، فرجع عقيل وقال : ما أجد إبرتك إلا ذهبت منك ، فأخذها فألقاها في المغانم .

وعن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - قال : صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين إلى جنب بغير من المغانم فلما سلّم تناول وبرّة بين أظفارين وفي رواية فجعلها بين إصبعيه ثم قال : « أيّها الناس ، إنّ هذه من مغانمكم ، وليس لي فيها إلا نصيبى معكم ، الخمس ، والخمس مردود عليكم فأذوا الخياط والمخيط ، وأكثر من ذلك وأصغر ، ولا تغلوا فإنه عارٌ ونارٌ وشنارٌ على أهلِهِ في الدنيا والآخرة » رواه الإمام أحمد وابن ماجه .

(١) دبر : دبر البعير إذا أصيب بالدبر وهو الجرح الذي يكون في ظهر الدابة (السان) .

وروى عبد الرزاق والبخاري عن جبير بن مطعم - رضى الله عنه - أنه بينا هو مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه الناس مقفلة من حنين علق الأعراب برسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسألونه ، حتى أضطروه إلى سمرية فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : « اعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه الأعضاء نعماً لقسمته عليكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً / . ١٣١٣

وعن أنس قال : كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه بُردُ نَجْرَانِيٍّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة ثم قال : مُر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يضحك ، ثم أمر له بعطاء ورداء .

قالوا : وجمعت الغنائم بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءه أبو سفيان ابن حرب وقال : يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالاً ، فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

* * *

ذكر اعطائه - صلى الله عليه وسلم - المؤلفة قلوبهم قبل غيرهم

قال ابن إسحاق : أعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من أشراف العرب ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم .

قال محمد بن عمر ، وابن سعد : بدأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأموال فقسمها ، وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس ، قلت : فمنهم من أعطاه مائة بغير وأكثر ، ومنهم من أعطاه خمسين ، وجميع ذلك يزيد على الخمسين ، وقد ذكرهم أبو الفرج ١٣١٢ [ابن الجوزي] (١) / في التلخيص ، وابن طاهر في مبهمات ، والحافظ في الفتح ، والبرهان الحلبي في النور ، وهو أحسنهم سياقاً وأكثرهم عدداً ، وعند كل منهم ما ليس عند الآخر ، ولم يتعرض أحد منهم لما أعطى كل واحد ، وقد تعرض محمد بن عمر ، وابن سعد ، وابن إسحاق لبعض ذلك كما سأنبه عليه وهم : أبي - بضم الهمزة ، وتشديد

(١) الإضافة عن شرح المواهب ٣ : ٣٦ .

التحتية وهو الأخنس - بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة ، بن شريق - بالسين المعجمة والقاف .

أَحْيَحَة - بمهملتين مصغر - بن أمية .

أسيد - بفتح أوله وكسر السين المهملة - بن جارية . بالجيم والتحتية - الثقفي ، أعطاه مائة .

الأقرع - بالقاف والراء - بن حابس - بالخاء المهملة وبالموحدة والسين المهملة - التميمي ، أعطاه مائة .

جُبَيْر - بالجيم والموحدة مصغر - بن مُطْعِم - بضم الميم وسكون الطاء وكسر العين المهملتين .

الجد - بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة - بن قيس السهمي ، كذا أورده التلخيص ، ولم يذكره الحافظ في الفتح ولا في الإصابة ، وإنما ذكره فيها الجد بن قيس الأنصاري ، ولم يتعرض لكونه من المؤلفه ولم يذكر في النور أنه سَهْمِي^(١) أو أنصاري ، فإن صح أنه سهمي فهو وارد على الإصابة .

الحارث بن الحرث بن كَلْدَة - بفتح الكاف واللام وبالدال المهملة .

الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، أعطاه مائة .

حاطب بن عبد العزى العامري .

حرمة بن هُوْدَة - بفتح الهاء وسكون الواو وبالدال المعجمة بن ربيعة بن عمرو ابن عامر العامري .

حكيم - بوزن أمير - بن حزام - بكسر الحاء المهملة ، وبالزاي - بن خويلد ، أعطاه مائة ، ثم سأل مائة أخرى ، فأعطاه إياها .

روى الشيخان وغيرهما ومحمد بن عمر - واللفظ له - عن حكيم بن حزام - رضى الله عنه - قال : سألتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحُنَيْن مائة من الإبل فأعطانيها

(١) كذا في ط ، ص ، وفي م « كونه سهياً » .

ثم سألته مائة من الإبل فأعطانيها ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يا حكيم إن هذا المال حلوة خضرة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بُورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يُبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعول » فقال : والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً ، فكان عمر بن الخطاب يدعوه إلى عطائه فيأبى ، أن يأخذه ، فيقول عمر : أيها الناس أشهدكم على حكيم بن حزام ؛ أدعوه إلى عطائه فيأبى أن يأخذه .

٥٤٤ ت قال ابن أبي الزناد : أخذ حكيم المائة الأولى فقط وترك الباقي / .

حكيم بن طليق - بوزن أمير - بن سفيان .

حوثب - بضم المهملة ، وفتح الواو ، وسكون التحتية ، وكسر الطاء المهملة وبالموحدة - بن عبد العزى القرشي العامري ، أعطاه مائة .

خالد بن أسيد - بوزن أمير - بن أبي العيص بن أمية .

خالد بن قيس السهمي .

خالد بن هوذة - بفتح الهاء وبالذال المعجمة - بن ربيعة بن عامر العامري / .

٣١٣
١

خلف بن هشام ، نقله في النور عن بعض مشايخه عن الصغاني ، ثم قال في النور : أنا لا أعرفه في الصحابة . قلت : لم يذكره الذهبي في التجريد ، ولا الحافظ في الإصابة ، فإن صح فهو وارد عليه .

وذكر في العيون : رقيم بن ثابت بن ثعلبة ، وتقدم أنه استشهد بحنين والله أعلم .

زهير بن أبي أمية بن المغيرة أخو أم المؤمنين أم سلمة .

زيد الخيل بن مهلهل الطائي ، عزاه في الفتح لتلقيح ابن الجوزي ، ولم أجده

في نسختين .

السائب بن أبي السائب .

صيفي بن عائذ - بهمزة بعد الألف فذال معجمة - المخزومي .

سعيد بن يَرْبُوع بن عَنكَثَة - بفتح العين المهملة - وسكون النون وفتح الكاف ،
والثاء المثناة ، أعطاه خمسين .

سفيان - بالحركات الثلاث في سينه وبسكون الفاء وبالتحتية - بن عبد الأسد
المخزومي .

سهل بن عمرو بن عبد شمس العامري وأخوه سهيل بن عمرو ، أعطاه مائة .
شَيْبَة بن عثمان القرشي العبدي .

صخر بن حرب أبو سفيان ، أعطاه مائة من الإبل وأربعين أوقية فضة .

صفوان بن أمية الجُمَحِي ، أعطاه مائة ، وروى البخاري عن صفوان قال : ما زال
رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - يُعطيني من غنائم حُنَيْن وهو أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ
حتى ما خلق الله - تعالى - شيئاً هو أَحَبُّ إِلَيَّ منه . وفي صحيح مسلم أنه - صلى الله عليه
وسلم - أعطاه مائة من الغنم ، ثم مائة ، ثم مائة ، قال محمد بن عمر^(١) : يقال إن
صفوان طاف مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتصفح الغنائم إذ مرَّ بِشُعْبٍ
مملوء إبلًا مِمَّا أَفَاءَ اللهُ به على رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوء ،
فأعْجَبَ صفوان وجعل ينظر إليه ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « أَعْجَبَكَ
هَذَا الشَّعْبُ يَا أَبَا وَهْب ؟ » قال : نعم . قال : « هو لك بما فيه » فقال صفوان :
أشهد أنك رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ما طابت بهذا نفسٌ أحدٍ قط إلا نبى .

طليق بن سفيان والد حكيم السابق .

العباس بن مرداس - بكسر الميم وسكون الراء وبالدال المهملة . قال ابن إسحاق :
أعطاه أبا عِرَ ، وقال محمد بن عمر وابن سعد : أربعا من الإبل فسَخَطَهَا .

وروى الإمام أحمد ، ومسلم ، والبيهقي عن رافع بن خُديج - رضى الله عنه - أن رسولَ
الله - صلى الله عليه وسلم - أعطى المؤلفَةَ قلوبهم من سَبْيِ حُنَيْن كل رجل منهم مائة

(١) انظر المغازي للواتدي ٣ : ٩٤٦ ويلاحظ أن المصنف لا يلتزم نص ما ذكره محمد بن عمر الواقدي بل إنه يقدم
ويؤخر في بعض الألفاظ مع الالتزام الشديد بالمعنى .

من الإبل ، فذكر الحديث فيه : وأعطى العباس بن مرداس دون المائة ، نقص من المائة ولم يبلغ به أولئك ، فأنشأ العباس بن مرداس يقول :

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ — سَيْدِ بَيْنَ عُمَيْيَّةَ وَالْأَقْرَعِ^(١)
فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُدْرَأَ^(٢) فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعْ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعُ

ب ٣١٣

ت ٥٤٥

فأنتم له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المائة ، ورواه البيهقي عن ابن إسحاق رحمه الله بلفظ : فقال العباس بن مرداس يعاتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

كَانَتْ نِهَابًا تَلَا فَيْتُهَا — بِكَرَى عَلَى الْمُهْرِ فِي الْأَجْرَعِ^(٣)
وَأَيْقَاطِي الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُدُوا إِذَا أَهْجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعْ
فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعُبَيْدِ — سَيْدِ بَيْنَ عُمَيْيَّةَ وَالْأَقْرَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَاتُ دُرٍّ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعْ
وَالْأَفَائِلُ أُعْطِيَتْهَا عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَرْبَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعُ

فبلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاه وقال : أنتَ القاتلُ فأصبحَ نهبي ، ونهْبُ العُبَيْدِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُمَيْيَّةَ ؟ فقال أبو بكر الصديق : - رضى الله عنه - بأبي أنت وأُمِّي لم يقل كذلك ، ولا والله ما أنت بشاعر ، وما ينبغي لك ، وما أنت براوية . قال : « فكيف قال » ؟ فأنشده أبو بكر - رضى الله عنه - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم « اقطعوا عني لسانه » ففزع منها ناس ، وقالوا : أمر بالعباس بن مرداس أن

(١) انظر القصيدة في المغازي للواقدي ٣ : ٩٤٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٣ : ٦٨ ، وسيرة النبي لابن هشام ٣ : ١٠٩ ، وشرح المواهب للزرقاني ٣ : ٣٧ .
(٢) ذاتدرا : أى ذا دفع (هامش الواقدي ٣ : ٩٤٧) .
(٣) الأجرع : (المكان السهل) هامش المغازي للواقدي ٣ : ٤٦ وعبرة الواقدي « بكرى على القوم . . . » .

يُمَثِّلُ بِهِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِقَوْلِهِ : « أَقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ »
أَيَّ يَقْطَعُوهُ بِالْعَطِيَّةِ مِنَ الشَّاءِ وَالْغَنَمِ .

عبد الرحمن بن يربوع الثَّقَفِيُّ .

عثمان بن وهب المخزومي أعطاه خمسين .

عدي بن قيس بن حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ أعطاه خمسين .

عكرمة بن عامر العَدْرِيُّ .

عكرمة بن أبي جهل .

عمرو بن هشام ، نقله في النور عن بعض مشايخه عن ابن التين .

علقمة بن عُلاَثَةَ - بضم العين والتخفيف ، وبالثاء المثلثة - بن عوف - بالفاء .

عمرو بن الأَهم - بالفوقية .

عَمْرُو بن بَعَكَك - بموحدة ، فعين مهملة ، فكافين ، وزن جَعْفَر ، أبو السَّنَابِل -

جمع سُنبِلَة

عَمْرُو بن مِرْدَاس السُّلَمِيِّ أَخُو عَبَّاس .

عُمَيْر - بضم أوله ، وفتح الميم ، وسكون التحتية - بن وَدَقَةَ - بفتح الواو والدال

المهملة .

عُمَيْر بن وَهَبِ الْجَمْعِيِّ ، أعطاهُ خَمْسِينَ .

العَلَاءُ بن جَارِيَةَ - بالجيم والتهنية - الثَّقَفِيُّ أعطاه خمسين . وقال ابن إسحاق :

مائة .

عُيَيْنَةَ - بضم العين المهملة ، وكسرهما ، وفتح التحتية الأولى - بن حُضْنٍ - بكسر

الحاء ، وبالضاد المهملتين وبالنون - الْفَزَارِيُّ ، أعطاه مائة .

قَيْس بن عَدِي السَّهْمِيُّ / ، أعطاه مائة كذا ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر . ١٣١٤

وقال بعضهم : صوابه عَدِيُّ بنُ قَيْسٍ - على العكس - وَقَالَ الْحَافِظُ : هُمَا وَاحِدٌ

فَانْقَلَبَ ، أَمْ اثْنَانِ ؟ قلت : وَهُوَ الظَّنُّ ؛ لِاتِّفَاقِ ابْنِ إِسْحَاقَ وَالْوَاقِدِيِّ عَلَى ذَلِكَ .

قَيْسُ بْنُ مَخْرَمَةَ - بفتح الميم ، وسُكُونُ الخاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَفَتْحُ الرَّاءِ ، والميم -
ابن الْمُطَّلِبِ بن عبد مَنَافٍ .

كَعْبُ بْنُ الْأَخْنَسِ ، نقله في النُّور عَنْ بعض مشايخه ، ثم قَالَ : وَلَا أَعْرِفُهُ أَنَا .
قلت : لَا ذِكْرَتهِ فِي التَّجْرِيدِ ، وَلَا فِي الإِصَابَةِ .

لَبِيد - بوزنِ أَمِيرٍ - بن رَبِيعَةَ العامِرِيِّ .
مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ بِالْفَاءِ - النَّصْرِيُّ بِالنُّونِ ، وَالصَّادُ الْمُهْمَلَةُ - رَأْسُ هَوَازِنَ ، أَعْطَاهُ
مائة .

مَخْرَمَةَ - بَفَتْحِ الميم ، وَالرَّاءِ ، وسُكُونُ الخاءِ الْمُعْجَمَةِ بَيْنَهُمَا - بن نوفل الزهري ،
أعطاه خمسين .

مطيع بن الأسود القرشي العدوي .

معاوية بن أبي سفيان

أبو سفيان صخر بن حرب ، أعطاه مائة من الإبل وأربعين أوقية فضة .

الغيرة بن الحارث أبو سفيان / القرشي الهاشمي .

٥٤٦

النَّضِيرُ - بالضاد المعجمة والتصغير - بن الحرث بن علقمة ، أعطاه مائة من الإبل .
نوفل بن معاوية الكناني .

هشام بن عمرو القرشي العامري أعطاه خمسين .

هشام بن الوليد المخزومي .

يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب ، أعطاه مائة بغير وأربعين أوقية .

أبو الجهم بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي .

أبو السنابل ، اسمه عمرو ، تقدم .

فهؤلاء بضع وخمسون رجلا لملك لا تجدهم مجموعين محررين هكذا في كتاب
غير هذا الكتاب والله الموفق للصواب .

وروى البخارى عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال : كنت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة^(١) - ومعه بلال - فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعرابى فقال : ألا تُنجزنى ما وعدتنى ؟ فقال له : « أبشِرْ » فقال : قد أكثرت على من البشر . فأقبل على أبى موسى وبلال كهيئة الغضببان فقال : « ردَّ البشرى فاقبلا أنما ، قالا قبلنا » ثم دعا بقدر فغسل يديه ووجهه ، ومعج فيه ، ثم قال : « اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما ، وأبشرا » فأخذوا القدر ففعلوا ، فنادت أم سلمة من وراء الستر : أن أفضلا لأكما ، فأفضلا منه طائفة .

قالوا : ثم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيد بن ثابت بإحضار الناس والغنائم ، ثم فضَّها^(٢) على الناس فكانت سهامهم ، لكل رجل أربع من الإبل أو أربعون شاة ، فإن كان فارسا أخذ اثنتى عشرة من الإبل أو عشرين ومائة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس واحد لم يسهم له .

ذكر بيان الحكمة في اعطائه - صلى الله عليه وسلم - اقواما من غنائم حنين ومنعه آخرين

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، أن قائلاً قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أصحابه ، قال محمد بن عمر : هو سعد بن أبى وقاص : يا رسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس مائة ، وترك جعيل بن سراقه الضمرى ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أما الذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، ولكنى تالفتهم ليسلما ، وكلت جعيل بن سراقه إلى إسلامه » .

وروى البخارى عن سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - قال : أعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رهطاً وأنا جالس فترك منهم رجلاً هو أعجبهم إلى ، فقامت

(١) كذا فى الأصول ، وسوف يشير المصنف فى شرح التريب إلى أن الصواب « بين مكة والطائف » .

(٢) فى « فرقها » .

فقلتُ : مالك عن فلان والله إننى لأراه مؤمناً ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
« أو مُسْلِماً » ذكر ذلك ثلاثاً ، وأجابه بمثل ذلك ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه عليه وسلم - :
« إننى لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةً أَنْ يَكْبَهُهُ اللَّهُ - تعالى - في النَّارِ
على وجهه » .

وروى البخارى عن عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قوماً ومنع آخرين فكأنهم عتَبوا عليه فقال : « إني أُعْطِي أَقْوَاماً أَخَافُ هَلَعَهُمْ وَجَزَعَهُمْ ،
وَأَكِلُ أَقْوَاماً إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ - تعالى - في قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَبِيرِ وَالْغِنَى ، مِنْهُمْ عَمْرُو
ابن تَغْلَبِ » .

قال عمرو : فما أَحْبَبْتُ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - حُمْرُ

٥٤٧ هـ النعم / .

ذكر عتب جماعة من الأنصار على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين
أعطى قريشاً ولم يعط الأنصار شيئاً وجمعه إياهم واستعطافه لهم

روى ابن إسحاق ، والإمام أحمد عن أبي سعيد الخُدْري ، والإمام أحمد ، والشيخان
من طريق أنس بن مالك ، والشيخان عن عبد الله بن يزيد بن عاصم - رضى الله عنهم -
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَصَابَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ ، وَقَسَمَ لِلْمُتَأَلِّفِينَ مِنْ قُرَيْشٍ
وسائر العرب ما قسم ، وفي رواية : طَفِقَ يُعْطِي رَجُلًا مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي
الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، فَوَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى كَثُرَ
١٣١٥ فِيهِمْ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ : يَغْفِرُ اللَّهُ - تعالى - لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - / -
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَجَبُ يُعْطَى قُرَيْشًا ، وَفِي لَفْظِ الطَّلَقَاءِ وَالْمُهَاجِرِينَ ، وَيَتْرَكُنَا وَسَيُوفُنَا
تقطر من دمائهم ، إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويُعطى الغنيمة غيرنا ، ودِدْنَا أَنَا نعلم
من كان هذا ، فإن كان مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى صَبَرْنَا ، وَإِنْ كَانَ مِنْ رَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -
استعْتَبْنَاهُ .

وفي حديث أبي سعيد : فقال رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لِأَصْحَابِهِ : لقد كنت أحدثكم أن
لو استقامت الأمور لقد آثر عليكم . فَرَدُّوا عَلَيْهِ رَدًّا عَنيفًا . قال أنس : فحدث رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - بمقاتلتهم ، وقال أبو سعيد : فمشى سعد بن عبادَةَ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله : إِنَّ هذا الْحَيَّ قد وَجَدُوا عليك في أَنْفُسِهِمْ . قال : « فِيمَ » قال : فيما كان من قَسَمِكَ هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ » ؟ قال : ما أنا إِلَّا امرؤ من قَوْمِي ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة ، وفي لَفْظٍ في هذه القُبَّة ، فإذا اجتمعوا فأعلمني ، فخرج سعدٌ يصرخ فيهم حتَّى جَمَعَهُمْ في تلك الحظيرة .

وقال أنس : فَأَرْسَلَ إلى الْأَنْصَارِ فجمعهم في قُبَّة من أدم ولم يَدْخُ غيرهم ، فجاء رِجَالُ من المهاجرين فأذن لهم فيهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، حتَّى إذا لم يَبْقَ أَحَدٌ من الْأَنْصَارِ إِلَّا اجْتَمَعَ لَهُ . أَتَاهُ^(١) فقال يا رسول الله : قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الْأَنْصَارِ ، حيث أَمَرْتَنِي أَنْ أَجْمَعَهُمْ ، فخرج رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ » ؟ قالوا : لا يا رسول الله إِلَّا ابْنُ أُخْتِنَا ، قال : « ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ » فقام رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ آتِيكُمْ ضُلَّالًا فَهَذَا كُمْ الله - تعالى - وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ الله ، وَأَعْدَاءَ فَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، وفي رواية « مُتَفَرِّقِينَ فَالْفَكُمْ الله ؟ - قالوا : بَلَى يَا رَسُولَ الله ؛ الله ورسوله أَمَنٌ وَأَفْضَلُ .

وفي رواية قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « أَلَا تُجِيبُونَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؟ » قالوا : وَمَا نَقُولُ يَا رَسُولَ الله ؟ وَمَاذَا نُجِيبُكَ ؟ أَلَمْ يَأْتِ الله - تعالى - وَلِرَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : « وَالله لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ وَصُدَّقْتُمْ ، جِئْتَنَا طَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَأَسَيْنَاكَ ، وَخَائِفًا فَأَمْنَّاكَ ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ ، وَمُكَذِّبًا فَصَدَّقْنَاكَ » فَقَالُوا : أَلَمْ يَأْتِ الله - تعالى - وَلِرَسُولِهِ / وَلِرَسُولِهِ ؟ فقال : وَمَا حَدِيثٌ بَلَّغْنِي عَنْكُمْ ؟ « فَسَكُّتُوا ، ح ٥٤٨ فَقَالَ : مَا حَدِيثٌ بَلَّغْنِي عَنْكُمْ ؟ فَقَالَ فَقَهَاءُ الْأَنْصَارِ : أَمَّا رُؤُسَاؤُنَا فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا ، ٣١٥ وَأَمَّا أَنْاسٌ مِنَّا حَدِيثُهُ أَسْنَانُهُمْ قَالُوا يَغْفِرُ الله - تعالى - لِرَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم -

(١) يعنى سعد بن عبادَةَ رضى الله عنه .

وَسَلَّمَ - يُعْطَى قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا ، وَسَيُوفُنَا نَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ !! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِنِّي لَأُعْطَى رَجُلًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ لَاتَأْلَفُهُمْ بِذَلِكَ » .

وفي روايةٍ إِنَّ قُرَيْشًا حَدِيثُوا عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْبِرَهُمْ وَأَتَأْلَفَهُمْ ، أَوْجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لَعَاةٍ^(١) مِنَ الدُّنْيَا تَأْلَفْتُ بِهَا قَوْمًا أَسْلَمُوا ، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى مَا قَسَمَ اللَّهُ - تعالى - لَكُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ إِلَى رِحَالِهِمْ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى رِحَالِكُمْ تَحُوزُونَهُ إِلَى يَبُوتِكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَمَنْ تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ سَلَكَوا شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ » .

وفي روايةٍ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا - أَنْتُمْ الشُّعَارُ وَالنَّاسُ دِثَارٌ ، الْأَنْصَارُ كَرِيشٌ وَعَيْبَتِي ، وَلَوْلَا أَنَّهَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، اللَّهُمَّ أَرْحَمِ الْأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ » فبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهِمَ ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ حَظًّا وَقِسْمًا .

وذكر محمد بن عمر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَرَادَ حِينَ إِذْ دَعَاهُمْ أَنْ يَكْتُبَ بِالْبَحْرَيْنِ يَكُونُ لَهُمْ خَاصَّةٌ بَعْدَهُ دُونَ النَّاسِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَفْضَلُ مَا فَتَحَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ ، فَقَالُوا : لَا حَاجَةَ لَنَا بِالْدُّنْيَا بَعْدَكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِنكُمْ سَتَجِدُونَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ » وَكَانَ حَسَانُ ابْنِ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَبْلَ جَمْعِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْأَنْصَارِ^(٢) .

زَادَ الْهُمُومَ فَمَاءُ الْعَيْنِ مُنَحَلِرٌ سَحًا إِذَا حَفَلَتْهُ عِبْرَةٌ دِرَرٌ
وَجَدَاً بِشِمَاءٍ إِذْ شِمَاءٌ بِهَكْنَةٍ^(٣) هَيْفَاءٌ لَادَنْزٍ^(٤) فِيهَا وَلَا خَوْرٌ

(١) اللعاعة : بقلة خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها (سيرة النبي لابن هشام ٣ : ١١٤) . وستردي في شرح الغريب .

(٢) وانظر القصيدة في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٤٩٧ (٣ : ١١٢) . والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٣٦١ وشرح المواهب ٣ : ٣٨ : وديوان حسان بن ثابت .

(٣) البهكنة : كثيرة اللحم (سيرة النبي لابن هشام ٣ : ١١٢) .

(٤) الذنن : القدر ، وتروى الذنن بمعنى غثور الصدر وقطامته ، وتروى ولا دنس (اللسان - ذن ن)

دع عنك شَمَاءَ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتَهَا
وَأَتَتْ الرِّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمِنٍ
عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَازِحَةٌ
سَمَّاهُمُ اللَّهُ أَنْصَاراً بِنَصْرِهِمْ
وَسَارِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَضُوا
وَالنَّاسُ إِلْبُ عَلَيْنَا فَيَكُ لَنَا
نَجَالِدُ النَّاسِ لَا نُبْقَى عَلَى أَحَدٍ
وَلَا تَهْرُجُ جُنَاةُ الْحَرْبِ نَادِيَنَا
كَمَا رَدَدْنَا بِبَدْرٍ - دُونَ مَا طَلَبُوا -
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النِّعْفِ مِنْ أَحَدٍ
فَمَا وَتَيْنَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا

نَزَرَا وَشَرُّ وَصَالِ الْوَاصِلِ النَّذِيرُ
لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُسِدُّ الْبَشْرِ
قَدَامَ قَوْمٍ هُمُومَا أَوْوَا وَهُمْ نَصَرُوا
دِينَ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ^(١) تَسْتَعِيرُ
لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجَرُوا
إِلَّا السِّیُوفُ وَأَطْرَافُ الْقَنَا وَزُرُ
وَلَا نَضْیِيعُ مَا تُوْحَى بِهِ السُّورُ
وَنَحْنُ حِينَ تَلْظَى نَارَهَا سَعْرُ
أَهْلِ النَّفَاقِ فَفِينَا يَنْزِلُ الظُّفَرُ
إِذْ حَزَبَتْ بَطْرًا أَحْزَابَهَا مُضْعَرُ
مَنَا عِشَارًا وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا

**نكر اعتراض بعض الجهلة من اهل الشقاق والنفاق على رسول الله
صلى الله عليه وسلم - في القسمة العادلة ، وما وقع في ذلك من الآيات**

روى الشيخان والبيهقي عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : لما قسم رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - لنا هوازن يوم حنين أثر أناسا من / أشرف العرب ، قال رجل^{٥٤٩}
من الأنصار : هذه قسمة ما عدل فيها ، وما أريد فيها وجهه الله ، فقلت : والله لأخبرن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته ، فتغير وجهه حتى صار كالصُرف وقال :
« فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ، رحمة الله على موسى قد أودى بأكثر من هذا
فصبر » .

الرجل المُبْهَمُ : قال محمد بن عمر هو مُعْتَب بن قُشَيْر .

قصة أخرى : روى ابن إسحاق عن ابن عمر ، والإمام والشيخان عن جابر ، والشيخان
والبيهقي عن أبي سعيد - رضى الله عنهم - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينا
هو يقسم غنائم هوازن إذ قام إليه رجل - قال ابن عمر وأبو سعيد : من تميم يقال

(١) العوان : الحرب التي قوتل فيها المرة بعد المرة (السان) .

له ذو الخُوَيْصِرَةِ ، فوقف عليه وهو يعطى الناس فقال : يا محمد قد رأيتُ ما صَنَعْتَ في هذا اليوم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أَجَلٌ ، فَكَيْفَ رَأَيْتَ ؟ » قال : لم أَرَكَ عَدَلْتَ ، اعدل . فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : « شَقِيتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ، وَيَحْكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ الْعَدْلُ عِنْدِي فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دَعْنِي أَقْتُلْ هَذَا الْمُنَافِقَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي ، دَعُوهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يُنْظَرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ فِي الْقِدْحِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ فِي الْفُوقِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، وَفِي لَفْظٍ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَصِيبِهِ وَهُوَ قِدْحُهُ ، فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قَذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثُ وَالْدَّمُ يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ » ولفظ رواية جابر : « إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَعُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، آتَيْتُهُمْ أَنْ فِيهِمْ رَجُلًا أَسْوَدَ ، إِحْدَى عَصْدِيَّةٍ مِثْلَ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ ، أَوْ مِثْلَ الْبَضْعَةِ تَدْرَدَرُ ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ » وفي رواية « عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ » .

قال أبو سعيد : فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ ، وَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلَ فَالْتُمِسَ حَتَّى أَتَى بِهِ ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي نَعْتُ .

ذكر قدوم مالك بن عوف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن ذكر معه

قالوا^(١) : وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لوفد هوازن : « مَا فَعَلَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ » قالوا يا رسول الله : هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أَخْبِرُوهُ أَنَّهُ إِنْ أَتَانِي مُسْلِمًا رَدَدْتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، وَأَعْطَيْتُهُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ » وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أَمَرَ بِحَبْسِ أَهْلِ مَالِكِ بِمَكَّةَ عِنْدَ عَمَتِهِمْ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتِ أَبِي أُمِيَّةٍ ، فقال الوفد : يا رسول الله - أولئك سادتنا

(١) أى أهل المغازى والسير ، وانظر المغازى للواقدي ٣ : ٩٥٤ . وما هنا موافق له . وكذلك انظر سيرة النبي لابن

هشام ٢ : ٣٠٧ وعليها الروض الأنف ط الجاهلية سنة ١٩١٤ م .

وأحبنا^(١) ، إلينا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إِنَّمَا أُرِيدُ بِهِمُ الْخَيْرَ »
فوقف مال مالك فلم يجر فيه السهام ، فلما بلغ مالكا ما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وسلم - في قومه وما وعده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن أهله وماله موفور^(٢)
وقد خاف مالك ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له / ، ٥٥٠
ما قال ، فيحبسونه ، فأمر بإرجاعه فقدّمت له حتى وضعت لديه بدخنا ، وأمر بفرس
له فأُتيَ به ليلاً فخرج من الحصن فجلس على فرسه ليلاً ، فركضه حتى أتى دحناً
فركب بغيره حتى لحق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأدركه بالجعرانة - أو بمكة -
فردّ عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل وأسلم
فحسن إسلامه ، فقال مالك حين أسلم :

ما إِن رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ فِي النَّاسِ كُلُّهُمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا احْتَلَى وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرُكَ عَمَّا فِي غَدٍ
وَإِذَا الْكُتَيْبَةُ عَرَدَتْ^(٣) أَنْيَابُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ^(٤) وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنْدٍ
فَكَانَهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَهِهِ^(٥) وَسَطُ الْهَبَاءِ^(٥) خَادِرٌ فِي مَرَصِدٍ

فاستعمله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على من أسلم من قومه ، ومن تلك^(٦) القبائل
من هوازن وفهم وسلمة وثمالة . وكان قد ضوى إليه قوم مسلمون ، واعتقد له لواء ،
فكان يقاتل بهم / من كان على الشرك ويغير بهم على ثقيف فيقاتلهم بهم ؛ ولا يخرج^{١٣١٧}
لثقيف سرح إلا أغار عليه ، وقد رجع [حين رجع^(٧)] - وقد سرح الناس مواشيهم
وأمنوا - فيما يرون^(٨) - حين انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنهم ، وكان

(١) في المغازي للواقدي ٣ : ٩٥٥ « وأحبنا إلينا » .

(٢) في المرجع السابق « موقوف » .

(٣) عردت : عوجت هامش المرجع السابق .

(٤) في المرجع السابق « بالمشرف » .

(٥) الهباءة : الغبرة (هامش المغازي للواقدي ٣ : ٩٥٦) .

(٦) في المرجع السابق « ومن تلك القبائل حول الطائف » ٣ : ٩٥٥ .

(٧) الإضافة عن المرجع السابق . ٣ : ٩٥٥ .

(٨) في تاريخ الخميس ٢ : ١١٣ حتى ضيق عليهم . ولعل معنى ما هنا أن مالك بن عوف قد رجع عائداً من لدن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي أمنت فيه ثقيف وأخرجت سرحها اطمئناناً لانصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم عنهم فأخذ مالك في الإغارة عليهم وعلى أموالهم .

لا يقدر على سَرْحٍ إلا أخذه ، ولا على رَجُلٍ إلا قتلته ، وكان يَبْعَثُ إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - بالخُمُسِ مما يَغْنَمُ ، مرة مائة بَعِيرٍ ، ومرة ألفَ شاةٍ ، ولقد أَغار على سرح لأهل الطائف فاستاق لهم ألفَ شاةٍ في غداةٍ واحدةٍ .

نكر مجيء أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبيه وأخيه من الرضاعة

روى أبو داود ، وأبو يعلى ، والبيهقي ، عن أبي الطفيل - رضى الله عنه - قال : كنتُ غلاماً أحمل نضو البعير ورأيت رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقيم بالجِعرانة وأمرأة بدوية ، فلما دنت من النبي - صلى الله عليه وسلم - بسط لها رِداءه فجلست عليه ، ١٢١٧ فقلت : من هذه ؟ فقالوا : أمه التي أرضعته .

وروى أبو داود في المراسيل عن عمر بن السائب - رحمه الله تعالى - قال : كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - جالسا يوما ، فجاء أبوه من الرضاعة فوضع له بغض ثوبه فقعدَ عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شِقَّ ثوبه من جانبه الآخر [فجلست عليه]^(١) ثم جاء أخوه من الرضاعة فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأجلسه بين يديه .

نكر رجوع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة

قال محمد بن عمر وابن سعد : انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الجِعرانة ليلة الخميس لخمسِ ليالٍ خلون من ذى القعدة ، فأقام بالجِعرانة ثلاث عشرة ليلة ، وأمر ببقايا السبي^(٢) فحبس بمجنّة بناحية مَرَّ الظهران . قال في « البداية » والظاهر أنه - صلى الله عليه وسلم - إنما استَبَقَى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة : فلما أراد الأنصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلا ، فأحرم بعمره من المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعلوة القصوى ، ودخل مكة فطاف وسعى ماشيا ، وحلق ورجع إلى الجِعرانة من

(١) الإضافة عن البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٦٤ .

(٢) كذا بالأصول وفي البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٦٨ « وأمر ببقايا النوء » وكذلك بتاريخ الخميس ٢ : ١١٧

ليته ، وكأنه كان بائناً بها ، وأستخلف عتّاب - بالمهملة وتشديد الفوقية وبالموحدة - ابن أسيد بالدّال - كأمبر - على مكة - وكان عمره حينئذ نيفاً وعشرين سنة - وخلف ٥٥١ ت معه معاذ بن جبل - زاد محمد بن عمر والحاكم : وأبا موسى الأشعري - رضى الله عنهم - يَعْلَمَانِ النَّاسَ الْقُرْآنَ وَالْفِقْهَ فِي الدِّينِ ، وذكر عروة بن عُقَيْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى ٣٠٧ ب الله عليه وسلم - خلف عتّاباً ومعاذاً بمكة قبل خروجه إلى هوازن ، ثم خلفهما حين رجع إلى المدينة .

قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم - رحمه الله تعالى - أنه قال : لَمَّا أَسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عتّاباً على مكة رَزَقَهُ كُلَّ يَوْمٍ دَرَاهِمًا ، فقام فخطب الناس فقال : « أيها الناس ، أجاج الله كبد من جاع على درهم !! فقد رزقني رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - درهماً كل يوم ، فليست لي حاجة إلى أحد » . قلتُ : ترجمته وبعض محاسنه في تراجم الأمراء .

قال محمد بن عمر وابن سعد : فلما فرغ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من أمره غدا يوم الخميس راجعاً إلى المدينة ، فسلك في وادي الجِعْرَانَةِ ، حتى خرج على سَرَفٍ ، ثم أخذ في الطريق إلى مَرِّ الظُّهْرَانِ ، ثم إلى المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة - فيما زعمه - أبو عمرو المدني .

قال أبو عمرو : وكانت مدة غيبته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من حين خرج من المدينة إلى مكة فافتتحها ، وواقع هوازن ، وحارب أهل الطائف إلى أن رجع إلى المدينة شهرين وستة عشر يوماً .

فكر بعض ما قيل في هذه الغزوة

قال بُجَيْرٌ^(١) بن زهير بن أبي سلمى - بضم أوائل الثلاثة - رضى الله عنه - يذكر حيناً والطائف :

(١) هو بجير بن زهير بن أبي سلمى واسم أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرة ابن الأصم بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار - وسلمى بضم السين وليس في العرب كلمة بضم السين غيرة .

(الأغاني ١٠ : ٢٨٨ ، ٣١٤ ط دار الكتب)

كَانَتْ عَلَاكَةً يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنٍ
جَمَعَتْ بِإِغْوَاءِ هَوَازِنُ جَمْعَهَا
لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَامًا وَاحِدًا
وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لِكَيْمًا يَخْرُجُوا
تَرْتَدُّ حَسْرَانًا إِلَى رَجْرَاجَةٍ
مَلُومَةٌ خَضِرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا
مَشَى الضَّرَاءُ عَلَى الْهَرَّاسِ كَأَنَّا
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَحْضَنْتْ
جُدُلُ تَمَسُّ فُضُولُهُنَّ نِعَالَنَا

وَعَدَاةَ أَوَطَاسٍ وَيَوْمَ الْأَبْرَقِ^(١)
فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِرِ الْمُتَمَزِّقِ
إِلَّا جِدَارَهُمْ وَبَطْنَ الْحَنْدَقِ
فَتَحَصَّنُوا^(٢) مِنَّا بِبَابٍ مُغْلَقِ
شَهْبَاءَ تَلَمَعَ بِالْمَنَآيَا فَيْلَقِ
حِصْنًا^(٣) لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقِ
قُلُرُ تَفَرَّقُ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقِي
كَالْتَهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَقِّقِ
مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ وَآلِ مُحَرِّقِ

وقال كعب بن مالك - رضى الله عنه - في مسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

إلى الطائف :

قَضَيْنَا مِنْ نِهَامَةٍ كُلِّ رَبِيبٍ
نُخْبِرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ
فَلَسْتُ بِحَاضِنٍ^(١) إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
وَنَنْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ
وَيَأْتِيَكُم لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ
بَأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٍ
كَأَمْثَالِ الْعَقَانِي أَخْلَفَتْهَا
تَخَالُ جَدِيَّةُ الْأَبْطَالِ فِيهَا
أَجْدُهُمُ الْبَيْسَ لَهُمْ نَصِيحُ
يُخْبِرُهُمْ بِأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا

وَحَيْبَرٌ ثُمَّ أَجْمَعْنَا السُّيُوفَا
قَوَاطِئُهُنَّ دَوْمًا أَوْ ثَقِيْفَا
بِسَاحَةِ دَارِكُم مِّنَّا أُلُوفَا
وَتَصْبِحُ دُورُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفَا
لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا
يُزِدُنَ الْمُضْطَلِّينَ بِهَا الْحُتُوفَا
قِيُونُ الْهِنْدِ لَمْ تَضْرِبْ كَثِيفَا
عَدَاةَ الرَّحْفِ جَادِيًا مَلُوفَا
مِنَ الْأَقْوَامِ كَانَ بَنًا عَرِيفَا
عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالنُّجْبِ الطُّرُوفَا

٩٣١٨

(١) وانظر القصيدة في البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥١ ، وسيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣٠٥ .

(٢) كذا في الأصول وفي شرح الغريب ص ٨٤٤ وفي سيرة النبي لابن كثير ٣ : ٦٦٤ « حصن » .

(٣) وانظر القصيدة في البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، وسيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣٠٢ ط

الجمالية سنة ١٩١٤ م .

وَأَنَا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَخْفٍ
رئيسَهُمُ النَّبِيُّ^١ وَكَانَ صُلْبًا
رَشِيدَ الْأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ
نَطِيعُ نَبِيِّنَا وَنَطِيعُ رَبِّنَا
فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السَّلْمَ نَقْبَلْ
وَلِنْ تَأْبُوا نُجَاهِدَكُمْ وَنُضَيِّرْ
نُجَالِدُ مَا بَقَيْنَا أَوْ تُنِيبُوا
نُجَاهِدُ لَا نُبَالِي مَنْ لَقِينَا
وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلْبُوا عَلَيْنَا
أَتُونَا لَا يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءً
يَكُلُّ مَهْنَدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ
لَأْمُرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى
وَنُفْنِي اللَّاتِ وَالْعُزَى وَوَدًّا
فَأَمْسُوا قَدْ أَقْرُوا وَأَطْمَأَنَّنُوا
يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمْ صَفُوفًا
نَقَى الْقَلْبِ مُضْطَبَّرًا عَزُوفًا
وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزَقًا خَفِيفًا
هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَعُوفًا /
وَنَجْعَلُكُمْ لَنَا عَضُدًا وَرِيفًا
وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعْشًا ضَعِيفًا
إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْ عَانَا مُضِيفًا
أَأَهْلَكْنَا التَّلَادَ أَمْ الطَّرِيفَا
صَمِيمِ الْجَدْمِ مِنْهُمْ وَالْحَلِيفَا
فَجَدَّعْنَا الْمَسَامِعَ وَالْأَنْوَفَا
نَسُوقُهُمْ بِهَا سَوْفَا عَنِيفَا
يَقُومَ الدِّينُ مَعْتَدَلًا حَنِيفَا
وَنَسْلِبُهَا الْقَلَائِدَ وَالشُّنُوفَا
وَمَنْ لَا يَمْتَنِعُ يَقْبَلُ خُسُوفَا

تَنْبِيهَاتٌ

الاول : الطائف : بلد كثير الأعناب والنخيل، على ثلاث مراحل من مكة من جهة المشرق، قال في القاموس : سُمِّيَ بذلك لأنه طاف بها^(١) في الطوفان ، أو لأن جبريل - صلى الله عليه وسلم - طاف بها على البيت ، أو لأنها كانت بالشام فنقلها الله تعالى إلى الحجاز بدعوة إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - أو لأن رجلا من الصدق^(٢) أصاب دما بحضرموت

(١) في شرح المواهب : ٣ : ٢٨ « لأنه طاف على الماء في الطوفان » .

(٢) الصدق : بطن من كنده ينسبون إلى حضرموت . (القاموس) .

فَفَرَّ إِلَى وَجْ ، وَحَالَفَ مَسْعُودَ بْنَ مُعْتَبٍ ، وَكَانَ مَعَهُ مَالٌ عَظِيمٌ ، فَقَالَ : هَلْ لَكُمْ أَنْ أُنَبِّئَ لَكُمْ طَوْفًا عَلَيْكُمْ يَكُونُ لَكُمْ رِذْءًا مِنَ الْعَرَبِ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ . فَبَنَاهُ بِمَالِهِ وَهُوَ الْحَائِطُ الْمَطِيفُ بِهِ .

٣١٨ ب **الثاني :** اقتضت حكمة الله تعالى - / تأخير فتح الطائف في ذلك العام لئلا يستأصلوا أهله قتلا ، لأنه تقدّم في باب سفره إلى الطائف أنه - صلى الله عليه وسلم - لما خرج إلى الطائف دعاهم إلى الله - تعالى - وأن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه تبارك وتعالى ، وذلك بعد موت عمه أبي طالب . فردّوا عليه ردّا عنيفا ، وكذبوه ورموه بالحجارة حتّى أدموا رجليّيه ، فرجع رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - مهتمّوما فلم يستفّق من [همومه] ^(١) إلا عند قرن الثعالب ^(٢) فإذا هو بغمامة وإذا فيها جبريل - صلى الله عليه وسلم - ومعه ملكُ الجبال - صلى الله عليه وسلم - فناداه ملكُ الجبال ، فقال : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ - تعالى - يُقَرِّئُكَ السَّلَامَ ، وقد سمعَ قولة قومك وما ردّوا عليك فإن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين فعَلْتُ » ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - « بل أَسْتَأْنِي بِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ - تعالى - وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » فناسب قوله : بل أَسْتَأْنِي بِهِمْ أَنْ لَا يَفْتَحَ حَصَنَهُمْ لثَلَا يَقْتُلُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَأَنْ يُؤَخَّرَ الْفَتْحَ لِيَقْدُمُوا بِعِذَلِكَ مُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ كَمَا سَيَأْتِي فِي الْوَفُودِ .

الثالث : لما منع الله سبحانه وتعالى - الجيشَ غنائم مكة فلم يغنموا منها ذهابا ولا فضة ولا متاعا ولا سببيا ولا أرضا ، وكانوا قد فتحوها بأنجابه الخيل والركاب ، وهم عشرة آلاف وفيهم حاجة إلى ما يحتاجه الجيش من أسباب القوة ، حرّك الله - سبحانه وتعالى - قلوبَ المشركين في هوازن لحربهم ، وقذف في قلب كبيرهم مالك ابن عوف إخراج أموالهم ونعيمهم وشبابهم وشيبيهم معهم نزلا وكرامة وضيافة لحرب ٥٥٣ ت الله - تعالى - وجنده ، وتَمَّ تقديره تعالى بأن أطمعهم في الظفر ، وألاح لهم مبادئ / النصر ليقضى الله أمراً كَانَ مَفْعُولًا . ولو لم يكن يقذفُ الله - تعالى - في قلب رئيسهم

(١) بياض في الأصول ولعل الصواب ما أثبتته . وفي شرح المواهب ١ : ٢٩٨ « فلم استفق مما أنا فيه من الهم » .
(٢) قرن الثعالب : تلقاء مكة على يوم وليلة منها ، ويقال له قرن المنازل ، وأصله الجبل الصغير المستطيل المنتقطع عن الجبل الكبير ، وقرن الثعالب ميقات الإحرام بالحج لأهل نجد . (شرح المواهب ١ : ٢٩٩) .

مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ سَوَقَهُمْ مَعَهُمْ هُوَ الصَّوَابُ لَكَانَ الرَّأْيُ مَا أَشَارَ بِهِ دُرَيْدٌ ، فَخَالَفَهُ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَصْيِيرِهِمْ غَنِيمَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى نَصْرَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَأَوَّلِيَانِهِ وَرُدَّتِ الْغَنَائِمُ لِأَهْلِهَا وَجَرَتْ فِيهَا سَهَامُ اللَّهِ - تَعَالَى - وَرَسُولِهِ ، قِيلَ لَا حَاجَةَ لَنَا فِي دِمَائِكُمْ وَلَا فِي نَسَائِكُمْ وَذُرَارِيكُمْ ، فَأَوْحَى اللَّهُ - تَعَالَى - إِلَى قُلُوبِهِمُ التَّوْبَةَ فَجَاءُوا مُسْلِمِينَ . فَقِيلَ مِنْ شُكْرَانِ إِسْلَامِكُمْ وَإِتْيَانِكُمْ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْكُمْ نَسَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَسَبْيُكُمْ ﴿ إِنَّ يَعْزِمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(١) ﴾

الرابع : اقتضت حكمة الله - تعالى - أن غنائم الكفار لما حصلت قُسمت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه من الطبع البشري من محبة المال ، فَقَسَمَهُ فِيهِمْ لِتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ ، وَتَجْتَمَعَ عَلَى مَحَبَّتِهِ ، لِأَنَّهَا جُبِلَتْ عَلَى حُبٍّ مِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا ، وَمَنْعَ أَهْلِ الْجِهَادِ مِنْ كِبَارِ الْمُجَاهِدِينَ وَرُؤَسَاءِ الْأَنْصَارِ مَعَ ظُهُورِ اسْتِحْقَاقِهِمْ لِجَمِيعِهَا ، لِأَنَّهُ لَوْ قَسَمَ ذَلِكَ فِيهِمْ لَكَانَ مَقْصُورًا عَلَيْهِمْ بِخِلَافِ قَسَمِهِ عَلَى الْمُؤَلَّفَةِ لِأَنَّ فِيهِ اسْتِجْلَابَ قُلُوبِ أَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْضَوْنَ إِذَا رَضِيَ رَئِيسُهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْعَطَاءُ سَبَبًا لِدُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَلِتَقْوِيَةِ قَلْبٍ مِنْ دَخَلَ إِلَيْهِ قَبْلُ ، تَبِعَهُمْ مَنْ دُونَهُمْ فِي الدُّخُولِ ، فَكَانَ ذَلِكَ مَصْلَحَةً عَظِيمَةً .

الخامس : ما وقع في قصة الأنصار ، اعتذر رؤسائهم بأن ذلك من بعض أتباعهم وأحداشهم ، وَلَمَّا شَرَحَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحِكْمَةِ فِيمَا صَنَعُوا رَجَعُوا مَذْعِنِينَ ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْغَنِيمَةَ الْعَظِيمَةَ : مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ عَوْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى بِلَادِهِمْ . فَسَلُّوا عَنِ الشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَالسَّبَايَا بِمَا حَازُوهُ مِنَ الْفُوزِ الْعَظِيمِ وَمَجَاوِرَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ حَيًّا وَمَيِّتًا ؛ وَهَذَا دَأْبُ الْحَكِيمِ يَعْطَى كُلَّ أَحَدٍ مَا يَنْسَابُ بِهِ .

السادس : رَتَّبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا مَنَّ اللَّهُ - تَعَالَى - بِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ النَّعَمِ تَرْتِيبًا بِالْغَا ، فَبَدَأَ بِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ الَّتِي لَا يُوَازِنُهَا شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ، وَتَنَى بِنِعْمَةِ الْأَمَانِ ^(٢) وَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَةِ الْمَالِ ، لِأَنَّ الْأَمْوَالَ قَدْ تُبَدَّلُ فِي تَحْصِيلِهَا

(١) سورة الأنفال آية ٧٠ .

(٢) في الأصول « الإيمان » ولعل الصواب ما أثبتناه .

وقد لا تحصل ، فقد كانت الأنصار في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بُعَاث وغيرها ، فزال ذلك بالإسلام كما قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِينَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) .

السابع : قوله - صلى الله عليه وسلم - « لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ » . قال الخطابي : أراد بهذا الكلام : تأليف الأنصار واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم ، حتى رضى أن يكون واحداً منهم لولا ما منعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها ونسبة الإنسان تقع على وجوه : الولادة والاعتقادية والبلادية والصناعية ، ولاشك أنه لم يُرَدِّ الانتقال عن نسب آبائه لأنه ممتنع قطعاً ، وأما الاعتقادية فلا معنى للانتقال عنه فلم يبق إلا التَّحْسِنُ الْأَخِيرَانِ ، كانت المدينة دار الأنصار والهجرة إليها أمراً واجباً ، أى لولا أن النسبة الهجرية لا يسغى تركها لا نتسبت إلى داركم .

وقال القرطبي : معناه لتسميت باسمكم وانتسبت إليكم لما كانوا يتناسبون بِالْجُلْفِ ، لكن خصوصية الهجرة وترتيبها سبقت فمُنعت ما سوى ذلك ، وهى أعلى وأشرف فلا تبدل بغيرها .

الثامن : قوله - صلى الله عليه وسلم - « لَسَلَكْتُ وَادِي الْأَنْصَارِ » أو « شِعْبَ الْأَنْصَارِ » أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهذا أو ما بعده التنبيه على جزيل ما حصل للأنصار من ثواب النَّصْرَةِ والقناعة بالله ورسوله عن الدنيا ، وَمِنْ هَذَا وَصَفُهُ فَحَقُّهُ أَنْ يُسَلَّكَ طَرِيقُهُ وَيَتَّبَعَ حَالُهُ . قال الخطابي : لما كانت العادات أن المرء يكون في نزوله وأرتحاله مع قَوْمِهِ - وأرض الحجاز كثيرة الأودية والشعاب - فإذا تفرقت في السفر الطرق سَلَكَ كُلُّ قَوْمٍ مِنْهُمْ وَادِيًا وَشِعْبًا ، فأراد أنه مع الأنصار قال : ويحتمل أن يريد بالوادي المذهب ، كما يقال فلان في وادٍ وأنا في وادٍ .

التاسع : في شرح غريب ما سبق :

الْقُلُ - بفتح الفاء وتشديد اللام : القَوْمُ المنهزمون .

رَمَوْا - بتشديد الميم المضمومة .

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

عُقيل - بضم العين .

السُّرْح - بفتح السين المهملة ، وسكون الراء : المال السائِم .

خَبَابِر - لغةٌ في خيبر ، وتقدم ذلك في غزوتها .

فَدَكْ - بفتح الفاء والدال المهملة - مكان ، قال ابن سعد : على ستة أميال من المدينة .

أوطاً هوازن : دخل أرضهم قَهراً .

لم يُعَرَّج عليه : لم يمل .

عُرُش - بضم العين والراء والشين المعجمة : جمع عريش .: بيوت مكة سُمِّيت بذلك لأنها كانت عيدانا تنصب ويُظَلَّل عليها .

عارض - بالعين المهملة والضاد المعجمة بينهما راء مكسورة .

هرقت - - بهاء مهملة فراء فقاق مفتوحات .

الهُدْرُ : الباطل الذي لا يُؤخذ بشأره .

يظعن - بالطاء المعجمة المشالة : يرحل .

نخلة - بلفظ واحدة النخل بالخاء المعجمة : موضع على ليلة من مكة .

قَرْن - بفتح القاف وسكون الراء ، وغَلَطُوا مَنْ فَتَحَهَا ، وهو قَرْنُ الثَّعَالِبِ والمنازل يبعد عن مكة نحو مرحلتين .

المليح - بالحاء المهملة والتصغير واد بالطائف .

بحرة بفتح الموحدة وسكون الحاء المهملة . وبالراء^(١) .

الرَّعَاء - براء مكسورة ، فعين مهملة ، فألف ممدودة : جمع راع .

لِيَّة : تقدم .

أَقَاد من القاتل : قتله بمقتوله .

(١) بحرة : هي بحرة الرغاء ؛ موضع في لية من ديار بني نصر (معجم ما استعجم للبكري ١٤٠) .

الاضيقه : ضد الواسعة .

نَحَب - بفتح النون وكسر الخاء المعجمة ، وقيل بسكونها ، فموحدة : واد بالطائف
قيل بينه وبينه ساعة .

الصادرة - بصاد ودال مهملتين بينهما ألف فراء فتاء موضع .

أبو رِغال - بكسر الراء وبالفين المعجمة واللام .

الْغُصْن - بضم الغين المعجمة : واحد الأغصان ، وهى أطراف الشجر ، والمراد به
هنا قضيب من ذهب .

* * *

شرح غريب ذكر محاصرته - صلى الله عليه وسلم - الطائف

وذكر بعثه - صلى الله عليه وسلم - مناديا ينادى :

من نزل من العبيد فهو حر

وذكر رميه - صلى الله عليه وسلم - حصن الطائف بالمنجنيق

١٣٢٠ رِجْلُ جراد - بكسر الراء وإسكان الجيم / هو الجراد الكثير ، وتقدم بزيادة فى
غريب ألفاظ غزوة حنين .

السَّارِيَة : الأسطوانة .

النَّقِيض - بفتح النون وكسر القاف ، وسكون التحتية وبالضاد المعجمة : الصوت .

عبد ياليل - بتحتيتين وكسر اللام الأولى .

مُعْتَب - بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الفوقية المشددة وبالموحدة .

النَّبَال - بفتح النون وتشديد الموحدة وباللام .

٥٥٥ البُكَرة - بفتح الموحدة والكاف وتسكن : / آلة يستقى عليها .

الغِيظ - بالطاء المعجمة المشالة : الغضب .

يمونه : يقوم بأمره .

المنجنيق - بفتح الميم وقد تكسر ، يؤنث وهو أكثر ، ويذكر ، فيقال : هى

المنجنيق ، وعلى التذكير : هو المنجنيق : ويقال : الْمَنْجَنُوق ومنجليق ، وهو معرب ،

وأول من عمله قبل الإسلام إبليس حين أرادوا رَمَى سيدنا إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - وهو أول منجنيق رُمى به في الإسلام ، أما في الجاهلية فيذكر أن جُذَيْمَةَ - بضم الجيم ، وفتح الذال المعجمة وسكون التحتية ابن مالك المعروف بالأبرش أول من رمى بها ، وهو من ملوك الطوائف .

الثواء - بفتح الثاء المثناة : الإقامة .

ابن زُمَعَة - بفتح الزاى والميم وبسكونها ، فعين مهملة .

الدَّبابَة - بالذال المهملة : فموحدة مشددة ، وبعد الألف موحدة فتاة تَأْنِيث : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيندفعون بِهَا إلى الأسوار لينقبوها .

جُرْش - بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة : من مخاليف اليمن من جهة مكة .
الْحَسَك - بحاء فسين مهملتين فكاف مفتوحات : نبات تَعْلَق ثمرته بصوف الغنم وورقه كورق الرحلة وأدَوْرُهُ^(١) وعند ورقه شوك ملوزصلب ذو ثلاث شعب .

وَالشَّدْحَةُ - بفتح الشين المعجمة وسكون الدال المهملة ، وفتح الحاء المعجمة فتاء تَأْنِيث ، والشدخ : كسر الشىء .

الْحَبَلَات - بحاء مهملة ، فباء فلام مفتوحات فالف فتاء جمع حَبَلَة بفتحات وربما سكنت الباء : الأصل أو القضيب من شجر الأعناب .

النَّفَر : مادون العشرة من الرجال .

الذريع - بالذال المعجمة : السريع .

الجلابيب - بالجيم [فاللام فالف]^(١) فموحدة فتحتية فموحدة . وزن دنانير : الغُرَبَاء .

يدعها الله - بفتح الدال : يتركها .

تبتئس : تحزن .

(١) يريد أنه أكثر استدارة .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

أَجْبُل - بفتح أوله وسكون الحاء المهملة وضم الموحدة : جمع حَبَلَة - بفتح الحاء والموحدة : شجر العنب .

تَسَوَّر حصن الطائف : صعد إلى أعلاه ثم تدلى منه .

ثالث ثلاثة وعشرين بنصب ثالث .

شرح غريب فكر اشتداد الامر وما يفكر معه

عَبْسَة / - بفتح العين المهملة والموحدة والسين المهملة . ٣٢٠ ب

عَدَل - بفتح العين وسكون الدال المهملة - مِثْلُ الأجر .

المُحَرَّر : المعتق .

المُخَنَّث - بضم الميم ، وفتح الخاء المعجمة ، والنون المشددة - وكسرهما أفصح ، وفتحها أشهر - فمثلة : وهو مَنْ فيه انخناث أى تَكَسَّر وَتَشَنَّ كالنساء

غِيلَان بن سلمة - بفتح الغين المعجمة ، أسلم بعد فتح الطائف .

تُقْبِلُ بأربع : أى من العُكْن - بضم العين المهملة : وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن ، سِمَنَا ، والمراد أطراف العُكْن التى فى بطنها .

تدبر بثمان فى جنبها لم يقل ثمانية ، والأطراف مذكرة لأنه لم يذكرها كما يقال هذا الثوب سَبْعُ فى ثمان أى سبعة أذرع فى ثمانية أشبار ، فلما لم يذكر أشبار أنت لتأنيث الأذرع التى قبلها ، قال الدمامينى فى المصابيح : أحسن من هذا أنه جعل كُلاً من الأطراف عكنة تسمية للجزء باسم الكل ، فأنت بهذا الاعتبار .

من غير أولى الإربة : الحاجة إلى النكاح .

جريج - بضم الجيم وفتح الراء وسكون التحتية .

[هيت^(١)] : بهاء وياء تحتية ففوقية ، وضبطه ابن دَرَسْتَوِيَه بهاء مكسورة فنون

ساكنة فموحدة ، وزعم أن ماسواه تصحيف .

(١) سقط فى الأصول والمثبت يستقيم به السياق .

عائِد - بالهمز والذال المعجمة .

ماتع - بميم فالف ففوقية فعين مهملة .

أرى^(١) - بضم أوله : أظن .

فلا تفلتن - تُطْلَقَنَّ - بالبناء للمفعول فيهما .

بَادِيَةٌ / بموحدة فالف فдал مهملة مكسورة فتحتية ، وقيل : بالنون بدل التحتية - ٥٥٦ ت
أَسْلَمْتُ .

الْخَيْث : خلاف الطَّيِّب .

* * *

شرح غريب ذكر منام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الدال على
عدم فتح الطائف وما يذكر معه

أُهْدِيَتْ - بالبناء للمفعول .

الْقَعْبَةُ : كالقصعة^(٢) .

هَرَّاق - بفتح الهاء .

الدَّيْلَى - بكسر الدال المهملة وسكون التحتية .

الْجُمْحَر - بضم الجيم وسكون الحاء المهملة .

خولة : بالخاء المعجمة .

حكيم - وزن أمير .

مظعون - بالطاء المعجمة المشالة -

حُلِّيَّ - بضم الحاء المهملة وكسر اللام .

الْفَارِعة - بالفاء وكسر الراء .

(١) الذى فى المتن « يرى » بالياء .

(٢) القعب : القدح الضخم الفليظ الجانى ، وقيل : قدح من خشب مقعر ، وقيل : هو قدح إلى الصغر يشبه به الحافر ،

وهو يرمى الرجل (اللسان) .

عقيل - بوزن أمير .

زَعَمَتْ - بزاي فعين مهملة فميم فتاء : تحدثت بما لا يوثق به .

أَوْذَنَ الناس : أعلمهم بالرحيل .

قافلون : راجعون إلى المدينة .

اغدوا على القتال : سيروا أول النهار لأجل القتال .

سَرَّحَ الظهر : أرسله .

آيبون : راجعون .

الأحزاب : أهل الخندق الذين تحزبوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قريش وغيرهم ، أو أحزاب الكفر .

جَمَعَ به فرسه : أسرع به نحو عدوه .

شرح غريب ذكر مسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
من الطائف وما يذكر معه

١٣٢١ / قوله - دَخَنًا - بفتح الدال وسكون الحاء المهملتين وبالنون ، وبالقصر والمد :
أرض بين الطائف والجعرانة .

الجعرانة - بكسر الجيم وسكون العين المهملة وقد تكسر وتشدد الراء .

سُرَّاقَة - بضم السين المهملة .

جُعْشُم - بضم الجيم وسكون العين المهملة وضم الشين المعجمة .

المِقْنَب - بكسر الميم وسكون القاف وفتح النون وبالموحدة ، جماعة الخيل والفرسان ،
وقيل : هي دون المائة^(١) .

(١) المِقْنَب : من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، وقيل زهاء ثلاثمائة ، والمِقْنَب جماعة من الخيل والفرسان ،
وقيل هي دون المائة (اللسان) .

إليك إليك - اسم فعل أمر : معناه تَنَحَّ وأبعد .

الغَرْزُ - بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وبالنزاي : ركاب الإبل .

الجُمارة - بضم الجيم : قلبُ النَّخلة .

الفضالة من الإبل : الضائعة .

تَغْشَى : تَأْتِي .

كَبِدَ حَرَّى : بتشديد الراء : تَأْنَيْثُ حَرَّانٍ ، وهما للمبالغة من الحرِّ ، يريد أنها لشدة حرها قد عَطِشَتْ وَيَبِسَتْ من العطش ، والمعنى أن في سَقَى كُلِّ ذِي كَبِدٍ حَرَّى أجراً .

أبو رهم - بضم الراء وسكون الهاء « الغفارى » بكسر الغين المعجمة .

الفرَّق - بفتححتين : الخوف .

رَوَّحَتْ - بفتح الراء والواو المشددة والحاء المهملة .

الركاب : الإبل .

أترقب : أنتظر .

السبي : ما غنم من النساء والأولاد .

الذرارى : الأولاد .

استأنى بهم : انتظر مجيئهم .

زهير - بضم الزاي وفتح الهاء وسكون التحتية .

صُرِدَ - بضم الصاد المهملة وفتح الراء وبالدال المهملة ، وهو مَصْرُوفٌ وليس مَعْدُولاً .

أَبُو بَرَقَانَ^(١) - بفتح الموحدة وسكون الراء وبالقاف والنون ، وهو عمه - صَلَّى اللهُ عليه وسلم - من الرضاعة .

(١) وفي القاموس المحيط « برقان » بضم الباء وكسرها وفي هامش ت ص ٥٥٦ ويقال أبو مروان ويقال أبو ثروان أوله « مثلثة » بدل الميم كذا في فتح الباري .

لَنَا أَضْلُ وَعَشِيرَةٌ - بعين مهملة مفتوحة فشين مكسورة فتحتية فراء : بنو الأب
الأدنون أو القبيلة ، والجمع : عشائر .

الحظائر - بالظاء المعجمة المشالة : جمع حظيرة وهو الزرب الذى يصنع للإبل والغنم
ليكنها ، وكان السبي فى حظائر مثلها .

عماتك وخالاتك ؛ أى من الرضاع .

حواضنك : يعنى اللاتى أَرْضَعْنَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحضنه من بنى
سعد هوازن .

مَلَحْنَا - بفتح الميم واللام وسكون الحاء المهملة : أَرْضَعْنَا ، والملح : الرضاع .

الحارث بن أبى شمر : ملك الشام من العرب .

النعمان بن المنذر : ملك العراق من العرب .

عَائِدَتُهُمَا : فضلهما / ونيلهما وشفقتهما .

٥٥٧ ت

الأوجاق^(١)

الهبلى^(٢) : ابن يزيد بالزاي والdal المهملة وزن أمير .

أمنية - بوزن عظيمة .

عفيفة بعين مهملة وفائين وزن عظيمة .

الصيدلانى - بفتح الصاد المهملة وسكون التحتية وبالdal المهملة وبالنون

القيابى - بكسر القاف وتخفيف الموحدة وبعد الألف موحدة أخرى .

مؤنسة^(٣)

رَوْح - بفتح الراء .

(١) بياض بالأصول - وهو محمد بن محمد بن احمد بن عز الدين ، المحب أبو عبد الله القاهرى الشافعى ، ويعرف
بابن الأوجاق ، ولد سنة ٧٧٠ هـ أو التى قبلها ، ومات عصر الثلاثاء ثامن عشرى رجب سنة ٨٤٥ هـ .

(الضوء اللامع للسخاوى ٩ : ٤٩ ، ٥٠) .

(٢) وهو الحسن بن احمد بن هلال بن سعد بن فضل الله الصرخدى ثم الصالحى ، بدر الدين أبو محمد الدقاق ،

المعروف بابن الهبل وهو لقب أبيه ، ولد سنة ٦٨٣ هـ ، مات فى صفر سنة ٧٧٩ هـ (الدور الكامنة لابن حجر) .

(٣) مرفى ص ٥٧٠ أنها المستندة مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب .

الفارفاني / - بالفاء وسكون الراء وفاء أخرى .

مَعْمَر - بفتح الميمين بينهما عين مهملة ساكنة .

الفاخر - بالفاء والخاء المعجمة .

الجُوزدانية - بجيم مضمومة فواو ساكنة فزاي فдал مهملة فالف فنون .

رَيْذَة - بكسر الراء وسكون التحتية وفتح الذال المعجمة فتاء تَأْنِيث .

الضَّبَى - بفتح الضاد وبالموحدة المشددة .

رُمَاحس - بضم الراء وتخفيف الميم وبعد الألف حاء فسين مهملتين . قال في النور :
الذي يظهر أنه غير منصرف للعلمية والعجمة وليس فيما يظهر من أسماء العربية .

الْقَيْسَى . بالقاف المفتوحة والتحية الساكنة .

رَمَادَة الرملة - بفتح الراء : قرية بقربها .

زياد بن طارق [بالزاي المكسورة والياء التحتية والألف الممدودة^(١)] والذال المهملة .

أَبُو جَرْوَل - بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الواو ولام .

زهير - بالزاي والتصغير .

الجُشْمَى - بضم الجيم وفتح الشين المعجمة .

أَمْنَن - بهزة مضمومة فميم ساكنة فنون مضمومة وأخرى ساكنة ؛ أى أحسن
إلينا من غير طلب ثواب ولا جزاء .

المرء - بفتح الميم وبالراء والهمز : الرَّجُل ، وآل هنا لاستغراق أفراد الجنس ، أى
أنت المرء الجامع للصفات المحمودة المتفرقة في الرجال .
البيضة هنا : الأهل والعشيرة .

(١) يياض بالأصول ولعل الصواب ما أثبت .

الغَيْرُ - بكسر الغين المعجمة : تغيير الحال وانتقالها عن الصلاح إلى الفساد .

هتافاً - بفتح الهاء وبالفوقية وبالفاء : أى ذا هتف ؛ أى صوت .

الغَمَاء - بفتح الغين المعجمة وتشديد الميم : الحزن ، سُمى بذلك لأنه يغطى السرور .

الغمر - بغيرين معجمة مفتوحة وتكسر ، فميم فراء : الحَقْدُ .

يختبرُ بالبناء للمفعول .

ترضعها - بضم الفوقية .

إذ : حرف تعليل .

فوك : فمك .

المحض - بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وبالفصاد المعجمة الساقطة : اللبن الخالص .

الدرر - بكسر الدال المهملة وفتح الراء الأولى : جمع درة ؛ وهى كثرة اللبىن وسيلانه .

يزينك - بتحتية مفتوحة فزاي مكسورة فتحتية فنون .

تذر : تترك .

ولا تجعلنا - بفوقية مفتوحة فجيم ساكنة فعين فلام مفتوحة فنون مشددة فألف

شالت نعماته : أى هلكت والنعامه باطن القدم ، وشالت : ارتفعت ، ومن هلك ارتفعت رجلاه وسكن رأسه فظهرت نعامه قدمه .

استبق : بسين مهملة فمثناة فتحتية موحدة فقاف .

زهر-بضم الزاي والهاء .

نعماء - بنون مفتوحة فعين ساكنة فميم فألف مملودة : النعمة .

كُفِرَتْ - بضم الكاف وكسر الفاء وفتح الراء .

مُدْتَحِر - جميع مضمومة فـدال مشددة فـحاء معجمة مفتوحتين ، أصله مُدْتَحِر ، فلما أرادوا الإدغام ليخفف النطق / قلبوا التاء إلى ما يقاربها من الحروف ، وهى الدال المهملة i ٣٢٢ لأنهما فى مخرج واحد فصارت مُدْتَحِر مدخر ، والأكثر أن تقلب الدال المعجمة دالاً مهملة ثم تدغم فيها فتصير دالاً مشددة .

فَالْيَس - بفتح الهمزة وكسر الموحدة .

مُشْتَهَر - بيم مضمومة فشين معجمة ساكنة فمشناة فوقية مفتوحة فهاء مكسورة فراء : ظاهر .

مَرَحَت - بفتح الميم والراء والحاء المهملة : نشطت وخفت .

الكُمْت - بضم الكاف وسكون الميم ومثناة فوقية جمع كميث ، وهو من الخيل . يستوى فيه المذكّر / والمؤنث من الكُمْتَة وهى حُمْرَة خالطتها قنوة ، قال الخليل : إنما ٥٥٨ ت صُغِرَ لأنه بين السواد والحمرة كأنه لم يخلص له واحدة منهما فأرادوه بالتصغير لأنه منها قريب .

الحياد - تقدم تفسيره .

الهَبَاج - بكسر الهاء وتخفيف التحتية وبالجيم : القتال .

استوقد بالبناء للمفعول .

الشرر - تقدم تفسيره .

نُؤْمِل : نرجو

تُلَيْسَه - بضم الفوقية وسكون اللام وكسر الموحدة .

راهبة - بالوحدة خائفة .

يُهْدَى - بالبناء للمفعول .

الظفر : الفوز .

المِسْوَ - بكسر الميم وسكون السين المهملة وفتح الواو .

مَحْرَمَة - بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الراء .

البِضْع - فى العدد بكسر الموحدة ، وبعض العرب يفتححه : من الثلاثة إلى التسعة ، يقال بضع رجال وبضع نسوة ومن ثلاثة عشر إلى تسعة عشر بضعة مع المذكر وبضع مع المؤنث .

قَفَلَ - بفتح القاف والفاء : رجع .

الأَحْسَاب : جمع حَسَب بفتحيتين : الشرف . قال الأزهري : له ولآبائه من الحساب . وهو عد المناقب لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدَّ كل واحد مناقبه ومناقب آبائه .

العرفاء - جمع عريف وهو مدبر أمر القوم والقائم بأمر ساستهم .

يُنْفِى الله علينا - بضم التَّحِيَّة وكسر الفاء ، وهمز آخره .

سُلِّم - بضم أوله وفتح اللام .

وَهَنَّتُمُونِى : ضَعَّفْتُمُونِى .

فَسَّيِل ذلك - بفتح اللام على أنه مفعول بفعلٍ مُقَدَّرٍ وبضمها على أنه خبر مبتدأ محذوف .

الفرائض - جمع فريضة ، وهو البعير المأخوذ فى الزكاة ، سُمِّى فريضة لأنه فرضٌ ، على ربِّ المال ، ثُمَّ اتسع فيه حتى سُمِّى البعير فريضة .

المُعَقَّد - بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف ، وهو ضَرْبٌ من برود هجر .

شرح غريب ذكر دعائه - صلى الله عليه وسلم - على من أبى أن يرد شيئاً
من السبى أن يخيس سهمه

قال فى الصحاح : خاست الجيفة أى أَرْوَحَتْ ، ومنه قيل خاس البيع والطعام كأنه كَسَدَ حتى فَسَدَ .

السهم هنا : النصيب .

قُبْطِيَّة - بضم القاف : ثِيَابٌ بيضٌ رفاق من كتان وقطن .

هل لك في كذا [هل تريد كذا]^(١)

بناهد - بنون فألف فهاء فداال : يقال نَهَدَ الدُّدَى : كَعَبَ .

يَوَاجِدُ - من الوجد وهو الحزن : أى لا يحزن زوجها عليها لأنها عجوز كبيرة .

الدر : اللبن .

المالذ^(٢) : القربة هنا .

السَّمَل - بفتح السين المهملة والميم وباللام : الحَلَق - بفتح الخاء وكسر اللام^(٣) .

الْفُرْص - بضم الفاء وفتح الراء وبالصاد المهملة جمع فرصة ؛ وهى اسم من

تفارض القوم المساء القليل لكل منهم نوبة وأطلق على النهْزة - بضم النون وسكون الهاء وبالزاي

شرح غريب - فكر قسمه - صلى الله عليه وسلم - اموال هوازن

انتزعت ردائه : اقتلعته .

تِهَامَة - بكسر الفوقية : ما انخفض من الأرض .

النَّعَم - بفتح النون والعين : المال الراعى ، وأكثر ما يقع على الإبل .

أَلْفَيْتُمُونِي : وجدتموني .

السَّنَام : أعلى ظهر البعير .

الْوَبْرَة : واحدة الوبر .

الخِيَاط والمَخِيط : الإبرة .

الشَّنَار - بفتح الشين المعجمة وبالنون : أقبح العار .

(١) يياض فى الأصل والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) لم يرد هذان اللفظان فى سياق القصة وانظر التعليق . ص ٥٧٤ .

(٣) كذا فى الأصول « والخلق » فى القاموس واللسان بفتح الخاء واللام .

الكبة من الشعر ونحوه - بضم الكاف وتشديد الموحدة^(١) .
 عبادة - بضم العين المهملة وتخفيف الموحدة
 الأئمة - بتثنية الهمزة مع تثنية الميم : العقد من الأصابع أو رؤوسها
 علقت به الأعراب : لزموه وجبذوا أثوابه .
 اضطروه إلى شجرة : ألجأوه إليها وأحوجوه .
 السمرة - بفتح السين وضم الميم : من شجر الطلح .
 العضاه - ككتاب : شجر الشوك كالطلح والعوسج ، والهاء أصلية ، والواحدة عضه
 بالهاء وبالتاء ، والأصل عضه كعنبه
 برد نجراني - منسوب إلى نجران - بفتح النون وسكون الجيم وبالنون : إقليم
 معروف .

جذبه - بفتح الجيم وبالدال المعجمة : شده إلى نفسه : أى سحبه إليه .

شرح غريب ذكر اعطائه - صلى الله عليه وسلم - المؤلفة قلوبهم
 وقول العباس بن مرداس

كانت : أى الإبل والماشية .
 النهاب - بكسر النون وبالهاء وبعد الألف موحدة جمع نهب - وهو ما ينهب ويغنم
 تلافيتها : تركتها .

الكر - بفتح الكاف وتشديد الراء : عود الفارس للقتال .
 المهر - بضم الميم وسكون الهاء : ولد الخيل .
 الأجرع - بفتح أوله وسكون الجيم وفتح الراء وبالعين المهملة : المكان السهل .
 الإيقاظ : مصدر أيقظه من نومه إذا نبهه .
 القوم - بالفتح مفعول .

(١) ما يلف من الخيوط ونحوها على شكل كرة (المنجد) .

هجع هنا : نام .

العُبَيْد - بلفظ تصغير عبد - اسم فرسه .

ذو تُذْرَأ - بضم الفوقية وسكون الدال المهملة وبالراء وبالهَمْز ، أى ذو دَفْع من قولك درأه إذا دفعه .

الأفائل - جمع أفال - بفتح أوله وسكون الفاء / وبالهَمْز: وهى الصغار من الإبل ، ١٢٢٢

عليه قوائمها الأربع - بعين فدا لين مهملات بينهما تحتية كالعدد اسمان للعد .

وهو الإحصاء .

وما كان حصن : والد عُيَيْنَة .

ولا حابس : والد الأقرع .

يفوقان - بتحتية ففاء فواو ففاف : يعلوان شرفا .

شيخي : يعنى أباه مرداس ، ومن قال شيخى تشية شيخ فيعنى أباه وجدّه ، ويروى يفوقان مرداس^(١) .

بين مكة والمدينة كذا فى الصحيح . والصواب بين مكة والطائف ، وبه جزم النووى .

ألا تنجز لى ما وعدتنى من غنيمة حنين ، وكان ذلك وعدا خاصا به .

أبشر - بقطع الهمزة أى بقرب القسمة ، أو بالثواب الجزيل على الصبر .

فأقبلا بفتح الموحدة .

مَجَّ فيه : بميم مفتوحة فجيم مشددة : رمى .

وأفرغا - بقطع الهمزة وكسر الراء : صَبَا .

أفضِلا - بقطع الهمزة وكسر الضاد المعجمة .

(١) « يفوقان مرداس » هى الرواية التى اختارها المصنف فى سياق القصيدة . والآخرى هى رواية سيرة النبى لابن هشام

لأَمَكَمَا : تعنى نفسها .

طائفة : بقية

شرح غريب ذكر بيان الحكمة فى عطائه — صلى الله عليه وسلم — اقواما

جَعِيل — بالتصغير .

سُرَاقَة — بضم السين .

طَّلَاع الأرض — بكسر الطاء : ما ملأها حتى يطلع عنها ويسيل .

الرَّفْط — بفتح الراء وسكون الهاء وفتحها . مادون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة ، ومنها إلى الأربعين

مَالَك عن فلان : [ما صرفك عنه]^(١)

تَغْلِب — بفتح الفوقية وسكون الغين المعجمة وكسر الموحدة لا ينصرف .

المَلْع : أشد الجزع .

الجزع كالتعب : ضد الصبر .

خمر النعم^(٢)

شرح غريب ذكر عتب جماعة من الانتصار على رسول الله
صلى الله عليه وسلم

سَائِرُ النَّاسِ — هنا باقيهم ، ويكون بمعنى جميعهم كما ذكره الجوهري وابن الجوالقي

وابن بَرِّي ، وغلط مَنْ غَلَطَ الجوهري ، وأستشهد له قال ابن ولاد : سائر توافق

بقية : نحو أخذت من المال وتركت سائره ؛ لأن المتروك بمنزلة البقية ، وتُفَارَقُها من حيث

٥٦٠ ب أن السائر لما كثر والبقية لِمَا قَلَّ ؛ لهذا نقول : / أخذت من الكتاب بقيته وتركت

سائره ، ولا نقول تركت بقيته .

(١) يياض بالأصول — والمنبت يقتضيه السياق .

(٢) يياض بالأصول ، ولعل المصنف أراد أن يشرحه ثم عدل لسابق شرحه ، ولكنه سها فلم ينبه على ذلك كما يفعل

عادة . وحرر النعم : خيارها .

وَجَدُوا - بفتح الواو والجيم : حزنوا . وفي رواية وَجَدُ بضم الواو والجيم جمع واجد ،
ووجد عليه في نفسه : غضب .

القاله : الكلام الرديء .

يغفر الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - قالوه توطئة وتمهيدا لِمَا يرد بعده من العتاب
لقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ ^(١) ﴾ .

الطَّلَاء - بضم الطاء المهملة وفتح اللام وبالقاف والمد : جمع طليق ، فعيل بمعنى مفعول - فنقول :
وهم مَنْ مِنْ عَلَيْهِمْ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة ولم يأسرهم وَلَمْ يَقْتُلْهُمْ / . ٣٢٣ ب

وسيوفنا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ : جملة في محلِّ النَّصْب على الحال مقررة لجهة الإشكال ،
وهو من باب عرضت الناقة على الحوض .

إذا كانت شديدة - بالرفع والنَّصْب .

استعبناه : طلبنا منه العُتْبَى - بضم العين وسكون التاء وفتح الباء : طلب الرضى .

فَحْدَثَ - بضم الحاء وكسر الدال مَبْنِيًّا للمفعول ؛ أى أَخْبَرَ بمقاتلتهم .

أين أنت من ذلك ^(٢) .

الحظيرة - بالحاء المهملة والطاء المعجمة المشالة ، يشبه الزرب للماشية والإبل .

في قُبَّةٍ من آدم - بفتح الهزرة المقصورة والدال المهملة : جلد بلا دَبْنِغ ^(٣) .

فجاء رَجُلٌ ^(٤) من المهاجرين ^(٥) .

ضُلَّالًا بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام الأولى : أى بالشُّرْك .

(١) سورة التوبة آية ٤٣ .

(٢) كذا في الأصول - بإيراد سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد دون جواب سعد : ما أنا إلا من قومي . وفي شرح
المواهب ٣ : ٣٨ « قال الحافظ : وهذا يعكر عليه رواية الصحيح ففيها أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئاً ؛ فإن سعداً من
رؤسائهم بلا ريب إلا أن يحمل على الأغلب الأكثر ، وأن مخاطب سعد ولم يرد إدخال نفسه في التقي . أو أنه لم يقل ذلك
في اللفظ وإن رضى بالقول المذكور فقال ما أنا إلا من قومي ، وهذا أوجه » .

(٣) كذا في الأصول ، وفي شرح المواهب ٣ : ٣٩ « آدم - بفتح الهزرة المقصورة والدال : جلد مدبوغ .

(٤) كذا في الأصول « رجل » وسبق في سياق الغزوة ص ٥٨٥ « فجاء رجال من المهاجرين » .

(٥) بياض بالأصول ولعل المصنف أراد أن يعرفه ثم سها عن ذلك .

عالة - بعين مهملة فلام مخففة : فُقَرَاءٌ لَا مَالَ لَكُمْ .

الله ورسوله أَمْنٌ : من المنّة وهى النعمة

الْمَخْذُولُ : الذى تَرَكَ قَوْمُهُ نَصْرَهُ .

حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمَصِيبَةٍ مِنْ نَحْوِ قَتْلِ أَقَارِبِهِمْ وَفَتْحِ بِلَادِهِمْ .

أَجْبَرُهُمْ - بفتح الهزرة وسكون الجيم وضم الموحدة : من الجبر عند الكسر . وفى رواية

أَجْبِزُهُمْ - بضم الهزرة وكسر الجيم بعدها تحتية ساكنة فزاي : من الجائزة .

اللُّعَاعَةُ - بضم اللام وبعينين مهملتين : بقلة خضراء ناعمة شَبَّهَ بِهَا زهرة الدنيا

ونعيمها فى قِلَّةٍ بَقَائِهَا .

القِسْمُ - بكسر القاف : الحِطُّ والنَّصِيبُ .

الرَّحْلُ هنا : منزل الرَّجُلِ ومسكنه وبيته الذى فيه أثاثه ، ذَكَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ

- صلى الله عليه وسلم - ما غفلوا عنه مِنْ عَظَمِ مَا اخْتَصَّصُوا بِهِ مِنْهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا اخْتَصَّصَ

بِهِ غَيْرُهُمْ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ .

الشاة والبعير: اسما جنس يقع كُلُّ منهما على الذكر والأنثى .

يَحُوزُونَهُ - بالحاء المهملة .

الشَّعْبُ - بكسر الشين المعجمة وسكون العين : الطريق فى الْجَبَلِ

الوَادِى : المكان المنخفض ، وقيل : الذى فيه ماء ، والمراد بلدهم .

لَوْ سَلَكَ الْأَنْصَارُ وَادِيَا أَوْ شَعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِى الْأَنْصَارِ أَوْ شَعْبَهُمْ ، أَشَارَ - صلى الله

عليه وسلم - بذلك إلى ترجيحهم بحسن الجَوَارِ والوفاء بالعهد لا وجوب متابعتهم إياهم

إِذْ هُوَ - صلى الله عليه وسلم - المتبوع المطاع لا التابع المطيع ، فَمَا أَكْثَرَ تَوَاضُعَهُ - صلى

الله عليه وسلم

الشُّعَارُ - بكسر الشين المعجمة : الثوب الذى يلى الجسد .

الدثار - بكسر الدال المهملة وبالثاء المثلثة المفتوحة : ما يُجَعَلُ فوق الشعار ،
أى أن الأنصار بطانته وخاصته وأنهم أحقُّ به وأقرب إليه من غيرهم ، وهو تشبيه
بليغ

أخْضَلُوا لِحَاهِمَ - بفتح أوله وسكون الخاء وفتح الضاد المعجمتين : بَلَّوْهَا بالدموع .

أَثَرَةٌ - بفتح الهمزة والثاء المثلثة ، وبضم الهمزة وسكون المثلثة وبفتحتين^(١) / ، ويجوز ٥٦١ ت
كسر أوله مع إسكان ثانيه ، أى يستأثر عليكم بالكم فيه اشتراك فى الاستحقاق / . ١٣٢٤

فَأَضْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فيحصل لكم الانتصاف مِنْ ظَلَمِكُمْ
على^(٢) الثواب الجزيل على الصبر .

شرح غريب شعر حسان - رضى الله عنه

السَّحْ - بفتح السين وتشديد الحاء المهملتين : الصَّب ، يُقَال : سَحَّ المطرُ
إذا صَبَّ .

حَفَلَتْهُ - بفتح الحاء المهملة والفاء واللام وسكون الفوقية : أى جَمَعَتْهُ ، ومنه
المحفل وهو مجتمع الناس .

الْعَبْرَةُ - بفتح العين المهملة وسكون الموحدة : الدمع .

دَرَرَ - بدال مهملة ورائين : سائلة .

الوجد : الحزن .

شَمَاءَ - بشين معجمة مفتوحة فميم مشددة [فآلف]^(٣) فهمز : اسم امرأة .

الْبَهْكَنَةُ - بفتح الموحدة وسكون الهاء وفتح الكاف وبالنون : المرأة ذات الشباب
غضة ، وقال فى الإملاء كثيرة اللحم .

(١) قوله بفتحتين تكرر لقوله بفتح الهمزة والثاء المثلثة .

(٢) كذا فى الأصول ولعل المراد « فيحصل لكم الانتصاف من ظلمكم بالثواب الجزيل على الصبر » .

(٣) إضافة يقتضيا السياق .

هَيْفَاء : ضامرة الخاصرة ، ومن روى قوله لا دَنْن بالبدال المهملة فمعناه : تطامن
الصُّدْرُ وغُورُهُ ؛ ومن رواه بالمعجمة فمعناه : الْقَلْبُ بِالْقَافِ المفتوحة والذال المعجمة
المكسورة ، ومنه الذنين وهو ما يسيل من الأنف ، وَمَنْ رواه لاأَذْنُ فمعناه : [الذى
يسيل^(١) منخراة جميعا]

الخور - بفتح الخاء المعجمة والواو وبالراء : الضعف .

دع : أترك .

النزر : القليل .

علام - حذفت ألف ما الاستفهامية لدخول حرف الجر عليها .

نازحة - بالنون والزاي والحاء المهملة : بعيدة .

الحرب العوان : هى التى قوتل فيها مرّة بعد مرّة .

تستعر : تَلْتَهَبُ وتَشْتَعِلُ .

اعترضوا : صبروا .

النائبات : ما ينوب الإنسان وما ينزل به من المهمات والحوادث .

وما خَامُوا - بالخاء المعجمة : ما جبنوا وما ضجروا ؛ أى ما أصابهم حرج ولا ضيق .

الناس ألب - بهزة مفتوحة فلام ساكنة فموحدة ؛ أى مجتمعون على التدبير للَعَنُو
من حيث لا نَعْلَم .

الْقَنَّا - بالقاف والنون : الرماح .

الْوَزَر - بفتح الواو والزاي : الملجأ .

نُجَالِدِ الناس : نقاتلهم .

تُوْحَى - بمثناة فوقيه مضمومة فواو ساكنة فحاء مهملة مفتوحة فتحتية من الْوَحَى

(١) يياض بالأصول ، والمثبت عن اللسان والقاموس المحيط ذ ن . وفى ت ٥٦١ « لادنس » .

لا تَهْرُ - بفوقية مفتوحة فهاء مكسورة فراء : لا تَكْرُه .

جُنَاة الحرب - بجيم مضمومة فنون فألف فتاء تأنيث : جمع جَانِ .

النَادِي - بالنون : المجلس .

تَلْظَى - بفوقية فلام فطاء معجمة مفتوحات فتحتية .: تلتهب وتضطرم ؛ وهو

من لَظَى من أسماء النار لا ينصرف للعلمية والتأنيث .

نُسْعِر^(١) : نُوْقِد الحربَ ونُشْعِلُهَا .

النَعْف - بفتح النون وسكون العين وبالفاء : أسفل الجبل .

حَزَبْتُ - بفتح الحاء المهملة وتشديد الزاى : أجمعت وأعان بعضها بعضا .

ما وَنَيْنَا - بواو مفتوحة فنون فتحتية ساكنة فنون: ما فترنا

وما خمنا : تقدم .

* * *

شرح غريب ذكر اعتراض بعض الجهلة من اهل الشقاق وما يذكر معه

قوله : الشقاق - بكسر الشين : الخلاف والمعادنة .

الصَّرَف - بكسر الصاد ، وهو هنا صبغ يصبغ به الأديم .

مُعْتَبٌ - بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الفوقية المشددة وبالموحدة .

قُشِير - بقاف وشين معجمة وبالتصغير .

ذو الْخُوَيْصِرَةِ - بالخاء المعجمة تصغير خاصرة .

أَجَل : كنعم وزنا ومعنى .

شَقِيت - بشين معجمة مفتوحة فقفاف مكسورة فتحتية فتاء ، روى ضمها وفتحها .

معاذ الله : أى أعوذ بالله معاذا ، يقال : مَعَاذَ الله ومعاذة الله وعوذ الله وعبادة الله بمعنى

واحد ؛ أى أستجير بالله .

(١) كذا فى الأصول واللفظ فى التصييدة « سمر » بضم السين واليمين . ومعناه من يوقد الحرب ويشعلها .

شِيعَةُ الرَّجُلِ - بشين معجمة مكسورة فمشناة تحتية فعين مهملة : أتباعه .

يتعمقون : يتبعون أَقْصَاهُ ، وَعَمَّقَ الشَّيْءُ بَعْدَ قَعْرِهِ ؛ وهو بعين مهملة .

الرَّمِيَّةُ - براء مفتوحة فميم مكسورة فتحتية مشددة فتاء تأنيث : الصيد : الذى ترميه فتصيده وينفذ فيه سَهْمَكَ ، وقيل : هى كل دَابَّةٍ مَرْمِيَةٍ .

النَّضْلُ - حليدة السهم .

القِدْحُ - بكسر القاف : السهم ، قَبْلَ أَنْ يُرَاشَ ويركب نصله .

الفُوقُ - بضم الفاء يذكر ويؤنث : طرف السهم الذى يباشر الوتر .

الرُّصَافُ - بكسر الراء وبالصاد المهملة والفاء عَقَبَ بفتححتين - يُلْوَى على مدخل

النَّضْلُ فى السهم .

النَّضِيُّ - بفتح النون وكسر الضاد المعجمة الساقطة : نصل السَّهْمِ ، وقيل : هو السَّهْمُ قبل أَنْ يُنْحَتَ إذا كان قِدْحًا . قَالَ أَبُو موسى المدينى وابن الأثير : وهو أُولَى ، لأنه قد جاء فى الحديث ذكر النَّضْلِ بعد النَّضِيِّ ، وقيل : هو من السهم ما بين الريش والنَّضْلِ [قالوا سَمَى]^(١) نَضِيًّا لكثرة البرى والنحت ، فكأنه جُعِلَ نَضُوا أى هزىلا .

القَذُذُ - بفتح القاف وفتح الذال المعجمة وآخره [ذال]^(٢) أخرى : ريش السهم واحدها قَذَذَةٌ .

الْفَرْتُ : ما يوجد فى كرش ذى الكرش .

الْحَنَاجِرُ - جَمَعَ حَنْجَرَةٍ : الحلقوم .

يَمْرُقُونَ من الدين : يجوزونه ويخرقونه ويتعدونه كما يخرق السهم الشَّيْءَ المرمى به ويخرج منه .

آيتهم : علامتهم .

العضد بثلاث العين كَرَجُلٍ - ويسكن وكَبِدَ وحَمَلَ ، وبضميتين ويسكن :

ما بين المرفق إلى الكتف .

(١) بالرجوع إلى مثل العبارة فى النهاية لابن كثير .

(٢) إضافة للتوضيح .

الشدى بمثلثة مفتوحة فدال مهملة ساكنة .

البَضْعة - بفتح الموحدة : القطعة .

تَلَزَذَر - بفتح الفوقية والذال المهملة ، وسكون الراء وبالدال المهملة آخره [راء] ^(١) .
تترجرج . مضارعٌ مرفوعٌ حذفت منه التاء .

يخرجون على حين - بالحاء والنون .

فُرقة - بضم الفاء : أى افتراق من المسلمين ، وروى على خير- بالمعجمة والراء -
فرقة بالكسر : وهو على وأصحابه .

شرح غريب ذكر قدوم مالك بن عوف - رضى الله عنه

الموفور : الكثير .

دُخْنَا - بضم الدال وتفتح وسكون الحاء المهملتين ، بالقصر والمد : أرض بين
الطائف والجعرانة .

ركضه : استحثه الجرى .

العطاء الجزيل : العطاء الكثير .

إذا اجتدَى - بضم أوله وسكون الجيم وضم الفوقية وكسر الدال المهملة : أى طلبت
منه العطية .

الكتيبة - بالفوقية : الطائفة المجتمعة من الجيش .

عردت - بعين مهملة فراء فدال مهملة مفتوحات فتاء : اغوجت .

أنياها - جمع ناب : السن خلف الرباعية ، مؤنث .

السّمَهَرى - بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتح الهاء وبالراء : الرماح المنسوبة
إلى سَمَهَر : قرية بالهند .

المهَنَد : السيف المطبوع من حديد الهند .

(١) سقط في الأصول .

الليث : الأسد .

الأشبال : جمع شبل وهو : ولد الأسد .

المبائة : الغبرة ، ويروى المبائة ، بفتح الميم والموحدة والهمز : منزل القوم في كل موضع .

الخَادر : الداخل في خدره ، والخدر هنا غابة الأسد .

المرصد : الموضع الذي يرصد منه ويتربق .

فَهْم - بفتح الفاء وسكون الهاء .

سَلِمَة - بكسر اللام .

ثُمَالَة - بضم الثاء المثناة .

قد ضوى : [أى انضم]^(١)

اعتقد لواء : عقده .

الشرح : [المالُ يسام في المرعى^(٢) من الأنعام]

شرح غريب نكر رجوع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى المدينة

قوله مَجَنَّة - بفتح الميم والجيم والنون المشددة .

مَرَّ - بفتح الميم وتشديد الراء مضاف إلى الظَّهْرَانِ تشنية ظهر الحيوان : موضع على مرحلة من مكة .

سَرَف - بفتح السين المهملة وكسر الراء وبالفاء : موضع .

شرح غريب شعر بجير

بُجَيْر - بموحدة مضمومة فجيم مفتوحة فتحتية ساكنة فراء .

زُهَيْر بالتصغير ابن أبي سُلَمَى - بضم السين المهملة وسكون اللام وفتح الميم .

(١) بياض بالأصول ، والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) بياض بالأصول ، والمثبت عن اللسان .

العَلَالَة : بضم العين المهملة «من العَلَل» ؛ وهو الشُّرب بعد الشرب ، وأراد به هنا معنى التكرار . وقال في الإملاء وفي الروضة : العَلَالَة جرى بعد جَرَى ؛ أى قتال بعد قتال ؛ يُريد أن هوأزن جَمَعَتْ جَمَعَهَا علالة في ذلك اليوم ، وحَذَف التنوين من علالة ضُرُورَة وأضمر في كانت اسمها وهو ضمير القصة .

يوم - بالخفض في عِدَّة نسخ صحيحة من السيرة ، وجاز على هذا في علالة النصب خبر كان ، ويكون اسمها عائداً على شئء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع في علالة مع إضافتها بـ إلى اليوم على أن تكون كان تامةً مكثفيةً باسم واحد ، ويجوز أن تجعل اسماً على المصدر مثل بَرَّة^(١) وفجار ، وينصب يَوْماً على الظرف .

أوطاس : اسم موضع يأتى ذكره في السرايا .

الأَبْرَق : موضع ، وأصله الجبل الذى فيه ألوان من الحجارة والرمل .

الإِغْواء - بالغين المعجمة : من النى الذى هو خلاف الرُّشد .

حَسْرَانَا : يعنى الذين أعيوا منا من الحسير وقد يجوز أن يكون الحَسْرَى هنا الذين لا درع لهم .

الرَّجْرَاجَة - بفتح الراء وسكون الجيم الأولى : الكتيبة التى يَمُوجُ بَعْضُهَا فى بعض المنايا - جمع مَنِيَّة : وهى الموت .

الفَيْلَق - بفتح الفاء وسكون التحتية وفتح اللام وبالقاف : الجيش الكثير الشديد .
ملمومة : مجتمعة .

خضراء : يعنى من لون السلاح .

حَضَن - بفتح الحاء المهملة والضاد المعجمة وبالنون : اسم جبل^(٢) .

الضَّرَاء - بكسر الضاد المعجمة الساقطة وبالراء : الأسود الضارية .

الْهَرَّاس - بفتح الهاء والراء والسين المهملة : نَبَات به شوك .

(١) برة : اسم علم بمعنى البر ، وفجار : اسم علم بمعنى الفجور ، وكذلك يرى أن العلالة اسم على التثنية ، وهو ما يتصل به .

(٢) حضن : جبل فى أعالي نجد (اللسان)

قُدِّر - بضم أوله والذال المهملة وتسكن وبالراء ، فمن رواه بالقاف عنى خيلا
تَجَعَّلُ أرجلها فى موضع أيديها إذا مشت ، ومن رواه بالفاء عنى الوعول ، واحدها فادر .

القياد - بقاف مكسورة فتحتية فألف فذال مهمة .

السابعة بالغين المعجمة : الدرع الكاملة .

استحصنت : [احتمت بالحصن]^(١) .

النَّهْي - بكسر النون وسكون الهاء : الغدير من الماء .

المتزقق : المتحرك .

جُدُل - بضم الجيم والذال المهملة وباللام : جمع جدلاء : وهى : الدرع الجيدة
النسج .

فضولهن : ما انجرَّ منهن .

مُحَرَّق : لقب عمرو بن هند ملك الحيرة .

* * *

شرح غريب شعر كعب بن مالك - رضى الله عنه

ب ٣٢٥

تِهامة : ما انخفض من أرض الحجاز .

الريب : الشك .

أجممنا : بالجيم : أرحنا .

الحاضن : المرأة التى تحضن ولدها .

ساحة الدار : وسطها ، ويقال فناؤها .

العروش-بالشين المعجمة : وهى هنا سقف بيوت مكة .

وَجَّ - بفتح الواو وتشديد الجيم : اسم موضع .

(١) يياض بالأصول ، والمثبت عن سياق الفزوة .

الْخُلُوف - بضم الخاء المعجمة واللام وبالفاء : الغائبون ، وفي غير هذا الموضع بمعنى الحاضرين ، وهو من الأضداد .

السَّرْعَان - بفتح السين والراء وبالعين المهملات : المتقدمون .

الكثيف - بالثاء المثناة : المتلف ؛ ومن رواه كشيافاً بالشين المعجمة . فمعناه [مكشوف^(١)] ، أو منكشف ، والكشف : رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه^(٢)] .

الرَّجِيف - براء مفتوحة فجيم مكسورة فتحتية ففاء : الصوت الشديد مع زلزال ٥٦٤ ت مأخوذ من الرجفة ، ومن رواه : وجيفاً بالواو والباقي كما تقدم : غنى سريعاً يسمع صوت سرعته .

قَوَاضِب - بالقاف والضاد المعجمة والموحدة : السيوف القاطعة .

١٣٢٦

المرهفات - جمع مرهف وهو السيف المرقق الحواشي القاطع .

المصطلون : المبشرون لها .

العقائق - جمع عقيقة : وهى شعاع البرق هنا .

الْقُيُون - بالقاف : جمع قَيْن ؛ وهو الحداد .

الكثيف - بالفوقية - جمع كثيفة : وهى صفائح الحديد تضرب للأبواب وغيرها .

تخال - بالخاء المعجمة : تظن .

الجَدِيَّة - بفتح الجيم وكسر الدال وتشديد التحتية : الطريقة من الدم .

الجَادِي - بالجيم والدال المهملة المكسورة : الزعفران .

مَدُونَا - بالدال المهملة وتُعْجِم : مختلطاً .

أَجْدَهُم - بفتح الهمزة وفتح وكسر^(٢) الجيم وتشديد الدال المهملة المفتوحة ؛ أى^(٣) :

(١ - ١) ما بين الرقين إضافة عن اللسان .

(٢) كذا في ط ، ص ، م وفي ت بياض - وفي القاموس « الجد » بفتح الجيم الحظ والنصيب كالجذب بكسر الجيم .

(٣) بياض بالأصول ، وفي اللسان : قال ثعلب : ما أتاك في الشمر من قولك أجذك فهو بالكسر وقال أبو عمرو :

أجذك بفتح الجيم وكسرها معناه : مالك أجداً منك . وقال سيويه : أجذك مصدر كأنه قال : أجداً منك ، وقال الأصمى : أجذك معناه : أجد هذا منك ؛

العرِيف هنا - بمعنى عارف .

التُّجِب : جمع نجيب ؛ وهو العتيق الكريم من الخيل .

الطُّرُوف - بضم الطاء المهملة : جمع طِرْف . وهو الكريم من الخيل أيضاً .

الرُّوع : الفزع .

الزُّخْف : دُنُو الناس بعضهم من بعض .

العُزُوف - بالعين المهملة والزاي وبالفاء : الصابر .

النَّزِق - بفتح النون وكسر الزاي : الخفيف الطائش .

الرَّيْف - بكسر الراء وبالفاء : الموضع الخصب الذى على الماء .

الرَّعِش : المتقلب غير الثابت .

الإِدْعَان - بكسر أوله وبالدال المعجمة : الانقياد .

المُضِيف - بضم الميم وكسر الضاد المعجمة وبالفاء وهو هنا : المشفق الخائف ، يُقال أضاف من الأمر إذا أشفق منه وخاف .

التَّالِد - بالفوقية وكسر اللام وبالدال المهملة : المال القديم

الطريف - بفتح الطاء المهملة وبالفاء : المال المحدث .

باء^(١) : رجع .

أَلْبُوا - بتشديد^(٢) اللام ، وبالموحدة جمعوا .

الصميم - مفعول ألبوا : وهو خلاصة الشيء .

الجَذْم - بجيم^(٣) مفتوحة وذال معجمة ساكنة : الأصل .

(١) كذا بالأصول ، ولعلها « أتاب » من تنبؤوا فى البيت الذى أوله « نجالد مابقينا أو تنبؤوا ..

(٢) كذا بالأصول ، وقوله بتشديد اللام ينكسر معه الوزن .

(٣) وكذا : بكسر الجيم أيضاً

الجَدْع - بالجيم والذال المعجمتين^(١) : القطع ، وأكثر ما يُستعمل في الأنوف ،
ويقال في المسمع صلماً ، فلما جمعهما ، أعمل فيهما فعلاً واحداً .

لَيْن : مخفف لَيْن بتشديد التحتية .

عنيف - بفتح العين وكسر النون وسكون التحتية وبالفاء : ليس برقيق .

الشُّنُوف بضم الشين المعجمة والنون جمع شَنَف : وهو القرط الذى يكون فى الأذن .

الخُسُوف : الدَّل .

(١) قوله بالمعجمتين خطأ ، لأن الجدع بالذال المهملة هو القطع (اللسان) .

الباب الثالثون

في غزوة تبوك^(١)

ويقال إنها غزوة العُسرة والفاضة : اختلفَ في سببها ؛ فقليل إن جماعة من الأنباط الذين يقدّمون بالزيت من الشام إلى المدينة ذكروا للمسلمين أن الروم جمعوا جموعاً كثيرة [بالشام]^(٢) ، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة ، وأجلبت^(٣) معهم لخمٌ وجُدَام وعَامِلَة وعَسَّان وغيرهم من متنصرة العرب ، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء ٣٢٦ ب ولم يكن لذلك حقيقة ، وكما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك ندب الناس إلى الخروج - نقله محمد بن عمر ومحمد بن سعد .

وروى الطبراني بسند ضعيف عن عمران بن حصين - رضى الله عنهما قال : كانت ٥٦٥ ت نصارى العرب كتبت إلى هرقل / : إن هذا الرجل الذى قد خرج يدعى النبوة هلك وأصابته سنون فهلكت أموالهم . فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن ، فبعث رجلاً من عظمائهم^(٤) وجّهه معه أربعين ألفاً فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأمر بالجهاد .

- وقيل : إن اليهود قالوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا أبا القاسم إن كنت صادقاً فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء ، فغزا تبوك لا يريد إلا الشام . فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى الآيات من سورة بنى إسرائيل : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٥) رواه ابن أبي حاتم ، وأبو سعد - النيسابورى ، والبيهقى بإسناد حسن .

(١) وانظر هذه الغزوة في المغازى للواقدي ٣ : ٩٨٩ ، وسيرة النبی لابن هشام ٢ : ٣١٦ ط الجالية سنة ١٩١٤ ، والبدایة والنهاية لابن كثير ٥ : ٢ وشرح المواهب للزرقاني ٣ : ٦٢ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٢٢ .
(٢) إضافة عن المغازى للواقدي ٣ : ٩٩٠ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٢٢ .
(٣) في «ت» ، «أجلب» .
(٤) في شرح المواهب ٣ : ٦٤ «يقال له قباذ» .
(٥) سورة الإسراء آية ٧٦ .

وقيل : إن الله سبحانه وتعالى لما منع المشركين من قربان المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش : لَنُتَقَطَعَنَّ عَنَّا التَّاجِرَ وَالْأَسْوَاقَ، وَلَيَذْهَبَنَّ مَا كُنَّا نَصِيبُ مِنْهَا . فعوضهم الله تعالى عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يُعْطُوا الجزية عن يَدِهِ وهم صاغرون كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ^(١) وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ^(٢) ﴾ وعزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قتال الروم ، لأنهم أقرب الناس إليه ، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام، رواه ابن مردويه عن ابن عباس، وابن أبي شيبه وابن المنذر عن مجاهد ، وابن جرير عن سعيد بن جبير .

نكر عزمه - صلى الله عليه وسلم - على قتال الروم وبينان ذلك للناس

لَمَّا عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - على قتال الروم عَامَ تَبُوكَ/، وكان ذلك ١٢١٧ في زَمَانِ عُسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ وَشِدَّةٍ مِنَ الْحَرْبِ وَجَدَ مِنْ الْبِلَادِ ، وَحِينَ طَابَتِ الثَّارُ ، وَالنَّاسُ ، يُجِيبُونَ الْمُقَامَ فِي ثَمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ وَيَكْرَهُونَ الشَّخْصَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ ، وَبَيَّنَّ - صلى الله عليه وسلم - للناس مَقْصِدَهُ ، وَكَانَ - صلى الله عليه وسلم - قُلٌّ ^(٣) أَنْ يَخْرُجَ فِي غَزْوَةٍ إِلَّا كُنِيَ عَنْهَا وَوَرَى بِغَيْرِهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ ، فَإِنَّهُ بَيْنَهَا لِلنَّاسِ لِبَعْدِ الشُّقَّةِ وَشِدَّةِ الزَّمَانِ وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ الَّذِي يَصْمُدُّ لَهُ ، لِيَتَأَهَّبَ النَّاسُ لَذَلِكَ أَهْبَتَهُ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ ، وَدَعَا مَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ لِلخُرُوجِ مَعَهُ ، فَأَوْعَبَ مَعَهُ بَشَرَ كَثِيرًا ، وَبَعَثَ إِلَى مَكَّةَ ^(٤) ، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ ، فَعَاتَبَ اللَّهُ - تعالى - مَنْ تَخَلَّفَ

(١) سورة التوبة الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) سورة التوبة آية ١٢٣ .

(٣) في ت « قلما يخرج » .

(٤) في المغازي للواقدي ٣ : ٩٩٠ « وبعث إلى مكة يستقنفرهم » .

منهم لغير عذر من المنافقين والمقصرين ، ووبَّخهم وبين أمرهم ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(١) ﴾ ثم قال : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّعْمَةُ وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ^(٢) ﴾ إلى آخر الآيات .

وروى ابن أبي شيبة ، والبخارى ، وابن سعد عن كعب بن مالك - رضى الله عنه - قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى قيظ شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، وغزى وعدداً كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، وأخبرهم بوجهه الذى يريده .

ذكر حثه - صلى الله عليه وسلم - على النفقة والحملاان فى سبيل الله تبارك وتعالى

فى حديث عمران بن حصين - رضى الله عنهما - عند الطبرانى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس كل يوم على المنبر فيدعو فيقول : « اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ لَنْ تَعْبَدَ فِي الْأَرْضِ . فلم يكن للناس قوة » .

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - حَضَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الصَّدَقَاتِ فجاءوا بصدقات كثيرة ، فكان أول من جاء أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - جاء بماله كله أربعة آلاف درهم فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « هَلْ أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ شَيْئاً ؟ » فقال : أَبْقَيْتُ لَهُمْ ^(٣) الله ورسوله . وجاء عمر بن الخطاب - رضى

(١) سورة التوبة الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) سورة التوبة الآيتان ٤١ ، ٤٢ وما بعدها .

(٣) رواية الواقدي ٣ : ٩٩١ « قال الله ورسوله أعلم » .

الله عنه - بِنِصْفِ مَالِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « هَلْ أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ شيئاً ؟ » قال : نعم مثل ما جئت به^(١) ، وحمل العباس ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد ابن عباد - رضي الله عنهم - وحمل عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - مائتي أوقية إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وتصدق عاصم بن عدى - رضي الله عنه - بسبعين وسقاً من تمر ، وجهزَ عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ثلث ذلك الجيش حتى إنه كان يقال : ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شُنُقُ أَسْقِيَتِهِمْ .

قلت : كان ذلك الجيش زيادةً على ثلاثين ألفاً ، فيكون - رضي الله عنه - جهز عشرة آلاف .

وذكر أبو عمرو في الدرر ، وتبعه في الإشارة : أن عثمان حمل على تسعمائة بعير ومائة فرس بجهازها ، وقال ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - أنفق عثمان في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم يُنفِقْ أَحَدٌ مِثْلَهَا .

ونقل ابن هشام عَنْ مَنْ يَثِقُ بِهِ : أن عثمان - رضي الله عنه - أنفق في جيش العُسرة ألف دينار قُلْتُ غير الإبل والزاد وما يتعلق بذلك . قال : فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « اللهم ارض عن عثمان فأني عنه راض » . وروى الإمام أحمد ، والترمذي وحسنه ، والبيهقي عن عبد الرحمن بن سُمرة - رضي الله عنه - قال : جاءَ عثمان إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بألف دينار في كُمِّه حين جهَّز رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جيشَ العُسرة ، فصَبَّهَا في حِجْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فجعل النبيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُقَلِّبُهَا بيده ويقول : « ما ضَرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم » يرددها مراراً .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند ، والترمذي ، والبيهقي عن عبد الرحمن / ٥٦٧ ت ابن خُباب^(٢) - بالمعجمة وموحدتين - رضي الله عنه - قال : خطب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فحثَّ عَلَى جيشِ العُسرة ، فقال عثمان - رضي الله عنه - عَلَى مائَةٍ بعير

(١) به سقط في ت ، م .

(٢) وكذا في شرح المواهب ٣ : ٦٥ بمعجمة وموحدتين الأولى ثقيلة وفي فتح الباري ٩ : ١٧٤ « حباب » .

بِأَخْلَاسِهَا^(١) وَأَقْتَابِهَا^(٢) ، ثُمَّ نَزَلَ مِرْقَاةً أُخْرَى مِنَ الْمَنِيرِ^(٣) فَحَثَّ فَقَالَ عُمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : عَلَى مِائَةِ أُخْرَى بِأَخْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا ثُمَّ نَزَلَ مِرْقَاةً أُخْرَى فَحَثَّ فَقَالَ عُمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : عَلَى مِائَةِ أُخْرَى بِأَخْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا . ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ بِيَدِهِ - هَكَذَا - يَحْرُكُهَا كَالْمَتَعَجَّبِ « مَا عَلَى عُمَانُ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ » أَوْ قَالَ : - بَعْدَهَا «

وروى الطيالسي ، والإمام أحمد ، والنسائي عن الأحنف بن قيس - رحمه الله ٣٢٨ تعالى - قال / : سمعتُ عثمان - رضى الله عنه - يقول لسعد بن أبي وقاص وعلي والزبير وطلحة : أَنَشِدُكُمْ اللَّهَ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ » فَجَهَّزْتُمْ حَتَّى مَا يَفْقَهُونَ خِطَامًا وَلَا عِقَالًا ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

ويأتى فى ترجمة عثمان - رضى الله عنه - أحاديث كثيرة فى ذلك .

قال محمد بن عمر - رحمه الله : وحمل رجالٌ ، وقوى ناسٌ دون هؤلاء مَنْ هُم أضعف منهم ، حتى إنَّ الرَّجُلَ لِيَأْتِيَ بِالْبَعِيرِ إِلَى الرَّجُلِ وَالرَّجُلِينَ فيقول : هذا البعير بَيْنَنَا نعتقبه ، ويأتى الرجل بالنفقة فيعطيهما بعض من يخرج حتى أن كان النساء يَبْعَثْنَ^(٤) بِمَا يَقْلِرْنَ^(٥) عليه ، وحمل كعب بن عجرة واثلة بن الأسقع ، وروى أبو داود ، ومحمد بن عمر عن واثلة بن الأسقع ، - رضى الله عنه - قال : نادى منادى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فى غزوة تبوك ، فخرجت إلى أهلى - وقد خرج أول أصحابه - فطفت فى المدينة أنادى : ألا من يحمل رجلاً وله سهمه ؟ فإذا شيخٌ من الأنصار - سمّاه محمد بن عمر : كعب بن عجرة - فقال : سهمه على أن تحمله عقبه وطعامه معنا ؟ فقلت : نعم ، فقال : سِرْ على بركة الله تعالى ، فخرجتُ مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا .

(١) الأجلال : جمع جلس كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل (القاموس) .

(٢) الأقتاب : جمع قتب وهو الرحل .

(٣) إضافة عن شرح المواهب ٣ : ٦٥ .

(٤) فى ت « قدرن عليه » .

(٥) فى المغازى للواقدي ٣ : ٩٩١ « لين »

قال محمد بن عمر : بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع خالد بن الوليد إلى أكيذر^(١) دومة^(٢) . قال : فأصابني قلائص - قال محمد بن عمر : ستة - فسقتهن حتى أتيته بهن ، فخرج فقمعد على حقيبة من حقائق إبله ثم قال : سقهن مقبلات . فسقتهن ، ثم قال : سقهن مدبرات ، فقال : ما أرى قلائصك إلا كراما ، فقلت : إنما هي غنيمتك التي شرطت لك ، قال : خذ قلائصك يا بن أخي ، فغير سهمك أردنا .

نكر بعض ما دار بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين بعض المنافقين وتبيطهم الناس عن الخروج معه

روى ابن المنذر ، والطبراني ، وابن مردويه ، وأبو نعيم في المعرفة عن ابن عباس وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهم - وابن عقبة ، ومحمد بن إسحاق ، ومحمد بن عمر - رحمهم الله تعالى - عن شيوخهم ، زاد ابن عقبة : أن الجَدَّ بن قيس أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في المسجد معه نفرٌ ، فقال : يا رسول الله ائذن لي في القُعود ، فإني ذو ضَبْعَةٍ^(٣) وعِلَّةٍ فيها عثر لي ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « تجهَّزْ فَإِنَّكَ مُوسِرٌ - ثم اتفقوا - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - تجهَّزْ تجهَّزْ فَإِنَّكَ مُوسِرٌ ، لَعَلَّكَ تُحَقِّبُ من بنات بنى الأصفر ؟ » قال الجَدُّ : أو تأذن لي وَلَا تَفْتِنْنِي ، فوالله لقد عرف قومي ما أحد أشدَّ عُجْبًا بالنساء^{٥٦٨} مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر عنهن ، فأعرض عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : « قد أَذِنَّا لك » زاد محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - فجاءه ابنه عبدُ الله بن الجَدِّ - وكان بَدْرِيًّا - وهو أخو معاذ بن جبل لأمه ، فقال لأبيه : لِمَ تردَّ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقالته فوالله ما في بنى سَلَمَةَ أحد أكثر مالا منك ؛ فلا تخرج ولا تحمل ؟ فقال : يا بني ما لي وللخروج في الريح

(١) هو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجبن النصراني المختلف في إسلامه والأكثر على أنه قتل كافرًا ، وقد ذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة ، وردده ابن الأثير بأنه خطأ ظاهر فإنه إنما أهدى للنبي وصاحبه ولم يسلم باتفاق أهل السير ، ثم أسره خالد في زمن أبي بكر فقتله كافرًا - وانظر بقية الحديث عنه في شرح المواهب ٣ : ٧٧ .
(٢) هي دومة الجندل وهي حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال ، يقال عرفت بدومة ابن اسماعيل (المرجع السابق) .
(٣) الضبغة : شدة شهوة الفحل للناقة . (اللسان) .

والحرّ الشديد والمُصرة إلى بني الأصفر ، فوالله ما آمن - خوفاً - من بني الأصفر وأنا في منزلي ، أفأذهب إليهم أغزوهم ؟ ! إني والله يا بني عالم بالدوائر ، فأغلظ له ابنه وقال : لا والله ولكنّه النفاق ، والله لينزلن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيك قرآن يُقرأ به ، فرفع نعله فضرب به وجهه ولده ، فانصرف ابنه ولم يكلمه ، وأنزل الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذَا لِيَ وَلَا تَفْتِنُنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (١) أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والرجبة بنفسه عن نفسه ، يقول : وإن جهنم لمن ورائه .

وجعل الجَدُّ وغيره من المنافقين يُثَبِّطُونَ المسلمين عن الخروج ؛ قال الجَدُّ لجَبَّار ابن صخر ومن معه من بني سلمة : لا تنفروا في الحر ؛ زهّادة في الجهاد ، وشكاً في الحق ، وإرجافاً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) .

وروى ابن هشام - رحمه الله تعالى - عن عبد الله بن حارثة - رضى الله تعالى عنه - قال : بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أَنَّ نَاسًا من المنافقين يَجْتَمِعُونَ في بيت سُوَيْلَم اليهودي يثَبِّطُونَ الناس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك ، فبعث إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طلحة بن عبيد الله - رضى الله عنه - في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سُوَيْلَم اليهودي ففعل طلحة ، وأقتحم الضحّاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله وأقتحم أصحابه فأفلتوا .

وجاء أهل مسجد الضّرار إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يتجهّز إلى تبوك ١٣٢٩ فقالوا : يا رسول الله قد بنينا مسجداً / لذي العِلَّة والحاجة والليلة المطيرة ، ونُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنَا فَتُصَلِّيَ فِيهِ ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إِنَّا فِي شُغْلٍ السَّفَرِ ، وَإِذَا أَنْصَرَفْتُ سَيَكُونُ » .

(١) سورة التوبة آية ٤٩ .

(٢) سورة التوبة الآيتان ٨١ ، ٨٢ .

نكر خبر المخلفين والمعذرين ، والبكائين

قال ابن عقبة - رحمه الله تعالى - : وتخلّف المنافقون ، وحَدَّثوا أنفسهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يرجع إليهم أبداً ، فاعتذروا . وتخلّف رجالٌ من المسلمين بأمرٍ كان لهم فيه عذرٌ ، منهم السقيم والمعسر .

قال محمد بن عمر : وجاء ناس من المنافقين إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليستأذّنوه في القعود من غير علة ، فأذن لهم / - وكانوا بضعة وثمانين رجلاً . ٥٦٩ ت

وروى ابن مردويه عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - استدار برسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجالٌ من المنافقين حين أذنَ للجدّ بن قيس يستأذّنون يقولون : يا رسول الله ائذن لنا فإننا لا نستطيع أن نغزو^(١) في الحرّ ، فأذن لهم ، وأعرض عنهم .

وجاء المعذّرون من الأعراب فاعتذروا إليه فلم يُعذّرهم الله ، قال ابن إسحاق : وهم نفر من بنى غفار ، قال محمد بن عمر ، كانوا اثنين وثمانين رجلاً ، منهم ؛ خُفاف ابن أيماء .

وروى ابن جرير ، وابن مردويه عن ابن عباس - رضى الله عنه - وابن جرير عن محمد بن كعب القرظي وابنُ إسحاق ، وابنُ المنذر ، وأبو الشيخ عن الزهري ، ويزيد ابن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن محمد بن عمر بن قتادة وغيرهم : أن عصابة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جائؤه يستحملونه ، وكلهم مُعسر ذو حاجة لا يحب التخلّف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لا أجِدُ ما أحملُكم عليه تَوَلَّوْا وأعِينهم تفيض من الدمع حَزَنًا أَلَّا يجلو ما ينفقون » ، وهم سبعة ، واختلفوا في أسمائهم ، فالذى اتفقوا عليه سالم بن عمير من بنى عمرو بن عوف الأوسى، وعُلبّة - بضم العين المهملة وسكون اللام وبالموحدة - بن زيد ، وأبوليلي عبد الرحمن بن كعب ، وهري - ويقال بإسقاط التحتية - ابن عبد الله - وهو بها - والذي اتفق عليه القرظي ، وابنُ إسحاق ، وتبعهم ابن سعد ،

(١) في ت ٢ : ٥٦٩ « أن ننفر » والمثبت عن بقية النسخ .

وابن حزم ، وأبو عمرو ، والسهيلي ولم يذكر الأخير ، والواقدي : عرياض - بكسر العين المهملة وسكون الراء وبالفصاد المعجمة - بن سارية بالمهملة وبالتحتية ، وجزم بذلك ٣٢٩ ب ابن حزم ، وأبو عمرو ، ورواه أبو نعيم عن ابن عباس ، والذي اتفق عليه / القرظي وابن عقبة وابن إسحاق : عبد الله بن مَغْفَل - بيم مضمومة فغين معجمة ففاء مشددة مفتوحتين - المزني ، وفي حديث ابن عباس : عبد الله بن مغفل فيهم ، وروى ابن سعد ويعقوب بن سفيان وابن أبي حاتم عن ابن مَغْفَل قال : إني لأحُدُ الرهط الذين ذكر الله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا آتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ (١) الآية . والذين اتفق عليهم القرظي وابن عمر : سلمة بن صخر ، ولفظ القرظي سلمان ، والذي اتفق عليه القرظي وابن عقبة : عمرو بن عَنَمَة - بفتح العين المهملة والنون - ابن عدى ، وعبد الله بن عمرو المزني . حكاه ابن إسحاق قولاً بدلاً عن ابن مَغْفَل ، وانفرد القرظي بذكر عبد الرحمن بن زيد أبي عبلة من بني حارثة ، وبذكر هرمي بن عمرو من بني مازن . قال محمد بن عمر : ويقال إن عمرو بن عوف منهم .

قال ابن سعد : وفي بعض الروايات من يقول فيهم : معقل - بالعين المهملة والقاف ابن يسار ، وذكر فيهم الحاكم حرمي بن مبارك بن النجار ، كذا في المورد ، ولم أر له ذكراً في كتب الصحابة التي وقفت عليها .

وذكر ابن عائد فيهم : مهدي بن عبد الرحمن ، كذا في العيون ، ولم أر له ذكراً ٥٧٠ هـ فيما وقفت عليه من كتب الصحابة ، وذكر فيهم محمد بن كعب / : سالم بن عمرو الواقفي ، قال ابن سعد : وبعضهم يقول : البكاؤون بنو مُقَرَّن السبعة ، وهم من مزينة انتهى ، وهم : النعمان ، وسُوَيْد ، ومَعْقِل ، وعَقِيل ، وِسنان [وعبد الرحمن] (٢) والسابع لم يسم ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل النعمان ، وقيل ضرار ، وقيل (٣) وحكى ابن فتحون - قولاً - أن بني مُقَرَّن عشرة فيتعين ذكر السبعة منهم .

(١) سورة التوبة آية ٩٢ .

(٢) الإضافة عن شرح المواهب ٣ : ٦٧ .

(٣) يفاض بالأصول بمقدار كلمة .

وذكر ابن إسحاق في رواية يونس وابن عمر : أن عبلة ابن زيد لما فقد ما يحمله ولم يجد عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يحمله خَرَجَ من الليل فصلَّى من ليلته ما شاء الله تعالى ، ثم بكى وقال : اللهم إنك أمرتنا بالجهاد ورَغَبْتَ فيه ، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في مال أو جسد أو عرض ، ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أين المتصدق هذه الليلة » فلم يقم أحد ، ثم قال : « أين المتصدق فليقم » فقام إليه فأخبره ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « أبشر ، فوالذى نفسى بيده لقد كُتِبَتْ في الزكاة المتقبلة » .

قال ابن إسحاق ومحمد بن عمر : لما خرج البكائن من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد أعلمهم أنه لا يجد ما يحملهم عليه لقي يامينُ بنُ عمرو النضريُّ أبا ليلى وعبد الله بن مَقْلٍ وهما يبيكان ، فقال : / ما يُبْكِيكُمَا ؟ ، قالا : جئنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج ، ونحن نكره أن تفوتنا غزوة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأعطاهما ناضحا له ، وزوّد كل واحد منهما صاعين من تمر ، زاد محمد بن عمر : وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين ، وحمل عثمان بن عفان منهم ثلاثة نفر بعد الذى جهّز من الجيش .

نكر حديث أبى موسى في حلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أنه لا يحملهم ثم حملهم

روى الشيخان عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نَفَرٍ من الأشعرين ليحملنا ، وفي رواية : أرسلنى أصحابى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسأله لهم الحُمْلان ، فقلت : يا رسول الله إن أصحابى أرسلونى لتحملهم ، فقال : « والله لا أحملكم على شيء ، وما عندى ما أحملكم عليه » ووافقته وهو غضبان ولا أشعر ، فرجعت حزينا من منع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن مخافة أن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجد في نفسه ، فرجعت إلى أصحابى فأخبرتهم بالذى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم جىء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنَهَبٍ لبِلٍ ، فلم ألبث إلّا سُوَيْعة إذ سمعتُ بلالا ينادى : أين عبد الله

ابن قيس^(١) ؟ فأجبت ، فقال : أجب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوك ، فلما أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « خذ هذين القرينين وهذين القرينين وهذين القرينين » لست أبعرة أبتاعهن حينئذ من سعد^(٢) ، وفي رواية : فأمر لنا بخمس ذود غرّ الذرى ، فقال « انطلق بهن إلى أصحابك فقل إن الله - أو قال : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحملكم على هؤلاء فاركبوا » قال أبو موسى فانطلقت ٥٧١ ت إلى أصحابي فقلت / : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحملكم على هؤلاء ، ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين سألتكم لكم ومنعه في أول مرة ، ثم إعطائه إياي بعد ذلك ؛ لا تظنوا أني حدثكم شيئاً لم يقله . فقالوا لي : والله إنك عندنا لمصدق ولنفعن ما أحبيت . فانطلق أبو موسى بنفرٍ منهم حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من منعه إياهم ثم إعطائه بعد ذلك ؛ فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى ، قال أبو موسى : ثم قلنا : تغفلنا^(٣) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمينه ، والله لا يبارك ب ٣٣٠ لنا ، فرجعنا فقلنا له / ، فقال « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم » قال : « إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت التي هي خير وتحللتها » فقال : « كُفِّرْتُ عن يميني » .

نكر مجيء المعذرين من الأعراب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
ليؤذن لهم فلم يعذرهم

قال محمد بن عمر ، وابن سعد : وهما اثنان وثمانون رجلاً من بني غفار ، وأنزل الله - تبارك وتعالى - في ذلك كله ﴿ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ . رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ . لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَلُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ

(١) هو أبو موسى الأشعري .

(٢) قيل هو سعد بن عباد . (شرح المواهب ٣ : ٦٨)

(٣) « تغفلنا » أي تحينا غفلته حين سألناه وقت شغله . (اللسان) وفي السيرة الحلبية ٣ : ١٤٩ « أغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي حملناه على يمين الغلق » .

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ^(١) .

نكر من تخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو صحيح الايمان
غير شك

قال ابن إسحاق ومحمد بن عمر رحمه الله تعالى : وكان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، وأبو خيثمة ، وأبو ذر الغفاري . وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم - انتهى - وسيأتي أن أبا خيثمة ، وأبا ذر لحقا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وستأتي قصة الثلاثة .

نكر من استخلفه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أهله ، ومن
استخلفه على المدينة

قال ابن إسحاق : وخلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بن أبي طالب - رضي الله عنه - على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استثقالا له ، وتخففا منه ، فلما قالوا ذلك أخذ على سلاحه وخرج حتى / لحق برسول ^{٢٧٢}
^{١٣١} الله - صلى الله عليه وسلم - وهو نازل بالجرف ، فأخبره بما قالوا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « كذبوا ، ولكني خلقتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي »

(١) سورة التوبة الآيات من ٨٦ - ٩٣ .

بعدي « فرجع على إلى المدينة - وهذا الحديث رواه الشيخان ، وله طرق تأتي في ترجمة سيدنا علي - رضي الله عنه .

واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم - على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري - رضي الله عنه - قال : وذكر الدراوردي : أنه استخلف عام تبوك سيّاح بن عُرْفُطَة ، زاد محمد بن عمر - بعد حكاية ما تقدم - ويقال ابن أم مكتوم ، وقال : والثابت عندنا محمد بن مسلمة ، ولم يتخلف عنه في غزوة غيرها ، وقيل : علي بن أبي طالب ، قال أبو عمرو وتبعه ابن دحية : وهو الأثبت ، قلت : ورواه عبد الرزاق في المصنف بمسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - ولفظه : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما خرج إلى تبوك استخلف على المدينة علي بن أبي طالب ، وذكر الحديث .

وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواة وراية ، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جيشه من الاستكثار من النعال ، وقال « إن الرجل لا يزال راكباً مادام مُتَعَلِّلاً » وأمر أبا بكر - رضي الله عنه - أن يصلي بمن تقدمه - صلى الله عليه وسلم -

نكر خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن عسكر ؟ وخروج عبد الله ابن أبي معه مكراً ومكيدة ، ورجوعه أخزاه الله تعالى

قالوا : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في رجب سنة تسع فحسبوا - صلى الله عليه وسلم - في ثنية الوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً ، قال ابن إسحاق ، ومحمد ابن عمر ، وابن سعد ، ورواه محمد بن عمر ونقله ابن الأمين عن زيد بن ثابت ، وروى الحاكم في الإكلیل عن معاذ ابن جبل قال : خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً ، ونقل الحاكم في الإكلیل عن أبي زرعة قال : كانوا بتبوك سبعين ألفاً ، وجمع بين الكلامين بأن من قال : ثلاثين ألفاً لم يعدّ التابع . ومن قال سبعين ألفاً عدّ التابع والمتبوع . وكانت الخيل عشرة آلاف فرس ، وقيل بزيادة ألفين .

وروى عبد الرزاق وابن سعد عن كعب بن مالك - رضى الله عنه - قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى تبوك يوم الخميس ، وكانت آخر غزوة غزاها ، / ٢٢١ ب وكان يستحب أن يخرج يوم الخميس ، وعسكر عبد الله بن أبي معه على حدة ، عسكره أسفل منه نحو ذباب ، قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد : وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين . قال ابن حزم : وهذا باطل ، لم يتخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا ما بين السبعين إلى الثمانين فقط ، فأقام ابن أبي ما أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحو تبوك تخلف ابن أبي راجعا إلى المدينة فيمن تخلف من المنافقين ، وقال : يغزو محمد بنى الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد / البعيد إلى ما لا طاقة له به ، يحسب محمد ٥٧٣ ت أن قتال بنى الأصفر معه اللعب ، والله لكأنى أنظر إلى أصحابه مقرنين في الجبال ، إرجافا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبأصحابه .

قال عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب : خرج المسلمون في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير واحد . رواه البيهقي ، وخرج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ناس من المنافقين لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمة .

ولما رحل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ثنية الوداع عقد الألوية والرايات ، فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - ورايته العظمى إلى الزبير ابن العوام ، ودفع راية الأوس إلى أسيد بن الحضير ، وراية الخزرج إلى أبي دجانة ، ويقال إلى الحباب بن المنذر ، وأمر كل بطن من الأنصار أن يتخذ لواء ، ورأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - برأس الثنية عبداً متسلحا ، فقال العبد : أقاتل معك يا رسول الله فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ارجع إلى سيدك »^(١) لا تقتل معي فتدخل النار ، ونادى منادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يخرج معنا إلا مقبور . فخرج رجل على بكر صعب فصرعه بالسوءداء ، فقال الناس : الشهيد الشهيد . فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مناديا : لا يدخل الجنة عاص .

(١) في شرح المواهب ٣ : ٧٢ « ارجع إلى سيدك » .

وكان دليله - صلى الله عليه وسلم - إلى تبوك علقمة بن الفخواء الخزاعي - رضى الله عنه .

ذكر تخلف أبي ذر الغفاري - رضى الله عنه - لما عجز بعيره ، وما وقع في ذلك من الآيات

وروى ابن إسحاق عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : لما سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى تبوك جعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول « دعوه فإن يك فيه خيرٌ فسيُلجَّه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه » حتى قيل : يا رسول الله ، تخلف أبو ذرٍّ وأبطأ به بعيره ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « فإن يك فيه / خيرٌ فسيُلجَّه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه » وتلوم أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ماشياً ، قال محمد بن عمر : قالوا : وكان أبو ذر الغفاري يقول : أبطأت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك من أجل بعيري .

وكان نضواً أعجف ، فقلت أعلفه أياماً ثم ألحق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعلفته أياماً ، ثم خرجت فلما كنت بذي المروة أذم بي فتلومت عليه يوماً فلم أر به حركة ، فأخذت متاعى فحملته . قال ابن مسعود : وأدرك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بعض منازل ، قال محمد بن عمر : قال أبو ذر : فطلعت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نصف النهار وقد أخذ^(١) مني العطش ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « كُنْ أَبَا ذرٍّ » فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله ؛ هو والله أبو ذرٍّ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « رحم الله أبا ذرٍّ ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » فكان كذلك كما سيأتى في المعجزات في أبواب إخباره - صلى الله عليه وسلم - بأحوال رجال ، فلما قدم أبو ذرٍّ^(٢) على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبره خبره ، فقال

(١) في ت ٢ : ٥٧٣ « وقد أخذ العطش » .

(٢) واسمه مالك بن قيس بن ثعلبة بن العجلان بن زيد بن غم بن سالم بن عوف بن الخزرج - أبو غيث الانصاري .

مشهور بكنيته (الإصابة لابن حجر ٣ : ٢٣٣) .

« قد غفر الله لك يا أبا ذرّ بكل خطوة ذنبا إلى أن بلغتني » ووضع متاعه عن ظهره ، ثم استقى فأتى بإناء من ماء فشربه .

قصة أبي خيثمة - رضى الله عنه

روى الطبراني عن أبي خيثمة - رضى الله عنه - وابن إسحاق ، ومحمد بن عمر عن شيوخيها قالوا : لما سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيّاما دخل أبو خيثمة على أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه ، وقد رشت كل منهما عريشها وبرّدّت له فيه ماء ، وهيّأت له فيه طعاما ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له فقال : سبحان الله ! رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الصّبح والريح والحر ، يحمل سلاحه على عنقه وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيا ، وامرأة حسنة ، في ماله مقيم !!؟ ما هذا بالنّصف ! ثم قال : والله لا أدخلُ عريشَ واحدة منكما حتى ألحق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهيثّا لي زاداً ، ففعلتّا ، ثم قدّم ناصحه فأرتحلّه ، ثم خرج في طلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - / حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة ٢٣٢ ب عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلبُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فترافقا حتى إذا دنّوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إنّ لي ذنبا فلا عليك أن تخلّف عني حتى آتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال الناس : هذا راكب [على الطريق]^(١) مقبل ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « كُنْ أبا خيثمة » فقال رجل : هو والله يا رسول الله أبو خيثمة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أُولَى لَكَ يا أبا خيثمة » ثم أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : خيرا ، ودعا له بخير ، قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة في ذلك :

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ نَافَقُوا أَتَيْتُ الَّتِي كَانَتْ أَعْفَى وَأَكْرَمًا^(٢)
وَبَايَعْتُ بِالْيَمْنَى يَمْنَى لِمُحَمَّدٍ فَلَمْ أَكْتَسِبْ إِثْمًا وَلَمْ أَغْشَ مَحْرَمًا

(١) إضافة عن البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ٨ .

(٢) وانظر القصيدة في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣١٨ ط الجالية سنة ١٩١٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٥ : ٨ .

تَرَكْتُ حَضِييْبَا فِي الْعَرِيشِ وَصِرْمَةً صَفَا يَا كِرَامَا بُسْرَهَا قَدْ تَحَمَّما
وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ الْمَنَافِقُ أَسْمَحْتُ إِلَى الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

نَكَرَ أَخْبَارَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَا قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَنَافِقِينَ
الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ

قال محمد بن إسحاق ، ومحمد بن عمر - رحمهم الله تعالى - كان رهط من المنافقين
يسيرون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمة : وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ
أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ .

وَالْجُلَاسُ بْنُ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ .

وَمُخَشِّنٌ^(١) بِالنُّونِ - قال أبو عمرو وابن هشام مَخْشِيٌّ بِالتَّحْتِيَةِ^(٢) - ابْنُ حُمَيْرٍ
مِنْ أَشْجَعٍ ، حَلِيفُ لَبْنَى سَلْمَةَ ، زَادَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو : وَثُعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو : فَقَالَ ثُعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ : أَتُحْسِبُونَ
جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَجِلَادِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، لَكَأَنِّي بِكُمْ غَدَا مَقْرَنِينَ فِي الْحَبَالِ ،
إِزْجَافًا بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِرْهَابًا^(٣) لِلْمُؤْمِنِينَ .

وَقَالَ الْجُلَاسُ بْنُ عَمْرِو ، وَكَانَ زَوْجَ أُمِّ عُمَيْرٍ ، وَكَانَ ابْنُهَا عُمَيْرٌ يَتِيمًا فِي حِجْرِهِ :
وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا لَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ ، فَقَالَ عُمَيْرٌ : فَأَنْتَ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ ،
وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَادِقٌ وَأَنْتَ الْكَاذِبُ ، فَقَالَ مُخَشِّنُ بْنُ حُمَيْرٍ : وَاللَّهِ
لَوَدِدْتُ أَنَّ أَقْاضِي عَلَى أَنَّ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِثًا مِائَةَ جِلْدَةٍ ، وَإِنَّا نَنْفَلِتُ أَنْ يَنْزَلَ
فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ !!

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ « أَدْرَكَ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ
أَحْتَرَقُوا ، فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا ، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ بَلَى قَلِمَ كَذَا / وَكَذَا » فَانْطَلَقَ عَمَّارٌ

(١) مُخَشِّنٌ : بِالنُّونِ كَذَا هَذَا . وَسِيرِدٌ فِي شَرْحِ الْغُرَيْبِ ص ٦٩٨ « يَفْتَحُ الْمِيمَ وَسُكُونُ الْخَاءِ وَكَسْرُ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةُ
بَعْدَهَا يَاءُ كِيَاءِ النَّسَبِ » وَفِي الْمَغَازِي لِلْوَاقدِي ٣ : ١٠٠٣ « مُخَشِّنُ بْنُ حُمَيْرٍ مِنْ أَشْجَعٍ حَلِيفُ لَبْنَى سَلْمَةَ » .

(٢) فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ لِابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٣١٩ ط الْجَالِيَةِ « وَمِنْهُمْ رَجُلٌ حَلِيفُ لَبْنَى سَلْمَةَ يُقَالُ لَهُ مُخَشِّنُ بْنُ حُمَيْرٍ - قَالَ
ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ مُخَشِيٌّ » .

(٣) كَذَا فِي ت ، وَفِي بَقِيَةِ النَّسْخِ « تَرْهِيًا » وَتَوَافَقَهَا السَّيْرَةُ الْحَلَبِيَّةُ ٣ : ١٤٩ وَسِيرَةُ النَّبِيِّ لِابْنِ هِشَامٍ ٣ : ١٣٨
وَالْمَغَازِي لِلْوَاقدِي ٣ : ١٠٠٣ .

وقال مُحَسِّنٌ : يارسول الله ، قعد بي اسمي واسم أبى ، فسمَّاه رسول الله الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الرحمن أو عبد الله ، وكان الذى عَفَى عنه فى هذه الآية ، وسأل الله تعالى أَنْ يُقْتَلَ شهيداً ولَا يُعْلَم بمكانه ، فقتل يوم اليامة ، ولم يعرف^(٣) له أثر .

نكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - بذى المروة ، وما وقع في ذلك من الآيات

(١) سورة التوبة الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) سورة التوبة آية ٧٤ .

(٣) في ت ٢ : ٥٧٥ « فلم يوجد له أثر » وكذلك في سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣١٩ ط الجاهلية . والمغازي للواقدي ٣ : ١٠٠٥ .

- ٦٤٣ -

نكر مروره — صلى الله عليه وسلم — بوادى القرى

قال أبو حميد الساعدي — رضى الله عنه —: بخرجنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عام تبوك حتى جئنا وادى القرى ، فإذا امرأة في حديقة لها ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأصحابه «أخروا» فخرص القوم وخرص رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عشرة أوسق ، وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — للمرأة «احفظي ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله تعالى» ولما أقبل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من غزوة تبوك إلى وادى القرى قال للمرأة «كم جاءت حديقتك؟» قالت : عشرة أوسق «خرص رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رواه ابن أبي شيبة ، والإمام أحمد ، ومسلم .

قال محمد بن عمر : ولما نزل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وادى القرى أهدى ٣٣٣ ب له بنو عريض اليهودى هريسة^(١) فأكلها وأطعمهم أربعين / وسقا ، فهي جارية عليهم ٥٧٦ هـ إلى يوم القيامة / قال محمد بن عمر : فهي جارية عليهم إلى الساعة .

ذكر نزوله — صلى الله عليه وسلم — بالحجر ، وما وقع في ذلك من الآيات

روى الإمام مالك ، وأحمد ، والشيخان عن عبد الله بن عمر ، والإمام أحمد عن جابر ابن عبد الله ، والإمام أحمد بسند حسن عن أبي كبشة الأنماري ، وابن إسحاق عن رواية ابن يونس عن الزهري ، والإمام أحمد عن أبي حميد الساعدي رضى الله عنهم : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لما مرّ بالحجر تقنع بردائه وهو على الرحل ، فاتضع راحلته حتى خلف أبيات ثمود ، ولما نزل هناك سارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم ، واستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا ونصبوا القدور باللحم ، فبلغ ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فنودى في الناس : الصلاة جامعة ، فلما اجتمعوا قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم ، ولا تشربوا من مائها ولا تتوضئوا منه للصلاة ، واعلفوا العجين الإبل » ثم ارتحل بهم حتى نزل على العين التي كانت تشرب

(١) الهريسة : سميت بذلك لأن البر الذي هي منه يدق ثم يطبخ (اللسان) وفي المنجد : الهريسة طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم .

منها الناقة ، وقال : « لا تسألوا الآيات . فقد سألنا قوم صالح ؛ سألوا نبيهم أن تبعث آية ، فبعث الله تبارك وتعالى لهم الناقة ، فكانت تردُّ هذا الفجَّ وتصدر من هذا الفج ، فمَتَّوْا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب مياههم يوما ، ويشربون لبنها يوما ، فعقروها فأخذتهم صيحة أهدمَ الله تعالى مَنْ تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحداً كان في حرم الله تعالى ، قيل : مَنْ هُوَ يا رسول الله ؟ قال « أبو رغال » فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه ، ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم » فناداه رجل منهم : تعجب منهم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ألا أنبئكم بأعجب من ذلك ؟ رجل من أنفسكم فينبئكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا ؛ فإن الله تعالى لا يعبأ بعذابكم شيئا ، وسيأتى الله بقوم لا يدفعون عن أنفسهم بشيء ، وإنما ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقوم أحد ، ومن كان له بعير فليوثق عقاله ، ولا يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحب له ؛ [(١) ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا رجلين من بنى ساعدة ، خرج أحدهما لحاجته والآخر في طلب بعيره ، فأما الذى خرج لحاجته فإنه خنق على مذهبه - أى موضعه - وأما الذى خرج في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلى طيء اللذين يقال لأحدهما أجأ ويقال للآخر سلمى ، فأخبر بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ألم أنبئكم عن أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه] (١) ثم دعا للذى أصيب على مذهبه فشق ، وأما الآخر فإن طيئا أهده لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين رجع إلى المدينة .

* * *

ذكر استسقائه - صلى الله عليه وسلم - ربه حين شكوا إليه العطش ، وما وقع في ذلك من الآيات

روى البيهقي عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل بن أَبِي طالب / رحمه الله تعالى - ١٣٤ قال : خرج المسلمون إلى تبوك في حر شديد فأصابهم يوم عطش حتى جعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عُسرة في الماء ، وعُسرة في النفقة ، وعُسرة في الظهر ، وروى الإمام أحمد وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم عن عمر

(١ - ١) ما بين الرقن سقط في الأصول ، والمثبت عن شرح المواهب للزرقاني ٣ : ٧٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١١ : ٥ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٢٦ .

ابن الخطاب رضى الله عنه ، وابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال عمر : خرجنا إلى تبوك في يوم قيظ شديد ، فنزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى أن كان الرجل يذهب يلمس الرجل فلا يرجع / حتى يظن أن رقبته ستقطع حتى أن كان الرجل لينحر بغيره فيعصر فَرَثَهُ فيشربه ويجعل ما بقى على كبده ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا ، فادع الله تعالى لنا ، قال « أتحب ذلك ؟ » قال نعم فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت ، فملثوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر ، وروى ابن أبي حاتم عن ابن حُرَّة - رحمه الله تعالى - قال : نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار في غزوة تبوك .

ونزلوا الحجر فأمرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أن لا يحملوا من مائها شيئا ثم ارتحل ، ثم نزل منزلا آخر وليس معهم ماء ، فشكوا ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقام فصلى ركعتين ، ثم دعا فأرسل الله سبحانه وتعالى سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها ، فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يُتَّهَمُ بالنفاق : ويحك قد ترى مادعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأمر الله علينا السماء ، فقال : إنما أمطرنا بنوء كذا وكذا ، فأنزل الله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ)^(١) ذكر ابن إسحاق أن هذه القصة كانت بالحِجْر ، وروى عن محمود بن لبيد عن رجال من قومه قال : كان رجل من المنافقين^(٢) معروف نفاقه يسير مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيثما سار ، فلما كان من أمر الحِجْر ما كان ، ودعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين دعا فأرسل الله تعالى السحابة فأمطرت حتى أرتوى الناس ، قالوا أقبلنا عليه نقول ويحك ، هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة .

نكر إضلال ناقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما وقع في ذلك من الآيات

٣٣٤ ب / قال محمد بن إسحاق ، ومحمد بن عمر - رحمهم الله تعالى : ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سار حتى إذا كان ببعض الطريق متوجها إلى تبوك فأصبح في منزل

(١) سورة الواقعة آية ٨٢ .

(٢) في المغازي للواقدي ٣ : ١٠٠٩ « هو أوس بن قيثي ، ويقال زيد بن اللصيت » .

فَضَّلَتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ : هِيَ الْقِصْوَاءُ - فَخَرَجَ أَصْحَابُهَا فِي طَلَبِهَا وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ ، وَكَانَ عَقِيبًا بِدْرِيَا ، قَتَلَ يَوْمَ الْيَاسَةِ شَهِيدًا ، وَكَانَ فِي رَحْلِهِ زَيْدُ بْنُ اللَّصَّيْتِ ، أَحَدُ بَنِي قَيْنِقَاعَ ، كَانَ يَهُودِيًّا فَاسْلَمَ فَنَافَقَ ، وَكَانَ فِيهِ خَبِيثُ الْيَهُودِ وَغَشَمٌ ، وَكَانَ مَظَاهِرًا لِأَهْلِ النِّفَاقِ ، فَتَمَالَ زَيْدٌ وَهُوَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ بْنِ حَزْمٍ ، وَعُمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَهُوَ يَخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ !! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ : « إِنْ مَنَافَقًا قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَيَخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا ، وَهِيَ فِي الْوَادِي فِي شَعْبِ كَذَا وَكَذَا - لِشَعْبٍ أَشَارَ لَهُمْ إِلَيْهِ - حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا ، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا » فَذَهَبُوا فَجَاءُوا بِهَا . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - الَّذِي جَاءَ بِهَا الْحَارِثُ بْنُ خَزِيمَةَ الْأَشْهَلِيَّ (١) ، فَرَجَعَ عُمَارَةُ إِلَى رَحْلِهِ فَقَالَ : وَاللَّهِ ، الْعَجَبُ لِشَيْءٍ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْفَا عَنْ مَقَالَةٍ قَائِلٍ أَخْبَرَهُ اللَّهُ / تَعَالَى عَنْهُ ، قَالَ كَذَا وَكَذَا لِلَّذِي قَالَ زَيْدٌ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ فِي ٥٧٨ رَحْلِ عُمَارَةَ - قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ : وَهُوَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ أَخُو عُمَارَةَ - وَلَمْ يَحْضُرْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : زَيْدٌ - وَاللَّهِ - قَائِلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ، قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ عَلَيْنَا : فَأَقْبَلَ عُمَارَةُ عَلَى زَيْدٍ يَجَأُ فِي عُنُقِهِ ، وَيَقُولُ : يَا عِبَادَ اللَّهِ ، إِنْ فِي رَحْلِي لَكَذَابٌ وَمَا أَشْعُرُ ، أَخْرَجَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ مِنْ رَحْلِي فَلَا تَصْحَبْنِي . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ زَيْدًا تَابَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ : لَمْ يَزَلْ مَتَهُمَا بِشَرٍّ حَتَّى هَلَكَ .

نَكَرَ اقْتِدَائَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي صَلَاةِ الصَّبْحِ

رَوَى ابْنُ سَعْدٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَمَّا كُنَّا فِيهَا بَيْنَ الْحِجْرِ وَتَبُوكَ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِحَاجَتِهِ وَكَانَ إِذَا ذَهَبَ أَبْعَدَ ، وَتَبِعْتَهُ بِمَاءٍ بَعْدَ الْفَجْرِ « وَفِي رِوَايَةٍ قَبْلَ الْفَجْرِ » فَأَسْفَرَ النَّاسُ بِصَلَاتِهِمْ ، وَهِيَ صَلَاةُ الْفَجْرِ حَتَّى خَافُوا الشَّمْسَ ، فَقَدِمُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَصَلَّى بِهِمْ فَحَمَلَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِدَاوَةً فِيهَا مَاءٌ ، وَعَلَيْهِ جَبَّةٌ رُومِيَّةٌ / ١٢٢٥

(١) فِي الْمَغَازِي لِلْوَاقدِي ٣ : ١٠١٠ « الْحَارِثُ بْنُ خَزِيمَةَ الْأَشْهَلِي » .

من صوف ، فلما فرغ صبيت عليه فغسل وجهه ، ثم أراد أن يغسل ذراعيه فضاقت كُم الجبة فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما ، فأهويت لأنزع خفيه ، فقال : « دعهما فإنني أدخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما ، فانتهينا إلى عبد الرحمن بن عوف ، وقد ركع ركعة ، فسبح الناس لعبد الرحمن بن عوف حين رأوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى كادوا يُفْتَنُونَ ، فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص وراءه ، فأشار إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أثبت ، فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلف عبد الرحمن بن عوف ركعة ، فلما سلم عبد الرحمن تواب الناس ، وقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقضى الركعة [الباقية] ^(١) ثم سلم بعد فراغه منها ، ثم قال : « أحسنتم ، أو - قد أصبتم - فغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها - إنه لم يتوف نبي حتى يؤمّه رجل صالح من أمته » ورواه مسلم بنحوه .

نكر حكومته - صلى الله عليه وسلم - في رجل غص آخر فانتزع ثنيته

عن يعلى بن أمية - رضى الله عنه - أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأجير له نازع رجلا من العسكر فعضه ذلك الرجل فانتزع الأجير يده من فم العاص فانتزع ثنيته . فلزمه العاص فبلغ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقمت مع أجيرى لأنظر ما يصنع ، فأتى بهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أيعمد أحدكم فيعض أخاه كما يعض الفحل « فأبطل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أصاب من ثنيته ، وقال « أفيدع يده في فيك تقضمها كأنها في فم فحل يقضمها ؟ » رواه البخارى وغيره .

نكر اردافه - صلى الله عليه وسلم - سهيل بن بيضاء

عن سهيل بن بيضاء - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أردفه على رَحْله في غزوة تبوك ، قال سهيل ورفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صوته « ياسهيل » كل ذلك يقول سهيل : يا لبيك يا رسول الله - ثلاث مرات - حتى عرف الناس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريدهم فانشئ عليه من أمامه ولحقه من خلفه من الناس ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرّمه الله على النار » رواه الإمام أحمد والطبرانى ومحمد بن عمر .

(١) الإضافة عن المغازى للواقى ٣ : ١٠١٢ .

ما ذكر ان حية عظيمة عارضت الناس في مسيرهم ان صح الخبر

ذكر محمد بن عمر ، وأقره أبو نعيم في الدلائل ، وابن كثير في البداية ، وشيخنا في الخصائص الكبرى قال : عارض الناس في مسيرهم حية - ذُكر من عظمها وخلقها / ٣٣٥ ب فانساع الناس عنها ، فأقبلت حتى واقفت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون إليها ، ثم التوت حتى اعتذلت الطريق ، فقامت قائمة [فأقبل الناس]^(١) حتى لحقوا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : « هل تَدْرُونَ مَنْ هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إلى يستمعون القرآن ، فرأى عليه من الحق - حين أَلِمَّ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يسلم عليه ، وها هو يقرئكم السلام ، فَسَلَّمُوا عليه » فقال الناس جميعاً : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته .

ذكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - بتبوك وما وقع في ذلك من الآيات

روى الإمام مالك ، وابن إسحاق ، ومسلم عن مُعَاذ بن جبل والإمام أحمد برجال الصحيح عن حذيفة - رضى الله عنهما - قال معاذ : إنه خرج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام تبوك قال : فكان يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ، قال : فأخر الصلاة يوماً ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً ، ثم قال : « انكم ستأتون غداً إن شاء الله تعالى - عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتى » وفي حديث حذيفة « بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن في الماء قِلةً ، فأمر منادياً ينادى في الناس أن لا يسبقنى إلى الماء أحد » ، قال فجئناها وقد سبق إليها رجلان، والعين مثل الشراك تَبَضُّ بشيء من مائها ، فسألهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « هل مَسَسْتُمَا من مائها شيئاً » قالا : نعم . فسبهما وقال لهما « ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شَنٍّ ، ثم غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيه وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء كثير . ولفظ ابن إسحاق

(١) الإضافة عن المغازى للواقدي ٣ : ١٠١٥ .

فانخرق الماء حتى كان يقول من سمعه : إِنَّ لَهُ جِسًّا كَحِصْنِ الصَّوَاعِقِ . وذلك الماء فوارة تبوك . انتهى ، فاستسقى الناس ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا مُلًى جناناً » .

وروى البيهقي وأبو نعيم عن عروة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - حين نزل تبوك - وكان في زمان قلّ ماؤها فيه ، فاغترف غرفة بيده من ماء فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت . فهي كذلك حتى الساعة .

وروى الخطيب في كتاب الرواة عن الإمام مالك عن جابر - رضى الله عنه - قال : انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى تبوك وعينها تبصّ / بماء يسير مثل الشراك فشكونا العطش ، فأمرهم فجعلوا فيها مادفعها إليهم فجاشت بالماء ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لِمُعَاذَ : « يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنَّ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِيَءَ جَنَانًا » .

نكر نومه - صلى الله عليه وسلم - حتى طلعت الشمس قبل وصوله إلى تبوك

روى البيهقي عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - قال : خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك ، فلما كان منها على ليلة استرقد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رُمح « قال أَلَمْ أَقُلْ لَكَ يَا بِلَالُ اكْلَا لَنَا الْفَجَرَ » فقال : يا رسول الله ذهب بي النوم ، وذهب بي مثل الذي ذهب بك ، قال : فانتقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من منزله غير بعيد ، ثم صلى ، وسار مسرعا بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك .

نكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - تبوك واتخاذ مسجدا

قال شيوخ محمد بن عمر : لما انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى تبوك وضع حجرا قبلة مسجد تبوك وأومأ بيده إلى الحجر وما يليه ثم صلى بالناس الظهر ، ثم أقبل عليهم فقال : « ما هاهنا شام ، وما هاهنا يمن » .

وروى الإمام أحمد : خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام تبوك وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال :

« ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ، إن من خير الناس رجلاً يحمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت . وإن من شر الناس رجلاً فاجراً [جريئاً] ^(١) يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شيء منه » .

وروى البيهقي عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم لما أصبح بتبوك حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أيها الناس أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير المثل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص ^(٢) القرآن ، هذا وخير الأمور عوازمها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الموت ^(٣) قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة / بعد الهدى ، وخير الأعمال ما نفع ^(٤) » ٣٣٦ ب وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألّهى ، وشرُّ المعذرة حين يحضر الموت ، وشرُّ الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دُبْراً ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هُجْراً ، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذاب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل ، وخير ما وقَرَ في القلوب اليقين ، والارتياح من الكفر ، والنِّياحة من أعمال الجاهلية ، والغلول من جُئى ^(٥) جهنم ، والسُّكْرُكة من النار ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنِّساء جباله الشيطان ، والشباب شُعبَة من الجنون ، وشرُّ المكاسب كَسْبُ الرُّبَا ، وشرُّ المأكَل مال اليتيم ، والسعيد من وُعِظَ بغيره ، والشقي من شَقِيَ في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع ، والأمر إلى الآخرة ، وملاك العمل خواتمه ، وشرُّ الرؤيا رؤيا الكذب ، وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله عز وجل ، وحرمة ماله كحرمة دَمِهِ ، ومن يَتَنَالَ

(١) الإضافة عن البداية والنهاية ٥ : ١٣ .

(٢) في المرجع السابق « وأحسن القصص هذا القرآن » .

(٣) في المغازى للواقدي ٣ : ١٠١٦ « وأشرف القتل قتل الشهداء » وما هنا يوافق رواية ابن كثير في البداية والنهاية ٥ : ١٣ .

(٤) في المرجعين السابقين « وخير الأعمال مانع ، وخير الهدى ما اتبع » .

(٥) كذا هنا وفي شرح الغريب ص ٧٠٣ - وفي المغازى للواقدي ٣ : ١٠١٦ « والغلول من جمر جهنم » وفي البداية والنهاية ٥ : ١٣ « والغلول من حشاه جهنم »

على الله يكذِّبه ، ومن يَغْفِرُ يُغْفَرْ له ، ومن يَعْفُ يُعْفَ عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرِّزْيَةِ يعوضه الله ، ومن يبتغِ السُّمْعَ يُسَمِّعَ الله به ، ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذب الله . اللهم اغفر لي ولأمتي - قالها ثلاثا - استغفر الله لي ولكم^(١) .

وذكر ابن عائذ - رحمه الله تعالى - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نزل تبوك في زمان قلّ ماؤها فيه ، فاغترف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غرفة بيده من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت حتى امتلأت ، فهي كذلك حتى الساعة .

نكر من استعمله - صلى الله عليه وسلم - على الحرس بتبوك

قال شيوخ محمد بن عمر : استعمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على حرسه بتبوك من يوم قدم إلى أن رحل منها عبّاد - بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة - بن بشر - بكسر الموحدة - رضى الله عنه - فكان عبّاد يطوف في أصحابه على العسكر ، فغدا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما فقال : يا رسول الله ، ما زلنا نسمع صوت تكبير من ورائنا حتى أصبحنا ، أفولّيتَ أحدنا يطوف على الحرس ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ما فعلتُ ، ولكن عسى أن يكون بعض المسلمين انتدب » فقال سلّكأن - بكسر السين المهملة وسكون اللام - بن / سلامة : يا رسول الله ، خرجتُ في عشرة من المسلمين على خيلنا فكنّا نحرس الحرس . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « رحم الله حرس الحرس في سبيل الله ، ولكم قيراط من الأجر على كل من حرّس من الناس جميعا أو دابة » .

نكر أكله - صلى الله عليه وسلم - من جبن أهده له أهل الكتاب بتبوك

عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بجبنة في تبوك فدعا بالسكين^(٢) فسَمَّى وقطع ، رواه أبو داود .

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٥ : ١٤ « وهذا حديث غريب وفيه نكارة وفي إسناده ضعف . والله أعلم بالصواب .

(٢) والذي في المغازي للواقدي ٣ : ١٠١٩ « وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبنة بتبوك فقالوا يا رسول الله : إن هذا طعام تصنعه فارس ، وإنّا نخشى أن يكون فيه ميتة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضموا فيه السكين واذكروا اسم الله » وهذا الحديث ، والذي معنا لا يدلان على أكله صلى الله عليه وسلم من الجبن كما جاء في العنوان .

ذكر دعائه — صلى الله عليه وسلم — على غلام مر بينه وبين القبلة وهو في الصلاة

روى الإمام أحمد ، وأبو داود عن يزيد بن نمران — بكسر النون — وسكون الميم — قال : رأيت رجلاً بتبوك مقعداً ، فقال : مررت بين يدي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأنا على حمار ، وهو يصلي فقال « اللهم اقطع أثره » فما مشيت عليها بعده^(١) . وروى أيضاً عن سعيد بن غزوان — بفتح المعجمة وسكون الزاي عن أبيه — أنه نزل بتبوك وهو حاج فإذا رجل مقعد قال : فسألته عن أمره فقال : سأحدثك حديثاً فلا تحدث به ما سمعت أنى حى ، إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نزل بتبوك إلى نخلة فقال : هذه قبلتنا ، ثم صلى إليها ، فأقبلت وأنا غلام أسعى حتى مررت بينه وبينها ، فقال : « قطع صلاتنا قطع الله أثره » فما قمت عليها إلى يومى هذا .

ذكر الآية في التمر والاقط الذى جاء بهما بلال بتبوك

روى محمد بن عمر عن شيوخه قالوا : قال رجل من بنى سعد^(٢) هُذَيْم : جئت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو جالس بتبوك في نفرٍ فقال « يا بلال أطعمنا » . فبسط بلال نِطْعاً ثم جعل يخرج من حميت له فأخرج خرجات بيده من تمر معجون بسمن / وأقط ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « كلوا » فأكلنا حتى شبعنا ، ٥٨٢ هـ فقلت : يا رسول الله ، إن كنتُ لآكل هذا وحدى ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معاء واحد » ، ثم جئت في الغد متحينا لغدائه لأزداد في الإسلام يقينا ، فإذا عشرة نفرٍ حوله فقال : « هات أطعمنا يا بلال » فجعل يُخرج من جراب تمرأ بكفه قبضة قبضة فقال : « أخرج ولا تخش من ذى العرش / إقلالاً^(٣) » فجاء بالجراب ونشره . فقال : فحزرتي مُدِينٍ ، فوضع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يده على التمر وقال : « كلوا باسم الله » فأكل القوم وأكلت معهم ، وأكلت حتى ما أجد له مسلكا . قال : وبقي على النطع مثل الذى جاء به بلال كأننا لم نأكل منه ثمرة واحدة . قال : ثم غَلَوْتُ من الغدوعاد نفرٌ فكانوا عشرة

(١) في الأصول « فما مشيت عليه » والمثبت عن البداية والنهاية ٥ : ١٤ .

(٢) في المغازى للواقدي ٣ : ١٠١٧ « قال رجل من بنى سعد بن هذيم » بإضافة ابن من المحقق إلى الأصول .

(٣) في ت ، م « ولا تخشين من ذى العرش إقتاراً » والمثبت من ط و ص .

أو يزيدون رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْن . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « يا بلال أطعمنا » فجاء بلال بذلك الجراب بعينه ؛ أعرفه ، فنثره ، ووضع رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يده عليه وقال : « كلوا باسم الله » فأكلنا حتى نهلنا ثم رجع مثل الذى صُبَّ ففعل ذلك ثلاثة أيام .

قصة أخرى : روى محمد بن عمر ، وأبو نعيم ، وابن عساكر عن عِرْبَاض بن سارية - رضى الله عنه - قال : كنت ألزم بابَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحضر والسفر ، فرأيتنا ليلة ونحن بتبوك وذهبنا لحاجة فرجعنا إلى منزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد تعشى ومن معه من أضيافه ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يريد أن يدخل قُبته - ومعه زوجته أم سلمة - فلما طلعتُ عليه قال : أين كنت منذ الليلة ؟ فأخبرته ، فطلع جَعَال بن سُرَاقَة وعبد الله بن مُغَفَّل المَزْنِيَّ فَكُنَّا ثلاثة كلنا جائع إنما نغشى^(١) باب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم [البيت]^(٢) فطلب شيئا نأكله فلم يجده ، فخرج إلينا فنأدى : « يا بلال هل من عشاء لهؤلاء النفر » فقال : والذى بعثك بالحق لقد نفَضْنَا جُرْبُنَا وَحُمْنَا ، قال : « انظر عسى أن تجد شيئا » ، فأخذ الجُرْبَ ينفِضُهَا جِرَابًا جِرَابًا ، فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت في يده سبع تمرات ، ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ، ثم وضع يده على التمرات ، وسَمَّى الله - تعالى - فقال : « كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ » فأكلنا ، فحصيت أربعًا وخمسين تَمْرَةً ، أَعْدَّهَا عَدًّا ونواها في يدي الأخرى ، وصاحباي يَصْنَعَانِ مثل ما أصنع ، وشبعنا ، فأكل كل واحد منَّا خمسين تمرَةً ، ورفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هي . فقال : « يَا بِلَالُ ارْفَعْهَا فَإِنَّهُ لَا يَأْكُلُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا نَهَلَ شَبْعًا » فلما أصبح رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - صلى صلاة الصبح ثم انصرف إلى فناء قُبته فجلس وجلسنا حوله ، فقرأ من « المؤمنون » عشرا فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « هَلْ لَكُمْ فِي الْغَدَاءِ ؟ » قال عِرْبَاض : فجعلت أقول في نفسي أى غداء ، فدعا بلالا بالتمرات ، فوضع يده عليهن في الصحفة ، ثم قال : « كلوا بسم الله » فأكلنا - فوالذى

(١) في المغازى للواقدي ٣ : ١٠٣٦ « إنما نعيش بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) الإضافة عن المرجع السابق .

بعثه بالحق - حتى شعبنا وإنا لعشرة ، ثم رفعوا أيديهم منها شيعا وإذا التمرات كما هي ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم « لولا أنى أستحي من ربى لأكلنا من هذا التمر حتى نرد المدينة عن آخرنا ، وطلع عليهم غلام من أهل البدو فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم التمرات بيده فدفعها إليه فولى الغلام يلو كهن .

نكر طوافه - صلى الله عليه وسلم - على الناس بتبوك

قال شيوخ محمد بن عمر : كان رجلٌ من بنى عذرة يقال له عدى يقول : جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتبوك فرأيتَه على ناقة حمراء يطوف على الناس ، يقول « يا أيها الناس ، يد الله فوق يد المعطى ويد المعطى الوسطى ، ويد المعطى السفلى ، أيها الناس فتغنوا^(١) ولو يحزَم الحطب، اللهم هل بلغت » ثلاثا فقلت : يا رسول الله إن امرأتى اقتتلنا ، فرميتُ إحداهما فرمى فى رميتى - يريد أنها ماتت - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « تعقلها ولا ترثها » فجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى موضع مسجده بتبوك فنظر نحو اليمين ، ورفع يده يشير إلى أهل اليمن فقال [الإيمان بمان] ونظر نحو الشرق فأشار بيده « إن الجفاء غلظ القلوب فى الفدادين^(٢) » أهل الوبر من نحو المشرق حيث يُطْلَع الشيطانُ قرنيه .

نكر اخباره - صلى الله عليه وسلم - بموت عظيم من المنافقين لا هبت ريح شديدة

قال محمد بن عمر رحمه الله تعالى : وهاجت ريح شديدة بتبوك فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « هذا لموت منافق عظيم النفاق » فقدموا المدينة فوجدوا منافقا عظيم النفاق قد مات

وروى محمد بن عمر عن شيوخته ، قالوا : « قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفرٌ من سعد هُذَيم فقالوا : يا رسول الله ، إنا قدِمنا إليك وتركنا أهلنا على بئر لنا قليل ماؤها ، وهذا القيظ ، ونحن نخاف إن تفرقنا أن نُقْتَطِع ؛ لأن الإسلام لم يَفْشْ حولنا

(١) كذا فى الأصول ، وفى المغازى للواقدي ٣ : ١٠١٧ « اقتنوا ولو يحزم الحطب » .

(٢) الفدا دون : الذين تملوا أصواتهم فى حروثهم ومواشيهم ، واحدهم فداد (النهاية فى الغريب ٣ : ١٨٧) .

بعدُ ، فادع الله تعالى لنا في مائها ؛ فإننا إن رويناه به فلا قوم أعزّ منّا، لا يَغْبِرُ بنا أحدٌ مخالف لديننا . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اِبْغُوا لِي^(١) حصيات فتناول بعضهم ثلاث حصيات فدفعهن إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ففركهن بيده ثم قال : « اذهبوا بهذه الحصيات إلى بئركم فاطرحوها واحدة واحدة وسموا الله تعالى » فانصرف القوم من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ففعلوا ذلك ، فجاشت بئرهم بالروء ، ونَفَقُوا مَنْ قاربهم من أهل الشرك ووطئهم فما انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة حتى أوطئوا من حولهم غلبة ودانوا عليه بالإسلام .

ذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - بتبوك أعطيت خمسا ما أعطيهم أحد قبلي

روى محمد بن عمر عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتبوك ، فقام من الليل يصلى ، وهو كثير التهجد من الليل ولا يقوم إلا استاك - فقام ليلة فلما فرغ أقبل على من كان عنده فقال : « أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهم أحد قبلي : بُعِثْتُ إلى الناس كافة - وكان النبي يُبْعَثُ إلى قومه - وجُعِلَتْ لِي الأرضُ مَسْجِداً وطهوراً ، أينما أدركني الصلاة تيمّمتُ وصلّيتُ ، وكان من قبلي لم يُعْطوا ذلك ، وكانوا لا يصدّون إلا في الكنائس والبيع وأُحِلَّتْ لِي الغنائم آكلها ، وكان من قبلي يحرمونها ، والخمسة هي ما هي ، هي ما هي ، هي ما هي » ثلاثا - قالوا : يا رسول الله ، وما هي ؟ قال : « قيل لى سَلْ فكلُّ نبي قد سأل ، فهي لكم ولن شهيد »
٥٨٤ هـ أن لا إله إلا الله . /

ذكر صلاته - صلى الله عليه وسلم - على معاوية بن معاوية المزني^(٢) في اليوم الذي مات فيه بالمدينة

روى الطبراني - في الكبير والأوسط - من طريق نوح بن عمر الطبراني في الكبير - من طريق صدقة بن أبي سهيل عن معاوية بن أبي سفيان ، وابن سعد والبيهقي من طريق العلاء أبي محمد الثقفى ، وابن سعد وابن أبي يعلى والبيهقي عن طريق عطاء بن أبي

(١) في ت ٢ : ٥٨٣ « ابغوني » وفي المغازي للواقدي ٣ : ١٠٣٤ « أبلغوني » والمثبت عن بقية نسخ الكتاب .

(٢) في الأصول « الليثي » والمثبت عن الإصابة لابن حجر ٣ : ٤١٦ . وفي البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ١٤ ذكره مرة بالليثي ، ومرة بالمزني .

ميمونة كلاهما عن أنس - رضى الله عنهم - قالوا كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم بتبوك ، قال أنس : فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثلهم فيما مضى فأتى جبريل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا جبريل ما أرى الشمس اليوم طلعت بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثلهم فيما مضى ؟ قال : « ذلك معاوية بن معاوية المزني مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله تعالى سبعين ألف ملك يصلون عليه ، فهل لك في الصلاة عليه ؟ قال : « نعم » ، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمشي ، فقال جبريل بيده هكذا يفرج له عن الجبال والآكام ، ومع جبريل سبعون ألف ملك ، فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصف الملائكة خلفه صفين ، فلما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل « بِمَ بلغ هذه المنزلة » قال : « بحبه (قل هو الله أحد) يقرؤها قائما أو قاعدا ، أو راكباً أو ماشياً وعلى كل حال » قال الحافظ في لسان الميزان في ترجمة محبوب بن هلال : هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، وله طرق يقوى بعضها ببعض ، وقال في فتح الباري ، في باب الصفوف على الجنابة : إنه خبر قوى بالنظر إلى مجموع طرقه ، وقال في اللسان في ترجمة نوح بن عمر طريقه أقوى طرق الحديث - انتهى . وأورد الحديث النووي في الأذكار في باب « الذكر في الطريق » فعلم من ذلك ردّ قول من يقول ، : إن الحديث موضوع لا أصل له^(١) .

* * *

**نكر ارساله - صلى الله عليه وسلم - نحية الى هرقل يدعوه الى الاسلام
وقدوم [رسول] هرقل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وما وقع في ذلك من الآيات**

لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم - تبوك كان هرقل بحمص ، ولم يكن يهيم بالذى بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنه من جمعه ، ولا حدثته نفسه بذلك . وروى الحارث بن أسامة عن بكر بن عبد الله المزني - رحمه الله تعالى - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من يذهب بهذا الكتاب إلى قيصر وله الجنة » ؟ فقال رجل : وإن لم يقبل ؟ قال : « وإن لم يقبل » فانطلق الرجل فاتاه بالكتاب ، فقرأه فقال : اذهب إلى نبيكم فأخبره أنى متبعه ، ولكن لا أريد أن أدع ملكي ، وبعث معه

(١) يقول ابن كثير في البداية والنهاية ٤ : ١٤ « وهذا الحديث فيه غرابة شديدة ونكارة » .

بدنانير إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرجع فأخبره ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « كذب » وقسم الدنانير .

وروى الإمام أحمد . وأبو يعلى بسند حسن لا بأس به عن سعيد بن أبي راشد قال : لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحمص ، وكان جارا لي شيخاً كبيراً قد بلغ^(١) أو قُرْبَ ، فقلت : ألا تحدثني^(٢) عن رسالة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل ؟ فقال : بلى ، قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبوك ، فبعث دحية الكلبي إلى هرقل ، فلما أن جاء كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعا قيسى الروم وبطارقتها ، ثم أغلق عليه وعليهم الدار فقال : قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم ، وقد أرسل يدعوني إلى ثلاث خصال : أن أتبعه على دينه ، أو أن أعطيه مائناً على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقى إليه الحرب . والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب ليأخذن [أرضنا]^(٣) فهل فلنتبعه على دينه ، أو نعطه مائناً^(٤) على أرضنا ، فنخزوا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا : تدعوننا أن نذر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز ؟ فلما ظن أنهم إذا خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رقاهم^(٥) ولم يكذ وقال : إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم ، ثم دعا رجلاً من عرب نجيب كان على نصارى العرب قال : ادع لي رجلاً حافظاً للحديث عربى اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه ، فجاءنى فدفع إلى هرقل كتاباً ، فقال : اذهب بكتابي هذا إلى هذا الرجل ، فما سمعته من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال : هل يذكر صحيفته التى كتب بشئ ؟ وانظر إذا قرأ كتابي هذا هل يذكر الليل ؟ وانظر فى ظهره هل فيه شئ يريبك ؟ قال : فانطلقت بكتابي حتى جئت تبوكا فإذا هو جالس بين ظهري أصحابه مُحْتَبِياً على الماء ، فقلت : أين صاحبكم ؟ قيل : ها هو ذا .

(١) بياض بالأصول بمقدار كلمة ، ولعلها « المائة » .

(٢) فى ت ٢ : ٥٨٥ « ألا تخبرنى » .

(٣) بياض فى الأصول بمقدار كلمة . والمثبت عن شرح المواهب ٣ : ٧٩ .

(٤) كذا فى الأصول ، وفى المرجع السابق « أو نمطه مالا » وفى البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ١٥ مطابق لما هنا .

(٥) كذا فى الأصول وفى شرح الغريب ص ٧٠٤ وقال من الرق وهو الصمود . وفى البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ١٥ .

« رقاهم » من رقاً الدع سكن - أو رفاء - بالفاء - التأم وقرب .

فَأَقْبَلْتُ أَمْشَى حَتَّى جَلَسْتُ بَيْن يَدَيْهِ فَنَاولْتُهُ كِتَابِي، فَوَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ ثُمَّ قَالَ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » فَقُلْتُ : أَنَا أَخُو تَنْوُخَ ، فَقَالَ : « هَلْ لَكَ فِي الْإِسْلَامِ . الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ؟ » فَقُلْتُ : إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَعَلَى دِينِ قَوْمٍ [لَا أَرْجِعُ عَنْهُ]^(١) حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ . فَضَحَكَ وَقَالَ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(٢) يَا أَخَا تَنْوُخَ ، إِنِّي كَتَبْتُ بَكْتَابَ إِلَى كِسْرَى فَمَزَقَهُ ، وَاللَّهُ مُمَزِّقُهُ وَمُمَزِّقُ مَلِكِهِ ، وَكَتَبْتُ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِصَحِيفَةٍ فَمَزَقَهَا ، وَاللَّهُ مُمَزِّقُهُ وَمُمَزِّقُ مَلِكِهِ . وَكَتَبْتُ إِلَى صَاحِبِكَ بِصَحِيفَةٍ فَأَمْسَكَهَا فَلَنْ يَزَالَ النَّاسُ يَجِدُونَ مِنْهُ بَأْسًا مَادَامَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ » قُلْتُ : هَذِهِ إِحْدَى الثَّلَاثِ الَّتِي أَوْصَانِي بِهَا صَاحِبِي ، فَأَخَذْتُ سَهْمًا مِنْ جُعْبَتِي فَكَتَبْتُهَا فِي جَفْنِ سَيْفِي ، ثُمَّ نَاولَ الصَّحِيفَةَ رَجُلًا عَنْ يَسَارِهِ ، قُلْتُ : مَنْ صَاحِبُ كِتَابِكُمْ الَّذِي يَقْرَأُ لَكُمْ ؟ قَالُوا : مُعَاوِيَةُ . فَإِذَا فِي كِتَابِ صَاحِبِي : تَدْعُونِي إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، فَأَيْنَ النَّارُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « سُبْحَانَ اللَّهِ أَيْنَ النَّهَارُ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ »^(٣) قَالَ : فَأَخَذْتُ سَهْمًا مِنْ جُعْبَتِي فَكَتَبْتُهُ فِي جَفْنِ سَيْفِي ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابِي قَالَ : « إِنَّ لَكَ حَقًّا ، وَإِنَّكَ لِرَسُولٍ ، فَلَوْ وَجَدْتُ عِنْدَنَا جَائِزَةً جَوْزَنَاكَ بِهَا ، إِنَّا سَفَرُ مَرْمَلُونَ » قَالَ قَتَادَةُ فَنَادَاهُ رَجُلٌ مِنْ طَائِفَةِ النَّاسِ قَالَ : أَنَا أُجْوزُهُ فَفَتَحَ رَحْلَهُ فَإِذَا هُوَ بِحُلَّةٍ صَفُورِيَّةٍ فَوَضَعَهَا فِي حَجْرِي ، قُلْتُ مَنْ صَاحِبُ الْجَائِزَةِ ؟ قِيلَ لِي : عَثْمَانُ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أَيُّكُمْ يُنْزِلُ هَذَا / الرَّجُلُ ؟ » فَقَالَ ١٥٨٦ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا ، فَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ وَقَمْتُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا خَرَجْتُ مِنْ طَائِفَةِ الْمَجْلِسِ نَادَانِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : « تَعَالِ يَا أَخَا تَنْوُخَ » فَأَقْبَلْتُ أَهْوَى حَتَّى كُنْتُ قَائِمًا فِي مَجْلِسِي الَّذِي كُنْتُ بَيْن يَدَيْهِ ، فَحَلَّ حَبُوتَهُ^(٤) وَقَالَ : « هَا هُنَا امْضِ لِمَا أُمِرْتَ لَهُ ، فَجَلَّيْتُ فِي ظَهْرِهِ فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمِ النَّبُوءَةِ فِي مَوْضِعِ غَضْرُوفِ الْكَتِفِ / مِثْلَ الْمُحْجَمَةِ الضَّخْمَةِ^(٥) . ٣٤٠ ب

(١) سَقَطَ فِي الْأَصُولِ ، وَالْإِثْبَاتُ عَنِ الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ ٥ : ١٥ .

(٢) سُورَةُ الْقَصَصِ آيَةُ ٥٦ .

(٣) فِي الْمَرْجِعِ السَّابِقِ ٤ : ١٦ « سُبْحَانَ اللَّهِ أَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ » .

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ ٥ : ١٦ « فَحَلَّ حَبُوتَهُ » وَالْحَبُوتُ الْإِشْتِمَالُ بِالثَّوْبِ (اللسان)

أَمَّا الْحَبُوتُ فَهُوَ الْجُوبُ وَهُوَ كُلُّ مَقُورٍ مِنْ دَرَعٍ وَنَحْوِهِ (اللسان) وَلَمْ يَرِدْ لَهَا ذِكْرٌ فِي شَرْحِ الْغَرِيبِ . فِي الْأَصُولِ جَوْبَتُهُ

تَصْحِيفٌ وَالمُثَبَّتُ مِنَ الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ ٥ : ١٦ وَالْحَبُوتُ الْإِشْتِمَالُ بِالثَّوْبِ (اللسان) .

(٥) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ ٥ : ١٦ « هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَإِسْنَادُهُ لِابْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، تَفَرَّدَ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ » .

قال محمد بن عمر : فانصرف الرجل إلى هرقل فذكر ذلك له . فدعا قومه إلى التصديق بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فأبوا حتى خافهم على ملكه ، وهو في موضعه بحمص لم يتحرك ولم يزحف ، وكان الذي خبر النبي صلى الله عليه وسلم - من تعبته أصحابه ، ودنوه إلى وادي الشام لم يرد ذلك ولا هم به .

وذكر السهيلي : أن هرقل أهدى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - هدية - فقَبِلَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - هديته وفرقها على المسلمين .

ثم إن هرقل أمر منادياً ينادى : ألا إن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه ، فدخلت الأجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله ، فأرسل إليهم : إني أردت أن أختبر صلابتكم في دينكم ، فقد رضيت عنكم ، فرضوا عنه . ثم كتب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتاباً مع دحية يقول فيه : إني معكم^(١) ولكني مغلوب على أمرى ، فلما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتابه قال : « كذب عدو الله ، وليس بمسلم بل هو على نصرانيته » .

ذكر صلاته - صلى الله عليه وسلم - على ذى البجادين رضى الله عنه

روى ابن إسحاق ، وابن مندة عن ابن مسعود - رضى الله عنه - ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : كان عبد الله ذو البجادين من مُزَيْنَة ، مات أبوه وهو صغير فلم يورثه شيئاً ، وكان عمه مَيْلاً فَأَخَذَهُ فَكَفَلَهُ حتى كان قد أَيْسَرَ ، وكانت له إبل وغنم ورقيق ، فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عمه ، حتى مضت السنون والمشاهد كلها ، فانصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من فتح مكة راجعاً إلى المدينة ، فقال عبد الله ذو البجادين لعمه : يا عم قد انتظرتُ إسلامك فلا أراك تريد محمداً ، فائذن لي في الإسلام ، فقال : والله لئن اتبعت محمداً لا تركتُ بيدك شيئاً كنتُ أعطيتكه إلا انتزعته منك حتى ثوبيك ، فقال : وأنا والله متبعٌ محمداً ومسلمٌ وتاركٌ عبادة الحجر والوثن ، وهذا ما بيدي فخذ ، فأخذ كل ما أعطاه حتى جرّده من إزاره ، فجاء أمه فقطعت بجاداً لها بائنين

(١) في شرح المواهب ٣ : ٧٨ « إني مسلم ولكني مغلوب » .

فانتظر بواحد وارتنى بالآخر ، ثم أقبل إلى المدينة فاضطجع في المسجد ، ثم صلى مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصبح ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح ، فنظر إليه فأنكره ، فقال « من أنت ؟ » فانتسب له ، فقال : « أنت عبد الله ذو البجادين » ثم قال : « انزل مني قريباً » فكان يكون في أضيافه ويعلمه / القرآن ، حتى قرأ قرآنا كثيرا ، وكان رجلا صيِّتاً فكان يقوم في المسجد ٣٤٠ بفيرفع صوته في القراءة ، فقال عمر : يا رسول الله ألا تسمع هذا الأعرابي يرفع صوته بالقرآن حتى قد منع الناس القراءة ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « دعه يا عمر : فإنه قد خرج مهاجراً إلى الله تعالى وإلى رسوله » فلما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى تبوك قال : يا رسول الله . ادع الله تعالى لي بالشهادة ، فقال / : أبلغني بلحاء سمرة ٥٨٧ ت فأبلغه بلحاء سمرة ، فربطها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على عضده ، وقال : « اللهم إني أحرم دمه على الكفار » فقال : يا رسول الله ، ليس هذا أردتُ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إنك إذا خرجتَ غزياً في سبيل الله فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد . وإذا وقصتك دأبتك فأنت شهيد لا تبالي بأية كان » فلما نزلوا تبوك أقاموا بها أياماً ، ثم توفي عبدُ الله ذو البجادين ، فكان بلال بن الحارث المزني يقول : حضرتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومع بلال [المؤذن]^(١) شعلة من نار عند القبر واقفاً بها ، وإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في القبر ، وإذا أبو بكر وعمر يدلّيانه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول : « أدنيا لي أخاكما » فلما هياهُ لثقه في اللحد قال : « اللهم إني قد أمسيتُ عنه راضياً فارضَ عنه » فقال ابن مسعود : ياليتني كنت صاحبَ اللحد .

وروى الطبراني برجال وثقوا ، وأبو نعيم عن محمد بن حمزة بن عمر الأسلمي عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى غزوة تبوك ، وكنت على خدمته^(٢) ذلك فنظرت إلى نِجْحِي السمن قد قل ما فيه ، وهيأت للنبي - صلى الله عليه وسلم - طعاماً فوضعت النجى في الشمس ، ونمت فانتبهت بخير

(١) إضافة عن المغازي للواقدي ٣ : ١٠١٤ .

(٢) كذا في الأصول ، ولعل العبارة « فكنيت على خدمته [في] ذلك » أي الخروج أو السفر .

النحي ، فقمْتُ فَأَخَذْتُ رَأْسَهُ بِيَدِي . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورآني « لو تركته لسال الوادي سمنا » .

* * *

**نكر مصالحته - صلى الله عليه وسلم - ملك أيلة^(١) واهل جربا وانرح
وهو مقيم بتبوك قبل رجوعه**

لما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد إلى أكيدر بدومة - كما سيأتى بيان ذلك في السرايا - أشفق ملك أيلة يُحَنِّة بن رُوْبَةَ أن يبعث إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما بعث إلى أكيدر ، فقدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - وقدم معه أهل جَرْبًا وأذْرَحَ ومقنا وأهدى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بغلة .

قال أبو حميد الساعدي - رضى الله عنه - قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأهدى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بغلة بيضاء / ، وكساه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - بُرْدًا، وكتب له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببحرهم . رواه ابن أبي شعبة والبخارى .

روى محمد بن عمر عن جابر - رضى الله عنه - قال : رأيت يُحَنِّة بن رُوْبَةَ يوم أتى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه صليب من ذهب ، وهو معقود الناصية فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كَفَّرَ^(٢) وأومأ برأسه فأومأ إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده أن أَرْفَعَ رَأْسَكَ ، وصالحه يومئذ ، وكساه بُرْدًا يمنية فاشتراه بعد ذلك أبو العباس^(٣) عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار وأمر له بمنزل عند بلال انتهى .

قالوا : وقطع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجزية جزية معلومة ثلاثمائة دينار كل سنة ، وكانوا ثلاثمائة رجل ، وكتب لهم بذلك كتاباً فيه :

(١) في الأصول ماعدآت « إيلية » والمثبت هو الصواب ويوافقه المغازى للواقدي ٣ : ١٠٣ وشرح المواهب ٣ : ٥٦ وما سيرد في شرح الغريب ص ٧٠٦ .

(٢) كفر : التكفير لأهل الكتاب أن يطأطأ أحدهم رأسه لصاحبه كالتسليم عندنا ، والتكفير أيضاً أن يضع يده أو يديه على صدره (اللسان) وفي شرح المواهب ٣ : ٧٦ « كفى وأومأ » .

(٣) قال في شرح المواهب ٣ : ٧٦ « هو أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح » .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب أمانة من الله تعالى ومحمد النبي رسول الله ليُحَنِّتَ ابن رُؤْبَةٍ وأهل أيلة لسُفْنُهُمْ وسائرهم السارح في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، ومن أحدث حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيَّب لمن أخذه / من الناس ، وإنه لا يحِلُّ ٥١٨ ت أن يُمنَعُوا ماءً يردُّونه ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر . هذا كتاب جُهِيم بين الصَّلْتِ وشرْحَيْيل بن حَسَنَة بإذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

وكتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأهل أذُرَح كتاباً قال محمد بن عمر : نسخت كتابهم فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب محمد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل أذُرَح وجَرَبَا ، إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ [إليهم] ^(١) من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين فهم آمنون ، حتى يحدث إليهم محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل خروجه ^(٢) » قالوا : وأتى أهل جَرَبَا وأذُرَح بجزيتهم بتبوك فأخذها .

وصالح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهل مَقَتَا على ربيع ثمارهم وربيع غزولهم . وروى ابن أبي شَيْبَةَ ، والإمام أحمد ، ومسلم عن أبي حميد الساعدي - رضى الله عنه - قال : جاء ابن العلماء ^(٣) وصاحب أيلة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكتاب، وأهدى له بغلة بيضاء ، فكتب له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأهدى له بُرْدًا .

نكر مشاورته - صلى الله عليه وسلم - أصحابه في مجاوزة تبوك الى نحو دمشق

٣٤١ ت

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى : شاور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه في التقدم ، فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، إن كنت أُمِرْتُ بالمسير فسير ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « لو أُمِرْتُ بالمسير لما أَسْتَشِرْتُكم فيه » فقال : يارسول

(١) الإضافة من المغازي للواقدي ٣ : ١٠٣٢ .

(٢) في الأصول « من قبل خروج » والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) في هامش ت ٢ : ٥٨٨ « العلماء بفتح العين وسكون اللام والمد - عن جامع الأصول » .

الله إن للروم جمعاً كثيرة ، وليس بها أحد من أهل الإسلام ، وقد دَنَوْنَا منهم ، وقد أَفْزَعَهُمْ دُنُوكَ ، فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله لك أمراً .

وروى البيهقي وغيره بسند جيد عن عبد الرحمن بن غنم : أَنَّ اليهود أَتَوْا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً فقالوا : يا أبا القاسم ، إن كنت صادقاً أَنَّكَ نبيٌّ فَالْحَقُّ بالشام ؛ فَإِنَّ الشامَ أَرْضُ الْمُحْشَرِ وَأَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ ، فَصَدَّقْ مَا قَالُوا ، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى آيات من سورة بني إسرائيل بعدما ختمت السورة ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا سَنَةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ ^(١) فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِالرَّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ وقال : فِيهَا مَحْيَاكَ وَمَمَاتُكَ وَمِنْهَا تَبْعُثُ . فرجع رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فَأَمَرَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : أَسْأَلُ رَبَّكَ عِزًّا وَجَلًّا ؛ فَإِنْ لَكَ نَبِيٌّ مَسْأَلَةٌ - وَكَانَ جَبْرِيلُ لَهُ نَاصِحًا ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - لَهُ مَطِيعًا ، قَالَ : « فَمَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَسْأَلَ » قَالَ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ ^(٢) فَهَؤُلَاءِ الْآيَاتُ أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ فِي مَرْجَعِهِ مِنْ تَبُوكَ .

وفي هذه الغزوة قال - صلى الله عليه وسلم - ما رواه عكرمة عن أبيه أو عن عمه عن جده - رضى الله عنه - : أَنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قَالَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ : « إِذَا وَقَعَ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا ، وَإِذَا كُنْتُمْ بِغَيْرِهَا فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهَا » رواه أحمد والطبراني من طرق قال في بذل الطاعون : يشبهه - والله أعلم - أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ ٥٨٩ هـ فِي ذَلِكَ أَنَّ الشَّامَ كَانَتْ / مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ وَلَمْ تَزَلْ مَعْرُوفَةً بِكَثْرَةِ الطَّوَاعِينَ ، فَلَمَّا قَدَّمَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - تَبُوكَ غَازِيًا الشَّامَ لَعَلَّهُ بَلَّغَهُ أَنَّ الطَّاعُونَ فِي الْجِهَةِ الَّتِي كَانَ يَقْصِدُهَا ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ رَجُوعِهِ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ - وَاللهُ أَعْلَمُ . انتهى .

قلت : قد ذكر جماعة أَنَّ طاعون شيرويه أحد ملوك الفرس ، كان في أيام النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه كان بالمداين .

(١) سورة الإسراء الآيتان ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) سورة الإسراء آية ٨٠ .

ذكر ارادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الانصراف من تبوك الى
المدينة ، وما وقع في ذلك من الآيات ، وقدر اقامته
صلى الله عليه وسلم - بتبوك

روى مسلم عن أبي هريرة . وإسحاق بن راهويه ، وأبو يعلى ، وأبو نعيم ، وابن عساكر
عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما^(١) - ومحمد بن عمر عن شيوخه، قال شيوخ ابن عمر:
ولما أجمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السير من تبوك أرمل الناس إرمالاً ، فشخص
على ذلك من الحال . انتهى .

قال أبو هريرة : فقالوا : يا رسول الله لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادَّهنا^(٢) ؟
قال شيوخ محمد بن عمر : فلقبهم عمر بن الخطاب وهم على نحرها فأمرهم أن يمسكوا
عن نحرها ، ثم دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في خيمة له، ثم اتفقوا، فقال
يا رسول الله أأذنت للناس في نحر حُمُولَتِهِمْ يأكلونها ؟ قال شيوخ محمد : فقال رسول
الله - صلى الله عليه وسلم : « شَكُّوا إِلَى ما بلغ منهم الجوع فأذنت لهم ينحرُ الرُّفْقَةُ البعيرَ
والبعيرين ويتعاقبون فيما فضل منهم [فإِنَّهُمْ]^(٣) قافلون إلى أهليهم - انتهى . فقال
عمر : يا رسول الله لا تفعل ، فإن يك في الناس فضل من الظَّهر يكن خَيْرًا ، فالظهر اليوم
رِفاق^(٤) انتهى . ولكن يا رسول الله ادع بفضل أَرْوَادِهِمْ ، ثم أجمعها ، وأدع الله تعالى
فيها بالبركة لَعَلَّ الله تعالى أن يجعل فيها البركة . زاد شيوخ محمد: كما فَعَلْتَ في
منصرفنا من الحديبية حين أَرَمَلْنَا ؛ فإن الله تعالى مستجيب لك انتهى . فقال رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - « نعم » فدعا بنطع فَبَسَطَ - قال شيوخ محمد : بالأنطاع
فبسطت - ونادى منادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من كان عنده فضلٌ من زاد
فليأت به - انتهى . فجعل الرجل يأتى بكف ذرة ؛ ويَجِئُ الآخر بكف تمر ؛ ويَجِئُ
الآخر بكسرة . وقال شيوخ محمد : وجعل^(٥) الرجل يأتى بالدقيق أو التمر أو القبضة
من الدقيق والسويق والتمر ثلاثة أفراق حزرا - والفرق ثلاثة أصع - قال : فجزأنا

(١) عنهما - الضمير يعود على أبي هريرة وعمر بن الخطاب .

(٢) أضاف الواقدي في المغازى ٣ : ١٠٣٧ « فأذن لهم » .

(٣) سقط في الأصول والمثبت يقتضيه السياق .

(٤) الرفاق : جمع رقيق بمعنى ضعيف « اللسان » وسترده في الغريب .

(٥) في المغازى للواقدي ٣ : ١٠٣٨ « فجعل الرجل يأتى بالمد الدقيق . . . » .

ما جاءوا به فوجدوه سبعة وعشرين صاعاً . قال شيوخ محمد : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم - فتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى أن يبارك فيه . قال عمر : فجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جنبه فدعا فيه بالبركة ، ثم قال : أيها الناس خذوا ولا تنتهبوا « فأخذوه في الجُرب والغرائر ، حتى جعل الرجل يعقد قميصه فيأخذ فيه ، قال أبو هريرة - رضى الله عنه : وما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملثوه ، وأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة . قال شيوخ محمد بن عمر : قال بعض من الصحابة : لقد طرحتُ كسرة يومئذ من خبز وقبضة من تمر ، ولقد رأيت الأنطاع تفيض ، وجئت بجرايين ٥٩٠ ت فملأت أحدهما / سويقاً والآخر خبزاً ، وأخذت في ثوبي دقيقتاً كفاًني إلى المدينة - قال : فأخذوا حتى صدروا . وإنه نحو ما كانوا يحرزون - قالوا كلهم : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، لا يأتى بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » وفي لفظ « لا يأتى بها عبد حق إلا وقاه الله حر النار » ، وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنها كما رواه ابن سعد : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة وعلى ذلك جرى محمد بن عمر وابن حزم وغيرهم ، وقال ابن عقبة ، وابن إسحاق : بضع عشرة ليلة .

ذكر بعض آيات وقعت في رجوع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من تبوك الى المدينة

روى محمد بن عمر ، وأبو نعيم عن أبي قتادة - رضى الله عنه - قال : بينا نحن نسير مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجيش ليلاً وهو قافل وأنا معه إذ خفق خفقة - وهو على راحلته فمال على شقه فدنوتُ منه فدعَّمته فأنتبَه ، فقال : « من هذا ؟ » فقلت : أبو قتادة يارسول الله ، خِفْتُ أن تسقط فدعَّمْتُكَ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « حفظك الله كما حفظت رسوله » ثم سار غير كثير ثم فعل مثل هذا فدعَّمته فأنتبَه . فقال : « يا أبا قتادة ، هل لك في التعريس ؟ » فقلت : ما شئت يا رسول الله ، فقال : « انظر من خلفك » فنظرت فإذا رجلان أو ثلاثة ، فقال « ادعهم » فقلت : أجيئوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءوا فعرسنا - ونحن خمسة - برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعى إداوة فيها ماء وركوة أشرب فيها ، فنمنا فما أنتبَهنا إلا بحرَّ

الشمس ، فقلنا : إِنَّا لِلَّهِ فَاتِنَا الصَّبْحُ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « لَنَغِيْظَنَّ الشَّيْطَانُ كَمَا غَاظَنَا » فتوضأ من ماءِ الإِدَاوَةِ ففضل فضلة فقال : « يَا أَبَا قَتَادَةَ احْتَفِظْ بِمَا فِي الإِدَاوَةِ وَالرُّكُوءِ ؛ فَإِنْ لَهِمَا شَأْنًا » وصلى - صلى الله عليه وسلم - بنا الفجرَ بعد طلوع الشمس ، فقرأ بالمائدة ، فلما أنصرف من الصلاة قال : « أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ أَطَاعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَرَشَدُوا » وذلك أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَرَادَا أَنْ يَنْزِلَا بِالْجَيْشِ عَلَى الْمَاءِ فَأَبَوْا ذَلِكَ عَلَيْهِمَا ، فَنَزَلُوا عَلَى غَيْرِ مَاءٍ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَلَاحَقَ الْجَيْشَ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ وَنَحْنُ مَعَهُ . وَقَدْ كَادَتْ أَعْنَاقُ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ وَالرَّكَابِ تَقْطَعُ عَطْشًا ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِالرُّكُوءِ فَأَفْرَغَ مَا فِي الإِدَاوَةِ فِيهَا . وَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَيْهَا فَنَبَعَ الْمَاءَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، وَأَقْبَلَ النَّاسَ فَاسْتَقَوْا وَفَاضَ الْمَاءُ حَتَّى رَوَوْا ، وَرَوَّوْا خَيْلَهُمْ ، وَرَكَابَهُمْ ، وَكَانَ فِي الْعَسْكَرِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ بَعِيرٍ ، وَالنَّاسُ ثَلَاثُونَ أَلْفًا ، وَالْخَيْلُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَرَسٍ ، فَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « احْتَفِظْ بِالرُّكُوءِ وَالْإِدَاوَةِ » .

قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر : قالوا : وأقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قافلا حتى إذا كان بين تَبُوكَ وَوَادٍ يُقَالُ لَهُ : وَادِي النَّاقَةِ - وقال ابن إسحاق : يقال له وادي المُشَقِّقِ - وكان فيه وشل يخرج منه في أسفلهِ قَلْرٌ مَا يَرَوِي الرَّاكِبِينَ أَوْ الثَّلَاثَةَ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « مَنْ سَبَقْنَا إِلَى ذَلِكَ الْوَشَلِ فَلَا يَسْتَقِينُ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَهُ » فسبقه إليه أربعة من المنافقين : مُعْتَبٌ بْنُ قُشَيْرٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ يَزِيدٍ الطَّائِيّ حَلِيفٌ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَزَيْدُ بْنُ اللَّصِيْتِ ، فلما أتاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقف عليه فلم ير فيه شيئا . فقال « مَنْ سَبَقْنَا إِلَى هَذَا الْمَاءِ ؟ فَقِيلَ يَارَسُولَ اللَّهِ فَلَانُ وَفَلَانُ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « أَلَمْ أَنَهَكُم ؟ » فلعنهم ودعا عليهم ، ثم نزل ووضع يده تحت الوشل ، ثم مسح بإصبعيه حتى اجتمع منه في كفه ماءٌ قَلِيلٌ ، ثم نضحه به ، ثم مسح بيده ، ثم دعا بما شاء الله أَنْ يَدْعُو ، فَانْخَرَقَ مِنْهُ الْمَاءُ - قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَمِعْتُ لَهُ مِنْ شِدَّةِ انْخِرَاقِهِ مِثْلَ الصَّوَاعِقِ - فَشَرَبَ النَّاسُ مَا شَاءُوا ، وَاسْتَقَوْا مَا شَاءُوا ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لِلنَّاسِ « لَيْسَ بَقِيَّتُمْ . أَوْ مِنْ بَقِيَ مِنْكُمْ - لَتَسْمَعُنَّ بِهَذَا الْوَادِي وَهُوَ أَخْصَبُ

ما بين يديه وما خلفه » قال سلمة بن [سلامة بن] ^(١) وقُش : قلت لوديعة بن ثابت :
ويلك أبعد ما ترى شئ ؟ أَمَا نَعْتَبِر ؟ قال : قد كان يُفْعَلُ بهذا مثل هذا قبل هذا ،
ثم سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

وروى محمد بن عمر ، وأبو نعيم عن جماعة من أهل المغازى قال : بينا رسول الله
- صلى الله عليه وسلم يسير - منحدراً إلى المدينة ، وهو في قيظ شديد ، عَطَشَ العسكر
بعد المرتين الأوليين عطشاً شديداً حتى لا يوجد للشَّفةِ ماء قليل ولا كثير ، فَشَكَّوْا ذلك
لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فَأَرْسَلَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ في يوم صَائِفٍ ، وهو مثلث ،
فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « عسى أَن تجد لنا ماءً » فخرج أُسَيْدُ وهو فيما بين
تبوك والحجر في كل وجهٍ فيجد رَاوِيَةً من ماءٍ مع امرأةٍ من بَكْلَى ، فكلَّمَهَا أُسَيْدُ ، وأخبرها
ت ٣٤٣ خبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : فهذا الماء ، فانطلق به / إلى رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - وقد وَصَفَتْ له الماء ، وبينه وبين الطريق هُنَيْهَةٌ ، فلما جاء أُسَيْدُ بالماء
دعا فيه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ودعا فيه بالبركة ، ثم قال : « هلم أسْقَيْتُكُمْ »
فلم يبق معهم سقاء إلا ملئوه ، ثم دعا بركابهم وخيولهم ، فسقوها حتى نهلت ، ويقال
إنه - صلى الله عليه وسلم - أمر بما جاء به أُسَيْدُ فصبه في قعبٍ عظيمٍ من عِسَاسٍ أهل البادية
فأدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيه يده ، وغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم صلى
ركعتين ، ثم رفع يديه مداً ، ثم انصرف وإن القعب ليفور ، فقال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - للناس « رَدُوا » فاتسع الماء وانبسط الناس حتى يُصَفَّ عليه المائة والمائتان
فارتووا ، وإن القَعْبَ لِيَجِيْشُ بِالرَّوَاءِ ، ثم راح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مبرداً متروياً .

وروى الطبراني بسند صحيحه الشيخ وحسنه الحافظ - خلافاً لمن ضعفه - عن فضالة
ابن عبيد - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غزا غزوة تَبُوكَ فجهد
الظهر جهداً شديداً فَشَكَّوْا ذلك إليه ، ورآهم يزجون ظهراً ، فوقف في مضيقٍ والناس
يمرون فيه ، فنفخ فيها وقال : « اللهم احمل عليها في سبيلك فإنك تحمل على القوى
والضعيف والرطب واليابس في البر والبحر » فاستمرت فما دخلنا المدينة إلا وهى تنازعنا أزمتهما

(١) الإضافة عن المغازى للواقدي ٣ : ١٠٣٩ .

ذكر ارادة بعض المنافقين الفتك برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة
العقبة التى بين تبوك والمدينة واطلاع الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم - على ذلك

روى الإمام أحمد عن أبي الطفيل ، والبيهقي عن حذيفة ، وابن سعد عن جبير بن مطعم - رضى الله عنهم - وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك، والبيهقي عن عروة ، والبيهقي عن ابن إسحاق . ومحمد بن عمر عن شيوخه - رحمهم الله تعالى - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما كان ببعض الطريق مكر به ناس من المنافقين، واثتمروا بينهم أن يطرحوه من عقبة في الطريق. وفي رواية: كانوا قد أجمعوا أن يقتلوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعلوا يلتمسون غرته ، فلما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يسلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه ، وقالوا : إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادى ، فأخبر الله تعالى رسوله بمكرهم ، فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلك العقبة نادى مناديه للناس : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ العقبة فلا يأخذها أحد ، واسلكوا بطن الوادى ، فإنه أسهل لكم وأوسع ، فسلك الناس بطن الوادى إلا النفر الذين مكروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما سمعوا ذلك استعدوا وتلثموا ، وسلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العقبة ، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة ويقودها [وأمر]^(١) حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه ، فبينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسير من العقبة إذ سمع حس القوم قد غشوه ، فنفرُوا ناقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى سقط بعض [متاعه]^(٢) وكان حمزة بن عمرو الأسلمي لحق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالعقبة ، وكانت ليلة مظلمة ، قال حمزة : فنور لي في أصابعي الخمس ، فأضاءت حتى جمعت ما سقط من السوط والجل وأشباههما ، فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمر حذيفة أن يردهم ، فرجع حذيفة إليهم ، وقد رأى غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه محجن فجعل يضرب وجهه رواحلهم وقال : إليكم إليكم يا أعداء الله تعالى ، فعلم القوم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد اطلع على مكرهم ، فانحطوا من العقبة مُسرعين حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أتى رسول

(١) إضافة عن المغازى للواقدي ٣ : ١٠٤٢ .

(٢) سقط في الأصول والمثبت يقتضيه السياق .

الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : اضرب الراحلة يا حذيفة ، وامش أنت يا عمار ، فأسرعوا حتى استوى بأعلاها ، وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من العقبة ينتظر الناس وقال لحذيفة : هل عرفت أحداً من الركب ، الذين ردّتهم ؟ قال : يا رسول الله قد عرفت رواحلهم ، وكان القوم متلثمين فلم أبصرهم من أجل ظلمة الليل . قال : « هل علمتم ما كان من شأنهم وما أرادوا » ؟ قالوا : لا والله يا رسول الله . قال : « فإنهم مكرؤا ليسيروا معي فإذا طلعت العقبة زحمتوني فطرحوني منها - إن شاء الله تعالى - قد أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم وسأخبركم بهم إن شاء الله تعالى » قالوا : أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاء الناس أن تضرب أعناقهم ؟ قال : أكره أن يتحدث الناس ويقولوا : إن محمداً قد وضع يده في أصحابه « فسامهم لهما^(١) ثم قال : « اكتمهم » فانطلق إذا أصبحت فاجمعهم لي ، فلما أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له أسيد بن الحضير : يا رسول الله ، ما منعك البارحة من سلوك الوادي ؟ فقد كان أسهل من العقبة ؟ فقال : « يَا أَبَا يَحْيَى أَتَدْرِي مَا أَرَادَ بِي الْمُنَافِقُونَ وَمَا هُمُوهُ بِهِ ؟ قالوا : نتبعه من العقبة ، فإذا أظلم عليه الليل قطعوا أنساع راحلتي ونخسوها حتى يطرحوني عن راحلتي » فقال أسيد : يا رسول الله ، قد اجتمع الناس ونزلوا ، فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بهذا ، فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله ، وإن أحببت - والذي بعثك بالحق - فنبئني بأسمائهم فلا أبرح حتى آتيك برؤوسهم^(٢) . قال : « يَا أُسَيْدُ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّ مُحَمَّدًا قَاتَلَ بِقَوْمٍ حَتَّى إِذَا أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ يَقْتُلُهُمْ » .

وفي رواية « إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّ مُحَمَّدًا لَمَّا أَنْقَضَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَضَعَ يَدَهُ فِي قَتْلِ أَصْحَابِهِ » فقال : يا رسول الله ، فهؤلاء ليسوا بأصحاب ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله ؟ » قال : بلى [ولا شهادة لهم]^(٣) قال : أليس يظهرون أني رسول الله ؟ » قال : بلى . ولا شهادة لهم ، قال : « فقد نهيت عن قتل أولئك » .

(١) الضمير هنا يعود على عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

(٢) أضاف الواقدي في المغازي ٣ : ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ بعد ذلك « وإن كانوا في النبوت فكفيتهم وأمرت سيد الخرج فكفاك من ناحيته ، فإن مثل هؤلاء يتركون يارسول الله ؟ حتى متى تدهنهم وقد صاروا اليوم في القلة والذلة ، وضرب الإسلام بجرانه فما يستبقى من هؤلاء ؟ » .

(٣) الإضافة عن المغازي للواقدي ٣ : ١٠٤٤

وقال ابن إسحاق في رواية يونس ابن بكير : فلما أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لحذيفة : « ادْعُ عبد الله » قال البيهقي : أظن ابن سعد بن أبي سرح ، وفي الأصل : عبد الله بن أبي سعد بن أبي سرح ، لم يعرف له إسلام كما نبه إليه في زاد المعاد ، قال ابن إسحاق : وأباً حاضر الأعرابي ، وعامراً وأباً عامراً ، والجلاس بن سويد بن الصامت وهو الذي قال : لا تنتهي حتى نرجمي محمداً من العقبة ، ولئن كان محمد وأصحابه خيراً منا إنا إذا لَغَنَمَ وهو الراعي ، ولا عقل لنا وهو العاقل : وأمره أن يدعو مُجَمَّع بن جارية ، وفُلَيْح التيمي ، وهو الذي سرق طيب الكعبة وارتد عن الإسلام ، وانطلق هارباً في الأرض فلا يُدْرَى أين ذهب ، وأمره أن يدعو حُصَيْن بن نُمَيْر الذي أغار على تمر الصدقة فسرقه ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ويحك ، ما حملك على هذا ؟ » قال : حملني عليه أني ظننت أن الله تعالى لم يطلعك عليه أما إذ أطلعك عليه فإني أشهد اليوم أنك لرسول الله ، فإني لم أومن بك قط قبل الساعة ، فأقاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعفا عنه بقوله الذي قاله ، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حذيفة أن يأتيه بطعمة بن أبيرق ، وعبد الله بن عيينة ، وهو الذي قال لأصحابه : اشهدوا هذه الليلة تسلموا الدهر كله ، فوالله ما لكم أمرٌ دون أن تقتلوا هذا الرجل . فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « ويحك ما كان ينفعك من قتلى لو أني قتلت يا عدو الله ؟ فقال عدو الله : يا نبي الله ، والله ما تزال بخير ما أعطاك الله تعالى النصر على عدوك ، فإنما نحن بالله وبك فتركه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال لحذيفة / « ادْعُ مرة بن الربيع » وهو الذي ضرب بيده على عاتق عبد الله بن أبي ثم قال : تمطى ، أو قال : تمطى ١٣٤٥ والنعم كائن لنا بعده ، نقتل الواحد المفرد فيكون الناس عامة بقتله مطمئنين . فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « ويحك ، ما حملك على أن تقول الذي قلت ؟ » فقال : يا رسول الله إن كنت قلت شيئاً من ذلك فإنك العالم به ، وما قلت شيئاً من ذلك .

وهم اثنا عشر رجلاً الذين حاربوا الله تعالى ورسوله ، وأرادوا قتله ، فأخبرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقولهم ومنطقهم وسرهم وعلاانيتهم ، وأطلع الله نبيه - صلى

الله عليه وسلم - على ذلك يعلمه ، وذلك قوله عز وجل : ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾^(١) ومات
الاثنا عشر منافقين محاربين الله تعالى ورسوله .

قال حذيفة - كما رواه البيهقي : ودعا عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :
« اللهم ارمهم بالدُّبَيْلَةِ » قلنا : يا رسول الله . وما الدُّبَيْلَةُ ؟ قال : « شهاب من نار يقع
على نياط قلب أحدكم فيهلك » .

وروى مسلم عنه^(٢) : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « في أصحابي اثنا
عشر رجلاً منافقاً لا يدخلون الجنة حتى يلججَ الجملُ في سمِّ الخياط ، ثمانية يكفيهم^(٣)
الدُّبَيْلَةُ ، سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم » .
قال البيهقي : وروينا عن حذيفة - رضى الله عنه - أنهم كانوا أربعة عشر - أو
خمسة عشر^(٤) .

ذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - ان بالمدينة اقواما ما سرتهم سيرا
الا كانوا معكم

روى البخارى وابن سعد عن أنس ، وابن سعد عن جابر رضى الله عنهما: أن رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - لما رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال : « إن بالمدينة
أقواماً ما سرتهم مسيراً ولا قَطَعْتُمْ وادياً إلا كانوا معكم » فقالوا : يا رسول الله ، وهم في
المدينة ؟ قال : « وهم بالمدينة حبسهم العذر » .

ذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - لا اشرف على المدينة « هذه طابة »

روى الإمام أحمد والشيخان عن أبي حميد الساعدي ، وعبد الرزاق وابن أبي شبة
في مصنفيهما ، والإمام أحمد والبخارى عن أنس والإمام أحمد ومسلم عن جابر ، وابن

(١) سورة التوبة ٧٤ .

(٢) أى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه . وفي السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٢٠ « وفي رواية من وجه آخر عن
قتادة . » وساق الحديث الذى هنا مع اختلاف يسير فى بعض ألفاظه .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى المرجع السابق « يكفيهم » .

(٤) وبقيّة الحديث - وأشهد بالله أن اثنى عشر منهم حرب لله ولرسوله فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ،
(السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٢٠) .

أبي شيبه في مسنده عن أبي قتادة - رضى الله عنهم - قالوا : أقبلنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوة تبوك حتى أشرفنا على المدينة قال : « هذه طابة - وزاد ابن أبي شيبه : أسكننيها ربى - تنفى خبث أهلها كما ينفى الكير خبث الحديد » انتهى . فلما رأى أحدا قال « هذا أحد جبل يُحبَّبنا ونحبه ، ألا أخبركم بخير دور الأنصار » قلنا بلى يا رسول الله ، قال « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم دار بنى عبد الأشهل ، ثم دار بنى ساعدة » فقال أبو أسيد : ألم تر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خير دور الأنصار فجعلنا آخرها داراً ؟ فأدرك سعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله خيرت دور الأنصار فجعلتنا آخرها داراً . فقال : « أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار ؟ » .

نكر ملاقة النساء والصبيان رسول الله - صلى الله عليه وسلم

روى البخارى وأبو داود والترمذى عن السائب بن يزيد - رضى الله عنه - قال : أذكر أنى خرجت مع الصبيان نلتقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ثنية الوداع مقدمه من تبوك .

وروى البيهقى عن ابن عائشة - رحمه الله تعالى - قال : لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن^(١) :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ماعدا الله داع

وروى الطبرانى ، والبيهقى عن خريم بن أوس بن حارثة بن لأم / رضى الله عنه - ٥٩٥ قال : هاجرت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منصرفه من تبوك فسمعت العباس

(١) يقلن : جاء في شرح المواهب ٣ : ٨٣ « غلب النساء والولائد على ذكور الصبيان لكثرةهن ولأن الفناء عادتتهن بخلاف الصبيان » .

ابن عبد المطلب يقول : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « قل لا يفضض الله فاك » فقال (١) :

ولما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة بدأ بالمسجد بركعتين ، ثم جلس للناس كما في حديث كعب بن مالك . قال ابن مسعود : ولما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة قال : « الحمد لله الذى رزقنا فى سفرنا هذا أجراً وحسنة » وكان قدومه - صلى الله عليه وسلم - المدينة فى رمضان وكان المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخبرون عنه أخبار السوء ، ويقولون : إن محمداً وأصحابه قد جهلوا فى سفرهم وهلكوا . فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فسأهم ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ (٢)

ذكر بيع المسلمين أسلحتهم وقولهم : قد انقطع الجهاد

قال ابن سعد : وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون : قد انقطع الجهاد . فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنهاهم وقال : « لا تزال عصابة من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج اللجال » .

ذكر أمر مسجد الضرار عند رجوع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوة تبوك

روى ابن إسحاق عن أبي رهم كلثوم بن الحصين الغفارى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طريق آخر . والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس - رضى

(١) يياض فى الأصول . ولم يذكر قصيدة العباس رضى الله عنه - وهى كما فى السيرة النبوية لابن كثير ٥ : ٢٧ ، ٢٨ ، وشرح المواهب ٣ : ٨٤ .

من قبلها طبت فى الظلال وفى	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	أنت ولا نطفة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	الجم نسرا وأهله الفرق
تنقل من صالب إلى رحم	إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتما	فى صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	حنق عليها تحمها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر	ض فضاء بنورك الأفق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور	وسبل الرشاد نخترق

(٢) سورة التوبة آية ٥٠ .

الله عنهم - وابن أبي حاتم وابن مردويه عن طريق آخر عن ابن عباس ، وابن المنذر عن سعيد بن جبير ومحمد بن عمر عن يزيد بن رومان - رحمهم الله تعالى - أن بني عمرو بن عوف بنوا مسجداً فبعثوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتيتهم فيصلي فيه ، فلما رأى ذلك ناس من بني غنم بن عوف فقالوا : نبئنا نحن أيضاً مسجداً كما بنوا ، فقال لهم أبو عامر الفاسق قبل خروجه إلى الشام : ابنوا مسجدكم واستمذوا فيه بما استطعتم من قوة وسلاح فإنني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتني بجيش من الروم فأخرج محمداً وأصحابه . فكانوا يرصدون قديم أبي عامر الفاسق ، وكان خرج من المدينة محارباً لله تعالى ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - فلما فرغوا من مسجدهم أرادوا أن يُصلي فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد ، فعصم الله تبارك وتعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - من الصلاة فيه ، فأتى جماعة منهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يتوجه إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه قال : « إني على جناح سفرٍ وحال شغل ، وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا لكم فيه » فلما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوة تبوك ونزل بذي أوان - مكان بينه وبين المدينة ساعة - أنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَّاراً وَكُفْراً ﴾ ^(١) الآية روى البيهقي في الدلائل عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - في قوله تعالى :

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَّاراً) / هم أناس من الأنصار ، ابنىوا مسجداً ، فقال لهم أبو عامر : ٥٩٦ ت ابنىوا مسجدكم واستمذوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح فإنني ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فأتني بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه . فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : فرغنا من بناء مسجدنا [ونحن نحب] ^(٢) أن تصلي فيه وتدعونا بالبركة ، فأنزل الله عز وجل : (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) - يعنى مسجد قباء - (أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ) إلى قوله : ﴿ إِلَى جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارٍ بِهِ نَارُ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٣) قال الحافظ بن حجر :

(١) سورة التوبة آية ١٠٧ .

(٢) سقط في الأصل ، والمثبت عن شرح المواهب ٣ : ٨١ .

(٣) سورة التوبة آية ١٠٩ .

والجمهور على^(١) أن المسجد المراد به المسجد الذي أسس على التقوى مسجد قباء ، وقيل : هو مسجد المدينة . قال : والحق أن كلا منهما أسس على التقوى .
وقوله تعالى - في بقية الآية (فيه رجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) يؤكد أن المسجد مسجد قباء .

قال الداودي وغيره : ليس هذا اختلاف ، فإن كلا منهما أسس على التقوى ، وكذا قال السهيلي وزاد أن قوله : (مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) يقتضى مسجد قباء ، لأن تأسيسه كان من أول يوم وصل النبي - صلى الله عليه وسلم - بدار الهجرة .

وروى ابن أبي شيبه ، وابن هشام عن عروة عن أبيه قال : كان موضع مسجد قباء لامرأة يقال لها ليث كانت تربط حماراً لها فيه ، فأبتنى سعد بن خيثمة مسجداً ، فقال أهل مسجد الضرار : نحن نصلي في مربي حمار ليث ؟ لا لعمر الله ، لكننا نبني مسجداً فنصلي فيه ، وكان أبو عامر برياً من الله ورسوله ، ولحق بعد ذلك بالشام فتنصر فمات بها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَّاراً وَكُفْرًا^(٢) ﴾ قال ابن النجار : هذا المسجد بناه المنافقون مضاهياً لمسجد قباء ، وكانوا مجتمعين فيه يعيبون النبي - صلى الله عليه وسلم - ويستهزئون به ، وقال ابن عطية : روى عن ابن عمر أنه قال : المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمراد بقوله ﴿ أَفَمَنْ أَكْفَرُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ^(٣) ﴾ هو مسجد قباء ، وأن البنيان الذي أسس على شفا جرف هار فهو مسجد الضرار بالإجماع .

قال ابن إسحاق ، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً : خِذَامُ بْنُ خَالِدٍ مِنْ بَنِي عَبِيدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَمُعْتَبُ بْنُ قَشِيرٍ مِنْ بَنِي ضَبِيعَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَأَبُو حَبِيبَةَ بْنِ الْأَزْعَرِ مِنْ بَنِي ضَبِيعَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَعَبَّادُ بْنُ حَنِيفٍ أَخُو سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَجَارِيَةُ بْنُ عَامِرٍ ، وَابْنَاهُ مُجَمِّعُ بْنُ جَارِيَةَ وَزَيْدُ بْنُ جَارِيَةَ ، وَنُقَيْلُ بْنُ الْحَرِثِ مِنْ بَنِي ضَبِيعَةَ ، وَبَحْرَجُ بْنُ عَثْمَانَ مِنْ بَنِي ضَبِيعَةَ ، وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ الْمَنْدَرِ^(٤) .

(١) في ت « والجمهور على أن المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى » .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٩ .

(٣) وفي سيرة النبي لابن هشام ٣ : ١٤٣ « ووديعه بن ثابت وهو من بني أمية بن زيد رهط أبي لبابة بن عبد المنذر » .

وقال بعضهم : إن رجلاً من بنى عمرو بن عوف وكان أبو عامر المعروف بالراهب -
وسماه النبي صلى الله عليه وسلم - بالفاسق - منهم ، فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم
مالك بن النخشم أخا بني سالم بن عوف ، ومعن بن عدي وأخاه / عاصم بن عدي - ١٢٤٧
زاد البغوي : وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة ، زاد الذهبي في التجريد : سويد
ابن عباس الأنصاري - فقال : « انطلقوا إلى / هذا المسجد الظالم أهله فهلموه وحرّقوه » ٥٩٧
فخرجوا مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف ، فقال مالك لرفيقه : أنظراني حتى أخرج
إليكما ، فدخل إلى أهله وأخذ سحفاً من النخيل فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجوا يشتدون
حتى أتوا المسجد بين المغرب والعشاء ، وفيه أهله وحرّقوه وهدموا حتى وضعوه بالأرض
وتفرق عنه أصحابه ، فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة عرض على عاصم
ابن عدي المسجد يتخذة داراً ، فقال عاصم يا رسول الله : ما كنت لأتخذ مسجداً - قد
أنزل الله فيه ما أنزل - داراً ، ولكن أعطه ثابت بن أقرم فإنه لا منزل له ، فأعطاه رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - ثابت بن أقرم . فلم يولد في ذلك البيت مولود قط^(١) . ولم ينق
فيه حمام قط ، ولم تحضن فيه دجاجة قط .

وروى ابن المنذر عن سعيد بن جبير ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن
قتادة ، وابن المنذر عن ابن جريج - رحمهم الله تعالى - قالوا : ذكر لنا أنه حُفِرَ في مسجد
الضُّرار بقعة فابصروا الدخان يخرج منها .

نكر ملاقاته الذين تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم

قال ابن عتبة : لما دنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المدينة تلقاه عامة الذين
تخلفوا عنه ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لأصحابه « لا تكلموا رجلاً منهم
ولا تجالسوهم حتى آذن لكم » فأعرض عنهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنون حتى
إن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه ، وحتى إن المرأة لتعرض عن زوجها ، فمكثوا كذلك

(١) أضاف الواقدي في المغازي ٣ : ١٠٤٧ بعد هذا « وكان أبو لبابة بن عبد المنذر قد أعانهم فيه بخشب ، وكان
غير مغصوب عليه في النفاق . ولكنه كان يفعل أموراً تكره له ، فلما هدم المسجد أخذ أبو لبابة خشبه ذلك فبنى به منزلاً ،
وكان بيته الذي بناه إلى جنبه قال : فلم يولد له في ذلك البيت مولود قط » .

أياماً حتى ركب^(١) الذين تخلفوا ، وجعلوا يعتذرون إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجهد والأسقام ، ويحلفون له بفرحهم وبايعهم واستغفر لهم .

ذكر حديث كعب بن مالك وأصحابه - رضى الله عنهم^(٢)

روى ابن إسحاق ، وعبد الرزاق ، وابن أبي شعبة ، والإمام أحمد ، والشيخان عن كعب ابن مالك - رضى الله عنه - قال : لم أتخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ؛ غير أني كنت تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم^{٣٤٧} وبين علوهم على غير ميعة ، / ولقد شهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة العقبة حين تواتقنا على الإسلام ، وما أحبُّ أن لي بها مشهدٌ بدر ، وإن كانت بدر أذكر - وفي رواية : وإن كانت بدر أكثر ذكراً في الناس منها . كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفتُ عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد غزوة إلا ورى بغيرها ، وكان يقول : « الحرب خدعة » حتى كانت تلك الغزوة ؛ غزاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حرٍّ شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً^(٣) وعدداً كثيراً ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبةً غزوهم - وفي لفظ أهبةً علوهم - فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرون - وعند مسلم يزيدون على عشرة آلاف .

٥٩٨ ت وروى الحاكم في الإكلیل عن معاذ - رضى الله عنه / قال : خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً ، وقال أبو زُرعة الرازى : لا يجمعهم كتابٌ حافظ - قال الزهرى : يريد الديوان ، قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن^(٤) سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى الله تعالى .

(١) كذا في الأصول . وفي شرح المواهب ٣ : ٨٥ « كرب الذين تخلفوا » .
(٢) انظر حديث كعب في البداية والنهاية ٥ : ٢٣ ، والمغازي للواقدي ٣ : ٩٩٧ ، وشرح المواهب ٣ : ٦٣ ، ٨٥ .
(٣) كذا في الأصول . وشرحها المصنف في الغريب فقال : المفازة القلاة . وفي شرح المواهب ٣ : ٦٣ « وغزا عدداً كثيراً » وكذا في ت ٥٩٧ . وفي المغازي للواقدي ٣ : ٩٩٠ « وغزا وعدداً كثيراً » وفي البداية والنهاية ٥ : ٢٣ « واستقبل سفراً بعيداً وعدواً كثيراً » .

(٤) كذا في النسخ ماعداً ت ٥٩٨ ففيها « إنه سيخفى » وفي البداية والنهاية ٥ : ٢٣ « أنه يستخفى » .

وغزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلك الغزوة حين طابت الثمار والغلال في قيظ شديد ، في حال الخريف والناس خائفون في نخيلهم ، وتجهَّز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتجهَّز المسلمون معه ، فخرج في يوم الخميس وكان يُحِبُّ إذا خرج في سفر جهاد أو غيره أن يخرج يوم الخميس ، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، وفي رواية : وأنا أقدر شيئاً في نفسي على الجهاد وخفة الجهاد ، وأنا في ذلك أصبو إلى الظلال والثمار ، ولم يزل يتماذى بي الحاذي^(١) حتى اشتد بالناس الجِدُّ ، فأصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غادياً والمسلمون معه يوم الخميس ، ولم أقض من جهازى شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحقهم ، فغدوتُ بعد أن فصلُوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً . فلم يزل ذلك يُتَمَادَى بي حتى أمعن القوم وأسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدركهم - وليتني فعلت - !! فلم يُقَدِّر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فطفقت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه بالنفاق ، أو رجلاً مِمَّنْ عُدَّ الله - تعالى - من الضعفاء - وعند عبد الرزاق : وكان جميع من تخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بضعة وثمانين رجلاً - ولم يذكرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بلغ تبوك . فقال وهو جالس في القوم بتبوك : « مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟ » فقال رجلٌ من بني سَلَمَةَ ، وفي رواية من قومي - قال محمد بن عمر : هو عبد الله بن أنيس السَلَمِي - بفتح اللام - لا الجهني : يا رسول الله حبسه بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفَيْهِ . فقال معاذ بن جبل - قال محمد بن عمر : وهو أثبت ، ويقال : أبو قتادة : بثس ما قلت ! والله يا رسول الله ما علمتُ عليه إلا خيراً . فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم .

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توجه قافلاً حضرنى همى ، وطفقت أعد عُذْرًا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأهْيئ الكلام ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه - صلى الله عليه وسلم - غدا ، واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أَظْلَّ قَادِمًا زاح عنى الباطل ،

(١) كذا في النسخ ماعدأت ٥٩٨ ، ففيها « الحال » وفي شرح الترياق قال « الحاذي الحال وزنا ومعنى » .

وعرفت أني لم أخرج منه أبداً بشئ فيه كذب ، فأجمعت صدقه ، وعرفت أنه لا ينجيني منه إلا الصدق ، وأصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قادماً ، قال ابن سعد : في رمضان ، قال كعب : وكان إذا قدم من سفر لا يقدم إلا في الضحى فيبدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم يدخل على فاطمة ثم على أزواجه ، فبدأ بالمسجد فركعهما ، ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك جاءه المَخْلُفُونَ فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة ٥٥٩ هـ وثمانين / رجلاً ، فقبل منهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى ، فجيئته ، فلما سلمت عليه ، تبسم تبسم الغضب ، فقال : « تعال » فجيئت أمشي حتى جلست بين يديه - وعند ابن عائذ : فأعرض عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا نبي الله ، لم تعرض عني ؟ فوالله ما نافقت ، ولا ارتبت ، ولا بدلت - قال كعب : فقال لي : « ما خلفك ؟ » ألم تكن قد أبنتعتَ ظَهْرَكَ ؟ » فقلت : بلى إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعْطِيتُ جَدَلًا ، ولكني - والله - لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله تعالى أن يُسْخِطَكَ علي ، ولئن حدثتك اليوم حديث صدق تجد علي فيه ، إني لأرجو فيه عفو الله عني ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله تعالى فيك ما يشاء » فقميت ، فمضيت ٣٤٨ هـ وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني ، فقالوا : ما علمناك / كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون أعتذرت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما اعتذر به إليه المَخْلُفُونَ ، وقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لك . فوالله ما زالوا يُؤنَّبُونِي ، حتى أردت أن أرجع فأكذبت نفسي ، فقلت : ما كنت لأجمع أمرين : أتخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأكذبه ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم رجلان قالا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هُمَا ؟ قالوا : مُرَارَةُ بْنُ الرَبِيعِ الْعَمَرِيُّ ، وهلال بن أمية الواقفي .

وعند ابن أبي حاتم من مرسل الحسن : أن سبب تخلف الأول أنه كان له حائط حين زها ، فقال في نفسه : قد غزت قبلها فلو أقمت عامي هذا ؟! فلما تذكر ذنبه

قال : اللهم إني أشهدك أني قد تصدقت به في سبيلك . وأن الثاني كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا فقال : لو أقمت هذا العام عندهم . فلما تذكر قال : اللهم لك على أن لا أرجع إلى أهلي ولا مالي .

قال كعب : فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرأ فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لي . ونهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وتغيروا لنا - وعند ابن أبي شيبة . فطفقنا نغدو في الناس لا يكلمنا أحد ، ولا يسلم علينا أحد ، ولا يرد علينا سلاما . وعند عبد الرزاق : وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذي نعرف وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالتى نعرف انتهى . ما من شيء أهم إلى من أن أموت فلا يصلي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو يموت فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد ولا يصلي على - حتى تنكرت في نفسي الأرض حتى ما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبنا فاستكانا ، وقعدا في بيتهما يبكيان ، وأما أنا فكننت أشب القوم وأجلداهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف الأسواق فلا يكلمني أحد ، ولا يرد علي سلاماً ، وآتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في مجلسه / بعد الصلاة [فأسلم عليه]^(١) وأقول في نفسي : ٦٠٠

هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل على ، فإذا التفت نحوه أعرض عني . حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمي : أي أنه من بني سلامة وليس هو ابن عمه أخو أبيه الأقرب ، قال كعب : وهو أحب الناس إلي ، فسلمت عليه فوالله ما رد علي ، فقلت له : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل / تعلمني أحب الله ١٣١٩

ورسوله ؟ فسكت ، فعُدْتُ له فنشدته [فسكت ، فعدت له فنشدته] فلم يكلمني ، حتى إذا كان في الثالثة أو الرابعة قال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيني ، وتوليت حتى تسورت الجدار ، قال فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا بنبطي من أنباط الشام ممن قديم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : مَنْ يَدُلُّ على كعب بن مالك ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ له ، حتى إذا جاعني دفع إلى كتاباً من ملك غسان^(٢) ، وعند ابن أبي شيبة : من بعض

(١) إضافة عن المغازي للواقدي ٣ : ١٠٥١ .

(٢) وفي المرجع السابق ٣ : ١٠٥١ ، ١٠٥٢ « فدفع إلى كتاباً من الحارث بن أبي شمر ملك غسان ، أو قال من جيلة ابن الأيهم في سرقة من حرير فإذا في كتابه ... » .

من بالشام كتب إلى كتاباً في سرقة حرير فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك فأقصاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيقاً ، فإن تك متحولا فالحق بنا نواسيك . فقلت ، لا قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، قد طمع في أهل الكفر ، فتيمنت بها التنوير فسجرت به .

وعند ابن عائذ : أنه شكاه قلدته إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : ما زال إعراضك عني حتى رغب في أهل الشرك ، قال كعب : حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتيني . قال محمد بن عمر : وهو خزيمه بن ثابت ، وهو الرسول إلى مראה وهلال بذلك . قال كعب : فقال : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمر أن تعتزل امرأتك : أي عمرة بنت حمير بن صخر ابن أمية الأنصارية أو خيرة - بفتح الخاء المعجمة فالتحتانية - فقلت : أطلقها أو ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك . فقلت لامرأتي الحقي بأهلك ، فتكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر . قال كعب : وجاءت امرأة هلال بن أمية ، أي خولة بنت عاصم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم - وعند ابن أبي شيبة : إنه شيخ قد ضعف بصره - انتهى . فهل تكره أن أخلمه ؟ قال : « لا ، ولكن لا يقربك » قالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء !! والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . قال كعب : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في امرأتك كما أذن لهلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما يدريني ما يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ، فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كلامنا .

وعند عبد الرزاق : وكانت توبتتنا نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلث الليل - فقالت أم سلمة : يا نبي الله ألا نبشر كعب بن مالك ؟ قال : إذا يخطمكم الناس

وَيَمْنَعُونَكُمْ النُّوْمَ سَائِرَ / اللَّيْلَةِ. قَالَ : وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ تَجِيئُهُ فِي ثَلَاثِي عَشْرِهِ بِأَمْرِي^(١). فَلَمَّا صَلَّيْتُ الْفَجْرَ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِنَا ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّذِي ذَكَرَهُ^(٢) اللَّهُ تَعَالَى قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتًا صَارِخًا أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلْعٌ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، أَبْشِرْ - وَعِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّ الَّذِي أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَصَاحَ : قَدْ تَابَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى كَعْبٍ ، يَا كَعْبُ : أَبْشِرْ . وَعِنْدَ ابْنِ عَقْبَةَ أَنَّ رَجُلَيْنِ سَعِيًّا يَرِيدَانِ كَعْبًا يَبْشِرَانِهِ ، فَسَبَقَ أَحَدُهُمَا ، فَارْتَقَى الْمَسْبُوقُ عَلَى سَلْعٍ فَصَاحَ يَا كَعْبُ ، أَبْشِرْ بِتُوبَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - عِزَّ وَجَلَّ فِيكُمْ الْقُرْآنَ ، وَزَعَمُوا أَنَّ اللَّذَيْنِ سَعِيًّا أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ ، قَالَ كَعْبُ : فَخَرْتُ سَاجِدًا أَبْكِي فَرَحًا بِالتُّوبَةِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ ، وَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِتُوبَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ ، فَذَهَبَ النَّاسُ يَبْشِرُونَنَا ، وَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِيَّ مَبْشُرُونَ ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ - وَعِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو : هُوَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ كَعْبُ : وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ [حَتَّى أَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ]^(٣) وَعِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو : أَنَّهُ حِمْزَةُ بْنُ عَمْرِو الْأَسْلَمِيُّ : قَالَ كَعْبُ : وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ ، وَهُوَ حِمْزَةُ الْأَسْلَمِيُّ يَبْشِرُنِي ، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبِشْرَاهُ ، وَاللَّهُ مَا أَمْلَكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ . وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ مِنْ أَبِي قَتَادَةَ - كَمَا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو - فَلَبِسْتُهُمَا . قَالَ : وَكَانَ الَّذِي بَشَّرَ هَلَالُ بْنُ أُمِيَّةَ بِتُوبَتِهِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ^(٤) ، فَمَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى تَخْرُجَ نَفْسُهُ ، أَيْ مِنَ الْجَهْدِ ، فَقَدْ كَانَ أَمْتَنَعَ عَنِ الطَّعَامِ حَتَّى كَانَ يَوَاصِلُ الْأَيَّامَ صِيَامًا لَا يَفْتُرُّ عَنِ الْبُكَاءِ ، وَكَانَ الَّذِي بَشَّرَ مَرَارَةَ بْنُ الرَّبِيعِ بِتُوبَتِهِ سِلْكَانُ بْنُ سَلَامَةَ^(٥) أَوْ سَلَامَةُ بْنُ وَقْشٍ .

قَالَ كَعْبُ : وَأَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَلَقَانِي النَّاسُ فَوْجًا

(١) كَذَا الرِّسْمُ فِي الْأَصُولِ دُونَ إِعْجَامٍ ، وَلَمْ يَظْهَرْ لِيَ الْمَعْنَى . وَهِيَ « بِأَمْرِي » .

(٢) يُشِيرُ إِلَى الْآيَةِ ١١٨ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ .

(٣) الْإِضَافَةُ عَنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ لِابْنِ هِشَامٍ ٣ : ١٤٨ .

(٤) هُوَ أَبُو الْأَعْوَرِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ (الْمَغَازِي لِلْوَاقِدِيِّ ٣ : ١٠٥٣) .

(٥) وَفِي الْمَرْجِعِ السَّابِقِ « سِلْكَانُ بْنُ سَلَامَةَ أَبُو نَائِلَةَ وَسَلَامَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ » .

فوجاً يهنتوني بالتوبة ، يقولون : لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ - تعالى - عليك . قال كعب : حتى دَخَلْتُ المسجد ، فإذا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يَهْرُولُ حتى صافحني وهنأني . والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة . قال كعب : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يَبْرُقُ وجهه من السرور « أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ / مَرٌّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ » فقلت : يا رسول الله ، أَمِنْ عِنْدَكَ أَمِنْ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قال : « لا بل من عند الله ، إنكم صدقتم الله فصدقكم الله » وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وكنا نعرف ذلك منه ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يا رسول الله ، إِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِجَ مِنْ مَالِي كُلَّهُ صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ - تعالى - وإلى رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قلت : نصفه ؟ قال « لا » قلت : ثلثه ؟ قال : « نعم » قلت : فأني أَمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ ، وقلت : يا رسول الله إِنَّمَا نَجَّانِي اللَّهُ - تعالى - بالصدق وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَلَّا أُحْدِثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيَتْ ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أَبْلَاهُ ٦٠٢ ت اللَّهُ - تعالى - في صدق الحديث / منذ ذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن مما أَبْلَانِي ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى يومى هذا كذبا ، وإننى لأرجو أن يحفظني الله - تعالى - فيما بقيت ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَى رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم : (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) إلى قوله : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) فوالله ما أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَى مَنْ نِعْمَةٍ - بعد أن هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ - أعظم في نفسى من صدق لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أَنْ لَا (٢) أَكُونَ كَذِبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي الَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ) إلى قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٣) .

(١) سورة التوبة الآيات ١١٧ - ١١٩ .

(٢) عبارة الأصول « إلا أن » وفي البداية والنهاية ٥ : ٢٦ « أن لا أكون » والمثبت هنا يوافق ما سيرد في شرح

الغريب ص ٧١٧ وما في المغازي للواقدي ٣ : ١٠٥٥ .

(٣) سورة التوبة الآيتان ٩٥ ، ٩٦ .

قال كعب : وكنا قد تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين حلفوا له فبايعهم وأستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمرنا حتى قضى الله سبحانه وتعالى فيه بذلك قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّائِيَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾^(١) وليس الذى ذكر الله مما خُلفنا عن الغزو وإنما تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه ، فقبل منه .

وروى ابن عساكر عن كعب بن مالك - رضى الله عنه - قال : لما نزلت توبتي قبلت يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

ذكر اقوام تخلفوا من غير عذر

روى ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما . والبيهقي عن سعيد بن المسيب / رحمه الله - فى قوله ٣٥٠ ب تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾^(٢) قال ابن عباس : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى غزوة تبوك منهم : أبو لبابة ، وسمى قتادة منهم : جد بن قيس وجذام بن أوس^(٣) . رواه ابن أبي حاتم .

فلما قفل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد ، وكان ممر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا رجع من المسجد عليهم ، فلما رأهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من هؤلاء الموثقون أنفسهم » قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله ، فعاهدوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم فترضى عنهم وتعذرهم ، وقد اعترفوا بذنوبهم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذى يطلقهم ؛

(١) سورة التوبة آية ١١٨ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٢ .

(٣) وفى شرح المواهب ٣ : ٨٧ « من حديث ابن عباس فى قوله تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً . .) قال : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فلما رجع صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد . وثلاثة لم يوثقوا ، وهم كعب ومرارة وهلال ، والذين أوثقوا : أبو لبابة وأوس ابن جذام وثعلبة بن وداعة - رواه ابن منده وأبو الشيخ عن جابر باسناد قوى . وجد بن قيس وجذام بن أوس ، ومرداس - رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من مرسل قتادة . والسابع وداعة بن حرام الانصارى - رواه المستغفرى عن ابن عباس . »

رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين « فلما بلغهم ذلك قالوا : ونحن لا نطلق أنفسنا
 حتى يكون الله تبارك وتعالى هو الذي يطلقنا ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَأَخْرَجُوا عَتَقُوا
 بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ مِصْرَ بِأَعْيُنِنَا فَبَدَّلُوا آيَاتِنَا مِنْ مِصْرَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ وَتَبَارَكَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ ذِكْرُكُمْ ﴾ (١) وعسى من الله واجب ؛
 ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) فلما نزلت أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم فأطلقهم
 وعذرهم . قال ابن المسيب : فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أبي لبابة ليطلقه ،
 فَأَبَى أَنْ يَطْلُقَهُ أَحَدٌ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فجاءه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 وسلم - فأطلقه بيده ، فجاءوا بأموالهم فقالوا : يا رسول الله هذه أموالنا / فتصدق بها عنا ٦٠٢
 واستغفر لنا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « مَا أُمِرْتُ أَنْ أَخَذَ أَمْوَالَكُمْ » فَأَنْزَلَ
 اللهُ تَعَالَى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ يقول : استغفر
 لهم ﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (٣) يقول : رحمة . فأخذ منهم الصدقة ، واستغفر لهم ، وكان
 ثلاثة نفر منهم لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى فأرجئوا سنة لا يدرون يعذبون أو يتاب عليهم ،
 فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ
 الْعُسْرَةِ ﴾ (٤) إلى آخر الآية . وقوله : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) إلى قوله : ﴿ ثُمَّ تَابَ
 عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥) يعني استقاموا فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى -
 ١٥٣١ في شأن هذه الغزوة كثيراً من سورة براءة تقدم كثير من ذلك / في محاله .

قال البيهقي : وزعم ابن إسحاق أن ارتباط أبي لبابة كان في وقعة بني قريظة ، وقد
 روي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب ما دل على أن ارتباطه كان بتخلفه في غزوة
 تبوك .

(١) سورة التوبة آية ١٠٢ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٣٧ ، ومن الآية ٥٤ .

(٣) سورة التوبة آية ١٠٣ .

(٤) سورة التوبة آية ١١٧ .

(٥) سورة التوبة آية ١١٨ .

تَنْبِيَهَات

الأول : تَبُوكَ - بفتح الفوقية وضم الموحدة وهى أقصى أثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهى فى طرف الشام من جهة القبلة ، وبينها وبين المدينة المشرفة اثنتا عشرة مرحلة . قال فى النور : وكذا قالوا ، وقد سرناها مع الحجيج فى اثنتى عشرة مرحلة ، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة . والمشهور ترك صرفها للعلمية والتأنيث . وفى حديث كعب السابق : ولم يذكرنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بلغ تبوكاً كذا فى جميع النسخ فى صحيح البخارى وأكثر نسخ صحيح مسلم تغليباً للموضع ، وكذا قال النووى والحافظ وجمع . قال فى التقريب : وهو سَهُوٌ لَّأَنَّ عِلَّةَ منعه كونه على مثال الفعل « تَقُولُ » فالمذكر والمؤنث فى ذلك سواء .

قال فى الروض تبعاً لابن قتيبة : سُمِّيَت الغزوة بعين تبوك ، وهى العين التى أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا يمسا من مائها شيئا فسبق إليها رجلان ، وهى تبض بشئ من ماء فجعللا يدخلان فيها سهمين ليكثر ماؤها ، فسبهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما زلتما تبوكانها منذ اليوم ، فلذلك سُمِّيَت العين تبوك . البوك كالتنقش والحفر فى الشئ ، ويقال : منه باك الحمار الأثان يَبُوكُها إذا نزا عليها . قال الحافظ : وقعت تسميتها بذلك فى الأحاديث الصحيحة « إنكم ستأتون غدا عين تبوك » . رواه مالك ومسلم . قلت : صريح الحديث دالٌّ على أن تبوك اسم على ذلك الموضع الذى فيه العين المذكورة . والنبي - صلى الله عليه وسلم - قال هذا القول قَبْلَ أن يصل تبوك ببيوم . وذكرها فى المحكم فى الثلاثى الصحيح ، وذكرها ابن قتيبة والجوهري وابن الأثير وغيرهم فى الْمُعْتَلِ فى بوك .

الثانى : وقع فى الصحيح ذكرها بعد حجة الوداع . قال الحافظ : وهو خطأ ، ولا خلاف أنه قبلها ولا أظن ذلك إلا من النُّسَاح ، فإن غزوة تَبُوكَ كانت فى رجب سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف . وعند ابن عائذ من حديث ابن عباس : أنها كانت بعد الطائف بستة

٦٠٤ ت أشهر ، وليس مخالفاً لِقَوْل من قال إنها في رجب إذا حذفنا الكسور / لأنه - صلى الله عليه
٣٥١ ب وسلم - / قد دخل المدينة من رجوعه إلى الطائف في ذى الحجة .

الثالث : قول أبي موسى : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « خُذْ هَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ وَهَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ ، أَى الْجَمْلَيْنِ الْمَشْتَوْدَيْنِ أَحَدَهُمَا إِلَى الْآخَرِ » لستة أبصرة ، لعله قال : هذين القرينين ثلاثا ، فذكر الرواة^(١) مرتين اختصاراً . ولأبى ذر عن الحموى والمستملى : وهاتين القرينتين وهاتين القرينتين ، أَى الناقتين . وفي رواية في بابِ قدوم الأشعرين وأهل اليمن في الصحيح^(٢) : فأمر لنا بخمس ذود . وفي باب الاستثناء في الإيمان بثلاثة ذود . والرواية الأولى تجمع بين الروايات ، فلعل رواية الثلاثة باعتبار ثلاثة أزواج ، ورواية الخمس باعتبار أن أحد الأزواج كان قرينه تبعاً فاعتدَّ به تارة ولم يعتد به أخرى ، ويمكن أن يجمع بينهما بأنه أمر لهم بثلاثة ذود أولاً ثم زادهم اثنين ؛ فإن لفظ زهدم أحد رواية الحديث : ثم أتى بنهب ذود غر الذرى فأعطانا خمس ذود ؛ ف وقعت في رواية زهدم جملة ما أعطاهم ، و رواية غيلان : مبدأ ما أمر لهم به ولم يذكر الزيادة ، وأما رواية : خذ هذين القرينين ثلاث مرار ، وفي رواية : ستة أبصرة ، فعلى ما تقدم أن تكون السادسة كانت تبعا فلم تكن ذودتها موصوفة بذلك ، قال الحافظ في رواية : ستة أبصرة إما أن يحمله على تعدد القصة أو زادهم على الخمس واحدا .

الرابع : في رواية أبي موسى قال : أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنهب إبل فأمر لنا بخمس ذود . وفي رواية بعد قوله « خذ هذين القرينين » ابتاعهن من سعد ولم ينبه الحافظ على الجمع بين الروايتين فيحتمل - والله أعلم - أن يكون ما جاء من النهب أعطاه لسعد ثم اشتراه منه لأجل الأشعرين ، ويحتمل على التعدد .

(١) في ت ٦٠٤ « الراوى » .

(٢) أى صحيح البخارى (شرح المواهب ٣ : ٦٨) .

الخامس : قال الحافظ : إنما غلظ الأمر على كعب وصاحبيه وهوجروا ؛ لأنهم تركوا الواجب عليهم من غير عذر؛ لأن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد ؛ أى لو تخلف . قال ابن بطلال : إنما اشتد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية لكنه فى حق الأنصار خاصة فرض عين ؛ لأنهم بايعوا على ذلك ، ومصداق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة لأنها كالثكنات لبيعتهم / قاله ابن بطلال : قال السهيلي : ولا أعرف له وجهاً غير الذى قاله ابن بطلال . قال الحافظ : قد ذكرت وجهاً غير الذى ذكره / ، ولعله أقعد ويؤيده قوله سبحانه وتعالى : (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ) الآية . وعند الشافعية : أن الجهاد كان فرض عين فى زمنه - صلى الله عليه وسلم - فعلى هذا فيتوجه العتاب على كل من تخلف مطلقاً

السادس : قول أبى قتادة لما سأله كعب : الله ورسوله أعلم . قال القاضى : لعل أباً قتادة لم يقصد بهذا تكليمه ؛ لأنه منهى عن كلامه . وإنما قال ذلك لنفسه لما ناشده ، فقال أبو قتادة مظهراً لاعتقاده / لا يُسْمِعُهُ .

٦٠٥ ت

السابع : قول كعب : قال لى بعض أهلى . قال فى النور : الظن أن القائل له من بعض أهله امرأة ، وذلك أن النساء لم يدخلن فى النهى ؛ لأن فى الحديث « ونهى المسلمين عن خطابنا » وهذا الخطاب لا يدخل فيه النساء ، وأيضاً امرأته ليست داخلة فى النهى ، فدل على أن المراد الرجال ، وقال الحافظ : لعل القائل بعض ولده أو من النساء ، ولم يقع النهى عن كلام الثلاثة للنساء اللاتى فى بيوتهن ، أو أن الذى كلمه كان منافقاً أو الذى يخلمه . ولم يدخل فى النهى .

الثامن : قال فى النور : لعل الحكمة فى هجران كعب وصاحبيه خمسين ليلة أنها كانت مدة غيبته - صلى الله عليه وسلم - لأنه خرج فى رجب على ما قاله ابن إسحاق ، وقدم فى

رمضان ، وقال بعضهم : في شعبان ، وتقدم أنه أقام في تبوك بضعة عشر يوما ، ويقال عشرين ، هذا ما ظهر لي، وأنت من ورائها للبحث والتنقيب^(١) .

التاسع : دَلَّ صَنَعُ كَعْبٍ بَكْتَابٍ مَلِكِ غَسَّانٍ عَلَى قُوَّةِ إِيمَانِهِ وَمَحَبَّتِهِ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِلَّا فَمَنْ صَارَ فِي مِثْلِ حَالِهِ مِنَ الْهَجْرِ وَالْإِعْرَاضِ قَدْ يَضْعُفُ عَنْ أَحْتِمَالِ ذَلِكَ ، وَتَحْمِلِهِ الرِّغْبَةُ فِي الْجَاهِ وَالْمَالِ عَلَى هَجْرَانٍ مَنْ هَجَرَهُ ، وَلَا سِيَّامَا مَعَ أَنَّهُ مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي اسْتَدْعَاهُ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكْرَهُهُ عَلَى فِرَاقِ دِينِهِ لَكِنْ لَمَّا احْتَمَلَ عِنْدَهُ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ مِنَ الْاِفْتِتَانِ حَسْمَ الْمَادَّةِ وَأَحْرَقَ الْكِتَابَ وَمَنَعَ الْجَوَابَ ، هَذَا مَعَ كَوْنِهِ مِنَ الْبَشَرِ الَّذِي طُبِعَتْ نَفُوسُهُمْ عَلَى الرِّغْبَةِ وَلَا سِيَّامَا مَعَ^(٢) الْاسْتِدْعَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى الْوَصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنَ الْجَاهِ وَالْمَالِ ، وَلَا سِيَّامَا وَالَّذِي اسْتَدْعَاهُ قَرِيبَهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَغَلَبَ عَلَيْهِ دِينُهُ ، وَقَوَى عِنْدَهُ يَقِينُهُ ، وَرَجَحَ مَا فِيهِ مِنَ النَّكَرِ^(٣) وَالتَّعْذِيبِ عَلَى مَا دُعِيَ إِلَيْهِ مِنَ الرَّاحَةِ وَالتَّنْعِيمِ جُحًا فِي اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» .

العاشر : قال بعضهم : سبب قيام طلحة لكعب رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان آخى بينهما لما آخى بين المهاجرين والأنصار ، والذي ذكره أهل المغازي : ٣٥٢ ب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أخا الزبير لكن كان / الزبير أخا طلحة في أخوة المهاجرين فهو أخو أخيه .

الحادى عشر : استشكل إطلاق قوله - صلى الله عليه وسلم - « أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك » بيوم إسلامه ، فإنه مرّ عليه بعد أن ولدته أمه ، وهو خير ما مرّ فقيل هو مستثنى تقديرا ، وإن لم ينطق به لعدم خفائه ، قال الحافظ : « الأحسن في الجواب أن يوم توبته يُكَمَّلُ يوم إسلامه فيوم إسلامه بداية سعادته ويوم توبته مكمل لها ، فهو خير من جميع أيامه ، وإن كان يوم إسلامه خيرا فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير يوم من يوم إسلامه المجرد عنها » .

(١) كذا في الأصول . ولعلها دعوة للقارئ والباحث إلى الاجتهاد والاستقصاء في المراجع بغية الوصول إلى معرفة حقيقة الفترة التي قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك .

(٢) في ت ٦٠٥ « بعد الاستدعاء » . (٣) في ت « النكد » .

الثانى عشر : فى بيان غريب ما سبق :

العُسرة - بمهملتين الأولى مضمومة والثانية ساكنة ، مأخوذ من قوله تعالى : (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ^(١)) أى الشدة والضيق .

الأنباط : نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه ، وهؤلاء كانوا فى ذلك الوقت أهل الفلاحة ، ويقال : إن النبط ينسبون إلى نبيط بن هانئ بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح .

الروم - جيل من الناس معروف كالعرب والفرس ، وهم الذين يسميهم أهل بلادنا الفرنج ، من ولد روم بن عيص بن إسحاق ، غلب عليهم اسم أبيهم فصار كالاسم للقبيلة ، وإن شئت قلت : هو جمع رومى منسوباً إلى الروم بن عيص .

هِرَقل - بكسر الهاء وفتح الراء وبالقاف هذا هو المشهور ، ويقال بكسر الهاء والقاف وسكون الراء ، وهو اسم علم له ، ولقبه قيصر ، وهو أعجمى تكلمت به العرب .

أَجْلَيْتَ - بالجيم ، والبناء للمفعول .

لَحْمٍ نَائِبِ الْفَاعِلِ بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة .

جُدَام - بضم الجيم وبالدال المهملة .

البلقاء - بفتح الموحدة وسكون اللام وبالقاف والمد .

حُصَيْن - والد عمران - بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وسكون التحتية وبالنون .

السنون جمع سَنَة - بفتح السين المهملة : وهو الجَدْب ضد الخِضْب .

يستفزونك : يزعجونك ويقتلونك . والأرض هنا أرض المدينة .

قُرْبَانِ المسجد - بضم القاف وكسرها فراء ساكنة فألف فنون : الدنو منه .

لتقطعن : بضم الفوقية . والمتاجر نائب الفاعل .

(١) سورة التوبة آية ١٢٠ .

عن يد : قهر وإذلال .

صاغرون : ذليلون مهانون .

زمان عسرة : شدة .

الجَدْب - بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وبالموحدة : القحط .

المُقَام - بضم الميم وفتحها : الإقامة وعدم السفر .

الشُّخُوص - بضم الشين والخاء المعجمتين : الذهاب ، يقال شخص من بلد إلى بلد
شخصاً إذا ذهب .

الشُّقَّة - بضم الشين المعجمة وتشديد القاف : وهو هنا السَّفر البعيد .

الجِهَاز - بكسر الجيم وفتحها ما يحتاجه المسافر في قطع المسافة .

أَوْعَبَ معه : خرجوا / بأجمعهم .

١٢٥٢

أَنْفِرُوا : أسرعوا .

أَتَأَقْلَتُمْ إِلَى الْأَرْضِ : اضطجعتُم واطمأننتم ، وأصله أَتَشَاقَلْتُمْ .

متاع الحياة الدنيا : المتاع كل شيء ينتفع به ثم يفنى ، وأضيف إلى الحياة الدنيا
إشارة إلى عدم بقاءه .

خِفَافاً : جمع خفيف .

وِثْقَالاً : جمع ثقل ، أى شبانا وشيوخنا ، أو ركبانا ومشاة وأغنياء وفقراء ، وقيل
غير ذلك .

عَرَضاً قَرِيباً - بفتح العين والراء : ناحية قريبة .

وَسَفَرًا قَاصِداً : قريباً أو غير شاق .

الشُّقَّة - بضم الشين المعجمة المشددة هي في الأصل السَّفر البعيد ، والمراد هنا الناحية
التي ندبوا إليها .

وَرَى بغيرها : سترها ، وكفى عنها وأوهم أنه يريد غيرها ، وأصله من الورى ، أى ألقى البيان وراء ظهره^(١) .

شرح غريب حته — صلى الله عليه وسلم — على التفقة والحملان

الحُمْلَان — بضم الحاء المهملة وسكون الميم : أى الشئ الذى يركبون عليه ويحملهم .

العِصَابَة — بكسر العين المهملة — هنا : الجماعة من الناس .

الأَحْلَاس : جمع حِلْس — بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبالسین المهملة : كساء يكون تحت البرذعة .

المِرْقَاة والمرقى والمرتقى : موضع الرُقَى — بفتح الميم وكسرهما .

يقول بيده هكذا : تقدم فى شرح غريب غَزْوَة الفتح .

الطَّيَّالَسَى — بفتح الطاء المهملة وكسر اللام .

الخِطَام — بكسر الخاء المعجمة : كل ما يقاد به البعير .

العِقَال — بكسر العين المهملة / وبالقاف وبالألف واللام ، يقال عقلت البعير أعْقَلَةً — ٦٠٧ ت بالكسر : ثنيت ضبعه أى خُفَّهُ مع ذراعه فشددتهما معاً فى وسط الذراع بحبل .

الاِحْتِسَاب : أدّخار أجر العمل وأن يحسبه العامل فى حسناته .

شرح غريب بعض ما دار بين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبين بعض المنافقين

الجَدُّ بن قيس — بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة .

النَّفَر — بفتح النون والفاء : جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة أو إلى سبعة .

الضُّبْعَةُ^(٢) — بفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية : واحدة الضَّبَاع .

(١) وفى شرح المواهب ٣ : ٦٣ « وأصله من ورى الإنسان كأنه ألقى البيان وراء ظهره » .

(٢) الضبعة هنا يراد بها شدة شهوة الفحل — وهذا ما يقتضيه الحوار بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه وبين الجد

ابن قيس .

تُحْقِبُ : تُرْدِفُ خلفك .

بنات بنى الأصفر : يعنى الروم ، قال فى الإملاء ، يقال إنهم من أولاد عيص بن إسحاق ، وكان فيما يقال مصفر اللون ، وأما الروم القديمة فهم بزنان .

لِجِلَادٍ - بكسر اللام وبكسر الجيم : الضراب بالسيوف .

الدوائر : جمع دائرة ، وهى النائبة التى تنزل بالإنسان فتهلكه .

محيطه بالكافرين : مُهْلِكَتُهُمْ وجامعتهم .

ثَبَّطَهُ عَنْ أَمْرِهِ : عَوَّقَهُ عَنْهُ .

جَبَّارٌ - بفتح الجيم وتشديد الموحدة .

صخر - بفتح الصاد المهملة وبالحاء المعجمة وبالراء .

الإرجاف : الخوض فى الأخبار الكاذبة / فى الفتنة^(١) ليضطرب الناس .

عبد الله بن حرث - بالحاء المهملة وبالثاء المثناة .

سُوَيْلَمٌ - بسين مهملة مضمومة فواو فتحتية ساكنة فلام مكسورة فميم .

اقتحم : ألقى نفسه .

مسجد الضرار - بكسر الضاد المعجمة ، وفى الأصل فِعَالٌ مِنَ الضَّرِّ - بفتح المعجمة :

أى مجازى من أضره بمثل فعله .

على جناح سفر : أى نريده .

* * *

شرح غريب خبر المخلفين والمعذرين والبكائين

المُعَلَّرُونَ - جمع معذر بتشديد الدال المعجمة ، وقد يكون صادقاً ، وقد يكون كاذباً .

فالصادق أصله المعتذر ولكن التاء قلبت ذالاً فأدغمت فى الدال ، والكاذب معذر على أصله

وهو المعرض المقصر الذى يتعلل بغير عذر صحيح .

(١) فى ت ٦٠٧ « فى الأخبار الكاذبة والفتن » .

الْقَرْطَى بضم القاف وفتح الراء وبالظاء المعجمة المشالة .

هَرَمَى - بفتح الهاء وكسر الراء ويقال هَرَمَ .

عُلْبَةٌ - بضم العين المهملة وسكون اللام وبالموحدة وتاء تأنيث .

عَرَبَاض - بكسر العين المهملة وسكون الراء وبالموحدة وبالضاد المعجمة .

سَارِيَةٌ - بالسین المهملة وكسر الراء وبالتحتية .

حُمَام - والد عمرو - بضم الحاء المهملة والتخفيف .

الْجَمُوح - بفتح الجيم وضم الميم وبالحاء المهملة .

عَنَمَةٌ : والد عمر بفتح العين المهملة والنون والميم .

مُغْفَلٌ : والد عبد الله - بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة وباللام .

مَعْقِلٌ بن يسار - بفتح الميم وسكون المهملة وكسر القاف ، وأبوه بالتحية والمهملة

بنو مُقَرَّن - بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المكسورة .

ابن يامين - كذا في نسخة من السيرة الهشامية ، والعيون « ابن يامين » وصوابه

« يامين » بإسقاط ابن .

النَّضْرَى - بفتح النون وسكون الضاد المعجمة .

الناضح - بنون وبعد الألف ضاد معجمة فحاء مهملة ، وهو من الإبل الذي يستقي

عليه الماء

شرح غريب حديث أبي موسى الأشعري - رضى الله عنه - وما بعده

لا أشعر : لا أعلم .

وجد عليه : حزن .

جىء - بالبناء للمفعول : أتى بضم الهمزة .

نَهَبَ إِبِل : بتنوين الموحدة واللام .

الْبَث : أمكث .

سُوَيْعَة : تصغير ساعة من الزمان .

القرنين : الجمليين المشدودين أحدهما إلى الآخر ، وقيل النظيرين المتساويين ،
٦٠٨ ب وفي رواية : هاتين / القرينتين : أى الناقتين .

بخمسة ذود - بفتح الدال المعجمة وسكون الواو وبالدال المهملة : ما بين الستة
إلى التسعة من الإبل ، وهى مؤنثة .

غُرَّ - بضم الغين والراء .

اللُّرَى - بضم اللام المعجمة وفتح الراء : جمع ذروة ، وهى أعلى كل شئ : أى بيض
الأسنمة

الجُرْف - بضم الجيم والراء وبالفاء على ثلاثة أميال من المدينة إلى جهة الشام .

/ سَبَاع - بكسر المهملة وتخفيف الموحدة .

١٣٥٤

عُرْقُطَة - بضم العين المهملة وسكون الراء وضم الفاء وبالطاء المهملة .

شرح غريب ذكر خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم

قوله : عسكر - بعين فسين مهملة فكاف فراء : جمع

ثنية الوداع - تقدم الكلام عليها مبسوطاً فى أبواب دخوله - صلى الله عليه وسلم -
المدينة .

على حِدَة - بكسر الحاء وفتح الدال المهملتين : أى منفردا وحده بعسكره لم يختلط
بعسكر النبي - صلى الله عليه وسلم .

ذُبَاب - بذال معجمة وزن كتاب وغراب - لغتان : جبل بقرب المدينة .

مقرنين : مجعولين قرنا باليدين .

السويداء - تصغير سوداء : موضع على ليلتين من المدينة .

الفغواء - بفتح الفاء وسكون الغين المعجمة وبالواو .

الخُزاعى - بضم الخاء المعجمة - وبالزاي .

أُسَيْد - بضم أوله وفتح ثانيه وسكون ثالثه وبالدال المهملة .
وَحْضِير - بالحاء المهملة والضاد المعجمة كذلك .
دُجَانة - بضم الدال المهملة وتخفيف الجيم وبالنون .

* * *

شرح غريب قصة تخلف أبى ذر وأبى خيثمة - رضى الله عنهما واخبراه
صلى الله عليه وسلم - بما قاله جماعة من المنافقين

نِضُو - بنون مكسورة فضاء معجمة فواو : الدابة التى اهتزلتها الأسفار ، وأذهبت
لحمها .
أَعْجَف : ضعيف .

أَذَمَّ بى - بفتح أوله والدال المعجمة وتشديد الميم : حَبَسَنِى .
التَّلَوُّم - بفتح الفوقية واللام وتشديد الواو وبالميم : الانتظار والمكث .
أَبْطَأ - بهمز أوله وآخره .
يَتَّبِع - بالتخفيف والتشديد .

أثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بفتح الهمزة والثاء المثناة ، وبكسر الهمزة وسكون
الثاء ، وحكى بتثليث الهمزة .

يمشى وحده ، وكذا الباقى : أى منفرداً .

كن أبا ذر - بلفظ الأمر ، ومعناه الدعاء ، كما تقول اسلَمْ ؛ أى سلمك [الله]^(١)

العريش - بفتح العين وكسر الراء : كل ما استظل به^(٢)

الحائط : البستان من النخيل إذا كان عليه حائط .

الضَّحْ - بكسر الضاد المعجمة وتشديد الحاء المهملة - قال فى الإملاء : الشمس ، وفى النهاية
هو ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض وهو كالقمر ، وهذا أصل الحديث ومعناه ،
وهو أشبه مما فسر به الهروى فقال : أراد كثرة الخيل والجيش ، يقال : حافلان بالضح
والريح ، أى لما طلعت عليه الشمس وهبت عليه الريح يعنون المال الكثير .

(١) إضافة عن شرح المواهب ٣ : ٧١ .

(٢) العريش : ويقال شبيه بالخميمة يظل فيكون أبعد الأخبية والبيوت (سيرة النبى لابن هشام ٣ : ١٣٣) .

النَّصَف - بفتح النون والصاد المهملة وبالفاء .

أَنْ تَخْلَفْ عَنِي - بحذف إحدى التاءين وتشديد اللام المفتوحة .

٣٥٤ ب أولى لك / - قال فى الإملاء : كلمة فيها معنى التهديد ، وهى اسم سُمى به الفعل ، ومعناها فيما قاله المفسرون : دين من الهلكة .

الرهط : مادون العشرة من الرجال .

وَدِيْعَة - بفتح الواو وكسر الدال وبالعين المهملة .

ثابت - بالثاء المثناة وبالموحدة والفوقية .

الجُلَّاس - بضم الجيم والتخفيف وآخره سين مهملة .

مَخْشَى - بفتح الميم وسكون الخاء وكسر الشين المعجمتين بعدها ياء كياء النسبة .

٦٠٥ ت ابن حُمَيْر / : بضم الحاء المهملة وفتح الميم المخففة وتشديد التحتية .

(١) فليأت - بهمزة مفتوحة قبل تاء التانيث الساكنة .

أَقَاضَى - بضم الهمزة وفتح الضاد المعجمة بالبناء للمفعول .

حقب الناقة : عجزها (٢) .

فتسفان التراب : ترفعانه .

عُفِيَ عنه : بالبناء للمفعول .

ولا يُعْلَم مكانه : كذلك .

اليامة - بفتح التحتية : بلد باليمن .

شرح غريب ذكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - بالمروة ونزوله بوادى القرى

ذى المروة بلفظ أخت الصفا من أعمال المدينة على ثمانية بُرْد منها الخليفة (٣) .

الدوم - بفتح الدال المهملة : جمع دومة كذلك وهى ضخام الشجر ، وقيل هو شجر المقل .

(١ - ١) لم ترد هذه العبارة فى سياق غزوة تبوك .

(٢) الحقب : جبل يشد على بطن البعير سوى الحزام الذى يشد فيه الرحل (سيرة النبى لابن هشام ٣ : ١٣٨) .

(٣) بياض بمقدار كلمتين . وانظر ما سبق من التعليق هامش ٤ ص ٦٤٣ .

وادی القُرى - بضم القاف وفتح الراء : جمع قرية .

الحديقة : كل ما أحاط به البناء من البساتين ، ويقال للقطعة من النخل حديقة وإن لم تكن محاطاً بها .

الخَرْص - بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وبالضاد المهملة ، وهو هنا الحزر الذى حزر ما على النخل من الرطب تمرا .

الوَسْق - بفتح الواو وكسرها : ستون صاعا .

بنو العريض - بفتح العين المهملة وكسر الراء وبالضاد المعجمة .

شرح غريب ذكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - بالحجر

[الحِجْرُ] بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وبالراء : اسم ديار ثمود ، بين المدينة والشام .

أبو كبشة - بفتح الكاف وسكون الموحدة وبالشين المعجمة .

الأَنْمَارَى - بفتح أوله وبالنون .

أبو حُمَيْدٍ - بضم الحاء المهملة وسكون التحتية وبالدال المهملة .

تَقَنَّعَ برادئه - بفتحات والنون مشددة : أى ستر رأسه .

أوضح راحلته - بالضاد المعجمة والعين المهملة : أسرع بها

ثمود - إن أُريد به اسم القبيلة لم ينصرف للعلمية والتأنيث المعنوى ، وإن أُريد به اسم الأب انصرف .

أن يصيبكم - بفتح الهمزة مفعول له ، أى كراهة الإصابة .

أهريقوها : صبوا ما فيها .

الْفَجْج - بفتح الفاء وتشديد الجيم : الطريق الواسع ، والجمع فجاج بكسر الفاء .

١٢٥٥

تصلر : ترجع / بعد ورود مياههم .

« عَتَوْا عن أمر ربهم » : جاوزوا الحد فى التكبر والتجبر وركوب البهتان .

أَمْدُهُ اللهُ تَعَالَى : أَهْلَكَه .

أَبُو رِغَال - بكسر الراء وبالفين المعجمة واللام .

من أنفُسكم : منكم .

لا يعبأ بعذابكم : ما يصنع به ، أو ما يبالي به .

خُنِقَ - بضم الخاء المعجمة وبالنون والبناء للمفعول .

مَذْهَبُهُ - بفتح الميم والهاء وسكون الذال المعجمة بينهما : وهو الموضع الذي يتغوط فيه .

جَبَلِي طِيٌّ : هما أَجَا - بفتح الهمة والجيم وهمز آخره ، وبالقصر ، وسلمى - بفتح السين المهملة وسكون اللام وبالقصر .

شرح غريب استسقاؤه - صلى الله عليه وسلم - حين شكوا اليه العطش
واخباره باضلال ناqqته ، وما بعد ذلك

قوله : القَيْظُ - بفتح القاف وسكون التحتية وبالطاء المعجمة المشالة : شدة الحر .

الْفَرَثُ - بفتح الفاء وسكون الراء وبالثاء المثناة : السرجين^(١) في الكرش .

أَبُو حُرْزَةَ الْأَنْصَارِي - بفتح الحاء المهملة وسكون الراء بعدها زاي فتاء تأنيث .

النَّوْءُ - بفتح النون وبالهمز : مصدر نأى النجم ينوء نوءاً ، والمراد سقوط نجم من

المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقبته من المشرق ، وكانوا يعتقدون أنه لا بد عند ذلك

من مطر أو ريح فمنهم من يجعله للطالع . لأنه ناء ومنهم من ينسبه للمغرب ، فنفي

- صلى الله عليه وسلم - ذلك ، ونهى عنه ، وكفر من اعتقد أن النجم فاعل ذلك ، ومن

٦١٠ جعله دليلاً فهو جاهل / بمعنى الدلالة ، قال في النهاية : ومن أسند ذلك للعادة التي يجوز

أنخرامها فقد كرهه قوم وجوزّه قوم .

القصواء : كحمراء .

عقبياً : شهد بيعة العقبة .

(١) السرجين : كلمة فارسية معناها الزبل . (نختار الصحاح) .

اللَّصِيَّت : والد زيد ، تصغيراً لَصَّت بثلاث اللام وسكون الصاد وبالفوقية : وهو اللص في لغة طيئ .

قينقاع : تقدم في غزوتها .

الشعب - بكسر الشين وسكون العين المهملة : ما انفرج بين الجبلين .

الزمام - بكسر الزاى : المقود الذى تقاد به الدابة .

آنفأ - بفتح أوله وكسر النون وبالفاء « والمد والقصر » : قريباً .

يجأ في عنقه : يطعن .

الإداوة - بكسر أوله : المطهرة .

نكص على عقبيه نكوصاً ، أى من باب قعد : رجع ، قال ابن فارس : والنكوص

الإحجام عن الشيء .

تواثب الناس : قاموا .

الغبطة : أن تحب أن يكون لك مثل ما أعجبك من أمر أخيك دون أن يُسَلِّبه .

الفلح : الذكر من الحيوان ، والمراد هنا ذكر الإبل .

في في (١) فعل - في الأولى حرف جر ، والثانية اسم للفم .

يقضمها - بفتح الضاد المعجمة / وضمها : أى يعضمها ، والقضم فى الأصل الأكل بأطراف ٢٥٥ ب

الأسنان ، فاستعير هنا للعض .

انصاع الناس عنها - بكسر أوله وسكون النون وبالصاد والعين المهملتين : تفرقوا

مسرعين .

شرح غريب نكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - بقرب تبوك وغريب نزوله
بتبوك ، وما بعد ذلك

قوله الشراك : للنعل - بكسر الشين المعجمة : سيرها الذى على ظهر القدم .

تَبَض - بفتح الفوقية وكسر الموحدة وبالضاد المعجمة وتهمل : تسيل .

(١) ورواية الحديث فى سياق النزوة « فى فم فعل » .

الشَّن بفتح الشين : القربة الخلق .

الجنان - بكسر الجيم جمع جنة بفتحها ، سميت بذلك لجنها أى سترها الأرض بالشجر .

جاش الماء : ارتفع وجرى .

استرقد : رقد ، أى نام .

قِيدَ رُمَح - بكسر القاف وبالدال المهملة : قَذَرَه .

اَكْلًا لَنَا : احفظنا وارصد لنا الصبح .

أوثق : أحكم .

العُرَى - بضم العين المهملة : وفتح الراء : جمع عروة وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ ^(١) تأنيث الأوثق أى المحكمة ، قال الزجاج : معناه فقد عقد لنفسه عقدا وثيقا .

كلمة التقوى : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

المِلل - بكسر الميم : جمع مِلَّة .

السَّنن : جمع سُنَّة ، وهى الطريقة .

خير الأمور عوازمها : فرائضها التى عزم الله تعالى عليك بفعالها . والمعنى ذوات عزمها التى فيها عزم ، وقيل : هى ما وكدت رأيك وعزمك عليه ووفيت بعهد الله فيه ، والعزم : الجد والصبر .

لا يأتى الجمعة إلا ذُبْرا - بفتح الذال المعجمة ^(٢) وضمها وسكون الموحدة وضمها منصوب على الظرف : أى بعد ما يفوت وقتها .

إلا هجرا - بفتح الهاء وسكون الجيم : يريد الترك له والإعراض عنه .

وقر الشيء : تمكن وثبت .

الارتباب : الشك .

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦ .

(٢) كذا فى الأصول ولعلها بالدال المهملة ويوافقه الشرح .

جئى جهنم - بضم الجيم وفتح الشاء المثناة : جمع جثوة بتثليث الجيم وسكون الشاء المثناة ، وهى الشىء المجموع .

السُّكْرُكَةُ - بضم السين المهملة والكاف الأولى .

جِبَالَةُ الشَّيْطَانِ - بكسر الحاء المهملة والجمع حبائل - بفتح الحاء : أى مصيدته التى يصيد بها .

الشباب شعبة من الجنون : الشُّعْبَةُ - بضم الشين وسكون العين المهملة : الطائفة . من الشىء والقطعة منه ، وإنما جعل الشباب شعبة منه لأنَّ الشباب يزيل العقل وكذلك الشباب قد يسرع إلى قلة العقل لما فيه / من كثرة الميل إلى الشهوات والإقدام على المضار . ١٦١ ت من يَتَأَلَّ على الله يكذبه - بفتح أوله . وبعد الفوقية همزة فلام مشددة : أى من حكم عليه ويحلف ؛ كقولك : فلان فى الجنة وفلان فى النار^(١)

لا يرعوى / بشىء منه : لا ينفك لا ينزجر ، من رعا يرعو إذا كف عن الأمور ، وقد ١٢٥٦ ارعوى عن القبيح يرعوى ارعواء .

سعد هُذَيْمٌ - بإضافة سعد إلى هُذَيْمٍ - بضم الهاء - وفتح الذال المعجمة وسكون التحتية وبالميم .

النطع : المتخذ من الأديم معروف ، وفيه أربع لغات : فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها ، والجمع أنطاع ونطوع .

الحميت - بفتح الحاء المهملة وكسر الميم وسكون التحتية وبالفوقية : زق السمن .

الْأَقِطُ ككتف - ويسكن ، مثلث الهمزة : شىء يتخذ من اللبن المحض ، قال ابن الأعرابى : من ألبان الغنم خاصة .

الأمعاء : جمع معاً بالقصر مثل عنب وأعناب ، وبالماء جمعه أوعية مثل حمار وأحمره : وهو المصران ، قوله : يأكل فى معاء واحد : مثل ضُرب لزهد المؤمن وحرص الكافر ، وهو خاص فى رجل بعينه كان يأكل كثيراً ، فأسلم كما فى هذه القصة .

(١) كقولك فلان فى الجنة وفلان فى النار تمثيل للتألى على الله بالحكم والحلف .

تحييناً لغدائه : طلبنا حينه وهو وقته .

الجرّاب - بالكسر : وعاء من جلد ، وقد يفتح ، ومنعه ابن السكيت ، وعزاه الجوهري للعامة ، والجمع جرّب مثل كتاب وكُتب وأجرية .

نشره نشرًا - من بابي قتل وضرب : رمى به متفرقا .

تهجّد : قام ، وصلى ، والأخير المراد هنا .

بعثت إلى الناس كافة : تقدم الكلام عليه في الأسماء الشريفة في حرف الكاف .
هل لك : [أى هل تريد]^(١) .

الآكام : جمع أكم مثل جبل وجبال ، وهو وأكَمَات جمع أكمة ، مثل قصبة وقصبات وجمع آكام أكم ككتب وجمعه آكام كأعناق : تل ، وقيل شرفة كالرابية ، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلظ وربما لم يغلظ .

شرح غريب ذكر ارساله - صلى الله عليه وسلم - دحية الى هرقل

دحية - بكسر الدال المهملة وفتحها .

التنوخى - بفتح الفوقية وضم النون المخففة وبالحاء المعجمة .

قسيسى الروم بكسر القاف : جمع قسيس كذلك حذفت النون للإضافة ، وهو عالم النصراني ، ويجمع بالواو والنون تغليباً لجانب الاسمية ، والقس - بالفتح لغة فيه وجمعه قسوس مثل فاس وفلوس .

البطارقة - بفتح الموحدة وكسر الراء : جمع بطريق - بكسر الموحدة ، وهو كالقائد من العرب .

نَخَرُوا - بالحاء المعجمة : تكلموا وكأنه كلام مع غضب ونفور ، ونَخَرَ الحمارُ وغيره - ينخُرُ بالضم - يخياشيمه .

رقاهم : من الرقي - بضم الراء وهو الصعود^(٢) .

(١) بياض في الأصول بمقدار كلمتين ، والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) وانظر التعليق ٥ ص ٦٥٨ .

لم يكّد : لم يقرب .

تَجِيب - بفتح الفوقية وهو أكثر ، وبضمها : قبيلة من كندة .

يَرِيبك - بفتح التحتية وتضم : ما تشك فيه .

كِسرى - بفتح الكاف/ وكسرهما : وهو أفصح ، وهو لقب من يملك من ملوك الفرس . ٣٥٦ ب

مَزَقَ الكتابَ يَمزقه - بالكسر - شقه ، ومزقه مشددا ، ومزقهم الله كلّ مُمزق : أهلّكهم .

خرقت الثوب : قطعته ، وخرقته بالتشديد تخريقا مبالغة .

البأس : القوة .

الجَعْبَة للشباب - بفتح الجيم والجمع جِباب مثل كَلْبَة وِكِلاب ، وجَعَبات مثل

سَجَدات .

سَفَرٌ - بفتح السين المهملة وسكون الفاء : جمع مسافر كراكب وركب .

مرملون : بالراء : فرغ زادنا .

الحُلة - بضم الحاء المهملة : برد من برود اليمن لا يكون إلا ثوبين من جنس واحد .

صفورية - بصاد مهملة مضمومة/ فداء فراء فمشناة تحتية مشددة : جنس من النبات ٦٥٢

فَكَانَ الحُلَّةُ صَبِغَتْ بِهِ .

أهوى : أقصده .

الغُضروف - بضم الغين - وسكون الضاد الساقطة المعجمتين : رأس لوح الكتف .

المِخْجَمَة والمِجْم - بالكسر : قارورة الحجام .

الضخمة : العظيمة .

شرح غريب ذكر صلاته - صلى الله عليه وسلم - على ذى البجادين
رضى الله عنه - وما بعده

مَيَّلاً : بيم فتحتية مشددة فلام مفتوحات فالف : ذا مال .

لتتوق نفسه إلى كذا - بمثنائين فوقيتين فواو ففاف : تشتاق .

البجَاد - بكسر الموحدة فالجيم والذال المهملة ؛: الكساء الغليظ الجاف .

يتصفخ الناس : ينظر في صفحات وجوههم وهى جلدة بشرتها .

لِحَاء شجر - بكسر اللام وبالحاء المهملة والمد والقصير : ما على العود من قشر ، وَلَحَوْتُ العودَ لَحَوًّا من باب قال ، ولحيته لحيا من باب باع : قشرته .

سُمرة - بفتح السين المهملة وضم الميم ، ويجوز إسكانها .

وَقَصَّته دابته وقصا من باب وعد : رمت به فدقت عنقه ، فالعنق موقوفة .

النَّحْي - بكسر النون وسكون الحاء المهملة والتحتية : سقاء السمن ، والجمع أنحاء .
مثل حِمْلٍ وَأَحْمَالٍ ، ونحاء أيضا مثل بئر وبئار .

الخريز - بالخاء المعجمة : صوت الماء ، واستعير هنا للسمن .

* * *

شرح غريب ذكر مصالحته - صلى الله عليه وسلم - ملك أيلة وغريب ما بعده

قوله : أَكْيَدُ - تصغير أكدر .

دومة بضم الدال المهملة وفتحها وسكون الواو فيهما .

أَشْفَق - بفتح أوله وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء وبالقاف : خاف .

أَيْلَة - بفتح الهمزة وإسكان التحتية : مدينة بالشام على النصف ما بين مصر ومكة على ساحل البحر .

يُحَنَّن - بضم التحتية وفتح الحاء المهملة والنون المشددة وتاء تأنيث ، ويقال : يُحَنَّن بالآلف بدل التاء ، ولم أعلم له إسلاماً ، وكأنه مات على شركه .

رُؤْبَة - بضم الراء وسكون الهمزة وبالموحدة .

جَرْبَا - بجيم مفتوحة فراء ساكنة فموحدة ، تقصر وتمد : بلد بالشام تلقاء السراة .

أَذْرُح - بفتح الهمزة وسكون الدال المعجمة وضم الراء وبالحاء المهملة : مدينة بالشام ،

١٢٥٧ قيل / هى فلسطين ، قال فى القاموس : بجنب جَرْبَا ، وغلظه من قال بينهما ثلاثة أيام .

مقنا : قرية قرب أيلة .

البحر - هنا بلدهم وأرضهم .

الأَمَنَة - بفتح الهمزة والميم والنون فتاء تَأْنِيث : الأمان لسفنهم^(١) سائرهم^(٢) .

يُمنَعُوا - بالبناء للمفعول .

جُهِيم - بضم الجيم وفتح الهاء وسكون التحتية .

الصَّلَت - بفتح الصاد المهملة وسكون اللام وبالفوقية .

شُرْحِيل - بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملة وكسر الموحدة .

حسنة : ضد سيئة .

وافية : كاملة تامة .

شَخَص : رجع .

النواضح - بفتح النون وكسر الضاد المعجمة : جمع ناضح ، وهو البعير الذى يستقى عليه الماء ، ثم استعمل فى كل بعير .

الحَمُولَة - بفتح الحاء المهملة : الإبل التى تحمل .

رقاق : ضعاف .

الحديبية : تقدم فى غزوتها .

أرْمَلْنَا - بالراء : أنْفَذْنا ، وأصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل .

أفراق - بالفاء والقاف : جمع فَرَقَ بفتح الفاء والراء وتسكن : مكيال يسع ستة عشر رطلا ، وهى اثنا عشر مُدًّا وثلاثة أصع .

آصُع - بفتح أوله وضم الصاد المهملة جمع صاع : مكيال ، وهو أربع أمداد ، وهى خمسة أرطال وثلث بالبغدادى .

صدروا : رجعوا ، والصدر الانصراف عن الورد / وكل شئ .

(١ - ٢) يياض فى الأصول بمقدار كلمتين فى كل ، ولعل المراد من يركب البحر ومن يسير على السير .

شرح غريب نكر بعض آيات وقعت في رجوع رسول الله
صلى الله عليه وسلم — من تنوك

قوله : قَافِلٌ — بالقاف والفاء المكسورة : راجع .

خَفَقَ — بفتح الخاء المعجمة والفاء والقاف : أَخْلَنَتْهُ سِنَّةٌ مِنَ النَّعَاسِ بِفمال برأسه
دون سائر جسده .

دَعَمَتْهُ — بفتح الدال والعين المهملتين وسكون الميم : أَسْنَدَتْهُ لثَلَا يَمِيل .

التعريس : النزول ليلا .

الفلاة : البرية التي لا ماء بها .

المُشَقَّق — بضم الميم وفتح الشين المعجمة فقا فين الأولى مفتوحة : اسم ماء أو واد .

الوشل : بفتح الواو والشين المعجمة وباللام : الماء القليل ، ووشل الماء وشلا إذا
قَطَرَتْهُ فِي الإِمْلَاء : الوشل حجارة جبل يقطر منه الماء قليلا ، والوشل أيضا القليل من الماء .
سَبَقْنَا — بفتح الموحدة .

مُعْتَب — بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الفوقية وبالوحدة .

قشير — بالقاف والشين المعجمة .

نَضَحَهُ — بالضاد المعجمة وبالحاء المهملة : رشه .

امرأة من بَلِيٍّ بموحدة وكسر اللام وتشديد التحتية .

هُنِيَهَةٌ — بضم الهاء وفتح النون وسكون التحتية وفتح الهاء وبتاء تَأْنِيث : أى قليل
من الزمان .

نهلت : رويت .

القعب — بفتح القاف وسكون العين المهملة وبالوحدة : قدح من خشب .

العِساس — بعين فسين فألف فسين مهملات وزن سهام ، والأعساس وزن أقفال : جمع

عُس — بضم العين وتشديد السين : وهو القدح الكبير .

يجيش : يفور .

الرَّوَاء - ككتاب ، جمعه رَيَّان ورِيَّاً .
فَضَالَة - بفتح الفاء - وبالضاد المعجمة المخففة .
يزجون ظهرهم - بالزاي والجيم : يعوقون .
/ فاستمرت : قويت وسارت .

ب ٣٥٧

* * *

شرح غريب ذكر ارادة بعض المنافقين الفتك برسول الله — صلى الله عليه وسلم
قوله : الفتك : القتل غفلة .
يلتمسون : يطلبون .
غرته - بكسر الغين المعجمة : غفلته .
إليكم إليكم : اسما فعل بمعنى تنحوا .
سرح : بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة .
أبو حاضر : ضد غائب .
الجلال - بضم الجيم وبالسین المهملة والتخفيف .
مُجمَع - بالجيم بلفظ اسم الفاعل .
جارية : والد مُجمَع - بالجيم والتحتية .
مُلح : تصغير ملح .
حُصين - بضم الحاء وفتح الصاد المهملة .
نُمير - بوزنه .
أقاله عثرته : جبر زلته، وسميت الذلة عثرة لأنها سقوط في الإثم .
طُعْمَة - بضم الطاء المهملة وسكون العين المهملة .
أببرق^(١) : تصغير أبرق .
عُيْنَة - والد عبد الله بلفظ تصغير عَيْن .

(١) في الأصول : « أبريق » والمثبت في سياق النص ص ٦٧١ .

مُرَّة بن الربيع - بلفظ ضد حلوة .

الدُّبَيْلَةُ - بضم الدال المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية : خراج أو دُمْلٌ كبير يظهر في الجوف تقتل صاحبها غالبا .

نِيَّاط القلب - بكسر النون : عرق علق به القلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه .

شرح غريب امر مسجد الضرار

قوله : أَبُو رُفْم - بضم الراء وسكون الهاء .

كُلْثُوم - بضم الكاف - وبالثاء المثناة .

الحُصَيْن - بلفظ تصغير حصن .

الْغِفَارَى - بكسر الغين المعجمة .

ابن عوف - بالفاء .

بنى غم - بفتح الغين المعجمة وسكون النون .

يرصدون قدومه : ينتظرونه .

العلة : المرض .

جناح سفر : أى مفارقة الأوطان .

ذو أوان - بفتح الهمزة وتخفيف الواو وبالنون : موضع قريب من المدينة^(١)

الدُّخْشُم - بضم الدال المهملة وسكون الخاء وضم الشين المعجمتين وبالميم ، ويقال بالنون بدلها ، ويقال كذلك بالتصغير .

أَنْظُرْنِي - بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الظاء المعجمة المُشَالَة : أى أَخْرُنِي ولا

٦١٤ ت تعجلنى ، هكذا الرواية ، ويصح أن يقرأ / بضم الهمزة أن انتظرنى .

السُّعْف - بضم السين والعين المهملتين وبالفاء : أَغْصَان النخل ما دامت بالخصوص ،

فإن زال الخوص عنها قيل جريدة ، الواحدة سعة .

(١) وفي وفاة الوفا ٤ : ١١٣٣ « ذو أوان بلفظ الحين موضع على ساعة من المدينة » .

شرح غريب ذكر حديث كعب بن مالك — رضى الله عنه

لم يعاتب — بكسر الفوقية ، ولم يُعَاتَب اللهُ تعالى أحدا ، وفي رواية لم يعاتب بفتح الفوقية .

العيبر — بكسر العين ، الإبل التى تحمل الميرة .

حين توائقنا — بفوقية وثاء مثلثة فقاف : تعاهدنا وتعاقدنا .

١٢٥٨

/ وإن كانت بَدْرٌ أذكر : أعظم ذكرا .

ورى بغيرها — بفتح الواو والراء المشددة : أى أوهم غيرها ، والتورية ، أن يذكر لفظا يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد .

المفازة — بفتح الميم والفاء وبالزاي : الفلاة التى لا ماء فيها .

فَجَلَى — بالجيم واللام المشددة ، ويجوز تخفيفها : أَوْضَحَ .

الأهبة — بضم الهمة والهاء : ما يحتاج إليه فى السفر والحرب .

كتاب — بالتنوين — حافظ ؛ كذلك ، وفى مسلم بالإضافة .

الديوان^(١) : بكسر الدال المهملة وتُفْتَح .

يتغيب : يستخفى .

خارفون — بالخاء المعجمة : يقيمون فى الحيطان وقت اختراق الثمار ، وهو الخريف هنا .

طفِقَتْ — بكسر الفاء أفصح من فتحها : أخذت وشرعت .

أغدو — بالغين المعجمة .

يَتَمَادَى — بتحتية ففوقية فميم مفتوحات فألف فدال مهملة .

الحاذ — بحاء مهملة وبعد الألف ذال معجمة : الحال وزنا ومعنى .

الجدُّ — بكسر الجيم والرفع فاعل وهو الجهد فى الشئ والمبالغة فيه ، وفى رواية : حتى اشتدَّ الناسُ الجدَّ وضبطوا الناس بالرفع على أنه فاعل ، والجد بالنصب على نزع الخافض

(١) الديوان : الكتاب يكتب فيه أهل الجندية أى يسجل فيه أسماء المحاربين — واللفظ فارس معرب — المنجد .

أو نعت لمصدر محذوف أى اشتد الناس الاشتداد الجد .

أصبوا : بصاد مهملة فباء موحدة^(١) . : أميل .

جهازى - بفتح الجيم وكسرها .

غدوت - بالغين المعجمة .

فصلوا - بصاد مهملة : خرجوا .^(٢)

تفارط - بالفاء فالراء والطاء المهملتين : فات وسبق .

يُقَدَّر - بالبناء للمفعول .

أنى لا أرى - بفتح همزة إن ، وهى وصلتها فاعل أحزننى خلافا لمن قال للتعليل .

مغموصاً - بفتح الميم وسكون الغين المعجمة بعدها ميم أخرى مضمومة فواو فصاد

مهملة : متهما أى يظن به النفاق .

بنى سَلَمَة - بكسر اللام .

السَلَمَى بفتحتين .

بُرْدَاه : تثنية برد .

عِطْفِيَه - بكسر العين المهملة تثنية عطف : أى جانبه ، كناية عن كونه معجبا

فى نفسه ذا زهو وتكبر ، أو يكنى به عن مسيرته لتعجبه ، والقريب الرداء [وسُمى^(٣)] عطفا

لوقوعه على عطف الرجل .

قافلا : راجعا .

قد أظل - بالطاء المشالة المعجمة : دنا .

زاح - بالزاي والحاء المهملة : زال .

أجمعت صدقه : جزمت به وعقدت عليه قصدى .

(١) فى الأصول « أصغو بصاد فتين معجمة » والوارد فى سياق الغزوة « أصبو » وهو يتفق مع الشرح بأميل .

(٢) بياض فى الأصول بمقدار كلمة - والمثبت يقتضيه السياق . فإنه يقال فصلوا من البلد أى خرجوا منها .

(القاموس) .

(٣) فى الأصول « الرداء بضمة وثمانين عطفا » . والمثبت يقتضيه السياق .

بضعة - بكسر الموحدة وسكون الضاد المعجمة : ما بين الثلاث إلى التسع على المشهور .
بدأ - بفتح الهمزة .

المخلفون : الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم عن غزوة تبوك .

وَوَكَّلَ - بفتحات مع التخفيف .

المغضب - بفتح الضاد المعجمة .

خَلَّفَكَ بِتَشْدِيدِ اللام المفتوحة

أَبْتَعْتَ ظَهْرَكَ : شَرَيْتَهُ .

أَنْ - بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة .

سَأَخْرُجُ - بِالضَم^(١)

جَدَّالًا - بفتح الجيم والdal المهملة : فصاحة / وقوة كلام بحيث أخرج من عَهْدِهِ ٣٥٨ ب

ما نسب إلى مما يُقْبَلُ ولا يُرَدُّ .

يُوشِكُنَ - بضم التحتية وكسر الشين المعجمة : يسرعنُ / . ٦١٥ ت

تَجَدَّ - بكسر الجيم : تغضب .

أَمَّا هَذَا - بفتح الهمزة وتشديد الميم .

ثَارَ رِجَالٌ : وَثَبُوا .

سَلِمَ - بكسر اللام .

عَجَزَتْ - بفتح الجيم أفصح من كسرهما .

كَافِيكَ : خَبَرَكَ .

ذَنْبُكَ : مَفْعُولُ كَافِيكَ .

استغفار : اسم كان ، وذكر بعضهم أن ذنبك منصوب بنزع الخافض ، أى من

ذنبك .

يُونُبُونِيْ هَمْزَةٌ مَفْتُوحَةٌ فَنونٌ مُشَدَّدَةٌ فَمَوْحِدَةٌ مَضْمُومَةٌ وَنونين : يَلُومُونِيْ لَوْما

عَنِيفًا .

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَأَمَلَهُ يُرِيدُ بِضَمِّ هَمْزَةٍ « سَأَخْرُجُ مِنْ مَحَلِّهِ » ، انظر ص ٦٨٠ .

مُرَارَةٌ - بضم الميم وتخفيف الراءين .
الرَّبيع - بفتح الراء .

العَمْرَى - بفتح العين المهملة وسكون الميم ، نسبة إلى بنى عمرو بن عوف .
الواقفى ، بتقديم القاف على الفاء نسبة إلى بنى واقف بن امرئ القيس بن مالك
ابن أوس .

أُسُوة - بكسر الهمزة وضمها .

أيها الثلاثة - بالرفع ، ومحلّه النصب على الاختصاص ، أى خصوصاً ، الثلاثة ،
كقولهم : اللهم أغفر لنا أيتها العصابة ، وقال أبو سعيد السيرافى : إنه مفعول فعل محذوف
أى أريد الثلاثة أى أخص الثلاثة ، وخالفه الجمهور وقالوا : إنه منادى ، والثلاثة صفة
له ، وإنما أوجبوا ذلك لأنه فى الأصل كان كذلك فنقل إلى الاختصاص ، وكل ما نقل
من باب إلى باب فإعرابه بحسب أصله كأفعال التعجب .

أَجْتَنَّبْنَا [بهمزة وصل وجيم ساكنة وفوقية مفتوحة ونون وباء ونون مفتوحات :
بعد عنا] (١)

الناس : فاعل اجتنب .

استكان : رجع .

أَجَلَّدَهُم : أقادهم .

أَطُوف : أدور .

أسارقه - بالسين المهملة والقاف - النظر : أنظر إليه فى خفية .

جفوة الناس - بفتح الجيم وسكون الفاء : إغراضهم .

تَسَوَّرْتُ : علوت .

أنشُدك - بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة : أسألك .

فنشدته - بفتح المعجمة : سألته به .

(١) فى الأصول « بفتح الهمزة » والمثبت هنا يقتضيه السياق على طريقة المصنف .

نَبْطَى - بفتح النون والموحدة وكسر الطاء : فلاح ، وكان نصرانيا ، ولم يُسَمَّ .

من أنبأ الشام - بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الموحدة .

يُشِيرُونَ - بضم أوله .

غَسَّان - بفتح الغين وتشديد السين المهملة .

جَبَلَةَ بن الأيهم ، وهو الحرث بن أبي شمر .

السَّرَقَة - بسين مهملة فراء فقفاف مفتوحات فهاء تأنيث : الأبيض من الحرير ،

أو الحرير عامة^(١) .

دار هوان : [ذلة ومهانة]^(٢)

مَضِيعَة - بفتح الميم وسكون الضاد المعجمة ، وفتح التحتية وبكسر الضاد وسكون التحتية :

أى حيث يضيع حقلك .

متحولًا - بالحاء المهملة وفتح الواو: مكان تتحول فيه . بفتح الحاء المهملة .

نُواسِيك - بضم النون وكسر السين المهملة من المواسة .

تيمّمت : قصدت .

التَّنُور - بفتح الفوقية : الذى يخبز فيه .

سَجَرْتُهُ - بسين مهملة مفتوحة : أو قدته .

وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِيَّ - بتشديد التحتية .

أَلْحَقَنِي بِأَهْلِكَ - بفتح الحاء .

حتى كملت - بفتح الميم^(٣) .

ضَاقَتْ عَلَى نَفْسِي [ضد اتسعت ، كناية عن ما يعانيه من الشدة والحزن وضيق

الصدر]^(٤)

(١) السرة الشقة من الحرير ، وقال بعضهم السرق أحسن الحرير وأجوده (هامش المغازى للواقدي ٣ : ١٠٥١) .

(٢) بياض بالأصول بمقدار كلمتين والمثبت يقتضيه السياق .

(٣) كذا في الأصول ، وفي اللسان « كل بفتح انيم وكسرها وضما » .

(٤) بياض في الأصول - والمثبت يقتضيه السياق على طريقة المصنف .

ضَاقَتْ عَلَى الْأَرْضِ بِمَا رَحُبَتْ : أَيْ بِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ السَّعَةِ .
صَارِخٌ - بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ .

أَوْفَى - بِالْفَاءِ مَقْصُورًا : صَعَدَ .

١٢٥٩

سَلَعٌ^(١) - بَفَتْحِ السَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ اللَّامِ .

يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ - بَفَتْحِ كَعْبٍ وَابْنٍ ، وَضَمِّ كَعْبٍ وَفَتْحِ ابْنٍ وَضَمِّهَا .
أَبْشُرْ - بِهَمْزَةٍ .

قَدْ جَاءَ فَرَجٌ - بِالْجِيمِ .

أَذِنَ بِالْمَدِّ : أَعْلَمَ .

وَذَهَبَ قَبْلَ - بِكَسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ : جَهَةً .

صَاحِبِيَّ : مُرَارَةً وَهَلَالًا .

رَكَضَ إِلَيَّ - بِتَشْدِيدِ التَّحْتِيَّةِ : اسْتَحَثَّ .

ثَوْبِيَّ : تَثْنِيَّةَ ثَوْبٍ .

فَوْجًا فَوْجًا : جَمَاعَةً جَمَاعَةً .

لَتَهْنِكَ : بِكَسْرِ النُّونِ .

تَوْبَةُ اللَّهِ - بِالرَّفْعِ .

فَقَامَ إِلَيَّ - بِتَشْدِيدِ التَّحْتِيَّةِ .

يَهْرُولُ : يَسِيرُ بَيْنَ الْمَشْيِ وَالْعُلُوِّ .

وَلَا أَنْسَاهَا لَطَلْحَةً : أَيْ هَذِهِ الْخَصْلَةُ ، وَهِيَ بَشَارَتُهُ إِيَّايَ بِالتَّوْبَةِ ، أَيْ لَا أَزَالُ أَذْكَرُ

إِحْسَانَهُ إِلَى بَذَلِكَ وَكُنْتُ رَهِينَ مَسْرَتِهِ .

يَبْرُقُ - بَفَتْحِ أَوَّلِهِ .

إِذَا سُرَّ - بِضَمِّ السَّيْنِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ ، مَبْنِيًا لِلْمَفْعُولِ .

/ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ : تَقْدِمُ الْكَلَامَ عَلَيْهِ فِي الصِّفَاتِ النَّبَوِيَّةِ .

٦١٦ ت

(١) سَلَعٌ : جَبَلٌ مَعْرُوفٌ بِالْمَدِينَةِ . وَقِيلَ جَبَلٌ بِسُوقِهَا . (وَفَاءُ الْوَفَا ٤ : ١٢٣٥) .

أَنْ أَنْخَلِجَ : أخرج من مالى صدقة . قال الزركشى والحافظ والبرماوى هى مصدر ، فيجوز انتصابه بَأَنْخَلِجَ ؛ لأن معنى انخلع أتصدق ، ويجوز أن يكون مصدرا فى موضع الحال ، وتعقب ذلك الشيخ بدر الدين الدمامينى : بأننا لا نسلم أن الصدقة مصدر وإنما هى اسم لما يتصدق به على الفقراء ، فعلى هذا نصبها على الحال من مالى .
ما بقيت - بكسر القاف .

أَبْلَاهُ اللَّهُ - بالوحدة الساكنة : أنعم الله عليه .
أحسن مما أبلانى : أنعم على ، وفيه نفي الأفضلية لانفي المساواة ، لأنه شاركه فى ذلك هلال بن أمية .

أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتَهُ - بتخفيف الدال وسكون الموحدة ، ولا زائدة كقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾^(١) أَى حَدَّثْتَهُ حديث كذب .
فَأَهْلِكَ - بكسر اللام وفتح الكاف .

شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ : أَى قَالَ قولا شرا - ما قال بالإضافة ، أَى شر القول الكائن لأحد من الناس .

أَرْجَأَ أَمْرَنَا - بالجيم والهمزة : أخر .
مما خَلَفْنَا - بضم الخاء المعجمة وكسر اللام المشددة - وسكون الفاء .
إرجاؤه : تأخيرته وتركه .

شرح غريب نكر أقوام تخلفوا من غير عذر

أَبُو لُبَابَةَ - بضم اللام وتخفيف الموحدة الأولى .
جَدُّ بَن قَيْسٍ - بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة .
جندام بن أَوْس^(٢) ...
قفل - بفتح القاف والفاء واللام : رَجَعَ .

(١) سورة الأعراف آية ١٢ .

(٢) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين وانظر التعليق ص ٦٨٥ .

نجز الجزء الثاني من كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد يتلوه الجزء الثالث^(١)
« جماع أبواب سراياه » أحسن الله تعالى عاقبتنا آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين آمين آمين ، والحمد لله رب العالمين - على يد الفقير الراجي عفو الله
على بن إبراهيم الباجي غفر الله له ولوالديه ولمشايعه آمين .

* * *

انتهى الجزء الخامس من الكتاب
ويليه بإذن الله الجزء السادس
وأوله « جماع أبواب سراياه ، صلى الله عليه وسلم

(١) هذا نص المؤلف بخط النسخ .

ذكرى وعرفان

أحد محققى هذا الجزء هو المرحوم الأستاذ الدكتور جودة عبد الرحمن هلال . تلقى تعليمه فى الأزهر الشريف وتخرج فى كلية أصول الدين سنة ١٩٥٠م ثم أرسل فى بعثة الى مدريد بأسبانيا ، وعاد بعد حصوله على درجة الدكتوراه ، والتحق بالعمل فى ادارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم ، ثم تقلب فى عدة وظائف فى خدمة الثقافة والنشر ، وشارك فى تحقيق مجموعة من كتب التراث وقد توفى الى رحمة الله تعالى فى أكتوبر سنة ١٩٧٣م .

ولجنة احياء التراث الاسلامى بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية اذ تقدم هذا الجزء الى العالم العربى والاسلامى ، لتذكر بالعرفان جهد هذا العالم الكبير فى تحقيق التراث وتطلب له من الله المثوبة والاجر والرحمة والففران .

رئيس لجنة احياء التراث
عبد المنعم محمد عمر

فهرس موضوعات الجزء الخامس من سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للصالحى

الصفحة	الباب العشرون	الصفحة
٦٢	فى غزوة بنى قريظة ... ٧	ذكر مشاورته صلى الله عليه وسلم وصلاته صلاة الخوف
٦٣	ذكر مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة ... ٧	ذكر مسير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية
٦٦	ذكر محاصرة المسلمين لبنى قريظة ... ١٣	من غير طريق خالد بن الوليد وما وقع فى ذلك
٦٩	ذكر اعتراف كعب بن أسد بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ١٣	من الآيات ... ١٣
٧٠	ذكر طلب يهود أبى لبابة وما وقع له ، ونزول توبته ... ١٦	ذكر نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية
٧٧	ذكر نزول بنى قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ١٩	وما وقع فى ذلك من الآيات ... ١٦
٨١	ذكر قتلهم وأخذ أموالهم وسبى ذرارهم ... ٢٢	ذكر نزول المطر فى تلك الأيام ومقاله الرسول
٨٥	ذكر خبر ثابت بن قيس ومن الزبير بن باطل ... ٢٦	صلى الله عليه وسلم فى صبيحة المطر .. ٦٩
٩٤	ذكر اصطفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رجحانة بنت زيد النظرية لنفسه ... ٢٧	ذكر قدوم بديل بن ورقاء الخزاعى ، ورسلى قريش
٩٦	ذكر قسم المغنم وبئمه ... ٢٨	على الرسول صلى الله عليه وسلم ... ٧٠
١٠٤	ذكر بعض ما قيل من الأشعار فى هذه الغزوة ... ٣٠	ذكر إرساله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية
١١١	تنبيهات ... ٣٣	وبعده عثمان بن عفان إلى قريش ... ٧٧
١٢٨	شرح الغريب ... ٣٦	ذكر مبايعته صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان وفضل
	الباب الحادى والعشرون	من بايعه .. ٨١
	فى غزوة بنى لحيان بن هذيل بن مدركة بن ناحية عسفان	ذكر الهدنة وكيف جرى الصلح يوم الحديبية ... ٨٥
	تنبيهات ... ٥١	ذكر رجوع الرسول صلى الله عليه وسلم ... ٩٤
	بيان غريب ماسبق ... ٥٢	ذكر نزول سورة الفتح ومرجع الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر فى ذلك من الآيات ... ٩٦
	الباب الثانى والعشرون	ذكر قدوم أبى بصير على الرسول صلى الله عليه وسلم
	فى غزوة الحديبية ... ٥٥	ورده إليهم وما حصل له ولأصحابه من الفرج .. ٩٩
	ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم ... ٥٦	ذكر ما أنزل الله سبحانه وتعالى فى شأن غزوة الحديبية
	ذكر إحرامه صلى الله عليه وسلم ... ٥٧	تنبيهات ... ١١١
	ذكر حديث أبى قتادة والصعب بن جثامة وبعض من أهدى له ... ٥٨	شرح الغريب ... ١٢٨
	ذكر أمره صلى الله عليه وسلم كعب بن عجرة بخلق رأسه لمذر ... ٥٩	الباب الثالث والعشرون
	ذكر بلوغ خبر خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المشركين .. ٦٠	فى غزوة ذى قرد وهى الغابة ... ١٤٩
		ذكر حث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلب العدو وتقديم جماعة أمامه ... ١٥١
		ذكر خروج الرسول صلى الله عليه وسلم لطلب العدو
		ذكر قدوم امرأة أبى ذر على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ١٦١
		ذكر من قتل فى هذه الغزوة ... ١٦٣
		ذكر بعض ما قيل من الشعر فى غزوة ذى قرد ... ١٦٣

صفحة	
٢٠٨	ذكر قصة الشاة المسمومة
٢١٠	ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب ومن معه من الأشعرين من أرض الحيشة
٢١٢	ذكر قدوم أبي هريرة وطائفة من أوس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر
٢١٣	ذكر قدوم عيينة بن حصن وبني فزارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر بعد فتحها وما وقع في ذلك من الآيات
٢١٤	ذكر مصالحة أهل فدك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر المراهنة التي كانت بين قريش في أن أهل خيبر يغلبون رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢١٦	ذكر استئذان الحجاج بن علاط من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر أن يذهب إلى مكة لأخذ ماله قبل وصول الخبر إليها
٢٢٠	ذكر مقام خيبر ومقامها على سبيل الاختصار
٢٢٣	ذكر إهداء رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء والعبيد من المغانم
٢٢٤	ذكر من استشهد بخيبر من المسلمين
٢٢٦	ذكر انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر وتوجهه إلى وادي القرى
٢٣١	ذكر نومهم عن الصلاة حين انصرفوا من خيبر ، وما ظهر في ذلك الطريق من الآيات
٢٣٢	ذكر رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مؤيداً منصوراً
٢٣٢	ذكر رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار ما منحوه للمهاجرين
٢٣٣	ذكر بعض ما قيل من الشعر في غزوة خيبر
٢٣٤	تقديسات
٢٤٣	بيان الغريب

الباب الخامس والعشرون

٢٦٨	في غزوة ذات الرقاع
٢٧٤	ذكر قصة الطائر الذي سقط على فرخة لمصادره بعض الصحابه (رضي الله عنهم)
٢٧٥	ذكر منقبة لعباد بن بشر (رضي الله عنه)
٢٧٦	تقديسات
٢٨٣	بيان الغريب

صفحة	
١٦٥	تقديسات
١٦٨	بيان الغريب

الباب الرابع والعشرون

١٨٠	في غزوة خيبر
١٨٤	ذكر دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر
١٨٥	ذكر وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر
١٨٧	ذكر ابتدائه صلى الله عليه وسلم بأهل النطاة
١٨٨	ذكر أخذ الحمى المسلمين ورفعها عنهم ببركته صلى الله عليه وسلم
١٨٩	ذكر فتحه صلى الله عليه وسلم حصن الصمصم بن معاذ بعد النطاة ، وما وقع في ذلك
١٩١	ذكر محاصرته صلى الله عليه وسلم حصن الزبير بن العوام
١٩٢	ذكر انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى حصون الكتيبة وبعثه سرايا لوجع رأسه ، وما وقع في ذلك من الآيات
١٩٣	ذكر قتل علي (رضي الله عنه) الحارث وأخاه مرحباً وعامراً ويأسراً فرسان يهود وسيمانها
١٩٨	ذكر من زعم من أهل المغازي وغيرهم أن محمداً ابن مسلمة رضي الله عنه هو الذي قتل مرحباً
٢٠٠	ذكر قلع علي (رضي الله عنه) باب خيبر
٢٠١	ذكر إسلام العبد الأسود وما وقع في ذلك من الآيات ذكر نهي صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الحمر الإنسية وغيرها
٢٠٢	ذكر فتحه صلى الله عليه وسلم الوطيط والسلام وكانا آخر حصون خيبر فتحاً
٢٠٤	ذكر سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلي حي بن أخطب وماله اللذين حملهما لما أجلى عن المدينة
٢٠٤	ذكر إرادته صلى الله عليه وسلم لإجلاء يهود خيبر عنها - كما وقع في شرطهم - ثم إقراره إياهم يعنلون فيها ما أقرهم الله ، وإخراج عمرين الخطاب لهم لما نكثوا العهد

٣٢٣	ذكر فطره صلى الله عليه وسلم وأمره به
٣٢٤	ذكر نزوله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران
٣٢٥	ذكر المنام الذي رآه أبو بكر الصديق (رضى الله عنه)
٣٢٥	ذكر إعلامه صلى الله عليه وسلم بالليل بأن أبا سفيان في الأراك ، وأمره بأخذه
٣٢٥	ذكر إرادة أبي سفيان وحكيم بن خزام الانصراف إلى قومه ليعلمهم بذلك ، ووقوفهما ليريا جنود الله تبارك وتعالى
٣٣٠	ذكر تعبته رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه (رضى الله عنهم) ومرورهم بأبي سفيان . وما وقع في ذلك من الآيات
٣٣١	ذكر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح ولا يدخل فيما عقد من الأمان
٣٣٨	ذكر دخوله صلى الله عليه وسلم مكة وإرسال طائفة من أصحابه أمامه وإرادة بعض المشركين صدم عن دخولهم وقتل المسلمين لهم
٣٤٢	ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم سورة الفتح والنصر في يوه
٣٤٨	ذكر منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
٣٤٩	ذكر اغتساله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وصلاته وقت الضحى شكر الله تعالى
٣٥٠	ذكر رن إبليس وحزنه ، وكيد الجن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزجرهم عنه ودعاء نائلة بالويل
٣٥٠	ذكر إسلام أبي قحافة عثمان بن عامر والد أبي بكر الصديق (رضى الله عنه)
٣٥١	ذكر دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد وطوافه وما وقع في ذلك من الآيات
٣٥٣	ذكر أكله صلى الله عليه وسلم عند أم هانئ (رضى الله عنها)
٣٥٥	ذكر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ما هم به فضالة ابن عمير بن الملوخ
٣٥٥	ذكر الآية في رفعه صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب (رضى الله عنه) لإلقاء صم قريش
٣٥٦	ذكر طلبه صلى الله عليه وسلم المفتاح من عثمان بن طلحة (رضى الله عنه)
٣٥٧	ذكر أمره صلى الله عليه وسلم بإزالة الصور عن البيت قبل دخوله إياه

الباب السادس والعشرون

٢٨٨	في عمرة القضاء
٢٨٨	ذكر ماساقه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهدى وتقديمه السلاح والخيل أمامه
٢٨٩	ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة وإحرامه
٢٩٠	ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
٢٩١	ذكر طواف رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً ومجاهاً في أنه طاف راكباً
٢٩٢	ذكر دخوله صلى الله عليه وسلم البيت
٢٩٣	ذكر سعيه صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة
٢٩٤	ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة
٢٩٥	ذكر خروج ابنة حمزة (رضى الله عنها)
٢٩٦	تنبيهات
٢٩٧	شرح الغريب

الباب السابع والعشرون

٣٠٤	في غزوة الفتح الأعظم الذي أعز الله تعالى به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين
٣٠٤	ذكر الأسباب الموجبة للمسير إلى مكة
٣٠٥	ذكر نقض قريش العهد
٣٠٥	ذكر إعلامه صلى الله عليه وسلم بما حصل لخزاعة يوم أصيبوا
٣٠٦	ذكر قدوم عمرو بن سالم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بما وقع لهم
٣٠٧	ذكر ما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه خبر خزاعة أرسل إلى قريش يخبرهم بين أمور ثلاثة
٣١٠	ذكر إخباره صلى الله عليه وسلم بأن أباسفيان سيقدم ليجدد العهد فكان كما أخبر
٣١١	ذكر مشاورته صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر (رضى الله عنهما) في غزو قريش
٣١٦	ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجابة دعائه ألا تعلم قريش بمسيره وأمره بحفظ الطرق
٣١٧	ذكر كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يعلمهم بغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم ، وما وقع في ذلك من الآيات
٣٢٠	ذكر إجماع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة
٣٢١	ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة قاصداً مكة

ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت

وصلاته فيه ٣٥٩

ذكر قدر صلاته صلى الله عليه وسلم في الكعبة . . . ٣٦٢

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من

البيت وصلاته قبل الكعبة ٣٦٣

ذكر خطبته صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ٣٦٤

ذكر تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن طلحة

قبل الهجرة بأن المفتاح سيصير بيده صلى الله عليه

وسلم يرضه حيث يشاء ، ونزول قوله تعالى :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » ٣٦٦

ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم ركعتين في قبل الكعبة

ذكر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على مآقله الأنصار

(رضى الله عنهم) بينهم لما أمن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قريشاً ٣٦٩

ذكر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ما هم به أبو

سفیان وما أسره هند بنت عتبة ٣٧٠

ذكر مبايعته صلى الله عليه وسلم الناس على الإسلام .. ٣٧١

ذكر أمره صلى الله عليه وسلم بتكسير الأصنام . . . ٣٧٢

ذكر أذان بلال (رضى الله عنه) فوق الكعبة يوم الفتح

وما وقع في ذلك من الآيات ٣٧٢

ذكر أمره صلى الله عليه وسلم بتجديد أنصاب الحرم

يوم الفتح ٣٧٣

ذكر إسلام السائب بن عبد الله المخزومي (رضى الله عنه)

ذكر إسلام الحارث بن هشام (رضى الله عنه) . . . ٣٧٤

ذكر إسلام سهيل بن عمرو ٣٧٤

ذكر إسلام عتبة ومعتب ولدى أبي لهب ٣٧٥

ذكر إسلام عبد الله بن الزبير ٣٧٦

ذكر إسلام عكرمة بن أبي جهل ٣٧٧

ذكر إسلام صفوان بن أمية ٣٧٩

ذكر إسلام هند بنت عتبة ٣٨٠

ذكر سبب خطبته صلى الله عليه وسلم ثاني يوم الفتح

وتمظيمه حرمة مكة ٣٨٢

ذكر قوله صلى الله عليه وسلم في قريش أنها لا تقتل

صبراً ٣٨٤

ذكر استسلافه صلى الله عليه وسلم مالا وتفريقه على

المحتاجين من كان معه ٣٨٥

ذكر نهي صلى الله عليه وسلم عن ثمن الخمر والخنزير ،

وعن الميتة وبعض فتاويه وأحكامه ٣٨٥

ذكر من نذر إن فتح الله مكة على رسوله صلى الله

عليه وسلم أن يصلوا ببيت المقدس ٣٨٧

ذكر قوله صلى الله عليه وسلم لا تغزى مكة بعد اليوم

ذكر إرساله صلى الله عليه وسلم سرايا لهدم الأصنام

التي حول مكة والإغارة على من لم يسلم ٣٨٨

ذكر قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح . . . ٣٨٨

ذكر قدر إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة ٣٩٠

ذكر إخباره صلى الله عليه وسلم ذا الجوشن بأنه

سيظهر على قريش ٣٩٠

ذكر بعض ما قيل من الشعر في فتح مكة ٣٩١

تنبيهات ٣٩٦

بيان الغريب ٤٠٩

الباب الثامن والعشرون

في غزوة حنين ٤٥٩

ذكر استماله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد

أميراً على حكة ، ومعاذ بن جبل معلماً لأهلها . . . ٤٦٢

ذكر استمارته صلى الله عليه وسلم أدرعاً من صفوان

ابن أمية ٤٦٢

ذكر إرساله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حدر

ليكشف خبر القوم ٤٦٣

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم للقاء هوازن

ذكر قول من أسلم وهو حديث عهد بالجاهلية اجعل

لنا ذات أنواط ٤٦٥

ذكر الآية في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قيل له إن هوازن قد أقبلت ٤٦٦

ذكر الآية في حفظه صلى الله عليه وسلم من أراد

الفتك به ٤٦٧

ذكر الآية التي حصلت لجواسيس المشركين في هذه

الغزوة ٤٦٨

ذكر تعبئة المشركين عسكرهم ٤٦٨

ذكر إعجاب المسلمين كثرتهم يوم حنين ٤٦٩

ذكر كيفية الوقعة وما كان من أول الأمر من فرار

أكثر المسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم كانت العاقبة للمتقين وما وقع في ذلك من الآيات ٤٧٠

- ذكر إرادة شيبة بن عثمان - قبل أن يسلم - الفتك
برسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآه في نفر
قليل وما وقع في ذلك من الآيات ... ٤٧٣
- ذكر إرادة التضير بن الحارث الفتك برسول الله
صلى الله عليه وسلم وما وقع في ذلك من الآيات ٤٧٤
- ذكر ثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ورميه
الكفار ونزوله عن بقلته ودعائه ربه وما وقع
في ذلك من الآيات ... ٤٧٥
- ذكر ما قيل أن الملائكة قاتلت يوم حنين والرعب
الذي حصل للمشركين ... ٤٨٢
- ذكر من ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ٤٨٤
- ذكر ثبات أم سليم بنت ملحان وأم عمار ... ٤٨٦
- ذكر انهزام المشركين ... ٤٨٧
- ذكر قتل دريد بن الصمة ... ٤٩١
- ذكر من استشهد بحنين ... ٤٩٢
- ذكر عيادته صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
(رضي الله عنه) من جرح أصابه ... ٤٩٢
- ذكر بركة يده صلى الله عليه وسلم في بركه جرح عائد
ابن عمرو ... ٤٩٣
- ذكر بركة يده صلى الله عليه وسلم في الماء بحنين ... ٤٩٣
- ذكر نهيه صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء يوم حنين ٤٩٤
- ذكر قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين أنا ابن المواتك ٤٩٤
- ذكر قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين من قتل
كافراً فله سلبه ... ٤٩٤
- ذكر جمع غنائم حنين ... ٤٩٦
- ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الظهر بحنين وحكومته
بين عينة بن حصن والأقرع بن حابس في دم
عامر بن الأضبط الأشجعي الذي قتله محم بن جثامة ٤٩٨
- ذكر البشير الذي قدم المدينة بهزيمة هوازن ... ٥٠٠
- ذكر ما أنزله الله في شأن هذه الغزوة ... ٥٠٠
- ذكر ما قيل في هذه الغزوة من الشعر ... ٥٠١
- تنبيهات ... ٥٠٨
- شرح الغريب ... ٥١٤
- الباب التاسع والعشرون
- في غزوة الطائف ... ٥٥٦
- ذكر إعلامه صلى الله عليه وسلم بقبر أبي رغال وما
وقع في ذلك من الآيات ... ٥٥٨

- ذكر محاصرته صلى الله عليه وسلم الطائف ... ٥٥٨
- ذكر رميه صلى الله عليه وسلم حصن الطائف بالمنجنيق ٥٥٩
- ذكر استئذان عيينة بن حصن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في إتيان أهل الطائف يدعوهم إلى
الإسلام وما وقع في ذلك من الآيات ... ٥٦٢
- ذكر اشتداد الأمر وحته صلى الله عليه وسلم على الرمي ٥٦٢
- ذكر نهيه صلى الله عليه وسلم عن دخول المختشين على
النساء ... ٥٦٣
- ذكر منام رسول الله صلى الله عليه وسلم الدال على
عدم فتح الطائف حينئذ وإذنه بالرجوع ،
واشتداد الرجوع على الناس قبل الفتح ... ٥٦٣
- ذكر من استشهد من المسلمين بالطائف وهم إثناعشر
رجلاً ... ٥٦٥
- ذكر مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف
إلى الجمرات ... ٥٦٦
- قدوم وفد هوازن ورد السبي إليهم ... ٥٦٨
- ذكر دعائه صلى الله عليه وسلم على من أبى أن يرد
شيئاً من السبي أن يخيس .. ٥٧٣
- ذكر قسمه صلى الله عليه وسلم أموال هوازن بعد
أن رد عليهم سبيهم ... ٥٧٥
- ذكر إعطائه صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم قبل
غيرهم .. ٥٧٦
- ذكر بيان الحكمة في إعطائه صلى الله عليه وسلم
أقواماً من غنائم حنين ومنته آخرين ... ٥٨٣
- ذكر عتب جعاعة من الأنصار على رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين أعطى قريشاً ولم يعط الأنصار
شيئاً وجمعه إليهم واستعطافه لهم ... ٥٨٤
- ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق والنفاق
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في القسمة
العادلة ، وما وقع في ذلك من الآيات ... ٥٨٧
- ذكر قدوم مالك بن عوف على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن يذكر معه ... ٥٨٨
- ذكر مجيء أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيه
وأخيه من الرضاعة ... ٥٩٠
- ذكر رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ٥٩٠
- ذكر بعض ما قيل في هذه الغزوة ... ٥٩١

٦٤٧	ذكر اقتدائه صلى الله عليه وسلم ببعد الرحمن بن عوف في صلاة الصبح
٦٤٨	ذكر حكومته صلى الله عليه وسلم في رجل عض آخر فانتزع ثنيته
٦٤٨	ذكر إردافه صلى الله عليه وسلم مسيل بن بيضاء
٦٤٩	ما ذكر أن حية عظيمة عارضت الناس في مسيرهم - إن صح الخبر
٦٤٩	ذكر نزوله صلى الله عليه وسلم بتبوك وما وقع في ذلك من الآيات
٦٥٠	ذكر نومه صلى الله عليه وسلم حتى طلعت الشمس قبل وصوله إلى تبوك
٦٥٠	ذكر نزوله صلى الله عليه وسلم بتوك واتخاذ مسجداً
٦٥٢	ذكر من استعمله صلى الله عليه وسلم على الحرس بتبوك
٦٥٢	ذكر أكله صلى الله عليه وسلم من جبن أهده له أهل الكتاب بتبوك
٦٥٢	ذكر دعائه صلى الله عليه وسلم على غلام مربيته وبين القبلة وهو في الصلاة
٦٥٣	ذكر الآية في القتر والأقط الذي جاء بهما بلال بتبوك
٦٥٣	ذكر طوافه صلى الله عليه وسلم على الناس بتبوك
٦٥٥	ذكر إخباره صلى الله عليه وسلم بموت عظيم من المنافقين لما هبت ريح شديدة
٦٥٥	ذكر قوله صلى الله عليه وسلم بتبوك أعطيت خمساً ما أعطين أحد قبلي
٦٥٦	ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم على معاوية بن معاوية المزني في اليوم الذي مات فيه بالمدينة
٦٥٦	ذكر إرساله صلى الله عليه وسلم دحية إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، وقدم رسول هرقل على الرسول صلى الله عليه وسلم وما وقع في ذلك من الآيات
٦٥٧	ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم على ذي الجنادين
٦٦٠	ذكر مصالحته صلى الله عليه وسلم ملك أيلة وأهل جربا وأذرح وهو مقيم بتبوك قبل رجوعه
٦٦٢	ذكر مشاورته صلى الله عليه وسلم أصحابه في مجاوزة تبوك إلى نحو دمشق
٦٦٣	ذكر إرادة رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف من تبوك إلى المدينة وما وقع في ذلك من الآيات، وقدر إقامته صلى الله عليه وسلم بتبوك

٥٩٣	تمهيلات
٣٩٨	شرح الغريب
	الباب الثلاثون
٦٢٦	في غزوة تبوك
٦٢٧	ذكر عزمه صلى الله عليه وسلم على قتال الروم وبيان ذلك للناس
٦٢٨	ذكر حثه صلى الله عليه وسلم على النفقة والحملان في سبيل الله
٦٢٨	ذكر بعض ما دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين بعض المنافقين وتثيبتهم الناس عن الخروج معه
٦٣١	ذكر خبر المخلفين والمغذرين والبيكاثين
٦٣٢	ذكر حديث أبي موسى في حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يحملهم ثم حملهم
٦٣٥	ذكر مجيء المغذرين من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤذن لهم فلم يذرمهم
٦٣٦	ذكر من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح الإيمان غير شك
٦٣٧	ذكر من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله ومن استخلفه على المدينة
٦٣٧	ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإين عسكره، وخروج عبد الله بن أبي معه مكرراً ومكيدة ورجوعه أخزاه الله
٦٣٨	ذكر تخلف أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) لما عجز بغيره وما وقع في ذلك من الآيات
٦٤٠	قصة أبي خيثمة (رضي الله عنه)
٦٤١	ذكر إخباره صلى الله عليه وسلم بما قاله جماعة من المنافقين الذين خرجوا معه
٦٤٢	ذكر نزوله صلى الله عليه وسلم بذي المروة وما وقع في ذلك من الآيات
٦٤٣	ذكر مروره صلى الله عليه وسلم بوادي القرى
٦٤٤	ذكر نزوله صلى الله عليه وسلم بالحجر وما وقع في ذلك من الآيات
٦٤٤	ذكر استسقائه صلى الله عليه وسلم ربه حين شكوا إليه المطش وما وقع في ذلك من الآيات
٦٤٥	ذكر إضلال ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وقع في ذلك من الآيات

الصفحة	الصفحة
٦٧٤	ذكر بعض آيات وقعت في رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى المدينة ٦٦٦
٦٧٤	ذكر إرادة بعض المنافقين الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة التي بين تبوك والمدينة وإطلاق الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ٦٦٦
٦٧٧	ذكر قوله صلى الله عليه وسلم أن بالمدينة أقواما ما سرتهم سرا إلا كانوا معكم ٦٧٢
٦٧٨	ذكر قوله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على المدينة هذه طابة ٦٧٢
٦٨٥	ذكر ملاقاته النساء والصبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٧٣
٦٨٧	تنبهات ٦٧٢
٦٩١	بيان الغريب ٦٧٣
٧٢١	فهرس الموضوعات ٧٢١

استدراك

فيما يلي بعض العناوين التي سقطت من الفهرس وتم استدراكها :

صفحة	شرح غريب ذكر قدوم بديل بن ورقاء ورسول قريش ١٣٨
٢٤٣	شرح غريب ذكر وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ٢٤٣
٤٢١	شرح غريب ذكر اعلام - صلى الله عليه وسلم - بأن أبا سفيان في الاراك ، وإرادة أبي سفيان الانصراف ٤٢١
٤٢٨	شرح غريب ذكر من أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقتله يوم الفتح ، وشرح غريب ذكر دخوله - صلى الله عليه وسلم - مكة ، وأين نزل ٤٢٨
٤٣٣	شرح غريب ذكر اغتساله - صلى الله عليه وسلم - ورن إبليس ، واسلام أبي قحافة ، وغريب خطبته - صلى الله عليه وسلم ٤٣٣
٥٤٠	شرح غريب جمع غنائم حنين ، وحكومة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين عيينة والأقرع في دم عامر بن الأضبط الذي قتله محلم بن جثامة ٥٤٠
٥٤٠	شرح غريب ذكر البشير الذي قدم المدينة بهزيمة هوازن ٥٤٠

رقم الإيداع ١٦٠٩ / ١٩٨٤

الترقيم الدولي ٩٧٧-٠٠٢-٠٠١٤-٤ ISBN

مطابع الأهرام بكونزيس النيل